

الطبعة الثانية

أدوينيس

الكتاب

أهس المكان الآن

I

علي مولا

الهاقي

www.alexandra.ahlamontada.com منتدى مكتبة الاسكندرية



الكتاب

أحسن العباد الآن

خطوط الغلاف: عميد سعيد الصبّار

أدونيس

الكتاب

أهس العكان الآن

مخطوطة تُنسب إلى المتنبّي
يُحقّقها وينشرها أدونيس



الطبعة

© دار الساقى
جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى ١٩٩٥
الطبعة الثانية ٢٠٠٦

ISBN 1-85516-563-5

دار الساقى
بناية تابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولام)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان
الرمز البريدي: ٦١١٤ - ٢٠٣٣
هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٧٣٧٢٥٦ (٠١)
e-mail: alsaqi@cyberia.net.lb

للمؤلف

- مجموعات شعرية
قصائد أولى، ١٩٥٧.
أوراق في الرّيح، ١٩٥٨.
أغاني مهيار الدمشقي، ١٩٦١.
كتاب التحوّلات والهجرة في أقاليم النّهار واللّيل، ١٩٦٥.
المسرح والمرايا، ١٩٦٨.
هذا هو اسمي، ١٩٧١.
مفرد بصيغة الجمع، ١٩٧٥.
المطابقات والأوائل، ١٩٨٠.
كتاب الحصار، ٨٢ - ٨٥
شهوة تتقدّم في خرائط المادّة، ١٩٨٧.
احتفاء بالأشياء الغامضة الواضحة، ١٩٨٨.
أبجدية ثانية، ١٩٩٤.
- دراسات
مقدمة للشّعر العربي، ١٩٧١.
زمن الشّعر، ١٩٧٢.
فاتحة لنهايات القرن، ١٩٨٠.
سياسة الشعر، ١٩٨٥.
الشعرية العربية، ١٩٨٥.

- كلام البدايات، ١٩٨٩.
- الصوفية والسورالية، ١٩٩٢.
- ها أنت أيها الوقت، ١٩٩٣.
- النظام والكلام، ١٩٩٣.
- النص القرآني وأفاق الكتابة، ١٩٩٣.

مختارات

- ديوان الشعر العربي (ثلاثة أجزاء، مقدمة) ١٩٦٤-١٩٦٨.
- مختارات من شعر السياب (مع مقدمة).
- مختارات من شعر يوسف الخال (مع مقدمة)، ١٩٦٢.
- مختارات من شعر شوقي (مع مقدمة)، ١٩٨٢.
- مختارات من نصوص الكواكبي (مع مقدمة)، ١٩٨٢.
- مختارات من نصوص محمد عبده (مع مقدمة)، ١٩٨٣.
- مختارات من نصوص محمد رشيد رضا (مع مقدمة)، ١٩٨٣.
- مختارات من شعر الزهاوي (مع مقدمة)، ١٩٨٣.
- مختارات من نصوص محمد بن عبد الوهاب (مع مقدمة)، ١٩٨٣.
- (الكتب الستة الأخيرة اختيرت وقُدِّم لها، بالتعاون مع خالدة سعيد).

ترجمات

- الأعمال المسرحية الكاملة لجورج شحادة، ١٩٧٥.
- الأعمال الشعرية الكاملة لسان-جون بيرس، ١٩٧٦.
- الأعمال الشعرية الكاملة لإيف بونفوا، ١٩٨٦.
- مسرحية فيدر لراسين، ١٩٧٥.
- الشقيقان العدوآن لراسين، ١٩٧٥.

I

ومنزِلِ لِيَسْ لَنَا بِمَنْزِلِ

المتنبي

في ذاكرة تَلِدُ الكلمات وتولّد
فيها

تَلِدُ الأشياء وتولّد فيها
لا تعرفُ حدّاً
بين الماضي والحاضر،
وُلِدَ الشاعرُ

في زَمَلٍ يعلو في صَعْدٍ*

في صحراء لغاتٍ، وُلِدَ الشاعرُ
عاش ولكن في ما يُشبه تابوتاً
سافر، لكن في ما يشبه مقبرةً
في طقس لا تخلو سنةً منه،
طقس للقتل (وقد لا يخلو يومٌ)
عاش الشاعرُ

طقس كان يُعاش كأن رياح
الجنة تُسري فيه، ومحابرُها
والأقلامُ

في هذا الطقس، رأى الشاعرُ

وَجْهَ الكونِ، وراح يُضيء مداهُ
ويُلَقِّح بِاسمِ الإنسانِ الشعرَ
وكلّ كلامٍ

ويُلَقِّح ما تَلِدُ الأيامُ.

أخْبَرْتُ جَدَّتِي: (والمحبّون والأصدقاء يُتَتَوْنَ)
شَيْءٌ هَوَى

مَاسِحاً بِيَدِيهِ

تَحَايِدُ أُمِّي عِنْدَمَا كُنْتُ أَخْرُجُ
مِنْ حَوْضِهَا

بَعْضُهُمْ قَالَ: هَذَا مَلَاكٌ

بَعْضُهُمْ قَالَ: شَيْطَانُهُ تَرَايَ

قَبْلَ مِيعَادِهِ

بَعْضُهُمْ آثَرَ الصَّمْتِ خَوْفاً وَنَفْوَى

كَانَتْ الكَوْفَةُ الأليفةُ تَدْخُلُ فِي عُرْبَةٍ

* صَعَدَ: صخرةٌ ملساء،
يكلّف الكافر صعودها. ثم
يُجذب مِن أَمَامِهِ بسلاسل
ويضرب مِن خلفه بمقامع
حتى يبلغ أهلها في أربعين
سنة.

إذا بلغه، يُجذب إلى أسفلها،
ثم يُكلّف الصعودَ مرّةً
أخرى. وهذا دأبه أبداً.

(سأرهقه صعوداً) [المذثر:
١٧]

(التفسير الكبير للرازي)

* للفراتِ، لدجلة، للغابرين لغاتٌ
وشِعْرِي إعجامُها وإعْرَابُهَا.

- ب -

أمي همدانته

خَرَجْتُ مِنْ أَحْشَاءِ الْكُوفَةِ - خَدًّا لِلتَّسْرِينِ
وَخَدًّا لِنَبَاتِ سِرِّي

وَأَبِي جُعْفِي وَرِثَ الْفَقْرَ عَنِ الْإِيمَانِ الْمُوغَلِ
فِي كَشْفِ الدَّيْجُوزِ

فِي الْكُوفَةِ، فِي جَانِبِهَا الشَّرْقِيِّ سَكْنَا فِي
حِي كِنْدِي

سَمَانِي أَحْمَدَ زَهْوًا وَتَفَاءَلِ

فِي تَلْقِيِي بِ «أَبِي الطَّيِّبِ»، كُنَّا

نَلْبَسُ لَيْلَ الدَّمْعِ، وَلَكِنْ

كُنَّا

نَتَمَوَّجُ فِي بَحْرِ مِنْ نُوزِ.

* جسدي غابۀ من رموز
وَخُطَايِي كَمَا رَسَمْتَهَا ظَنُونِي،
دَرَجٌ صَاعِدٌ،
وَتَهَاوِيلُ كَشْفِ.

○ قال الزاوي

مسكوناً بالكلمات

وبالأنعام وبالأسماء:

كيف سنقرأ قول الشاعر إن لم
تقرأه

في الأعمال وفي الأشياء؟

وثنى الزاوي:

لا نعرف من نحن

الآن، ومن سنكون،

إذا لم نعرف من كنا. ولذا
سأقض عليكم

من كنا -

وأقدم عُذْرِي لِلْقَرَاءِ

إن كان حديثي سزدياً، أو كان
بسيطاً لا يتوَدَّدُ لِلْفَصْحَاءِ

وثنى الزاوي:

دَخَضًا لِلشَّيْطَانِ،

قال الله: الأرض مهاد للإنسان

وسأجعل منها عرشاً

ويكون التاج خليفته،

وثنى الزاوي:

هُوَذَا الْعَرْشُ يَبِيئاً تَحْتَ سَقِيْفَةٍ.

○ وثنى الزاوية

مُفرباً سامعيه وقراءه

للهبوط إلى آخر الجحيم التي تتأصل
في أرضهم وتوارىخها،

قال: أروي لكم

بعض ما خَبِرَ المتنبي وما هالَهُ وما
صاغهُ

بعذاباته وبألفاظها وبسخرِ البيانِ الذي
يتنجسُ من نكهة الرُمزِ، أو لمحة
الإشازة

في نسجِ العبارة.

سأخبرُ حالي لابسَةً حالَهُ وأكثرُ تلك
الجحيمِ بلفظي - بسيطاً، مستضيئاً بما
قالهُ، أتقنُ الضياءَ إلى ذروات
الكتاب

بادئاً بالتراب.

أبدأُ بما صحَّ الإجماع عليه -

تلك السنة التأسيسية:

إحدى عشرة هجرية.

- أ -

- نقاسمُ: بنا أميرٌ ومنكم أميرٌ

- يقتل الله من قال هذا

- يقتل الله من لا يقول بقولي.

- ب -

- قتل الله سعداً وسيقتل من لا يُبايع
من يابئث قريش.

- ج -

- «قولوا لعلي أن يأتي»

- «خزناً أو سلماً طوعاً أو كرهاً

لن تخرج حتى

تقبل من يابئث أهل قريش بايع».

- «كلاً، إن كان الأمر كما تتحدث عنه

- ج -

سَأَقُولُ:

أبي ميراثٍ عذابٍ

وأسمي أُمي،

سُكراً بالكلماتِ وحبّاً للأشياءِ

رِيمٍ سرابٍ في صحراء.

أ - حوار بين عمر بن الخطاب وبعض الأنصار، في يوم السقيفة.

ب - قولٌ ينسب إلى عمر بن الخطاب في يوم السقيفة، ويقصد سعد بن عبادة الأنصاري الذي لم يُبايع. وقتل في الشام، سنة ١٥هـ.

ج - حوار بين عمر وعلي

* إِنَّهُ الْعَرْشُ يَصْقَلُ مِرَاتَهُ -

صورةٌ لِلسَّمَاءِ

وَيُزَيْنُ كَرْسِيَهُ

بَشْطَايَا الرُّؤُوسِ،

وَرَقَشِ الدِّمَاءِ.

قال الله،

وقال رسول الله بأنّي أولى منه؟

الأنصار؟ بها احتج عليكم.

ما حاجتكم ضيّد

وكيف أبايع من

أَبَوَايَ أَنْشَطَارًا: دَمٌّ لِلْعَذَابِ دَمٌّ لِلْمُؤْمَلِ
وَالْمُنْتَظَرِ.

أ - الإشارة إلى بني هاشم.

هَبَطَا مِنْ أَعَالِي الْقِبَائِلِ مِنْ رَأْسِهَا
يُسْرِجَانِ خِيُولَ السَّهْرِ

أَخَذَا الْأَبْجَدِيَّةَ فِي رَاحَةِ وَالْقَصِيدَةَ فِي رَاحَةِ
وَقَالَا:

سَوْفَ نَقْرَأُ فِي ضَوْءِ سِرِّهَا أَحْمَدًا.

ب - الإشارة إلى المرتدين.

○ قال الزاوي

معموساً في ذاكرة المتنبّي:

- أ -

شُغِلُوا بِالنَّبِيِّ، بِمَوْتِ النَّبِيِّ،
وَلَمْ يُشْغَلُوا بِالْخِلَافَةِ

شَهْوَةُ الْمَلِكِ تَسْتَأْصِلُ النَّاسَ،
تَذَرُوهُمْ كَالْعَصَافَةِ.

- ب -

«أَخْرِقُوهُمْ، خُذُوا مَا لَهُمْ
وَذَرَارِيَهُمْ، وَالنِّسَاءَ
وَاجْعَلُوهُمْ هَبَاءً.»

- ج -

أَوْتَقُوا قَدَمِيهِ، يَدِيهِ

وَرَمَوْهُ إِلَى النَّارِ، قَالُوا:

رَأَيْنَا الْفُجَاءَةَ فَنَحْمًا.

وَتَنَى الزَّوَايَ:

حَقًّا، بَعْضُ الْأَفْكَارِ كَمَثَلِ
نَبَاتٍ وَحَشِيٍّ

يَأْكُلُ، لَكِنْ لَا يَأْكُلُ
إِلَّا بَشَرًا.

* تَلِكِ التُّخْلَةُ تُصْنَعِي

حِينَ أَقْصُرُ عَلَيْهَا

ذَكَرَى أَبُويَ، وَتَفْهَمُ قَوْلِي.

كانت الشمسُ تَمَشُّطُ رَأْسَ الغُرُوبِ وَتُجَلِّسُ
في حَضَنها بَيْتَنَا
بَيْتَنَا - لا حِلِّيَّ ولا زِينَةَ
كان يَأْتِي إِلَيْهِ المِساءُ، وَيَأْتِي إِلَيْهِ النَّهْازُ
في قَمِيصِ العُبابِ.

أ، ب - الإشارة إلى طليحة
بن خويلد الأسدي، (النبهي
الكذاب)، والكلامُ يُنسَبُ
إليه.

ج - الإشارة إلى مالك بن
نويرة، الذي قتله خالد بن
الوليد بتهمة الارتداد وتزويج
امراته. وخالد هو الذي قاد
الحرب على المرتدين، سنة ١٢
هجريه.

* الغِبارُ الشَّريدُ الأَصَمُّ الغِبارُ -
الْحُطَيَّ
فَوْقَهُ وَرَقَّ طَائِرٌ
وَهَوَاهُ بِلا ذِكْرِياتِ.

○ ما الذي قاله طليحةُ يا أيها
الزَّاويهُ،
وبماذا تنبأ؟ لم يجرؤ الزاويهِ
أن يردد إلا
نَفْأً مِنَ تَعالِيهِ:

- أ -

«جاءني، قال جبريلُ لي: «ليس
ربي في حاجةٍ للوجوه - مُعْفَرَةٌ
في الصَّلَاةِ»

- ب -

«لا تُصَلُّوا لغير الحياة»

- ج -

وثنى الزاويهِ:

أَسْرُوا مالِكاً صَرَبُوا عُنُقَهُ
وَضَعُوا رَأْسَهُ تَحْتَ قَدْرِ
نَضجت قَبْلَهُ

قتلوا أَهْلَهُ واحداً واحداً

ما عداها - زوجةُ كان مالِكُ
يَزْهوها،
وتزَوَّجها خالِدٌ.

- و -

في الكُتَّابِ، مَزَجْتُ الطِّفْلَ بِكُلِّ شُعَاعٍ
وَمَزَجْتُ الكُوفَةَ بِالْأَفَاقِ، وَقَلْتُ لِكُلِّ
كِتَابٍ: لَسْتَ الْمَعْنَى.

نَزِدِي فِي غَابَاتِ اللَّعِبِ الْجِدِّ الْبَهْجَةِ بَيْنَ
الْمَحْرُومِينَ، وَأَعْلَى مِمَّا يَذْهَبُ ظَنُّ،
نَزْدٌ مُفْرَدٌ

كُنْتُ الْعَابِثَ، كَانَ يُحَيِّلُ أَنِّي
طِفْلُ الْعَبَثِ الْأَوْحَدِ.

* لَا يَبُوحُ الضِّيَاءُ بِأَسْرَارِهِ
سِرَّهُ ذَائِبٌ
فِي شُعَاعَاتِهِ.

○ ما الكتابُ الذي كانَ بينَ سَجَاحٍ
وَمُسَيْلِمَةٍ أَيُّهَا الرَّائِيَةُ؟

- لَنْ أَقُولَ سِوَى مَا تُوثِّقُهُ
الْكِتَابَ الْبَاقِيَةَ، -

- ١ -

- «نَلْتَقِي، نَتَدَارَسُ مَا جَاءَ وَخِيًّا
عَلَيْنَا قَبْلَ أَنْ نَتَحَارَبَ نَخْلُصُ:
لَا حِسْرَةَ، لَا نَدَمٌ

وَنَرَى الْحَقَّ - مَنْ كَانَ مِنَّا
الْأَحَقُّ رَضِينَا بِهِ»
- «حَسَنٌ مَا تَقُولُ»

- اضْرِبُوا خَيْمَةَ مَنْ أَدَمَ
وَأَمْلَأُوهَا بَعُودٌ

عَبَقَ الْعُودُ يُوقِظُ فِي النَّفْسِ مَا
تَشْتَهِيهِ وَيُوقِظُ فِي الْمَرْأَةِ الْبَاءَ
قَوْمِي سَجَاحُ، لِنُدْخُلَ.»

- ب -

وَتَنِي الرَّائِيَةُ:

خَيْمَةٌ - خَلْوَةٌ، -

حَرَكَ الْعُودُ أَعْضَاءَهَا الْبَارِدَةَ

حَرَكَ الْعُودُ أَعْضَاءَهَا الْبَارِدَةَ

دَخَلَ فِي مَقَامِ الذَّوَابِ وَأَبَى
مِنْ مَقَامَاتِ وَخِيَّتَيْهَا

وَحَدَّ الْبَاءَ وَخِي النَّبِيِّ وَوَحِيَّ
النَّبِيَّةِ صَارَا آيَةً وَاحِدَةً.

وَتَنِي الرَّائِيَةُ:

ما أَشْقَى مَنْ لَا يَسْمَعُ صَوْتَ الْحَبِّ يَعْنِي جَسَدَ الْإِنْسَانِ.

أ - حوار بين مسيلمة (النبي
الكذاب) وسجاح بنت المنذر
(النبية الكذابة).

- ز -

أَلْقَرَى فِي السَّوَادِ * نِسَاءً مِنْ نَخِيلٍ وَزَرْعٍ
وَالْبَسَاتِينُ تَحْنُو عَلَيْهِنَّ -

مَا أَطِيبَ الْوَزْدَ مَا أَكْرَمَ الثَّمَارَ

قَرْيَةً فِي السَّوَادِ: جِرَاحُ

وَأَسَاطِيرُ نَازَ.

لِلسَّوَادِ بِيَاضِ الْحَقُولِ سَلَامُ الشَّجَرِ:

عَاصِفٌ جَامِحٌ مِنْ بَهَاءِ

فِي مَدْيِ جَامِحٍ مِنْ صُورَ.

* نَايَاتُ كُسِيرَتِ،

وَبَقَايَا أَكْوَاخِ

فِي كُلِّ مَكَانٍ سِيَّافُونَ وَجُنُودٌ.

○ مَا الَّذِي فَعَلْتَهُ سَجَاحٌ، أَيُّهَا
الزَّوَايِرُ؟

- تَنَبَّأَتْ، صَارَ اسْمُهَا مِثْلًا:
«أَعْلَمُ مِنْ سَجَاحٍ».

وَتَى الزَّوَايِرِ:

قَالَتْ لِمَسِيلِمَةَ:

- «أَنْتِ نَبِيٌّ حَقًّا

زَوَّجْتِكِ نَفْسِي وَأَرِيدُ صَدَاقًا
يُشْبِهُنِي».

- «سَوْفَ أَرْفَعُ عَنْكُمْ صَلَاةَ
العِشَاءِ الْآخِرَةَ، وَالْفَجْرِ

- «أَحْسَنْتِ، هَذَا صَوَابٌ».

وَتَى الزَّوَايِرِ:

فَرَّ مِفْتَاحُ أَحْلَامِهَا فَرًّا مِنْ
صَدْرِهَا

وَتَلَّى عَلَى صَدْرِهِ: وَحْيُهَا حُبٌّ

وَحْيُهَا حُبُّهَا.

* السَّوَادُ مِنَ الْبَلَدِ قَرَاهُ
وَرِيفُهُ. وَمِنْهُ «سَوَادُ الْعِرَاقِ»
مَا بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ، وَمَا
حَوْلَهُمَا مِنَ الْقُرَى. وَمِنْهُ
«أَهْلُ السَّوَادِ» حَيْثُ تَأْتَسْتُ
الْحَرَكَةَ الْقَرْمَطِيَّةَ.

- ح -

أَنهَارٌ صُغْرَى قَنَوَاتٍ غَابَاتُ
نَخِيلٍ:

جَسَدٌ ثَانٍ فِي جَسَدِ الْكَوْفَةِ

سُرُرٌ لِلشَّمْسِ، لَجُذَعِ النَّخْلِ تُدِي

عَنِّيْتُ لَهُ وَرَسَمْتُ عَلَى الطَّرْقَاتِ حُرُوفَهُ.

فِي كُلِّ مَسَاءٍ يَأْتِي الْجُدْعُ مَلَائِكُ

وَيَنَامُ عَلَى كَتْفِيهِ،

لِمَلَائِكِ النَّخْلِ حَدِيثٌ لَا يَفْهَمُهُ

إِلَّا أَطْفَالَ الْكَوْفَةِ.

أ - مسيلمة، غاطباً خالد بن الوليد.

ب - مُجَاعِدَةُ بِنْتُ مُرَارَةَ الْأَسَدِيِّ، أَحَدُ زَعَمَاءِ الْمُرْتَدِينَ. وَالْحَوَارِ هُوَ بَيْنَ خَالِدِ بِنِ الْوَلِيدِ وَمُجَاعِدَةَ.

ج - قول يُنسَبُ إِلَى عَفِيفِ الْكَنْدِيِّ، أَحَدِ الْمُرْتَدِينَ.

○ نَقْلُ الرَّوَاهِ

عَنْ مُسَيْلِمَةَ قَوْلَهُ:

- أ -

«أَنَا نَبِيٌّ وَارْتَضَانِي الْخَالِقُ

يَابَنَ الْوَلِيدِ، أَنْتَ عِنْدِي فَاسِيقُ

وَكَافِرٌ بِرَبِّهِ، مُتَأَفِّقٌ.»

- ب -

وَتَى الرَّوَاهِ:

قَتَلُوا مَسَيْلِمَةَ وَصَالِحَ خَالِدِ
مُجَاعِدَةَ،

أَخَذُوا كَمَا فَرَضُوا: ذَهَبًا،

كُرَاعًا، فِضَّةً.

- «وَأَرِيدُ بِتَكَ زَوْجَةً»

- «خُذْهَا، فَخَارَ أَنْ أَصَاهِرَ

خَالِدًا.»

- ج -

«تِلْكَ قُرَيْشٌ:

لَا تَخْرُجُ إِلَّا الطَّاعَةَ، أَوْ تَفْنَى.»

* تِلْكَ أَرْضٌ خِلَاسِيَّةٌ دَافِقَةٌ
لَا يَلِيْقُ بِأَحْزَانِهَا وَبِأَحْلَامِهَا
غَيْرَ تِلْكَ الثِّيَابِ الَّتِي نَسَجْتَهَا
نَجْمَةٌ صَابِئَةٌ.

○ لكن الزاوية

كان يزوي دماً آخرًا:

رُجِموا بالحجارة، ألقوا

من رؤوس الجبال،

نُكسوا في قرارات آبارهم

خُزقوا بالثبال

في عمان ودارين، من

آخر الشمال إلى آخر الجنوب

قتلوا كلهم - أنتنت منهم

الدروب.

وثى الزاوية:

أشراط الناس دُباب

لا يجذبهم إلا

تتن وفساد.

- ط -

أراميون وفزس، عرب، نسب الواحد منهم

لبني عبنس، لبني عبد القيس، لكندة أو

همدان، أكان مقيماً أو وافد

كل - كلهم خلطوا بتراب الكوفة،

صاروا طيناً واحداً

كانوا يزنون إلي ويبتسمون: ثيابي

ليست خزاناً

لكن كانت آيات تترأى في وجهي جاءت

من لغة تتخطاني وتوحد بين غدي

والأمن،

ضميهم مثلي، مدي زندك واحتضني

يا تلك الشمس.

* سأقول الحب نبيد الأرض،

وهذا العالم دن،

والأيام كؤوس.

* يشير الراوي هنا إلى
المرتدين

- ي -

بِئْتَنَا صَبُوءٌ

تَتَقَلَّبُ فِي جَمْرِهَا

وَالْتَجُومُ تَجَرَ خَلَاخِيلِهَا حَوْلَهُ

مَرَّةً، هَبَطَتْ فِيهِ جَنِيَّةٌ غَسَلَتْني بِأَهْدَابِهَا
وَاحْتَفَّتْ

كَمْ تَحَدَّثْتُ عَنْهَا إِلَى بَيْتِنَا وَتَحَدَّثَتْ عَنْهَا

لَمْ يَكُنْ بَيْتُنَا يَعْرِفُ التَّحَوَّ وَالصَّرْفَ لَكِنْ

كَلَّ أَحْجَارَهُ بَيَانٌ

مَرَّةً،

قَالَ لِي:

خَطَوَاتُكَ حُبْلَى بِمَا لَا يُطِيقُ الْمَكَانَ.

* عَاصِفٌ فِي الطَّرِيقِ إِلَى بَيْتِنَا،

حَلٌّ ضَيْفًا،

وَهَا هُوَ يَزْتَاخُ كَالطِّفْلِ بَيْنَ يَدَيْ

وَرَدَّةً.

○ قال الزاوي

يتحدث عن حب آخر عاشته
جنيات أخرى،

- أ -

- استجازها سليلك

قالت له: «بيتك تحت ثوبي».

- ب -

- أزواجها اثنان وأربعون

ولم يقل: زانية.

أ - سليلك الشاعر، والمرأة هي
خالة طرفة بن العبد، واسمها
فكيهة.

ب - الإشارة إلى امرأة اسمها
غمرة، وتلقب بـ «أم
خارجة»، وكانت مزوجة.

أوه ما أفجج الخطب في هذه
السنة الذاهية،

مات أبو بكر مسموماً
معه

مات الحارث في يوم واجد

من شم واجد

في سخن واجد.

وشى الزاوية:

هي ذي الأرض احمرت

وتذاب فيها الصوت

مليث بحدائق، لا لنبات

الحب، ولكن

لنبات الموت.

وشى الزاوية:

إنساج وأصحابها

لنبواتها - كذبن، لصوت النبوة

فيها، ولن هل فيه، ولن أزلن

نطفيء اليوم ناز الجواب،

وستنقر الأنيلة.

- ك -

- أ -

صوّر في ذاكرتي لإقرامطة

كانوا يأتون ويفترشون الفقر

ويقولون: أقمنا عهداً

ألاً يبقى أثر للفقر.

- ب -

أتذكر: كان السواد احتضاراً

لغة للتمرد والموت - تشتق من نارها نازها.

هوذا يتواصل ذاك الشرز:

عالم يتحدّر واللهب المتحدّر.

* تلك آهات أسلافنا

مطرّ غامرّ مطرّ غامض،

وحطانا حقول لها.

يشير الراوي إلى موت الخليفة
الأول، السنة ١٢ هجرية

الحارث بن كلدة الشقي،
الطيب والحكيم.

- أ -

لم أعرف نفسي حين عرفت الكوفة حقاً
وبقيت كأني مشطور: غضباً يقصيني عنها
وحناناً يضرني فيها
هل أهل الكوفة جنٌ وبقايا رُجم؟
بينون عروشاً من أحلام
ويعيشون سُكاري: عُرساً قبراً، قَبراً عُرساً
طَقْساً لِلأَرْضِ: إمامٌ
يَجِيأ في مَوْتِ إمام.

- ب -

آثارُ دَمٍ وَمَهَبُ رُؤوسٍ وَالعابِرُ سَيْفٌ: تلك
حشودٌ تتناحرُ حولَ ضِفافِ المعنى لكن،
سَأكَرَر: طُوبَى
لِلإنسانِ يَغامِرُ في الأَطرافِ القُضْوَى مِنْ
حَيْرَتِهِ
بَحْثاً عَنِ نَشْوَتِهِ.

* أَفَقُّ: مخطوطةٌ عجماء،
وَالقَتْلُ بَيَانٌ.

○ قال الزاوي:

كَانَ النَّاسُ فَرَادَى وَجَمَاعَاتٍ
يَأْتُونَ الكوفَةَ حُجَّاجاً فِي
سِزْدَابِ تَحْتِ الأَرْضِ وَيُزَوِّى:
أبناءً عَلِيٍّ فِي الكوفَةِ ماتوا أَوْ
قُتِلوا وَعَلِيٌّ فِي الكوفَةِ ماتَ
وَيُزَوِّى: الكوفَةُ زَمْرٌ لِلْمَوْتِ
يَفْتَنُكَ

لا يُفصَحُ عَنْهُ

قَوْلٌ، لا يَحْصِرُهُ وَضْفٌ.

وثى الزاوي:

قال الحسن بن القنار،

وقال القاضي أهد:

لا يحكمنا حقاً إلا أشخاص
يتخذون الموت إماماً ويقال:
لهم أشباه في سَيَافِ أَوْ فِي
سَيْفٍ.

وثى الزاوي:

لا يقدرُ عِلْمٌ أَنْ يَتَحاورَ مَعَ
جَهْلِ.

الحسن بن داود النّقار (ت: ٣٥٢ هـ). والقاضي أهد بن
الكمال (ت: ٣٥٠ هـ).
استمع إليهما المتنبّي في
الكوفة.

○ يعرف الزاوية

كيف يُوغِل في فجر تاريخنا
وَيُضِيءُ تَقَاوِيمَهُ

كي يُضِيءَ المدينة - أوجاعها
وأسرارها وَيُضِيءَ الطَّرِيقَ إلى
المتنبي.

قال، في نشوة: هذه سنة
عُمريّة

عَمَّرَ - قِيلَ عَنْهُ: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ
عَاقَبَ الشَّعْرَاءَ عَلَى هَجْرِهِمْ.»

وثى الزاوية:

كَرَمَتْ نَفْسَهُ عَلَيْهِ، فَهَانَتْ كُلُّ
شَهْوَاتِهِ.

وروى الزاوية

حُلِمَ رُؤْسَتُمْ، فِي عَهْدِهِ،
وَتَأْوِيلُهُ:

- «نَائِمٌ - فِي مَنَامِي:

مَلَكٌ هَائِطٌ

جَاءَ، لَمَّ العِصِيّ، وَلَمَّ
السِّيَوفَ وَطَارَ بِهَا لِلسَّمَاءِ»

- «إِنهَا آيَةٌ:

«عَرَبٌ طَالَعُونَ مِنَ الرَّمْلِ،
خِيلاً عَرَاباً.

سَيِّدُونَ كِشْرَى، وَيَمْتَلِكُونَ الفِضَاءَ.»

- ٣ -

لم تَرْدَنِي هَذي المَدينةُ إِلَّا شَكوكَاً

لم تَرْدَنِي إِلَّا نَكوصاً عَن مَدَارَاتِهَا

لم تَرْدَنِي غَيرَ التَمزُّقِ (تُنَكِّرُ نَفسِي نَفسِي)،
وَعَغيرَ الدُّوَاذِ

لم تَرْدَنِي إِلَّا هُبُوطاً فِي جَحيمي إلى لا قَرَارِ.

المسَاءُ مَليءٌ بِرُؤوسِ مُقَطَّعةٍ

والصَّبَاحُ قَبورٌ: تَلكَ أَيَّامُهَا.

ما الذي كَانَ أَزْضاً ما الذي كَانَ فِيهَا
السَّمَاءُ؟

هُوذا نَتَدَثَّرُ أوجاعَنَا

وَنُخَوِّصُ فِي مَهَمِّهِ مِن دِمَاءِ.

* أَهْوَى الضَّوْءَ طِفلٍ

يَتَعَثَّرُ، فِيمَا يَسِيرُ عَلى دَرَجاتِ

الكَلَامِ،

بِحُرُوفِ الظَّلَامِ؟

- ن -

أَلْتَبَاتُ هُنَا فِي الْحَقُولِ وَحَوْلَ الْبُيُوتِ يُجَدِّدُ
أَوْرَاقَهُ: بَعْضُهَا شَهَوَاتٌ،

سنة ١٧ هجرية.

بَعْضُهَا شُرَفَاتٌ

هَلْ تَقُولُ الْعَرِيشَةُ، تِلْكَ الْعَرِيشَةُ، مِنْ أَيْنَ
جَاءَتْ

إِلَى أَيْنَ تُمْضِي

تَحْتَهَا، مِثْلَ طِفْلَيْنِ كَتَا تَتَعَطَّى بِأَنْفَاسِنَا.

سنة ٢٠ هجرية.

قَلْتُ: لَا دَفْتَرٌ، لَا كِتَابٌ... لَمْ يَقُلْ أَيُّ
شَيْءٍ

نَهَرٌ مِنْ عَذَابٍ جَرَى فِي يَدَيْهِ

نَهَرٌ مِنْ حَنَانٍ جَرَى بَيْنَنَا - وَالتقى سَاعِدَانَا

وَالتقى عُنُقَانَا.

سنة ٢٣ هجرية.

* سَحُبٌ فَوْقَ الْكُوفَةِ - هَذَا

أَنْفَاسُ الْفُقَرَاءِ:

أَجْمَلُ قَطْرِ، أَصْفَى مَاءٍ.

○ حَدَّثَ الرَّأْوِيَةَ:

ذَلِكَ الْعَامَ سُمِّيَ عَامَ الرَّمَادَةِ
(صَارَ لَوْنُ الْبِلَادِ وَلَوْنُ الْعِبَادِ
رَمَادًا) كَانَ عَامًا مِنَ الْجُوعِ -
لَكِنْ

- «كَيْفَ تُنَكِّرُ مَا قَدَرْتَهُ
السَّمَاءُ؟»

- «السَّمَاءُ تُبَالِغُ فِي شِكْمِهَا».

وَتَى الرَّأْوِيَةَ:

أَجَلِي عُمَرُ أَهْلِ الثَّوْرَةِ

عَنْ نَجْرَانَ وَخَيْبَرَ، وَاسْتَقْصَى

فِي هَذَا، سِرَّ الْآيَاتِ.

وَتَى الرَّأْوِيَةَ:

عُمَرُ - كَانَ يُصَلِّي

حِينَ تَلَقَى سُمَّ الْخَنْجَرِ.

فِي الْحَلَمِ رَأَى زَمْزَأً

لِأَبِي لَوْلُؤَةَ

وَرَوَاهُ: «يَتَفَرَّنِي دِيكَ أَحْمَرُ».

وَتَى الرَّأْوِيَةَ:

دَمُهُ تَوْبَةٌ.

○ قال الزاوي:

أوصى الخليفة عمر للمقداد بن الأسود. قال: «أدخل علياً وعثماناً والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة، وأخضِر عبد الله بن عمر ولا شيء له من الأمر. فم على رؤوسهم:

إن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً منهم، وأبى واحد، فاضرب رأسه بالسيف، إن اتفق أربعة ورضوا رجلاً منهم، وأبى اثنان، فاضرب رأسيهما.

إن رضي ثلاثة رجلاً منهم، وثلاثة رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس.»

وتى الزاوية:

«قال علي للعباس:

«عدلت عتاً. قرن بي عثمان، وقال: كونوا مع الأكثر. فسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن، وعبد الرحمن صهر عثمان.»

وتى الزاوية:

حائراً، سائلاً:

عجياً، كيف دُشن عصر النبوة والراشدين بالقتال وبالقتل والقاتلين؟

- س -

أتنور: هذا المدى كُتِلَ مِنْ شَرَز
تفتت بين صدور البشر
أتراها الحياة ضياء - بنو آدم يطفئون
شراراته؟
كي أظل بعيداً، غريباً
أخذتني إلى بيتها كلمات
وسقتني إكسير أعشابها،
زمن - جالس
مثل طفلٍ على ركبتي، ليقرأ ما يكتب
الفضاء
في دفاتر مسروقة
من جيوب السماء.

رواية الطبري

* كلما ازداد علمي في الشيء، أزداد
عجزاً
أن أذاكر غيري به.

○ قال الزاوي

- أ -
شَدَّ أسنانهُ بالذَّهَبِ

وأتى للخِلافةَ من بابها المرتقب.

- ب -

وثنى الزاوي:

قال عثمانُ يُفجِمُ عُمراً:

- «دَزَبَ اللَّفْحَةُ الآنَ، أَكْثَرَ مِنْ قَبْلُ

- «لَكُنْما جاعَ أولادُها».

- ج -

وثنى الزاوي:

«سَأولَ الأَقْرابِ أَوْلَى بالوِلاياتِ مِنْ غَيْرِهِمْ».

- د -

وثنى الزاوي:

هَدَمَ الدُّورَ بِمَكَّةَ، وَسَعَ أرضَ المسجدِ صاحِ النَّاسِ احتَجَّوا، حُبِسوا، قال: «كَمْثِلِي عُمَرَ هَدَمَ، لَكِنْ لَمْ تَحْتَجَّوا ما جَزَأَكُم إِلا جِلْمِي.»

وثنى الزاوي - في نَبْرته عَضَبٌ وعَتابٌ:

جَهْدُ العاجِزِ أَنْ يَغْتابَ سِواهُ.

- ع -

جامِعٌ - يُرْعُ النَّاسُ، يُلقون أحلامهم بين أحضانهِ كلِّ يومٍ

غيرَ أنِّي لا أرى غيرَ أشلائِهِمْ.

إنَّها الكوفَةُ الدَّامِيَةُ

فِكْرَةٌ قَدَّقَتْها الملائِكُ مِنْ شاهِقِ

وَمَسَّتْ فوقها

أَلصَقَتْها بِوَجْهِ الترابِ

رَحِماً لِلْعذابِ،

وَالبَقِيَّةُ في عَهْدَةِ الزَّاويَةِ.

أ - سنة ٢٤ هجرية، والإشارة إلى الخليفة عثمان.

ب - حوار بين عثمان وعمر بن العاص، حول خراج مصر.

ج - كلام ينسب إلى عثمان

د - الكلام لعثمان

* مَنْ يَعْرِفُ ماذا قال الرَّمْلُ، اليَوْمَ، لِرِيحِ الكوفَةِ؟
مَنْ يَعْرِفُ ماذا قالت رِيحُ الكوفَةِ، هذا اليَوْمَ، لِرَمْلِ الكوفَةِ؟

○ أَخْبِرَ الزَّوَايَةَ:

كُلِّهِمْ، كَلَّ مَنْ فِي الْمَدِينَةِ، أَوْ
خَارِجَ الْمَدِينَةِ، يَغْلُوْنَ حُنُقًا
عَلَيْهِ:

ثُرَوَاتُ الْبِلَادِ تَجْمَعْنَ فِي
رَاحَتِهِ.

وَتَى الزَّوَايَةَ:

أَلْطَرَقَاتُ تَكَادُ تُجْرُنُ:

أَرْضٌ - حَرٌّ، وَالْحَطْوَةُ ذَنْ.

هُودًا وَوَلَدَ أَسْوَدَ

يُخْفِي مِنْ عَثْمَانَ كِتَابًا

(وَرَوَا: يُخْفِي مِنْ مِرْوَانَ كِتَابًا)

فِي قَتْلِ مُحَمَّدٍ.

وَتَسَى الزَّوَايَةَ - (فِي نَبْرَتِهِ
غَضِبَ مَرًّا):

سَأَلُوهُ الْأَمَانَ، فَأَعْطَاهُمْ

وَقَفُوا فِيهِ وَاسْتَسَلَمُوا

فَاتَّخَمِينَ لَهُ حَضَنَهُمْ

لَمْ يَكُنْ وَعْدُهُ صَادِقًا:

حَزُّ أَعْنَاقِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا.

- ف -

جَاءَ جَبْرِيلُ فِي غَيْمَةٍ
وَسَقَى كَوْفَةَ الظَّامِثِينَ بِأَسْرَارِهِ.

جَاءَ فِي كَوْكِبٍ
وَرَمَى وَجْهَهُ فِي تَقَاطِيمِهَا.

جَاءَهَا فِي كِتَابٍ -

آدَمَ مِنْ تَرَابٍ، وَنُوحَ نَوَاحٍ،
وَالْبَقِيَّةُ تَفَاحَةٌ.

* غَيْبُ الْكَوْفَةِ يُزْهِرُ فِي الْفَاطِ بْنِهَا،
لَكِنْ، لَا يُجْرُ إِلَّا مَوْتًا.

الإشارة إلى أهل طبرستان،
ولك سعيد بن العاص الذي
غزاها، وفتحها.

الإشارة إلى الخليفة عثمان.

- ص -

وَخَدِكَ، الْآنَ، فِي الْبَيْتِ، هَلْ يُفْرَعُ
الْبَابُ؟ تَسْأَلُ فِي ذَاتِ نَفْسِكَ:
مَنْ ذَاكَ؟ وَخَدِكَ:

لا أمّ، لا جدّة، لا أبّ،

مَنْ يَكُونُ: ابْنُ دَاوُودَ، أَوْ أَحْمَدُ الْكَامِلِي؟

تَتَحَيَّرُ، تُوْغِلُ فِي نَارِ قَلْبِكَ: مَنْ

ذَاكَ؟ تَصْرُخُ مُسْتَبْشِرًا:

أَهْوَ الْقَرْمِطِي؟

أ - حوار بين أبي ذر الغفاري
ومعاوية، سنة ٣١ هجرية.

○ قال الزاوي:

لِلْمَتَنِّبِي ذَاكِرَةٌ - لَهَبٌ يَتَغَلَّغُلُ
فِي التَّارِيخِ، وَجُزْخٌ يَتَدَفَّقُ فِي
جُجْجِ،

وَأَنَا قَبَسٌ مِنْهُ، -

- أ -

- «كَيْفَ تُسَمِّي مَالَ النَّاسِ بِمَالِ
اللَّهِ؟»

- «أَلَسْنَا خَلَقَ اللَّهُ، وَكَلَّ النَّاسِ
وَمَا مَلِكُوهُ مُلْكٌ لِلَّهِ؟»

- «غِطَاءٌ. قَوْلُوا هَذَا

الْمَالِ سَوَاءً

بَيْنَ النَّاسِ، وَأَعْطُوا

وَأَسُوا الْفُقَرَاءَ.»

- ب -

وَتَنَى الزَّاوِي:

حَزْبُ صَمَاءَ

بَيْنَ لُغَاتِ وَتَأْوِيلِ
الْفِ لَامِ هَاءَ

وَالْأَنْقَاضُ عَقُولٌ حِينًا
وَرَوْوَسٌ حِينًا.

* أَنْ تَكُونَ بَصِيرًا
غَيْرُ كَافٍ لَكَي تُبْصِرَا.

○ وثى الزاوي:

- أ -

- «ألفتنة ناز تجري وأبو ذر
يُشعلها. ما الزاوي؟ أقتل،

أم نقي؟»

- «نقي».

- ب -

وثى الزاوي:

من تلة زمل في الريدة

كان أبو ذر يتحدث مع أحلام
الناس،

ومات وحيداً في المنفى.

- ق -

كم جمعت الدفاتر كي أتخبأ فيها

كنت أحفظ عن ظهر قلب

كل ما قاله الأولون،

وأسمع أصوات قرائهم:

- «لم أجذ مثل هذا الفتى حافظاً».

- «لم يجيء مرةً للصلاة».

- «يكتب الشعر، قبل الأوان، صغيراً، وهو

في العاشرة.»

أتذكر، كنا صديقين، شمساً وماءً -

أنا والفراث.

* من شفتي طفل

تخرج حكمة هذا العَصْرِ الشَّيْخ.

أ - مراسلة بين معاوية
وعثمان، سنة ٣٢ هجرية.

- ر -

«الشَّيَاطِينُ أَلْفُفٌ جَسَمًا،
أَحَدُهُ عَقُولًا مِنَ النَّاسِ، أَعْرَفُ مِنْهُمْ،
وَلَا آفَةٌ فِيهِمْ»

هكذا أجمع الأولون
وأنا المتأخر أصغي، وأقتص آثاركم،
أيها السابقون.

* أَلْحَقِيْقَةُ بَيْتٍ

ليس فيه مقيم ولا جار من حوله
ولا زائر.

○ قال الراوي:

ما أذعانا - تلك الظلمات

ما أبغته - ذاك الإعجاز

الكامن فيها

أفهم، إذ أزويها

عجز الكلمات.

- أ -

كثر الناس على عثمان

نالوا منه

أقيح ما نالوا من إنسان.

- ب -

- «إعْتَدَنْ، أَوْ اعْتَرَنْ».

- ج -

- «ضَعُفَتْ، رَقُفَتْ عَلَى

أَقْرَبَائِكَ»،

- «هُمْ أَقْرَبَاؤُكَ أَيْضًا»

- «لَكِنَّ الْفَضْلَ فِي غَيْرِهِمْ».

ب - كلام لعمر بن العاص
خطباً عثمان.

ج - حوار بين علي وعثمان،
سنة ٣٥ هجرية.

- ش -

السَّوَادُ مَعَ الشَّمْسِ فِي الشَّمْسِ

بَيْنَ الخِيوطِ - الأشعةِ، أرضِ

زَرَعَتِهَا الأساطيرُ والصَّلواتُ وأحلامُها.

والحصَادُ الضِّياعِ

السَّوَادُ أَخٌ فِي الثُّبُوءِ،

أَخٌ فِي الرُّضَاعِ.

○ وَتَنَى الزَّارِي:

- أ -

«قولوا لعلِّي أن يسقينا ماء.»

- ب -

قال علي لابنيه:

ذردا عن عثمانٍ

وَخُذَا المَاءَ إِلَيْهِ.

- ج -

دَخَلَ النَّاسُ عَلَى عثمانٍ

هَذَا يَضْرِبُهُ

بِالسِّيفِ وَهَذَا

يَخْتَمُهُ

قَتَلُوهُ ذُبْحًا وَأَنْتَهَبُوا مَا شَاؤُوا

قَالُوا: «إِنْ كَانَ حَلَالًا كَفَّمُهُ

فَالْمَالُ حَلَالٌ.»

• أَغْمِضْ عَيْنِيكَ، لِتَعْرِفَ كَيْفَ
تُشَاهِدُ وَجْهَ الوَاقِعِ فِي أَحلامِ
مَاتَتْ.

أ - الكلام لعثمان ومرو
محاضر، سنة ٣٥ هجرية.

ب - الحسن والحسين.

○ وثى الزاوية:

- أ -

هُرَعِ النَّاسُ يَأْتُونَ بَيْتَ عَلِيٍّ .

- «إذهبوا، ليس هذا إليكم لأن
أكون الخليفة إلا بحق»

أهل بذر هم الأجدرون بقول
الصواب، ولي ثقة فيهم

سُتِي سُنَّةُ النَّبِيِّ وَلَكِنْ

بَعْدَهُ سَيَكُونُ اجْتِهَادِي

مَسْلُكِي وَطَرِيقِي

والخلافه شوزى

أو تكون اغتصاباً ومُلكاً.

- ب -

هُرَعِ النَّاسُ يَأْتُونَ بَيْتَ عَلِيٍّ

أهل بذر على رأسهم:

- «أنت أولى بها.»

- ت -

أَثْرِي، يَتَحَوَّلُ جِسْمِي؟

أَشِيرَاعٌ هُوَ الْآنَ - مَا جِئْتُ عَوَاصِفُ أَتْرَاجِهِ
وَرَمْتُهُ إِلَى مَرْقَأٍ غَيْهَبِي؟

أَنَائِي - وَالتَّمْرُوقُ إِيقَاعُهُ؟

أَهْوَى الْآنَ يَرْقَى وَالْفَجِيعَةُ مَعْرَاجُهُ؟

أَهْوَى الْآنَ يُوِي وَالْمَرَارَاتُ أَذْرَاجُهُ؟

أَثْرِي، يَتَحَوَّلُ جِسْمِي؟

نَهْرُ الْحَبِّ فِيهِ يُغَيِّرُ مَجْرَاهُ، وَالسُّفُنُ

الْجَارِيَاتُ جَنَحْنَ - تُرَاهُ، تَحَوَّلَ جِسْمِي؟

* يُؤَثِّرُ أَنْ يَبْقَى طِفْلاً

يَرْضَعُ، لَكِنْ

مِنْ تَذِي الْأَشْيَاءِ .

أ - حوار بين علي والذين أتوا
ليبايعوه، بعد مقتل عثمان،
سنة ٣٥ هجرية.

- ث -

في ذاكرتي أصوات:
«ألتاس جميعاً أكلوا لما جاؤوا
ألهةً عبدوها.»

أصوات: «نحن جياع لكن لا نحيا
لا نعرف أن نحيا إلا كي نأكلنا
من جوعنا.»

في ذاكرتي رخالون رعايا
كشف لا يزوى
يترشف سير الذهب
من آلاء الشعز.

* ثمة رغب
يستعمر فينا
قلق الكلمات.

زاعماً أن للأرض جسماً تشق
السماة بسكينها صدره، كل
يوم،

- أ -

- ما وراءك؟ قل لي

- قتل عثمان.

- ماذا؟

- قضى الأمر،

- من بايعوا؟

- علياً.

- ب -

- لن يتم له الأمر، هيهات،

- لكن أنت أول من قال عن
نقتل:

«اقتلوا نعتلاً إنه كافر.»

- تاب. قالوا وقلت

وأخز ما قلت أفضل

من قولى الأول.»

أ، ب - حوار بين عائشة
وبعض أخوالها. ونعتل هو
لقب عثمان. سنة ٣٦
هجريّة.

- خ -

هُوَ كُرْسِيَّهٖ، -

هل يُفَكِّرُ؟ هل يتذكَّرُ؟ لا زائرُ

اليومِ يُشْبِهُ مَنْ زَارَهُ أَمْسِ، والبيت

يُنْسَى

أُتْرَاهُ يَحَاوِرُ زُورَاهُ وَيَجِسُّ تَقَاطِيعَهُمْ بِأَصَابِعِ

لا يعرفُ الظَّنُّ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي؟

أه، كرسِيَّهٖ مُتَعَبٌ،

تَعَبٌ فِي يَدَيْهِ، وَفِي قَدَمَيْهِ، وَفِي الصَّدْرِ

وَالْقَلْبِ - ثَوْبٌ مِنْ غَبَارِ

يُغَطِّيهِ، يَحْنُو عَلَيْهِ

أَيُّهَا الثُّوبُ، شَكَرًا.

○ أجهش الزاوية:

- أ -

أه من ذلك اليوم - طال

وأصبح تاريخنا كله.

- ب -

جملٌ جامعٌ يتصدَّرُ حربَ قُرَيْشٍ

يألحزبُ الجملِ

قُطعت أرجلُ ورؤوسُ

وأيد:

نظراً أفسدته

رياحُ العملِ.

- ج -

وثنى الزاوية:

عرشٌ يتنقلُ، والقتلُ

عرباتٌ حيناً

وجسورٌ، حيناً.

أ - يوم الجمل، الذي يُسَمَّى
أيضاً حرب الجمل، سنة ٣٦
هجريّة.

* أتراها الحياةُ نَبَاتٌ
يَتَفَتَّحُ فِي تُرْبَةِ الْجِرَاحِ؟

- ذ -

تَرْفُضُ الكَوْفَةَ أَنْ تُعْطِيَ لِلْعَاشِقِ

إِلَّا لَفْظَهَا

شَفَتَاها مَوْعِدًا

وَيَدَاها مَوْعِدًا آخَرَ، - لَفْظًا

أَتَرَاهُ صَمْتُ رُغْبٍ، أَمْ قِنَاعٍ؟

تَسْكُنُ الكَوْفَةَ - لَا تُجْرَوُ، لَا تَسْطِيعُ أَنْ

تَسْكُنَ إِلَّا تَيْهَهَا.

○ وثنى الراوي:

- أ -

مَدَّت المَانَةَ:

«قَطَعْتُ أَرْجَلَ رِوْزَسَ وَأَيْدِي»

إِنهَا حَرْبٌ صِفَتَيْنِ:

«يُدْفَنُ خَمْسُونَ فِي حُفْرَةٍ
وَاحِدَةٍ.»

- ب -

بَقَرُوا بَطْنَهَا، وَهِيَ حَبْلِي دَبْحُوا
رُؤُوسَهَا.

- ج -

رَأْسُ عَمَّارٍ يُحْتَرُّ

وَالرُّنْمَلُ يُلْهَوُ

بِحُجَّتِهِ الهَايِدَةِ.

- د -

وثنى الراوي:

لَا يَزِمُ لِدْفَنِ المَوْتَى،

كُلُّ الأَيَّامِ قَبُورًا.

أ - ستة ٣٧ مجرية

ب - الضحائي عبد الله بن
خياب، وزوجته.

ج - عمار بن ياسر.

• أَلزَمَالُ كِتَابُ الصَّحَارَى
وَالرِّيَاخُ تَأْوِيلُهُ.

- ض -

فُقراءَ، حَيارى
بعد أن تتغطى الحقولُ بأهانتهم
كي تنامَ، يعودون: أيامهم
وَطَنَ آخَرَ للعذاب
أَلْغَرُوبُ رَفِيقٌ لهم
والكَابَةُ عَكَازُهُم
كنتُ في ظِلِّهم
شامةً فوق حَدِّ الترابِ.

* شَهَقَةٌ، شَهَقَةٌ
تتصاعدُ أيامُهُم
في معارجِ أيامِهِ.

○ سأل الزاوي:

- هل تعرف كيف يُصَبُّ حساءُ
في جمجمةٍ؟
وروى: قالوا -
«هاتوا جَوْفَ حمارٍ
دَكُوا إِيْنَ أبي بَكْرٍ فيه وُلِّيْحَرَقُ،
لكن عَزَوْهُ - قَمِيصُ عَمَدَ غالٍ
وَحُدُوا لمعاويةَ رأسَهُ.»
وثى الزاويه:
رقصت نائلةٌ
بالقميصِ، ابتهاجاً
وَسَقَّتْ بالدمِ المتخثِرِ فيه،
أسارىها الذَّابِلَةَ.

الإشارة إلى محمد بن أبي بكر،
وكيفية قتله، سنة ٣٨
هجريّة.

نائلة هي زوجة عثمان.

○ وثى الزاوي:

- أ -

جِيثْ عَائِشَةُ بِخُرُوفِ مَشْرُيْ
حملته أختُ القتالِ قالت: «كان
أخوكَ عندَ مثلِ خُرُوفِ
يُشْرِي».

- ب -

أَسْمَاءُ ارْتَعَبَتْ

لم تتكلم

عَضَّتْ شَفَتَيْهَا

كانَ دَمٌ

يَتَدَفَّقُ مِنْ ثَدْيَيْهَا.

وثى الزاويه:

عَجِباً لِلذَّمَاءِ الَّتِي لَا تَجِفُّ
(وكزرتُ هذا على المتنبي،
وكانَ يُرَدِّد: مَا زِلْتَ وَطْفُلًا)
عَجِباً لِلزَّمَانِ الَّذِي يَتَجَرَّعُ
أَمْوَاجَ هَذِي الذَّمَاءِ، وَلَا يَرِي
فِي جَوْفِهِ،

كَيْفَ لَا يَتَفَتَّتُ وَجْهُ الثَّهَّازِ

فِي أُنَيْنِ الْعَبَّازِ.

- ظ -

سَيْفٌ يَدْخُلُ فِي بَيْعَةِ رُمُحٍ

رُمُحٌ مُخْلُوعٌ،

كُلُّ يَهْدِي

وَأَنَا تِيَّةٌ أَمْشِي فِي وَنَحْوِي

أَتَجَلَّى حِينًا، وَرَقَاءً، أَخْفَى،

حِينًا، جَذْرًا

كِي أَسْتَفْصِي هَذَا الْمَثْقَى.

* يَلْبَسُ ثَوْبَ اللَّيْلِ، وَلَكِنْ

لَا يَسْكُنُ إِلَّا فِي فَجْرِ.

ب - أسماء هي أخت محمد
بن أبي بكر.

- غ -

أنتمي للشرز

أنتمي للحصاد، احتفاءً

بالحقول، لسقائها

قلقاً، ناحلاً

أنتمي للرياح، توحّد في عصفها

بين وجه التراب، ووجه الفضاء،

ووجه البشر.

○ وثى الزاوي:

جاؤوا، ائتمروا، قالوا:

«نقتلهم، ونريح الناس

من أشراك الخناس الوشواس.»

وثى الزاوي:

صرت أقول لرأسي

وأنا أرنو لرؤوس أخرى:

صمتك لا يعجبني،

ويرد: كلامك لا يعجبني.

وثى الزاوي:

هوذا أولم الليل، ما يجبىء

الليل، للمنتبي

وأقرن أوجاع دهري بأوجاعه

لا أخاف. لماذا أخاف؟

وأنا ناضج مثل غيري،

والقطاف المطاف، وترتيلة

الطواف.

* لا يكفي، كي تتبني
أن تهدم بيتك، فالأنقاض لكي
تستأصل أيضاً، ولكي تمحي:
المخو بداية سيرك نحوي.

المؤتمرون: عبد الرحمن بن
ملجم المرادي، البزك
التميمي، عمرو التميمي.
والمقصودون بالقتل: علي
ومعاوية وعمرو بن العاص.
سنة ٣٩ هجرية.

هَوَامِش



أَنْفِيًّا - أَخْرُجْ مِنْ هَذِهِ الذَّاكِرَةِ
مِنْ مَدَارَاتِهَا، وَدَوَالِيهَا الذَّاكِرَةِ،
أَنْفِيًّا أَسْلَافِي الْآخِرِينَ
الَّذِينَ يَضِيثُونَ أَعْلَى وَأَبْعَدَ
مِنْ ظُلْمَةِ الْقَتْلِ، مِنْ حَمَاةِ
الْقَاتِلِينَ .

- I -

حوار

- «كَيْفَ تَخَيَّرَ إِبْلِيسَ

زَوْجَتَهُ؟

أَلَهَا إِسْمٌ؟»

- «ذَٰكَ نِكَاحٌ لَمْ نَشْهَدْهُ.»

- II -

حوار

- «فِي وَجْهِكَ شَيْءٌ مِّنْ إِبْلِيسَ»،

- «صَدَقْتَ، كَبِيرُ الْإِنْسِ شَبِيهٌ

بِكَبِيرِ الْجِنِّ.»

- III -

حوار

- «هل تعرفُ وَجَهَ الْعَيْبِ؟»

- «كَلَّا،

لا أعرفُ مَنْ لا يَعْرِفُنِي.»

- «السَّاعَةُ آتِيَةٌ، لا رَيْبَ.»

- IV -

تميم بن مقبل

تَعْجِزُ الْأَبْدِيَّةُ أَنْ تُطْفِئَ النَّارَ،

أَوْ أَنْ تُحَرِّكَ هَذَا الْحَجَرَ

مَثَلَمَا قُلْتَ، مِنْ دُونِ قَوْلٍ - وَلَكِنْ

أَلْهَذَا تَمْتَيْتَ: «يَا لَيْتَ أَنِّي حَجَرٌ»،

مَازِجاً بَيْنَ لَيْلِ التَّرْحَلِ وَالْمَوْتِ

وَالأَغْنِيهِ؟

مَا الَّذِي يَتَغَيَّرُ فِي هَذِهِ الْأَمْنِيَّةِ

مَا الَّذِي يَتَغَيَّرُ غَيْرُ اتِّجَاهِ السَّفَرِ؟

قيل: كان بعد إسلامه، يحزن إلى الجاهلية، ويمتدحها، ويبكي أهلها، ويشعر بغربة في الإسلام. يقول في إحدى قصائده: «ليت الفتى حَجَرٌ».

- V -

ليبد

سأقولُ - أنا الزاوية
مِثْلَمَا قَالَ لِي، دُونَ قَوْلِ،
تلك أيامنا الماضية
تترصدُ أعناقَ أيامنا الآتية.
والمراراتُ، فتآكهُ، والرُّجومُ
لَبَنٌ دافِقٌ مِن نُديِّ النُّجومِ.

- VI -

الشَّنْفَرَى

من أعالي الكلام

نَزَلَ الشَّنْفَرَى

يَتَقَرَّى الفضاء، يُطِيب وَجْهَ الثَّرَى

ويُهَيِّئُ للجائعينِ الوليمةَ - أحلامهم

وارفاتٌ، تُغَطِّي مراراتهم،

وتُغَطِّي الخيامَ.

- VII -

عُروة بن الورد

لا كَابَةٌ هذي الغيوم، ولا بَهْجَةٌ
الأمكنة

تُلْقِحَانِ دُرُوبِي

جَسَدِي مُوَعِلٌ

في مَحِيطِ اجْتِرَاحَاتِيهِ، -

أَتَلَمَّسُ فِي الرَّمْلِ مَائِي

وَأَشْعَلُ نَارَ التَّصْغُلِكِ فِي

غَابَةِ الْأَزْمِنَةِ.

- VIII -

طَرْفَة

طَرْفَة

وَرْدَةٌ حَزْنٍ تَتَنَاهَبُهَا

رِيحٌ وَصَحَارَى.

يَا طَرْفَة

«أُفْرِدْتِ»، وَلَكِنْ كُلُّ مَكَانٍ قَيْدٌ.

يَا طَرْفَة

زَمَلٌ زَمَلٌ تِلْكَ الصَّدْفَة.

قبيل قُطِعت بداهة ورجلاه
وَدُفِنَ حياً. نشأ يتيماً وعاش
حياة نهور. يُلقب بـ «الغلام
القتيل»، فقد مات، وهو في
السادسة والعشرين من عمره.

- IX -

امرؤ القيس

لامرؤ القيس * ظلُّ

لم يزل يتشرَّد في حَوْمَلِ

ويُقَابِسُ بغدادَ حيناً وحيناً دِمَشْقاً

عشقته الرِّياحُ - كأن لها وجههُ.

يا امرؤ القيس، كيف تدنَّرت ليلَ الكلام،
وكيف تنورته

ضائِعاً بين خَيْطِ الهباءِ وثُوبِ الأبد؟

كيف هيأتَ هذا المهاد: عزلت

السَّماءَ، وأغلقت أبوابها، وتنبأت:

لا جَبْرَ غيرِ الجَسَدِ.

ألهدا فتحتَ الفضاء

نشوةً وهياماً وشعراً؟

ألهدا صِرتَ ميثاقنا - الطَّرِيقَ إلى ما

يُضَاءُ، وما لا يُضَاءُ؟

* لم يقل شعرة رغبة

لم يقل رهبة،

إنه ذو القروح، امرؤ القيس،
ضليلنا الثائر

إنه الشاعرُ الشاعرُ.

(خلاصة رأي قديم عن امرؤ
القيس، ينسب إلى أكثر من
شخص، بينهم الإمام علي).

- X -

أبو عجبن الثقفي

«سألْتِي سَلْمَى: لِمَاذَا حُسِبْتُ؟

لَمْ يَكُنْ مَحْبَسِي لِجِرَامِ أَكَلْتُ

كُنْتُ أَشْرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

وَأَنَا شَاعِرٌ عِنْدَمَا أَشْرَبُ الْخَمْرَ، تَأْخُذْنِي
الْأَرِيحِيَّةُ

فَأَكْتُبُ عَنْهَا - لِهَذَا حُسِبْتُ،

وَلَأَنِّي قُلْتُ:

«إِذَا مِتُّ، فَادْفِنِي إِلَى جَنْبِ كَرَمَةِ

ثُرْوَى عِظَامِي، بَعْدَ مَوْتِي، عِرْوَقُهَا

وَلَا تَدْفِنْنِي بِالْفَلَاةِ، فَإِنِّي

أَخَافُ، إِذَا مَا مِتُّ، أَنْ لَا أَذُوقَهَا.»

هي سلمى بنت خفصة،
زوجة سعد بن أبي وقاص
وهو الذي حبسه.

II

لَا تَلْقَ كَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مَكْتُوبٍ

المتنبي

- أ -

لِلسَّمَاءِ وَجْهَتْ وَجْهِي، فِي
الْبَادِيَةِ
بَيْنَ أَحْضَانِ سُرٍّ بَعِيدٍ،
سَأَصْمْتُ صَمْتَ الْجُدُورِ: يَكُونُ
لِي الضُّوءُ بَيْتًا
وَتَكُونُ الْبَدَاوَةُ أَبْعَادَهُ الْحَانِيَةَ.

* تَبْكِي التَّجْمَةَ، -
دَمَعُ التَّجْمَةِ لَيْلٌ.

○ هَمْسُ الزَّوَايَةِ
لِلزَّوَاةِ، لِأَقْلَامِهِ:
هُوَذَا الْمُنْتَبِي -
وَطَرْفٌ آخَرَ يَتَحَوَّلُ
يَخْرُجُ مِنْ أَرْضِهِ،
وَمِنْ نَفْسِهِ.
وَكَأَنِّي أَرَى حَوْلَهُ،
حَيْثَمَا سَارَ، نَخْلًا
يَتَفَوَّسُ، يَضَعُ
مِنْ جَذَعِهِ
غَارَ وَخِي وَشَيْغَرٍ.

- ب -

في مَدْرَسَةٍ
لِقَطَا البِيَدَاءِ، قرأتُ دروِي
أَفَاقَ جِرَاحٍ وَمَنَاجِمَ شِعْرِ.
ما أَعْمَقَ أَنْ تَتَحَدَّثَ مَعِ جَنِّي
أَوْ مَعِ نَجْمِ،
بين خِيَامِ لَبْنِي الصَّابِي
حيث يَكُونُ الْإِنْسَانُ الْمَغْنَى.

* يَخْرُجُ الْقَمَرُ، الْيَوْمَ، مِنْ بَيْتِهِ
وَتَجِيءُ إِلَى حِينَا
حَامِلًا وَزِدَةً،
لَا بِسَأْ ثَوْبَ طِفْلِ.

○ أخذ الزاوية

يَتَأَمَّلُ، يُفْحَصُ أَوْرَاقَهُ،
ويقولُ - الكلامُ

الذي دارَ بين القبائلِ،

بين الأيسنةِ، تحت السَّقِيفَةِ،
زَمَلْ

يَسَاقُطُ مِنْ فَوْقِنَا

أَثَقَلَ الْإِزْتِ بِالْقَتْلِ

وَاجْتَنَّتْ جُرْثُومَةً

الرَّجَاءِ -

هُوَذَا، الْآنَ،

مُسْتَوْدَعٌ لِلدَّمَاءِ.

نزل المتنبي حين رحل إلى
بادية السماوة، في بني
الصابي، وهم همدانيون.

○ وَصَفَ الرَّأوُونَ

الرَّأوِي،

قالوا عنه:

حين رأى سَيَرَ

التَّارِيخِ، وَوَفَّعَ خُطَاهُ،

ذَبَّلَ الْمَعْنَى فِي

عَيْنَيْهِ.

- ج -

كَانَ زَيْدٌ يَقُولُ: الْغَيْبُ

تَنْزَلُ

فِي نَاطِرِي .

مِثْلَهُ، أَشْعَرُ الْآنَ، أِنَّ النُّجُومَ

تَحَلُّ ضَفَائِرَهَا

فِي سَرِيرِي،

تَنَامُ عَلَيَّ سَاعِدِي .

أبو الحسن محمد الزُّيْدِي
(توفي ٣٩٠ هـ .)

* كَلَّ شَيْءٌ أَشَدَّ وَضُوحاً،

وَأَكْثَرُ قُرْباً إِلَيْنَا

مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي نَضْطَفِيهَا

لِكِنِّي نَتَحَدَّثُ عَنْهُ .

كيف أقول: الآنَ رَماني
قَمراً أَعشى بِمَلاكِ شَنِخِ؟
هُودًا رَفرفَ طَيرُ
وَبَنو الصَّابِ يَزجَلونَ رُؤاهُم
لِرِفارِفِ تأتي،
وأنا لا أَعرفُ
أين يُرَفرفُ رأسي.
حسنًا، هذا حَظي
وسأذهبُ كي أَمضيَ هذا اللَّيلَ الأَعشى
في حانوتِ القَمَرِ الأَعشى.

* وَغَدُ -

يَجلسُ قُربَ الخِيمَةِ، بابُ
يَتَساءَل: مَن سَيَجِيءُ الآنَ؟ خِيامُ
تَتَلأَلُ حُبابًا.

○ وثى الزاؤون:

رأينا الراوي يسأل: «كيف
أنت،

وأين سامضي؟»

«ومضى يهذي:

«حسنًا،

سأتابع سيرتي - لكن

أهناك طريق؟»

كُوْحُهَا طَيَّةٌ
فِي عِبَاءَةِ هَذَا
الْفِضَاءِ الَّذِي زَيَّنَتْ نَفْسَهَا
بِتَهَاوِيلِهِ،
كَلَّ مَا حَوْلَهُ يَتَنَهَّدُ شَوْقًا لَهُ:
كُوْحُهَا جِسْمَهَا.

قَطَامُ بِنْتُ الْأَصْبَعِ التَّمِيمِي،
الَّتِي قِيلَ إِنَّهَا حَرَّضَتْ عَبْدَ
الرَّحْمَنِ بْنِ مَلْجَمٍ عَلَى قَتْلِ
الْإِمَامِ عَلِيِّ، سَنَةَ ٤٠ هِجْرِيَّةً،
وَالْحَوَارِ هُوَ بَيْنَهُمَا.

* نَجْمَةٌ فِي رِدَائِ طَوِيلٍ
تَتَنَزَّهُ بَيْنَ التَّخْيَلِ.

○ «تهربُ الذَّاكِرُهُ»

مِنْ دِيَاجِيرِ تَارِيخِهَا،

تَسْقُطُ الذَّاكِرَةُ

فِي الشَّبَاكِ الَّتِي نَصَبْتُهَا

لِغَةِ مَآكِرِهِ»

هَكَذَا كَانَ يَسْتَبْصِرُ

الرَّأْيَ

وَهُوَ يَرَوِي لَنَا -

خَرَجَ الْفَالُ مِنْ حَوْضِهَا

أَلْبَسَتْهُ نِيَابَ الْخُرُوجِ إِلَى قَصْدِهَا

وَالْمُرَادِيُّ يُصْغِي وَيَسْتَعْجِلُ

الرَّحِيلُ:

- إِمْفُضْ، صَدْرِي سَرِيرَ

وَحْبِي هَدِيلِ.

- فِي جَبِينِي، فِي قَبْضَتِي

خُطُوطِ

يَطْلُعُ الْفَجْرُ مِنْهَا:

أَنْتِ شَمْسِي، قَطَامُ

وَأَنَا قَاتِلُ الْإِمَامِ.

- و -

خَرَجَتْ تَسْتَقِي الْمَاءَ - ذِكْرَى الطَّفُولَةِ فِيهِ:
لا رَقِيبٌ، طَيُوفٌ تُسَافِرُ

في جسد الماء، ترقصُ في وَجْهِهِ والنَّخِيلُ
هَوَى فِي خُطَاها التَّدْيِيَّةِ،

في خَضْرَها الحَيِّيِّ -

ما يَكُونُ، وماذا سَيَحْدُثُ إنْ

رَأَتْ القِرْمَطِيَّ؟

○ قال الزاوي:

قال عليُّ عن قاتلِهِ، وَهُوَ
يَمُوتُ: «أَسِيرٌ

لا تُؤدُّهُ

ليَكُنْ مَثَواً كَرِماً

إنْ مُتْ، يَمُوتُ كَموتِي،

لا عُدَوانَ عَلَيهِ.

وَإِذا عَشْتُ نَظَرْتُ:

أَقْتُلُ، أم أَعْفُو؟».

سنة ٤٠ هجرية.

* لا يَزُونِي ماءُ العَيبِ،
وماءُ العالِمِ رَمْلٌ.

- ز -

قالت: «ستكون الشمس لنا سقفاً

ويكون ردائي ظللاً

هل تأتي؟»

سارت. قلتُ لنفسي: هذي الأعرابية

لحظة كشف، والوقت مُضيء.

سيرتُ، قفوتُ خطاها.

.....

ما أغربها

ما أبهاها - تلك الأعشاب البرية.

* سرّة الفجر تُسلم ريجانها
لنسيم اللقاء.

○ أخبر الزاوية:

غبطة، سجدت عائشه

حين قالوا:

«قتلنا علياً».

وثى الزاوية، -

قال: أعطيت للناس

ما قاله الزواة، ولم

أعطى سيري،

لن أحدث عنه سوى

المتني، وأشعر أني

هنا، الآن، أصغي

إليه،

وأحاول إقناعه

أن سيري وبأل عليته.

- ح -

سَأَكْرَرُ هَذَا الرَّهَانَ:

يَتَقَدَّمُ نَحْوِي

زَمَنٌ ضِدًّا صَحْرَاءِ هَذَا الْمَكَانِ،

وَصَحْرَاءِ هَذَا الزَّمَانِ.

بِاسْمِهِ، سَوْفَ أُعْطِي لِنَفْسِي

سِخْرَ الدُّخُولِ،

وَحَقَّ الدُّخُولِ

إِلَى كُلِّ شَيْءٍ.

* وَزِدَّةٌ، عِطْرُهَا بَيْتُهَا

وَالهَوَاءُ سَرِيرٌ لَهَا.

○ قال الزاوي:

قال معاوية:

«إِنَّ اللَّهَ، بِحُسْنِ صَنِيعِ

وَيَلْطَفِ مِنْهُ،

أَرْسَلَ مَنْ يَغْتَالُ عَلَيَّا.»

وثنى الزاوي:

الآية قَبْرٌ

وَالسَّيْفُ مَلَاكٌ،

لِغَةِ مِغْرَاجٍ

بَيْنَ سِوْفٍ تَعْلُو

وَرُؤُوسِ ثَهْوِي.

○ قال الزاوي :

قالوا: سَنَ معاويةَ

فَقَتَلَ الطِّفْلَ وَقَتَلَ المَرأَةَ، أَوْصَى
بُنْسَرًا:

«أَقْتُلْ أَصْحَابَ عَلِيٍّ شَبِيحًا، شُبَّانًا
أَطْفَالًا وَنِسَاءً».

وَتَنَى الزَّاوِي:

طِفْلًا ابْنَ العَبَّاسِ

اسْتَرًّا فِي بَيْتِ

دُبْحَا بِيَدَيْ بُنْسِرٍ -

كَانَتْ قَدْ أَخْفَتْ هَذِينَ

الطِّفْلِينَ امْرَأَةً،

قَتَلُوا مِئَةً مِنْ أَهْلِ المَرأَةِ كَيْ
يَنْتَقِمُوا مِنْهَا.

- ط -

قَمَرٌ فِي شَكْلِ الكَوْفَةِ

فَرَشَ اللَّيْلَ بِسَاطًا

وَتَلَبَّسَ بِالإِسْرَاءِ الصَّاعِدِ

فِي أَنْحَائِي، -

زَمَنِي أَخْلَامَ مَعْطُوفَةٍ

بِسَوَادِ الكَوْفَةِ.

* لَا تَسَلْ، فَالَسَّوَادُ المُتَوَجِّحُ

بِالكَوْفَةِ، السُّؤَالُ

حَوْلَهُ الشَّعْرُ يَجْتَاحُ، يَعْلُو

وَيَقُولُ الَّذِي لَا يُقَالُ.

بُنْسَرِ بْنِ أَزْطَاةَ قَائِدِ جَيْشِ
مَعَاوِيَةَ.

عَبِيدُ اللَّهِ بْنِ العَبَّاسِ فِي
اليَمَنِ.

- ي -

جسدي يتعدّد:

هذا يلوح، هذا يبرج، وآخر

في سكرة

والصراط، كما يتراءى،

هوة - لا قراز.

أترى، يتعدّد بيني وبين السماء اللقاء؟

ولماذا، إذن،

لم يجرى أي لوح للبرج وللوحي، هذا
المساء؟

○ نَقْن - أي ضوء

يُنور أخبار ما قد

مضى؟

يسأل الزاوية

وهو يروي لنا:

- من أبوك؟

- يجيبك هذا (مشيراً

إلى سيفه)

هات، يا حرسى، عُنُقهُ.

السائل مجهول والمسؤول هو
زياد بن أبيه.

* أَتُفَكِّرُ؟ هذي وَسُوسَةٌ

إِسْتَعْفِزْ، وَاصْرُخْ:

يا أَهْلَ الْإِيمَانِ، أَحْمُونِي

دَاوُونِي مِنْ فِكْرِي.

- ك -

ضَيْدٌ مَا نَبَذَتْهُ السَّمَاءُ - مَا يَتَكَوَّنُ
مِنْ رَأْسِ رُمْحٍ وَمِنْ حَدِّ سَيْفٍ، وَمِنْ
جُتَّةٍ تَتَلَسَّلُ، وَرَأْسِ يَحْزُ،
وَضَيْدٌ الْمَدَوْنُ بِاسْمِ الْخَلِيفَةِ فِي
كَاغِدٍ لَيْسَ إِلَّا دَمًا.
ضَيْدُهُ، ضَيْدٌ تَلِكِ الْمَعَاقِلِ،
تَلِكِ الْبُرُوجِ
نَخْفِي، نَتَهَجِي
فِي السَّمَاءِ سِرَّ الْخُرُوجِ، الْخُرُوجِ.

الحسن بن علي

○ قال الزاوي:

حاول أن يُغْتَالَ الحَسَنَ الجِرَاحُ
الأسدي، ولكن أَخْفَقَ. جاؤوا
بالجراح، وَدَقُّوا عُنُقَهُ -
قَطَعُوهُ عُضْوًا عُضْوًا.

* أَهْنَالِكَ مَاءَ يَزُوي
ظَمًا الْمَاءِ؟

- ل -

أَهْلُ الْكُوفَةِ - كُلُّ

جَسَدٌ أَنْقَاضٌ

تَتَنَاسَلُ فِي أَنْقَاضٍ .

أَهْلُ الْكُوفَةِ

وُلِدُوا سَيْفًا يَتَقَلَّدُ رَأْسًا

رَأْسًا يَتَقَلَّدُ سَيْفًا .

أَهْلُ الْكُوفَةِ - كُلُّ

يَحْمِلُ فِئَسَهُ

كِي يَقْتَلُ نَفْسَهُ .

○ وَثَى الرَّاوي عنه :

- يَا لِلْعَازِ

- خَيْرٌ مِنْ هَذِي النَّازِ

أَكْرَهُ أَنْ أَقْتَلَكُمْ

مِنْ أَجْلِ الْمَلِكِ ،

وَأَكْرَهُ أَنْ أَمْلِكَ ، حَزْبًا .

وَثَى الرَّاوي :

زَمَنْ يَنْطِقُ ، لَكِنْ

لَا يَنْطِقُ إِلَّا

مِنْ شَفَتَيْ سَيْفٍ .

حوار بين الحسن بن علي
وأصحابه، بعد أن تنازل عن
الخلافة لمعاوية، سنة 41
هجريّة .

* بِيَدِي قَاتِلِ ،

وَعَلَى حَدِّ سَيْفٍ ،

كَتَبَ الْوَقْتُ آيَاتِهِ .

- ٢ -

أنت العائش في إضطَبَلِ
لخليفة هذا العالم،

تتمسح بالجدران وبالعتبات، وتحنى رأسك
خوفاً

أو تحني طمعاً

أو تحني ذلاً،

هل تشعر، حقاً

أنتك جزء من طينة آدم؟

○ أخير الزاوية:

- تستقيم بنا، أو نقوم كل
اعوجاج

- بماذا؟

- هذا الخشب

- أنتقيم، نعالوا

لئطنيء ذاك اللهب.

وتنى الزاوية:

زجل لا أنوثة فيه

نهر دون مايم.

حوار بين معاوية وأصحابه،
سنة ٤٢ هجرية.

* رَجِمَ المَعْصِيَةَ

تتموَّج، تدخل في عيدها، -
هَيَّنُوا الأَغْنِيَةَ.

- ن -

قلْتُ لِلَّيْلِ - مَحْمُومًا بَيْنَ خِيَامِ الْمَعْنَى:
هَلْ أَكْتُبُ شِعْرًا أَضْهَرُ فِيهِ
وَجْهَ الْغَيْبِ وَأَضْهَرُ فِيهِ
قَلِقَ الْأَرْضِ - خُطَاهُ، طَيِّوْفَهُ
أَمْ أَكْتُبُ شِعْرًا لَا يَقْرَؤُهُ إِلَّا
أَهْلُ اللَّفْظِ وَالْإِ
جْدْرَانُ الْكُوفَةِ؟

أَضْغَى لَيْلِي - لَمْ يَتَكَلَّمْ.

○ أَخْبِرِ الرَّأْيِيَّةَ:

بِاسْمِ عَمْرَابِهِ

بِاسْمِ مِعْرَاجِهِ

وَالْعُرُوجَ إِلَى خِذْرِهِ الْبَهِيِّ،

قَتَلَ الْبَاهِلِيَّ عِبَادَةَ،

وَهُوَ يُصَلِّي.

صَلِبَ الْبَاهِلِيَّ.

الباهلي هو الخارجي يزيد بن
مالك، وعبادة الليثي من
الصحابة، سنة ٤٢ هجرية.

* عَطَشٌ لَا يَشْفُ، وَلَا يُسْتَشْفُ، -
سَأْتَرُكَ مَائِي
يَتَرَفَّرُ فِي حَيْرَةٍ.

- س -

أَيْهَذَا الْخَفِيِّ الْأَلْفِ
أَيْهَذَا الشَّحُوبِ الْمَغْلُغِلُ فِي طَبَقَاتِ الْعَسَقِ،
أَوْ، يَا صُورِي

السَّمَاءُ تَزْرِكُشُ سِزْوَالَهَا

بِتَخَارِيمِ عَيْمِ وَرِيحِ

وَالصَّبَاحُ يُرْتَلُ أَنْشُودَةٌ لِلطَّيُورِ الَّتِي هَاجَرَتْ -

صُورِي، صُورِي،

بُرْجُ ضَوْءِ نَحِيلِ

يَتَرَنِّحُ، وَاللَّيْلُ مَعْرَاجُهُ -

صُورِي، صُورِي.

○ ليس من عادة الراوي

أن يقصّ تباريحهُ، الزاوية

ورقاً ناطقاً - تتم

الزاوية،

رثى راوياً:

- قُلْ إِنَّهُ الْخَلِيقَةُ

وإنه للمؤمنين أمرٌ،

أميرٌ،

- مقالة نكراء لن أقولها

- خذوه واقتلوه.

حوار بين الضيفة بن شعبة،
عامل معاوية على الكوفة،
وكوفي هو معين بن عبد الله
المحاربي، سنة ٤٢ هجرية.

* عندما تتوهج فينا الحقيقة،
لا نتكلم إلا مجازاً.

- ع -

أَلْخِيَامُ الْخِيَامِ

غَابَةٌ تَتَقَلَّبُ أَغْصَانُهَا فِي رِيَاكِ الْكَلَامِ

وَأَنَا أَتَقَلَّبُ فِي ذَاتِ نَفْسِي، أَرْدُدُ:

كَلًّا، لَا أَحِبُّ الضِّيَاءَ

لَا لِشَيْءٍ سِوَى أَنَّهُ كَاشِفٌ.

هَكَذَا، كَيْ أُطِيلَ الطَّرِيقَ، السُّؤَالَ وَأَسْتَنْفِدَ

الْأَفَاصِي

كَمْ أَرْدُدُ فِي ذَاتِ نَفْسِي:

أُحِبُّ الْحَفَاءَ.

○ قال الزاوي،

يَتَمَرَأُ فِي أَوْرَاقٍ:

مَاذَا تَقْرَأُ شَمْسُ الْيَوْمِ،

وَمَاذَا تَحْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهَا؟

هَلْ كَانَ الضُّوْءُ غَرْبِيًّا؟

هَلْ كَانَ جِرَاحًا فِي

رِئْتَيْهَا؟

وثى الزاوي:

قال معاوية لزياد:

«سأكون أنا للبين

كُنْ لِلشَّدَةِ أَنْتَ، فَهَذَا

خَيْرٌ لِلْمَلِكِ،

و«خَيْرٌ لِلْمَمْلُوكِينَ».

زياد بن أبيه، سنة ٤٥ هجرية.

* غَطَّتِ الشَّمْسُ وَجْهِي،
وَوَجَّهَ الْمَكَانَ بِمَنْدِيلِهَا.

- ف -

كُلُّ شَيْءٍ هُنَا، فِي السَّمَاءِ، فِي أَرْضِنَا
لَفْظَةٌ خَائِفَةٌ -

لَا غِذَاءَ لَهَا، لَا كِسَاءَ

غَيْرُ مَا يَتَقَطَّرُ مِنْ دَمْعِهَا

مِنْ تَبَارِيحِهَا،

وَجِرَاحَاتِهَا التَّازِفَةُ.

○ وَتَنَى الزَّائِفَةُ:

زَمَنٌ يَخْرُ

لِرُؤُوسِ عَائِمَةٍ

فِي سُفُنٍ

مِنْ الْفَائِظِ.

* أَتْرَاهَا الْغَيُومُ: خِيَامٌ مِنَ الدَّمْعِ،
أَمْ سُفُنٌ مِنَ دَخَانٍ؟

○ قال الزاوي :

قال معاوية

لابن أثال :

«أقتل عبد الرحمن.»

جاء إليه وسقاه شراباً مسموماً.

بعد قليل

قُتل ابن أثال.

وثى الزاوي :

الزُّورسُ السَّلامُ،

والعَرشُ يعلو عليها.

- ص -

صَوْتُ يعلو فِي وَيَسْأَلُ :

مَنْ سَيُحَدِّثُ أَهْلَ الكَوْفَةِ،

هذا اليوم

عَمَّا يَزُورِي الحِجْرَ الأَسْوَدَ فِي

أَيَّامِ الحَجِّ، وَفِي

أَيَّامِ الصَّوْمِ؟

صَوْتُ يعلو: مَا أَشَقَى الأَبَاءَ

مَا أَفْجَعَ مِيرَاثَ الأَبْنَاءِ.

صَوْتُ يعلو: أَلْكَوْفَةُ أَرْضٌ

يُفْصَلُنِي عَنْهَا أَنِّي مِنْهَا.

* سَابُوحُ بَطْنِي

لِمَهَبِ رِيَّاحِ سِرِّيَّةِ

كِي تَنْقَلُهُ

لِلأَفَاقِ وَلِلأَصْوَاتِ البَرِّيَّةِ.

ابن أثال هو طبيب معاوية وكان قد عظم في الشام، شأنُ عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ومال إليه أهلها ليخلف معاوية، بدلاً من ابنه يزيد.

وخالد بن عبد الرحمن هو الذي قتل ابن أثال، سنة ٤٦ هجرية.

- ق -

قُلْ - لِماذا تَخافُ من القِرْمَطيِّ؟
أهُوَ السَّيْفُ؟ لَكِنَّ سَيْفَ الخَلِيفَةِ أَمْضَى،
أهُوَ البَطْشُ؟ لَكِنَّ بَطْشَ الخَلِيفَةِ أَذْهَى.
أَمْ تَخافُ مِنَ المَوْتِ؟ أَتُنظَرُ
هَما هُوَ المَوْتُ حَوْلَكَ - في المائِءِ، في
الحَبِيزِ، - حَخيرَ وَأوْلى
أَنْ تَخافَ مِنَ الفَقْرِ، وَأفْرَحَ
لِأَبائِلِ حَمَدانَ قِرْمُطَ في
عَضْفِها البَهيِّ.

حوار بين زياد بن أبيه،
والتاسك الخارجي عروة بن
أديّة، سنة ٤٧ هجرية.

○ قال الزاوي:

- يا هذا، ما رأيك في؟
- أقول بأنك عاصي
ربك، وابن زني
- قم، يا حرسى،
اقتله.

وثى الزاوي - يتساءل
ماذا؟ إنسان يؤمن
لا يعرف ماوى
إلا تحت ثيابه،
لا يعرف غير الله،
ويبقى
مطروداً خارج بابة.

* بيني الناس بيوتاً
من طين، أو من قش
بدعائم أوهام،
وسوى ذلك، ترحال.

- ر -

هَلْ أَلْقَى فِي الكَوْفَةِ رَأْساً

لا يَتَمَدَّدُ فِيهِ قَبْرٌ؟

هَلْ أَلْقَى قَبْراً لا يَتَرَبَّعُ فِيهِ نَبِيٌّ؟

أَلْكَوْفَةُ شَطْرُنَجْ كَوْفِي

تَأْتِي وَتَرَوْحُ عَلَى خَيْطٍ: تَهْبِطُ، تَعْلُو -

دَوْرٌ لا تَعْرِفُ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهُ:

لَعِبَ مَرْثِيٌّ

فِي دَوْرٍ لا مَرْثِيٍّ.

○ قال الزاوي:

قتلى، أنقاض حروب.

ما أكثر ما يأخذني اليأس ولكن

حين أوجه وجهي

شطر الشعر، وأنظر،

أشفي - لا ألمح في

ظلمة ياسي إلا نوراً.

* شِعْرٌ، -

هل يحتاج الشعر إلى قيد

كي يُوغِلَ في تحرير المعنى؟

- ش -

أَسْأَلُ الْكَوْفَةَ الْآنَ: مِنْ أَيْنَ أَبْدَأُ؟

أَيْنَ الطَّرِيقِ؟

أَلْسَمَاوَةٌ صَمْتٌ، وَالْفَرَاثُ وَدَجَلَةٌ صَمْتٌ
وَقَمُّ الْكَوْفَةِ انشِقَاقٌ:

نِصْفُهُ بَاطِنٌ ظَاهِرٌ

ظَاهِرٌ بَاطِنٌ

نِصْفُهُ نَائِمٌ لَا يُفِيقُ

حَيْرَتِي أَنْ قَلْبِي نَبْعٌ وَرَأْسِي حَرِيقٌ.

○ أَكَّدَ الزَّائِيهِ

عَنْ خَلِيفَةِ ذَلِكَ الزَّمَانِ -

«بَلَى، قَالَ: لِي هَذِهِ الْبِلَادُ،

وَبِي الْإِزْتُ وَالْوَارِثُونَ،

وَلِي طَاعَةُ الْعِبَادِ».

وَتَى الزَّائِيَةُ:

عَنْ أَوْلِ الْأَبْنَاءِ فِي سُلَالَةِ

الْحَاكِمِ، قِيلَ مَرَّةً: «مُضَدَّرُ كُلِّ

عِلْمٍ».

وَقِيلَ عَنْ هَذَا الَّذِي يَحْكُمُ حَتَّى

الْيَوْمِ: «لَا أَوْلَ، لَا آخِرَ لِلْعِلْمِ

الَّذِي يَكْتُهُ».

وَيَصْمُتُ الْفَقِيهُ دَائِمًا

وَيَنْحِي مُصَدِّقًا.

* لَيْسَتْ الشَّمْسُ إِلَّا

جَسَدًا آخِرًا لِلَّيْلِ.

○ قال الزاوي:

مات الحسن بن علي مسموماً
سمته زوجته أملاً أن يتزوجها
من أغراها بالقتل: يزيد.

وثى الزاوي:

قال يزيد:

«أفترضاها زوجاً ورفضناها،
وهي له؟»

وثى الزاوي:

قالوا: «تسعون امرأة لم تتركه
واجدة»

إلا وهي أشد هياماً.

- ت -

يَتَقَدَّمُ هَذَا الزَّمَانُ بِعُكَّازِهِ
مَائِلاً وَلَهُ شَكْلُ زُمِحٍ وَيَتْرُكُ حَوْلِي
مَا تَسَاقَطَ مِنْ أَمْسِيهِ

ويقول: اتكىء

ويُدْمِدُمُ: جبرك ناراً،

وشِعْرُكَ يَشْطُحُ فِي غِيِّهِ.

يزيد بن معاوية سنة ٥٠
هجريّة.

الإشارة إلى الحسن بن علي.

* يَا لِهَذَا الدَّمِ المتدقق من أول
الكلمات،
لكي يتختر في آخر الكلمات.

○ قال الزاوي،

يزوي بغضاً من أقوال زياد:

«كبت إلي في فاسق

لا يؤويه إلا الفساق،

وأيم الله لأطلبته، ولو بين

جلدك ولحمك،

فإن أحب لحم إلي أن أكله،

لحم أنت منه.»

- ث -

سَأَزْخِرُحُ أَنْأَى فَأَنْأَى، تُخُومِي

وَأَسْلِمُ جِسْمِي

لِصَبَابَاتِهِ،

لِدَمِ بَرَزَخِي،

لِفَضَاءٍ يُفَجِّرُ أَفْلَاكَهُ

فِي دَرُوبِ تَجِيءٍ وَتَذَهَبُ

مِنِّي إِلَيَّ.

رسالة من زياد بن أبيه إلى
الحسن بن علي.

* سَأَصْرَفُ نَارَ الشَّعْرِ، وَلَكِنْ

كَيْفَ أَصْرَفُ

نَارَ الْوَقْتِ؟

○ قال الزاوي:

قال ابن عدي:

«المخ قبراً محفوراً

كفنّاً منشوراً

سيفاً مشهوراً،

كيف، لماذا لا أجزع؟»

وثنى الزاوية:

قال جلاذة:

«أترأه يكون أقلّ

عذاباً، لو أطفنا

هواه - تركنا له رأسه، وقطفنا

يديه؟»

- خ -

أَتَخَيَّلُ لَيْلَ التَّنَقُّلِ فِي بَلَدٍ آخَرَ

أَتَخَيَّلُ كَيْفَ سَتَسْقُطُ بَيْنَ يَدَيَّ

التَّجْوُمُ، احْتِفَاءً.

هِيَ ذِي - نَخْلَةٌ فِي هُدُوءِ

المساء الحبيبي

أَومأت، مِن حنانٍ، إلي

هُودًا - يُحْطَفُ الكونُ فِيّ، وَتَشْطِرُ

اللِّغَةُ الخاطِفةُ

وتطوفُ السَّماوَةُ فِيّ وَتَعْلُو رُؤَايَ

على دُزُوةِ العاصِفةِ.

حجر بن عدي، الصحابي
الذي قتله معاوية، مع ستّة
من أصحابه. أمر معاوية أن
يُطالَبُوا بالبراءة مِن عليّ، فإن
أبوا تُحْفَرُ قبورهم أمامهم،
وثبّاً أكفانهم، ثم يُقتلون.

ولما مشوا إلى حجر بالسيف،
ارتعد فقيبل له: زعمت أنك
لا تجزع من الموت.

فرد عليهم بهذا القول،

سنة ٥١ هجرية.

* لا أحيأ

في هذا التاريخ، ولا أتسرّد فيه

إلا كي أخرج منه.

- ذ -

أَلُودَاعٌ لِأَهْلِ السَّمَاءِ، لِلشَّمْسِ تَضَعُ مِنْ
تَحْلِهِمْ خِيَاماً لِأَحْبَائِهَا،
أَلُودَاعٌ لِأَقْمَارِ تِلْكَ الْخِيَامِ، لِعُشَاقِهَا
وَلِنَاقَاتِهِمْ.

إِنَّهُ الْوَقْتُ كِي يَجْرَحُ الْوَقْتُ مِنْ قَيْدِهِ
إِنَّهُ الْوَقْتُ كِي يَنْزِلُ الْكُونُ ضَيْفًا عَلَيْنَا،
وَيَقِيءُ لِأَحْلَامِنَا وَلَا سِرَارِنَا.

○ قال الزاوي:

أهل الشام سياج
حول يزيد.

قالوا:

من لم يخضع ليزيد
ويبايعه،

نضرب عنقه.

وثى الزاوي:

أيام الملك قُدور

يُطْبَخُ فِيهَا التَّارِيخُ،

وَيُطْبَخُ فِيهَا

رَمْلُ الذُّكْرَى.

سنة ٥٢ هجرية.

* رُبَّمَا، سَوْفَ يَبْقَى شِعَاعٌ يَقُولُ
لِتِلْكَ الْمَدِينَةِ: عَيْنَاكَ لَا تُبْصِرَانِ،
رَبِّمَا، سَوْفَ تَبْقَى طَرِيقٌ
تَقُودُ الطَّرِيقَ إِلَى لَا مَكَانٍ.

○ وثى الزاويه

عن مجانبين حمقى، يُعْتَوْنَ فِي
كُلِّ يَوْمٍ:

تَتَمَنَّى عَلَى الْعِزَّةِ الْكَوْكَبِيَّةِ ذَاتِ
الْجَلَالِ، الَّتِي خَلَقَتْ لِلذَّنَابِ
الْجُرَافِ،

أَنْ يُتَّصَبَ فِينَا أَمِيرٌ

وَلَيْكِنَ رَأْسُهُ مِثْلَ طَبَلٍ

وَلَيْكِنَ مَاضِيِ التِّيوسِ،

وَحَاضِرِ هَذِي الْوَحُوشِ،

وَمُسْتَقْبَلِ،

لَا أَنَاثِيدَ فِيهِ، وَلَا مَوْسِمَ، لَا
قَطَافَ

غَيْرُ حَشْدِ الْفُؤُوسِ

يَتَوَعَّلُ فِي غَايَةِ الرُّؤُوسِ.

- ض -

مِنْ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ وَمِنْ تَيْهِ طَيِّءٍ فِيهِ
وَفِيٍّ، وَمِنْ شَعْرِهِ،

أَتَعَلَّمَ أَمْثُولَةً

أَتَعَلَّمَ سِحْرَ الْبَدَاوَةِ

تَسْرِي الْحَضَارَةَ فِيهِ - كَأَنَّ التَّخِيلَ قَبَابٌ مِنْ

حَرِيرِ

كَأَنَّ الصَّحَارَى

لَغَةٌ فِي الْبَحَارِ وَأَعْمَاقِهَا وَكَأَنَّ الْقُلُوبَ

شُهْبٌ لِلصَّعُودِ عَلَى دَرَجَاتِ الْغُيُوبِ

آه، يَا كُوفَةَ الْوَحْيِ، يَا كُوفَةَ الْحَاثِرِينَ

آه، لَوْ تَعْلَمِينَ.

* يُجْهَلُ التَّبَعُ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي، إِلَى أَيْنَ

يُجْرِي - جَهْلُهُ عِلْمُهُ:

مَلِكٌ وَالطَّبِيعَةُ كَرْسِيَّتُهُ.

- ظ -

مِلْ قَلِيلًا، تَقَدَّمْ، مَكَانَكَ: ذِكْرِي
هَآ هِنَا خَاصَمْتَنِي دَرُوبٌ
هَآ هُنَا صَاحَتْنِي لَغَاثٌ
وَهِنَاكَ افْتَرَشْتُ التَّرَابَ، هِنَاكَ عَمَّتْ خَيْمَةٌ
أَعْنِيَاتِي
مَنْ تُرَانِي هِنَا، الْآنَ، أَوْ مَنْ تُرَانِي هُنَاكَ؟
أَسْأَلُ هَذَا الْحَطَامَ
أَمْ أَسْأَلُ هَذَا التَّرَابَ الْحَكِيمَ؟ تُرَانِي
شَبِيحٌ طَائِفٌ
بَيْنَ هَذَا الْحَطَامِ وَهَذَا الْكَلَامِ؟

* خَيْرٌ لِلتَّرْحَالِ وَخَيْرٌ لِلسَّكْنَى،
أَنْ يُسْتَصْفَى
مَنْفَى يَتَنَقَّلُ فِي مَنْفَى.

○ قال الزاوي،
عن شخص صار أميراً،
كانت حكمته:
كي تُنْضِجَ وَتُتَأَ،
إِفْطَغَ رَأْسًا.

- غ -

لَنْ أُعْثِيَ لِتَاجٍ -

لا لكَندة، أو هاشم، أو هشام

أَلْضِيَاءُ الَّذِي يَتَفَتَّقُ مِنْ سُرَّةِ الشَّمْسِ،
وَجْهِي: أَحَدًا لَا أَحَدَ

سَأُعْثِي لِيهِ الْأَبَدَ

عاليًا في الكلام، لنيه الكلام

عاليًا في الأبد.

○ قال الزاوي

يتأمل في ما يرويه:

زَمَنٌ يُعَلِّمُكَ الْخُضُوعَ

لنملة

وَلِقْشَةٍ.

وثى الزاوي:

هُوَذَا الْحَاضِرُ مَرْتَبًا بِنَارِ الزَّمَنِ:

كَفَنٌ مُنْدَرِجٌ فِي كَفَنِ.

* أَتْرَاهُ دَمَّ سَائِلٍ

مِنْ جِرَاحِ الْبَشْرِ،

ذَلِكَ الزَّمَنُ الْمُنْتَظَرُ؟

فاصلة استباق

أَمْسَكَ الطِّفْلُ بِيَدِي أَبِيهِ، سَارَ بَيْنَهُمَا

- فجأة، القتل

وَصَلَ الرِّبِيعُ إِلَى حَدِيقَةِ الْبَيْتِ أَنْزَلَ حَقَائِبَهُ وَأَخَذَ يوزَعُهَا عَلَى الْأَشْجَارِ وَعُرُوقِ الثَّبَاتِ فِي
رَدَاذٍ يَنْهَمُرُ مِنْ أَطْرَافِهِ

- فجأة، القتل

هِيَ ذِي غَيْمَةٍ تَرعى العُشْبَ هِيَ ذِي شَمْسٍ تَنْدُقُ بِهَا اللَّغَةَ

- فجأة، القتل

تَهَضُّ يَسْأَلُ الْفَجَرَ: لِمَاذَا تَرَكْتَ لِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ عُكَّازًا لِلضَّبَابِ؟

- فجأة، القتل

هَلْ يَجْفِرُ لِلنَّبِيَانِ بَحِيرَةً وَيُفْرَقُ فِيهَا؟

هَكَذَا يَعْيشُ فِي أَقَالِيمٍ كَأَنَّهُ لَا يَرَاهَا يَتَحَدَّثُ عَنِ الْحَجَرِ بِلُغَةِ الْهَوَاءِ عَنِ الْمَاءِ بِلُغَةِ
التراب يَقُولُ كُلُّ شَيْءٍ عَنِ الْهُوَ بِلِسَانِ الْأَنَا عَنِ الْأَنَا بِلِسَانِ الْهُوَ

هكذا،

التَّبَسُّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي مَطْلَعِهِ كَانَ كَمَنْ يَرِيسِمُ صُورَةً يَقُولُ لِيُظَلِّهَا أَنْ يُعَاكِسَ الشَّمْسُ فِي هَذَا
المدى العُفْلُ الَّذِي يُخَاطِبُنَا دَائِمًا خُلِقْتُمْ لِلْأَبَدِ لَكُنْكُمْ تُنْقَلُونَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ

هكذا،

رَأَيْنَا كَيْفَ تَحَوَّلَتْ قَدَمُ السَّيِّدِ أ إِلَى طَرِيقٍ فِي ثُقْبٍ

كَيْفَ كَانَ جَسَدُ السَّيِّدِ ن يَنْقَلِبُ إِلَى قَرطَاسٍ تَكْتُبُ عَلَيْهِ الْجِنُّ أَسْمَاءَهَا

كَيْفَ أَصْبَحَ رَأْسُ السَّيِّدِ ي مَاءً يَضْطَرِبُ

هكذا،

رَأَيْنَا التَّارِيخَ يذُوبُ فِي أَعْضَاءِ كُلِّ مِنْهُمْ

وَيَمْنَحُ لِكُلِّ عَضْوٍ نَجْمَةً

وَالْقَمَرَ شَاهِدًا

سَيْفٌ يَتَلَالَا فِي مُعْكَرِ الشَّهْوَةِ دَوْرِيًّا،

يَبْطُ،

ويطعنُ أحشاءَ المكان

تخرج رَجَم

يخرج من الزحَمِ شَكْل

والحمدُ لكل التباس

في هذا المكان، حيث لا وقت لديك، لكي تَسْتَيْقِنَ أَنَّ السَّحَابَةَ ليست رصاصاً أَنْ الوردَةَ ليست حَزْبَةً

شَكُ

يروّض الرّيحَ أَيامَ

تمخرُ كَانَهَا أسماكُ شِبْهُ مَيْتَةٍ نحو شواطئِ مُخَطَّطِهَا الفُقَاعَاتِ

والحمدُ لكلّ التباس.

- القتل، القتل

هكذا يُعلن: شَقَقْتُ غَضَبَ التحوّلِ طريقاً وأعطيتهاُ خطواتي

- القتل، القتل

قالت الطّريقُ اتركوني أتطاوَلُ لا تقلقوا إذا احتضنتُ الصّخر استبطنتُ اللَّيْلَ قَطَعْتُ الأنهارَ والجبالَ ولم يكن ضوءٌ ولم تكن بَرَازِخُ قالت الطّريقُ اتركوني أتقدّمُ في ريحٍ تتحاوَرُ مع عُباري لا تخافوا إن استدزّرتُ أو ائحنيثُ أو تردّدتُ أو نهثُ أو خطرَ لي أن أقول: إن كان السّحر زَمَلاً فالحقيقة الماء أَوْ أَوْمَاتُ: تلك هي الحرّية تُناديه لكنه لا يجرؤ على تَلْبِيئِهَا أو رمزتُ: كلاً، أيها الماء، ليس لديك ما تنبئني به أَوْ جَهَزْتُ: سأقيمُ حَفَلاً لهذه التّباتات، عيداً لهذه الحجارة يا للغبطة في أن تُسامرَ الحجارة يا للفرح في أن تُعايشَ ورَقاً يسقط فوقك يَبْسُ يمتزجُ بك وما أجملَ الحلم: أن تَلْتَبَسَ عليكِ نفسك اتركوني قالت الطّريقُ لا تجزعوا إن اختلفَ الشجر تنوعَ العُشبُ تكاثرتُ الشوك اتركوني قالت الطّريقُ أنا أيضاً أنكر شيئاً أثبتني أثبت شيئاً أنكرني

- القتل، القتل، القتل

في هذا الزّمن الذي يتأكل ويحدّودب، نقول: خيطٌ ما يربطُ بين ماضي الولاية ومستقبلها مروراً بالحاضر

(أوه، يا للإنسان الذي لا يرى أمامه،

كلّما تقدّم إلا القديم!)

ونقول: بلادنا مقامات - دَبِيحُ قرابين، طلاء القبورِ بالحناء، النقطة، الهيكل الإلهي، جسدٌ يعرُجُ،

صُنِحُ الأزل، تاتار، جوليم، موهاريقا، بارابا

رمالٌ تتحرّك

نساء في سوق الفواكه

في هذا الزّمن الذي يتأكل ويحدّوب
يدخل س ١ في مكبّر الصّوت ويحضر اسمته في الهواء
يدخل س ٢ «يُكشَطُ مِنْ وَجِه الأَرْضِ إِلَى لعنة رَبّه»،
ويكون س ٣ قد سلّم روحه وجسمه وماله
لمولاه الحاكم وليّ الزّمان جَلّ ذكره
راضياً بجميع أحكامه له أو عليه

- بماذا يندر
هذا الرجل؟
- يزعم أنه تسلّح
بالضوء،
لكن، هل
فحص جيداً
ظلامه؟
- ما عزاؤك،
أنا الكناري
الذي لا يرى حوله
غير الأفاص؟

لا يعترض لا ينكر شيئاً من أفعاله
سأه ذلك أم سرّه
في هذا الزّمن الذي يتأكل ويحدّوب
لا تفعل الأفكار لا تتقدّم إلا إذا اندفعت من فم المدفع خصوصاً أنّ «سَفَكَ الدّماءِ
خصلةً مُستَحِكِمة بين البشر منذ نشوء الأديان» كما يقول ك خصوصاً أنّ الوالي سيهبط
هنا حيث ينصب تحت ملكه كما يقول م
إذن انكسر أيها القيدُ المسمّى عقلاً
في هذا الزّمن الذي يتأكل ويحدّوب
يرسم المتنبي خطوط التوقم
مربوطاً بخيط الذّكرة
وليس الوطن في حاجة إلى بيته بل إلى قبره
في أرض الطوبى
حيث الوطن مصنّع تُسيّره آله الله -

هَوَامِش



- I -

تَأْبَطُ شَرًّا

«السَّمَاءُ كَمَثَلِي»، تَقُولُ الْحَجَارَةُ، لَا شَأْنَ
لِللَّعِينِ وَالصُّخْرِ فِي مَا تَقُولُ، وَفِي مَا يُقَالُ
السَّمَاءِ، كَمَا عَرَفْتَهَا مَرَايَايَ، لَيْسَتْ سَوَى
دُمِيَّةٍ، وَالْحَجَارَةُ أَهْلٌ

لِتَأْبَطُ شَرًّا

أَتَرَاهُ تَأْبَطُ يَوْمًا ذِرَاعَ السَّمَاءِ، وَأَنْكَرَ؟ هَلْ
خَافَ مِنْ خَيْرِهَا؟

أَتَرَى خَيْرَهَا دُمِيَّةً؟

هُوَذَا، مِثْلَ لَيْلٍ خَذَلْتُهُ النُّجُومُ، يَسِيرُ إِلَى
شَمْسِهِ.

لِتَأْبَطُ شَرًّا فِنَاعَ

لَا يَرَى حِينَ يَنْظُرُ مِنْهُ، وَتَصَدِّقُ عَيْنَاهُ، إِلَّا
الْخَيَالَ.

- II -

عمرو بن بَراقة الهمداني

أَقْطُرُ أَيَّامِي وَأَشْرَبُ حَمْرَهَا
نَدِيمِي تَرْحَالُ، وَدَدِّي هَائِمٌ
لِي السَّمْسُ بَيْتٌ، وَالْهَجِيرُ مِظْلَةٌ
كَأَنِّي مِنْ أَفْصَى جَهَنَّمَ قَادِمٌ
مَحَارِبُ أَهْلِ الْمَالِ يَذْهَبُ رِبْهَا
هَبَاءً، وَمِحْرَابُ الصَّعَالِكِ دَائِمٌ
بَلَى، مَلَأْتَنِي فِتْنَةُ الْعَيِّ نَشْوَةٌ
«وَإِنِّي عَلَى أَمْرِ الْغَوَايَةِ حَازِمٌ».

الشطر الأخير

للشاعر

عمرو بن بَراقة الهمداني

- III -

سُحيم عبد بني الحسحاس

- أَلنِّسَاءُ اللَّوَاتِي عَشِيقَتَكَ ...

- رِفْقاً بِهِ،

خَلَّ أَوْجَاعُهُ لُغَةً حَرَّةً بَيْنَ أَنْقَاضِهِ،

- وَالْجَسُورُ الَّتِي هُدِّمَتْ، وَاسْتِحَالَ

الْعَبُورُ ...

كان عبداً أسود.

قُتِلَ خَزَقاً

بسبب تغزله الشديد،

الضريح بالنساء.

- تَرَفَّقَ بِهِ

قُلْ لِأَيَّامِهِ أَنْ تَلَمَّ جِرَاحَاتِهِ مِرْقَةً مِرْقَةً

وَتَخِيطَ بِهَا شِعْرَهُ،

- وَالْبِلَادُ الَّتِي وَضَعْتَكَ عَلَى جِرْحِهَا مِلْحَ

كُزْهِ وَرَفُضٍ،

- تَرَفَّقَ بِهِ،

خَلَّهِ حَيْثُ أَلْقَى بِهِ الشَّعْرَ فِي هَوْلٍ تَرْحَالِهِ،

- مَا الَّذِي قَالَهُ الْحُبُّ؟

- صِنُونُو، وَصَدِيقٌ لَهُ.

أبو دؤاد الإيادي

هل ترى الآن ثوراً يتقلّب في جُحْرِ نملٍ*؟

ها هنا، لا ترى

غير أشواقنا «تقلّبُ مَحْنوقَةً».

والحناجرُ تهذي: «إزفَعوا رأسَهُ فوق رُمح،
واتركوا فمه مُغلَقاً وعينيه مفتوحتين» -
سُكَارَى

باسمِ عَيْبٍ يُحَارِبُ عَيْباً.

غَيْرَ أَنْ الأثيرَ، يَشُقُّ الدَّخَانَ السَّمَاوِيَّ،
مُتَلْتَأً مِنْكَ: هَلْ بَيْنَنَا بَرَزَخٌ لَا يُرَى؟

قُلْ لِشَعْرِكَ: أَيْبَى

لِرؤَاةٍ وَإِقَاعِهِ،

أَنْ يَظِلَّ - يَرَى الثَّورَ فِي جُحْرِ نَمْلِ وَالْقِطَاعَةَ
تَنوُّءً بِأَثْقَالِهَا.

* إشارة إلى

قول الإيادي:

«رُبَّ نَوْرٍ

رَأَيْتُ فِي جُحْرِ نَمْلِ،

وَقِطَاعَةَ نَحْمَلُ

الْأَثْقَالَ».

- V -

المَهْلُولُ التَّغْلِيبي

لحظة الحبّ تجتاحها لحظة الموت، لا خمره
لا لقاء،

والطيورُ تُفوّضُ للريحِ أغشاشها.

قل، سنُصنعي.

ليكن - مثلما قلت، باسمِ الشَّيْدِ والآله

الجاهلية

سوف نَهْتِفُ لِلأبجدية:

جاسدينا - خُذينا ودُوري بِقُلُوبِ القصيدِ في

قَلْبِكَ المَعْصِيَةِ

كي نرُدَّ إلى الأرضِ زَهُوَ الحياةِ، ونُسْتَرْجِعَ

الحبَّ والخمرَ والأغنية.

خال امرىء القيس،

كان يلقب

«وزير النساء».

النابعة الذبياني

أدعوك؟ رجاء، أمهلني. أتخيل أنك تحيا
معنا - (أتردد: خير أن تبقى حيث قبزت)
وماذا تحمل؟ شغراً

لكن، لن تلقى الأيام جوارِي حولك
يَسْتَرْسِلْنَ كمثل سنابلٍ في أَحْضَانِ نَسِيمِ.

لَنْ تَلْقَى نِعْمًا لَنْ تَلْقَى سَوْقَ عُكَاظِ

لَنْ تَلْقَى غَيْرَ اللَّيْلِ اللَّيْلِ اللَّيْلِ. رجاء،
أمهلني - كلاً، لا أدعوك، وَعُذْرًا

يَكْفِينِي أَرْقًا أَنِّي أَتَخِيلُ كَيْفَ سَتَحْيَا

مع شعراءٍ تحكّم فيهم.

- VII -

عبد يغوث الحارثي

مُتَّ نَزْفًا، أُسِيرًا (وشعركَ نَزْفٌ مِن وَرِيدِ
الْتَمْرُودِ) والخمرُ مسكوبَةٌ فضاءً مِلءَ وجهك،
في راحتيك، تُرى - كيف جئت بهذا الضياءِ
الذي لا انطِفاءً لأهدايه؟ كيف سَلَسَلْتَهُ،
وَنَسَجْتَ لَنَا مِنْهُ ثوبًا لم يَزَلْ يَتَلَأَلُ - يلبَسُ
أشواقنا، ومقاماتنا والرَّحِيلَ، -

يُحِطُّ المَطَافُ

لِدَقَائِقَ دَلَيْتِهَا كالعناقيد في قُبَّةِ الدَّهْرِ؟
لكن، أينَ مَنْ يَعْرِفُ الكَرَمَةَ الجاهليَّةَ،
والسُّرَّ

في نُسغها، والقَطَافِ؟

أميز،

وخيبر كيف

يرغب أن يموت.

اختر أن يشرب

الخمر، ويقطع عرقه

الأكحل،

ويموت نَزْفًا.

عَتْرَة

عَتْرَة

لِيَدِيكَ، لِسَيْفِكَ، لِلْبَرْقِ فِي «تَغْرِهَا
الْمَتَّبِسِّمِ»،

فِي كَاسِهَا الْمُسْكِرَةِ،

يُشْعَلُ الشَّعْرَ قِنْدِيلَهُ.

ضَعَّ حُسَامَكَ فِي غَمْدِهِ

ضَعَّ يَدِيكَ عَلَى صَدْرِ عَبْلَةَ - فِي نَبْضِهَا:

سَتَغْتِيكَ فِي ذَلِكَ الْمَوْجِ، مَوْجِ الْفُرُوسَةِ
وَالْحَبِّ، جَوَابَةَ شَامِسَهُ

لُغَةَ الثَّنُوءِ الْأَمِيرَةِ، وَالصَّبُوءِ الْحَارِسَةِ.

عُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ الْأَسَدِيِّ

أَتْرَاكَ الْكَلَامَ الَّذِي قُلْتَهُ، أَمْ تَرَاكَ الْكَلَامَ
الَّذِي شِئْتَهُ وَتَمَنَعْتَ عَنْ قَوْلِهِ، أَوْ مُنِعْتَ؟
إِذَنْ، أَيْنَ أَلْقَاكَ؟

فِي الثُّطُقِيِّ، أَمْ خَلَفَ صَمِيكَ؟ يَا أَيُّهَا السَّيِّدُ
الْأَمِيرُ عَلَى الْفَقْرِ، يَا أَيُّهَا الْمُتَوَعَّلُ فِي رَفْضِهِ
وَالشَّرِيقُ دَمٌ لِعُرُوبِكَ، مَنْ أَنْتَ؟

وَجْهَكَ فِي حَيْرَةٍ،

وَأَنَا، مِثْلَ وَجْهِكَ، فِي حَيْرَةٍ.

عاش ومات فقيراً. سجنه
الثعمان بن المنذر، وقزر أن
يقتله.

سأله أن يمدحه، ليعفو عنه،
فرفض قائلاً: «أما وأنا أسيرُ
لديك، فلا.» قال له: «نردُّك
إلى أهلِكَ، ولنلتزمُ رِفْدَكَ»،

فأجابه: «أما على شَرَطِ المديحِ
فلا.»

ثم رواه من الخمر، تلبيةً
لطلبه، وقطع له عِزُّقه
الأكحل، وتركه يسيلُ دمه
حتى مات.

- X -

دُوَيْدُ بْنُ زَيْدِ الْجَمَيْرِيِّ

«أوصيكم شرّاً بالناس»: أصوتك هذا؟

و«البيتُ الموث»: أصوتك هذا؟

يأتي حَسْبًا فِي مَوْكِبِ صَمْتِ

نَسْمَعُ مِنْ حُزْنِنا مَخْنُوقًا، غَضَبًا مُرًّا

وَنَرَى أَطْيَافَ نِسَاءٍ يَبْكِينَ

نَرَى غَزْلَانًا تَبْكِي مَعَهُنَّ - أصوتك هذا؟

يَجْرِي مِلءَ خِيوطِ الشَّمْسِ، يَطُوفُ عَلَيْنَا،

يَسْكُنُ فِينَا

صَوْتُكَ جُرْحٌ

وَالْعَالَمُ نَزْفٌ مِنْهُ.

لا يُعرف تاريخ موته،

وهو من المعمرين.

قُتِلَ موته، كتب

قصيدة قال فيها:

«اليوم، يئس لدُوَيْدِ

بيته.»

وقال لابنائه، وهو يُخَضَّرُ:

«أوصيكم بالناس شرّاً.»

III

إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ حَيْثَمَا كَانَا
المتنبي

- أ -

أتراها الطَّرِيقُ لبغدادَ جُرْحُ؟
إِهْدَايَ، يا عواصِفَ ظَنِّي - أَحْسُ: التَّلَاؤُ
تُلُوْحُ،
والأَفْقُ يفرش مَنديلهُ الطَّوِيلُ
وكانَ السُّهُولَ عِبَاءاتُ حَبِّ
وَذراعُ تُطَوِّقُ خَصَرَ الرِّحِيلِ.

○ قال الزَّواي،

يَسْتَقْصِي سَفَرَ الشَّعْراءِ

فَأَتُوا رَقَّ غَزالِ

تَبْكِيهِ الصَّحْراءِ

لِنَحْطُ عَلَيْهِ نَبَأَ التَّرْحالِ،

وَتَذَرُوْ

رَمَلِ المَعْنَى.

* سَفَرٌ:

جُرْحٌ مَفْتُوحٌ
فِي أَنْحاءِ الأَرْضِ.

- ب -

يَسْبَحُ اللَّيْلُ فِي مَاءِ عَيْنِي، لَكِنْ
لَمْ أَعُدْ أَتَذَكَّرُ تِلْكَ النُّجُومَ
الَّتِي رَافَقْتَنِي،
فَاتَّيَحُّ سَاعِدِي وَصَدْرِي
لِلنُّجُومِ الَّتِي تَتَكَوَّنُ فِي فَلَكِ
آخِرٍ.

○ قال الراوي،

يتذكر واحاتٍ

تتنفسُ خاشعَةً

لهجيرِ هواها:

في خطواتِ الشاعر،

أتى سار،

عابرٌ ضوؤ.

* وَرَدَّةٌ عَلَّمَتْ عُزَيْبًا
أَنْ يَكُونَ مُقَامًا لَهَا،
عَلَّمَتْ عَطْرَهَا
أَنْ يَكُونَ طَرِيقًا.

○ أَخَذَ الزَّائِيهِ

يَأْوُهُ فِي حَيْرَةٍ:

أَوْ

مِنْ ذَلِكَ الْحِجَابِ

الَّذِي أَسَدَلْتَهُ

السَّمَاءَ عَلَى وَجْهِهَا.

- ج -

لَأَبِي الْفَضْلِ فِي الْكُوفَةِ السَّائِلَةَ

لَعَةً لِلْجَوَابِ - صَفِيًّا:

نُورُهُ طُرُقٌ لِلْأُلُوهَةِ، وَالْعَالَمِ الْقَافِلَةَ.

مِثْلُهُ - اجْتَمَعَ الْكُونُ فِي كَيْدِي، وَأَفْتَرَقِي.

وَأَكْرَرُ مَا قَالَهُ:

لِلْيَقِينِ سَرِيرُ الْفَرَاغِ،

وَلِلْأَرْضِ وَجْهُ الْعَسَقِ.

أبو الفضل الكوفي شخصية غامضة خصه المنبي بقصيدة بعد عودته من بادية السماوة. كان فيلسوفاً، وقيل هو الذي أصل المنبي وهوّسه وعرفه بالفلسفة اليونانية.

يقول المنبي في قصيدته، مخاطبه:

نُورٌ تَظَاهَرَ فِيكَ لِأَهْوِيَّتِهِ

فَتَكَادُ تَعْلَمُ عِلْمَ مَا لَنْ يُعْلَمَا.

* أَرْضٌ لَا تَدْعُو أَحَدًا

لِيَنَامَ عَلَى كَتِفَيْهَا

إِلَّا بَعْدَ قَوَاتِ الْوَقْتِ.

ليست الكوفة الآن حيث أراها
ما الذي يتغيّر في الكون، لو تُهدم
الكوفة الحاضرة
لو تشظت وعادت حُفنة من هباء؟
لا طريق إلى الكوفة الغابرة
غير تلك التي تتلملأ فيها، وتجهز: كلاً،
ليست الكوفة الآن حيث تراها.

○ وثى الزاويه:
لهبّ خايد،
والزّمان رماذ
أتراه المكان يموت
وهذا الزّمان جداد؟
وثى الزاويه:
زمن - حيوان غريب
رأسه قدماه.

* أتركوه لتهيامه،
يقرأ الغيب في وزدة
ويقول الكلام الذي ليس من
كلمات.

- ه -

لَسْتُ مِنْ هَاهُنَا أَوْ هُنَاكَ،
مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ الْمُتَطْفِئِءِ
قَدَمَايَ تَحِيثَانِ مِنْ طُرُقِ
لَمْ تَحْيِءِ
أَتَقَدَّمُ فِي ظُلُمَاتِ الْمَكَانِ
تُرْجَمَانَا وَضَوْءاً لِهَذَا الزَّمَانِ .

○ «أتراها الدُّرُوبُ،

مَتَى اذْتَسَمْتَ أَظْلَمْتَ؟» سَأَلَ
الرَّأْيِيَّةَ،

وَتَنَى قَائِلًا:

بِاسْمِ أَوْلَئِكَ السَّائِرِينَ

إِلَى التَّوْرِ، فِي

عَيْهَبِ الْكُرَّةِ السَّائِرَةِ،

يَفْتَحُ الشَّعْرَ مَا تَغْلِقُ

الدَّائِرَةَ .

* عِطْرٌ

لِكَابَةِ هَذَا الْعَضْرِ،
يَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِ الشُّعْرِ .

- و -

شَهَوَاتِي تُشْرِعُ أَبْوَابَهَا

نَحْوَ بَغْدَادَ

(هَل قُلْتَ: بَغْدَادُ مَكْسُوتَةٌ

بِتَبَارِيحِهَا؟)

لِيَكُنَّ بَيْنَنَا التَّبَاسُّ.

أَتَرَاهَا رُسِمَتْ فِي كِتَابِ الْخَلِيفَةِ مَشْطُورَةً

بَيْنَ نَارٍ وَنَارٍ؟

أَلْخَرَابُ يَجْرُ عَلَى أَرْضِهَا خُطَاهُ

وَحُطَاهَا

لَا تَقُودُ إِلَى أَيِّ ضَمُوءٍ.

سنة ٦٠ هجرية.

○ كان الزاوي يُبْهَشُ، وهو
يقصُّ علينا:

مات مُعَاوِيَةُ، سَمَاءُ عَمْرٍ:
كَيْسَرِي.

قالوا عنه:

أَوَّلُ مَنْ رَبَطَ الْعَالَمَ

بِيرِيدٍ،

وَأَسْتَضْفَى الْخِضْيَانَ

لِخِدْمَتِهِ،

أَوَّلُ مَنْ أَسَسَ

دِيوَانَ الْخَائِمِ.

* مُتَّهَى فِكْرِهِ:
قَلْبٌ يَتَّقَلَّبُ فِي جُجْرِهِ.

- ز -

كيف تَنفَكُ مِنْ قَيْدِ هَذَا التَّشْرِيدِ،
مِنْ أَسْرِ هَذِهِ الإِقَامَةِ
فِي غِيَاهِبِ تِلْكَ الخِلَافَةِ، أَوْ هَذِهِ الإِمَامَةِ؟
عَجَبًا، - نَتَكَسَّرُ، نَبْنِي جُسُورًا
لَا لِنَعْبُرَ، لَكِنْ لِنَرِثِي أَنْقَاضَنَا.

○ أَخَذَ الزَّائِرُ

بِتَذَكُّرِ كَيْفِ تَدَاعَى

الزَّمَانُ سَوَادًا،

وَتَرْتَبِعُ فِي مَقْعَدِ

مِنْ دَمَاءٍ،

وَيَسْأَلُ: أَيْنَ الْغَدُوءُ،

وَأَيْنَ الرِّوَاخُ؟

وَيُذَنِّدُنُ مُسْتَوْجِحًا:

لَا جَوَابَ،

وَلَنْ أَسْأَلَ الرِّيَاخَ.

* أَتْرَاهُ الدَّمْعَ
شَجَرٍ سِرِّيٍّ لِعُبَارِ الطَّلَعِ؟

○ قال الزاوي:

في طَسَبِ، جاؤوا بالرَّاسِ،
نَصَبُوهُ فِي سَاحَاتِ الشَّامِ.
وقال أناسٌ: كُسيَتْ فِي ذَاكَ
اليومِ، الشَّمْسُ.

وثى الزاوي:

اخْتَزَتِ كُلَّ رُؤُوسِ الْقَتْلِ،

جاءت هوازئُ بعشرين رأساً،
تَمِيمٌ بسبعة عشر، كندة بثلاثة
عشر، مذحج بسبعة رؤوس،
بنو أسد بستة، وجاء سائر
الجيش بسبعة.

وثى الزاوي:

يكتبون الحياة على كاغدٍ

من دَمٍ،

والخِلافةُ يجرأبُهُم.

- ح -

خَلَعَتْ نَجْمَةً ثوبَهَا

وَأَتَتْنِي لِلنَّهْوِ فِي حَضَنِ دَجَلَةَ - تهنأ

قرأنا، كتبنا،

نَجْمَةً لَا تُحِبُّ زَهيراً

وتعشقُ لاميةَ الشُّنْفَرِي

لم ينم مرةً فوق زُنْدِ الْقَبِيلِ،

ولم يَزْجِعِ الْقَهْقَرِي.

* يتدثر ثوبَ الهجير، احتفاءً

بنقطة ماء.

رأس الحسين سنة 11
هجريّة.

- ط -

تتخاصمُ صورةُ هذا المكانِ ومعناه فيّ -

النهارُ وأشياؤُهُ، الليلُ والحلمُ، هذا الفراشُ
الذي تتناحر أشباحهُ في ثيابي، ذاك الجدارُ
الذي مالَ فوقِي أو كادَ، - أمسكْتُ
بالوقتِ :

عَضْرِي رَمَادٌ وَالتواريخُ قَشٌّ
فجأةً -

في خُطَايَ، وفي كلماتي، يتوثَّبُ طفليّ .

* ينبغي أن يُزَوَّجَ جِبرُ الحياةِ إلى
لُجَّةٍ،
حَسَنٌ أن يكونَ مكانُ الزواجِ
محيطاً،
حَسَنٌ أن يكونَ المحيطُ سريراً .

○ أخبر الزاوية، نقلاً عن الشيوطي
في «تاريخ الخلفاء»، قال :

فلما قُتِل الحسين، مكثت الدنيا
سبعة أيام، والشَّمْسُ على
الحيطان كالملاحف المعضفرة،
والكواكب يَضْرِب بعضها
بعضاً. واحمرت آفاق السماء
سنة أشهر، بعد قتله. وقيل: لم
يُقَلَب يومئذ حجرٌ في البيت
القدس إلا وُجد تحته دمٌ
غبيط .

وقيل: نحروا ناقةً، فكانوا
يرون في لحمها مثل التيران .
طبخوها، فصارت مثل العلقم .
في قتله قصة - فيها طولٌ لا
يحتمل القلبُ ذكرها .

وثنى الزاوية :

أُتراها الحقيقةُ فتوى

رَجُلٍ نَحَارَبُ فيه :

نُبزاً منه، أو نكونُ ظلالاً لهُ؟

- ي -

مَا الَّذِي يَفْعَلُ التَّخَوُّ وَالصَّرْفُ؟ أَسْأَلُ إِبْنَ
دُرَيْدٍ، وَأَكْرَرُ هَذَا السُّؤَالَ عَلَى الْفَارِسِيِّ،

هُوَذَا الْغَيْبُ يَأْتِي إِلَيَّ

أَتَقْرَأُهُ فِي صَمْتِهِ وَأَرَى وَجْهَهُ

وَأَلَامِسُ أَطْرَافُهُ وَأَخْصُ يَدَيْهِ وَأَهْدَابُهُ،
وَأَرَى كَيْفَ يَصْعَدُ فِي سُلْمِ الْفَجْرِ، يَهْبِطُ
فِي سُلْمِ الْمَسَاءِ،

لَا أَضِيفُ إِلَيْهِ، لَا أَشَاءُ الَّذِي لَا يَشَاءُ،

وَأَرَى كَيْفَ يَفْتَحُ أَحْضَانَهُ

لِلْمَلَائِكِ أَحْلَامِي الْمَارِدَةِ، -

نَحْنُ فِي جُبَّةٍ وَاحِدَةٍ.

○ زَعَمَ الرَّاويهِ

أَنَّ نَهْرَ الْفَرَاتِ، اسْتَحَارَ،

وَذَوَّبَ فِي مَائِهِ الْحُسَيْنَ:

جِسْمُهُ ضِفَّتَاهُ، وَزَنْدَاهُ جَسْرٌ

عَلَى الضَّفْتَيْنِ.

وَتَى الرَّاويهِ:

أَنَّ أَرْضَ الْفَرَاتِ

كُتِبَتْ، وَالرَّوْوسُ الَّتِي

قُطِعَتْ -

بَعْضُهَا أَنْطَرَتْ،

بَعْضُهَا صَفَحَاتٌ.

أبو علي الفارسي (توفي سنة
٣٧٧ هـ.)

وأبو بكر بن دُرَيْدٍ (توفي سنة
٣٢١ هـ.)

من العلماء الذين لقيهم المتنبي
في بغداد.

* إِنَّهُ الْفَجْرُ لَا يَنْحِنِي

لِسَوَى ضَوْئِهِ.

- ك -

يركضُ الوَثْثُ فيَّ - الرِّياحُ أضعَثُ
لقاحاتها،
وأنا لَسْتُ إلاَّ غريباً يتوهَّمُ أنَّ النجومَ بيوتُ
له،
وكأنِّي أضغي إلى حُطواتِ الأصيلِ
في الطَّريقِ إلى بيتِه عابراً حيننا
وكأنِّي أرى كيفَ يحنو، يمدُّ شرايينه سُراً
للنَّخيلِ،
وكأنِّي أرى الكوفةَ الجميلةَ تُولدُ في طفلها
الجميلِ.

* لا ذُرُوةَ إلاَّ من هاوية، -
هل تعرفُ كيفَ يتلُّ على أبوابِ
الظُّلمةِ خدُّ المعنى؟

○ قل لنا أيها الرَّاويهِ
قل لنا، مرَّةً واحده
سِرُّ أحزانِك الباردة.
لم يُجِب. وتروى،
روى:
جربوا، حاولوا
جمِّعوا ما تتأثَّر منه،
أعيدوا لهذا المقطعِ
أشلاءً
- لم يعد رأسه صالحاً
- ويدها بلا معصمِ
- فتنةُ الرُّؤوسِ وقودُ لها.

وتنى الرَّاويهِ،

يتأملُ في حيرة:

ألفكرةٌ قتلُ أو مقتلُ:
تلكم مائدةُ الماضي
أتراها مائدةُ المُستقبلِ؟

- ل -

أَعْصَا شَقَّتِ الْمَاءَ؟ أَصْغِي لِذِجْلَةٍ

يَسْأَلُ أَسْمَاكَهُ:

هَلْ رَأَيْتِ الْحِكَايَةَ تَمْشِي عَلَى الْمَاءِ، أَوْ هَلْ

سَمِعْتِ مَلَكَآ يَتَحَدَّثُ فِي مَوْجَةٍ؟

ذِجْلَةٌ يَتَغَطَّى بِأَهْدَابِهِ،

وَيَتَمَتُّ بِأَشْعَارِهِ:

يُحْرَسُونَ طَوَاغِيَتَهُمْ وَيُرَبِّونَ أَغْلَالَهُمْ،

وَانظُرُوا: تِلْكَ أَيْدِيهِمْ

لَا تَصْفُقُ إِلَّا إِذَا قُتِدَتْ.

○ قال الزاوي:

تَقْلًا عَنْ أَشْخَاصٍ

تَقْلُوا عَنْ أَشْخَاصٍ،

قَالُوا:

«لَوْ كَانَ الْمَعْنَى عِنْدَ

قَرِيشٍ مَاءٍ

لَسَبَحْنَا فِيهِ،

وَلَخَوَّضْنَا،

وَلَأَشْرَفْنَا،

وَأَسْتَشْرَفْنَا.

لَكِنَّ الْمَعْنَى عِنْدَ قَرِيشٍ

سَيْفٍ، أَوْ كَرْسِيٍّ،

أَوْ حُفْنَةٍ مَالٍ.

وَتَى الزاوي:

نَهْرُ دِمَاءٍ

يَتَبَجَّسُ مِنْ شَرِيَانِ الْوَقْتِ

فِي صَحْبٍ حِينًا، حِينًا فِي

صَمْتٍ.

* أَلْكِتَابَةُ؟ هَيْئَةُ لِحَبْرِكَ مَوْجِ

التَّرْحُلِ، وَاهْمَسْ لِشَطَانِهِ

أَنْ تَظَلَّ بِلا مَرْفَأٍ.

○ وثنى الزاوية:

«أَلَفَ عَذْرَاءَ فَضَّتْ، أَبَاحَ

يَزِيدُ وَعَمَّالُهُ

المدينة - أشرفها،

وقراءها،

وأباح النساء.

وثنى الزاوية:

«نخاف أن ترجمنا السماء
بالحجارة،

إن نحن لم نخرج على يزيد.»

وثنى الزاوية:

إنه الطاغية

يده دائماً

حزبة دامية.

- ٣ -

لَا أَرَى غَيْرَ رَأْسِ يُرَجَّلُ فِي عَارِهِ

غَيْرَ رَأْسٍ تَدْحَرَجُ عَنْ كَتْفَيْهِ، -

الرَّؤُوسُ كُرَاتٌ

في مدار العروشِ وساحاتها،

اللاعبون

تَمْسُحُ أَهْوَاؤَهُمْ فَوْقَ نِطْعِ،

وَأَتَعِظُ،

أَيُّهَا الشَّاهِدُ، الأليفُ لِصَحْرَاءِ هَذَا

الجنون.

* مَنْ يَقُولُ: الحَيَاةُ ثَوَانٍ، وتعبُرُ؟

كَلَّا،

أَلْحَيَاةُ دَمٌّ وَأَظَافِرُ،

وَأَنْظُرُ لِأَنْبِيَاءِهَا.

الإشارة إلى يزيد بن معاوية،
سنة ٦٣ هجرية.

الكلام لأهل المدينة.

- ن -

زَهْرَاتٍ عَلَى قَدَمِي تَمُوتُ، وَمَاتَتْ شَهَوَاتُ،
وَلَكِنَّ أَسْمَاءَهَا بَقِيَتْ فِي عُرُوقِي، وَأَجَاهِرُ
أَنَّ الرَّبِيعَ الْأَخِيرَ الَّذِي زَيْنَ الْأَرْضَ كَانَ
غَيْبًا

وَأَشْهَدُ أَنَّ الْخَرِيفَ الَّذِي جَاءَ فِي إِثْرِهِ كَانَ
طِفْلًا

أَسْرَتْنِي تَقَاطِيعُهُ، -

لَا اللَّقَاءَ شِفَائِي، وَلَسْتُ الْمَعْدَبَ يَوْمَ الْفِرَاقِ
أَشْطَرُ الْوَقْتِ - أُعْطِي إِلَى الشَّعْرِ شَطْرًا،
وَشَطْرًا إِلَى حُلْمٍ لَا يُطَاقُ.

* تَارِيخٌ -

أَلْأَشْيَاءُ خِرَافٌ فِيهِ، وَالْكَلِمَاتُ
ذِنَابٌ وَالظُّلُمَاتُ الْمَغْنَى.

○ وَثَى الزَّوَايِي:

قالوا: «قال رسول الله: سَيَقْتُلُ
فِي هَذِي الْحَزَّةِ أَصْحَابِي وَخِيَارُ
الْأُمَّةِ.»

وَثَى - قالوا:

قال يزيدٌ لِلْمَرْثِيِّ: «السَّيْفُ
السَّيْفُ،

لَا تَتْرُكُ أَحَدًا.»

وَثَى الزَّوَايِي - قالوا:

«أَخَذُوا فِاسًا شَقُّوا رَأْسَهُ -
سَطَقَتْ مِنْهُ أَنْوَارٌ.»

- «كَلَا، لَا تَقْتُلُهُ

هَذَا مِنْ أَصْحَابِ

رَسُولِ اللَّهِ،

- ذَلِكَ أُخْرَى:

نَاكِثٌ طَاعَةً -

حُزُّوا رَأْسَهُ.»

الإشارة إلى يومِ الحَزَّةِ، سنة
٦٣ هجرية.

مسلم بن عُقْبَةَ الْمَرْثِيِّ الَّذِي
كَلَفَهُ يَزِيدُ بَغْزُ الْمَدِينَةِ. لُقِّبَ
بِـ «الْمُسْرِيفِ»، لِإِسْرَافِهِ فِي
نَهْبِ الْمَدِينَةِ، وَتَهْدِيمِهَا، وَفِي
الْقَتْلِ.

الإشارة إلى الصَّحَابِيِّ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ.

حوار بين مروان بن الحَكَمِ
وَمُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ.

○ وثنى الزاوي:

قالوا - كان المزي يقول:

«مَنْ جَاءَ بِرَأْسِ، فَسَأَعطِيهِ مَا
يَطْلُبُهُ.»

وثنى الزاوي:

أضغوا للخذري يقول:

«انْتَفُوا شَعْرِي، نَهَبُوا بَيْتِي،
حَتَّى زَوْجِ حَمَامٍ كَانَ يُرُوِّحُ عَنِّي
أَخَذُوهُ مِنِّي.»

وثنى الزاوي:

- «أَعْطُوهُ يَشْرَبُ،

أَرَوَيْتَ؟

- نعم،

- يا مُفْرِخُ،

قُدْمُهُ، وَاضْرِبْ عُنُقَهُ.»

وثنى الزاوي:

«أَلَا تَلَكُمُ الْأَنْصَارُ تَعْنَى سُرَاتِمَا

وَأَشْجَعُ تَبْكِي مَعْقَلِ بْنِ سَنَانٍ.»

حَقًّا، لِلسَّلْطَانِ غِيَوْمٌ تُمَطَّرُ سُنَانًا.

- س -

هُوَذَا أَرَسَمُ شَكْلَ السَّحْرِ الطِّفْلِ عَلَى كَفِّ
الزَّمَانِ

قَارِنًا صَمَّتَ الْمَكَانَ،

وَأَنَا الْوَقْتُ - انْتَبَظْتُ الشَّمْسَ فِي مُخْدَعِ
جَوَابِ، أَنَا الصَّارِخُ: هَذَا الْكُونُ مَوْجٌ،
وَأَنَا الْمُبْجِرُ، وَاللَّجُّ الَّذِي أَفْتَحِمُ الْآنَ،
وَأَسْتَرْسِلُ فِي أَحْشَائِهِ
السَّكْرَى، رِهَانًا.

* يَتَقَصَّى الشَّرِيقَ بَعَيْنِ الْأَفْوَلِ، -
أَتْرَاهُ يَهْتَبِيءُ لَوْنًا لِجَبْرِ الْفُصُولِ؟

مُسلم بن عُقْبَةَ الْمَزِينِي فِي يَوْمِ
الْحِرَّةِ.

الْكَلَامُ لِأَبِي سَعِيدِ الْخَذَرِيِّ.

الْكَلَامُ لِلْمَزِينِي وَالْإِشَارَةُ إِلَى
الصَّحَابِيِّ مَعْقَلِ بْنِ سَنَانِ
الْأَشْجَمِيِّ.

○ قال الراوي:

جُمع الأسرى في يومِ الحرّة، -
قولوا:

«ما نملكه

خَوَّلَ ليزيدٍ

وَلَهُ أن يقضيَ فينا

كيف يشاء».

- أفلستنا في الإسلام

سواء؟

- ولين هذا القول؟

خُذوه

خُزُوا رأسه.»

وثنى الراوي - قالوا:

«بلغ القتل في هذا اليوم

عشرة آلاف،

منهم عشرات

من أصحابِ رسولِ الله.»

وثنى الراوي:

خَشَعَشَاش - ذَكَرَ غَيْبِي

يَنْتَزِلُ في أرضِ حُنْتِي.

- ع -

غَضَبِي يَتَشَرَّدُ في غَيْهَبِ،

غَضَبِي - لا هُرُوبَ، ولا كِبْرِيَاءَ

لا قَبِيلَ ولا رايَةَ.

بشراواتِهِ

يَسِمُ الأَمَكِنَةَ

صاعِداً، يَتَفَجَّرُ من كَبِدِ الأَزْمَنَةِ.

* صُلِبُ هذا المكانِ ائْتِكَالَ، -
أُتْرَاهِ الزَّمانُ فراشاً، ومَهْدَ لَهُ؟

الحوارُ بين مسلم بن عقبة
المزي وأحد الأسرى.

○ قال الزاوي:

نَصَبَ ابْنُ نُمَيْرٍ مَجَانِقَهُ،

وَرَمَى كَفْبَةَ الْمُؤْمِنِينَ بِنِيرَانِهِ، -
هُدْمَتْ، سُويَتْ رَمَادًا.

والقِرْنَانِ اخْتَرَقَا.

رَأْسُ التَّعْمَانِ يُحَزُّ وَيُلْقَى فِي
حِجْرِ امْرَأَتِهِ.

وثى الزاوي:

مَاتَ يَزِيدٌ، وَالقَتْلُ حِصَادٌ
أَعْمَى.

وثى الزاوي:

أَزْوِي التَّارِيخِ، وَلَكِنْ كَيْفَ
سَأَزْوِي مَا بَعْدَهُ؟

كَيْفَ أَكُونُ صَدِيقَ الوَقْتِ
وَصِدَّةً؟

- ف -

أَتَقَدَّمُ خَارِجَ تِلْكَ الشَّرَائِعِ، تِلْكَ الْمَسَارَاتِ،

- هَلْ جَسَدِي فَائِضٌ عَن مَدَاهَا؟ أَتَقَنُّعُ؟ مَا

سَيَقُولُ القِنَاعُ سِوَى أَنِّي الحَرْبُ - مَهْمُوسَةٌ؟

أَأْمَزُقُ هَذَا القِنَاعَ، وَمَا سَيَقُولُ التَّمزُقُ؟ هَلْ

سَيَقُولُ سِوَى أَنِّي الحَرْبُ - مُجْهُورَةٌ؟

حُصَيْنَ بنِ نُمَيْرٍ، سَنَةَ ٦٤
هَجْرِيَّةً.

هُمَا، فِيمَا زُوِيَ، قَرْنَا الكِبشِ
الَّذِي قَدَى بِهِ اللهُ اسْمَاعِيلَ،
وَكَانَا فِي سَفْهِ الكَعْبَةِ.

التَّعْمَانِ بنِ بَشِيرِ الأنصَارِيِّ.

يزيد بن معاوية.

* هَلْ يَتَلَأَلُ نُورٌ
فِي مِشْكَاتِ دِمَاءٍ؟

○ قال الراوي:

بائع الناس في الشام لابن
يزيد،
ودعا ابن الزبير إلى نفسه.

وتى الراويه:

مرج راهط حقل

من دم ورووس.

زفر فر منه، -

تقدوه، فرد عليهم:

«أيدمب يوم واحد، إن أسأته

بصالح أيامي،

وحسن بلائنا؟»

- ص -

جفت خطاها، وأجذبت يدها:

شمسي في قفريها

تخرج في داخلي، -

«بئس الليالي، سهرت من طربي

شوقاً إلى من يبيت يزقدها

أحيتها والدموع تنجدني

شؤونها، والظلام ينجدها*.»

* من قصيدة كتبها التنبي في
محمد بن عبيد الله العلوي،
عندما جاء إلى بغداد، للمرة
الأولى. يقول فيها: «فني
فؤاد المحب ناز جوى

أحر نار الجحيم أبردها.»

* فللك للإشارات: وجه يلابس وجه

الشرز

جارياً في بروج الطبيعة، مستسلماً

للصوز.

يشير الراوي إلى معاوية بن
يزيد، سنة ٦٤ هجرية،
وإلى زفر بن الحارث.

- ق -

أَلطَّرِيقُ، وذاكرةٌ تَنْزَعُ فوقَ التُّرابِ، وتَحْتِ
التُّرابِ، تُرابٌ

يَتَمَمُّصُ - وَفِي قَمِيصٍ لَهُ.

أَلطَّرِيقُ، وهذا الحريقُ الذي يتصاعدُ فِي -
الطَّرِيقِ، وأَدْخُلُ فِي فَلَكِ للإِشاراتِ: ماذا؟
وأضَعَيْتُ، أضْعِي:

تَتَوَهَّجُ فِي المِصَابِيحِ، تلكَ التي سُمِّيتْ
جِراحاً.

الإشارة إلى الثوابين، وإلى
المعركة التي سُمِّيتْ بِاسْمِهِم،

سنة ٦٤ هجرية.

○ قال الزاوي:

تَأبُوا مِن خِذْلانِ حُسَيْنٍ

فِي يَوْمِ الطَّفِّ،

تَنادَوْا لِلتَّأْرِ، -

التَّأْرُ يُسَاوِي بَيْنَ العالَمِ وَالجاهِلِ

والتَّأْرُ يُشَكِّكُ فِي نَفْسِيهِ:

كيف يموتُ عَدُوٌّ عَنِ أمِيهِ؟

وَتَى الزاوي:

كَلًا، لا يَغسَلُ عارًا،

لا يَغْطِي حَقًّا

قَتْلُ القاتِلِ.

وَتَى الزاوي:

قُتِلَ التَّوابونَ جَمِيعاً، إِلاَّ أَفرادًا.

وَتَى الزاوي:

هَلْ يقدِرُ جانِبُ أنْ يَغسَلَ تَوْبَةَ

بِمِياهِ التَّوْبَةِ؟

* لا يَقْرُ: الدُّرُوبُ شَهِيقٌ لَهُ،

وَرَفِيرٌ، -

حِكْمَةُ الرِّيحِ تَمْضِي بَعِيداً بِهِ.

- ر -

مَنْبِجٌ، طَيِّبٌ، كِلَابٌ،

وَتَنُوخٌ، وَأَوْسٌ، -

أَفَقُّ كَالِخِ

وَالزَّمَالُ عَلَى كَتْفَيْهِ وَشَاخٌ

مَا الَّذِي تَحْمَلُ الرِّيحُ، هَذَا الصَّبَاخُ؟

أَتَشْرُدُ فِيكَ - تُرَانِي أَسْتَشْرِفُ الْغِيُوبَ

أَيُّهَذَا الدُّرُوبُ الدُّرُوبُ؟

الإشارة، تبعاً، إلى:

مروان بن الحكم، سنة 65 هجرية. حُيِّشَ بِن دُلْجَةَ.

الصحابي سليمان بن صُرْد.

عبد الملك بن مروان.

○ أخْبِرَ الرَّأْيِيَّةَ:

قَالَ مَرْوَانُ: كَلَا،

لَنْ تَكُونَ الْمَدِينَةَ

لِابْنِ الزُّبَيْرِ، غَزَاهَا

بِجَيْشٍ كَانَ رَأْسًا عَلَيْهِ حُيِّشٌ.

هُزِمَ الْجَيْشُ:

اعْتَأَقَهُمْ صُرَيْبَتْ كُلُّهَا.

وَتَنَى الرَّأْيِيَّةَ:

حَزَّ رَأْسُ سُلَيْمَانَ/

مَاتَ الْخَلِيفَةُ،

عَاشَ ابْنُهُ.

* لَا وَقْتَ لَهُ، إِلَّا مُرْتَجِلًا، -

لَا يُحْيَى،

لَا يُدْخَلُ فِي أَحْكَامِ السَّاعَةِ.

- ش -

مُوثَقاً هَاهُنَا فِي الشَّامِ
مُسْتَبَاحاً هُنَاكَ، انْشَطَرْتُ هُنَاكَ: نَجْمِي
عَالِياً عَالِياً، يَتَنَاءَى.
كَيْفَ لِي أَنْ أُتَوَّرَ هَذَا الظَّلَامَ،
وَأُخْرَجَ مِنْ ذَلِكَ الرِّكَامِ؟
أَلْتَوَارِيخُ جَوَابَةٌ، سَاهِرَةٌ
تَتَقَلَّبُ فِي شَبَكِ الذَّاكِرَةِ.

نافع بن الأزرق، سنة ٦٥
هجريّة.
أبو علقمة اليمحمدي.
المهلب بن أبي صُفرة.

* أَهْوَى الرَّمْلُ يَدْخُلُ فِي الشَّمْسِ،
يَأْخُذُ كُرْسِيَّهَا،
وَيَلْبَسُ قُفْطَانَهَا؟

○ وَثَى الرَّاوِيَةَ:
«قَتَلُوا نَافِعاً -

كَانَ رَأْسَ الخَوَارِجِ،
وَأَنْطَلَقَ اليَحْمَدِيُّ
يُحَارِبُ جَيْشَ المَهْلَبِ،
نَادَى:

- «أَلْ أَحَدٌ، يَا أَرْدُ،
أَهْوَاؤُنَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ،
أَعْبِرُوا جَمَاجِمَكُم
سَاعَةً.»

وَثَى الرَّاوِيَةَ:

يَهْجُمُونَ، وَكُلُّ
يَتَقَحَّمُ فِي بَهْجَةٍ
فِي حُبُوزِ

صَائِحاً، ضَاحِكاً:

«يَا أَبَا عَلْقَمَةَ

لَيْسَ لِي جُمُوعَةٌ

تُسْتَعَارُ، وَلَكِنْ

تُسْتَعَارُ القُدُوزُ.»

- ت -

مَا زِلْتُ أَجْهَلُهَا

مَا زِلْتُ أَخْبِطُ فِيهَا خَبْطَ مُغْتَرِبٍ

لَا يَسْتَقِرُّ، وَلَا يَشْكُو إِلَى أَحَدٍ -

تلك البلادُ التي سَمَّيْتُهَا كَيْدِي .

سنة ٦٦ هجرية، - شمر بن
الجوشن، أمر السرية التي
قتل الحسين .

خولي بن يزيد الأصبحي الذي
اختز رأس الحسين .

عمر بن سعد بن أبي وقاص
أمر الذين قتلوا الحسين .

الكلام لعبيد الله بن زياد
الذي اشتهر بجبنه .

المختار الثقفي .

ربيعة بن المخارق .

قيل كانوا ثلاثمة .

○ وثنى الزاوية:

هاهم قاتلو الحسينِ تُقَطِّعُ
أعناقهم

- شمر، عمر، ورفيقهما
الأصبحي،

- انطلق، سيز إلى الكوفة،
استبجها، وجثني برؤوس
الضلالة، وأبدأ بمخترهم .

- «يا ربيعة، قَدْ جَيْشَنَا» .

قُتِلَ ابْنُ الْمُخَارِقِ، وَاَنْهَزَمَ
الْجَيْشُ: قَرُوا،

وَمَنْ أَسْرُوا مِنْهُمْ، ضُرِبَتْ كُلُّ
أَعْنَاقِهِمْ - واحداً واحداً .

وثنى الزاوي:

أَلُوْتُ قَرَاغَ

حَتَّى حِينَ يَكُونُ مَلِيئاً .

* يَلْبَسُ الضَّوْءَ فِي الْغَيْمِ ثَوْباً،

وَيَلْبَسُ فِي الصَّحْرِ ثَوْباً، -

هكذا يفعلُ اللهُ،

وَالشَّعْرُ فِي بَعْضِ أَوْقَاتِهِ .

- ث -

لا أعرف كيف أعالج قلبي، وهو المتقلب -
يعلو، يهوي، ويقلبني ويحيي ويمضي
ويُسائلني:

أين حضورِي من أمسي؟
من أين أنا؟ مَنْ يُرشدني
لأسائل نفسي عن نفسي؟

الكلام لابراهيم بن الأشتر
قائد المختار الشقي في يوم
الخانز، سنة ٦٦ هجرية.

شرحبيل بن ذي الكلاع
حصين بن نعيم

عيد الله بن زياد

رواية بكر بن حماد عن
الاعمش.

* يَسْأَلُ الرَّعْدَ فِي هَذِهِ الْغَيُومِ الَّتِي
تَتَلَبَّدُ فِي يَأْسِهِ:
كَيْفَ يَبْقَى بَعِيداً - قَرِيباً إِلَى رَأْسِهِ؟

○ أَخْبَرَ الرَّأْيِيَّةَ:

صاح: «يا سُرْطَةَ اللهِ، هُبُوا،
تَعَالَوْا إِلَيَّ، انْعَمِسْ فِيهِمْ،
أَنْتَ، يَا صَاحِبَ الرَّأْيِيَّةِ -
الشَّقْفِيَّةِ، جَيْشُ الشَّامِ أَبِيدَ،
وَقُطِّعْ رَأْسُ شَرْحَبِيلَ، رَأْسُ
حُصَيْنَ، وَرَأْسُ عُبَيْدٍ وَقُطِّعْ
جِسْمَ عُتَيْدٍ.»

وثى الراوي عن رأوية:

«كُنَّا بِالرَّحْبَةِ

جَاؤُوا بِرُؤُوسٍ فِيهَا رَأْسُ عُبَيْدٍ
اللَّهُ بِنِ زِيَادٍ - خَرَجَتْ أَفْعَى
أَخَذَتْ تَشْتُمُ رُؤُوسَ الْقَتْلِ

دَخَلَتْ فِي رَأْسِ عُبَيْدٍ، فِي فَمِهِ
خَرَجَتْ مِنْ أَنْفِهِ،

دَخَلَتْ ثَانِيَةً فِيهِ، خَرَجَتْ مِنْ
فَمِهِ، وَالتَّاسُ شُهُودٌ»

وثى الراوية:

قيل:

«يَضْرَعُكَ الْحَقُّ إِنْ أَنْتَ
صَارَعْتَهُ.»

○ أَخْبَرَ الزَّوَاهِي:

مُضْعَبٌ يَقْتُلُ الْأَسَارَى وَيَقْتُلُ
حَتَّى مِنْ اسْتَسْلَمُوا إِلَيْهِ.

بَعْدَ أَنْ قُتِلَ الثَّقَفِيُّ

قَطَعُوا كَفَّهُ

سَمَرُوهَا عَلَى مَسْجِدٍ،

قَطَعُوا رَأْسَهُ -

أَرْسَلُوهُ إِلَى ابْنِ الزَّبِيرِ،

وَمَنْ حُوصِرُوا

قُتِلُوا وَاحِداً وَاحِداً.

- خ -

أَتَحَيَّلُ أَنِّي أَكْتَسِي ظِلَّهُ، -

أَلْتَحَيَّلُ كَلَامَ

وَأَنَا طِفْلُهُ.

وَالْتُحُولُ الَّذِي بَيْنَنَا

لَيْسَ وَضْفاً وَلَا صُورَةً:

شَعَفَ شَاعِرٌ

يَتَقَاسَمُ أَعْضَاءَنَا.

* صَارَ جِسْراً إِلَى الْمَسْتَحْيِلِ،

قَلَمُ الشَّاعِرِ الْمَسَافِرِ فِي

لَيْلِهِ الطَّوِيلِ.

مصعب بن الزبير، سنة ٧٦ هجرية.

المختار الثقفي

عبد الله بن الزبير

قبل كان عددهم ستة آلاف.

- ذ -

أَتَحَدَّثُ فِي اللَّاذِقِيَّةِ مَعَ كَوْكَبِ الْحَبِّ: مَنْ
أَنْتَ؟ مِنْ أَيْنَ؟ كَيْفَ تُوَاحِي الْبَيْوتَ،
الْوَسَائِدَ؟ إِزْجَعُ إِلَى طِينِكَ - الْبَدءِ،

حُبِّي

فِي الْمَقَامِ الَّذِي اخْتَرَقَتْهُ رِمَاحُ الْفَجِيعَةِ، فِي
عَرَبَاتِ الْفُصُولِ

سَادِرَاتِ تَجْرِ الْمَدَائِنِ مَغْلُولَةٍ،

وَتَجْرُ الْحَقُولِ.

سنة ٦٨ هجرية.

○ أخْبِرِ الزَّوَايَةَ:

أَلْخَوَارِجُ يَتَهَكَمُونَ

الْمَدَائِنَ، يُضَلُّونَ

أَطْفَالَهَا سَعِيرًا،

يَنْفَرُونَ بِطُولِ

الْحَبَالِ.

وَتَنَى الزَّوَايَةَ:

أَيَّامٌ -

أَفْرَاسٌ، تَانِهَةٌ

تَتْرَاكُضُ بَيْنَ رُؤُوسِ

الْقَتْلِ.

* فِي شَرَارِكَ تَحِيًّا، وَنَارِكَ مَأْوَاكَ:
لَا صَاحِبَ، لَا كَلِيمَ
غَيْرُ هَذَا الْجَمِيلِ الْجَحِيمِ.

- ض -

قِيلَ، قالوا - والتَّنُوخِيُّ * مُسْتَسَلِمٌ لِلظَّنُونِ
عَبَثًا يَقْرَأُونَ.

إِنْ تَقُلْ: ذَلِكَ الْمَاءُ مَوْتٌ

أَوْ تَقُلْ: حَجَرٌ هَذِهِ الرِّيحُ - لَا أَحَدٌ سَيُمَيِّزُ،
يَفْصَلُ بَيْنَ الْحُدُودِ، طَرِيقِي

فِي الْكَلَامِ الْقَرِيبِ،

وَقَضَدِي فِي أَبْعَدِ الْكَلِمَاتِ.

يَقْرَأُونَ وَلَا يَفْهَمُونَ

إِنَّهُمْ أَحْرَفٌ، وَأَنَا غَابَةٌ مِنْ لُغَاتِ.

○ قال الزاوي:

سُلْطَانٌ يَجْلِسُ فَوْقَ

تَرَائِبِ عَمْرٍو -

يَذْبَحُهُ.

وَتَى الزاوي:

أَفْتُوا:

«ذَبَحَ الثَّائِرِ شَرْعًا».

وَتَى الزاوية،

يَسْأَلُ فِي حَيْرَةٍ:

مَا لِسُلْطَانٍ هَذَا

الزَّمانَ يَكْرُرُ فِي

نَشْوَةٍ: كَلِمًا قِيلَ رَأْسُ هَوَى

يَكْبُرُ الْعَرْشُ تَحْتِي، وَأَعْلُو؟

* الحسين بن إسحاق
التنوخني. كان قوم قد
هجوه، وعزوا الهجاء إلى
المتنبي، فكتب إليه يعاتبه في
قصيدة، قال فيها: وَقَبْنِي
قُلْتُ: هَذَا الصَّبْحُ لَيْلٌ

أَيْمَى الْعَالُونَ عَنِ الضِّيَاءِ؟

وهاجي نفسه من لم يُمَيِّزُ
كلامي من كلامهم الهراء.

جلس عبد الملك بن مروان
على صدر عمرو بن سعيد
الأشدق الذي ثار عليه،
وذبحه، سنة 69 هجرية.

* تَتَوَعَّلُ فِي غَابَاتِ رِوَاكِ:

مِنْ أَيْنَ إِذْنِ،

يَأْتِي أَعْدَاؤُكَ، إِنْ لَمْ يَأْتُوا

مِنْ فَيْضِ خُطَاكَ؟

- ظ -

لَا أَشَاهِدُ فِي اللَّاذِقِيَةِ شَمْسًا، أَشَاهِدُ شَيْئًا
يُقَالُ لَهُ الشَّمْسُ، - هَلْ وَهَمِي الْآنَ أَعْقَلُ
مِنْ خُطَوَاتِي، مِنْ نَظْرَاتِي، أَمْ أَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ
الْمَكَانِ التَّبَاسًا؟

فَلَكْ يَتَشَاءُ بَ وَالْأَرْضُ مَرْضُوضَةٌ.

○ قال الزاوي:

فوق حمار أركبهُ

ليطوف به في الأسواق وفي
الطُرُقَاتِ،

وسقاه شراباً -

سلخ الشاعر

حتى مات.

الشاعر يزيد بن ربيعة
الحميري، والفكرة لعبد الملك
بن مروان، سنة ٧٠ هجرية.

* في هذا اليوم،
لا يفصح عني أي كلام،
أنظرنني
حتى أصقل عقلي،
في مِرَاةِ النَّوْمِ.

○ أخْبِر الزَّاويَةَ:

بين قَيْسٍ وتغلب حرب - لا
تَكَادُ الدَّمَاءُ

بينهم أن تجفُّ، بوحشيَّةٍ يَبْقُرُ
الجانبَيْنِ بطونَ النساءِ.

وثنى الزَّاويَةَ:

- إلى أين، يَأْبَنُ القَصَارَى؟

- إلى النَّارِ،

- أَوَّلَى،

لو نطقت بقولِ سِوَاهُ، لكنثُ
قتلُكُ.

- غ -

شَاغِلِي سَهْرَ قَاتِنٍ، -

كان لي في امرئِ القيسِ صوتٌ،

كان لي فِتْنَةٌ.

واستمعتُ إليه، راغباً عن عِكاظِ

حاضِنَا سُكْرَهُ.

وَلَنَا سِرُّنَا: لا قبائلَ في شِعْرِنَا.

وَلَنَا عَهْدُنَا:

أَلْقَصِيدَةُ ضَوْءِ المَمَالِكِ، والشُّعْرَاءُ شُمُوسٌ.

سنة ٧٠ هجرية، والحوار بن
عبد الملك والشاعر الأخطل،
وكان قد شكَا إليه الجَحَافُ
بن حكيم السلمي، عدوَّ
قبيلته، تغلب، قاتلاً:

لقد أوقع الجَحَافُ بالبشز،
وقعةً إلى الله منها الشُّنُكِي
والمعزَلُ، فإن لم تُدارِكها
قريشٌ بعدلها، يكن عن
قريش مُسْتَرَادٌ وَمَزْخَلُ.

* أَلْحِيَاةٌ لِكِي نَنْتَمِي
لِلضِّيَاءِ - إلى لا مكان.

هَؤَامِش



- I -

عبد الله بن عجلان التهدي

مُتَّ عَشَقًا، وَذَلِكَ شَأْنُ الْمُحِبِّينَ،
حَظُّ

أَنْ يَمُوتَ أَمْرُؤٌ عَاشِقًا.

هُوَذَا الْفَجْرُ يَنْشُرُ مَا كُنْتَ، وَاللَّيْلُ يَطْوِيهِ،
لَكِنْ

لِزَيْدٍ مِنَ الْبَثِّ. دَفَأَتْ أَيَّامَنَا،

وَحَمَلَتْ مَرَارَاتِهَا

فِي هَوَادِجٍ مِنْ غِبْطَةٍ.

تَقْدُرُ الْآنَ أَنْ تَتَنَوَّرَ:

زَهْرُ الْفُصُونِ

طَائِفٌ حَوْلَ ذَكَرَاكِ - يَذْوِي وَيُزْهِرُ،

وَالشَّمْسُ تَرُوي

مَا يُوشِوشُ، أَوْ مَا يُكْتَمُ، أَوْ مَا يَقُولُ.

يقال إنه الشاعر الوحيد الذي
مات عشقاً.

- II -

المنخلُ الشكري

نَخَلْتِكَ الدُّنْيَا، وَنَخَلْتَ النَّاسَ، -

سَاخِذُ حُفَّتَةِ رَمْلِ

وَأَقُولُ: الشَّعْرُ يُؤَاخِي بَيْنَ الرَّمْلِ

وَوَجْهِ الشَّمْسِ، وَأَسْأَلُ:

هَلْ أُغْرِقْتَ؟ دُفِنْتَ، وَأَنْتَ

تُسَلِّسِلُ شَعْرَكَ، حَيًّا؟

هَلْ أُخْفِيتَ؟ سَأَسْأَلُ عَنْكَ:

الْمَعْنَى مَبْثُوثٌ ضَوْءًا

وَالصُّورَةَ لَيْلًا

فِي وَجْهِ امْرَأَةٍ.

اتَّهَمَهُ التَّعْمَانُ بِنِ الْمُنْذَرِ بِامْرَأَتِهِ
الْمُتَجَرِّدَةِ، فَأَغْرَقَهُ، كَمَا قِيلَ،
أَوْ دَفَنَهُ حَيًّا، أَوْ أَخْفَاهُ.
وَيُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ لِمَنْ مَاتَ،
وَلَمْ يُعْرَفْ لَهُ خَيْرٌ.

الأعشى الكبير

هذي قصائدك اشتاقت لبارئها

هل أنت في سُغُلٍ؟

أم أنت حيرانٌ لا لهوٌ ولا عملٌ؟

نسيرٌ فيها، كأنَّ الخمرَ راحلةً

والتجمَ قافلةٌ والنشوةُ اتَّسَعَتْ

فيها وضاعت على ترحالها السُّبُلُ

وننحني فوقها، نثقو قوافيها:

خيامُ جبك - هذا ضوءها: عَجَباً، -

كأنَّ أهلك ما زَمُوا جِمالَهُمُ

ولا استقلُّوا مطاياهم، ولا رَحَلُوا

وها هُزيرةٌ ما زالت ترددها،

ونحن نُصغي، نغني مثلها، شَغَفاً:

«وَيْلِي عَلَيْكَ، وَوَيْلِي مِنْكَ، يَا رَجُلٌ.»

عمرو بن قميثة

أَوَّلُ الشَّيْءِ مَنْفَى،

أَوَّلُ النَّفْيِ قِيَارَةٌ، وَ«رُمَيْتَ وَلَسْتَ بِرَامٍ»
كَمَا قُلْتَ، يَوْمًا، وَالطَّرِيقُ ضِيَاعٌ.

وَامرؤُ القَيْنِسِ، ذَاكَ الصَّدِيقُ الرَّفِيقُ،
المَضِيعُ، يُوغِلُ فِيهَا

وَشَعْرَكَ يُوغِلُ فِيهَا -

وَيَحْتَلُّ أَنِّي أَرَى الْمَسْتَحِيلَ يُكْحَلُ

أَهْدَابُهُ بِإِيقَاعِهِ .

قُلْ لَتَلِكِ الطَّرِيقُ الَّتِي ضِغَّتَ فِيهَا:

أَوَّلُ الشَّعْرِ مَنْفَى .

نشأ يتيمًا، وكان رفيقًا لامرئ
القيس في سفره .

مات في الطريق، وتلقب
بـ«الضائع» .

- ٧ -

الأفوه الأودي

لَيْلِكَ الْآنَ مُسْتَنْفَرٌ

غَيْرَ أَنْ الصَّبَاحَ بَعِيدٌ بَعِيدٌ، أَوْ كَمَا قَالَ،
يَوْمًا،

ذو القُروح . يُحْيِلُ : شِعْرُكَ جَسْرٌ

بَيْنَ ثَوْبٍ يُعَارُ، وَقَبْرِ .

وَكَأَنِّي أَضْغِي إِلَيْكَ تَهْلَسُ، تَصْرُخُ :

يَا هَذِهِ الْأَنْجُمُ - السُّفُنُ الْجَارِيَاتُ

إِشْطَحِي مِثْلَنَا، كَرَّرِي :

أَلْحِيَاةُ حَصَاةُ

مِنْ دَمٍ جَامِدٍ

أَوْ دَمٍ سَائِلٍ فِي حَصَاةُ .

يقول في إحدى قصائده:
«وحياة المزو ثوبٌ مُسْتَعَارٌ» .

- IV -

مالك بن نُويرة

هُوَذَا ماضِيكَ : جبينُ

لِلرَّفْضِ ، وَوَجْهَ

تَتَخَايَلُ فِيهِ آفاقُ مُروقي -

وَأَرَى وَثْنًا ، -

كم هو حيٌّ ، كَمْ هُوَ عَالٍ هَذَا الوَثْنُ :

بِسوى شفتيه

وَبغَيْرِ الأَنْفِ الصَّاعِدِ نَحْوَ ذُرَاهُ ،

لا يُفْتَنُّ .

ارتدّ، كما يُروى، عن
الإسلام، فُقُيِلَ .

قيل كانت فيه غَطْرَسَةٌ
وخيلاء .

- VII -

قَيسُ بنِ الخَطِيمِ

يَتَّبِعِي أَنْ تَمِيلَ، وَأَنْ تَتَلَفَّتْ: أَنْ تَبْنِي

الجِسْرَ - لَا فَضْلَ بَيْنَ الشَّيْءِ

وَمَعْرَاجِهِ فِي الحَنَاجِرِ،

وَالكُوْنُ كَالحَبِّ: حَتَّى فِي القَطِيعَةِ، وَضَلُّ،

فَمِلُّ، وَتَلَفَّتْ

كَي يَكُوْنَ لِقَلْبِكَ أَنْ يَتَسَرَّبَ فِي

الغَامِضِ الخَفِيِّ

يَتَفَلَّتُ مِنْ جَسْمِكَ القَرِيبِ، وَيَخْفِقُ فِي

جَسْمِكَ القَصِيِّ.

بقي على جاهليته ولم يُسلم.
أُسلمت امرأته، فكان
يصدها، ويُغيبُ بها. يأتيها،
وهي ساجدة فيقلبها على
رأسها.

- VIII -

عدي بن زيد العبادي
أحياة، كما عَلَّمْنَا رِوَاكَ، نَشِيدٌ،
أَعْطِ لِلشَّمْسِ إِيقَاعَ هَذَا النَشِيدِ -
أترك الضوء يزُومُ تهاويله
مُفرداً، أو مُثَنَّى - أو إذا شئتَ:
رَفْرِقْ مَزِيحاً،
وكن حَبِيباً في المزيح
حمرّة، زُرْقَةً، بياض
والسواد الثنيتة والهدب في ذلك النسيج.

زار دمشق وقال فيها أول
شعره. هو العربي الأول الذي
كتب بالعربية في ديوان
كشري. دعاه التعمان بن
المنذر لزيارته، وحين جاءه،
أمر بحبسه، ثم قتله.

المرقس الأكبر

أَلتَجُومُ الَّتِي كُنْتَ تَسْأَلُ: أَسْمَاءُ،
أَتَى مَضَّتْ؟ حَظِيثٌ بِهَا مَرَّةٌ،
وَرَأَيْتُ كَأَنَّ لَهَا وَجْهَ عُشَاقِهَا.
بَيْنَهَا نَجْمَةٌ

لَيْسَتْ هَالَةً قَانِيَةً

لَمْ تَكُنْ صُورَةً لِكَبْشِ

لَمْ تَكُنْ ذَكَرِيَاتٍ، لَمْ تَكُنْ كَلِمَاتٍ

كَانَتْ النُّجْمَةُ الحَقِيقِيَّةُ مَحْمُولَةٌ

فِي أَثِيرِ الرِّحِيلِ إِلَى أَرْضِكَ الثَّانِيَةِ.

اشتهر بحبه لابنة عمه أسماء.

زوجه أبوها وهو غائب.

وقيل له، حين عاد إنها

ماتت. وكان إخوته قد ذبحوا

كبشاً ودفنوه في قبر قالوا له

إنه قبر أسماء.

أخذ يزوره، ثم تبين الخبير

الصحيح فذهب يبحث عن

أسماء، لكنه مات بعد أن

راها.

- X -

الحطينة

حين أشاهدُ أحوالي

وأرى مَنْ حَوِي

وأفكر كيف أجوعُ وأعرى وأقيدُ، أسألُ:
ماذا؟

مَا هذا التكوينُ؟ تُراني: مَيِّتٌ، أم حَيٌّ؟

وَجْ هِي وَي هُجْ و

يَهجو هذي الأرضَ: الأرضُ سَرِيرٌ

لِغبارِ المَعْنَى

وَلَسَوْفَ أَظَلُّ أَعْتِي هَجْوًا

كِي أَعْرِفَ أَن أُنذَكِرَ دَوْمًا

أَنَّ الأَحْيَاءَ هُمُ الأَمَوَاتِ

وَأَتَوَجَّ صَوْتِي

مَلِكِ الأَصْوَاتِ.

IV

كَأَنَّكَ عَجِيبٌ فِي عَيُونِ الْعَجَائِبِ

المتنبي

- أ -

كَيْفَ يُنْعَى إِلَى كُوفَةِ الْوَجْدِ سَقَاؤُهَا؟

لَمْ يَغِبْ عَنْ مَدَارِي إِلَّا

صُورَةً، كَيْفَ أُرْوِي فَلَكَا دَارَ فِيهِ؟

مصعب بن الزبير سنة ٧١ هجرية.

عبد الملك بن مروان.

حوار بين عبد الملك بن مروان وعبيد الله بن زياد ابن ظبيان، قاتل مُصْعَب.

○ أَخْبَرِ الزَّائِيَةَ:

قَتَلُوا مُصْعَبًا قَطَعُوا رَأْسَهُ -
حَمَلُوهُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ.

وَتَى الزَّائِيَةَ:

كُلُّ رَأْسٍ لِيُقَطَفَ:

لَا رَأْسَ إِلَّا

كِي يُدْخَرَجَ مَيْتًا،

أَوْ يَنْكَسَ حَيًّا

تَحْتَ ظِلِّ الْمَلِكِ.

وَتَى الزَّائِيَةَ:

- «الذنانير ألف، ثواباً،

- لا أريدُ ثواباً

كَانَ قَتْلِي إِتَاهُ نَارًا،

لَا عَلَي طَاعَتِكَ.»

* لَا أَتَوَاصَلُ إِلَّا حَبًّا أَوْ وَحْيًا، -

لَنْ أَشْكُوَ قَيْدِي

هَذَا الْيَوْمَ لِأَيِّ جَنَاحٍ.

- ب -

لا تَقْصَّ عَلَيَّ خُطَاةَ، يَدِيهِ
لا تَقُلْ صَمْتَهُ
فَأَنَا أَعْرِفُ الْخَبِيرَ وَالْمَاءَ،
والجبهة العالیه .

هل سَمَمَتِ الْفِرَاشَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، الرَّمَادُ
الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَلَمَسْتَ عِبَاءَتَهُ الْحَانِيَةَ؟

أَتَرَى أَدْنَ الْمَاءِ؟ وَالْحَيُّ: أَطْفَالُهُ، النَّسَاءُ،
الْمُعْزُونَ - مِنْ أَيْنَ؟ مَنْ هُمْ؟

هل خَرَجْتَ إِلَى قَبْرِهِ

وَاحْتَضَنْتِ الْحِجَارَ، التَّرَابَ، الْكَفْنَ؟

أَتَوْسَلُ، يَا كَوْكَبَ الْحَبِّ، قَلْ لِي:

كَيْفَ كَانَتْ سَمَاءُ الْوَطَنِ؟

○ وَتَنِي الرَّاويهِ:

حُزُّ رَأْسِ بُكَيْرٍ

صَارَ مَنْ حَزَّهُ

أَمِيرًا -

هكذا يُؤْخَذُ الْمَلِكُ

مِنْ تَبَعِهِ .

وَتَنِي الرَّاويهِ:

قُتِلَ الْقَاتِلُ

حَمَلُوهُ عَلَى بَغْلَةٍ -

وَضَعُوا فِي مَذَاكِيرِهِ

الْحِجَارَةَ مُشْدُودَةً

بِالْحِبَالِ الَّتِي عَدَلُوهُ بِهَا -

هكذا نَارَ بِالنَّابِلِ الْحَابِلُ .

الإشارة إلى بُكَيْرِ بْنِ وَشَّاحِ
الَّذِي حُزَّ رَأْسُهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ
خَازِمٍ، وَأُرْسِلَهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
بِ بْنِ مِرْوَانَ، فَأَقْرَبَهُ أَمِيرًا عَلَى
خِرَاسَانَ، سَنَةَ ٧٢ هَجْرِيَّةً .

وَمَنْ نَمَّ إِلَى قَتْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
خَازِمٍ نَفْسَهُ .

* لِلْكَأْبَةِ شِعْرٌ
يَعْرِفُ الشَّيْءَ فِي أَضْلِهِ،
فِي تَجْلِيهِ، فِي مَا يُوَوَّلُ إِلَيْهِ،
وَالْكَأْبَةُ عِلْمٌ .

- ج -

هل أُجْرَبُ؟ أعطي لتلك العَصَا

شَفْتين، لهذي الحِصاةِ جناحاً، وأَمْرُ

لَيْلِ الحِياةِ

أَنْ يُواخِي فَجَرَ القَصيدةِ؟ ماذا؟

شَعَبَ أبجدِيّ -

داخِلٌ، خارِجٌ

يتمرّدُ، يَطغى ويخرُجُ عن طاعةِ الكلماتِ.

حوار بين عبد الله بن الزبير
وأمه أسماء بنت أبي بكر،
ذات النطاقين، وكانت بلغت
المنة، وعميت،

سنة ٧٣ هجرية.

عبد الله بن صفوان

عمارة بن حزم.

* يُبَصِّرُ فِي مِرآةٍ مِنْ أَدْمُعِهِ،

آلَمَ الفُقراءِ،

يُبَصِّرُ فِي مِرآةٍ مِنْ قَاموسِ هَواهُ،

تِيَةَ الشُّعراءِ.

○ قال الراوي:

- قالوا: خُذ ما شِئتَ،
ولكن، ما قَوْلُكَ؟

- أنتَ الأَدزى، إن كنتَ مُحِقّاً،
لا تتراجِعْ،

أصحابُك ماتوا طلباً لِلحَقِّ ...

- أخافُ المُثَلَّةَ، ...

- شاةٌ

دُبِحت، لا يُولها سَلخٌ.

قَتَلوه، جاءَ الحِجاجُ إليه، بيديه
أخْتَزَ الرأسَ (وكان جَباناً لم
يَجْرؤْ، فيما يُرَوِّى، أن يلقاهُ
حَيًّا).

وثى الزاوية:

أزسلوا رأسه لابن مزوان،
حزوا معه آخراً لابن صفوان،
حزوا معه آخراً لابن حزم
وكانت قُطعت، عُلقت في
المدينة كل الرؤوس التي قال
أصحابها لابن مروان: كلاً.

هَلْ كَانَ يَبْتَسِمُ الْفَرَاثُ لِعَيْمَةٍ
تُمْلِي كِتَابَ الْعُشْبِ حَوْلَ ضِيفَاهِ؟
هَلْ كَانَ يَزْتَجِلُّ الرِّزَاقُ، هُنَاكَ فِي كَنْفِ
الْمَأْدَنِ، وَالْمَجَالِسِ حَوْلَهَا شِعَرَ الْفَضَاءِ،
هل الفضاءُ كتابةٌ لِقَوَافِلِ كُتَيْبِ بَيْتِهِ الْعَالَمِينَ؟
أَتَحَاوِرُ الْفُقَهَاءَ، نَسَأَلُ؟ رُبَّمَا

أَقْتَوَا

ولكن

هل تقدرُ الكتبُ الفَقِيهَةُ أن تُجِيبَ السَّائِلِينَ؟

خطبَ الحجاجُ في أهلِ
الشامِ، عندما نزلت، فيما
يُروى، صاعقةً على
المنجنيقاتِ وهي تضرب
الكعبة، وتوقَّفوا عن
الضرب، خوفاً، قال:

«ويحكم، ألم تعلموا أنَّ النَّارَ
كانت تنزلُ على مَنْ كان قبلنا
فتأكل قربانهم، إذا تُقْبِلُ
منهم؟ فلو لم يكن عملكم
مقبولاً، لما نزلت النَّارُ».

اقتنموا، وعادوا إلى ضرب
الكعبة، سنة ٧٣ هجرية.

○ قال الراوي:

هدم الحجاج الكعبة

حبس الماء، الحُبِزَ وكانوا
يَزْتَجِرُونَ وهم يَزْمُونَ الكعبة:

«حَطَّارَةٌ مِثْلَ

الْفَنِيْقِ الْمَزْيِدِ

تُزْمِي بِهَا أَعْوَادَ

هَذَا الْمَسْجِدِ.»

هَذَا: «عَمَلٌ مَقْبُولٌ»

قالوا.

ولهذا،

نزلت نازَ وَالْتَهَمَتْهُ.

وَتَى الرَّاوي:

رَمَنْ - بَيْتَ مَرْفُوعِ

بِرُؤُوسِ الْقَتْلِ.

* خَيْمَتُ غَيْمَةٍ

فوق حَقْلٍ حزين، -

أَخَذَ الْحَقْلُ يَقْرَأُ لِلطَّيْرِ أَشْعَارَهُ.

○ أَخْبَرَ الرَّأْوِيَةَ:

أَلْمَدِينَةَ، وَادِي الْقَرَى، فَذَكَ،
خَيْرًا:

جُرَزَّ مِنْ دَمٍ - الْجَرِيحُ يُبَادُ،
الْأَسَارَى تُقَطَّعُ أَعْنَاقُهُمْ.

وَتَى الرَّأْوِيَةَ:

جَيْشُ مَزْرَائِيٍّ فِي الْبَحْرَيْنِ -
حِصَارًا، قُتِلَ: سِتَّةَ آلَافٍ،
وَالْأَسْرَى: أَلْفٌ. عَبْدُ اللَّهِ
الْأَوَّلُ بَيْنَ الْقَتْلِ.

وَتَى الرَّأْوِيَةَ:

تَحْتَ الْعُنُقِ الْمَذْبُوحِ أَنْيَنَ
لَا يَقْدَرُ أَنْ يَذْبَحَهُ سَيْفٌ.

لُوجُوهُ

لَوْثُهَا حَسْرَةٌ وَارْتِيَابٌ

لِحْفُونٍ

عَرَقَتْ فِي مِيَاهِ الْوَدَاعِ،

لَأَيْدٍ

كُلُّ مَا فَعَلْتَهُ قِيُودٌ

لِثُجُومٍ تَفَكَّ الْقِصَائِدُ أَزْرَارَهَا

لِثَحْيِي عَزِيَّ الْمَسَاءِ،

أَنْسَجُ الْآنَ صَدْرِي غِطَاءً

وَأَضْمُ الْفِضَاءِ.

سنة ٧٣ هجرية.

عبد الله بن ثور قائد
الحوارج.

* كَلَّا، لَمْ يُغَطِّ لِتِلْكَ التَّجْمَةِ عَهْدًا،
كَلَّا، لَمْ يَعْقِدْ أَحْلَافًا مَعَ أَيِّ نَبِيٍّ.

- و -

لَمْ يَعُدْ فِي جَسَدِي مَوْجٌ لَكِي يَحْمَلُ مَاضِيَّ
وَلَا أَمْلِكُ إِلَّا

شَرًّا يَنْسَبُ فِي صَدْرِي، وَلَنْ أَكْشِفَ
أَسْرَارِي إِلَّا لِلشَّرِّزِ، -

سنة ٧٧ هجرية.

سِرُّ هَذَا الزَّمَنِ الْفَاحِلِ فِي مَاءِ حَجْرِي.

○ قال الراوي:

خَتَمَ الْحِجَابِ

فِي أَعْنَاقِ بَقَايَا مِنْ أَصْحَابِ
رَسُولِ اللَّهِ، وَفِي أَيْدِيهِمْ.

وثى الراوي:

لَيْسَ لِي رَغْبَةٌ أَنْ أَمُدَّ يَدِي
لَأَصَافِحَ أَخْبَارَ هَذَا الصُّبْحِ
الَّذِي يَقْرَعُ الْآنَ، بَابِي.

* أَيُّهَا الْفَجْرُ،

مَتَى تَمُنِّحُنِي الْجِبْرَ الَّذِي يَكْتُبُ
لَيْلِي؟

○ قال الزاوي:

خَرَجَ البَصْرِيُّونَ عَلَى الحِجَاجِ، -
ابْنُ الجَارُودِ، وَصَحْبُ مَعَهُ،
فَقَتَلُوا: ضَرَبَتْ أَعْنَاقَ القَتْلِ،
وَرَوَّسَهُمْ نُصِبَتْ لِلعَبْرَةِ، عِنْدَ
الجِسْرِ.

- ز -

أَلَكَلَامُ الَّذِي يَتَفَجَّرُ مِنِّي - أَنَا شَكُّهُ،

وَأَنَا نَفِيهُ،

كُلُّ مَا قُلْتُهُ لَمْ أَقُلْهُ

وَالَّذِي سَأقُولُ اخْتِلافٌ

وَيُشَبِّهُ لِي أَنَّ نَفْسِي تَحْتَاحُنِي كُلَّ يَوْمٍ. فلماذا

يُقَالُ: أَضِلُّ سِوَايَ وَأَهْدِي سِوَايَ،

وَأَنَا سَاكِنٌ هَوَايَ، وَلَا يَبِيتُ إِلَّا خُطَايَ؟

* قَلَّتْ لِي، أَيُّهَا الدَّهْرُ، لِي قَلْبِكَ

الْمُتَقَلِّبُ، لِي وَجْهَكَ الْمُتَعَبُ،

الْمُتَعَبُ

فلماذا يقولون: أَنْتَ المُبْرَأُ مِن كُلِّ

إِثْمٍ، وَأَنَا المَذْنِبُ؟

عبد الله بن الجارود قائد
الخروج، سنة ٧٥ هجرية.

- ح -

هَابِطٌ صَاعِدٌ فِي الظَّلَامِ عَلَى دَرَجٍ مِنْ كَلَامٍ
هَلْ يُضِيءُ الكَلَامُ؟ وَكَيْفَ أَحَاصِرُ فَوْضَايَ؟
كَيْفَ أَعَانِقُ هَذَا السَّدِيمَ الَّذِي يَتَرَجَّرُ فِي،
إِذَا لَمْ أَكُنْ مِثْلَهُ؟
هَلْ أَوْخِرَ رِجَالًا وَأُقَدِّمَ أُخْرَى مِثْلَ غَيْرِي؟
كَلَّا، سَامِضِي أَمَّهْدُ دَرْبًا -
أَتَنْفَسُ، أَشْتَفُ، أَلْبَسُ هَذَا الرَّحِيلَ
بَيْنَ شِعْرِي وَالْمُسْتَحِيلِ.

* مَا الَّذِي يَتَحَرَّكُ فِي هَذِهِ الْأَعَالِي؟
لِلْأَسَافِلِ رُؤْيَا
أَكْرَرُ عَهْدِي أَلَّا أَرَاهَا.

○ قال الزاوي:

- مَنْ أَنْتَ؟

- عُمَيْرُ

- أَسَمِعْتَ كَلَامِي أَمْسٍ؟

- سَمِعْتُ

- أَمَا شَارَكْتَ بِمَقْتَلِ عَثْمَانَ؟

- شَارَكْتُ.

- لِمَاذَا؟

- زَجَّ أَبِي فِي السَّجَنِ، وَكَانَ
كَبِيرًا.

- أَنْتَ الْقَائِلُ:

«هَمْتُ، وَلَمْ أَفْعَلْ، وَكَدْتُ،
وَلَيْتَنِي

تَرَكْتُ عَلَى عَثْمَانَ تَبْكِي
حَلَابِلُهُ»

فِي قَتْلِكَ مَا يُضْلِحُنَا،

فَمَنْ، يَا حَرَسِي، وَاضْرَبْ
عُنُقَهُ.»

وَتَى الزاوي:

تَارِيخٌ يَمْشِي فِي بِيْزْدَابِ
وَالْحَطَوَاتِ سِيوْفٌ حِينًا

وَهَاجِمٌ حِينًا.

حوار بين الحجاج، وعُمير بن
ضابئة التميمي، سنة ٧٥
هجريّة.

○ اخبر الزاوية:

«لا تُناظر،

صيدهم كالسبع،

واجتنبهم،

وجد عنهم

خيدان الضبع.»

- ط -

تجلس الأرض في حوذة
وتقلد ما رسمته سماواتنا،
هكذا كان حتماً علي
أن أفكر بالقرمطي.

من رسالة بعث بها الحجاج
إلى واليه سعيد بن المجالد
يوصيه كيف يقاتل الخوارج،
سنة ٧٦ هجرية.

* العقول النبية، مثل الطبيعة،
تحيا وتعمل في شبه غيبوبة.

○ حَدَّثَ الزَّوَايَةَ:

قَالَ صَالِحٌ: «لَمْ يَبْقَ عَدَلٌ - فَشَا
الْجَوْزُ، وَازْدَادَتِ الْوَلَاءُ غُلُوقاً
وَعُتْرَاءً، وَبَعْدَ عَنِ الْحَقِّ، هَيْبًا،
اسْتَعِيدُوا».

- ي -

لَا أَشَاهِدُ غَيْرَ الْحِرَابِ وَغَيْرَ الرَّمَاكِ وَغَيْرِ
السِّيُوفِ وَغَيْرِ الدَّمَاءِ:

الزَّمَانُ سَبَائِكُ قَتَلِي بِاسْمِ خَلَاقِيهِ.

- قُلْتُ: لَا أُذَنُّ لِي؟

حَسَنًا، سَوْفَ أَصَمْتُ، لَا أُذَنُّ لِي.

مَا الَّذِي قَلْتَهُ الْآنَ؟

أَخْرَجُ مِنْ ذَلِكَ الْحِوَازِ

بَيْنَ جَسْمِي وَبَيْنِي

بَيْنَ ظَنِّي وَبَيْنِي وَقَرَارِي هُوَ اللَّاقِرَاوِ.

دَخَلَ الْكُوفَةَ:

الْحِوَارِجُ فِي الْمَسْجِدِ، الْقَضْرِي،
أَسْيَافُهُمْ حَصَادٌ - وَشَيْبٌ يَقُولُ
لَأَصْحَابِهِ:

«لَا غَنَائِمَ، إِنِّي

وَأَهَبُ مَا غَنِمْتُ».

صَالِحُ بْنُ مُسْرَحِ الْخَارِجِيِّ
الَّذِي اشْتَهَرَ بِزَهْدِهِ،

سَنَةَ ٧٦ هِجْرِيَّةً.

شَيْبُ بْنُ يَزِيدِ الْخَارِجِيِّ.

* لَمْ يُجِبْنِي عَقْلُ الْكُوَاكِبِ عَمَّا
سَأَلْتُ:
أَجَابَتْ قَنَادِيلُهَا.

- ك -

تَجْتَاحُنِي الشَّهَوَاتُ جَارِفَةً،
وَتُسَلِّمُنِي الهمومُ إِلَى الهمومِ
لَمْ يَبْقَ فِي وَلَهِي، يُؤَاخِنِي
وَيَقْرَأُ مَا قَرَأْتُ، سِوَى التَّجْوَمِ، -

عَانِقُ جِرَاحِكُ، يَا دَمِي:
شَعْفِي يَفْتُ عَطُورَهُ
وَفَمِي يَذُوبُ عَلَى قَمِي.

شبيب الخارجي،
سنة ٧٧ هجرية.

* مَا سَمَاءُ الْعَالَمِ عَقْلًا،
سَأَسْمِيهِ
رَمِيَّةَ نَزْدِ.

○ قال الراوي:

«سِتَّةَ آلَافِ حَارِبٍ
جَاؤُوا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ،
انْضَمَّ إِلَيْهِمْ فِي الْكُوفَةِ عَشْرَةُ
أَضْعَافٍ، لِقِتَالِ شَيْبٍ».

وثى الراوي:

«كَانَ رِجَالُ شَيْبٍ، فِيمَا قَالُوا،
أَلْفًا
هَزَمُوا جَيْشَ الشَّامِ،
وَحَزَّوْا رَأْسَ الْقَائِدِ، لَكِنْ
قُتِلَ زَوْجُ شَيْبٍ: غَزَالَهُ».

ساروا لسواد الكوفة

قتلوا والي الحجاج عليها

أخذ المال شبيب، وزمائه في
النهر، وأنب أصحابه:

قال: اشتغلوا بالذنيا.

- ل -

مَا لِدِمَشْقٍ،
مَا لِلْأَبْوَابِ الْمَفْتُوحَةِ فِيهَا
حِينَ أَرَاهَا، تُغْلَقُ؟

كَلَّا، لَمْ يَتَغَيَّرْ شَيْءٌ
إِنِّي قَدْ طَوَّلْتُ
وَالدُّنْيَا زُرْتُ.

سنة ٧٧ هجرية.

* أَجْمَلُ الْأَنْجَمِ الْمُضِيئَةِ، فِي هَذِهِ
الْأَرْضِ،
فِي قُبَّةِ الْغُرَابَةِ،
نَجْمَةٌ إِسْمُهَا الْكَآبَةُ.

○ قال الزاوي:

مَاتَ شَبِيبٌ، عَرَقًا فِي نَهْرِ
دُجَيْلٍ،

زَلَّتْ فَرَسُ الْفَارِسِ:

يَا لِلْمَوْتِ الْبَائِسِ.

قَالَ الْحِجَاجُ: خُذُوهُ، شُقُّوا
الْصُدْرَ، وَهَاتُوا الْقَلْبَ: رَأَوْهُ

كَالصَّخْرَةِ، ضَلْبًا.

ضَرَبُوا الْأَرْضَ بِقَلْبِ شَبِيبٍ،
صَارَ يَرْدٌ وَيَغْلُو.

وَتَى الزاوي:

قَالَتْ أُمُّ شَبِيبٍ: «كُنْتُ رَأَيْتُ
بِنُؤْمِي، فِيمَا أَحْمَلُهُ، أَنَّ شَهَابًا
يَخْرُجُ مِنِّي - لَا يُطْفِئُهُ إِلَّا مَاءٌ.»

وَتَى الزاوي: «فَوْقَ حَصِيرِ
فِي كُوخٍ، يَبْكِي حَلْمٌ
مَكْسُورٌ.»

- ٢ -

أَرْضٌ - صَوْتُ سُمِّ، وَصَدَى زُنْبِيخِ
وَالرَّيَاثُ رُؤُوسٌ مَقْطُوعَةٌ.

أَرْضٌ تَتَوَكَّأُ وَالظُّلُمَاتُ لَهَا عُكَّازٌ.

مِنْ أَيْنَ يَجِيءُ الضُّوءُ، وَكَيْفَ يَجِيءُ لَهْدِي
الْأَرْضِ الْمُنْقُوعَةَ

بِدَمِ التَّارِيخِ؟

○ قال الراوي:

قتلوا قَطْرِيًّا: حَزَوا رَأْسَهُ -

زَلَّتْ فَرَسُ الْفَارِسِ

وَهَوَى فِي شَيْبٍ -

يا للموتِ الْبَائِسِ.

وثى الراوي:

قتلوا إِبْنَ هَلَالٍ، آخِرَ رَأْسِ

فِيهِمْ.

وثى الراوي:

قُتِلَ ابْنُ الْمَغِيرَةِ، وَاخْتَزَّ رَأْسَهُ.

* ما أَوْضَحَ التَّارِيخُ: سَيْفٌ عَلَى

عُنُقِي، وَرَبُّ سَاهِرٍ يَزْحَمُ.

مطرز بن المغيرة.

قطري بن الفجاءة الشاعر
الخارجي، سنة ٧٨ هجرية.

عبدة بن هلال من متأهبي
الخوارج وشمرائهم
وخطبائهم.

- ن -

قَامَ جَبْرِيلُ مِنْ نَوْمِهِ مَرَّةً
لَمْ يُحْرَكْ جَنَاحَيْهِ، أَلْقَى
حَوْلَهُ نَظْرَةً
فَرَأَى يَغْرِباً نَائِماً
وَعَلَى صَدْرِهِ رَقِيمٌ
غَيْرَ مَا كَانَ يُوحِي وَيُؤْمَلِي
لَمْ يَنْبَهْ قُرَيْشاً
عَادَ لِلنُّومِ مُسْتَسْلِماً لِرَوْأِهِ وَأَسْرَارِهَا.

الإشارة إلى الحارث بن سعيد
الدمشقي الذي وُصف بأنه
النبي الكذاب. حبسه عبد
الملك بن مروان، ثم صلبه،

سنة ٧٩ هجرية.

○ قال الزاوي:

أعجوبة الحياة:

«يأتي إلى رُحامة يتقرؤها،

تَرُنُّ بِالتَّسْبِيحِ وَالصَّلَاةِ.»

كان يُحِبُّ صَخْبَةَ:

يُطْعِمُهُمْ فَاكِهَةَ الشِّتَاءِ

فِي صَيْفِهِمْ،

يَجْعَلُ مِنْ صَيْفِهِمْ شِتَاءً.

كان يقول لهم:

«أَقْدَرُ أَنْ أُرِيكُمْ الْمَلَائِكَةَ.»

وَتَمَّى الزاوي:

صَلْبُوهُ قَرَبَ دِمَشْقٍ فِي بَسْتَانٍ

مِثْلَهُ دِمَشْقٍ - بَيْنَ الْجُدْرَانِ،

وَفَوْقَ الْجُدْرَانِ، وَتَحْتَ

الْجُدْرَانِ.

* إَسْأَلُوا الضُّوءَ: لَا، لَنْ يَقُولَ إِلَى
أَيْنَ يَمْضِي، وَلَا كَيْفَ جَاءَ.

- س -

أَكْتُبُ الْآنَ مَا يَقْرَأُ الْمَوْتُ: هَذَا
الْفِضَاءَ الَّذِي تَتَقَطَّعُ فِيهِ الرَّؤُوسُ،
وَأُحْيِي
بِاسْمِ أَتْرَاحِهِ وَأَفْرَاحِهِ
كَزَمَةِ التَّائِهِيْنَ، السُّقَاةِ، التَّدَامِي
وَأَوْجَاعِهِمْ، وَالكَؤُوسِ،
أَكْتُبُ الْآنَ - مَهْلًا،
أَسْمَعُ خَطْوَ الْمَلُوكِ الْمَجُوسِ؟

○ قال الزاوي:

كان الجهنني يقول: «الإنسانُ
مُرِيدٌ قَاطِرٌ،
وَلَهُ مَا شَاءَ»، فَسَمِّيَ كَافِرًا.
صَلِبُهُ حَيًّا،
قِيلَ: احْتَزَوْا رَأْسَهُ.
وَلَهُ أَتْبَاعٌ قَالُوا عَنْهُ:
«خَيْرَ الدُّنْيَا كِي يَرِيحَ نَفْسَهُ.»

وثى الزاوي:

أثره، كما أكد الجهنني، القدر
كرة في يد البشر؟

* قال لي:

وَجْهَتِي فِي اتِّحَاءِ الْجِهَاتِ،
وَشَكِّي مِمَّا تَبَقَّتْهُ،
وَفِي مَا تَبَقَّتْهُ.

معبد الجهنني، صلبه عبد
الملك بن مروان سنة ٨٠
هجريّة.

○ حَدَّثَ الرَّاويَةُ :

أَكَلَ الْجَمْرَ إِلَى أَنْ مَاتَ : بِهَذَا
حُكْمِ الْحُجَّاجِ عَلَيْهِ .

وَتَى الرَّاوي :

زَمَنَ : مَرَكَبَ سَمِعَ
يُجْرُ فِي أَمْوَاجِ الْعَيْنِ .

- ع -

أَسْحَابَةٌ تُلْقِي عِبَاءَهَا عَلِيٍّ؟ حَفِيفُهَا

لَعْنَةُ التَّجُومِ الْآفِلَةِ -

يَبِيَّةٌ، وَقَافِلَةٌ تُضَيِّعُ قَافِلَةَ .

وَأَنَا الشَّهَادَةُ - حَائِرًا يَهْذِي

كَمَنْ يَمْشِي عَلَى أَشْلَائِهِ

يَمْشِي وَيَرْتَجِلُ الْفَضَاءَ

وَأَنَا الشَّهَادَةُ - أَرْضُنَا

طُمَسَتْ

لِكَثْرَةِ مَا تَرَاكَمَ فَوْقَهَا مِنْ أَنْبِيَاءَ .

* إِنْ كَانَ هُنَاكَ جَمَالٌ

فَهُوَ الْخَرْقُ - أَفِيئُوا، وَاعْصُوا

لَا تَعْصُوا إِلَّا الْعَادَةَ .

الإشارة إلى ابراهيم بن يزيد
التميمي الكوفي، سنة ٨١
هجريّة .

- ف -

لَنْ أَقُولَ لَكُمْ كَيْفَ عَاشُوا، وَكَيْفَ
يَعِيشُونَ، أَوْ كَيْفَ جَاءَتْ إِلَيْهِمْ - عَنِيتُ
الْقُبُورَ، وَلَا كَيْفَ كَانُوا يَهْبِطُونَ إِلَيْهَا
بِأَجْسَامِهِمْ كُلِّهَا أَوْ بِسَاقِينِ، أَوْ كَتَفَيْنِ
وَصَدْرِي. لَنْ أَقُولَ لَكُمْ كَيْفَ كَانَتْ تَجِيءُ
الرِّمَاحُ، تُثَقِّبُ أَجْسَادَهُمْ.

لَنْ أَقُولَ لَكُمْ كَيْفَ جَاؤُوا بِهِمْ

جُثَّتًا - مِنْبَرًا عَالِيًا مِنْ رَمَادٍ

خَطَبُوا فَوْقَهُ، وَصَلُّوا.

أَصْدِقَاتِي - كَلَّا،

لَنْ أَبُوحَ بِأَسْرَارِهِمْ.

○ حَدَّثَ الرَّوَايَةَ:

وَقَعَةُ الدُّبَيْرِ -

ذُبَيْرِ الْجَمَاعَةِ،

هَلْ يُعْبَرُ عَنْهَا اسْمُهَا؟

مِنْ تَهَاوِيلِهَا،

يَجِسُّ النَّاسُ أَنْفُسَهُمْ،

وَتَتَنُّ الْمَعَايِمَ.

وَتَى الزَّوَايَةَ:

ضَرَبَتْ عُنُقَهُ لَا لِشَيْءٍ،

سِوَى أَنَّهُ مِنْ صِحَابِ عَلِيٍّ.

سنة ٨٢ هجرية

والإشارة إلى كميل بن زياد
التخمي.

* منبذون، ولكن

في كل صعود، أو كل هبوط

نحو جذور المعنى،

أثر منهم.

- ص -

كَيْفَ أَقْفُو خُطَاهُمْ، وَأَحْلَمُ أَحْلَامَهُمْ، وَأَنَا
نَفِيَهُمْ؟

وَلَايَامَهُمْ وَأَعْمَالِهِمْ سُدُودٌ
جَرَفَتْهَا خُطَايَ / خُطَايَايَ أَنِي

لَا أزالُ أَعْنِي

كِي أَوْسَعَ آفَاقَهُمْ،

وَأَحَبَّ خُطَايَايَ مِنْ أَجْلِهِمْ.

فَلَأَقُلُّ: لِيَنَّهُمْ هَجِيرٌ

وَأَنَا فَيَنَّهُمْ.

الإشارة إلى أصحاب عبيد
الرحمن بن الأشعث. قيل إن
الحجاج قتل منهم مئة وثلاثين
الفأ. بينهم علماء كثيرون،
منهم: مالك بن دينار،
الحسن البصري، عبد الرحمن
بن أبي ليلى، الشعبي، ابن
مسعود، أبو البختري،
المعمر بن سويد، عمران بن
عصام الضبيعي.

والحوار بين الحجاج وهذا
الأخير، سنة ٨٣ هجرية.

○ قال الزاوي:

مثنى وفردى

يقتلهم صبراً، -

- «لَنْ تُفْلِتَ مِنِّي حَتَّى تَشْهَدَ
أَنَّكَ تَكْفُرُ،

- كلاً، لم أكفر منذ آمنْتُ،

- خذوه، خزوا رأسه.

وثى الزاوي:

لا نُدري - أترأه المعنى، منبوذاً
يتشردُ في بقاء الشكل؟ أشكلُ
يتشردُ منبوذاً

في بقاء المعنى؟

* تَحْتَفِي تَبَارِيحِهِ،

يَتَعَهَّدُ مِيرَاثَهُ - غَاضِباً، حَانِيّاً

وَيَتَابِعُ تَرَحَّالَهُ.

○ قال الزاوي:

قِيلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ، حَزَّوْا رَأْسَهُ
وَرُوَّسَ الْبَاقِيْنَ مِنَ الْأَنْصَارِ
الْخُلَصَاءِ،

طَيْفَ بَرَأْسِ ابْنِ الْأَشْعَثِ فِي
بَغْدَادَ وَمَصْرَ وَالشَّامَ، وَقَالُوا:
قَطَعَ الْحَجَّاجُ رُوْسًا أُخْرَى
لِلْعُلَمَاءِ.

وَتَى الزاوية:

إِنهَا أَرْضُنَا فِي ثِيَابِ الْجِدَادِ:

أَتَرَى تَعْرِفُ الثَّمَرَ الْمُرَّ، تَعْرِفُ
مَاذَا يُبْرُ الْحَصَادُ؟

- ق -

هُوَذَا السَّجْنُ وَالْقَتْلُ وَالصَّلْبُ، ثَالُوثُ هَذَا
الْمَكَانِ

وَالزَّمَانُ الْمَهْرَجُ وَالْمَهْرَجَانُ -

وَأَنَا، لَا طَرِيقِي جِنَانًا، وَلَا خَطَوَاتِي جَحِيمًا

لَا تُغَيِّرُ نِدَاءَكَ، يَا أَيُّهَا الْبَدَوِيُّ الَّذِي فِيَّ،

يَا أَيُّهَا الْبَدَوِيُّ الْكَرِيمُ،

جَاحِمًا، أَتَنْعَمُ فِي قَيْدِكَ السَّاجِرِ،

فِيهِ أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَى نَفْسِهَا -

أَهْ، يَا أَسِيرِي.

الإشارة إلى عبد الرحمن بن
الأشعث، سنة ٨٤ هجرية.

بين هؤلاء العلماء: أيوب بن
القرية، عبد الله بن الحارث
ابن نوفل، سعد بن إياس
الشيبياني، عبد الله بن قتادة.

* يُوقِظُ الشَّمْسَ مِنْ نَوْمِهَا
وَيُرْسُ عَلَى وَجْهِهَا مَاءَهُ.

خَلَفَ أَيَامِنَا السَّاهِرَةَ
صَائِدٌ، يَتَرَصَّدُ غَزْلَانَهَا النَّافِرَةَ،
وَالسَّمَاءَ رِدَاءً لِأَحْلَامِنَا
كَلَّمَا مَرَّقَتْهُ مَرَارَاتُنَا وَالْهَمُومُ،
رَقَعَتْهُ الْغُيُومُ -
إِنهَا آخِرُ الْكَلِمَاتِ الَّتِي قَالَهَا نَبِيٌّ
قَضَى يائِسًا.

حوار بين عبد الملك بن
مروان وأحد مقرّبيه،
سنة ٨٥ هجرية.

الكلام لعبد الملك بن مروان.

* صَوْرِي أَنْتِ، أَيُّهَا الْمَعْصِيَةُ
جَسَدَ الْأَغْنِيَةِ،
وَاقْرَأِي هَيْتَ لَكَ
عَاشِقِي، أَيُّهَا الْفَلَكُ.

○ حَدَّثَ الزَّوَاهِي:

- «ثَبَّتْ، يَا سَيِّدِي، عَاجِلًا،
- ثَبَّتْ قَبْلَ الْأَوَانِ،
لَأَنِّي أَعْرَضَ عَقْلِي
عَلَى النَّاسِ، فِي كُلِّ جُمُعَةٍ.»
جَفِيَّةٌ، كَانَ يَمْسُحُ
دَمْعَهُ.

وَتَى الزَّوَاهِي:

قَالَ فِي خُطْبَةٍ:

«كُلُّ مَنْ قَالَ لِي:

«اتَّقِ اللَّهَ»، أَقَطَعُ رَأْسَهُ.»

- ش -

رَأْسُهَا شَامِخٌ، تَبَخَّرَتْ، نَحْوُ،
تَلَقَّتْ: عَيْنَانِ أَفْقٌ،
وَقَرْنَانِ - بَدْرٌ وَهَالَةٌ.
عَلَّمِينَا شُرُودَ الْبَدَاوَةِ، حَرِيَّةَ الْبَدَاوَةِ،
يَا هَذِهِ الْعَزَالَةَ.

الإشارة إلى عبد الملك بن
مروان،

وإلى عمرو بن سعيد بن
العاص، وكان عبد الملك قد
ولاه العهد بعد ابنه، ثم
قتله.

○ وَثْنَى الزَّأْوِيَةَ:

قَالَ فِي خُطْبَةٍ -

«أَيُّهَا النَّاسُ، عِنْدِي دَوَاءٌ وَحِيدٌ
لِكَيْ تَسْتَقِيمُوا»،
وَأَشَارَ إِلَى سَيْفِهِ.

وَثْنَى الزَّأْوِيَةَ:

«قَالَ عَمْرُو، وَقَلْنَا

كَانَ سَيْفِي أَسْرَعَ مِنْ رَأْسِهِ.»

وَثْنَى الزَّأْوِيَةَ:

شَجَرٌ يَتَسَاقَطُ مِنْ أَجْسَامٍ، مِنْ
أَرْوَاحٍ، -

سَيَقَالُ تَحْيِرٌ فِيهِ

مِشْطُ الْجَنَّةِ.

* يَخْرُجُ الضُّوءُ مِنْ نَفْسِهِ،
كَيْ يُلَاقِيَ أَطْيَافَهُ.

- ت -

يَقْرَأُ الْفَجْرُ مَا كَتَبْتَهُ خُطَايَ - دُرُوبِي

لَعَنَهُ لَا يَرَاهَا سِوَاهُ،

وَأَرَى النَّاسَ شَطْرَيْنِ: شَطْرًا

يَقْتَدِي بِالذَّنَابِ، وَشَطْرًا

يَهْتَدِي بِالتَّعَامِ

أَه، أَتَى، وَكَيْفَ سَاكَبُ مَرْتَبَةً

لِلْكَلامِ؟

○ قال الراوي:

إِنَّ مَرْوَانَ

يُسَلِّمُ أَنْفَاسَهُ لِلْهَيْبَاءِ،

كَمْ زَهَا، كَمْ تَعْنَى:

«شَرِبْتُ الدَّمَاءَ».

وثى الراوي:

أَوْصَى وَلِيَّ عَهْدِهِ الْوَلِيدَ:

«صَغَّ سَيْفَكَ عَلَى عَاتِقِكَ، فَمَنْ

أَبْدَى ذَاتَ نَفْسِهِ، فَاضْرِبْ

عُنُقَهُ، وَمَنْ سَكَتَ، مَاتَ

بِدَائِهِ.»

وثى الراوي:

عَزَّشْ - تَمَثَّلْ عِظَامِ.

* أَلْصَبَاحُ انْحَنَى فَوْقَهُ

وَأَنْحَنَى فَوْقَهُ الْمَسَاءُ:

لَا يُبَاحُ بِهَذَا لِعَيرِ السُّرَاةِ مِنْ

الْأَصْدِقَاءِ.

الإشارة إلى موت عبد الملك
بن مروان سنة ٨٥ هجرية.

- ث -

أَتَحْمَلُ أَعْبَاءَ أَرْضِي -
أحلامها والهموم،
غيرَ أَنِّي لا أتقدّم - أمشي، كأنِّي
في القيد أمشي.
أتراني عَرَّافٌ هذا العُبارِ،
وتَحَاتُ هذي الغيوم؟

حوار بين عبد الملك بن
مروان والأخطل.

○ حَدَّثَ الرَّاوِيَه:

- «صِفَ لِي السُّكْرَ، يَا أَخْطَلُ»،

- «زَهْوٌ فِي أَوَّلِهِ،

وَصُدَاعٌ فِي آخِرِهِ،

مَا بَيْنَهُمَا،

لَا وَضَفَ لَهُ.»

- «مَاذَا تَعْنِي؟»

- «إِذَا مَا نَدِيَمِي عَلَّنِي،

ثُمَّ عَلَّنِي

ثَلَاثَ زَجَاجَاتٍ

لَهُنَّ هَدِيرٌ،

خَرَجْتُ أَجْرُ الدَّيْلَ تِيهَا، كَأَنِّي

عَلَيْكَ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَمِيرُ.»

* أَلْكَالَامُ النَّبِيِّ الْمُطَارِدُ ذَيْبٌ،
وَهُوَ جِسْمٌ وَبَيْتٌ لَهُ.

○ حَدَّثَ الرَّاويهِ :

سُمِّيَ رَشْحَ الْحِجَارَةِ،
مِنْ بُخْلِهِ.

وَتَى الرَّاويهِ :

يُقَالُ، لَمَّا وُلِّيَ
الْحِلَاقَةَ،

جَاوَزَهُ بِالْمَصْحَفِ
قَلْبُهُ، أَطْبَقَهُ،

وَقَالَ :

«إِذْهَبْ عَنِّي

هَذَا آخِرُ عَهْدِكَ بِي»

أَوْ قَالَ :

«هَذَا آخِرُ عَهْدِي بِكَ.»

- خ -

الْتَبَوَاتُ ثَوْبٌ

نَسَجَتْهُ بِأَهْدَابِهَا أَرْضُنَا

وَالسَّمَاءُ وَأَفْلَاكُهَا تَدُورُ عَلَى أَرْضِنَا -

فَلِمَاذَا

كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهَا خَوَاءٌ؟

وَلِمَاذَا كُلُّ شَيْءٍ أَصَمٌّ وَأَعْمَى؟

وَلِمَاذَا

تَتَدَوَّرُ فُقَاعَةٌ مِنْ زَبْدٍ؟

أَهْ مِنْ أَرْضِنَا وَوَاهَا عَلَيْهَا

أَبَدٌ مِنْ قِيودِ

سَابِحٍ فِي أَبَدٍ.

* يَغْسَلُ الْأَبْجَدِيَّةَ مِنْ لُغَةِ مُظْلِمَةٍ

تَتَرَسَّبُ فِيهَا، وَتَطْفُو عَلَيْهَا

هَذِهِ الْكُرَّةُ الْمُتَحَمَّةُ.

الإشارة إلى عبد الملك بن مروان.

- ذ -

عَبَثًا أَقْرَأُ الظَّلَامَ

عَبَثًا أَقْرَأُ الضُّوْءَ، لَا شَيْءَ غَيْرُ الخَلِيطِ

المُقْتَعِ، فِيهِ

يَتَرَاءَى الظَّلَامُ ضِيَاءً،

وَالضِّيَاءُ ظِلَامًا

أَتْرَاهُ السَّرَابَ؟ وَلَا شَيْءَ غَيْرِ التَّحْيِيرِ فِيهِ،

وغيرُ التَّنْبُوِّ،

لَا شَيْءَ غَيْرِ الكَلَامِ.

○ قال الزّواوي:

قال عمر بن عبد العزيز:

«الوليدُ بالشّام، والحجاجُ

بالعراق، وعثمان بن جبّارة

بالحجاز، وقرّة بن شريك

بمصر، - امتلأت الأرضُ،

والله، جُوراً.»

وتنى الزّواوي:

هل كلُّ هبوطٍ معراجٌ صعودٍ؟

* حُرّاً، وأسيراً لهواءِ الحرّيةِ، -

دَوْبٌ شَمْسِيٌّ فِي مِلْحِ اللَّيْلِ،

يا هذا السَّيْلُ.

- ض -

لِلأَمِيرِ وَأَبْنَائِهِ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَائِهِ،
يَسْكُبُ التَّابِعُونَ: الْبِلَادَ، الْحَيَاةَ، الزَّمَانَ
فِي قِصَاعٍ -
يَرِضُونَ أَجْنَادَهُمْ حَوْلَهَا:
طَائِفٌ يَتَشَى،
أَكِلٌ يُفْتَنُ.

حوار بين الخليفة الوليد
وابراهيم بن أبي زُرعة، سنة
٨٨ هجرية.

* لا تكتب أرض الحرية
إلا لغةً وخشيّةً.

○ حدّث الزاوية:
- «أثراه الخليفة يُحَضِّرُ،
يَوْمَ الْحِسَابِ، يُجَابَسُ
كَالْآخِرِينَ؟»
- «لماذا، إذن
هَدَّدَ اللهُ دَاوُدَ
وَهُوَ الْخَلِيفَةُ،
وَهُوَ النَّبِيُّ؟
تُرَى أَنْتَ أَكْرَمُ مِنْهُ؟»

وثنى الزاوية:

أثراه يمين اللقاء

بين مرمى خرافاتهم والدواء؟

○ حَدَّثَ الزَّوَاهِيَةَ :

«إِنَّ مِنْ دِينِنَا

قَتَلَ مَنْ كَانَ مِنَّا -

وَمِنْ غَيْرِنَا، كَافِرًا،

لَا يَرَى رَأْيَنَا.»

- ظ -

لِحَيَاتِي - بَيْتًا مِنْ قَصَبٍ

مُلْكًا لِهُبُوبِ الْحَلِيمِ،

وَجُرْحًا

نَبَوِيِّ الدَّاءِ،

لِحَيَاتِي - رَمزًا،

يَعْلُو الشَّعْرُ سِرَاجًا

فِي لَيْلِ الْأَشْيَاءِ .

الإشارة إلى رأي كان يقول به
مسلمون كثيرون، سنة ٩٠
هجريّة.

* هِيَ ذِي الشَّمْسِ فِي جُرْحِهِ،

فِي سَرِيرِ مَنَامَاتِهِ -

تَتَزَوَّجُ أَهْدَابُهَا مَصَابِيحَهُ .

○ وَتَنَى الرَّاوِيَةُ:
«قَبَّحَ اللهُ دِيناً
لا يَتَمُّ بِغَيْرِ الْقِتَالِ،
وَسَفَكَ الدِّمَاءَ».

- غ -

أَخْتَفِي، هَذِهِ اللَّيْلَةَ، الْآنَ، فِي هَذِهِ
اللَّحْظَاتِ، بِمَا هَامَ، أَوْ جُنَّ، أَوْ حَنَّ
فِي سَعَفٍ أَوْ قَصَبٍ -

إِنَّهُ عِيدِي الْمتَفَرِّدِ، بَيْنَ دَائِي الْأَثِيرَةِ،

عِيدُ الْمَرَاتِ،

عِيدُ الْأَقَاصِي،

وَعِيدُ التَّعَبِ.

تُنسب هذه العبارة للجاحظ
الشَّيبَانِي، مَخَاطِباً سُوَيْدَ
الْخَارِجِي،

سنة ٩٠ هجرية.

* ظَلَّهُ شَاعِرٌ آخَرٌ،
مِثْلَ طَيْفٍ - يَفِيءُ إِلَيْهِ،
وَيُسَافِرُ فِي وَجْهِهِ.

فاصلة استباق

هُوَذَا أَمَامَكَ بَابُ التَّارِيخِ

«اخْلَعْ نَعْلَيْكَ»

يَمِينًا يَسَارًا اسْتَقِيمَ

من شيء يشبه القبر تبدأ الحكاية ليس صَغَبًا أَنْ نَتَخَيَّلَ قَبْرًا يَتَكَلَّمُ وَحِيدًا قَبْرًا، آخَرَ
يُنْخَرِطُ فِي حَوَارٍ آخَرَ يَنْتَمِي إِلَى جَوْقَةٍ
يمكن القول أيضاً: القبرُ وَجْهٌ.

عندما نقولُ عن شيءٍ إنه وَجْهٌ نقدر أن نقول عنه إنه كائِنْ حَيٍّ مَا دَمَتْ تَرْفُضُ أَنْ تَنْسَى
الوجهَ أو تهجره، وهو هنا القبر، فالقبرُ يَبْتَ لَكَ

مع ذلك ليس القبرُ إلا شكلاً - هيكلًا - لكن حين نتكلَّمُ معه نتكلَّمُ مع شيءٍ ليس موجوداً
داخل هذا الشكل - الهيكل

هل الأعناقُ الرُّؤُوسُ قبورُ عائمة؟

لَمْ إِذْنِ هَذِهِ الْأَعْنَاقُ الَّتِي تَزِينُ السَّاحَاتِ؟ لَمْ إِذْنِ، هَذِهِ الرُّؤُوسُ الَّتِي تَزَخَرُفُ الْجُدْرَانَ؟

هل التاريخُ قبرٌ على صورةِ النُّجْمِ؟

«كَانَ قَيْسُ بْنُ الْمُلَوَّحِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَجْنُونُ، يُخْرُجُ إِلَى الشَّامِ وَيَسْأَلُ: أَيْنَ أَرْضُ بَنِي عَامِرٍ؟
وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: أَيْنَ أَنْتَ مِنْهَا؟ عَلَيْكَ بِذَلِكَ النُّجْمِ!»،

في اهتدائه، كان يسمع كلاماً سمع مرة:

«إِنِّي وَهَذِهِ الزُّرَافَاتُ لَا أَجِدُ أَحَدًا يَسِيرُ فِي زُرَافَةٍ إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ، وَاسْتَحَلَلْتُ
مَالَهُ».

ومرة، سمع:

«يَا أَهْلَ كَذَا، إِنَّ الشَّيْطَانَ اسْتَبْطَنَكُمْ خَالِطَ اللَّحْمِ وَالدَّمِ وَالْعَصَبِ وَالْمَسَامِعِ وَالْأَطْرَافِ
ارْتَفَعَ وَعَشَّشَ بَاضٍ وَفَرَّخَ ذَبَّ وَدَرَجَ حَشَاكُمُ نِفَاقًا وَشِقَاقًا أَسْعَرَكُمُ خِلَافًا
اتَّخَذْتُمُوهُ دَلِيلًا تَتَّبِعُونَهُ وَقَائِدًا تَطِيعُونَهُ وَمُؤَامِرًا تَشَاوِرُونَهُ

كيف تنفَعُكمُ تجرِبَةٌ أَوْ يَنْفَعُكمُ بَيَانٌ؟».

وَكَانَ الْمَجْنُونُ، حِينَ يَسْمَعُ

يَطْمَئِنُّ إِلَى أَنَّهُ وَحِيدٌ.

- هل التاريخُ
تجمعيٌّ في وجه
الفجر؟

- هل التاريخُ
مسرَّحٌ دُمِي
وقاعات؟

- افركوا وَجْهَ
الليلِ بِمَاءِ
الورد.

«... هكذا تمّ حلولُ التعب والآلام بوصولِ أبي الذَّهب إلى دمشق الشَّام مَجْهَزاً من علي بيك زعيم المالك
بجيشٍ كبيرٍ وفتوى من المذاهبِ الأربعة

نَصَبَ القنابلَ على القلعة وعلى البلدة هَدَمَ من الجامع الأموي ما هَدَمَ استمرَّ أهل
الشَّام بعد ذلك في عظيم الشدة والضيق

كان سَبَبَ جميع ما وَقَعَ، بقضاء الله تعالى، على أهل هذه البلدة المقدَّسة، الظلمُ والتَّعدي وتوليَّةُ
الأمور لغير أهلها. قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «إِذَا وَسَدَ الأَمْرُ لغيرِ أهلهِ، فَارْتَقَبُوا السَّاعَةَ».

ولم يقدر أحدٌ أن يتكلَّم

نَسألُ اللهُ سبحانه بالأنبياءِ العظام

بالملائكة الكرام

أَنْ يُلْهِمَ الدَّوْلَةَ العليَّةَ الانتقام

مِنْ كان السَّبَبَ في تحريكِ هذه الأمور

وتخريبِ البلاد

وإيذاء العباد،

ونهبِ الأموال.

إلى هُنا،

جَفَّ القَلَمُ

بما وَقَعَ وَرَحِمَ

بدمشق الشَّام

صَيَّتْ عن الآلام

على أمدِ الأيَّام

ما نَاحَ حَمام

وَهَظَلَ غَمامٌ -

آمين.»

- إلى أين سيقودنا التَّجْمُ الذي نُنتَدي به؟ وهل التاريخُ مُشجِبٌ نعلَقُ عليه الرُّوس؟

- يسأل، يريد أن ينشر ملح القوضى

- أن يجلسَ على كرسِيِّ الموج، ويزعَمُ أنَّ الهراءَ يصطادُ السَّماءَ.

بلى، نشهد جَهراً

أَنَّ ذلك التَّائِهَ (بجنونٍ آخر).

«حينَ تَناوَلَ من الكعبةِ حجراً

وثنَى الحجِرُ من يده،

- ادعكوا جَسَدَ الثَّهارِ بالياسمين.

وعادَ إلى موضعه» -

وكان القرمطي، في السنة ٣٢٠ للهجرة، قد باع الحجر الأسود بثلاثين ألف دينار. ولما أراد أن يُسلمه للذين اشتروه، (وقيل: لما رضي أن يُعيده)، أحضر جماعة من أهل الكوفة، وقال: «أشهدوا أنهم تسلموا الحجر الأسود»،

بعد الشهادة والرضى بأن ما تسلموه هو نفسه الحجر الأسود، قال:

«يا مَنْ لا عقلَ لهم

من أين لكم أن هذا هو الحجر الأسود؟

لعلنا أخضرنَا آخرَ

من هذه البرية،

عوضاً عنه».

- إلى أين سيقودنا التجمُّ الذي نُنتدي به؟

هَوَامِش



- I -

لقيط بن يعمر الإيادي

أَفْرَعْتَ إِيَادَا، لَكِنْ

لَمْ يَتَرَدَّدْ كِسْرَى فِي قَطْعِ لِسَانِكَ

هَلْ كُنْتَ أَسِيرَ وِفَاءٍ،

أَمْ كُنْتَ أَسِيرَ بِيَانِكَ؟

قُلْ لِإِيَادٍ: شِعْرِي صَارَ الْآنَ، لِسَانِي،

قُلْ لِلشَّعْرِ: اخْضُنِّي، -

سَوَيْتُكَ قَبْرًا

وَتَخَذْتُكَ أَهْلًا.

كان كاتباً في ديوان كِسْرَى،
سابور ذي الأكتاف. رآه
ينوي غزوَ إِيَادِ، فكتب إليهم
رسالةً - قصيدةً يحذّرهم.
وقعت الرسالة بيد كِسْرَى،
فقطع لسانَ لقيط، وغزا
إِيَادَا. يقول في القصيدة -
الرسالة: «يا لهف نفسي، إن
كانت أموركم
شئى، وأخيم أمرُ الناسِ،
فاجتمعاً».

- II -

بِشْرِ بْنِ أَبِي خَازِمِ الْأَسَدِيِّ
يَا هَدْيِ الْأَشْيَاءِ،

قَوْلِي أَسْمَاءَكَ: مَاذَا، كَيْفَ، وَأَيْنَ؟

الْإِسْمُ حَيَاةٌ - لَكِنْ،

مُنْذُ وُلِدْتُ، وَمُنْذُ سُمِّيتُ، أَعَاشِرُ

مَوْتِي

وَأَسَائِلُ: مَاذَا تُجَدِّي

فِي أَرْضِ الْعَرَبِيَّةِ، أَرْضِ الْمَوْتِ،

الْأَسْمَاءُ؟

أَرْضٌ - مُخْتَبِرٌ لِلصَّوْتِ

لَا يَنْطَقُ فِيهَا إِلَّا الْمَوْتُ.

كان فارساً شجاعاً عرف حياة
الأسر، ومات في إحدى
غاراته.

يصف الإنسان بأنه «رهين
بلى»، ويقول في إحدى
قصائده: «كفى بالموت نأياً
واختراباً».

- III -

الأخنس بن شهاب التغلبي

إن يكن هؤلاء العباد

بُدِرُوا مِثْلَ زَرْعٍ يُعَدُّ لِيَوْمِ الْحِصَادِ،

فلماذا التردُّدُ في العَيِّ؟ هَيَّا -

مَرْحَباً بِالغَوَايَةِ

بَلَدًا قَارِسًا، وَرَايَةَ.

كان اسمُ فرسه القَصَا، وكان يُسَمَّى «فارسَ القَصَا» يقول في إحدى قصائده: «وقد عشتُ دَهْرًا، والسُّورَةُ صِحَابَتِي.»

- IV -

عوف بن الأحوص

حَيَارَى - يَجُوبُونَ الصَّحَارَى : هَجِيرُهَا

خِيَامٌ لَهُمْ . أَنَّى تَقَرُّ عُيُوثُهُمْ

وليس لهم للنوم إلا سريرها؟

هُمُ صَوْتُ هَذِي الْأَرْضِ - تَجْمَعُ بَعْتَهُ

وَهُمْ قَدْرُهَا - فَارَتْ دَمًا، وَنَذِيرُهَا،

«فلا تسأليني، وأسألني عن خليقتي

إذا ردّ عافي القدر من يستعيرها،

ترني أن قدري لا تزال كأنها

لذي الفزوة المفور، أم يزورها.»

كان سيداً في قومه، وهو ابن
عم الطفيل، والد عابر بن
الطفيل. والبيتان الأخيران من
قصيدة له.

- ٧ -

السَّمَوَالُ

كيف أعطيتَ عينيكَ للماء، أُنَى وكيفَ

قرأتَ الثِّبَاتَ؟

يَا سَمَوَالُ، قل لي:

هل وفاؤكَ للموتِ أم للحياة؟

صِرْتَ مِثْلَ الأَثِيرِ - يُدَاعِبُ سَجَادَهُ

بأصابعٍ مِن حِكْمَةٍ

في رواقِ حَمِيمٍ

ليس من ذلك الزَّمانِ

ولا ذلك المكانِ،

والفُصُولُ له تُرْجَمَانِ.

يا سَمَوَالُ، قُل لي:

كيف تَزَجُّمَتِ لَيْلَ الطَّبَاعِ، وكيفَ

نَسَجَتَ له الأَغْنِيَاثَ؟

اشْتَهَرَ بوفائه. وهو القائل في إحدى قصائده: «يُقَرَّبُ حُبُّ المَوْتِ أَجَانًا لَنَا وتكرهه أَجَالُهُم فتطولُ».

- VI -

المتلمس

هَذَا سُهَيْلٌ، وَهَذِي نَارُهُ - قُيِّسَتْ :

لَا شَيْءَ، فَالْتَجَمُ لَا يُعْطِي وَلَا يَعْدُ

أَغْرِقُ جِرَاحَكَ فِي كَأْسِ تَعَاشِيرِهَا

وَلَيْسُ طَاحِ الرِّاسُ، وَتُتَشْرَدُ بِكَ الكَبْدُ

لَكَ التَّرْحَلُ مِثَاقٌ، إِذَا صَعُرَتْ

عَلَيْكَ أَرْضٌ، وَضَاقَ النَّاسُ وَالبَلَدُ

«فَلَا يُقِيمُ عَلَى حَسْفٍ يُرَادُ بِهِ

إِلَّا الأَدْلَانِ: عَيْرُ الحَيِّ، وَالْوَتْدُ

هَذَا عَلَى الحَسْفِ مَعْقُولٌ بِرُمْتِهِ

وَدَا يُشْحُ، فَلَا يَبْكِي لَهُ أَحَدٌ.»

هو خال طرفة بن العبيد،
مات في بصرى (سورية)،
في إحدى رحلاته. وفي
البيت الأول إشارة إلى قوله:
«وقد أضاء سُهَيْلٌ، بعدما
هَجَعُوا

كأنه ضرم بالكف مقبوس».

والبيتان الأخيران له.

- VII -

المرقش الأصغر

أَتَحَيَّلُ تِلْكَ الْبُؤَادِي وَنَبَاتَاتِهَا السَّاهِيَةَ

تَتَحَدَّثُ عَنْ فَاطِمَةَ

عَنْ جَمَالِكَ، مُسْتَسْلِمًا

لِلشَّبَاكِ الْحَبِيبَةِ - تِلْكَ الشَّبَاكِ (الْحَيُوطِ) الَّتِي
نَسَجَتْهَا خُطَاهَا،

أَتَحَيَّلُ أَنَّكَ تُضْغِي، تَرَى فَاطِمَةَ:

جِسْمَهَا ذَائِبٌ فِي الْفَضَاءِ

وَالذَّرُوبُ إِلَيْهَا الْهَوَاءِ.

هو عمّ طرفة بن العبد اشتهر
بحبه لفاطمة بنت المنذر،
وبجماله.

- VIII -

حاتم الطائي

نَسْكُنْ، لَكِنْ لَا نَسْكُنُ إِلَّا

فِي كَلِمَاتٍ

وَالسُّكْنَى ظَرْفٌ

أَلْهَذَا، قُلْتُ لِهَذَا الْعَالَمِ

كُنْ ضَيْفِي

وَبَيَّنْتَ لَهُ فِي صَدْرِكَ بَيْتاً

يَتَحَرَّرُ فِيهِ

وَحَسَنَاتٌ عَلَيْهِ - حُبُّكَ حَوْلَ خُطَاةٍ مِثْلُ

الْحَاتِمِ.

فِيهِ الْكَلِمَاتُ تُصِيرُ حَقُولاً

وَالْحَرْفُ يُصِيرُ رَغِيفاً.

يَا حَاتِمَ

حُلْمِكَ فِي شَجَرِ الْأَيَّامِ حَفِيفٌ دَائِمٌ:

«أَوْقِدْ، فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ

عَسَى يَرَى نَارَكَ مِنْ يَمْرُ

إِنْ جَلَبَتْ ضَيْفاً، فَأَنْتَ حَرٌّ».

الأشطر الثلاثة الأخيرة لحاتم
الطائي، غاطباً، عبداً عنده.

- IX -

الحارث بن حلزة البشكري

حارث؟ خائِنٌ لاسمه؟ - الحقولُ بوازٍ

وكلامُ الربيعِ فيها خريفٌ، وكلامُ

الشتاءِ صيفٌ: مدى مَنيتٌ -

دوازٍ، وحيرةٌ، وانكفاءٌ

يهربُ الناسُ - يطلبون نجاةً

بعضهم كالدواء، بعضٌ داءٌ

وأنا بينهم، أتغنى،

«لا يُقيم العزیز بالبلدِ السَّهْلِ، ولا

ينفع الدَّلِيلَ التَّجَاءُ.»

البيت الأخير للحارث

- X -

الأسود النَّهْشَلِيّ

نَادَمْتُ نَعْمَانَ: يَسْقِينِي، وَيَسْأَلْنِي،
وَيَسْتَضِيءُ، وَيَسْتَقْصِي، وَيَقْتَسِ
هَلِ الْمَلِكُ يَرَى فِي كَأْسِهِ قَلْقِي -
كَأَنِّي مُوثِقٌ يَلْهُو بِهِ الْحَرَسُ؟
بِي شَهْوَةٌ لِقْفَارٍ لَا يُجَاوِرُهَا
غَيْرُ الْقْفَارِ - أَغْنِيهَا، وَأَحْضُهَا
حَتَّى: أَطُوفُ بِهَا،
أَحْيَا غَرِيبًا كَذَنْبٍ، لَا مَقَرَّ لَهُ
«وَلَا رَعِيَّةَ إِلَّا الطُّوفُ وَالْعَسَسُ».

كان ينادم النعمان بن المنذر،
والشطر الأخير من قصيدة
له.

شَيْبُ اللَّيَالِي أَنْ تُشَكِّكَ نَاقَتِي
صَدْرِي بِهَا أَفْضَلُ أَمْ الْبَيْكَةُ؟
المتنبي

○ قال الزاوي:
أبحر اليوم،
تتبع كل
شواطئه،
كي يملأها صنناً.

- أ -

عَشِقْتَنِي الْبَحِيرَةَ، لَكِنَّ مَنْ أَمَرُوا عَلَيْهَا
كَرِهُوا أَنْ نَكُونَ عَشِيقَيْنِ، أَنْ نَتَعَتَّى
بِصَفَاءِئِنَا -

يَسْكُرُ الْأَقْوَمَاءُ،

وَيَسْكُرُ فِينَا،

وَيَلْبَسُ أَطْرَافَنَا،

هُوَذَا، أَتْرَحُلُ نَحْوَ التَّنُوخِي، أَمْضِي

مُودِعاً بَعْضَ مَا فِيَّ، فِيهَا -

أَتْرَاهُ التَّرْحُلُ بَيْنِي؟

بحيرة طبرية.

والإشارة إلى علي بن ابراهيم
التنوخني في اللاذقية.

* وَحَدَهُ، مُفْرَدًا

وَالضِّيَاءُ الَّذِي يَتَبَجَّسُ مِنْ وَجْهِهِ،
شَاهِدٌ.

- ب -

لَنْ أَقْصَّ اللَّقَاءَ

بَيْنَ شِعْرِي وَاللَّادِقِيَّةِ، كَلًّا

لَنْ أَبُوحَ بِمَا وَشَوْشَتْنِي الشَّوَاطِيءُ، مَا قَالَ
زَيْتُونُهَا وَمَا قَالَتِ الْكُرُومُ، الْجِبَالُ وَغَابَاتُهَا،

لَنْ أَبُوحَ بِمَا اسْتَوَدَعْتَنِي - مَاذَا أَقُولُ؟

بَلَى، سَوْفَ أَخْتَارُ تَلًّا يَكُونُ لَهُ الْغَيْمُ وَجْهًا
حَيْثُ لَا تَخْرُجُ الشَّمْسُ مِنْ مَهْدِهَا حَيْثُ
يُسْتَقَطَّرُ الْحُبُّ وَالْفَجْرُ مِنْ زَهْرَةِ الْكِيمِيَاءِ،

وَأَبُوحُ، وَلَكِنْ

لَنْ أَبُوحَ لِغَيْرِ الضِّيَاءِ وَغَيْرِ الْهَوَاءِ.

○ حَدَّثَ الرَّائِيَةَ،

قَالَ عَنْهُ رُوَاةٌ:

شَحِبَتْ، بَعْدَهُ، تِلَالٌ

كَانَ يُلْقِي عَلَيْهَا

فَصَائِدَ لَمْ

تُكْتَشَفُ

بَيْنَ أَوْرَاقِهِ.

* أمشي - لكن

تتباطأ، تلهو، لا تتبعني:

هل تبعث أحلامي متي؟

○ قال الزاوي :

لم نَعْرِفْ ما يَشْهَدُ أَنْ

الجَنَّةُ أَرْضٌ

سُقِفَتْ بِسَماءٍ أُخْرَى

إِلَّا سَقَطَ أَدَمُ

في طِينِ العالَمِ.

- ج -

تِلْكَ أَنْطَاكِيَّةُ

تَتَوَسَّدُ شَمْساً وَبَحْراً

والمُعِيْثُ يُقَرِّبُ أَحلامِي النَّائِيَةَ.

جَسَدِي نَشْوَةٌ

ودمي سابح بين أفلاكها.

المعِيْثُ بن بَشْرِ العِجْلِيِّ.

لا عَنَ الجَنَّةِ الضَّائِعَةَ

أَتَساءَلُ - لَكِنْ

عن دُرُوبِي وآفاقِها السَّاسِعَةَ.

* لا تَنْظُرْ خَلْفَكَ : ليس وراءَكَ إِلَّا
أَنْتَ، وإِلَّا ظِلُّ.

أَلْسَلَامُ السَّلَامِ لِأَنْطَاكِيَّةِ
لِلْمَغِيثِ وَلِلْأَصْدِقَاءِ
بِهِمِ الْأَرْضُ خَضْرَاءُ، زَاهِيَةٌ، صَافِيَةٌ
وَلَهُمْ كِبْرِيَاءُ الرَّجُولَةِ: كَلَاءُ،
لَا تَسِيرُ الْحَيَاءُ إِلَى أَوْجِهَا الرَّخْبِ،
إِلَّا بِأَعْجُوبَةِ الْكِبْرِيَاءِ.

ابراهيم التيمي زاهد كوفي،
سنة ٩٢ هجرية.

○ قال الراوي:

أَلْتَيْمِي قَتِيلٌ فِي سِجْنِ الْحَجَّاجِ -

زَوُوا عَنْهُ:

«كَانَ الطَّيْرُ يَرِفُ عَلَى كَتْفِيهِ حِينَ
يُصَلِّي».

وَتَى الرَّاويهِ:

أَتَرَى أَرْضَنَا لُفَّةً فِي الْأَثْرِ،

لَا يَتْرَجُمُ أَسْرَارَهَا

غَيْرَ قَتْلِ الْبَشَرِ؟

* يَغْسَلُ الْيَاسْمِينَ مَنَادِيلَهُ
فِي جَدَاوِلَ تَتَبَعُ مِنْ شِعْرِهِ.

- ه -

كيف، ماذا، أتَهْذِي؟

لم أقل لِعَاذٍ

مِثْلَمَا قِيلَ عَنِّي: مُرْسَلٌ، أو نَبِيٌّ.

قُلْتُ: أُعْطِي لِهَذَا الدُّرُوبِ،

لِتلكِ المسافَاتِ أَسْمَاءَها

وَأَجَاهِرُ أَنَّ الزَّمَانَ

ليس إِلاَ دَمًا

يَتَجَسَّسُ من شَرِيانِ المِكانِ.

○ قال الزاوي:

- هل أنت سعيد بن جبير؟ كلاً

أنت شقيّ ابن كُنَيْبِ

- أُمِّي أَعْلَمُ بِاسْمِي مِنْكَ

- ما أَشَقَّكَ وَأَشَقَّى أُمَّكَ

- ما أَشَقَّى أَهْلَ النَّارِ

- خُذُوهُ.

وَتَى الزاوي:

أَخْذُوهُ، قَطَعُوا رِجْلَيْهِ

خَزَوْا رَأْسَهُ.

* شِعْرُهُ نَبْعُ ضَوْءٍ

يَحِيْطُ السَّمَاءَ رِداءً وَيَكْسُو بِهِ

ضَفَّتِيهِ.

وَتَى الزاوي:

أَيُّهَا السَّيْفُ، قُلْ لِي: ماذا تَجَسَّدُ

فِيكَ السَّمَاءُ، وماذا تَجَسَّدُ فِيها؟

أبو عبد الله معاذ بن
إسماعيل.

حوار بين الحجاج وسعيد بن
جبير، وكان من العلماء،
سنة ٩٣ هجرية.

- و -

لم أَقُلْ: مُرْسَلٌ أَوْ نَبِيٌّ. قُلْتُ: هَذَا شِتَاءُ
الْجَمَاعَةِ صَيْفِي، وَصَيْفِي شِتَاءُ، وَالْخَرِيفُ
رَبِيعِي

لِي فِي الْأَرْضِ بَابٌ يُؤَدِّي إِلَى الْمُسْتَسِيرِ، وَلِي
طَاعَةٌ - مِنْ عَلَّ -

وَأَنَا مَنْ تَنَبَأَ شِعْرًا.

لم أَقُلْ: مُرْسَلٌ أَوْ نَبِيٌّ

قُلْتُ: هَذَا الْفَضَاءُ

يَتَنَوَّرُ بِاسْمِي مَا لَا يُقَالُ، وَيَصْدَحُ فِي مَطَرٍ
مُسْتَجَابٍ

لَا يَشَاءُ الَّذِي لَا أَشَاءُ.

صَدْحَةُ الْمَطَرِ:

رقية كان العرب يقولون إنها
تمنع المطر أن يُصِيبَ مكاناً
أصاب كلُّ ما حوله من
الأمكنة. ويُنسب إلى النبيِّ
أنه مارس هذه الرقية في
اللاذقية، تدليلاً على نبوته،
كما روى أبو عبد الله معاذ
ابن إسماعيل.

○ قال الزَّأوي: _____
لا أروي إلا ما أسمعه - قالوا:

يَوْمَ الدِّينِ

تأتي الأرض إلى
بارئها،

في شكلِ غُرابٍ

في زِيِّ امرأةٍ
مجنونة.

* جَسْمُهُ بَخْرٌ نَوْرٌ
تَمْرَأَى الطَّبِيعَةُ فِيهِ.

- ز -

كَيْفَ لِي أَنْ أَرُدَّ التَّبْوَةَ - تَأْتِي

فِي قَمِيصٍ مِنَ الضَّوءِ، تُلْقِي وَجْهَهَا فِي
يَدَيَّ، وَتَنْفُثُ أَسْرَارَهَا فِي عُرُوقِي؟

وَأَنَا مَنْ تَنْبَأُ شِعْرًا

أُنْظَرُوا: إِنَّهَا الْآنَ تَفْرَشُ لِي سَاعِدَيْهَا
وَتُسَكِّنُنِي دَارَهَا

كَيْفَ لَا أَتَبَطَّنُ أَعْوَارَهَا؟

وَأَنَا مَنْ تَنْبَأُ شِعْرًا.

○ قال الزاوي:

فِي عُرْفَةٍ

سُدَّتْ كُلَّ نَوَافِذِهَا كَالْقَبْرِ،
رَمَوْهُ فِيهَا - كَادَ يَمُوتُ.

وَتَتَى الزاوي:

لَمْ يَقُلْ قَوْلَهُمْ،

وَلِهَذَا قَطَعُوا رَأْسَهُ.

الإشارة إلى عمر بن عبد
المعز الذي حبسه الوليد،
لأنه خالفه في خلع أخيه
سليمان، من العهد، وتولية
ابنه، سنة ٩٥ هجرية.

الإشارة إلى قتيبة بن مسلم،
سنة ٩٦ هجرية.

* أَلْغِيوبُ كَمَثَلِ الطَّرَائِدِ، تَأْتِي إِلَيْهِ،
وَتَدْخُلُ فِيهِ -
أَتْرَاهُ شِبَاكَ لَهَا؟

○ قال الزاوي:

«رأيتُه -

كان كمن يركض في أكفانه».

- ح -

بِاسْمِ عِطْرِ يُسَافِرُ فِي عُنُقِ الرِّيحِ،

عِطْرِ جَرِيحِ

بِاسْمِ مَوْتٍ يُرَابِطُ فِي دَاخِلِي - يَتَنَبَّأُ أَنِّي صِنُو
لَهُ

بِاسْمِ لَيْلِي بِشِينَةِ مَيَّةَ هِنْدٍ (جَسَدٍ يَكْتَوِي مِنْ
الْهَجْرِ - هَجْرٍ قَفْصٍ لَا حُدُودَ لِجُدْرَانِهِ)

بِاسْمِ أَشْيَائِي الَّتِي لَا تُسَمَّى، وَالَّتِي تَتَنَكَّرُ
فِي غَيْرِ أَسْمَائِهَا، وَتَغَيِّرُ أَسْمَاءَهَا وَتَمَحُو

بِاسْمِ حَبِّ

مُزْجَا مُزْجَا مُزْجَا، سَادَاعِبُ فِي تَعْبِي الْيَوْمِ
نَجْمًا

وَأَحَاوَلُ جَرَّ السَّمَاءِ إِلَى مَضْجَعِي.

وثنى الزاوي:

أخيا الصلاة، حزم الغناء.

كلمة قالها عمر بن عبد
العزیز، عندما وضع الوليد
في قبره.

الإشارة إلى سليمان بن عبد
الملك، سنة ٩٦ هجرية.

الإشارة إلى سليمان بن عبد
الملك.

* أَلْكَوْنُ وَجَسْمِي وَخَدَّةُ حُلْمِ
وَخَدَّةُ شِغْرِ:
أَلْهَذَا نَحْنُ فِرَاقُ فِي أَوْجِ عِنَاقِ؟

- ط -

تاريخي بدء (كلّ غريب بدء).

حوالي، هذي اللحظة، موج

لا تعرف كيف تُسافر فيه

سُفُن المعنى

نحو الأشياء، ونحو الأسماء

كُن، يا جسدي، نُوراً

وَتَبَدَّد

في هذي الأجزاء.

حوار بين سليمان بن عبد
الملك ورجاء بن حياة، سنة
٩٧ هجرية.

والإشارة إلى عمر بن عبد
العزيز

وزيد بن عبد الملك.

○ قال الزاوي:

- «مَنْ اسْتَخْلَفَ؟ إِبْنِي؟

- غائب.

- إِبْنِي الْآخَرَ؟

- ما زال صغيراً.

- اسْتَخْلَفَ عُمراً.

- اتَّخَوْفُ، لا يرضاهُ أَحَدٌ من

أهلِ أُمِّيَّة.

- اسْتَخْلَفُهُ

وَاسْتَخْلَفَ مَعَهُ، مِنْ بَعْدِ،

يزيداً.

- رَأْيِي صَائِبٌ.

وَتَى الزاوي:

كتب العهد خفيًا في قرطاس

مختوم، ودعا للبيعة:

- «مَنْ فِيهِ؟

- مَخْتومٌ، لا يُفْتَحُ إِلَّا بَعْدَ

البيعة.

- نَرْفُضُ، كيف تُبايع مجهولاً؟

- مَنْ يَرْفُضُ، يَفْطَعُ رَأْسَهُ.»

* غَيَّرَتْ وَجْهَهَا الْحَيَاةَ،

احتفاءً بما قاله أمس عنها.

- ي -

حَمَلْتُ شَمْسِي وَأَيَّامِي وَأَسْتَلْتِي
وَرَحْتُ أَسْتَفْرِئُ الدُّنْيَا، وَأَمْتَحِنُ
لَا أَرْضَ، لَا وَطَنَ
إِلَّا رُؤَايَ - تَرَوُزُ المَجْدَ، تَرْسَمُهُ
بَحْرًا وَتُوغِلُ فِيهِ، تَسْتَضِيءُ بِهِ
أَلْشَعْرُ رَبَّانَهَا، وَالْمَرْكَبُ الزَّمَنُ.

كلامٌ لعمر بن عبد العزيز،
مشيراً هنا إلى المركب الخاص
بالخليفة،

سنة ٩٩ هجرية.

○ قال الزاوي:

- «ما هذا المركب؟»

كلاماً

لا حاجة لي فيه.»

وثنى الزاوي عن عمر:

«لا طاعة للمخلوق

السادر في معصية الخالق.»

وثنى عنه:

«رجل هارب من إمام

ظالم، لا يقال له: ظالم.»

وثنى الزاوي عنه:

«نفسية تواقفة للأقاصي،

لما لا وجود لأفضل منه.»

* لا يُرْسِي،

إِلَّا كِي يُحْسِنَ خَوْضَ اللَّجَةِ
فِي أَمْوَاجٍ لَا يَعْرِفُهَا.

- ك -

لا لِوَعْدِ صَبَرْتُ، ولا قَلْقِي أَمِلُ
أَتْرَاهَا الْحَيَاةَ ائْحَاءَ الشَّوْاطِيءِ،
وَالْمَوْجُ فِيَّ وَفِيهَا هُوَ الرَّاحِلُ؟
أَمْ تُرَانِي خُلِقْتُ، -
الْفَضَاءُ رِدَائِي
وَدَهْرِي مِشْجَبُهُ الْمَائِلُ؟

* يَتَشَرَّدُ فِي هَمِّهِ وَيَعْلُو، -
هَمَّهُ أَنْ يُدَبِّرَ طَوْفَانَهُ.

○ قال الزاوي:

- «لا أَقْبَلُ هَذِي

الْحَالِ

لَا حَلِّي: اخْتَارِي بَيْنَ الْحَلِّي

وَهَذَا الْبَيْتِ».

- «لا اخْتَارُ سِوَاكَ.»

- «إِذَنْ،

تُعْطِي الْحَلِّي

لِبَيْتِ الْمَالِ.»

حوار بين عمر بن عبد العزيز
وزوجته فاطمة.

- ل -

قُلْتُ لِلشَّمْسِ: اتركيني - لا تغيبي

حوالي جسمك عني،

ودعي زنديك مرسوماً على خاصرتي.

شهوتي أن أدخل الآن إلى غايّة

نخل،

وأرى جسمي مرسوماً على أغصانها.

○ وثى الزاوي:

«لا تأخذهم بالظنّة

خذهم بالإثبات،

وما أرسنه السنّة،

إن لم يصلحهم حقّ

لنّ يصلحهم شيء.»

وثى الزاوي:

- «لا يصلحهم إلاّ سنوّط

أو سيف»

- «كلاً، بل يصلحهم عدل،

أو حقّ.»

* إبتكر كلمات

للمكان، تصيرُ زماناً.

من رسالة كتبها عمر بن عبد
العزیز لعامله على الموصل،
بمحیی الغسانی، سنة ١٠٠
هجریة.

حوار بین عمر بن عبد العزیز
وعامله على خراسان، الجراح
ابن عبد الله.

- ٢ -

لَسْتُ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ:

لَا أَمِيرٌ، وَلَا قِزْمَطِيٌّ

جُئْتُ تَتَاءِي

جُئْتُ تَتَهَيِّدُ أَعْوَارُهَا سَحَاباً

هذه صورتي -

شَهْوِي

أَنْ أَفْضَلَ لِلضَّوءِ قُمْصَانَهُ.

حوار بين عمر بن عبد العزيز
وخادمه الذي سَمَّه، سنة
١٠١ هجرية.

يزيد بن عبد الملك.

○ وثى الزاوي:

- «وَيْحَكَ، تَسْقِينِي سُمًّا؟»

- «أَعْطَوْنِي مَالاً، وَعَدُونِي أَنْ
أُعْتَقَ.»

- «إِذْهَبْ، لَكِنْ

أَرْسَلْ مَا أَعْطَوكَ

لِيَتِ الْمَالُ

وَأَهْرَبْ،

لَا تَتْرِكْ أَحَدًا

يَعْرِفُ أَنِّي تَذْهَبُ.»

وثى الزاوي:

مَسْمُومًا، مَاتَ،

وَجَاءَ يَزِيدٌ بِغَلْدَةٍ.

* يَحْدُثُ أَنْ تَتَجَلَّى نَارٌ

فِي صُورَةِ مَاءٍ.

- ن -

قَتْلِي، وَدُعَاةً

وَدُعَاةً - قَتْلِي

وَالنَّاجُونَ دِمَاءَ مَهْدُورَةٍ.

أَضْغِي لِأْرَاعِنِ هَذَا التَّوْحِ

الطَّالِعِ مِنْ أَنْقَاصِ الْوَقْتِ

النَّازِفِ مِنْ أَعْنَاقِ مَكْسُورَةٍ -

مَا أَخْفَى فِيهَا صَوْتَ اللَّهِ،

كَأَنَّ اللَّهَ الصَّمْتُ.

○ وَتَى الزَّوَايِ: _____

بَسْطَامُ يَخَاطِبُ

أَصْحَابَهُ:

«مَنْ كَانَ يَرِيدُ

الدُّنْيَا،

فَالدُّنْيَا وَتَى، وَالذَّارُ الْآخِرَةُ

الْمَأْوَى.»

وَتَى الزَّوَايِ:

«لبسوا الموت،

ولكن غلبوا،

طُحِنُوا،

فيما يروى، طُحِنَا.»

* عَجِبَا، مَا لَهُ الْفَجْرُ، قَبْلَ أَكْثَرِ مِنْ

مَرَّةٍ،

شَفَقَتِي هَذِهِ الْمَقْبِرَةَ،

مَنْ هَدَاهُ إِلَيْهَا، وَمَنْ أَخْبَرَهُ؟

الإشارة إلى ثائر اسمه بسطام،
لكنه اشتهر باسم شوذب،
سنة ١٠١ هجرية.

- س -

تَنَنَّفَسُ، لَكِن أَهَذَا هَوَاءٌ؟
وَالْقَصِيدَةُ مَخْنُوقَةٌ - كَتَبَهَا عَلَى خُوذَةٍ وَعَلَى
سَيْفٍ طَاغٍ وَكَرْسِيَةٍ وَرَايَاتِهِ.
تَنَنَّفَسُ، لَكِن أَهَذَا هَوَاءٌ؟
وَالْقَصِيدَةُ مَخْنُوقَةٌ - سَلَبْتَ نَكْهَةً
الْأَرْضِ، دِفَاءً الْمَقَامِ،
لَمْ يَعْذُ يَقْرَأُ الْكُونَ - يَعْرِفُ أَنْ يَقْرَأُ الْكُونَ،
غَيْرُ الْخُرُوجِ
وَعَبَّرَ التَّطْوِيحَ فَوْقَ شَفِيرِ الْكَلَامِ.

يزيد بن المهلب

يزيد بن عبد الملك

معاوية بن يزيد بن المهلب.

عدي بن أظاة

○ وَتَى الزَّوَايِ:

قَتَلُوا ابْنَ الْمَهْلَبِ

قَطَعُوا رَأْسَهُ، نَصَبُوهُ فِي دِمَشْقِ
وَفِي حَلَبِ

قَتَلُوا كُلَّ أَصْحَابِهِ،

قَتَلُوا أَهْلَهُمْ - كُلَّ أَطْفَالِهِمْ،
وَالنِّسَاءَ سَبَوْنَهُنَّ بِيَعْتِ كَبِيعِ
الرَّقِيقِ

مَا أَمَرَ الْخِلاَفَةَ بَيْنَ يَزِيدَ وَرِعَايَا
يَزِيدَ،

مَا أَشَقَّ الطَّرِيقُ.

وَتَى الزَّوَايِ:

فِي وَايِطَ، كَانَ مَعَاوِيَةَ

يَقْتُلُ كُلَّ الْأَسْرَى -

كَانَ عَدِيٌّ بَيْنَهُمْ.

* يَا لِلصَّخْرَاءِ:

لِغَةِ أُخْرَى فِي إِنجِيلِ الْمَاءِ.

وَتَى الزَّوَايِ:

قَتَلُوا تِسْعَةَ صَبِيَّانَ، وَرُؤُوسَهُمْ
نُصِبَتْ،

كَانُوا، فِيمَا قَبِيلَ، جِسَانًا - لَا
يُعْرَفُ أَجْمَلُ مِنْهُمْ.

أرسلهم مسلمة بن عبد الملك
إلى أخيه الخليفة، فأمر بقطع
رؤوسهم ونصبها.

- ع -

الزَّفِيرُ اسْتَطَالَ، تَحَوَّلَ، صَارَ

الطَّرِيقَ، -

لم يَعُدْ في عروقي غيرَ الهُجُومِ على العَيْبِ،

ما لا يَرَاهُ الكلامُ،

وَمَا لا يُطِيقُ.

قال مصعب الزبيري: رأى
عبد الملك بن مروان في
منامه، أنه بال في محرابه،
أربع مرات، وسئل سعيد بن
المسيب عن تفسير ذلك،
وكان هذا تفسيره، سنة ١٠٣
هجريّة.

○ حَدَّثَ الزَّائِيَةَ:

في المنام رأى أَنَّهُ بَالٌ

في قَلْبِ مِحْرَابِهِ، أَزْبَعًا.

سُئِلَ ابْنُ الْمَسِيْبِ:

- «كَيْفَ تُفَسِّرُ هَذَا الْمَنَامَ؟»

- «سَوْفَ يَمْلِكُ مِنْ صُلْبِهِ،

أَرْبَعَةَ،

أَجْزُ الْمَالِكِيْنَ: هِشَامٌ.»

* فِطْرَةُ الشَّعْرِ فِي بَحْرِهِ

أَنْ يَكُونَ مُرِيدًا

لَا لِشَطَانِهِ - بَلْ لِأَمْوَاجِهِ.

- ف -

فُسْحَةٌ فِي مَدَائِنِ حُلْمِي - أَتَقَدَّم فِيهَا أَتَشْرُدُ
فِيهَا،

لا رَفِيقَ وَلَا عَابِرَ

غَيْرَ مَا يَتَمَوَّجُ فِي نَاطِرِي

لِأَقْلٍ إِنِّي أَمْتَرَأَى

وَمَرَايَايَ عَنِّي مَتَى إِلَيَّ .

○ حَدَّثَ الرَّأْوِيَةُ:

قَالَ مِنْ حُبِّهِ لِحِبَابَةِ:

- «دَعُونِي أَطْرَبُ»،

فَأَجَابَتْ حِبَابَةُ:

- «وَلَيْنَ تَتْرَكَ الْأَمْرَ بَعْدَكَ، يَا

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟»

الإشارة إلى يزيد بن عبد
الملك الذي اشتهر بحبه هذا،
سنة ١٠٣ هجرية.

وثنى الراوي،

قالوا:

- «ماذا تتمنى الآن، وأنت

تموت؟

- «حبابة».

حوار بين يزيد بن عبد الملك
وهو يحتضر، وأحد الذين
حضروا موته.

* أَلرَّبِيعُ يَقُولُ، وَقَالَ الْخَرِيفُ وَقَالَ

السَّتَاءُ:

يَلْبَسُ الْأَفْقُ ثَوْبًا طَوِيلًا

لِكِنِّي يُحْسِنُ الْبُكَاءَ .

وثنى الراوية:

أَلرَّجَالُ مَعَانٍ فِي كِتَابِ الْحَيَاةِ -

النَّسَاءُ الصُّورُ .

- ص -

إِنَّهُ الْمُتَّقِلْبُ :

أَلْيَبُوتُ شِبَاكَ

وَالكَلَامَ الَّذِي يَغْسَلُ الْأَرْضَ، يَذْوِي .

نَتَدَحْرُجُ فِي كُرَّةٍ مِنْ لَهَبٍ،

أَلْتَجُومُ الَّتِي رَسَمْتَنَا تَتَخَبُّأً مِنَّا .

○ قال الراوي:

جاؤوا، شهدوا ليزيد:

«كَلَا، ليس على الخلفاء

حساب،

كَلَا،

ليس على الخلفاء عذاب».

يزيد بن عبد الملك، وقيل
كان هؤلاء الشهود شيوخاً
وكان عددهم أربعين، سنة
١٠٤ هجرية.

* أترأه - حاضري موثق كأسي

وأنا مثله؟

أتراني أحياء - أموت وحيداً لنفسي

داخِلَ نفسي؟

- ق -

زَمَنْ لِلسَّقُوطِ، وَشِعْرِي هَدَامُهُ الرَّجِيمُ،

أَلدَائِنُ مُمَهْرَةٌ

بِخَوَاتِمِ أَنْقَاضِهَا،

وَالدُّرُوبُ إِلَى كُلِّ أَرْضٍ

وَهَنْ، أَوْ دَمٍّ، أَوْ غَضَبٍ.

وَأَنَا لَا أَقْصُ الشَّقَاءَ، وَأَنْفُرُ مِنْ وَصْفِهِ.

زَمَنْ لِلسَّقُوطِ، وَشِعْرِي

كوكِبٌ يُزْتَقَبُ

دَعْوَةٌ لِلهَبُوطِ إِلَى آخِرِ الْجَحِيمِ.

○ قال الزاوي:

خَرَجَ العَبْدِيُّ،

وَمَاتَ قَتِيلًا، جَاءَ هَلَالٌ بَعْدَهُ -

مَاتَ قَتِيلًا.

وَتَى الزاوي:

أَمَرُوا مُصْعَبًا عَلَيْهِم،

أَمَرُوا مَعَهُ أُخْتَهُ،

قَتَلُوهُمْ جَمِيعًا -

وَاحِدًا وَوَاحِدًا.

* ينزل الشاعرُ في التَّيِّهِ،

كَمَنْ يَنْزِلُ بَيْتًا، -

هَكَذَا يَحْمَلُهُ الكَوْنُ إِلَى مَحْرَابِهِ،

وَيَرَى السِّرَّ عِيَانًا.

الإشارة إلى مسعود بن أبي
زينب العبدي

وهلال بن مدلاج

ومُصْعَبُ الوالبي

وهم جميعاً من الخوارج في
الموصل آنذاك سنة ١٠٤
هجريّة.

أَصْدِقَانِي - كَأَنِّي أَرَاهُمُ
يَجْلِسُونَ وَيَرَوُونَ أَحْلَامَهُمْ:
أُفِقُّ فِي يَدِ
كوكبٍ فِي يَدِ.
وَكَأَنِّي أَرَاهُمُ
يُقْبَلُونَ عَلَى صَهَوَاتِ
أَسْرَجَتِهَا تَبَارِيحُهُمْ
زَمَنًا آخِرًا
يَصْهَرُ الْأَرْضُ فِي حَبِّهِ
وَيَغْتَبِرُ مِيثَاقَهَا.

يزيد بن عبد الملك والإشارة
إلى عمر بن عبد العزيز
هشام بن عبد الملك، سنة
١٠٥ هجرية.

○ قال الزاوي:

قال يزيد:
أما عُمَرُ
أحوجُ مِنِّي إلى رَبِّيهِ.
وسارَ في دَرَبِهِ،
لكنه لم يكملِ المِيسِرَةَ،
وغيرَ المسارِ والسِّيرَةِ.

وتنى الزاوي:

ماتَ يزيدُ،
ويعهدُ منه،
جاءَ هشامُ.

* لِيَغِيبَ مَا تَبَقِيَ
من ضياءِ الطَّرِيقِ:
لِلْعَدَاوَةِ وَجْهَ الْحَيَاةِ، وَلِلْمَوْتِ وَجْهَ
الصَّدِيقِ.

- ش -

أَصْدِقَائِي - كَأَنِّي أَرَاهُمْ
يَجْمَعُونَ وَيَبْنُونَ مِنْ طِينِ أَيَّامِهِمْ
مُدْنَا لِلغَضَبِ،
أَيَقْنُوا أَنَّ تَارِيخَهُمْ
وِينَابِيَعُهُ
تَتَفَجَّرُ فِي شَهَوَاتِ اللَّهَبِ.
زِدْهُمْ حَيْرَةً وَافْتِنَانًا،
أَعِذْهُمْ إِلَى نَارِهِمْ،
وَازْتَفِعْ فَوْقَهُمْ رَايَةً
أَيْهَذَا الغَضَبِ.

○ حَدَّثَ الرَّازِيَةَ،

ذَاهِلًا، بَأَكْيَا:

مَضْرُؤٌ أَوْ رِبْعَةٌ:

حَزْبٌ وَقَتْلٌ، -

مُعْجَمٌ وَاجِدٌ لِلْهِدَايَةِ وَالنَّعْيِ مِنْ
أَدَمِ،

وَأَسَاطِيرُهُ، وَسَلَالَتِهِ الْحَيَّةِ
الْبَائِدَةِ،

يَنْتَزِلُ فِي لُغَةٍ وَاجِدَةٍ.

سنة ١٠٦ هجرية.

* خَطَايَايَ مِثْلِي،
أَنَّى وَأَوْسَعُ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ،
وَكُلِّ سَمَاءٍ.

- ت -

كَادَ أَنْ يَتَخَلَّى التَّرَابَ،

من شقاءٍ ورُغْبٍ،

عَنْ نباتاتِهِ، -

هكذا - قدمائِي على الأَرْضِ،

لكنَّ لي فَرَساً في السَّحَابِ.

○ حَدَّثَ الرَّأوِيَةَ:

- مَكَّةُ موطنُ صَالِحٍ لِلسَّتِيمةِ -

شَتَّمْتُ عَلَيَّ صَلَاةً.

- ما قدمنا لشتمِّ، قدمنا لِحِجِّ.

وثني الراوية:

الرُّعَيْنِيُّ يخرُجُ مع صَخبِهِ -

قُتِلُوا كُلُّهُم:

واحدًا، واحدًا.

وثني الراوية:

خارجونَ دَعَاةً

في خراسان، لكن

صلبوا كُلُّهُم، بعد تقطيع

أطرافِهِم.

دعاة عَبَّاسيون.

* مثلما علَّمَهُ الفَجْرُ الذي أسلَّمَهُ

اللَّيْلُ إِلَيْهِ،

يُحْضِنُ الكونَ، ويدعو الشَّعَرَ

كي يَرسُمَ وَجَهَ الأَرْضِ في ضَوْءِ

يَدَيْهِ.

- ث -

غالباً،

يُوهِمُ العُمُقُ: يبدو قَراغاً وَسَطْحاً.

- ما الَّذي قُلْتَهُ؟ أَعِدِ المسأَلَةَ.

- سَوفَ تَبقى طَويلاً طَويلاً

لَكي تَتَلَمَّسَ باباً لِشِعْري،

ولَكي تَدْخُلَهُ.

○ قال الزاوي، وهو يُقَلِّبُ
أوراقاً وَيُدَقُّ فيها:

سَيَفُ مَكسورٌ

في خَاصِرَةٍ،

رأسٌ يَتَدَحْرَجُ في أَجْرافِ
نارِيتهِ،

رَقِصُ رِماحٍ في حَلِباتِ دَمٍ،
عَمِباءُ،

موسِقى لاهوتِيَّة، -

يا لِلْيَاسِ! أَلَيْفَ

مِثْلَ الحَنَيزِ،

ومِثْلَ المَاءِ.

* شَرِبَ اليأسُ ماءَ الرِجاءِ، وَصَيَّرَ

إِبْرِيقَهُ دَواةً

والطَيورَ غِيوماً - جَمَدَ المَاءَ فيها:

ما الَّذي يَقْضدُ الشاعِرُ

أَيُّها الوَلَةُ السَّاحِرُ؟

- خ -

ليس بين المكانِ وبينِي غيرُ الوُضوخِ
غيرَ أَنِي سَابقِي غموضاً،
وأوثرُ ألاً أبوخ، -
لم يَحْنُ بَعْدُ وَفْتِي، وأغانيَ مكتوبَةً
بلغاتِ العُصورِ - الأجتة،
فَلَيْسَمِحِ الشَّعراءِ
إِن حَذَلْتُ نبوءاتِهِم،
وتَنَوَّرَتْ وَجْهَ المجاهيلِ،
وَلَيْسَمِحِ الفُقهاءِ.

○ وثى الزاوي:

خَوْفٌ خَوْفٌ
يَمَا نَعْرِفُ،
مَما نَجْهَلُ،

مَما كُنَّا - مَما سَنَكُونُ.

وثى الزاوي:

إِن كُنْتُ نَقِيّاً مَغْموساً
في آلاءِ الشَّمسِ،

لن تُلقَى بيتاً تَسْكُنُ فيه، إلاّ
اليأسَ.

* يَتَمَاهَى مَعَ الصَّبواتِ التي تَبَجَّسُ
مِن عَتَماتِ الجَسَدِ،
يَتَمَاهَى مَعَ الشَّعْرِ - يقرأ ما لا تراهُ
الرِّياحُ
وَمَا لا يَقولُ الزَّبَدُ.

- ذ -

تعبت هذه القافلة
كيف تأتي وترتاح في كنف العَصْرِ، والعَصْرُ
يَبْحَثُ عَمَّا يَفِيءُ إِلَيْهِ؟
وتمايله، وتأويله
لُغَةٌ أَفْلَةٌ.

تعبت هذه القافلة
أرسموا شكلها في كتاب
ولتريتها المناير - أحفادها،
والأقارب، والعائلة.

* ما تُرانا؟ كتاب
أم لغات تُوسوسُ أحشاءنا
ونهاجرُ منها، كي نُحررَ إيقاعنا
من سلاسل إيقاعها،
في لغاتٍ سِواها؟

○ قال الزاوي، يسأل:

أهل الذمة،

أهل الجزية -

أجور عليهم

إن كانوا

من أهل الكدنة؟

سنة ١١٠ هجرية.

○ حَدَّثَ الرَّأْيِيَّةُ:

إِنَّهُ سُورَةٌ

يَتَقَلَّبُ فِي النَّارِ، -

فِي النَّارِ يُغَذَّفُ أَصْحَابُهُ كُلَّهُمْ.

وَتُنَى الرَّأْيِيَّةُ:

لَا تَبْنَ بِسَطَّامِ هَذِي الْفَسَاطِيطُ

مَرْفُوعَةٌ، وَأَصْحَابِهِ،

كَبِيْرٍ مِنَ الْعَنِيْمِ - فِيهَا

قُتِلُوا كُلُّهُمْ.

وَرَوَى بَعْضُهُمْ قَائِلًا:

بَعْدَ حَيْنٍ، مَرَزْنَا بِهِم:

مَوْضِعٌ كَانَ يَغْبِقُ مِسْكَأ.

- ض -

أَتْرَانِي مَلَلْتُ يَبْقِيَنِي فِي كَلِمَاتِي

وَمَلَلْتُ الْقُصُورَ الَّتِي هَدَمْتَهَا

وَالْقُصُورَ الَّتِي شَيْدَتْهَا،

وَمَلَلْتُ الرَّقَادَ عَلَى صَدْرِهَا

وَصُعودِي إِلَيْهَا،

وَهُبُوطِي فِيهَا -

وَأَنَا الْآنَ أَسْأَلُ هَذَا الْفِرَاعَ:

تُرَانِي، مَاذَا سَأَفْعَلُ مِنْ دُونِهَا؟

الإشارة إلى سُورَةِ بِنِ الْحَزْرِ
الَّذِي حُرِّقَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ،
وَكَانُوا أَحَدَ عَشَرَ شَخْصًا،
سَنَةَ ١١١ هِجْرِيَّةً.

عَبْدُ اللَّهِ بِنِ بَسْطَامِ.

* قَالَ: لَا وَقَّتَ فِي الْأَرْضِ، إِلَّا
لِكُنِي نَجَعَلُ الْأَرْضَ شِغْرًا.

- ظ -

عاشِقٌ وَلَهُ الثَّائِرِينَ -
الْفُرَاتِ وَأَفَاقَهُ وَالْأَعَالِي
أَوْقَطُ الْأَرْضِ مِنْ نَوْمِهَا وَأَعَالِي .
جَسَدِي ، مِثْلَ تَارِيخِ هَذَا الزَّمَانِ ،
مَلِيءٌ بِكُلِّ الْعُرُوشِ الَّتِي دُمِّرَتْ ،
وَبِكُلِّ الْعُرُوشِ الَّتِي لَا تَزَالُ تُرْقَعُ
تِيْجَانِهَا .

هَكَذَا - نُقْطَةً ، نُقْطَةً
أَتَقَطَّرُ ، أُنْسَأُ بَيْنَ جِرَارِ الزَّمَنِ
وَطَنًا آخَرًا ،
وَطَنًا لِلْوَطَنِ .

* لَا غَيُومٌ تَرْتَنُ خِلَافِهَا ، -
أَلْحَقُولُ اكْتَسَبْتُ بِزَفِيرِ نَبَاتَاتِهَا ،
وَالْغُصُونُ انْقِبَاضُ
فِي وَجْهِ الشَّجَرِ :
هَلْ يَجِيءُ الْمَطْرُ ؟

○ حَدَّثَ الرَّايِيَّةَ

هَازِبًا يَتَصَفَّحُ أَوْرَاقَهُ :

مَطْبِخٌ لِلرُّؤُوسِ :

الْقُدُورُ الْقَصَائِدُ ،

وَالنَّازُ الْفَاطِظُهَا .

لَا تَسْأَلْ ، - أَلَسْأَلُ

عَنِ الضَّرْبِ بِبَابِ إِلَى اللَّيْلِ .
كَانُوا يُقَدِّفُونَ إِلَى حُفْرَةٍ مِثْلَ
أَكْدَاسِ قَشْرٍ :

هَلْ سَأَلْتَ عَنِ الرُّوحِ ؟

« مِنْ أَمْرِ رَبِّي » .

لَا تَسْأَلْ ،

يُقَدِّفُونَ إِلَى حُفْرَةٍ لَا مَكَانَ لَهُمْ

خَارِجَ الْمَقْبَرَةِ

كَيْفَ يُقْتَلُ

أَبْنَاؤُهُمْ وَأَخْفَادُهُمْ :

تِلْكَ خَائِمَةُ الْمَأْتَرَةِ .

○ قال الزاوي

كان يُقَلِّبُ أوراقاً

ويُدَقُّ فيها -:

قَتَلَ قَتْلَ، كُلُّ صَبَاحٍ

أَثْرَ مِنْهُ خَبَرَ عَنْهُ.

سَمَتَهُ الْفَتَى شَرَعاً يَتَوَعَّلُ فِينَا،

سَمِينَا مَهْوَى

يَتَوَعَّلُ فِينَا.

- غ -

نَجْمَةٌ -

لَبِستُ صُورَتِي

وَأَنَا أترصُّدُ جِصًّا وأقرأ نُوارها.

لم أَقلْ هذه نَجْمَتِي

وهواها هَوَايَ ولي عُرْيُهَا البَهِي -

لَبِستُ صُورَتِي

وَأَنَا لم أَقلْ ضوؤها نماني وفَوْضَ

أَسْرارَهُ إِلَيَّ.

* وَطَنٌ لا يُولَدُ، أو لا يَنمو

في حَضْنِ قَصِيدَةٍ،

رِثَّةٌ مَسْدُودَةٌ.

هَوَامِش



- I -

طُونِس

كان يُسَمَّى طاروساً

لكن، منذ تَغَنَّى بالكلماتِ وبالأشياء، تغيَّرَ
(قِيلَ: تَحَنَّنَتْ)، صارَ طُونِساً.

أولَ مَنْ زَيَّنَ حَبْلَ الصَّوْتِ، وآخَى

بينَ الحَرْفِ وصَوْتِ الدَفِّ، ومَدَّ الموسيقى

طُرُقاً تَقْصِي

أرضَ الأحلامِ،

أولَ مَنْ غَتَّى في الإسلامِ.

- II -

الوليد بن يزيد

لِمَ لَمْ تُزْفَعْ تَمَثَالاً بَعْدَ الْقَتْلِ؟
يَرَاكَ الْعَابِرُ، يَقْرَأُ فِي قَسَمَاتِكَ شِعْرَ

اللَّحْظَةِ، يَسْقِي

لُغَةَ الْأَبْدِيَّةِ

بِدَمِ الْحَرِيَّةِ -

لِمَ لَمْ تُزْفَعْ تَمَثَالاً؟

هَلْ صَنَّمُ الْفِكْرَةَ

أَعْلَى،

أَوْ أَكْثَرَ طَهْرًا

مَنْ صَنَّمِ الصَّخْرَةَ؟

شَكِّي لَا يَرُوهُ أَيُّ بَيَانٍ.

- III -

جميل بثينة

بَعْدَ أَنْ يَتَسَامَرَ مَعَ نُخْلَةٍ
رَاسِمًا وَجَهَ بَثْنَةَ فِي جَذْعِهَا،
فِي الصَّحَارَى وَغِزْلَانِهَا،
يَفْتَحُ الشَّعْرَ أَحْضَانُهُ
يَفْتَحُ الْحَبَّ أَحْضَانُهُ
لِلْجَمَالِ - لِمِيعَادِهِ الْمُسْتَهَامِ
فِي سَرِيرِ الْكَلَامِ.

- IV -

قيس المجنون

هائمٌ، كلُّ ما حوله يتكورُ نُهدينِ، لكن لا
يرى فيهما غَيْرَ عَيْنينِ - معراجهُ

بين حلمٍ وحلمٍ.

كلُّ يومٍ، يَخَاطُ لأجفانهِ حجابٌ

ويُقَادُ إلى حُفرةٍ.

والطريقُ التي يتقرى - لا إلى سَكْرَةٍ

من جرارِ الجَسَدِ:

أَلطريقُ إلى لا أخذ.

فَبِحَقِّ السَّمَاءِ،

لَمْ، يا قَيْسُ، هذا البُكاءُ؟

عمر بن أبي ربيعة

قوموا، نَسْتَقْبِلُ عُمراً

نَسْأَلُ كَيْفَ يَعُودُ الشَّاعِرُ مِنْ رِحْلَتِهِ فِي
جِسْمِ امْرَأَةٍ؟

قُلْ، يَا عُمَرُ

كَيْفَ تُوَالِفُ بَيْنَ التَّارِيخِ وَنَهْدِ أَبِيهِ مِنْ
وَطَنِ؟ كَيْفَ تَقُولُ الْمَرْأَةَ إِنْ لَمْ تَتَمَثَّلْ فِيهَا
كُلَّ دِمَشْقٍ؟ إِنْ لَمْ تَقْرَأْ فِيهَا الْأَرْضَ؟
أَتَصَمْتُ؟ هَلْ تَخْشَى

أَنْ تَسْبِقَكَ الْجِدْرَانُ إِلَيْهَا،

وَيَجْهَنَكَ خَلْفَ الْجِدْرَانِ الْمَعْنَى، وَتَحُونَ
الصُّورُ؟

مَا لَكَ تَصَمْتُ؟ مَاذَا؟ أَيَطَوَّقُ رَأْسَكَ جُنْدٌ؟
أَهْنَالِكَ مَنْ يَتَخَفَى؟ مَنْ يَقْتُلُ، أَوْ مَنْ يَأْتِمُرُ؟
قُلْ، يَا عُمَرُ.

- VI -

الأخطل

فَتَحَ الشَّعْرَ لِلأَخْطَلِ البَابِ: أَيْقِظَ مَا خَلْفَهُ
من كوامنَ، من مُبْهَمَاتِ
وتدثرُ بالسَّرِّ، لا فاصِلُ
بين حُمُرِ الحَيَاةِ وَحُمُرِ الإِلَهَةِ.
سَكَّرَ فِي العُرُوقِ، وَلا تاجَ غَيْرِ الكَوْوَسِ،
تُدَارُ عَلَيْهَا الرُّؤُوسُ،
وَلا فاصِلُ
بَيْنَ ما نُحْيِيهِ الضَّلُوعُ وَما تُعْلِنُ الشُّفَاةُ.

قال مرةً يخاطب شاعراً:

«لو نَبَحَتِ الخُمْرَةُ فِي
جوفِكَ، لَكُنْتَ أشْعَرُ
النَّاسِ.»

- VII -

هبيد بن أيوب العنبري

نَخْلَةٌ - يقرأ الرَّمْلُ أيامه تحتها

وكانَ لها مُقلتين، وتُضغِي، -

أذُنَابَ عَوْتٍ؟ أم عُيَيْدٌ يَمْرُ؟

وحيدٌ؟ أم تُؤانِسُهُ ذنْبَةٌ؟

قِيلَ: كانَ الطَّرِيدَ الشَّرِيدَ، صديقَ البراريِّ،
أو قِيلَ: زَاغٌ

لا يُصاحِبُ غيرَ السَّعالي، وَيَسْتَنسِبُ الطَّبَّاءَ
طعاماً لَهُ،

نافراً مِن مَهَبِ الخَلِيقَةِ، مُستَسليماً
لِمَهَبِ الفَرَاغِ.

- VIII -

الأحيمر السعدي

تلك ظبَاءُ تتساءلُ عنكَ: أأنتَ صديقٌ؟ أم
أنتَ عدوٌّ يتربُّصُ؟ ماذا بين يديكَ؟ أسهَمٌ؟

تلك ظبَاءُ: وَزْدٌ يَتَنَقَّلُ يَكسو جسدَ الصَّحراءِ

لا تَتَقَلَّدُ سِيفاً

لا تَتَنَكَّبُ رِيحاً

لا تَطْلُبُ إِلاَّ الشَّمْسَ وإِلاَّ المَاءَ.

هل أنتَ صديقٌ؟

وَجْهَ سَهْمِكَ نحو صدورِ أُخْرَى.

- IX -

العزجي

قَيْدُوهُ، وَأُلْقِيَ فِي السَّجْنِ تِسْعَ سِنِينَ، مَاتَ فِيهِ. رَوَوْا أَنَّهُ كَانَ شَخْصاً كَرِيماً، فَارِسِيّاً، بَيْنَ أَفْضَلِ مَنْ أَنْجَبَتْهُمْ قُرَيْشٌ.

قال في سجنه:

«أضاعوني، وأيَّ فتى أضاعوا».

- أ -

«نلبثُ حولاً كاملاً كلّه، لا نلتقي إلا على منهج

في الحج، إن حجّت، وماذا بين،

وأهله إن هي لم تحجج؟

- ب -

أماطت كساء الحز عن حُرّ وجهها

وأرخت على الثنين بُرداً مهلهلاً

من اللآء لم يحججن يبغين حسبة،

ولكن ليقتلن البريء المغفلاً.»

قَبْرُهُ - مَطَرٌ نَازِلٌ فَوْقَهُ

يَتَدَفَّقُ مِنْ سُرَّةِ الْغَيْومِ،

وَمِنْ بَيْنِ أَفْحَاذِهَا.

انْقَشُوا فَوْقَهُ:

غِبْطَةٌ أَنْ يُعَاشَ الْجَسَدُ

فِي سَرِيرِ الرَّبْدِ.

- X -

ذو الرّمة

في الخيام التي رسمتها النّساء
بمناديل أحلامهنّ - الخيام التي تتشرّد
بين القصائد، كان ليّة أن تُجلِسَ السّماء
تحت أردافها.

شقّ غيلان قلب الفضا، وأودع فيه أساير
ميّة، أودع فيه سراويلها:
ما أبانت وما حجبت،
والفراش الذي زينت له.
هوذا طيفها بين أهدابه
يتموج، يعلو ويهبط في جسد الأرض،
في طبقات الهواء.

VI

وَجُبْتُ هَجِيْرًا يَتْرُكُ الْمَاءَ صَادِيًا

المتنبي

- أ -

جَنَصٌ، -

غَابَةٌ نَخْلٍ كَانَ هَوَايَ يَدُورُ وَيَسْطَحُ

فِيهَا - حِينًا، وَيُرَاقِصُهَا حِينًا.

أَتْرَى - لَيْلَتَهَا

كَانَتْ لَيْلَةً قَدْرٍ؟

الإشارة إلى هشام بن عبد الملك، برواية الإمام الشافعي، والعبارة الأخيرة لهشام نفسه، سنة ١١٤ هجرية.

* أَرْضٌ - قِطْعَانٌ غَيُومٌ
يَزْعَاهَا رَعْدٌ أَعْمَى.

○ قال الزاوي:

ذات يَوْمٍ،

أَحَبُّ هِشَامٍ

خَلْوَةٌ فِي الرِّصَافَةِ،

مِنْ دُونَ عَمٍّ

لَمْ تَكُنْ تُشْرِقُ الشَّمْسُ

حَتَّى أَتَتْهُ

رِيشَةٌ مِنْ دَمٍ فِي دَمٍ:

«آه، لَا يَوْمَ لَا يَوْمَ،

مِنْ دُونَ عَمٍّ.»

وَتَى الزَّوَاي:

هَلْ تُشْرِقُ شَمْسُ الْيَوْمِ

فِي قَرْنِي شَيْطَانٍ؟

خَيْرٌ أَنْ أَمْضِيَ لِلنُّوْمِ.

○ حَدَّثَ الرَّأْيِيَّةَ :

حَبَّةً وَاحِدَةً

تُبَاعُ بِأَكْثَرِ مِنْ دِرْهَمٍ

فِي الثُّغُورِ الْقَرِيبَةِ،

فِي الْهِنْدِ. أَنْتُمْ

تَشْتَرُونَ رَغِيفًا

بِدِرْهَمٍ،

فَلِمَاذَا شَكَوْاكُمْ؟

إِنِّي عَالِمٌ بِالسَّرَائِرِ،

وَاللَّهُ أَعْلَمُ. »

- ب -

إِقْبَاعُ دِمَائِ

يَأْتِي فِي خَطَوَاتِ الْفَجْرِ - الْفَجْرُ قَرِيبٌ،

هَلْ أَحَدٌ

يُضْغِي؟

يَنْصَحُ ذَاكَ الشَّاعِرُ*

أَنْ اتَّخَلَّى - عَنْ أَحْبَابِي، عَنِّي.

هُوَ مَأْمُورٌ طَوْعَ الْإِمْرِ

وَأَنَا أَمْرِي مِثِّي.

* بَعْدَ أَنْ يَتَسَامَرَ مَعَ نَخْلَةٍ فِي
الْحَفَاءِ،

يَقْتَحُ الشَّعْرَ أَحْضَانَهُ لِلتَّجُومِ وَأَيَاتِهَا

حِينَ تَأْتِي لِمِعَادِهَا فِي فَرَاشِ الْمَسَاءِ.

الإشارة إلى الشاعر
الصنوبري، محمد بن أحمد
الضبي.

كلامٌ لوالي خراسان، موبخاً
أهلها، سنة ١١٥ هجرية.

- ج -

لَوْلُو -

يَحْسُدُ الْجُنْدَ. هل سَيُغَيِّرُ علينا؟

من بعيدٍ - تِلَالٌ (تُراها قوافِلُ؟) هل

يُقْبَلُ الموتُ من هذه الجهات؟

كيف؟ من أين يخرجُ؟ ماذا؟ لِمَ الخوفُ؟

سُخِّقاً لهذا التَّصَدُّعِ، - من أين لي

هذه التُّرَاهاتُ؟

○ قال الرازي:

- «إِنْ أَدْرَكَتْ جُنَيْدًا

وَبِهِ رَمَقٌ، أَزْهَقِ رَوْحَهُ.»

كان جنيدٌ قد مات.

ومضى عاصمٌ يُعَذِّبُ

عُمَّالَهُ وَيَزَجُّ بِهِمُ فِي السُّجُونِ

و كيف لم تعلموا،

كيف لا تعلمون؟»

وَتَى الرَّاي:

حربٌ بين الحارثِ

إِبْنِ سُرَيْجٍ وَالْوَالِي عَاصِمِ:

لا تميِّزُ

بين بريءٍ أو آثِمٍ.

لؤلؤ الغوري أمير حمص.

رسالة من هشام بن عبد الملك
إلى عاصم بن عبد الله الذي
ولاه على خراسان، بعد عزله
والهيا الجنيد لأنه تزوج
الفاضلة بنت يزيد بن المهلب،
سنة ١١٦ هجرية.

الإشارة إلى عمال الجنيد.

الإشارة إلى الحارث بن سريج
وأصحابه. بايعوا الرضا،
وليسوا السواد، ولكن
هُزِمُوا، ومات جمعٌ كبيرٌ
منهم، عَرَقاً، سنة ١١٦
هجرية.

* إِنَّهَا الشَّمْسُ تَمْسَحُ وَجْهِي

بمَنديلهَا، -

تَعْبِي، اليَوْمَ، فَجَزُّ.

- ٥ -

مَنْ أَحَارِبُ؟ أَيْنَ الْعَدُوِّ الْجَمِيلِ؟
أَأَحَارِبُ عُورِيَّهِمْ
وَنَوَاطِيرَهُ
وَالَّذِينَ يَعِيشُونَ - مَوْتاً
فِي سِرَاوِيلِ صَبِيَانِهِمْ؟

لؤلؤ الغوري

مَنْ أَحَارِبُ؟ سُحْقاً لِعَصْرِي
سُحْقاً لِهَذَا الزَّمَانِ الْهَزِيلِ.

الإشارة إلى موسى بن كعب،
وإلى ما فعله به أسد بن عبد
الله والي خراسان، بعد
عاصم، سنة ١١٧ هجرية.

* إفتح صدري -

سَتَرِي فِيهِ
طَائِرَتَّمْ وَفُرَاتَا أَخْضَرَ
يَسْبَحُ فِيهِ وَزْدُ أَحْمَرُ.

○ قال الزاوي:

جُرُوا موسى
بلجام حمار، دَقُوا أَنْفَهُ
كَسَرُوا وَجْهَهُ.
- لا حَقَّ لَكُمْ
- أفتنطق، أيضاً؟
جُرُوهُ، وَلْيُضَلِّبْ.

وَتَى الزاوي:
شَهْدَ الْأَزْدِيِّ،
وكان إليه الأترب:
«موسى جاري،
وهو بريء»
- فَلْيُضَلِّبْ.

كَامِنٌ - حَاضِرٌ

في العقولِ، النوايا،

الزوايا،

الأزقة،

في كلِّ دربٍ،

وأخْمَنُ: رأسي

رُبَمَا اليومَ، أو في غدٍ

سيدلِّي فوق صدرِ المكانِ

ويُقالُ: قتلناه - ذاك الشعوبِ

هُرطوقَ هذا الزمانِ.

○ حَدَّثَ الرَّأْيَةَ:

عن خُدَاشِ -

أَبَاحَ خُدَاشِ لِلْمَحْبَبِينَ

وَالأَصْدِقَاءَ الَّذِينَ

اسْتَجَابُوا إِلَيْهِ، التَّسَاءَ،

قال: بَعْضٌ لِبَعْضٍ كِسَاءَ.

لكن القَتْلُ، كان الجزاءَ.

وثى الرَّأْيَةَ:

في كلامٍ يَعْتَفُ ماءَ المَطَرِ:

أَنْتَ لا تَعْرِفُ الشَّهَوَاتِ

التي تَأْجِجُ بَيْنَ ثُدَيِ الشَّجَرِ.

* من أنت؟ تسألني مرآة:

هل أظهرُ - هل أتمرأى بقناعِ آخَرَ

أم أكسرُها؟ هذي مِرآةٌ

لا تعرفُ كيف ستخرجُ من

وَجْهِي.

الاسم الأصلي لخداش هو
عمار بن يزيد،
سنة ١١٨ هجرية.

حُلْمٌ، -

موت

يَجْرِي فِي الْأَشْيَاءِ، وَفِي الْكَلِمَاتِ

يُرْزَلُ مُوسِقَاهَا -

يُوغَلُ فِي الْإِيقَاعِ،

وَيَسْطُحُ فِي طَبَقَاتِ الصَّوْتِ.

مَوْتٌ -

يُعْطَى لِلْمَعْنَى

وَجَهَ الْمَاءِ - يُمِيتُ الْمَوْتَ.

* لربيع ثانٍ،

أَزْرَعُ زَهْرًا آخَرَ - جِسْرًا

بَيْنَ غُبَارِ الطَّلَعِ وَبَيْنِي.

○ حَدَّثَ الرَّأْيِيَّةَ:

- «حُذِّدْ وَشُدِّ عَلَيْكَ

الْقَصَبِ

وَافْعَلُوا مِثْلَهُ.»

صَبَّ نَفْطًا عَلَيْهِمْ،

أَضْرَمَ النَّارَ فِيهِمْ:

تَجَلَّوْا وَغَابُوا

فِي لِبَاسِ اللَّهَبِ.

وَتَى الرَّأْيِيَّةَ:

أَلْمَغِيرَةُ؟ قَالُوا:

كَانَ يَأْتِي إِلَى الْمَقْبَرَةِ

يَتَكَلَّمُ، يَأْتِي جِرَادٌ

كَمِثِلِ التَّشْوِزِ

وَيُعْطَى جَمِيعَ الْقُبُورِ.

وَتَى الرَّأْيِيَّةَ:

صَوْتُ سَمَاءٍ مَخْنُوقَةٍ

يَتَمَوَّجُ يَهْدِي

فِي هَذِي الْأَجْسَامِ الْمَحْرُوقَةِ.

الإشارة إلى السوالي خالد
القشيري مخاطباً المغيرة بن
سعيد المجلي وصحبه.
كانوا، فيما قيل، ثمانية
يُسَمَّونَ الوُصَفَاءَ.

وكان بينهم شخص يُسَمَّى
بيان، ادعى النبوة زاعماً أنه
هو المراد بهذه الآية: «هذا
بيانٌ للناس»، سنة ١١٩
هجريّة.

- ز -

ناقتي - أمس، لم يتقدّم

نحوها أيّ نجّم.

عُرِفَ اللَّيْلُ قَفْرَاءَ، وَالضُّوْءُ يَكْبُو

عند أبوابها.

أَتَوْهْمُ؟ لَكِنَّ ذَهْنِي حَدِيدٌ

وَخَفَّ الزَّمَانُ عَلَى شَفْتِي،

وَخَفَّ الْمَكَانُ -

الإشارة إلى الصحاري بن شيبب، وإلى البهلول بن بشر، واسمه كشاة: أراد أن يجيء إلى دمشق، ويقتل الخليفة، وكانت جماعته دون المئة، سنة ١١٩ هجرية.

بلى، أَلْبَسَ اللَّيْلَ ثَوْبًا،

وَحُضُورِي أَنِّي غَيْبٌ.

الإشارة إلى وزير السخثياني الذي خرج مع نفر من أصحابه، في الحيرة، على الوالي خالد القسري، سنة ١١٩ هجرية.

* قال للغيب: خُذْنِي إِلَيْكَ،

لِأَبْقَى كَمَثَلِكَ - طَيْفًا.

○ حَدَّثَ الرَّأْيِيَّةَ:

خَرَجَ الْبُخْتَرِيُّ وَأَصْحَابُهُ - هَزِمُوا وَأَبِيدُوا.

وَتَى الرَّأْيِيَّةَ:

أَلْصَحَارِيُّ يُقْتَلُ

مَعَ صَاحِبِهِ كَلْهَمٍ،

وَابْنُ بَشْرِ وَأَصْحَابُهُ

يُقْتَلُونَ:

لَا يَفِيدُ الْخُرُوجَ،

وَلَكِنْ،

إِنْ تَقَلَّ ذَاكَ، يَسْخَرُ مِنْ قَوْلِكَ

الْخَارِجُونَ.

وَتَى الرَّأْيِيَّةَ:

شُدُّوا فِي قَصَبٍ

صَبَّ عَلَيْهِمْ نَقْطٌ

نُصِبُوا فِي الْكُوفَةِ،

فِي رَحْبَتِهَا

وَرَمُوا بِالنَّارِ، - وَزَيْرٌ

لَمْ يَتَحَرَّكَ

صَارَ يُرْتَلُ آيَاتُ اللَّهِ إِلَى أَنْ

غَلَبَتْهُ النَّارُ.

○ أخبر الزاوية:

قيل: زُيد رأى أنه
أضرم النار في تويمه
في العراق،
وأطفأها وانطفأ.

وثى الزاوي:

جاء أنصارٌ وحضوه

لكي يخرج، قالوا:

«أنت منصور، وأبناء أمة

هالكون.»

- «لا يُغرنك ما قالوا،

أناسٌ كاذبون.»

وثى الزاوي:

أيامٌ تجري في أنهارٍ

حفرتها أجداتُ الموتى.

- ح -

سَأْتَفِحُ نَفْسِي - سَأَبْقَى

أَتَسْتَتْ فِي هَوْلِ هَذِي الْبِلَادِ

التي لا تقولُ

سوى قَرَشِهَا (القَرَشُ كَسَبٌ وبه سُمِّيت
قريشٌ)،

كلُّ تاريخِ هَذِي الْبِلَادِ التَّيْبَةِ

قَرَشٌ وَقَرَشٌ.

الإشارة إلى زيد بن علي وإلى
حلم رآه، سنة ١٢٠ هجرية.

من حوار بين زيد بن علي
وداؤد بن علي.

* قَمَرٌ وَثِيٌّ
يَتَلَأَلُ فِي مِحْرَابِ نَبِيِّ.

- ط -

«أَمَلْتُ لِي»،

وليس لي مِن ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ مَنْزِلٍ،

لِي رَقْعُ السَّحَابِ الْمَبْكُرَاتِ الْهَطَلِ

لِي الْخُرَامِي تَثِيثٌ بِصَنْدَلٍ

وَلِي دَمُ الْقَرْنَفَلِ

فِي بَلَدٍ كَمَثَلِ هَذَا الزَّمَنِ الْمَحْبَلِ

وَلَنْ يَمَلَّ شَعْفِي، لَنْ يَأْتِي

عَنْ اقْتِحَامِ الْغَيْبِيِّ الْأَهْوَلِ.

○ قال الزاري:

- «أهل الكوفة»

ليسوا إلا السنة،

وقلوبهم في حزبٍ معهم.

قال عليّ فيهم:

«يا أهل الكوفة،

إن أهملتم خضتكم،

وإذا حوربتم خرتكم.»

وثى الراوية:

بايع الناس زيدا

على ما يقول الكتاب،

وردة المظالم،

والقنبيء - يُفَسِّمُ ما بَيْنَ أَصْحَابِهِ

سواء، وَحَارَبَةَ الظَّالِمِينَ.

يختتم المتنبي قصيدته في أبي
عليّ الأوراجي، قائلاً:
«فالملك لله العزيز ثم لي.»

من رسالة إلى زيد بن عليّ،
كتبها عبد الله بن حسن، سنة
١٢١ هجرية.

* زَغَزَعْتَنِي رِياحِي،
وَكَأَنِّي، فِيمَا أُسِيرُ، أُخَادِعُ
سَيْرِي، وَرَاحِلَتِي وَجِرَاحِي.

○ حَدَّثَ الزَّائِيَةَ :

- «قَاتِلُوا الْمُعْتَدِينَ

فَاتِلُوا مَنْ يَقَاتِلُ مِيشَاقَنَا،
وَأَنْصَحُونِي سِرًّا وَجَهْرًا.»

وَتَى الزَّائِيَةَ :

نَهَرُ يَعْقُوبَ قَبْرَ لَزِيدٍ

فَوْقَهُ الْمَاءُ يَجْرِي

شَاهِدًا وَغَطَاءَ

سَالُوا، فَتَشُوا، نَبَشُوا

قَطَعُوا رَأْسَهُ

صَلَبُوا جِسْمَهُ بِالْكَنَاسَةِ مَعَ
صُخْبِهِ

أَزْسَلُوا رَأْسَهُ لِإِشَامٍ

عَلَّقُوهُ بِيَابِ دِمَشْقٍ

فَتْرَةً، عَلَّقُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فِي
سَاحَةِ الْمَدِينَةِ،

حَتَّى قِيلَ: مَاتَ إِشَامٌ.

أَنْزَلُوهُ بِأَمْرِ الْوَلِيدِ، وَأُخْرِقَ:
ذَابَ الزَّمَادُ

فِي هَبَاءِ الْبِلَادِ.

- ي -

أَلْوَجُوهُ الَّتِي مِنْ تُرَابٍ

وَالَّتِي لَوْنُهَا ذَهَبٌ

وَالْوَجُوهُ الَّتِي يَتَصَاعَدُ مِنْهَا اللَّهَبُ

وَالْوَجُوهُ الَّتِي عَشَقْتَنِي

وَالْوَجُوهُ الَّتِي كَرِهْتَنِي

فِي مَدَى هَذِهِ الْكُرَّةِ الْفَاسِدَةِ،

كَلَّمَا لَعَنَةً وَاجِدَةً

مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ.

* مَا الَّذِي نَجْتَبِيهِ، نَحْيِيهِ، فِي ذَلِكَ

الْهَبُوطِ، -

هَلْ نُحْيِي الْأَعَالِي وَأَتْرَاحَهَا

أَمْ نُحْيِي السَّقُوطَ؟

من وصايا زيد بن علي
لأصحابه، سنة ١٢٢ هجرية.

الإشارة إلى زيد، وصُخْبِهِ
والمقرئين الثلاثة: نصر بن
خزيمة، معاوية الأنصاري،
زيد التهدي.

- ك -

أَتَعَجَّبُ مِنِّي - لَا أَحْسُبُ بِأَنِّي
قَادِرٌ أَنْ أُحِبَّ وَأَكْرَهُ كَالنَّاسِ،
أَلْقَى شُعَاعِي وَأَمْضِي
شَعْفِي وَضَلْتِي بِسِوَايَ - بِنَفْسِي
وَبَأْغَوَارِهَا
وَبَاهْوَائِهَا،
لَا أَحْسَبُ بِأَنِّي نَفْسِي إِلَّا إِذَا
انْصَهَرْتُ فِي سِوَاهَا.

كلامٌ لمحمد بن مسلم الزهري
الذي ظهر في ذلك الوقت،
سنة ١٢٣ هجرية.

○ قال الراوي:

ذنبٌ فوق الذنب:

سُلْطَانٌ جَائِزٌ

وَمُجَالَسَةُ الْمَوْتَى

وحديث المرأة، والثروة:

خَمْسٌ يَقْتُلْنَ الْقَلْبَ. ١

وثنى الراوي:

بين وقع الصلاة،

ووقع السياط،

يتأرجح جنسُ الصراط.

* أَيُّهَا الْجَامِحُ الْمَارِقُ -

مَا أَمَرَ الطَّرِيقَ إِلَى الذَّاتِ، فِي

نَشْوَةِ الْعِشْقِ، يَا أَيُّهَا الْعَاشِقُ.

- ل -

كُلُّ هَذِي الثُّجُومِ

جُنَّتْ أَوْ صَدَى حَشْرَجَاتٍ .

ليس ليلشعر غير الهُجُومِ وغيرُ الفتوحِ ،
وَلَا، لَسْتُ مِنْ هَذِهِ اللَّغَةِ التَّبْوِيَةِ إِلَّا لِأَنَّ
موازينها

وتفاعيلها وتصاريفها

لغة في الهُجُومِ وأنشودةً للهُجُومِ .

كلام لمحمد بن مسلم الزهري

كلام لبلال بن سعد .

من خطبة لوالي الكوفة، خالد
القنصري، يوم الأضحى،
عندما ذبح الجعد بن درهم
في أصل المنبر في الجامع،
سنة ١٢٤ هجرية .

* لا تَسَلْ عِن زَمَانٍ وِرَاءَكَ، وَازْسَمِ
عَلَى وَجْهِكَ الصَّبَاحِ،
مَا مَضَى جَسَدٍ مِّن جِرَاحٍ - لا
يَجِيءُ لِيَلْقَاكَ إِلَّا عَلَى فَرَسٍ مِّن
جِرَاحٍ .

○ قال الراوي :

«سؤالك

تصطاد العلم كما يُضطاد
الوَحْشُ :

العلمُ خزينة

وسؤالك مفتاح .»

وَتَى الرَّاويهِ :

«دازكم وخذها، تغَيَّرْ، أنتم

للبقاء خُلِقْتُمْ،

ولم تُخْلَقُوا للفناء .»

وَتَى الرَّاويهِ :

«أيتها الناسُ ضَحُوا

فأنا سأضحى بيجفد

زَعَمَ : «اللَّهُ لَمْ يَتَّخِذْ خَلِيلاً

وَمُوسَى لَمْ يَكَلِّمَهُ» ،

ضَحُوا - يقبل الله منكم .»

- ٣ -

وَضَعُوا قِرْمَةً مِنْ خَشَبٍ
فِي يَدَيَّ، وَفِي قَدَمَيَّ، وَعُنُقِي
وَرَمَوْنِي إِلَى السَّجَنِ ضَلُّوا:
عَبثاً يُسَجِّنُ الثَّوْرُ. هَذَا الْمَدَى
يَتَزَوَّدُ مِنْ جَمْرٍ شِعْرِي
لَهَباً يُطْفِئُ اللَّهَبَ
لَهَباً يُشْعَلُ اللَّهَبَ.

الإشارة إلى يحيى بن زيد بن
علي بن الحسين، سنة ١٢٥
هجريّة.

○ حَدَّثَ الرَّاويَةَ:

هَا هِيَ الْجَوْزَجَانُ
سَاحَةً يَتَوَهَّجُ فِيهَا
جِسْمٌ يُحْيِي - مُتَلُّ.
أرسلوا رأسه لدمشق،
بَقِيَ الْجِسْمُ حَيْثُ دُفِّي، حَتَّى
يُحْيِيءُ أَبِي مُسْلِمٍ.
أَنْزَلُوهُ وَصَلُّوا عَلَيْهِ.
بعد أن دفنوه، قتلوا القاتلا،
خطبوا: سَتَغَيِّرُ هَذَا الزَّمَانَ،
وَنَسْتَأْصِلُ الْبَاطِلَ.

وَتَى الرَّاوي:

يُقَالُ، فِي رِوَايَةٍ -

«أَخْرَقَهُ الْوَالِي

زَمَاهُ فِي قَوْصِرَةٍ

أَلْقَاهُ فِي سَفِينَةٍ

وفي الفرات دَرُهُ.»

* أَلْمَدِينَةُ حَنْجَرَةٌ دَامِيَةٌ

يَتَقَطَّرُ مِنْهَا أُنَيْنٌ:

لَا تُرَازُ الْحَيَاةَ بِغَيْرِ الْفَوَاجِعِ - رَائِحَةٌ
عَادِيَةٌ.

- ن -

الإشارة إلى الخليفة الوليد بن
يزيد بن عبد الملك، سنة
١٢٦ هجرية.

- زنديق

- نائر

- وشعوبى هذا الشاعر

- وقرامطة فساق أصحابه

- فليقتل

- كلاً،

كي يتذوق أفسى نبد

يُرْمَى فِي حَبْسٍ،

وَيُعَلَّقُ حَتَّى الْمَوْتِ، عَلَيْهِ بَابُهُ.

فتوى الذمبي مأخوذة من
تاريخ الخلفاء للسيوطي.

القولان الأخيران للشاعرين
مروان بن أبي حفصة، وابن
ميادة.

* لا يغلِبُهُ إِلَّا ضَوْءُ أَبِيهِ مِنْهُ
وَالضُّوءُ الْأَبِيُّ مِنْهُ - فِيهِ، وَعَنْهُ.

○ حَدَّثَ الرَّأْيِيَّةَ:

تقطعوا رأسه

نصبوه على رأس زُمج

وطافوا به في دمشق

وصفوه: «ماجِنٌ، فاسِقٌ.»

وثى الراوي:

قال الذمبي:

«لَمْ يَكْ زَنْدِيقًا أَوْ كَافِرًا،

لَكِنْ، كَانَ شَرُوبًا لِلْخَمْرِ،

وَلَوْطِيًّا.»

وثى الراوي:

- أ -

«كَانَ جَمِيلًا، شَاعِرًا.»

- ب -

«رَأَيْتُ الْوَلِيدَ بْنَ الْيَزِيدِ مَبَارِكًا

شَدِيدًا بِأَعْبَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلَةً.»

وثى الراوي:

يا لِلْغَةِ الْمَرْءُودَةَ

تحت جليد الأرض الموعودة.

- س -

كلام للخليفة الوليد يزيد،
يرد به على منجمين قالوا له:
ستملك سبع سنين»، وعلى
حماد الراوية الذي قال له:
«كلاً، ستملك أربعين سنة»،
سنة ١٢٦ هجرية.

جَلَادُونَ لَهُمْ أَسْمَاءُ

جَلَادُونَ بِلَا أَسْمَاءِ

أَشْبَاحُ تَأْتِي فِي غَارَاتِ

وَحُرُوبِ تَجْرِي فِي أَنْفَاسِكَ، بَيْنَ الْعَيْنِ
وَحُلْمِكَ - رُغْبٌ

فِي الْكَلِمَاتِ وَفِي الْأَشْيَاءِ.

إِمْلَأْ قَنَدِيلَكَ حُبًّا

يَا هَذَا الْمَسْجُونَ، وَبَارِكْ

حَتَّى السَّجْنِ، وَبَارِكْ

بَيْتَ اللَّعْنَةِ بَيْتَ الدَّاءِ.

الخطاب هنا موجّه إلى القرآن
الكريم.

* يتأصلُ في التاريخ، ولكن
كي يُخسِنَ أَنْ يَتَأَى عَنْهُ
فِي آفَاقِ سِرِّيَةِ -
كَادَ السَّجْنُ يَصِيرُ مَلَاذًا
لِلْحَرِيَةِ.

○ قال الزاوي:

«لَا مَا قَالَا يَكْسُرُنِي،

لَا مَا قُلْتَ يُعَرِّرُ بِي، -

وَاللَّهِ سَاجِدِي الْمَالِ،

كَأَنِّي أَحْيَا أَبَدًا،

وَسَأَضْرَفُهُ صَرْفَ قَدِيرٍ،

سِيمُوتُ غَدًا.»

وَتَتَى الرَّاوي:

يُنْسَبُ هَذَا الشَّعْرُ إِلَيْهِ:

«تَهْدِدُنِي بِجَبَّارٍ عَنِيدٍ فَهِيَ أَنَا ذَاكَ
جَبَّارٌ عَنِيدٌ

إِذَا مَا جِثَّتْ رَبِّكَ يَوْمَ حَشْرِ
فَقُلْ يَا رَبِّ مَزَّقْنِي الْوَلِيدُ»

- ع -

يُخْرِجُونَ عَلِيَّ، - يَجِيثُونَ مِنْ خُطَوَاتِي،
مِنْ كَلِمَاتِي
وَيَسِيرُونَ مِنِّي إِلَيَّ
فِي مَدَارِي فِي أَدْوَاتِي
لَا يُطِيقُونَ عِبَاءَ الْمَجَاهِيلِ، عِبَاءَ
السُّطُوعِ - يَتَوَوَّنَ، يُلْقُونَ أَمْرَاضَهُمْ
تَبَعَاتِ عَلِيٍّ.

سنة ١٢٦ هجرية.

الإشارة إلى خالد القسري.

* تَنْفَرُ مِنْهُ
لِغَةِ رَبَّاهَا،
وَيَثُورُ عَلَيْهِ
ضَوْءٌ يَخْرُجُ مِنْهُ.

○ حَدَّثَ الزَّوَايَةَ:

جاء بعد الوليد، يزيد
وكان ابن عم له
قال عن نفسه:
«أنا ابن كسرى،
وأبي مروان
وقبصر جدي،
وجدي خاقان.»

وثنى الزاوية:

قِيلَ عَنْهُ: «يَزِيدُ
أَغْرَقَ النَّاسَ
فِي الْمَلِكِ، مِنْ طَرَفَيْهِ.»

وثنى الزاوية:

«قَتَلُوا خَالِدًا - كَانَ مُتَّهَمًا، -
قِيلَ: «عَمَّرَ فِي دَارِهِ كَنِيْسَةَ
لِتَصَلِّيَ بِهَا أُمَّهُ.»

- ف -

الإشارة إلى الخليفة يزيد،
والكلام للخليفة مروان الملقب
بـ «الحمار».

ها أنا الآن غيري في السجن، لكنني لم
أحل

هل أقول: «المكان

فريسة هذا الزمان؟»، أقول: «مداري

لا يرى في الجسد

غير تهيامه؟» -

وأنا غيري الآن، بيني وبين همومي جسر

قلق مطمئن

غائب حاضر

أخذ لا أخذ.

قيل: قتل في هذه الأسواق
يومذاك، ثمانية عشر ألفاً،
وقيل: صلب مروان في
حصص ستمئة شخص.

○ قال الراوي:

«قتل الوليد، لذلك ننشئه،
ولسوف نصلبه.»

وثى الراوي:

أسواق دمشق ملئت بالقتل.
حرقوا المزة
وقرى أخرى.

وثى الراوي:

حاصر مروان حصاً - قتل
التاس، صلباً.

وثى الراوي:

صلىب ابن نعيم وأصحابه بعد
أن قُطعوا.

حز رأس يزيد.

* لم أترك جسدي - هذا الوطن الليلي

إلا بضع دقائق بين يديك: لماذا

يا هذا الحب تجور علي؟

الإشارة إلى ثابت بن نعيم
الذي خرج على مروان في
فلسطين،

ولى يزيد بن خالد القسري
الذي نقض بيعة مروان، سنة
١٢٧ هجرية.

- ص -

أَلرَّحِيلُ مُقَامِي، وَأَرْضِي هَذَا الرَّحَالِ
وَالشَّمَالُ الْجَنُوبُ لِرَحْلِي، وَالْجَنُوبُ
الشَّمَالُ، -

أَتَحْيَلُ أَنِي

وَرَدَّةٌ لِلتَّحْيِيرِ جَاءَتْ

مِنْ جَذُورٍ بَعِيدَةٍ

كِي تُوشِشُ أَيَامَهَا:

شَهَوَاتِي حَقُولِي

وَالتَّمَرْدُ وَرَدُّ القَصِيدَةِ.

○ حَدَّثَ الرَّاوِيَّةُ:

«لَوْ مَلَأْتُ يَدَيَّ نَجُومًا وَأَنْزَلْتُ
عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، لَمْ تُنْجُ مِنِّي».

وَتَى الرَّاوِي:

«لَوْ كُنْتُ فِي بَطْنِي، لَكُنْتُ
شَقِيقَتَهُ، كِي أَقْتَلُكَ».

وَتَى الرَّاوِي:

قُتِلَ الحَارِثُ، -

صَلْبُهُ مَقْطُوعَ الرَّاسِ.

وَتَى الرَّاوِي:

قُتِلَ الضَّحَّاكُ، وَجَمَعَ مِنْ
أَصْحَابِهِ.

قَتَلُوا مِنْ بَوَيْعِ بَعْدَهُ،

قَتَلُوا شَيْبَانَ، وَكَانَ التَّاجُونَ
أَعْطَوْهُ الإِمْرَةَ - لَكِنْ،

مَعَهُ قُتِلَ البَاقُونَ.

* مَا السَّمَاءُ؟ تَرَاهَا

لُغَةً فِي الإِضَاءَةِ أَمْ لُغَةً فِي
الأَقْوَالِ؟

وَالكَلَامُ؟ تَرَاهُ، الكَلَامُ رَحِيلٌ

أَمْ تَرَاهُ الطَّلُولُ؟

القَوْلَانِ لِلحَارِثِ بْنِ سُرَيْجٍ
مَخَاطِبًا لِجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ سَنَةَ
١٢٨ هِجْرِيَّةً.

الإِشَارَةُ إِلَى الحَارِثِ بْنِ سُرَيْجٍ
نَفْسَهُ.

الإِشَارَةُ إِلَى الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسِ
الخَارِجِيِّ، وَشَيْبَانَ بْنِ سَلْمَةَ
الخَارِجِيِّ.

○ قال الزاوي:

قُتِلَ ابْنُ الْكَزَمَانِي

صَلْبُوهُ - صَلَبُوا مَعَهُ أَصْحَابُهُ،
صَلَبُوا مَعَهُ، أَيْضاً، سَمَكَةً.

وَتَى الزاوي:

«لَا يَمْنِي، لَا مُضْرِي

خَيْرٌ أَنْ نَخْتَارَ، لِنَخْرُجَ مِنْ هَذَا
الْخَلْفِ، أَمِيراً قُرَشِيًّا.»

وَاخْتَارُوا يُوسُفَ، حَزَبٌ - قَتَلِ
وَرَوْسٌ تُهْدَى زُلْفَى لِقَرِيشٍ،
وَلِسُلْطَانٍ قَرِيشٍ.

وَتَى الزاوية:

قُلْ لِرَأْسِكَ: لَا، لَسْتَ شَيْئاً

سِوَى شَمْعَةٍ تَتَوَسَّ

بَيْنَ هَذِي الشَّمْعِ - الزَّوْسِ.

- ق -

أَتَخَيَّرُ، مِنْ أَوْلٍ، أَضْدَقَانِي

فِي قِفَارِ الشَّامِ، وَأُعْطِي

شَمْسَ أَيَّامِي الْكَرِيمَةَ

لِفُصُولِ الشَّرَزِ

أَتَعَلَّمُ، مِنْ أَوْلٍ، أَبْجَدِيَّةَ هَذِي الْجُدُورِ
الْقَدِيمَةَ

وَأَقُولُ الطَّرِيقُ إِلَى الْمَجْدِ، أَعْلَى وَأَوْسَعُ مِمَّا
يَظُنُّ الْبَشَرُ.

الإشارة إلى الوضع في
الاندلس، وإلى يوسف بن
عبد الرحمن الفهري، سنة
١٢٩ هجرية.

* إِنَّهُ الْعَرْشُ يَهْرِفُ، يَضْرِبُ أَنْعَامَهُ

بِعَصَا رَبِّهِ

خَلَّنِي لَطْرِيقِي، -

لَا طَرِيقٌ إِذَا لَمْ تَكُنْ خُطَوَاتِكَ أَبْهَى

كِسَاءٍ لِأَهْوَالِهَا.

حَيْرَتِي فِي مِتِّي، -

لا أرى من مكانٍ

لِضَيْقِ وَكُزِهِ

في حياتي، لكنتي أتناسى وأُهْمِلُ:

لا رايّة، لا حُدُودَ

وكأني صُعودٌ يقولُ الهبوطَ، هبوطٌ يقولُ
الصُّعودَ.

هُودَا ابْنُ شَبِيبٍ وَأَنْصَارُهُ
يَفْتَكُونَ بِأَصْحَابِ نَضْرٍ: قَتَلُوا
إِبْنَهُ تَمِيمًا

قَتَلُوا قَادَةَ وَجُنُودًا، وَتَبَدَّدَ
أَصْحَابُ نَضْرٍ.

وَنِبَاتَةٌ - حَزُّوا رَأْسَهُ، أَرْسَلُوهُ
لَأَبِي مُسْلِمٍ.

قَتَلُوا حَيَّةَ إِبْنِهِ، قَطَعُوا رَأْسَهُ -
أَرْسَلُوهُ لِأَبِي مُسْلِمٍ،

قَتَلُوا مِنْ جُنُودِ الشَّامِ وَأَنْصَارِهِمْ
أَلُوفًا، وَقَالُوا: قَتَلْنَا ثَلَاثِينَ
أَلْفًا.

الإشارة إلى قحطبة بن شبيب
صاحب أبي مسلم الخراساني،
وإلى نصر بن سيار العامل
الأموي على خراسان، ونباتة
ابن حنظلة العامل الأموي
على جرجان، سنة ١٣٠
هجريّة.

* أقرأ اليومَ في دَفْتَرِ الْمَعْصِيَةِ
شَدْرَاتٍ عَنِ الرَّفْضِ - لَاءَاتِهِ
وجراحاتها، والخيوط التي تَصِلُ
الجُرْحَ بِالْأَغْنِيَةِ.

- ش -

يتساقطون، - الوقتُ قافلةً تَسِيرُ

أمامهم .

شَعَفِي هُنا وَالآنَ جَائِحَةٌ : تُرَاهُ،

لم يَكتَمَلُ أَلقُ البِدايَةِ؟

يتساقطون، وَلسْتُ أَتَنظَرُ التَّهْيَاهِ .

○ حَدَّثَ الرَّأوِيَةَ :

قال مُسْتَهْمَلًا صَحْبَهُ :

لن نَقَاتِلَ حَتَّى تَرَى قولهم،

- في الكتاب؟

- الكتابُ إِلَى جَوَلَتِي .

- في اليَتِيمِ؟

- سَنَفَجُرُ فِي مالِهِ وَفِي أُمِّهِ .

- القِتالُ حلالٌ لَكم .

وَتَى الزَّوايِة :

قُتِلَ الخارِجِيُّ أَبُو حمزة،

قتلوا فِي المَدِينَةِ، بَعْدَ الهِزِيمَةِ،

أَصحابُهُ كَلَمَهُم،

وَكانوا

قتلوا مِن قَرِيشٍ

عَدَدًا طَمَّ أَسواقِها .

* لَسْتُ فِي داخِلي

لَسْتُ خارِجَ أَعْضائِي النَّاجِلَةِ،

أين يَمْضِي بي التَّيَهُ؟ ما هَذِهِ

القَافِلَةُ؟

وَتَى الزَّوايِة :

إِبْنُ يَحْيَى قَتِيلٌ : قَطَعوا رَأْسَهُ،

أرسلوه لِمَروانَ فِي الشَّامِ،

فِي الجُزْفِ يُقْتَلُ إِبْنُ عَطِيَّةِ .

الإشارة إلى أبي حمزة
الخارجي، والحوار بينه وبين
جند الشام، حيث التقوا في
وادي القرى، سنة ١٣٠
هجريّة .

الإشارة إلى عبد الله بن يحيى
الملقب بـ «الطالب بالحق» في
صنعاء . وابن عطية هو قاتله .

- ت -

عَجَبِي أَنِّي مِثْلُ وَزِدٍ
لَا يُزْعَمُ إِلَّا فِي اتِّجَاهِ عَدِي يُقْبَلُ،
أَلْهَذَا - أَبَدًا أَرْحَلُ؟
عَنْ يَا طَائِرَ الْمَوْتِ، عَنْ
لَا طَرِيقَ تَوْدِي إِلَى صَبَوَاتِي - تُرَاهَا
حَجَبْتَنِي حَيَاتِي عَنِّي؟

قحطبة قائد جيش أبي مسلم
الخراساني سنة ١٣١ هجرية.

○ حَدَّثَ الرَّأْيِيَّةُ:

قتلوا عامر بن ضبارة
قائد جيش الشام،
وقر الذين نجوا من
يدي قحطبة.
قتلوا في خراسان
قادة جيش الشام،
ويُدَّ أنصارهم.

وَتَى الرَّأْيِي:

نادى:

- «مَنْ يَلْقَ أُسِيرًا
فَلْيَضْرِبْ عُنُقَهُ،
وَلْيَأْتِ بِرَأْسِهِ.»

* كَيْفَ، مِنْ أَيْنَ أَقْدَرُ أَنْ أَتَيِّقَنَّ أَنِّي
أَنَا، الْآنَ، نَفْسِي؟
هَلْ أُغَيِّرُ حَسِّي؟

كلام لقحطبة مخاطباً أنصاره.

○ حَدَّثَ الرَّأْيِيَّةَ:

فُحْطَبَةٌ

جُنْفَةٌ فِي الْفُرَاتِ: «إِذَا مِتُّ،
شَدُّوا يَدَيَّ، أَقْذِفُونِي

فِي الْمَاءِ،

كَيْ لَا يَرَى النَّاسُ آتِي مِتُّ.»

وَتَى الرَّأْيِيَّةَ:

أَمَرُوا ابْنَ عُلَيْسَةَ عَلَى جَيْشِهِ.

وَتَى الرَّأْيِيَّةَ:

قُتِلَ ابْنُ مُحَمَّدٍ -

كَانَ رَأْسُ الْخُرُوجِ عَلَى خَلْفَاءِ
أُمَيَّةَ.

وَتَى الرَّأْيِيَّةَ:

أَهْلُ الشَّامِ سَنَاتٌ، وَالْعَرَقِيُّ
كَثُرُ يَمِينُ قُتِلُوا.

وَتَى الرَّأْيِيَّةَ:

مَدَنٌ - لَا ذَاكِرَةَ فِيهَا غَيْرُ
الْمَوْتِ، وَغَيْرُ دَوَارٍ فِي أَنْفَاقِ
الْمَوْتِ.

- ث -

جَدَّتِي (وَأَ دَمًا فِي دَمِي)، -

هَلْ أَدَوْبُ دَهْرِي كَجَبْرِ

وَأَخْطَ بِهِ مَوْتَهَا

وَأَخْطَ بِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي عَشَقْتَهَا،

وَأَسْلَسِلُ فِي جَزْسِهَا جِرَاحِي؟

لَا أَقْسَرُ، بَلْ أَفْتَحُ الْجِرْحَ فِي غَيْهِبِ الدَّلَالَةِ

خَاشِعًا - أَتَجَرِّعُ كَأْسَ الْفَجِيعَةِ حَتَّى الثَّمَالَةِ.

الإشارة إلى وصية فحطبة قائد
جيش أبي مسلم الخراساني،
سنة ١٣٢ هجرية.

الإشارة إلى إبراهيم بن محمد
ويُعرف بإبراهيم الإمام.

* كَوَمْتُ غِبَارًا

فِي هَيْئَةِ قَبْرِ،

وَرَسَمْتُ عَلَيْهِ شَمْسًا.

○ قال الزاوي:

عبد الله بن علي في قلب دمشق
- «سوى جامعها اضطربلاً»

لم يشهد في قبر معاوية إلا
خيطاً أسوداً مثل هباء.

جسّم هشام كان صحيحاً - لم
يئل سوى جزء من أنفه

صلب الجسم وأحرق: ذروه
في الزبيخ.

وثى الزاوي:

قبر عبد الملك

فارغ ليس فيه سوى الجمجمه.

- خ -

أول الأغنية

جسد يتفتح في ألوي المعصية، -

مذ هبطنا إلى الشعر أو مذ صعذنا،

نفينا.

مذ كتبنا، نفينا.

هكذا، أتواطأ ضدي

في دم الأبجدية

في جموح اللسان وشهوة نيرانه الأولية.

* في أحضان الحب،

يصير الموت عشيقاً.

سنة ١٣٢ هجرية.

الإشارة إلى هشام بن عبد
الملك.

عبد الملك بن مروان.

سنة ١٣٢ هجرية.

- ذ -

آيتي أَنِّي مِنْهُمْ - بَشَرٌ مِثْلَهُمْ
ولكنني
أَسْتَضِيءُ بما يَتَخَطَّى الضياءُ
آيتي أَنَّهُمْ
يقرأون الحُرُوفَ، وأقرأ ما في الخَفَاءِ.

○ قال الزاوي:

في يومٍ واجد
قتلوا من أبناء أمة آلافاً،
بَسَطُوا الأنطاعَ عليهم - مَدَّوْا
بُسْطاً، أَكَلُوا
كان القتل يَختلجون
فوقَ الأنطاعِ وتحت الأنطاعِ
ويَحْتَضِرُونَ.

وثى الزاوي:

قتلوا مرواناً، حَزُّوا رأسه
بعثوه إلى السَّفاحِ
بعثوا معه الكاتب

وُلِّيَ عبد الجبارِ عقوبتهُ: يحمي
طسناً بالثَّارِ، يَتَوَجَّ رأسه.
كزَّر ذلك مَرَاتٍ، حتَّى مات.

وثى الزاوي:

قطعاناً خَرَجَتْ من إضْطَبَلِ
العَضْرِ وَضَلَّتْ.

* لا أحتاج لهذي الشمسِ، شموسي
لا تَحْتَاجِ إليّ، -
حَزْبِي فِي أَحْشَائِي:
يُخْرِجُ فَيَلْقُ أَعْدَائِي
من بين يديّ وَمِنْ شَفْتِي.

قُتِلَ، بحسب الزواية، اثنان
وتسعون ألفاً.

مروان الحمار آخر خلفاء بني
أمية.

عبد الحميد الكاتب، وعبد
الجبار هو صاحب شرطة
السفاح.

○ حَدَّثَ الرَّأْيَةَ:

رَأْسُ مَرَوَانَ بَيْنَ يَدَيْ هِرَّةٍ
تَسْتَطِيبُ اللِّسَانَ وَتَلْهُو بِهِ:
«هَذِهِ ذُرَّةُ المَوْعِظَةِ».

وَتَى الرَّأْيِي:

بُويَعُ لِلسَّفَاحِ فِي الكُوفَةِ،
بِالخِلَافَةِ.

قال فِي خِطْبَةٍ،

بَعْدَ أَنْ بَايَعُوهُ:

«إِنِّي النَّائِرُ المُبَيَّرُ».

- ض -

قُمصَانُ الشَّمْسِ اتَّسَخَّتْ

وَضِيَاءُ الرَّمْلَةِ يَغْسِلُهَا،

لَوْ كَانَ المَعْنَى طِفْلاً

لَرَأَى فِي الرَّمْلَةِ مَهْدًا، وَالدُّنْيَا طِفْلاً

وَلقَالَ: الشَّعْرُ يَطُوفُ، وَفِي عَيْنَيْهِ

يَتَمَوَّجُ ضَوْءُ الرَّمْلَةِ.

* قَلْبٌ - لَا مِنْ لَحْمٍ،

مِنْ وَسْوَاسٍ

لَا يَجِيءُ إِلَّا مَجْرُوحًا

يُنزَفُ بَيْنَ قُلُوبِ النَّاسِ.

قال المتنبي بعد أن التقى
حامى الأدب والفن أبا محمد
الحسن بن عبيد الله وكان والي
الرملة: «إبيضت أيامي
بعده».

سنة ١٣٢ هجرية. قال
السفاح، فيما يروى: «لولا
يُرنا الذهر من عجائبه إلا
لسان مروان الحمار، وهو في
فم هرة تمضغه، لكفى بذلك
موعظة».

- ظ -

أَتَقَدَّمُ، لَكُنْتَنِي هَلْ أَسِيرُ؟ أَحَدُكُمْ، لَكِنْ
تُرَانِي، أَرَى؟

زَمَنْ كَاذِبٌ، بَلَدٌ مُفْتَرِي

هَلْ أَقُولُ لَشَعْرِي أَنْ يَتَوَخَّشَ، أَنْ يَتَمَاهَى

بِمَحَالَاتِهِ؟

كَيْفَ، مِنْ أَيْنَ لِلشَّعْرِ أَنْ يَغْلِبَ الرَّمْلَ، أَوْ
أَنْ يُغَيِّرَ هَذَا الْفِضَاءَ؟

أَتُرَانِي كَغَيْرِي: أَصْنَعُ مِنْ شَهْوَاتِي

جِبَالاً، وَأَجْرُ السَّمَاءِ؟

○ قال الراوي:

السُّفْيَانِيُّ يَقَاتِلُ ابْنَ عَلِيٍّ

يَقْتُلُ آلَافاً مِنْ جَيْشِ الْعَبَّاسِيِّينَ،
وَلَكِنْ

ظَفَرَ الْعَبَّاسِيِّينَ،

قَتَلُوا أَنْصَارَ السُّفْيَانِيِّ، جَمِيعاً -
فَرْداً، فَرْداً.

هَرَبَ السُّفْيَانِيُّ، وَلَكِنْ، قَتَلُوهُ -
حَزَّوْا رَأْسَهُ،

أَخَذُوهُ لِلْمَنْصُورِ

وَابْنِي لَهُ.

وَتَى الرَّاوي:

قَتَلُوا حَفْصاً أَوَّلَ مَنْ سَمَّوْهُ
وَزَيْراً.

وَتَى الرَّاوي:

أَبْنَاءُ أُمِّيَّةٍ فِي مَكَّةَ

قَتَلُوا دَاوُدَ بْنَ عَلِيٍّ.

وَتَى الرَّاوي:

شَمْسٌ تَنْشُرُ أَخْبَارَ الْقَتْلِ
وَتَوَزَّعُهَا فِي أَكْيَاسٍ لَيْسَتْ إِلَّا
أَجْسَاماً حَيْثَا، وَرُؤُوساً حَيْثَا.

الإشارة إلى محمد السفيناني ابن
عبد الله بن يزيد بن معاوية،
وإلى عبد الله بن علي، سنة
١٣٣ هجرية.

الإشارة إلى أبي سلمة حفص
ابن سليمان أول من وازر لبني
العباس.

* تَرَكَ الْمَوْتَ يَسْبِغُ فِي مَاءِ أَحْلَامِهِ،
وَأَبَاحَ لَهُ سِرَّهُ،
كَيْ يَكُونَ قَرِيناً لَهُ،
وَيَكُونَ لَهُ صُورَةً.

○ قال الزاوي:

قال شريك:

«قَتَلُ نَفُوسَ، سَفَكَ دَمَاءَ -
كَلًّا، لَيْسَ لِهَذَا بَايَعْنَا آلَ
مُحَمَّدٍ.»

وثى الزاوي:

مات شريك بعد قليل، قتلًا.

- غ -

قال صوت لصوتي:

لا أرى فوق أرض قريش
غير من يقتلون، ومن يقتلون،

قال صوت لصوتي:

وقتنا خيمة والفجعة قديها.

قال صوت لصوتي:

والضحى، ينطرون
كل ما لا يرون ولا يعلمون.

* مَرَّةً، قَالَتِ الْأَرْضُ لِلشَّعْرِ: هَبْنِي
إِقَاعَكَ الْيَوْمَ كِي أَكْتَبَ الْقَصِيدَةَ،
كَانَ فِي يَأْسِهِ يَتَمَرِّقُ، يَنَأَى وَيُوغِلُ
فِي شَمْسِهِ الْبَعِيدَةَ.

شريك المهري، سنة ١٣٣
هجريّة.

فاصلة استباق

إنه طرَبَ العَصْرَ أينما حضرتم في المكان ترون وجهه

حين تَحْطَى بروية المكان، يُسْتَحْسَنُ أن تنحني ترفع يديك مهابةً تلوِّح بالعلامة التي تميِّزك
إمسح بوجهك الباب الأَسْلَمُ أن تقبل العتية أولاً استقبله بصدرك أثير إليه تمجيداً كيفما
سرت يحسن أن تسير متقارب الخطوات من غير وثبٍ زَمَلاً واستتيز المكان، أينما توجهت
مكاناً للنخر لك أن تعتبر بالهواء أو بالغبار أو بهذا الذي يظهر الآن أمامنا أنظر إليه يأخذ
الحصى تحيةً للمكان لا أي حصى يأخذ المتطاوِلُ المُسْتَنُّ يرميه يميناً يساراً أمانة وراءه
مع كل حصاة يرميها يسبح السماء بحمد الملائكة يقدر أن يرميها ركباً أو راجلاً جالساً
أو قائماً

مأمور بالزمني

قبل طلوع الشمس

ويجوز في الليل

وقبيل المغيب

إنه طرَبَ العَصْرَ

وأصغينا جيداً إلى الخطب التي تعلّم النُحْرُ، - لا يُنْحَرُ إلا الأفضل اقتداءً بالكبش الذي افتدي
به إسماعيل النحر عبادةً والدّم لكتابة التاريخ اعتباراً واستبصاراً - قلنا التاريخ سائل نزل في
هذا المدى العُفْل رَجَحْنَا إمكان وصفه بأنه صِبْغٌ أو مَرَقٌ ماء معتصر أو مخلل
واستدركنا - أحياناً يتغيّر وصف السائل كأن يصير ما ينحل في الماء جزءاً من الماء آنذاك يمكن
القول المكان سائل أجز

كلاً، لم تكن ترسمُ يا امرأ القيس إلا لأنك تحو يقول صديقك المتنبّي الذي لا تعرف اسمه
والذي تحيط به الآن أشكال أقواس فيما يرى ملاكاً يرفع يديه ليبارك العساكر

في طرب العصر

ويقدم لها بقلّ الروح في إيقاعات حوِّذ وأنصال لها هالة الوحي وتجلس حول الموائد

خُشوعاً خُشوعاً

السَّمَاءُ تنزل وتجلس هي أيضاً تتأمل كيف يتوحَّشُ الثَّبات الإنسيّ كيف تخرج الحيوانات الجاثمة في أرحام الكلمات كيف وجد القتلُ طريقه إلى المكان الذي رأى الله فيه صورته وقال: حَسَنَ هذا وها هي تُصغي إلى شفاهِ بيئته الأرجل تصدح بخطبة الأزمنة لم تشعر أنك معني هذه الأبهة (ونحن هنا نخاطبُ المتنبي) قلنا تنزل السَّماءُ وتجلس هي أيضاً تستطيع أن تواكبها أينما توليت (ونحن هنا نخاطبُ ضميراً غائباً) أن ترى إليها ترقصُ وتغني لا تقل إنها تتصنع قل إنها تدرّبُ على طرَبِ العَصْرِ

هوذا رأسٌ

نَزَلْ عن كفيها

وأخذ يتنبأ -

نسيجٌ إسفنجيٌّ من الرُّؤوس والأطراف يمتصُّ رؤوساً وأطرافاً أخرى وساطةٌ تضعُ الرُّوح في أطباقٍ تغطيها خوفاً من الشياطين مكانٌ آخرٌ يشبُّ في هذا المكان من أحشائه تخرج طفولة القتل وعلى هذه الصُّورة سيكونُ ما يكون آمين .

إنه طرَبُ العَصْرِ

تأخذ الفراغُ بيتاً وتستكمل السقوط ترى التراب يترصَّصُ ويتجسُّ دماً ترى جدراناً تلتهم البشرَ بشراً يتسولون الغبار ترى إلى الكلام يتدقُّ جثثاً من الحناجر ولن تحظى بالحياة إلا مصادفةً

بين الموت والموت

إذن، أَلن تقولَ لكلِّ منا ماذا يفعل حين تموت؟

هل يُكثر من ذكر هادم اللذة؟ هل يتخشَّع ويتفكَّر في مآله؟ هل يمشي وراء جنازتك أم أمامها؟ يتبعها بنارٍ أم سراج؟ يرفع صوته؟ نغمقُ القبر إلى الصُّدر؟ وأين نضعُ رأسك؟ وكم نرفع قبرك عن الأرض - شبراً أم فتراً؟ أنرثُ فوقه الماء؟ أنبنيه وننقشه ونجصَّصه؟ هل نجلس عليه، أو نتكىء، أو نمشي؟ وقبل ذلك هل نُسرع بالجنازة وكيف؟

ثمَّ نطمئنُ إلى النبوءة، -

أ - الإنسان يسيِّرُ نحو البيغاء، ب - يُولد جنسٌ آخر من حيوانات الله، ج - الدَّم ساعة رمليةٌ والرياح جنازات عائمة .

إنه طرَبُ العَصْرِ .

هوامش



- I -

وَضَّاحِ الْيَمَنِ

أَخَذَ الْحُبُّ تَارِيحَهُ الْأَوَّلَا،

يَأْخُذُ الْمَوْتُ تَارِيحَهُ الْمُقْبِلَا، -

تَلْبَسُ الْبِئْرُ أَخْزَانَهُ

وَتَذَوَّبُ فِي مَائِهَا قَلْبَهُ

وَتَقُولُ لَهُ: صَرْتُ مِثْلِي -

لَنْ نَحْنُ، وَلَنْ تَأْمَلَا.

دفنه الوليد بن عبد الملك حيًا
في بئر، لأنه تغزل، كما قيل
بابته فاطمة.

وفي رواية أن أم البنين، امرأة
الوليد بن عبد الملك، عشقته
وعشقها، وحدث مرة أن
سمع الوليد بخبر وجوده
عندها، فأخبأته في صندوق
أخذه الوليد ودفنه في حديقة
داره.

سنة ٩٠ هجرية.

- II -

يزيد بن الطثرية

كلما اشتعلت نجمةً

فوق أهدابه،

مرّ في وهمه تذيُّ أنثى

وانحنى راعشاً فوقه.

قلبه مُثَقَّلٌ بالبُرودةِ هذا المساء،

كيف لا تتحيرُ فيه النساء؟

مات قتلاً، سنة ١٢٦ هجرية.

- III -

أعشى مُمدان

قَتَلِي تَعْرِيفَ لِحَيَاتِي - لَا تَتَكَبَّرُ.

مَنْذُ تَكْوَنَ هَذَا الْإِنْسَانُ

وَسَقَى اللَّهُ جَنَائِنَ آدَمَ، بِالشَّهَوَاتِ،

وَنَجَّى نُوحَ

مِنْ طُوفَانِ الْعَالَمِ - كَانَتْ

تُحَلَّقُ بِاسْمِ الرُّوحِ، لِمَجْدِ الرُّوحِ

أَجْسَادَ لِلْعَصِيَانِ.

قتله الحجاج.

- IV -

توبة بن الحمير

سَلِمْتَ أَخِيلِيَّةَ لَيْلَى، سَلِمْتَ دَارُ لَيْلَى

حُبُّهَا عِطْرُنَا، عِطْرُهَا أَرْضُنَا

كَيْفَ أَنْقَلُ حَبِي

لِللُخْطَى - وَقَعْتَهَا كَأَنْشُودَةٍ قَدَمَاهَا؟

لِلدَّرُوبِ الَّتِي تَتَمَشَّى عَلَيْهَا،

لِلفَرَّاشِ الَّذِي تَتَمَدَّدُ فِي حَضْنِهِ؟

كَيْفَ أَنْقَلُ حَبِي لَهَا؟

أفبير دمه ومات قتلاً، سنة
٨٠ هجرية.

- ٧ -

قيس بن ذريح

بعد أن قالت الشمسُ: أعطيتُ لُبنى سِمَاتِ
النُّجوم، وأحوالها،

لم أزل أتفرّس فيها، أتقرّى تقاطيعها
وأسائلُ إزميلَ حبي:

كيف أنحّتُ تمثالها؟

أحبُّ لُبنى، ولكنها لم تنجب
أجبره أبوه على نطليقها،
فأصيب بعد فراقها بالجنون،
سنة ٦٨ هجرية.

- VI -

أبو دهب الجمحي
أغوني، أيها الحبُّ يا أيها الساجِرُ،
جسدي قابلٌ
ودمي قابلٌ
وضلالك لي غافِرٌ.

كان جميلاً، يُرسل شعره فوق
منكبیه، وكان سيِّداً من
أشراف قومه. مات سنة ٦٣
هجريّة.

- VII -

يزيد بن مفرغ الحميري

ليل ونهار:

فَعْلَانِ - الأَوَّلُ مُلْكُ

والثاني مَلِكُ،

ويزيدُ بينهما

لَفْظُ مَجْرُورٍ.

كان عبداً وأُغْتِقَ. سُجِنَ،
وكان يكتب شعره على
جلدان السجج، مات سنة
٦٩ هجرية.

- VIII -

عروة بن حزام

أُتْرِى الآنَ أَيْقُنْتُ أَنَّ الحِياةَ

التي تَتَبَرَّجُ - طَوِراً لِهَيْباً،

وطَوِراً زَيْدًا،

لا مَكَانَ لَهَا

غَيْرُ هذا التَّعْيِيمِ الجَحِيمِ الجَسَدُ؟

أحبّ عفراء ابنة عمّه، لكن
زوّجت إلى غيره، بدون
إرادتها. يقال ماتت حزناً،
على قبره.

مات سنة ٣٠ هجرية.

- IX -

كثير عزة

وَجْتَتَاكَ، ذِرَاعَاكَ، صَدْرُكَ

غَابَاتُ حَلْمٍ

لِهُبُوبٍ بِلَا غَايَةٍ

غَيْرَ أَنْ تَتَسَمَّ عَزَّةً - لَكِنْ

لُعَّةُ الْحَبِّ مَجْرُوحَةٌ

وَزَمَانَ الْمُحَيَّنِ جُرْحٌ.

غَيْرَ أَنَا نَهْوَمُ مِثْلَ الْفَرَاشِ: الطَّبِيعَةُ

بَابٌ عَلَى الْمَوْتِ،

وَالْجُنْسُ، كَالضَّوءِ، مِفْتَاحُهُ.

وقف معظم شعره على عزة،
مات سنة ١٠٥ هجرية.

- X -

الفرزدق

أَتَعَلَّمَ مِنْكَ لِأَعْرَفَ مِثْلِكَ مَا تَعْرِفُهُ:

لِلكَلِمَاتِ قِبَائِلُ أَيْضاً

وَلِكُلِّ مِنْهَا جَيْشٌ.

كَلِمَاتٌ تَسْتَعْبِدُ أُخْرَى

لِثُبَّتِ عِزْشاً

فَوْقَ بَقَايَا كَلِمَاتٍ بَادَتْ.

وَالْمَنْطُوقُ الْمُرْتَبِيُّ مِنَ الْكَلِمَاتِ كِتَابٌ

يَنْزَلُ مِنَ لَامِرْتَبِيِّ:

جَسْرُ سَرَابٍ

بَيْنَ رَمَادٍ يَمْضِي، وَرَمَادٍ يَأْتِي.

VII

يَضُمُّهُ الْمِسْنَكُ ضَمًّا مُسْتَهَامًا بِهِ

الْمُتَنَبِّي

○ قال الزاوي:

قتلوا بساماً

قتلوا أصحابه.

وثى الزاوي:

قُتِلَ الصُّفْرِيُّ،

أمير الصُّفْرِيَّة

عَشْرَةَ الْآفِ قُتِلُوا مَعَهُ،

فيما قالوا:

حُرقت كلُّ بيوتهم

حُزَّتْ كلُّ رؤوسهم.

وثى الزاوي،

حذراً حائراً:

ربّما، خَطَأً أن نرى السيفَ

سيفاً،

ربّما كان وَجْهَ الْمَلَاكِ -

مُؤْذِناً بِالْهَلَاكِ.

- أ -

سائِرُ بَيْنِ جَرِحٍ وَجَرِحٍ لِأَنْطَاكِيَّةِ

أَتَعَلَّمُ أَنْ أَسْتَضِيءَ بِلِيلِي

أَتَعَلَّمُ أَنْ أَحْضَنَ الْهَائِيَّةِ،

وَأَرَى فِي عَذَابِ الْجَسَدِ

مَا يُضِيءُ الْأَبْدَ.

الإشارة إلى بسام بن إبراهيم
الذي خرج في المدائن.

الإشارة إلى الجلندي أمير
الخوارج الصُّفْرِيَّة في عُمان،
سنة ١٣٤ هجرية.

* ما الكتابة؟ ماذا سيكتب؟
أطيف ما حفظته له الذاكرة
أم سيكتب نيرانه الساهرة؟

- ب -

كيف تجرأ سيّاف

أن يمنع سنيري،

أن يحجزني؟

هل يأملُ هذا الوالي أن أمدحهُ؟

أملُ بالبحرِ يصيرُ حصاةً.

سأقولُ لها - لطرابليس:

أبهي وقتٍ فيها تسترُوحُ فيه نفسي،

وقتُ

يُعطي رأسي للشمس ويُعطي الشمسَ

لرأسي.

* أقصى بما يصل اليأس، وأقصى بما

يعدُّ الأملُ:

تلك دروي أكتبها

كقصيدة بوح لا تكتملُ.

○ أكد الزاوية

أن تاريخه،

مثلما صور المتنبي

وجه تاريخه:

لم يكن غير رقص

على الهاوية.

○ وصف الزاوية

من يعيشون في عصره،

قافياً رؤية المتنبي:

لم تعد وردة

تفتتح في فكرهم،

قطعوا جذرَ أحلامهم.

- ج -

قُتِلَ ابْنُ كَيْغَلَعٍ فِي جَبَلَةٍ، -

لَا أَسْرَ وَلَا أَحْزَنُ،

لَيْسَ لِي رَايَةٌ غَيْرَ نَفْسِي -

فَأَنَا فَوْقَ مَا أَضْمَرُوا، وَمَا أَعْلَنُوا،

أَهْوَى الدَّهْرُ يَخْتَارُنِي:

أَتَحَايَلُ فِي ثَوْبِهِ

وَأَعِيشُ خَصِيماً وَنَدَاً لَهُ؟

الإشارة إلى عدو المتنبي،
ولكى قوله فيه حين قُتِلَ: «إن
مات، مات بلا قُتَيْدٍ ولا
أَسْفٍ،

أو عاش، عاش بلا خَلْقٍ ولا
خُلُقٍ».

* يُضْغِي حُرُوفٍ لَا أَسْمَاءَ لَهَا،

وَيُعَاشِرُهَا، وَيُغْنِيهَا

كِي تَتَعَلَّمَ فِيهِ سِرَّ الْأَسْمَاءِ

وَتَسْمَى الْأَشْيَاءَ.

في الطريق إلى تدمر وإلى بعلبك
وخص
تقرئت يونانها
وتقرئت رومانها
وتقرئت ما تفعل الأبيدية في جبرها، -
أسكرتني أيقونة.

هو عم الخليفة المنصور. وقيل
إن المنصور هو الذي أوحى
بهذه الطريقة من القتل، سنة
١٣٧ هجرية.

* حين سيأتي موتي
سيراني، وأنا شيخ،
طفلاً يلهو بالدنيا.

○ قال الزاوي:

بيت، -

آساس من ملح،

سجنوا فيه

عبد الله بن علي.

أجروا ماء في الآساس،

فذاب الملح، -

البيت تهاوي:

بيت من ملح

قبر لابن علي.

وثى الزاوي:

قتلوا أصحاب

ابن علي.

دِزْهَمَ - بَيْرَقَ

فوق رأسِ دِمَشقِ

تَوَجَّهَتْ بِعَرْشِ لِهْ شَكْلُ سَيْفِ،

حوله الأرضُ بُزْكَانُ ظُلْمِ وَجْهِدِ

حوله الدَّهْرُ طَوْفَانُ قَتْلِ،

وَلَهُ النَّاسُ جَبَانَةٌ.

الإشارة إلى أبي مسلم
الخراساني، وسنباذ أحد
أتباعه، خرج في خراسان،
مطالباً بدمه، سنة ١٣٧
هجريّة.

○ قال الزّاوي:

لَقَوْهُ فِي عِبَاءِ

رَمَوْهُ فِي دِجْلَةٍ.

وثى الزّاوي:

قالوا - حيّ يُزْرَقُ،

وهو إمام

لكن، محبوس في الرّي،

ويظهر حين يجيء

الوقت،

وقالوا: من أهل الجنّ،

لَهُ أَصْحَابٌ،

وهو نبيّ، - زارا أَرْسَلَهُ.

وثى الزّاوي:

قتلوا سُنْبَاداً

قتلوا آلافاً من أصحابه.

* هُوْدَا، نقرأ في وجهك، يا هذا

الفضاء

مَا يَرَاهُ الشَّعْرَاءُ.

- و -

أَلْقَتَالُ هُنَا، وَالْقَتَالُ هُنَاكَ، هُنَاكَ: شَرَعُ
وَالرَّؤُوسُ حَصَادٌ
يُذَرِّيه كُلُّ بَأْيَاتِهِ.
أَتَرَى يَمَكُنُ الْعُبُوزُ؟
أَتَرَى يُؤَمِّنُ الْعُبُوزُ؟
وَحَدَّهَا، ذُرَوَاتُ الشُّجَرِ
تَتَحَنِّي فِي سَلَامٍ
لِتُحَنِّي الطَّيُورُ
وَتُحَنِّي الْمَطَرُ.

○ قال الراوي:

قتلوا جهوراً
قتلوا صحبة
كلهم.

وثى الراوي:

قتلوا الخارجي - المعبد،
قتلوا ما يزيد على الألف
من صحبه.

الإشارة إلى جهور بن مرار
العجلي الذي خرج على
المنصور، سنة ١٣٨ هجرية،
ولى خارجي آخر هو المعبد.

* ثِقَّةُ الْعِطْرِ بِالْوَزْدِ: هَذِي
ثِقَّتِي بِحَيَاتِي.

- ز -

مُدَّنْ لَمْ تَعُدْ
غَيْرِ إِسْمٍ وَأَنْتُمْ
وَلَهَا الْأَبْجَدِيَّةُ - مَرْصُوفَةٌ
بِالْمَقَابِرِ،
مُخَفَّوَةٌ بِالسُّيُوفِ
أَنْتِ بُهْلُولُ هَذِي الصَّحَارَى، وَشَحَادُ تِلْكَ
الْحُرُوفِ
ضَعِ أَغَانِيكَ فِي قَضَعَةٍ
وَجِبِينِكَ فِي حُفْرَةٍ، -
لِلْعُبُودَةِ هَذَا الْمَكَانُ وَهَذَا الْمَقَامُ
وَلَهَا هَذِهِ الْخِيُولُ لَهَا هَذِهِ الْخِيَامُ.

* مَا أَصْعَبَ أَنْ أَبْقَى
فِي نَفْسِي، دَاخِلَ نَفْسِي، وَأَكُونَ
لَهَا،
مَا أَصْعَبَ أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا
لَأَكُونَ الْآخَرَ.

○ قَلَمٌ أَعْمَى:

يَمْرُجُ مَاءَ الشَّكْلِ

بِعَصِيرِ الْبَقْلِ، -

كَانَ الزَّائِرِي

يَتَأَمَّلُ فِي تَارِيخِ الْجَبْرِ

وَيُشِيرُ إِلَى كِتَابِ الْعَصْرِ.

- ح -

أَتَنَسَّمُ فِي هَذِهِ الرِّيحِ لَيْلِي وَالْجَثُوبَ: تُرَى
قَيْسٌ يَحْيَا
قَلِقًا حَائِرًا
فِي خُطَايَ، وَفِي قَسَمَاتِي؟
طَائِرٌ فِي سَمَاءِ الشَّامِ تَنْبَأُ، لَكِنْ
لَا يَقُولُ نَبِوءَاتِهِ، -
مَالِحٌ مَاءَ هَذِي الدَّقَاتِي، وَالْقَحْطُ يَجْرُدُ عَنِ
شَجَرِ الحُلْمِ أَوْرَاقَهُ.

○ حَدَّثَ الرَّائِيَةَ:

دَعَا لِحَلَاةِ

أَلِ عَلِيٍّ،

فَأَيَّدُوا جَمِيعًا.

وَتَى الرَّائِي:

قَتَلُوا كُلَّ الرَّائِدِيَّةِ،

لَمْ تَبْقَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ

بَقِيَّةٌ.

* لَمْ يَكُنْ وَاهِمًا، حِينَ قَالَ: السَّمَاءُ
امْرَأَةٌ، -

كَانَ يَحْلُمُ بِالْأَرْضِ، يَسْكُبُ أَحْلَامَهُ
فِي قَنَادِيلِهَا الْمُطْفَأَةِ.

الإشارة إلى جماعة من
الأمراء، وقد قتلهم أبو داؤد
نائب خراسان، سنة ١٤٠
هجريّة.

الإشارة إلى طائفة الرائديّة
التي خرجت على المنصور.

- ط -

نقطة ، نقطة -

يتقطرُ علْمُ الغُيُوبِ على فقهاءِ السَّامِ:

لا يَحُلُّ على هذه الأرضِ شِعْرٌ،

هل يَحُلُّ

الترخُلُ فيها، إذن؟

هل يَحُلُّ المَقَامُ؟

○ أخذ الزاوية،

يترنم في خفية:

الحروب التي تتوالى

في هياكل

في صلوات،

والحروب الوسائد والشهوات،

والحروب التي ابتكرت

باسمها الكلمات:

هُودًا حُبْرًا.

* لا طريقٌ تؤدي إلى ذروة الحياةِ

سوى المستحيل، إذن لا مَقَامُ،

والنديمُ ظلامٌ -

أديرِ الكأسَ، يا أيها الظلام.

- ي -

جُنْدٌ -

يَفْتَحِمُونَ، وَيَفْتَحُونَ، وَيَمْتَلِكُونَ

ويقولون: لنا أرواحٌ

تقدرُ أن تتنزّه في الفردوسِ

وتقدر أن تتزوَّج فيه

ذكراً أو أنثى -

من شاءت، ما طابَ لها.

○ ومضى الزاوية

في ترانيمه:

تحدثت مع حزبية

ونعاشير جبانة

ونؤول ما خبا الله

في موجة

في خصاة،

لا لشيء - سيوى أن نُحيي

الشتات،

ونزفَع أنشودة

للعضاة.

* لا أقصّ الشقاء، ولكن

أتقصّي الزمان وميراثه الحميم

وأقول: اهبطوا، لا قرار، إلى قاع

هذي الجحيم.

- ك -

الإشارة إلى محمد بن إبراهيم
ابن عبد الله بن الحسن بن
علي بن أبي طالب، الملقب بـ
«النفس الزكية». سنة ١٤٤
هجريّة.

كَيْفَ لِي أَنْ أُوَاطِنَ هَذِي الْحَيَاةَ، كَمَا
رَسَمُوهَا وَكَمَا خَيَّلُوهَا؟

أَبْدَاءً، أَتَبَدَّلُ فِيهَا - أَبَدَّلُ يَأْساً قَدِيماً

بِيَأْسٍ جَدِيدٍ،

كَأَنِّي أَبَدَّلُ نَوْبِي.

لَنْ أُوَاطِنَ غَيْرَ التَّمَرِّدِ فِيهَا وَالخُرُوجِ عَلَيْهَا.

عَبَثاً تَتَشَاءُ مُ - تَمَحُو طَرِيقِي،

وَتَنْقَرُ هَذَا التَّرَابَ

أَيْهَذَا العُرَابِ.

ابن التّعمان الغسّاني الذي
خرج على عبد الرحمن
الذّاخل، وقتل محاصراً في
أشيليه.

زعيم الإباضية في أفريقيا:
عبد الأعلى المعافري (أبو
الخطّاب).

* جَاهِدْ أَنْ يَقُولَ البَعِيدَ العَصِيّ،
يَتَأَخَى مَعَ الضُّوْءِ، يُوْغِلُ فِيهِ
وَيُعَاشِرُ تَرْحَالَهُ البَهِيّ.

○ قال الرّواي:

كان الناس فرادى

وجامعات يأتون

إليه

ليروّه - ليروا كم كان جيلاً

قتلوه - خزوا الرّأس،

وأرسل للمنصور،

وطافوا في بغداد به -

طافوا في مدين أخرى.

وثى الرّواي:

صلبوا أنصارة.

وثى الرّواي:

كانوا قد قتلوا ابن التّعمان

وجمعا من أصحابه،

وابن السّنج أبا الخطّاب وجمعا

من أصحابه.

- ل -

الحياة قِلاَع

أَتَوَسَّدُ أَعْنَاقَهَا كَأَنِّي

أَتَوَسَّدُ صَدْرَ الْحَقُولِ،

وَاضِعاً شَعْفِي حَوْلَهَا هَالَةً.

وَمَاذَا، إِذَنْ، يَغْسِقُ الْحَلْمُ فِيَّ،

وَيَنْسَخُ مَا قَلْتَهُ، مَا أَقُولُ؟

سفيان بن معاوية عامل
المنصور على البصرة،
والكاتب هو ابن المقفع، سنة
١٤٥ هجرية.

○ قال الزاوي:

أخى سفيان ثوراً

كي يُطعمَ لَحْمَ

الكاتب

للجمر اللاهب:

قَطَعَهُ إِرْباً إِرْباً

ورماه فيه.

وثنى الزاوي:

قالوا للكاتب،

لا يَضدُقُ غيرُ الله وغير

العَرشِ،

وأنت الكاذب.

* مِتْعَةٌ هَذَا الْعَبَثِ الْمَتَدَفَّقِ حَوْلِي مِثْلَ

السَّيْلِ

أَنِّي فِيهِ -

لا أعرفُ نفسي - لا أدري:

أَنهَارٌ وَقْتِي أَمْ لَيْلٌ؟

الإشارة إلى إبراهيم أخي محمد
النفس الزكية.

وثنى الزاوي:

كانوا قد قتلوا إبراهيمَ

وحزوا رأسه

صلبوه في سوقٍ في

بغداد، ولاء

لخليفتهم.

- ٢ -

تُرَانِي غَيْبٌ؟ غَيْرَ أَنِّي عَاصِفٌ
رَكَابُهُ رَفُضٌ وَتِيَّةٌ وَتِرْحَالُ
يُضَلِّلُنِي نَبْضِي - تُرَانِي مَفَازَةٌ؟
وَيُوهِمُنِي - وَجْهِي بِحَارٍ، دَمِي آلُ
كَأَنِّي مِنْ طِينِ غَرِيبٍ، مَكُونُ
وَلَا شَمْسَ لِي غَيْرَ الْهَيْامِ - يُضِيئُنِي
وَأَوْغِلُ فِيهِ، مُسْتَزِيدًا، وَأُخْتَالُ.

○ قال الزاوي
يُضْغِي لِلْمَتْنِي، وَيُفَكِّرُ فِي أَحْوَالِ
النَّاسِ، غَرِيبٌ:

ما من أحدٍ يُضْغِي
كُلُّ لَّا يَسْمَعُ إِلَّا
صَوْتَهُ.

وَتَى الزَّائِي:

هَذَا زَمَنٌ

لَّا يَقْرَأُ فِيهِ كُلُّ مِنَّا

إِلَّا مَوْتَهُ.

* سَفُنُ الْحَلْمِ تَجْرِي عَلَى مَتْنِ هَذَا
الْهَوَاءِ،
حَامِلَاتِ جِرَارِ الْأَغَانِي لِرِي
الْفُضَاءِ.

- ن -

تَرْكَبُ اللَّيْلَ؟ لَيْلٌ
نَسَجَتْهُ الشَّامُ بِأَهْوَالِهَا - سَرَيْنَا
أَلشَّوِاطِيءُ مَحْبُوكَةً
بِضَفَائِرِ أَمْوَالِهَا

والسُّهُولُ كَمَثَلِ الْجِبَالِ، شِبَابِكَ .
أَيُّهَا اللَّيْلُ، مَهْلًا - أَنْمُضِي؟ تَمَهَّلْ
لَا تَقُلْ، لَا تَقُلْ أَيْنَ نَمُضِي؟

* مَا أَنَا غَيْرُ مَا كُنْتُ: مَا كُنْتُ
يُدْهَشُ مِمَّا أَنَا - مَحِيطٌ
يَتَمَرَّقُ فِي لُجَّةِ،
وَيُحَارِبُهُ مَوْجُهُ .

○ حَدَّثَ الرَّأْيِيَّةُ:

أَلْعَلَاءُ يُسَوِّدُ
فِي الْأَنْدَلُسِ .

وَتَنَى الرَّأْيِيَّةُ:

يَتَسَاءَلُ: مَاذَا؟

أَيُّكُونُ السَّوَادُ بِيَاضًا

لِبَغْدَادٍ أَمْ أَنَّهُ أَحْمَرًا؟

لَا أَرَى أَيُّ فَرْقٍ .

وَالْعَلَاءُ يُسَوِّدُ فِي الْأَنْدَلُسِ

حَوْلَهُ يَتَجَمَّعُ خَلْقٌ كَثِيرٌ -

قَتَلُوهُ، قَتَلُوا جُلَّ أَصْحَابِهِ .

وَتَنَى الرَّأْيِيَّةُ:

أَيُّذَا السَّوَادُ، أَتَعِظُ

أَيُّذَا الْبِيَاضُ، أَتَعِظُ

أَنْتُمْ صَفْتَا الْهَائِيَّةُ .

يُسَوِّدُ أَيُّ يَدْعُو لِلْخَلِيفَةِ
الْعَبَّاسِيِّ الْمَنْصُورِ، وَالْإِشَارَةُ
هُنَا إِلَى الْعَلَاءِ بْنِ الْمُغِيثِ،
وَقَدْ قَتَلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ،
وَقَبِلَ قَتْلَ مِنْ أَصْحَابِهِ سَبْعَةَ
الْآفِ، سَنَةَ ١٤٦ هِجْرِيَّةً .

- س -

حُلْمِي يُفْرِحْنِي، لَكِنَّ دَمِي يُبْكِينِي، -
ما أغربَ رأسي - يلهو
يتأزججُ شكاً
بين الفكرة والطين
ويؤاخي بين الباطن والظاهر
في لغة الشاعر.

○ سأل الزاوية:

ما الذي يأخذُ

المتنبي؟

أي حلمٍ تطاردُ

أهدابه؟

ولماذا، تُراه،

يتقصى عيون البشر

حاضناً نومها؟

فجأة، أخذَ الزاوية

بتباريحِهِ -

فجأة، خافَ وارتجفت ركبته،

فجأة، راحَ يمحو خطاه،

ويَمْحو الأثر.

* لا بداية، لا مُنتهى:

إنها الأرضُ سكرانة، -

ألنا الكأسُ - مكسورة، أم لها؟

○ أخبر الزاوية:

- أ -

عاهد المصلين ألا يخرجوا

أو يثوروا،

فإذا غيروا عهدهم،

خَلَّتْ كُلُّ أَرْوَاحِهِمْ

وأموالهم.

- ب -

غيروا عهدهم.

- ج -

- ما ترون؟

- إذا ما عفوت،

فإنك أهل، والعقاب يكون

كما شئت.

- أنت، يا شيخ،

ماذا ترى؟

- قد أباحوك

ما ليس في ملكهم:

أترى، إن أبتك امرأة

وأباحت

فزجها دون عقد نكاح،

هل يحق نكاح؟

- لا يحق.

- إذن، كيف تغزؤهم؟

- ع -

أتراها تُفكِّرُ هذي المدينة، أم تتذكَّرُ؟

لا زائرُ اليوم يُشبه مَنْ زارها أمس،
والأرض تُنسى وتُنسى.

أتراها تُحاورُ زوارها، وتُجسُّ تقاطيعهم؟

تعبٌ في هواها

تعبٌ في خطاها

تعبٌ في يديها

وشعري يُحنو عليها.

حوار بين الخليفة

المنصور وبعض

الفقهاء، وبينهم

أبو حنيفة،

وهو المقصود بالنداء:

يا شيخ.

* أترأه الواقع حلمٌ
يُجيا طفلاً - مصلوباً
قُطعت رجلاه؟

- ف -

قَلَقَ - غِبْطَةً،

في جنائنِ بَوَّحٍ

لا يراها النَّظْرُ.

والطَّرِيقُ مرايا

لا لِصَفْوِ الْيُنَابِيعِ، لا لِلزَّهْرِ

أَلطَّرِيقُ مرايا

لِعَذَابِ الْبَشْرِ.

○ حَدَّثَ الرَّأْيِيَّةُ:

كان نعمانٌ من بين

أنصاره،

وأعطاه يوماً

كلَّ ما كان يملكُ. حزوا

رأسه، أرسلوه

للخليفة مُسْتَبْشِرِينَ:

«قتلُهُ سوف يُطفئُ نارَ

الخروجِ،

وَيَسْتَأْصِلُ الْخَارِجِينَ».

الإشارة إلى إبراهيم بن عبد
الله الطَّالِبِي الذي قتله
المنصور. ونعمان هو الإمام
أبو حنيفة، وقد تبرَّع
لنصرته، فيما يُروى، بأربعة
الآف درهم - كلُّ ما كان
يملكه.

* خُطواتُ جِراحِ،

والجِراحُ متى استأنستْ تَمَاهَتْ

بالتُّرابِ، وصارت

صورةً،

وتَأَنَسْنَ فَخَارُها.

- ص -

كم قلتُ: جثُّ يلا طقوسٍ
ووهبتُ نفسي للجموح، لكلِّ رَفِضٍ.
كم قلتُ: أخرقُ هذه اللِّغَةَ الأَمِينَةَ
للأصولِ،
أرجُ قاعدةَ الأصولِ،
وزرَعْتُ وجهي في الفضاءِ، وقلتُ: زرعِي
خَلَقٌ وشهوةٌ خالِقِ، -
أأنا أنا؟ أم كوكبٌ بدأ الأفول؟

○ قال الزاوي

يَسْتَدْرِجُهُ سِرُّ الْمُتَنَبِّي:

يَسْتَدْرِجُنَا سِرُّ

يَسْتَدْرِجُ جِنُّ الشِّعْرِ إِلَيْهِ،

وَيُنَازِعُنَا

وَيُصَادِقُنَا

مِفْتَاحُ رَمُوزٍ

بَيْنَ يَدَيْهِ -

وَالأَبْوَابُ رِيَاحُ.

* الحَيَاةُ، كَمَا نَتَقَلَّبُ فِي جَمْرِهَا،
أَنْشِقَاقُ،
جَسَدٌ لَا يَكْفُ عَنِ الرَّغْبِ مِنْ
رَأْسِهِ.

- ق -

تَغْنَى الزَّهْوَرُ بِشَعْرِ اللَّقَاحِ، وَيَرْفُضَنَ
فِي الرِّيحِ رَفْصَ الشَّرِيزِ
الْئَهَّارُ - جَهَاراً يُوقِّعُ كَاللَّحْنِ،
وَاللَّيْلُ - فِي خَفِيَّةٍ، يُتَّكِرُ
بَعْضُهَا شَطْحَاتٍ - عَنِيتُ الْجِبَالَ، وَبَعْضُ
سَوْرٍ
بَيْنَ وَادٍ وَوَادٍ
يَتَقَطَّعُ حَبْلُ الْقَدْرِ.
إِنَّ رَأْسِي مَلِيءٌ بِالْكَوَاكِبِ: ضَوْءُ الْبَصِيرَةِ،
ضَوْءُ الْبَصْرِ
تَوَّامَانِ، وَضَوْءُ التَّمْرَدِ وَعَدُهُمَا الْمُنْتَظَرُ.

* رَمْلٌ غَتَّى لِرِيَّاحٍ غَتَّتْ:
أَبَارٌ مُلِيتُ بَدَمَ الْآبَاءِ وَبِالْآبَاءِ
تَتَفَجَّرُ فِي جَوْفِ الْأَبْنَاءِ.

○ قال الراوي،
دَمِشَاءً، حيراناً:
ما هذا التَّارِيخُ -
الْبَحْرُ، يَمُوجُ،
يَفِيضُ عَلَى الْمُنْتَبِي، وَيَغَالِبُهُ؟
بَحْرٌ يَرْمِينِي فِي شَطْلَانٍ
تَمَلُّوْهَا أَعْنَاقُ
دُيُحِتِ
وَمَرَائِبُ رَاسِيَّةٍ
كِي تُبَحَّرَ
فِيهَا أَعْنَاقُ لِلذَّبْنِ،
هَلْ ذَلِكَ نَصْرٌ؟
هَلْ هَذَا الْفَتْحُ؟

- ر -

لا أريدُ لحلمي أن يتنزّه حولي
لا أريدُ له أن يؤالف وَجْهِي
أو يتألفَ مع خُطواتي،
بل أريدُ له أن يظلَّ البعيدَ
المشرّدَ في أبعاد الفلواتِ.

سنة ١٥٢ هجرية، وعاميل
الخليفة هو عمر بن عثمان بن
أبي صفرة.

○ أخيرَ الزاوية:

الخوارجُ يَغزون

أفريقيا العربية

بدمٍ آخرٍ

غير ما ترجميه

بنو هاشمٍ أو أمية،

قتلوا عامِلَ الخليفة،

أنصارُهُ - ولكن،

أتراهم

كما اتهموهُم:

يقتلونَ النساءَ

وأطفالهنَّ؟

الخوارجُ يُزسونَ سُلطانَهُم.

* إِنَّهُ الموثُ: حَرَّيتي
أن أكونَ قريناً وَنداً لَهُ.

- ش -

أُضْغِي لِوَقْتِي :

لَا وَقْتٌ لِلْمَجْنُونِ كِي يَكْسُو

بِضَوْءِ هَوَاهُ قَافِلَةَ الْعَقُولِ .

لَا وَقْتٌ لِلْمَجْنُونِ/ حَانَ الْوَقْتُ -

تَنْكَسِرُ اللَّغَاثُ عَلَى اللَّغَاثِ ،

وَيَنْحِنِي

قَوْلٌ عَلَى طَلَلِ الْمَقُولِ .

* أَعْطِهِ حَفْنَةً مِنْ بَخُورِ -

(لَا تَقْلُ ، أَيُّهَا الشَّعْرُ ، مِنْ أَيْنَ أَوْ

كَيْفَ جَاءَتْ)

لِيَرَى كَيْفَ يَقْرَأُ تَارِيخَ هَذِي

الْبِلَادِ ،

وَكَيْفَ يُبْخِرُ مَوْتَ الْعُصُورِ .

○ قال الزاوي :

كَيْفَ أَحَاطِبُ وَقْتِي ،

وَيَأْتِي لِسَانِ أَخْبِرْ عَنَّهُ؟

وَتَى الزاوي :

رَأْسٌ لَا يَعْلُو ،

إِلَّا مَرْسُومًا أَوْ مَنْقُوشًا

فَوْقَ جِدَارٍ ، أَوْ كُرْسِيِّ

أَوْ رَمْحٍ .

شَعْبٌ مَحْمُولٌ فِي

مَقْبِضِ سَيْفٍ ،

مَلِكٌ يَمْلِكُ حَتَّى

يَقْتُلُ شَعْبَةَ

مَعْتَمِدًا رَبَّهُ ، -

وَتَى الزاوي :

أَتَرَى هَذَا بَلَدَ

أَمْ مَقْبِرَةٌ؟

- ت -

في مَدْرَسَةِ لِقَطَا الصَّحْرَاءِ، قَرَأْتُ دَرْوِي،
لَكِنْ، هَلِ لِلصَّحْرَاءِ زَمَانٌ أَوْ تَارِيخٌ مِثْلِي، -
شَمْسٌ مِنْ أَبْوَاقِي،
غَابَاتٌ رَمَاحٍ، لَا طَيْرٌ.
أَسْرَابٌ تَتَطَايَرُ مِنْ أَعْنَاقِي. جَيْشٌ - وَالْأَعْلَامُ
جَاهِجٌ قَتْلِي؟
هَلِ لِلصَّحْرَاءِ زَمَانٌ أَوْ تَارِيخٌ مِثْلِي؟
أَحْيَانًا،

يَحْسُنُ أَنْ نَتَحَدَّثَ مَعَ أَشْكَالِ
حَيْثُ تَكُونُ الصَّحْرَاءُ الْمَعْنَى.

* جُرْحٌ، تَرَشَّحُ مِنْهُ
قَطْرَاتٌ - يَتَذَكَّرُ فِيهَا
جَرَحًا آخَرًا.

○ أخير الزاوية:

كان رأس الخليفة

يبتز من غبطة،

وهو يأمر خصيائه:

إقطعوا مثلما

تشاؤون أيدي أبنائه،

وسيقانهم واضربوا،

بعد ذلك، أعناقهم.

وثى الزاري:

بعد قليل،

قتل المنصور

أبا أيوب وأخاه،

وابنَيْ لَه.

الكلام للخليفة المنصور،
والإشارة إلى الشاعر خالد
الكتاب وأبنائه، سنة ١٥٤
هجريّة.

أبو أيوب المورياني، وكان
وزيراً للمنصور.

○ أكَدَ الزَّائِيَةَ

أَنَّ هَذَا الْحَوَازَ

الَّذِي تَقْرَوْنَ

جَرَى بَيْنَ نَاسٍ يُصَلُّونَ خُمَسًا:

- إِبْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ

يُجَلِّلُ الْحَرَامَ

- يَحْزَمُ الْحَلَالَ

- يَأْمُرُنَا بِالْفِطْرِ إِنْ صُمْنَا

وَبِالصِّيَامِ عِنْدَمَا نُنْفِظُ،

- مَرَطَقَةً،

- لَا بَدَّ مِنْ قَتْلِهِ.

وَتَى الزَّائِيَةَ:

قَتَلُوهُ وَاخْتَرَوْا

رَأْسَهُ.

- ث -

أَصْدِقَائِي، أَسْلَافُهُمْ -

لَا قَبُورَ لَهُمْ كِي نَفِيءَ إِلَيْهَا

وَنَجَلَسَ فِي ظِلِّهِمْ

وَنَحَدَثَ أَطْيَافَهُمْ.

أُخْرِقُوا - أَيْنَ ذَلِكَ الرَّمَادُ الَّذِي

أَنْصَهَرُوا فِيهِ، وَانْتَسَبُوا مِثْلَهُ

لِلثَّرَابِ؟ تُرَاهُ

آثَرَ النَّفْيِ، قَرَّ، وَطَارَ مَعَ الرِّيحِ،

يَبْحَثُ عَنِ وَطَنِ آخِرٍ؟

* فَرَدًّا - مِنْ أَيْنَ لِفَرْدٍ أَنْ يَصْنَعَ ثَوْرَةَ

إِلَّا فِي كَلِمَاتٍ، فِي أَوْرَاقٍ؟

جَمْعًا - يَا لَلِهَوْلِ، تَكُونُ الثَّوْرَةُ

مَرْعَى، وَقِبَائِلُ ثَيْرَانِ.

الإشارة إلى محمد بن أبي
العرجاء، سنة ١٥٥ هجرية.

○ كاد الزاوي أن يبكي

وهو

يقصُّ علينا موت

الشاعر حماد:

قالوا عنه زنديق:

أفليس الدين فضاء سَمحاً،

لا قَسْرَ فيه، لا إكراه؟

وضعوه فوق بساط، واحتزوا
رأسه.

- خ -

كلّما قيلَ هذا زمانُ القُرودِ، استعادَ الرواةُ
بما لم يقولوا،

وأجفَلَ من قولهِ القائلُ

وطنٌ ماجِلٌ ماجِلٌ ماجِلٌ.

صَرَخاتٌ وأبواقٌ رُعبٍ

والتذيرُ يَرِجُ المكانَ

بأعاجيب هذا الزّمانِ.

الإشارة إلى حماد عَجرد،
سنة ١٥٥ هجرية.

* إسبقيني، يقول لأحلامه،

نحو مجهولي، اغمريني

ببهاءاته،

فطرتي أنت، مائي وطني.

- ذ -

لا العدو الذي بَدَهُمْ
يُوقِظُ الرُّوحَ فِيهِمْ، وَيُوَحِّدُ مَا بَيْنَهُمْ،
لا حضورَ يُؤَاخِي بَيْنَ أَشْتَاتِهِمْ،
وَرَوَاهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ نَفَقَ مُغْلَقٌ، وَصِدَاقَاتِهِمْ
مَرَضٌ آخَرَ خَلَقُوهُ لِقَتْلِ الْأَحْيَةِ وَالْأَصْدِقَاءِ،
مَنْ هُمْ، مَنْ تُرَاهِمُ يَكُونُونَ، يَا هَذِهِ
السَّمَاءُ؟

○ حَدَّثَ الرَّأْيِيَّةُ:

- إِمْفِضِ، يَا ابْنِي،

وَاعْرِفْ لَنَا

حَالَ ثَوَارِهِمْ.

ذَهَبَ الْإِنُّ -

عَادَ مُضْطَرِبًا، وَاهِنًا.

- أَوْهَنْتَ؟ طُرَدْنَا

مِنَ الشَّرْقِ، نُحَسَدُ

حَتَّى عَلَى لِقْمَةِ الْعَيْشِ. كَلَّا،

لَا مَقَرَّ، اكْسُرُوا

غِمْدَ أَسْيَافِكُمْ: فِيمَا نَمُوتُ،

وَأَمَّا نَسُودُ:

إِنهَا سُنَّتِي - إِنهَا سُنَّةُ الْوُجُودِ.

.....

وتقدم نحو ابنه - غاضباً،

ضارباً عنقه.

* مَوْتِي

فِي الْخَطَوَاتِ وَفِي الطَّرِيقَاتِ،
تَتَسَاقَطُ أَشْلَاؤُهُمْ - حَزْفًا، حَزْفًا
مِنْ عَرْشِ
يَتَقَلَّبُ فِيهِ رَبُّ الظُّلْمَاتِ.

الإشارة هنا إلى عبد الملك بن
عمر، ابن عم عبد الرحمن
الداخل، وكان أهل أشبيلية
ثاروا عليه، فأرسله لحربهم،
سنة ١٥٦ هجرية.

- ض -

سبحانك، يا هذا الكرسي -

مَصْنوعاً برؤوسٍ قُطِعَتْ،

مَصْبوغاً

بدمٍ - طفلٍ حيناً، شيخٍ حيناً،

مَسْئولاً، جزءاً جزءاً

من أحلام نبيّ،

سبحانك، يا هذا الكرسيّ .

○ قال الزاوي

في رَجْعِ صِدَى

للأَيام وللمتني:

أَتَعِمُّ بِالضَّوِّءِ

علينا،

يا هذا التَّجْمُ -

أَتَرَكَ تَخافُ الرَّجْمُ؟

وَتَتَى الزَّاوِي:

بين العَرْشِ،

وذاك الرَّاسِ،

وهذا السَّيْفِ - العالَمُ:

زُلْفَى أو طُوبَى،

والكَوْنُ صِلاةً .

* ضَعَّ يَدَيْهِ،

ضَعَّ بَقِيَّةَ أَعْضائِهِ الهامِدةَ

في الرَّمادِ، وضع رأسَهُ، ساخِناً

فوق صَخْنٍ على المائدةِ .

- ظ -

هَلْ يَدَاكَ يَدَاكَ؟ إِذْنَ، إِغْتَسِلْ
مِنْ خَطَايَاكَ، وَاغْسِلْهُمَا:
لَمْ تَقْمِ، لَمْ تَمُدَّ يَدَا لِحَيِّي، هَذَا الْمَسَاءَ،
نُحُوضَ الْقَمَرِ
لَمْ تَمُدَّ يَدَا لِنُطُوقِ خَضِرِ الْمَسَاءِ
الَّذِي يَتَنَسَّمُ عِطْرَ الشَّجَرِ.

* تَخْلَعُ الشَّمْسُ قِمَاصَهَا
وَتَغْطِي بِهَا لَيْلَ أَوْجَاعِهَا.

○ قال الزاوي:
أتعجبُ. لا بالريشة
يكتبُ، لا بيديه،
بل بالكون، وبدءاً
من كلِّ حصةٍ فيه،
من كلِّ عذابٍ،
من كلِّ عماءٍ،
من كلِّ ضياءٍ،
بدءاً من كلِّ جنينٍ.

كلاً، لن تفهم
ما أزويه،
لن تفهم شيئاً من
تاريخك، لن
تفهم سِرَّ الحاضر
إن لم تفهم هذا الشاعر.

○ أخير الزاوية:

- أ -

قتلوا يوسفًا:

ضربت عنقه

بعد أن قُطعت

يداه ورجلاه، أصحابه

قتلوا يثله.

صَلَبُوا كلهم

فوق جِسْرِ.

- ب -

وثى الزاوي:

فَتَحَ المهدي باباً

أَفْضَى لِبِنَاءِ ضَخْمٍ

مَمْلُوءٍ قَتَلَ

من أبناء أبي طالب -

أطفالاً وشيوخاً

تَدَلَّى من آذانهم

رُقَعٌ حُطَّتْ فِيهَا

أَنسَابُهُمْ.

حَفَرَ المهدي لهم

قَبْرًا ضَخْمًا

دَفَنُوا فِيهِ،

وَبَنَى فَوْقَهُمْ دُكَّانًا.

- غ -

اتَّئِدْ، أَيُّهَا المَهْرَجَانُ، -

أَيُّ فَرْقٍ إِذَا جَاءَ عَرْشَكَ فِي أَنَّهُ،

أَوْ إِذَا جَاءَ قَبْلَ الأَوَانِ

أَوْ إِذَا جَاءَ بَعْدَ الأَوَانِ؟

كُلُّ شَيْءٍ يُسَمَّى - صَدَى لِاسْمِهِ

وَاحْتِفَاءً بِأَلَايِهِ،

المكان سريراً له، والفراشُ الزَّمانُ.

يوسف البرم الذي

خرج على الخليفة

المهدي في خراسان،

سنة ١٦٠ هجرية.

* دائماً في رحيل

عن سواه، وعن نفسه، -

هكذا رسمته الفصول على وجهها.

VIII

الأوراق

(أوراق عُثِرَ عليها)

في أوقات متباعدة، أُلْحِقَت بالمخطوطة)

ورقة بلا رقم

لِمَ لا أرى غيرَ الفُراتِ؟
أَلِأَنَّهُ لُغَةُ التُّرابِ - حروفُها
زَهْرٌ وَعُشْبٌ؟
أَلِأَنَّهُ رَجْمُ الصِّداقَةِ - يلتقي
فيه التَّقِيضُ نَقِيضَهُ؟
أَلِأَنَّهُ كَبْدُ الطَّيْبَةِ - تحني
فيه البلادُ على البلادِ، وينحني
فيه الثِّبَاتُ على الثِّبَاتِ؟
الأَرْضُ نائِمَةٌ على أُنْقاضِها
والوَقْتُ يُوَعِّلُ في السُّبَاتِ، -
لِمَ لا أرى غيرَ الفُراتِ؟

I

من جهاتِ دِمَشْقِ وبغدادَ، تأتي رياحُ:
لا لِقاحَ ولا زَرْعَ،
والثَّمَرُ المُرُّ كالرَّمْلِ
جاثٍ على شَجَرِ الأزمَنَةِ، -
ألرياحُ دَمِ الأَمِكَنَةِ.

II

هذه الليلةُ، لَنَ أَرَجِعَ للبيتِ، كما اغتذتُ، سأبقى
سَاهِراً،
أَسْمَرُ مع قافلةِ الأنجمِ، أمشي
سَادِراً بين الشَّجَرِ،
وأرى كيف يَنَامُ الليلُ محمولاً على ضَوْءِ القَمَرِ.

III

في مياه الفرات - المياه التي تتغطى بأحزانها
نرجس ذابل،
والثياب التي ترتديها الضفاف ندى يتبخّر، -
هذي بلاد
تأوه من نفسها.
ما أقول؟ لمن أتوجه، من أسأل؟
الذي مقفل.

IV

بُحّة صوت، -
أغرقت فيها إيقاع المعنى واغرقت فيه.
عنتُ امرأة، -
ضغ رأسك في مهواه،
واخلتم ضد الموت.

V

عَلِمَتْهُ المَحِيطَاتُ إِيقَاعَ أَمْوَاجِهَا -
عَلِمَتْهُ الصَّحَارَى رُسُومَ الزَّمَالِ وَأَشْكَالِهَا،
لَمْ يُحْسُوا بِأَسْرَارِهَا وَبِأَسْرَارِهِ
لَمْ يُحْسُوا الفُرُوقَاتِ فِي نَبْضِهِ - وَقَالُوا:
تَتَكَرَّرُ الْفَاطَةُ
مِثْلَمَا تَتَكَرَّرُ أَيَّامُهُ، -
ضَجِجَتْ وَزْدَةٌ
تَتَقَلَّبُ فِي العِطْرِ أَوْرَاقِهَا.

VI

عَجِبًا! يُبْعَثُ المِيتُ،
والْحَيُّ يَبْقَى
دَفِينٌ خِرَافَاتِهِ.

VII

يحيَا اللّهُ وحيداً،
لكن، مَا أَعْجَبَهُ، مَا آتَسَهُ - الشَّيْطَانُ
لَا يَحْيَا، لَا يَقْدِرُ أَنْ يَحْيَا
إِلَّا فِي جَسَدِ الْإِنْسَانِ.

VIII

ليس هذا العَرَقُ -
يَتَصَبَّبُ مِنْ رَاحَتِي وَمِنْ لِحْظَاتِي،
دَمَعُ حُبٍّ وَلَا دَمَعُ حُزْنٍ،
إِنَّهُ الْجَبْرُ يَكْتُبُ أُنشُودَةَ الْمُفْتَرَقِ.

IX

تَبَادُلْ، يَا مَوْتُ: أُعْطِيكَ شَمْسِي، وَأَخْذُ لِيْلِكَ، -
غَيَّرْتُ؟ مَاذَا يُفِيدُكَ جِسْمِي؟
لَيْسَ إِلَّا نَسِيحًا أُعْطِي بِهِ مُفْلَتِي
حِينَ أَرْتُو إِلَى.

X

تِلْكَ امْرَأَةٌ -
بَيْنَ خُطَاهَا يَتَمَشَّى طَيْفٌ
أَحْيَانًا، يَطْفُو فِي عَيْنِهَا
ظُلْمًا، أَوْ تَأْوِيلًا.
أَحْيَانًا، يَنْفُو
فِي مَوْضِعٍ سِرٍّ.

XI

يَشْرُدُ الشَّعْرَ فِي الْجِسْمِ، يَتَّعَبُ
يَرْتَأِحُ فِي الْحَنْجَرَةِ،
لِلْكِتَابِ الْكَلَامِ، وَلِلشَّعْرَاءِ الْعَذَابُ
وَالْأَوَاهُ الْمُسْكِرَةُ.

XII

صَفِّصَافٌ بِالْكَ:
ذَقْتُرُ حَزْنٍ
تَأْتِي الرِّيحُ إِلَيْهِ -
لَا تَقْرُؤُهُ
رِيحٌ بِأَكِيَّةٍ
تَتَقَلَّبُ فِيهِ، وَتُقَلَّبُهُ.

XIII

هُوَذا الموثُ يَغْرَى أَمَامِي، وَيَجْهَلُ -
مِنَ أَيْنَ يَأْتِي الصَّبَاحُ، وَكَيْفَ يَجِيءُ المِساءُ
أَيُّها الموثُ، خُذْنِي دَلِيلًا،
وَسَأَعْطِيكَ ظِلِّي جِسْمًا
وَشِغْرِي رِداءً.

XIV

تَجْفَلُ المَدُنُ التَّائِمَةَ
مِنَ حُطَايَ - تَحْكُ أسَارِيرِها
بِالمِكانِ، وَتَفْرُكُ أَهدابِها
بِالهَوَاءِ، هَوَاتِي عَلى وَجْهِها
شَمْلَةً هَائِمَةً.

XV

شَمْسٌ / قَمَرٌ:
صِنَوَانٍ، وَكَلٌّ
يَجِيأ فِي وَخْدَتِهِ، -
هل هذا كُرْزَةٌ، أَمْ حُبٌّ؟

XVI

أَثْرَاهُ الْحَجَرِ
يَتَحَدَّثُ مَعَ نَفْسِهِ؟
أَثْرَاهُ الشَّجَرِ
يَتَحَاوَرُ - أَغْصَانُهُ كَلَامٌ؟
أَفْقٌ، - مَسْجِدٌ لِلْبَصِيرَةِ، فَاتَّجَةً لِلْبَصَرِ.

XVII

مَزْحَسْ أَفْرَدْتَهُ الطَّرِيقُ - انزوى وتقوس، غنى
وَأَسْلَمَ أَحْشَاءَهُ لِلْهَوَاءِ
أَسْكْرَتْهُ جِرَارُ الْفَضَاءِ.

XVIII

لي هوى آخر مُقيم
بين جبريّ والشيء والكلمات -
تُراني أصدّق ما لا أرى
وأنا لا أصدّق ما تتقرّى يداي،
وما تحت عيني؟ كلاً،
لا أصدّق غيرَ الرّياح التي تندثر ثوب السديم.

XIX

حُبِّكَ ظِلُّ
حُبِّي شَمْسٌ:
وَعَدُّ لِقَاءٍ، أَمْ وَعَدُّ فِرَاقٍ؟

XX

تُرِيْبُ الشَّمْسُ أَضْوَاءَهَا
فِي خِيوطٍ - غَلَائِلُ تَكْسُو الحَقُولَ
وَتَنْقُطُ أَفْرَاسِنَا .
أَلِهَوَاءٌ يَفْتَقُ أَزْرَارَهَا
وَالنَّهَارُ يَجْرُ الدِّيُولُ .

XXI

هُوَذَا، أَتَفْرَسُ - أَقْرَأُ مَا يَكْتُبُ السُّحَابُ
فِي دِفَاتِرِ مَكْتُوبَةٍ
بِجَهْوَنِ التَّرَابِ .

XXII

أَلْمَجِيءُ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ،
أُنْشُدْهُ،
لَا صَلَاةَ .

XXIII

حَيْمَتْ غَيْمَةٌ
فوق بستانِ نُخْلِ، -
أَخَذَ الْقَطْرُ يَفْرَأُ لِلضَّيْفِ أَشْعَارَهُ.

XXIV

يَتَقَدَّمُ، يتركُ خَلْفَ حُطَاهُ
غَابَاتٍ،
لا يعرفُ أَنْ يَتَحَدَّثَ عَنْهَا
فَضْلٌ أَوْ إِقْلِيمٌ.

XXV

يَضَعُ الثَّلْجُ وَالزَّرْعَةُ الْقَاصِفَهُ
تَضَعُ الْعَاصِفَةُ
كُلُّ أَتْقَالِهَا
منذ فجر الأزل
فوق أكتافِ هذا الجبلِ، -
لم تُغَيِّرْ تَقَاطِيعَهُ
لم تُخَلِّفْ
أثراً فوقه - وأنا لئن أقولَ: الجديدُ الذي سَوْفَ يَأْتِي
صاعداً هابطاً ذلك المُتَحَدِّزُ،
أثرٌ من قديمِ عَبَزِ.

XXVI

عِلْمُهُ بِالْمَكَانِ
خَطِرٌ، وَأَدَقُّ وَأَوْسَعُ
بِمَا يُطِيقُ الزَّمَانَ.

XXVII

أَهْوَ شَرُّ، إِذَا قَلْتُ: هَذِي الْمَدَائِنُ مُنْحَلَّةٌ
تَنْهَلُهُلْ مَأْسُورَةٌ
فِي حِصُونٍ - صَحَارَى
مِنْ دَمٍ وَأَقْتِتَالٍ؟
أَهْوَ شَرُّ، إِذَا قَلْتُ: لَا تَكْتَرِثْ، لَا تُبَالِ؟

XXVIII

قَلْتُ رَأَيْبٌ - عَائِمٌ:
هُوَذَا طَفْسُهُ الدَّائِمُ.

XXIX

دَوَارُ الشَّمْسِ جَنُونَ ظِلَامٍ، وَجَنُونَ ضِيَاءِ
أَتَى مَا لَ جَبِينُ الشَّمْسِ، تَرَاهُ يَمِيلُ
يَتَرَصَّدُهُ السَّحَرُ الطَّفَلُ وَيَرِيضُ فِيهِ
شَفَقَ شَيْخٍ،
وَيَجِيءُ شُرُوقَ بَيْنَ يَدَيْهِ،
وَيَرُوحُ أَصِيلُ
كُلَّ صَبَاحٍ فِيهِ حَيٌّ
كُلَّ مَسَاءٍ فِيهِ قَتِيلٌ.
دَوَارُ الشَّمْسِ نَقَائِضُ عِلْمٍ،
وَنَقَائِضُ قَوْلٍ:
كَمْ أَشْبَهَهُ،
لَكِنْ حَيَاتِي، مِثْلَ كَلَامِي، تَأْوِيلُ.

XXX

كَيْفَ؟ هَلْ قَلَّتْ إِنِّي أَهْذِي؟

رُبَّمَا، رُبَّمَا.

أَلْهَذَا،

فَاتِنِي أَنْ أَقُولَ الْحَجَزَ

جَالِسٌ - يَنْفِيئاً وَجْهِي؟

أَلْهَذَا،

فَاتِنِي أَنْ أَحْتِي هَذَا الصَّبَاحَ الَّذِي يَتَلَبَّسُ حُزْنِي،

وَأَحْتِي الشَّجَزَ؟

XXXI

حَتَّى حِينَ تَقُولُ:

سَأَكْتُبُ ذَاكَ الشَّيْءَ الْأَقْصَى عَنِّي

أَوْ هَذَا الشَّيْءَ الْأَكْثَرَ قَرِيباً مِنِّي،

لَنْ تَكْتُبَ إِلَّا نَفْسَكَ.

XXXII

إنَّهَا الشَّمْسُ تَفْرُكُ أَهْدَابَهَا
بِالشَّوْاطِءِ، - وَجْهَ الغُرُوبِ
يَرِفُ عَلَى المَاءِ،
والمَوْجُ يَأْوِي إِلَى غَارِهِ.
فِي التَّلَالِ، القَرَى
تَتَنَاثَرُ بَيْنَ الصَّنَوْبِرِ
تُسَلِّمُ أجْسَادَهَا
لَأَمِيرَةٍ غَابَاتِهِ:
أَجْدُوغُ ابْتِهَالِ
وَالغَصُونُ كَمَثَلِ المَنَادِيلِ،
تَلْتَفُّ حَوْلَ رُؤُوسِ التَّلَالِ.

XXXIII

لَيْسَ مِنْ شَهَوَاتِي
أَنْ أَفِيءَ إِلَى عَبْرَةٍ
أَوْ إِلَى حَسْرَةٍ وَأَرْقُقَ شِعْرِي بِهَا،
وَأُبْكِي وَأَبْكِي.
شَهَوَاتِي
أَنْ أَظَلَّ الْغَرِيبَ الْعَصِيَّ،
وَأَنْ أُعْتِقَ الْكَلِمَاتِ مِنَ الْكَلِمَاتِ.

XXXIV

خَدَانٍ: عِيُونَ جَارِيَةً
لِدُمُوعٍ
لَا تَلْمَحُهَا عَيْنٌ.

XXXV

لِلتَّجْوِمِ الصَّدَاقَةُ - (أَيْنَ البَسْرَةِ؟)
وَالتَّجْوِمُ اغْتِرَابٌ وَشُطَّانٌ حَلْمٌ
كَيْ تَعُودَ إِلَى مَا تَغْرَبْتَ عَنْهُ،
أَوْ لَتَبْدَأَ لَيْلَ السَّفَرِ،
هَكَذَا قُلْتَ، وَاخْتَرْتَ عَائِلَةً مِنْ شَرَزِ،
هَامِسًا لِلتَّشِيدِ الَّذِي يَتَصَاعَدُ مِنْ جَسَدِ الأَرْضِ:
أَنْتَ التَّشِيدُ الَّذِي ضَاقَ عَنْهُ الوَتْرُ.

XXXVI

أَكْتُبُ - يَاخِذْنِي رَغْبًا،
وَأُجِنُّ، وَبِحَقْلٍ مِثِّي
حَتَّى الجِنْبِزِ، وَحَتَّى الوَرَقِ
وَأَسْأَلُ نَفْسِي: هَلْ أَكْتُبُ حَقًّا، أَمْ أَخْتَرِقُ؟

XXXVII

يا لهذا الطريق الذي لا يؤدي إلينا
والذي ليس فينا
والذي ليس منا
والذي هو ميراثنا ومِعراجنا،
يا لهذي الحياة التي لا تقول سوى موتها.

XXXVIII

أنتظر خلفك: ليس الماضي
إلا ثقباً كونياً
لا تخرج منه إلا
أطياف بخارٍ.

XXXIX

قال لي، حائراً، هَوَايَ :
أين أمضي؟ إلى أين تمضي خطاي؟
كلُّ هذا المكان الذي تتحطُّمُ تيجانهُ
كلُّ هذا الزمان الذي يتهاوى
كلُّ هذي الحناجر مسكونة، بالغضبِ
كلُّ هذا اللهبِ
كلُّ هذا خطاي -
وأنا لَسْتُ إلا سِوَايَ
أسرثني، رَمَثني
لِلتَمَرَدِ، لِلرَّفْضِ،
لِلْمُسْتَحِيلِ وَالْآلِهَةِ، يَدَايَ.

XL

عَجَلَاتُ الْوَقْتِ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ فِي أَحْشَائِي
وَتُرَافِقُنِي
صَوْرَ وَمَرَايَا
وَحَشْوَدُ لُغَاتٍ،
وَدَمٍّ، وَحُرُوبٍ.
أَعْضَائِي تَحْتَ صَرِيرِ صَدَائِهَا
تَتَقَاتَلُ سِرّاً مَعَ أَعْضَائِي.

XLI

ثَائِرٌ، هَادِيءٌ، رَافِضٌ، قَابِلٌ
مِثْلَ مَوْجِ يُحَارِبُ شُطْرَانَهُ:
لَا مَقِيمٌ وَلَا رَاجِلٌ.

XLII

أحياناً تأتي الرِّيحُ، تَرْجُ، تُزَلِّزُ - لا تتحرَّكُ أوراقِي،
أحياناً لا تأتي الرِّيحُ، ولكن
تَسَاقَطُ أوراقِي.
قولوا للرِّيحِ: انْفُكْ هَبِوِي عَنْهَا وانْفُكْ وثاقِي، -
بيتي سِرّاً:
بابي مَطَرٌ، والغيمُ رِواقِي.

XLIII

أَفَقٌ مِن نُحَاسٍ
يُسَافِرُ فِي أَفَقٍ مِن صَدَأٍ، -
لم أكن أتوقَّع مِن حُطَّوَاتِ الطَّبِيعَةِ
هَذَا الحُطَّأ.

XLIV

أَلْجِدَارُ الَّذِي أَنْفَيْتَ فِي ظِلِّهِ شُقُوقَ -
أَثْرَاهَا سَطُورَ
كَتَبْتَهَا يَدُ الْوَقْتِ، أَمْ نَقَّاتَ
مِنْ حَتَاجَرَ صَارَتْ رَمَادًا؟
أَمْ تُرَاهَا ارْتِجَاجَ:
جَسَدَ آخَرَ لِلْبُرُوقِ؟
خَيْطُ ضَوْءٍ - سَوَادَ:
يَتَعَذَّرُ أَنْ أَقْرَأَ الْآنَ هَذَا الشُّقُوقِ.

XLV

مَسْجُورٌ فِي جُذْرَانِ الضُّوءِ، أَسِيرٌ
بَيْنَ شِبَاكِي،
لَا يُنْقِذُهُ إِلَّا لَيْلٌ - مَاذَا قَلْتُ؟ أَأَعْنِي
لَا يُنْقِذُهُ إِلَّا مَوْجٌ؟

XLVI

ألكلام حُطِنَ في البياضِ، مَهَبُ لِحزيتي
عاصِفٌ تارةً
تارةً، هادىءٌ مُسْتَسِيرٌ.
والكلام حُطِنَ في السوادِ:
هوى مرّةً
ومرارةً، مهاوٍ.
فيه ليلي صباحٌ
ومديحي مرثيى.
أولوي، إذن:
لا تقولوا بلفظي، قولوا بإيتي.

XLVII

حَظُّكَ الأَكْمَلُ
أَنَّكَ الشَّهْوَةُ الجَهِيرَةُ والفتنةُ المعلنَةُ
أَنَّكَ الهائمُ المترحِّلُ في غَيْبِ الأَمَكَنَةِ،
حَظُّكَ الأَجْمَلُ
أَنَّكَ العَصْفُ - يَنْقُضُ، يَسْتَأْصِلُ
وَلَكَّ البَدْءُ: تَجْتَاخُ، أو تَزْحَلُ.

XLVIII

زَهْرَةٌ فِي حَدِيقَةِ أَيَّامِهِ
تَتَحَرَّرُ مِنْ قَيْدِهَا:
قَيْدُهَا عِطْرُهَا
مَا يَقُولُ لَهُ الْآنَ بُرْعُمَهَا الذَّابِلُ؟
وَلِمَاذَا السُّوَالُ؟ وَمَنْ أَنْتَ، يَا أَيُّهَا السَّائِلُ؟

XLIX

ذَاكَ فِينَيْقُ يَنْهَضُ،
يَحْطَى بِفَجْرِ احْتِمَالَاتِهِ
عَارِيًّا
وَالثِيَابُ الَّتِي لَبَسَتْ جِسْمَهُ
لَمْ تَكُنْ غَيْرَ لَيْلٍ يُذِيبُ الشَّرْزَ
فِي مِيَاهِ الصُّوَرِ.

L

قَلَقِي حَارِسَ، يَدَايَ عَلَى كَتْفَيْكَ،
وَلَكِنْ هَذَا الظَّلَامُ يَقُودُكَ أَبْعَدَ
بِمَا ظَنَنْتُ. تَبَاطَأْتُ؟
عَيْنَاكَ سِخْرَى، وَوَجْهَكَ مِنْ فِتْنَةٍ -
تَلَفُّتُ

قَامَةُ الشَّعْرِ ظِلٌّ عَلَيْكَ،

الْمَكَانُ انْقِسَامٌ

فِي جِرَاحِكَ، شَطْرَانِ: شَطْرُ خِصَامٍ وَشَطْرُ وِنَامٍ
فَلِمَاذَا يَقُودُكَ، أَبْعَدَ بِمَا ظَنَنْتُ، الظَّلَامُ؟
قَلَقِي حَارِسَ، يَدَايَ عَلَى كَتْفَيْكَ، وَتِيهِي غِنَاءَ، -
سَيَكُونُ لَكَ التَّيَهُ أَبْهَى مَقَامًا.

IX

الفوات فجد ما سبق من الصفحات

١

راوِ آخِرُ يَزْوِي :

كان سَطِيحٌ يُطَوِي طَيِّ حَصِيرٍ لكن

كُلُّ مَقَالٍ يَتَرَدَّدُ فِي شَفْتَيْهِ كَانَتْ

تَتَرَدَّدُ فِيهِ أَعْجُوبَةٌ

وَكَذَلِكَ شَيْئٌ كَانَ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُ إِلَّا

شَيْئًا مِنْ إِنْسَانٍ :

عَيْنًا وَاحِدَةً

رِجْلًا وَاحِدَةً

وَيَدًا وَاحِدَةً، -

الإنسانِ

كلامٌ

أَيكون

كَمَالًا؟

وثنى هذا الزاوي :

قيل عن كاهنٍ :

«أَنَّهُ فِي قَفَاءٍ» .

راوٍ آخَرُ يروي :

كان، لكي يَسْتغوي بَغْضَ الأعرابِ

يُمارِسُ عِلْمَ التَّيرُنِجاتِ : رُقى، تعزيماً

زَجْراً، سِخْراً.

يَصْنَعُ رِايَاتٍ مِنْ وَرَقٍ

ولها أَذْيالٌ

ولها أَجنحةٌ

وَيُعَلِّقُ فِيها أَجراساً وَيُطَيِّرُها

في الرِّيحِ وَيَهْتَفُ : أَصْعُوا

هذي حَشْحَشَةٌ لِللائكةِ تَأْتيني

في رَجَلِ رَبَّاني.

وثنى هذا الرَّاوي :

قالوا: لا بَدْعَةَ إِلاَّ

والشَّيطانُ يَزُنُّها

وَيَحْتُ عَلَيا.

* الإشارة إلى مُسئِلمة «النبي الكذاب»، الذي كان يُسَمَّى «رخمان اليمامة».

وفي قومه يقول شاعرٌ مجهول: «أكلتُ ربَّها حنيفةً من جوع قديم بها ومن إعواز».

زَاوٍ آخِرُ يَزْوِي:

عكسوا عُقْفَهَا وَأَدَارُوا

رَأْسَهَا خَلْفَهَا

وَرَمَوْهَا إِلَى حُفْرَةٍ.

لا طعامٌ ولا ماء حتى تموت، وتُحرقُ لما تموتُ.

هكذا، عندمَا يموتُ كريمٌ

في القبيلة، كانوا يفعلون بأجلِ ناقاتِهِ*.

دون ذلك،

يُحَسِّرُ سَيْرًا عَلَى قَدَمِيهِ.

* البليّة هو الاسم الخاص الذي يُعطى لهذه الناقة. وفيها يقولُ شاعرٌ اسمه عَوِيْمُ التَّبْهَانِي، مخاطباً ابنه:

أَبْتِي، لا تُنَسِ البليّة، إنّها لأبيكَ،
يوم نُشُورِهِ، مَزْكُوبٌ.

راوِ آخِرُ يَزْوِي :

أَغْفَلُ حَيْطًا حِينَ تُسَافِرُ : هَذَا رَتَمٌ*

حِينَ تَعُودُ، أَفْحَصُهُ -

إِنْ كَانَ، كَمَا تَرَكْتَهُ يَدَاكَ،

فَزَوْجِكَ مَا خَانَكَ، وَإِلَّا

فَأَصْرَخَ : زَوْجِي خَانْتَنِي .

* يسخر شاعرٌ مجهولٌ من هذه
الخرافة، قائلاً:

ماذا الذي تنفك الزنائب؟

إذ أصبحت وعشقها مُلازِمٌ

وهي على لذاتها تداوِمٌ

يزورها صبّ الفؤادِ عارِمٌ

بكلِّ أدواءِ النساءِ عالمٌ .

راوِ آخِرُ يزوي:

سوف أنثر شعري، كما قيل لي

وسأحل عيني، أحجلُ تيهاً

كما قيل لي،

وأغني كما قيل لي

«يا لكاح، التكاخ التكاخ

وليكن ذاك، قبل الصباخ».

راوِ آخر يزوي :

أقبلوا ينصحون علياً* :

- لا تحاربهم اليوم، فالقمر الآن

في العقر، الرأي أن تتزيت،

- لكن،

لي أنا قمر، ولهم آخر.

* علي بن أبي طالب

راوِ آخِرُ يَزْوِي :

«لَا قِتَالَ*، إِذَا لَمْ يَكُونُوا هُمُ الْبَادِئِينَ،

وَلَا تَقَطَّعُوا الْمَاءَ عَنْهُمْ،

وَلَا تَقْتُلُوا مُذْبِرًا أَوْ جَرِيحًا،

وَلَا مُثَلَّةً بِقَتِيلٍ،

وَلَا تَكشِفُوا عَوْرَةَ، وَلَا تَهْتَكُوا أَيَّ سَيْتِرٍ،

وَلَا تَدْخُلُوا دَوْرَهُمْ دُونَ إِذْنٍ،

وَلَا تَأْخُذُوا مَا لَهُمْ فِي الْبُيُوتِ،

وَرِفْقًا بِكُلِّ النِّسَاءِ وَإِنْ شَتَمْتُنَا.»

* من وصية الإمام عليّ لأنصاره،
في يوم صفين، (يوم الجمل).

زَاوٍ آخَرَ يَزُوي:

وسادتي تَحْلِجُ تحت رأسي*،

ساقِي لمن رَمَاهَا

أَقْطَعُ مِنْ حُسَامٍ:

«يا ساقُ لن تُرَاعِي

إِنَّ معي ذراعِي.»

وثنى هذا الزاوي:

«نحنُ* بنو ضَبَّةِ أصحابِ الجملِ

نَنْقَى ابنَ عَفَّانَ بأطرافِ الأَسَلِ

أَلْمُوثُ أحلى عندنا مِنَ العَسَلِ.»

* كَلَامٌ لحكيم بن جبلة في يوم
الجمَل، مشيراً إلى شخص من
أنصار معاوية، قطعَ رجله،
فأمسك بها وقتلَهُ. ثم اتخذَهُ
وسادةً. وكان حكيم من أنصار
علي.

* رَجَزٌ يُنسب إلى الحارث بن
ضَبَّة، من أنصار معاوية وعائشة.

راوٍ آخر يزوي :

هذا أنا ابنُ عَثْبَةٍ*

يَلْقَى رَضِيًّا رَبَّنَهْ، -

«قد عالَجَ الحِياةَ حتَّى مَلَأَ،

لا بُدَّ أَنْ يَفِيْلَ أو يَفْلَأَ.»

وثنى هذا الزاوي :

هُوَذَا عَمَّارٌ* صرِيحٌ

كان رسولُ الله يُسَمِّيه الطَّيِّبَ

ويقول لَهُ :

«تُقْتَلُ بَغِيًّا

بسيوفِ الباغين.»

* هاشم بن عَثْبَةَ بن أبي وَقَّاصٍ،
وكان يُلقَّبُ بـ«المِرْقَالِ» لِسرعته في
الحركة.

* عَمَّار بن ياسر

١٠

راوٍ آخَرُ يَزوي :

جاء * يذعو إلى السِّلْمِ ما بينهم

غَيْرَ أَنْ السَّهَامَ

هَطَلَتْ فَوْقَهُ،

كَانَ أَوَّلَ مَنْ مَاتَ كِي يُرِيبِي السَّلَامَ.

وَتَمَّى هَذَا الرَّاوي :

جاء كعَبُ بْنُ نَزْرِ *

رافعاً مُصْحَفاً -

قَتَلْتَهُ السَّهَامُ، رَثَاهُ عَلِيٌّ

وَأَثَمَى عَلَيْهِ.

* الإشارة إلى مسلم بن عبد الله
من أنصار علي.

* من أنصار معاوية وعائشة.

راوِ آخَرُ يَزوي :

كان * كمثلِ مَلِكِ

يَزهُو بِهِ جنودُهُ، -

«ماتَ على خِطامِهِ

سبعونَ مِن رجالِها.»

وتُنَى هذا الراوي :

عبدُ الله * تَحَصَّنَ في دارِ

مع سبعينَ نصيراً،

جاء إليه جاريةٌ *

حَرَقَ الدَّارَ عليهم -

ماتوا كلَّهم، حَزْناً.

وتُنَى هذا الراوي :

سَوَّوا مِن كلماتِ الله سيوفاً

ويَبِنوا مِن معناها

ما طابَ لهم - دُوراً وُقُصوراً

للسِّياقِينِ .

* الإشارة إلى جمل عائشة، الذي
سُمِّيَتْ حرب صَفِينَ باسمه.

وكان اسمه: عَنكَر.

* عبد الله الحضرمي من أنصار
معاوية، وجارية بن قدامة
السعدي من أنصار علي.

رايِ آخَرُ يَزوي :

قالوا :

أكثرُ مِن عَشْرَةِ الآفِ، قُتِلوا

في يومِ الجَمَلِ،

قُطِعت في ذاكِ اليومِ جذورُ الأملِ .

راوٍ آخِرُ يَزُوي :

حَفَرُوا لِسُحَيْمٍ * أَخْذوداً

مَلأوُهُ حَطْباً

وَرَمَوْهُ فِيهِ .

صَبَّوْا التَّفْطَ عَلَيْهِ - حَرَقُوهُ حَيًّا .

وَتَنَى هَذَا الرَّاوي :

قالوا : كان صليلُ النَّارِ غِنَاءَ

يَبْكِي فِيهِ شِعْرُ الشَّاعِرِ

صَحْحَكاً مِنْ ذَاكَ الزَّمَنِ البَائِزِ .

وَتَنَى هَذَا الرَّاوي :

كُلُّ يَتَشَهَّى قولِ الشَّاعِرِ ، -

«تَوَسَّدني كَفًّا وَتَنَى بِمِعْصَمِ

عَلِيٍّ ، وَنَحْوِي رِجْلَهَا مِنْ وراثيَا .»

* الشاعِرُ سُحَيْمُ عَبدُ بَنِي
الحِمْيَرِ .

راوِ آخَرَ يَزُوي :

- جاءت ساعة موتك*، ماذا تُوصي؟

- «أَلشَّعْرُ صَغْبٌ وَطَوِيلٌ سَلْمَةٌ

إِذَا ارْتَقَى فِيهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ

زَلْتُ بِهِ إِلَى الْحَضِيضِ قَدَمُهُ

يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ.»

- هل تُوصي للفقراء بشيء؟

- أن يَبْقُوا ما عاشوا

يَسْتَجِدُونَ. سؤَالُ النَّاسِ تِجَارَةٌ

لَا تَخْسَرُ. كُلُّ سؤَالٍ رِيحٌ.

- ماذا عَن أبنائك؟

- مالي،

لَا لِلأُنثَى، بل لِلذَّكَرِ

- لم نَقْرَأ هذا في خَبَرِ أو في آتِرٍ.

* الإشارة إلى الحطيئة، والحوار
بينه وبين من حضروا موته.

- ما هذا أمرُ الله،

- ولكن، هذا أمرِي .

- ويسأز* هل تترفقُ هل تُعقِّفه؟

- لَن أَعقِّفه:

مَمْلوكٌ أبداً ما دامَ هنالك عَبَسِي .

- مَنْ بَيْنَ النَّاسِ تَرَاهُ الْأَشْعَرُ؟

- هذا المِخْجَنُ، هذا المَعْقُوفُ الرَّأْسِ: لِسَانِي .

- لكن، ما يُكَيِّك؟ الموتُ؟ أَخَوْفاً مِنْهُ؟

- كلاً، أبكي للشعر وأبكي مِمَّنْ

يَزْوِيهِ جَهْلًا: وَيَلُ الشَّعْرَ مِنَ الْجَهَالِ، زُورَةَ السُّوءِ -

خُذُونِي حِينَ أَمُوتُ، ضَعُونِي

فَوْقَ حَارٍ، فَلَعَلِّي أَنْجُو .

وَتَمَى هَذَا الرَّأْيِي:

كُلُّ يَسْتَحْضِرُ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ، غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيذِ

لَهُ نَكْهَةٌ لَيْسَتْ بَطْعَمِ سَفَرَجَلٍ وَلَا طَعْمِ تَفَّاحٍ وَلَا بِنْبِيذِ .

* غلام الحطيئة، وكان أسود من بني عَبَسِ .

راوِ آخِرُ يَزْوِي :

أَخْبَرَ زَيْدًا ، -

« فِي جَنْبِهِ وَعَلَيْهَا مِثْلُ غَطَاءِ كَمَّةٍ

دَخَلَ السُّهُمُ بِسَهْمٍ آخَرَ مَاتَ : أَتَيْتُ إِلَيْهِ

وَنَزَعْتُ الثَّانِي مِنَ جَوْفِهِ

وَأَخَذْتُ أَهْزُ الْأَوَّلَ فِي جَنْبِهِ وَأَخْضَخِضُهُ

لَمْ أَقْدِرُ أَنْ أَنْزِعَهُ . »

وَتَتَى هَذَا الرَّاوي :

لَمَّا أَخَذَ الثَّقَفِيُّ * الكوفةَ ، أوصى قائدهُ :

« إِذْهَبْ وَاقْتُلْ زَيْدًا . »

جاءَ ، أحاط بزَيْدٍ - قال لكلِّ من أصحابِهِ :

« لَا تَسْتُخِذِمُ سَيْفًا أَوْ رِجًا

إِسْتِخِذِمُ نَبْلًا أَوْ حِجْرًا . »

رَجَّهْهُ نَبْلًا وَحِجْرًا حَتَّى كَادَ يَمُوتُ . أتوهُ

وَبِهِ رَمَقٌ - حرقوهُ حَيًّا .

* هو المختار الثقفي، وقائده هو
عبد الله بن كامل الشاكري. وزيد
هو زيد بن رقاد أحد قتلة
الحسين، وهو نفسه قاتل عبد الله
بن مسلم ابن عقيل .

راوِ آخِرُ يَزوي :

«بايعوك*» ، ولكن

بايعوا قبلَ ذلكَ جَدَّكَ : جَدَّكَ خَيْرٌ

وعصركَ أسوأَ مِن عَصْرِهِ ،

كيفَ تَطْمَعُ أن يَفِيَ الخائِنونَ؟

سوفَ ينقلبونَ عليك ، كما انقلبوا ضِدَّهُ .

وثُمَّ هذا الرّاي :

لم يُطعَ زيدٌ* إلا الشَّرارَ الذي يتوهجُ في صَدْرِهِ -

وَتَحَلَّى

عنه مَنْ بايعوه .

* الكلام لمسلمة بن كهيل ، مخاطباً
زيداً بن علي بن الحسين .

* حوار بين الحجاج وممدان،
مؤذن الإمام علي، والضمير عائد
إلى علي.

راوِ آخِرُ يَزُوي :
- إن كنت بريئاً ،
فلماذا
لا تتبرأ مِنهُ؟
- لا أتبرأ مِن أذنبِي ،
وتكلمتُ عليه .
- قم ، يا حَرَسِي
واقطع رَأْسَهُ .

راوِ آخَرَ يَزُوي :

- إِبْنِي* ،

هَلْ تَأْذُنْ لِي أَنْ أَدْفِنَهُ؟

- كَلَاً .

مَا رَأَيْتُكَ فِي قَاتِلِهِ؟

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «تَقِيْفُ

يُخْرَجُ مِنْهَا اثْنَانِ - مُبَيَّرٌ

وَالْآخَرُ كَذَّابٌ .»

أَنْتِ الْأَوَّلُ ، وَالْمُخْتَارُ الثَّانِي .

* حوار بين أسماء بنت أبي بكر
(ذات السُّطَّاقين)، أم عبد الله بن
الزبير، والحجاج بعد أن قتله.

ويقال إنَّ مُصْعَبَ بنِ الزُّبَيْرِ قَتَلَ
مِنْ أَصْحَابِ الْمُخْتَارِ الشَّقْفِيَّ ،
صَبْرًا ، ثَمَانِيَةَ آلَافٍ .

راوِ آخِرُ يَزْوِي :

- أُرِيدُ* أَنْ أُعْطِيكَ الْقَضَاءَ

- لَسْتُ لَهُ بِأَهْلٍ

- تَبَالُهُ عَلِيٌّ، أَوْ رِيَاءٌ؟

وَتَنَى هَذَا الرَّاَوِي :

حَاوَلَ أَنْ يَفْرُجَ مِنْ جَحِيمِهِ، وَأَنْ يَمُوتَ رَاضِيًا، بَعِيدًا -

جَرَى إِلَى الْفُرَاتِ كَيْ يُفْرِقَ فِيهِ نَفْسَهُ

لَمْ يَتَّبِعْهُ مَاوَةٌ - طَفًا كَمَثَلِ قَصَبَةٍ.

أَخْضَرَهُ الْحَجَّاجُ : عِنْدَ أَبِيهِ

سَمْرَةٌ -

وَمَاتَ فَوْقَ خَشْبَةٍ.

* حوار بين الحججاج، وماهان بن أبي صالح.

راوِ آخِرُ يَزُوي :

- مَنْ أَنَا * مَا مَقَالُكَ فِيَّ؟ أَجِنِّي،

- أَنْتَ أَعْلَمُ،

- لَكِنْ،

بُنْتُ عِلْمَكَ فِيَّ،

- إِذْنُ، لَنْ يَسْرَكَ مَا سَأَقُولُ،

- وَلَكِنْ،

بُنْتُ،

- جَائِزٌ، وَجَرِيءٌ عَلَى الْمَعْصِيَةِ .

- أَوْ تَعْرِفُ مَنْ أَنْتَ؟

- كَلَّا،

لَسْتُ أَهْلًا لِيَكْشِفَ رَبِّي لِي غَيْبَهُ،

وَأَعْرِفَ نَفْسِي .

- لَا أَرَاكَ ضَحَكَتَ إِلَى الْآنِ، كَيْفَ؟ لِمَاذَا؟

- أَوْ يَضْحَكُ طِينٌ؟

* تنويع على حوار بين المحتاج،
وسعيد بن جبير، وكان من
العلماء .

- لا أراك لهوتَ إلى الآن، كيف؟ لماذا؟

- لا أحسّ بِمَيلٍ إلى اللّهُو، أجهلُ أشكألهُ كلّها.

- ما ترى في عليّ،

أفي جَنَّةٍ أم جحيمٍ؟

- ما دَخَلْتُ إلى جَنَّةٍ أو جحيمٍ،

لأعرف، لكنّه أوّلُ المُسلمينَ،

- لَكَ الويلُ مِنِّي،

يا غلامي تقدّم

حُزُّ لي عُقَّةُ.

وثى هذا الرّاوي:

قتلوه على التّطع ذنباً

وروّوا:

بعد أن سَقَطَ الرّأسُ، كان يقولُ الشّهادة.

٢١

راوِ آخِرُ يزوي
تاريخاً ذاتياً للحجاج
بلسانِ الحجّاج:

- أ -

صنُو ذاك الجحيمِ الذي في السماء:
ليس لي لذة
غيرُ سفكِ الدماء.
أخفّشُ العين، لكنتني
أقرأ للمكناث، وأعرفُ ما في الخفاء،
والخليفةُ عندي
أخٌ للملائك والأنبيا.
كلّ من لا يقولُ بقولي، يُعدّ لديّ من الأشقياء:
قتلهُ حكمةٌ وصلاةٌ.

أَلْفُ أَلْفٍ: شَبَابٌ، شَيْوْخٌ، نِسَاءٌ
قُتِلُوا تَحْتَ سَيْفِي وَيَأْسَمِي
كِي أَبْرِيءَ عَرْشِ الْخِلاَفَةِ مِنْهُمْ
وَأَطَهَّرَ ثَوْبَ الْفِضَاءِ
مِنْ عُفُونَاتِهِمْ.

كُنْتُ أَجْمَعُ فِي السَّجَنِ، بَيْنَ نِسَائِهِمْ وَالرِّجَالِ:
وَلَا ظِلٌّ، لَا سَقْفٌ
لَا فَرْقٌ فِي الصَّيْفِ أَوْ فِي الشِّتَاءِ.
كُنْتُ أَصْنَعُ مِنْ حَشْدِهِمْ
غَابَةً لِلْبِقَاءِ
هَكَذَا تُسَجَّنُ الشَّهَوَاتُ، وَتُطَلَّقُ فِي مَدَقِّنِ،
وَالْمَيْئِ الْبُكَاءِ.

- ب -

كُنْتُ أَنْقَضُ إِسْلَامَهُمْ
وَأَصْبُ عَلَى الْآخِرَةِ
تَقَطُّ أَخْلَافِهِمْ
وَأَجْزِجُرُ أَحْشَاءَهُمْ
فِي سِلَاسِلِ أَهْوَاتِي الْمَاكِزَةِ.

كُنْتُ طَاغُوتِهِمْ
أَتَقَنَّ فِي قَتْلِهِمْ، وَأَجْرِي
بَيْنَ أَعْنَاقِهِمْ رَغْبَاتِي،
كُنْتُ جِبَارَهُمْ، وَالْمَفُوضِ فِي أُنْرِهِمْ، وَالْقَضَاءِ.

- ج -

أَيْنَ أَيُّوبُ*، ذَاكَ الْفَصِيحُ،
سَاجِعُ مِنْ مَوْتِهِ آيَةً، -
أَدْخَلُوا حَرْبَةً فِي تَلَافِيهِ أَحْشَاءِهِ
حَضَّخِضُوهَا طَوِيلًا
حَضَّخِضُوهَا - اسْحُبُوهَا: دَمٌ أَسْوَدٌ.

* أَيُّوبُ بْنُ الْقُرَيْبِ، مِنْ فَصْحَاءِ
الْعَرَبِ.

وَدَمَّ أَحْمَرٌ - آيَةٌ لِلْفَصَاحَةِ،

- هاتوا

غَيْرُهُ، أَوْثِقُوهُ

شَرِّحُوا جِسْمَهُ

وَأَنْضِحُوهُ بِخَلٍّ وَمَلْحٍ،

وَاتْرِكُوهُ يَمُتُ.

غَيْرُهُ، قَلْتُمْ: ابْنُ سَعْدٍ*؟

أَضْرِبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ،

أَضْرِبُوا مَفْرَقَ الرَّأْسِ، شُقُوهُ نِصْفَيْنِ:

نِصْفًا هُنَا، وَنِصْفًا هُنَا.

غَيْرُهُ، قَلْتُمْ: ابْنُ يَزِيدٍ*؟

إِمْنَعُوا الْأَكْلَ عَنْهُ،

قَدِّمُوهُ طَعَامًا لِهَيْدِي الْكِلَابِ، اثْرِكُوهُ

بَيْنَ أَنْيَابِهَا.

* محمد بن سعد بن أبي وقاص.

* ابراهيم بن يزيد التيمي الزاهد.

- غَيْرُهُ، قَلْتُمْ: مسجدٌ حرامٌ؟
طَوَّقُوا كُلَّ أَبْوَابِهِ
عندما أرفعُ العمامةَ عن رأسي، أفجأؤهم
واخضدوا غابةَ الرقابِ بأسيايفكم، وقولوا:
هوذا مسجدُ الفناء.

- د -

ألسماءُ يَدٌ في يدي
والخليفةُ منها: لا يشاءُ الذي لا أشاءُ.

راوِ آخِرُ يَزُوي :

- زَعَموا أَنَّهُ*

لا يَكْفَ عن الشَّرِبِ ،

يَدْخُلُ في الإِثْمِ ،

حَتَّى ولو كان في ضيقِ سَمِّ الخِياطِ .

- إجلدوه أجلدوه إلى أن يتوب

فلعلَّ السَّياطِ

سَتَكْفُرُ عنه وعن شعره الذُّنوبِ .

* الإشارة إلى الشاعر ابن هزّمة .

راوِ أَخْرُ يَزْوِي :

جاؤوا بحبالٍ

جاؤوا بحديدٍ

سَمَلُوا عَيْنَيْهَا*

قطعوا رجليها، زَنَدْنِيهَا

وَرَمَوْهَا فِي السُّوقِ

جسداً مَخْرُوقِ.

لم تَتَأَوَّهْ، قَالَتْ :

أَخْرُ أَيَّامِي فِي الدُّنْيَا

أَوَّلُ أَيَّامِي فِي آخِرَتِي.

* الإشارة إلى امرأة اسمها
الْبَلْجَاءُ، قتلها عبيد الله بن زياد.

راوِ آخَرُ يَزْوِي :

شَاهَدْتُ عُبَيْدَ اللَّهِ* ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ

رَأْسُ حُسَيْنٍ*

وَالْمَخْتَارَ* ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ

رَأْسُ عُبَيْدِ اللَّهِ ،

وَمُضَعَبَ* ، بَيْنَ يَدَيْهِ

رَأْسُ الْمَخْتَارِ ،

وَعَبْدَ الْمَلِكِ* ،

بَيْنَ يَدَيْهِ

رَأْسُ الْمُضَعَبِ .

وَتَى هَذَا الزَّوَايِ :

قَالُوا - بِيَدِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ

مَكْتُوبٌ هَذَا فِي الْفَلَكِ ،

يَا هَذَا الشَّاهِدُ ، لَا تَعْجَبْ .

* عبید الله بن زیاد

الحسين بن علي

المختار الثقفي

المصعب بن الزبير

عبد الملك بن مروان

والكلام لعبد الملك بن عمر .

راوِ أَخْرُ يُرْوِي :

قتلوا زُوجِهَا*

قطعوا رأسه، وألقوه في جحرها .

تَقَلُّوا لِلخَلِيفَةِ عنها كلاماً، دَعَاها

سائلاً،

أَكَدَّتْ قَوْلَهَا .

- أَخْرَجُوهَا، ولكن

ناولوها العطاء الذي يقطعُ اللِّسَانَ .

- عَجَباً لِلخَلِيفَةِ، يقتل زوجي، وَيَهْدِي لِي الجَوَائِزَ؟ كَلَّا،

وَتَبَّأْ لِهَذَا الزَّمَانُ .

وَتَنَى هَذَا الرَّاوي :

أَخْرَجْتُ، في الطريق إلى الكوفة، اكْفَهَرْتُ

بغيوم الفجيرة آفاقها

جَزَعْتُ، جَفَّجْتُ، تهاوت - هَوَتْ مَيْتَةً .

* الإشارة إلى أمانة

بنت الشريد، وزوجها

هو عمرو بن الحمق

الخرزاعي الذي قُتِلَ

بأمر من معاوية .

راوِ آخَرَ يَزُوي :

- أَخْضِرُوا مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ

- هَلْ تُبَايِعُ؟

- كَلًا.

- اضْرِبُوا عُنُقَهُ.

- أَخْضِرُوا هَانئًا*:

- هل تبايعُ؟

- كَلًا.

وَتَنَى هَذَا الرَّاوي :

أَخْرَجُوهُ إِلَى السُّوقِ - فِيهَا

ضَرَبُوا عُنُقَهُ.

* الكلام لمبيد الله بن

زياد، وكان مسلم قد

التجأ إلى دار هانيء بن

عروة، فحمأه ورفض

تسليمه.

راوِ أَخْرُ يَزْوِي :

أَعْرَابِيٌّ مَرَّ بَدَارِ عُبَيْدِ اللَّهِ *،

رَأَاهَا عَجَبًا،

وَرَأَى صُورًا وَتَمَائِيلًا فِيهَا - قَالَ :

«أَسَدٌ كَالِخِ

كَبِشٍ نَاطِخِ

كَلْبٍ نَابِخِ» .

وَوَثَى هَذَا الزَّوَاوِي :

شَاعَتْ كَلِمَاتُ الْأَعْرَابِيِّ، وَقَالُوا :

لَمْ يَلْبَثْ فِي تِلْكَ الدَّارِ، عُبَيْدُ اللَّهِ،

سِوَى أَيَّامٍ، حَتَّى مَاتَ .

* دار عبید الله بن زیاد فی
البصرة .

* قتيبة بن مسلم.

راوِ آخِرُ يَزُوي :
قُتَيْبَةُ * الفاتخ
يَقْتَلُ مع أهله ،
وَجُنْدُه القاتلون .
وَتَنى هذا الراوي :
أكثرُ أهْلِ الأرضِ لا يعقلون
أجسامهم دماء
سابحةً في فلكِ سابخ .

رأوا آخراً يزوي:

كان زعيم الدعوة* - يُزسي فيها

أَمْلاً آخراً، عهداً آخراً.

حَبَسُوهُ،

قتلوه في عُبْسُو.

وثنى هذا الزاوي:

هل نفتكر؟

هل نعتبر؟

رَبِّي شجرة

لم يقطف منها تَمرة.

* إبراهيم الإمام، زعيم الدعوة
للعباسيين قتل مروان الملقب
بالحمار، آخر الخلفاء الأمويين.

٣٠

راوِ أَخْرُ يُزوي :

- أ -

* المغيرة بن سعيد العجلي .

قال العجلي :

أعضاء اللّهِ حروفٌ هجاءٍ

ولهُ صورةٌ إنسانٍ

لكن من نُورٍ،

وعليه تاجٌ من نورٍ

ولهُ قلبٌ تتبعُ منه الحكمةُ .

- ب -

قال العجلي :

لما خلقَ الله العالمَ

لَقَطَ الإِسْمَ الأعظمَ ، -

طار الإِسْمُ وَحَطَّ كمثلِ التاجِ

على رأيسه .

- ج -

قال العجلي:
كتب الله على كفيه
أعمال الناس.

- د -

قال العجلي:
من عرق الله أنجست أمواج
صارت بخرين -
الأول عذب، والآخر مالخ
الأول نور والثاني أسود كالخ.

- ه -

قال العجلي:
خُلِقَتْ مِنْ ظِلِّ اللَّهِ الشَّمْسُ، وَمِنْهُ
خُلِقَ الْقَمَرُ،
أَفْتَى اللَّهُ الْبَاقِيَ مِنْ ظِلِّهِ.

- و -

وثنى هذا الراوي:
زعم الحارث بن كثير
أنه ساجر
فاجر
خيبت
من الشيعة الخبيثة:
الغيرة لا يستحق البقاء.

٣١

راوِ آخَرُ يَزوي :

- أ -

* قيل إن أبا حمزة الخارجي قتل
في هذا اليوم سبعئة شخص.

جَمَعُ مِنْ أَهْلِ قريشٍ
قُتِلُوا،
في يَوْمِ قُديدٍ* .

- ب -

رجلٌ في المدينة، بين يديه عَجِيئٌ
ضربوا عُنُقَهُ،
فارتَمَى رأسُهُ في العَجِيئِ .

- ج -

«كُلُّ مَنْ هَا هُنَا آمِنٌ،
غَيْرُ أَهْلِ أُمِّيَّةٍ .
مَنْ تَكُونُ؟ تَقْدَمُ،
لَكَ مِنِّي الأمانُ -

أَلْقِ سَيْفَكَ،

أَلْقَاهُ، جَاءَ إِلَيْهِ

شَقَّ بِالسَّيْفِ رَأْسَهُ.

- د -

كَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَبْكُونَ قَتْلَهُمْ - فُرَادَى

كَلَّ بَيْتٌ لَهُ مَيْتٌ،

وَلَهُ مَاتَمٌ.

- ه -

وَتَى هَذَا الزَّوَارِي:

قَتَلُوا الْخَارِجِيَّ أَبَا هَمزَةَ

قَتَلُوا جُلَّ أَصْحَابِهِ.

- و -

وَتَى هَذَا الزَّوَارِي:

غَيَّرَ أَنَّ الشُّرَاءَ أَغَارُوا انْتِقَامًا

قَتَلُوا قَاتِلَ الْخَارِجِيِّ وَأَصْحَابَهُ.

- ز -

وَتَى هَذَا الزَّوَارِي:

جَاءَ لِلْجُرْزِفِ، لِلْقَرْيَةِ الْخَارِجِيَّةِ، ابْنُ يَزِيدٍ*

قَتَلَ الْقَاتِلِينَ الشُّرَاءَ -

الرِّجَالُ النِّسَاءَ الدَّرَارِي

وَالكَلَابَ وَمَا دَبَّ حَتَّى الدَّجَاجِ،

تَرَكَ الْجُرْزِفَ قَفْرًا.

* عبد الرحمن بن يزيد نائب
الخليفة عبد الملك بن مروان،
والجرف قرية في الحجاز.

٣٢

راوِ أَخْرُ يُزوي:

- أ -

* الإشارة إلى محمد الملقَّب بـ
«النفس الزكِيَّة»، والذي خرج في
المدِينة على الخليفة المنصور.

قطعوا رأسه*

أحضروه لعيسى بن موسى:

- ما تقولون فيه؟

- مارق، كاذب.

- كذبتُم،

ما لهذا قتلناه، لكن

خَالَفَ المؤمنِينَ، وَمَنْ أَمَرُوهُ عَلَيْهِمْ،

وَشَقَّ عَصَاَ المسلمِينَ.

- ب -

قتلوا جُمْلَةً

مِنَ أَخِصَاتِهِ، وَمِنَ أَهْلِهِ.

- ج -

قُتِلَ ابْنُ حُضَيْنِرٍ

مِنَ أَجَلَّةِ أَصْحَابِهِ.

سألت أخته أمينة عنه -

- قتلوه،

سجدت غبطة.

قال، في حيرة، زوجها:

- تسجدين وتغتبطين لقتل أخيك؟

- نعم، لم يفّر، ولم يُؤسّر.

- د -

وثنى هذا الراوي:

خَرَقَ السَّهْمُ رَأْسَ أَخِيهِ

قَطَعُوا رَأْسَهُ،

أرسلوه

لأبي جعفر* .

وَضَعَ الرَّأْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ -

* الخليفة المنصور والإشارة إلى
أخي «النفس الزكية».

دَخَلَ النَّاسُ - كُلُّ

لَاعِنٌ، شَاتِمٌ.

قال جَعْفَرٌ * لما أتاه:

- «عَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكَ فِي

ابْنِ عَمِّكَ، وَلَيَعْفُرِ اللَّهُ

تَفْرِيطَهُ

فِي حَقْوِكَ»،

- «أَهْلًا، يَا أبا خَالِدٍ،

هُنَا - قُرَيْنًا.»

* جعفر بن حنظلة، وكان كلامه
ذكياً، اعجب به النصور.

راوِ أَخْرُ يَزُوي :

قال * : لَنْ أتَوَّى القِضاءَ ،

فَجُنَّ الخَلِيفَةُ مِن قَوْلِهِ .

وكان دَعاهُ

لِتَوَيَّ القِضاءَ بِبِغدادَ ،

أَلقاهُ فِي السِّجْنِ . قِيلَ :

سَقاهُ الخَلِيفَةُ سُمًّا . وقالوا :

كان فِي كلِّ يَوْمٍ يُسَاطُ ،

إلى أَنْ تُوقِيَ فِي سِجْنِهِ .

* الإمام أبو حنيفة الثعمان .

راوِ آخِرُ يزوي:

لِأبي مُسلمٍ*، رأيتُ ثلاثاً

وأنا نائمٌ:

- وقمتُ عِمتَه،

- إنَّها رأسُه.

- وكبَّتْ خيلُه،

- إنَّها حَظُّه.

- قالَ: أَقتُلُ.

- أَللهُ أكبرُ،

في الفجرِ كان أبو مسلمٍ

قتيلاً.

* أبو مسلم الحُرَاساني، والحوار
بين الخليفة المتصور، ورجل من
خاضته رأى الحلم.

X

توقيعات

إذا ما تأملت الزمان وصرفه

تيقنت أن الموت نوع من القتل

المتنبي

توقيع مُفرد

- هل ضاع النَّظْرُ، اُخْتَنَقَ الصَّوْتُ؟
أف، ما هذا التَّارِيخُ - المِيتُ فيه
يُقْتَلُ حتَّى بعد الموتِ.
- ماذا تفعلُ، يا هذا الشاعِرُ
في هذا البلدِ البائِزِ؟
- أشهدُ فيه
تكوِينَ بلادٍ أُخرى.
- ماذا تفعلُ، يا هذا الزاوي
في هذا التَّارِيخِ المِيتِ؟
- أشهدُ فيه
ميلاداً آخَرَ
لتواريخٍ أُخرى.

صوت بتوقيع ثلاثي

يزعم الزاوية
أن هذا الحضورَ الذي يتغطى بأسلافنا
ليس إلا غياباً، -
لا يرى من بهاء الحديقة إلا
وردة ذابلة
أثرى هذه لغةً عادلة؟
عَضِبُ الأرضِ، جَلَمُ التِّبَاتِ، وَسُوسَةُ البَادِيَةِ
لم يقل أي شيء، ذلك الزاوية
عن تهاويلها وتأويلها،
كيف؟ لا حَقُّ في الصَّمْتِ لِلزَّائِيَةِ.
هي ذي الشَّمْسُ تَهْمِسُ لِلزَّائِيَةِ،
وتكثُرُ مَزْهُوَةٌ:
حِكْمَةُ الضَّوءِ أَبْقَى وَأَعَمُّ مِنْ لَيْلِ صَحْرَائِكَ الدَّامِيَةِ.

أصوات بتوقيعات متعددة

- أ -

- مَنْ يَقُولُ: التَّبَوُّهُاتُ لَا تَنْتَهِي؟
- مَنْ يُوسْوِسُ، مَنْ يَتَلَبَّسُ أَحْشَاءَكَ؟
- الْمُفْصُولُ.
- مَنْ تَنْبَأُ لِلْأَرْضِ غَيْرُ السَّمَاوَاتِ؟
- مَاءُ الْبِنَابِيعِ، زَهْرُ الْحَقُولِ.
- أَثْرَاكَ تَوْخَذْتَ مَعَ نَجْمَةٍ
- أَمْ تَأَخَّيْتِ مَعَ مَارِدٍ؟
- أَمْ تَصَوَّرْتَ لِلخَلْقِ فِي صُورَةٍ
- لَا مَسَاقَةَ فِيهَا
- بَيْنَ مَا فَطَرْتَهُ الْغَرَائِزُ فِيهِمْ،
- وَمَا أَسْخَسْتَهُ الْعُقُولُ؟
- لَمْ أَقُلْ، لَا أَقُولُ.

- ب -

- نَهَرَ لَا مَصْبَ لُهُ، لَا ضِيفَافَ
- وَالْفِضَاءُ سَرِيرٌ لَهُ -
- إِنَّهُ السَّيِّدُ الطُّفْلُ يَلْهُو
- لَيْسَ هَذَا طَرِيقاً وَلَا مَوْعِداً
- لَيْسَ مَاءٌ وَلَا صَخْرَةٌ
- قَلْبُ لَفُّهُ

بعباءةٍ مِراثِهِ
ورمى بين عينيه أسرارَهُ.

- ج -

يَتَقَصَّى - لَهُ وَجْهٌ فَجَبْرٌ وَعَيْنَا سَمَاءِ
هل يَكُونُ لِأَشْوَاقِهِ
زَمَنٌ آخَرَ، لَهَبٌ آخَرُ؟
الزُّرُوسُ تَجَدَّدُ أَفْصَاصَهَا
وَالزَّمَانُ كُرَاتٌ
تَتَدَخَّرُجُ مَسْحُورَةٌ.

- د -

قَمَرٌ بَيْنَ سَاقَيْنِ مَغْسُولَتَيْنِ
بِأَبَارِقِ مِثْلِ شَهْوَةٍ
قَمَرٌ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي قَادَهُ لِهَوَاهُ
قَمَرٌ فِي خُطَاهُ
قَمَرٌ بَيْنَ بَيْنِ.

- ه -

كَلِمَاتٌ -
شَهْوَةٌ تَتَقَلَّبُ فِي جَمْرِهَا.

كَلِمَاتٌ -

غَابَةٌ خَبَائِثُهُ
بَيْنَ أَغْصَانِهَا.
لَا نَبِيٍّ وَلَا سَاجِرٍ - نَارُ شَيْعِرٍ
فِي الْمَكَانِ وَمِنْ لَا مَكَانٍ
تَتَأَجَّجُ فِي تَبِّهِ هَذَا الزَّمَانُ.

(باريس، آذار ١٩٩٥)

علي مولا

ISBN 1-85516-563-5



9 781855 165632



أدوينيس

الكتاب

أمس الممكن الآن

II

علي مولا

دار الساقية

الكتاب

أهس العكان الآن

خطوط الغلاف : محمد سعيد الصكار

أدونيس

الكتاب

أهس العكان الآن

مخطوطة تُنسب إلى المتنبّي
يُحقّقها وينشرها أدونيس



دار
الكتاب

© دار الساقى

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٩٨

ISBN 1 85516 740 9

دار الساقى

بناية ثابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولا)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان

هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٦٠٢٣١٥ (٠١)

DAR AL SAQI

London Office: 26 Westbourne Grove, London W2 5RH

Tel: 0171-221 9347, Fax: 0171-229 7492

للمؤلف

مجموعات شعرية

- قصائد أولى، ١٩٥٧.
- أوراق في الرّيح، ١٩٥٨.
- أغاني مهيار الدمشقي، ١٩٦١.
- كتاب التحوّلات والهجرة في أقاليم النّهار واللّيل، ١٩٦٥.
- المسرح والمرايا، ١٩٦٨.
- هذا هو اسمي، ١٩٧١.
- مفرد بصيغة الجمع، ١٩٧٥.
- المطابقات والأوائل، ١٩٨٠.
- كتاب الحصار، ٨٢ - ٨٥، ١٩٨٥.
- شهرة تتقدّم في خرائط المادّة، ١٩٨٧.
- احتفاءً بالأشياء الواضحة الغامضة، ١٩٨٨.
- أبجدية ثانية، ١٩٩٤.
- الكتاب - I، دار الساقى ١٩٩٥.

دراسات

- مقدمة للشّعر العربي، ١٩٧١.
- زمن الشّعر، ١٩٧٢.
- فاتحة لنهايات القرن، ١٩٨٠.
- سياسة الشعر، ١٩٨٥.

- الشعرية العربية، ١٩٨٥.
- كلام البدايات، ١٩٨٩.
- الصوفية والسوريالية، ١٩٩٢.
- ها أنت أيها الوقت، ١٩٩٣.
- النظام والكلام، ١٩٩٣.
- النصّ القرآني وآفاق الكتابة، ١٩٩٣.

مختارات

- ديوان الشعر العربي (ثلاثة أجزاء، مقدّمة) ١٩٦٤ - ١٩٦٨.
- مختارات من شعر السّياب (مع مقدّمة).
- مختارات من شعر يوسف الخال (مع مقدّمة)، ١٩٦٢.
- مختارات من شعر شوقي (مع مقدّمة)، ١٩٨٢.
- مختارات من نصوص الكواكبي (مع مقدّمة)، ١٩٨٢.
- مختارات من نصوص محمد عبده (مع مقدّمة)، ١٩٨٣.
- مختارات من نصوص محمد رشيد رضا (مع مقدّمة)، ١٩٨٣.
- مختارات من شعر الزهاوي (مع مقدّمة)، ١٩٨٣.
- مختارات من نصوص محمد بن عبد الوهاب (مع مقدّمة)، ١٩٨٣.
- (الكتب الستة الأخيرة أختيرت وقُدّم لها، بالتّعاون مع خالدة سعيد).

ترجمات

- الأعمال المسرحيّة الكاملة لجورج شحادة، ١٩٧٥.
- الأعمال الشعرية الكاملة لسان - جون بيرس، ١٩٧٦.
- الأعمال الشعرية الكاملة لإيف بونفوا، ١٩٨٦.
- مسرحيّة فيدر لراسين، ١٩٧٥.
- الشّقيقان العدوّان لراسين، ١٩٧٥.

القسم الأول

I

خُذْ مَا تَرَاهُ، وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ،
فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلٍ.
المتنبي

- أ -

قال^(١) تأتي معي

حَلَبٌ تَتَّهَيْدُبُ أَيَامُهَا

بِالْفَتْوحِ: الشَّمَالُ

يَتَقَلَّبُ فِي نَارِهَا

وَالْجَنُوبُ قَرِيبٌ

غَرِيبٌ.

كيف لا أستجيب لهذا السؤال،

تاركاً سَعْنَ اللَّيْلِ

تُبْحِرُ فِي شَمْسِ أَنْطَاكِيَةِ؟

ألوداع الوداع لأنطاكية، -

أتراها ولادتي الثانية؟

* يَتَنَوَّرُ أَيَّامَهُ:

كُلُّ شَيْءٍ ضِيَاءٌ لَهُ وَدَلِيلٌ.

وَجْهَهُ شَمْسُهُ،

وَتَبَارِيحُهُ

أَفَقٌ بَادِخٌ يَتَصَاعَدُ فِيهِ.

(١) القائل هو سيف الدولة،
عندما كان في أنطاكية. سنة
٣٣٧ هـ.

- أ -

الجحيمُ التي كان يلزأوه

أن يتوَعَّلَ فِي نَارِهَا

دُونَ أَنْ يَبْلُغَ الْهَابِئَةَ،

فَرَمَ مِنْ هَوْلِهَا إِلَيَّ

يَتَفَيَّأُ فِي مَقَلَّتِي.

قال، تأتي وتأخذ فيها

مكاني،

ليُلهَا غَايِرٌ

وَالضَّرَاطُ إِلَيْهَا

ضَيْقٌ، شَائِكٌ.

- ب -

يَلْتَقِي شَاعِرٌ وَأَمِيرٌ

شَاعِرٌ يَقْرَأُ الْوَقْتَ فِي شِعْرِهِ

أَمِيرٌ

يَقْرَأُ الْوَقْتَ فِي صُحُفٍ مِنْ دِمَاءٍ،

وَيُسِرُّ: «هُوَ غَامِضٌ شَدَّ

قَلْبِي وَعَقْلِي إِلَيْهِ . . .

تُرَاهَا

بِيعَتِي، أَمْ تُرَاهَا

بِيعَةَ الْمَتَنَبِيِّ؟»

ما أمرَّ اللقاء، وما أغمض اللقاء، وما أعذب
اللقاء.

* صوته يتموج في أذن الوقت والوقت
يُملي أعاصيره:
نشغ هذا الفضاء
سائل يتقطر من فلك الكبرياء.

- ٢ -

لا أجيء، إذا كان في كل درب
دليل وضوء - أجيء،

إذا انطفأ الضوء،

وارتطم العابرون الحيارى

بحجارة سيجلهم.

وأجيء، إذا كان لي أن

أشق طريق الجحيم،

إلى آخر الجحيم.

- ٣ -

حسناً

أنتور في سفري نحو نفسي،
ونحو المدائن والناس،
شعري، وأتبدد الراوية.

لا دليل سوى الشعر -

يبتكر الهاوية
ويصادق معراجها الكريم.

فليجيء نحوِّي الفضاء

ليجيء مثل طفل،

نقيًا وحُرًا

لأخطأ عليه

ما روته النجوم لعيني هذا
النساء.

- ج -

- جالساً^(١)، سوف أقرأ شعري بين

يديك، ولن أنحني

مثل غيري: أقبل بينهما الأرض،

لكنتي

سأعاقب فيك السماء

وأقبل كل علو.

- أأخاصمك الآن؟ لا، لن أخالف

ما قلت. خير.

لك ما شئت،

لم يشأه سواي ولا شاءه الشعراء.

* ربما،

لأشفاء لجرحك إلا

في يدي وردة

لم تلامسهما يدك.

- ٥ -

ألمساء، صديق العنادل، يترك مزمارة
في يدي، ويمضي
طائفاً، سائلاً.

- ٤ -

أتراني حقاً أجور، إذا
قلت ما لا يقال؟ ولكن
كيف أطمس ما يطمس
الجور والبغي؟
ما الشعر إن لم ير الجذر،
إن لم يضيئنا؟ وما الضوء
في الشعر، إن لم ينور
دجته أيماناً، ويزلزل
وهم تاريخنا؟

كزروا ما تشاؤون - أنتم
للعروش وأهوائها،

* عندما يصبح الغيب ثوباً لجسمك،
والشمس رقانةً في يديك،
كيف لا تولد الأرض من أول
في خطاك، وفي ناظريك؟

- ه -

ناقتي - أَتَغْلَعَلُ فِي وَخْدِهَا:

أَلْمَخُ الْمَوْجِ فِيهِ

وَالصَّحَارَى - أَرَى النَّخْلَ، كَلًّا،

وَخَدْهَا حَيْرَةً وَالتَّبَاسَ،

وَدُرُوبَ إِلَى

أَرْضِهَا، خَفِيَّةً .

أَتْرَاهَا -

حَلَبَ بَيْنَ أَهْدَابِهَا

أَمْ تُرَاهُ الْحَنِينُ إِلَى اللَّادِقِيَّةِ؟

* شَعْفِي أَنْ أُرَبِّي سِرِّي كَطْفَلٍ،

شَعْفِي أَنْ أَفِيءَ إِلَى بُرْعَمِ

وَأَخْبِيءَ حَبِي

فِي أَسَارِيرِهِ .

للسيوف التي تتناسل فيها،

لأبنائها

وأبناء أبنائها،

كزروا، أنشدوا:

لِكَ حَشْدُ الْقَبَائِلِ،

حَذُو الْقَوَائِلِ،

وَالْعَالِيَاثِ الْقَصُورُ

وَأَنْوَارُهَا السَّاطِعَةُ،

وَاتركوني أنا لضلالي

لن أفيء إلى ظلكم

وذخرت لصدوتي هوى

آخرًا،

وَمَدَى آخِرًا

وسأبقى رفيقاً أميناً لبيدائي

الواسعة .

- و -

أُتْرَاهُ شِعْرِي

نَجْمٌ رَحَالٌ

في صحراء المعنى -

يَتَّعَهْدُ وَاِحَاتٍ

ويشوق مجاري في الأصوات وفي الكلمات؟

أُتْرَاهُ قَلْبِي

قَمَرٌ بَطَالٌ

يَسْكُنُ فِي حَرَمِ الْأَحْلَامِ، وَيَبْنِي

مُدُنًا لِتَيْهِ وَلِلشَّهَوَاتِ؟

- ه -

لائين الكلبى، وسيف، وأبي
مخنف^(١)،

تاريخ رمال

يتأرجح في عرش دام،

في عتب مستأنف.

* لِلْفِضَاءِ طَيُورٌ تَخْطُ السَّمَاءَ -

نبواتها ورؤاها،

رُفِعَ مِنْ سَحَابٍ يَلُونُ السَّلْمَ

كَلَّ طَيْرٌ قَلَمٌ.

(١) أبو مخنف، سيف بن
عمر، ابن الكلبى: إخباريون
ومؤرخون قدامى.

- ز -

جَرَّتِ الشَّمْسُ أَرْدَانَهَا
في رواق الغروب، وأعطت قناديلها
للمساء .

ألسهولُ خِيَامِ

تتلاقحُ فيها

شَهَوَاتُ الشَّجَرِ،

والتجوم كمثل النساءِ

يَتَفَحَّصْنَ أجسادهنَّ،

ويفتقنَ ثوبَ القَمَرِ .

- ٦ -

انتقى، أوغل في الآثار،
وفي التاريخ، وفي ذاكرتي -

- أ -

خوصِرَ هاشم^(١)، أشعل ناراً:

«لن يلمسني سيفٌ

أهلي ونسائي

سيموتون كمثلي .

نارٌ - الطف بزد

في أنعم دار» .

- ب -

أعطاهم سماء، أو هذا

ما أخبر عنه، وهوى كلُّ

* أتري يعرف الماء أن الشرز
وحيه المنتظر؟

(١) هاشم بن حكيم،
المقنع . وقيل اسمه عطاء .
كان يتبرقع بحرير أخضر، أو
بوجه من نذهب . قيل أحرق
قلعه رافضاً الاستسلام . قاتلاً
لمن معه :

«من أحب أن يرتفع معي إلى
السماء،

فليلق نفسه معي في هذه
النار» .

يقول المعري، مشيراً إليه :

أفئ، إنما البذر المقنع رأسه

ضلالٌ وغبيٌّ مثل بذر المقنع .

- ح -

حَلَبٌ - أَثْرَاهُ السَّحَابُ الَّذِي يَنْزُلُ
الآنَ عَنْ كَتْفِي، يَسِيرُ إِلَيْهَا؟
لَأَقُلَّ إِنَّهُ رَفِيقِي:

رَحِمٌ لِلتَّخِيلِ، أُمٌ لِلْحَنِينِ؟
أَقُولُ لِيظَنِّي تَمَهَّلْ
حَسْبِي الآنَ أَتَى قَرِيبٌ إِلَيْهَا -
حَامِلٌ شَمْسَهَا
حَاضِنٌ ظِلَّهَا.

سَأَقُولُ لِهَذَا الْفَضَاءِ الْمُنَوَّرِ: كُنْ مِثْلَهَا.

❖ شَهْوَةٌ الشَّمْسِ تَعْلِقُ شَبَاكَهَا:
مَتَعَةٌ أَنْ نَرَى اللَّيْلَ يَأْوِي إِلَيْهِ
وَيُوشِئُ قُضْبَانَهُ.

في اللَّهَبِ الصَّاعِدِ نَحْوَ اللَّهِ،
أَتَوَّهٌ -

أَخَذُوهُ مَيْتًا، قَطَعُوا الرِّئَاسَ،
اسْتَبْشَرُوا
وَمَضُوا. حَمَلُوهُ لِلْمَهْدِيِّ،
وَكَانَ مَقِيمًا فِي حَلَبٍ.

- ج -

هَاشِمٌ كَانَ يَقُولُ: «إِلَهٌ

يَتَجَسَّدُ فِيَّ، دَعُونِي

أَتَبْرِقُ حَتَّى

يَكْمُلُ فِيَّ تَجَسُّدَهُ، ثُمَّ سَأَكْشِفُ
عَنْ ذَاتِي

يُتْرُونِي - سَأُبَيِّحُ لَكُمْ

مَا شِئْتُمْ».

- ط -

يكتب الشَّعْرُ وَخِي الصَّدَاقَةَ
في كِتَابِ جَامِحَةَ -

هذه آية:

فَجُرُّ تَارِيخَنَا

قَائِمٌ قَاعِدٌ،

هُوَذَا يَنْحَنِي -

يَتَرَبَّعُ فِي أَوَّلِ الْعِطْرِ،

يَقْرَأُ لِلْمَاءِ، لِلْعُشْبِ، لِلشَّجَرِ

الْفَاتِحَةَ.

- ٧ -

- أ -

خرجوا^(١)،

استبسلوا،

أبديوا.

- ب -

قُتِلَ الْيَشْكِرِيُّ^(٢)، وَبُدِدَ أَنْصَارُهُ
فِي الْجَزِيرَةِ،

وَدَمَّ الْبَرِيرِيُّ، وَدَحِيَّةُ
وَالْبِرْلَسِيُّ^(٣) يَسِيلُ عَلَى جَسَدِ
الْبِيرَةِ: الْأَمِيرُ يُحِبُّ الرِّقَازَ عَلَى
جُحَّةِ الْأَمِيرِ.

(١) إشارة إلى فرقة
المحمرة، الذين خرجوا في
جرجان، وقتلوا جميعاً، كما
يُزَوَى.

(٢) عبد السلام بن هاشم
اليشكري، خرج على الخليفة
اسمهدى وكان أنصاره
يتكاثرون في الجزيرة.

(٣) العباس البربري، دحية
الغساني، إبراهيم البرلسي،
خرجوا في البيرة، بالاندلس
على عبد الرحمن الداخل،
 وقتلوا مع عددٍ من أنصارهم.

* تعجب الأرض من ذلك الهباء

الذي يتحدَّرُ من آدم،

وتؤكد سُكْرًا بِهِ:

لن أوجه وجهي إلا إليه.

- ي -

زَفَرْتَنِي شَهيقاً

مُدُنٌ لَا تُحِبُّ السَّمَاءَ، وَلَكِنْ

لَمْ أَكُنْ قَادِراً بَعْدُ، أَنْ أَتَبَلَّغَ،

أَوْ أَنْ أَتَبَلَّغَ مَا وَسَّوَسْتَهُ

مَفَازَاتُهَا،

وَمَا رَمَزْتَهُ،

أَلِهَذَا تَأَسَّسْتُ فِي صَمْتِهَا، وَفِي وَحْيِهَا؟

- ٨ -

- ١ -

الخليفة في حلب^(١) للتفقد: -

«أين الزنادقة؟ استخرجوهم

من مخابثهم، وأبيدوهم

واحدًا واحدًا.

قُطِعُوا بالسكاكين أوراقيهم،

قُرِبُوا - أنا البادية

كي يُقال: اصطفاهُ ثواباً

للتعظيم وولدايه، الباريء».

* رحلة الرَّمْل لا تنتهي،

والبشارة تأتي مِنَ البحرِ

في جوفِ حُوتٍ.

(١) قال ابن الأثير: «في السنة ١٦٣ هـ، جاء الخليفة المهدي إلى حلب، فأمر بجمع الزنادقة فيها، وفي نواحيها. جمعوا وقتلوا، وقُطعت كتبهم بالسكاكين».

- ك -

فِي كُلِّ مُفْتَرِقٍ صَمْتٌ يُوسِعُ لِي
 حَدَّ الْكَلَامِ، وَيَزِمِينِي إِلَى الْفَلَكِ
 لِي فِي الْكَلَامِ أُسَاطِيرٌ وَلِي سُنَنٌ
 وَلِي طَيُورٌ صَبَابَاتِي وَلِي شَبَكِي
 تَقَاطَعَتْ فِي رَايَاتٍ وَأَشْرِعَةٌ، -
 عَدِي عَرُوشٌ
 وَشِعْرِي مَالِكُ الْمَلِكِ.

(١) من أسلافهم:
 الجعد بن درهم،
 معبد الجهني،
 غيلان الدمشقي،
 عبد الصمد بن عبد الأعلى.

- ب -

سنة دامية -

وَالزَّنَادِقَةُ الْيَوْمَ أَكْثَرُ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ
 مَضَى^(١)

عبرة لسواهم،

سَأَعِدُّ أَسْمَاءَ مَنْ قَبِلَ عَنْهُمْ
 زَنَادِقَةً

وأبيدوا،

أَوْ أَحْيَطُوا، لِأَمْرِ خَفِيِّ،

بِعَفْوِ الْخَلِيفَةِ، لِكُنْتِنِي لَنْ أَبُوحَ
 بَرَاوٍ وَلَا شَاهِدٍ

حذراً من عتو اليد الباغية،

سأقول: أنا وحدي

الزاوية، -

* غِبْطَةٌ أَنْ يُزَاوِجَ مَا بَيْنَ أَنْفَاسِهِ
 وَاضْطِرَابِ الْجَنَاحِ،
 أَلْهَذَا،

لَمْ يَكُنْ مَرَّةً، طَيِّعاً لِلرِّيَاخِ؟

أبان بن عبد الحميد الأحمي

حَلَبٌ -

أَتْرَاكِ التَّوَهُّمَ، عَمَرْتُ وَقْتِي بِهِ؟

ما يكونُ، إذن، وعدُّنا؟

ما يكونُ اللَّقَاءَ الَّذِي نُشْرِكُ الْغَيْبَ فِيهِ؟

وإلى أَيِّ شَمْسٍ سَأُوْكِلُ لَيْلِي

عندمَا نتغَطِّي

بصباياتنا؟

نَتَسَتَّرُ، أم نتكئِي؟

لن أصرِّح، لكن

هل أخونُك إن وشوشْتِنِي نفسي،

وَوَشُوشْتُنْهَا؟

* لا يريد من الدَّربِ إلَّا

أن يرى كيف تُرخي جدائلَ

أحلامها،

وتفكِّ، العشيَّةَ، زُنَّارَها.

ابن طلوت ابن شاعر

ابن ديصان ابنة يعقوب

ابنة مطيع أبو نؤاس

أبو العباس الناشء

أبو علي سعيد

أبو العتاهية

أبو عيسى الوراق

إبراهيم بن سيبان

إسماعيل بن سليمان الجيهاني

إسحاق بن خلف بشار بن برد

البقلي^(١) الجرندي

جميل بن محفوظ

داؤد بن زوح بن حاتم المهلبِي

(١) كان يقول:

«الإنسان كالبقلة، إذا مات

لا يرجع».

- ٣ -

كيف لي أن أطمئنَ هذا المشردَ

في دمي المتشردِ -

هذا الغروبَ الشروقَ

الشروقَ الغروبَ؟

وأنا في رحيلي نحو المكان ونخوي

لم تفدني دروبي إلا

لمخو الدروب؟

وُدّة الشروي

والبة بن الحباب زوجة يعقوب

حماد الزاوية حماد عجرد

حماد الزبرقاني

حفص بن أبي وردة الحريري

يعقوب بن الفضل الهاشمي^(١)

يحيى بن زياد الحارثي

يزيد بن الفيض

يونس بن أبي قزوة

محمد بن أيوب المكي

محمد بن طيفق محمد بن التجم

محمد بن زياد محمد بن بادان

مطيع بن إياس^(٢)

* فُسْحَةٌ -

يَتَصَفَّحُ فِيهَا كِتَابَ التَّجْوِمِ، يَمْدُ

الصَّبَاحِ،

يَمْدُ الْمَسَاءِ، يَمْدُ السَّهْرِ

بَيْنَ أَهْدَابِهِ وَالصُّوَرِ.

(١) قتله الهادي سرّاً وأعلن أنه مات ميتة طبيعية،

و «زوجة يعقوب»، و «ابنة يعقوب» هما زوجته وابنته.

(٢) «ابنة مطيع» هي ابنته.

نَدَى يُبَلِّلُ أَطْرَافِي، مَدَى عَبَقِ

بِنَكْهَةِ - أَتْرَاهَا نَكْهَةَ الْعَسَقِ؟

أَحَارُ: هل هي هَمْسُ الْعَيْبِ مُرْتَسِمًا

بِغَيْرِ حَبْرٍ، وَمَقْرُوءًا بِلَا وَرَقٍ؟

أَمْ نَكْهَةَ الصَّوِّ يَجْلُو جِهَةً الْأَفْقِ؟

حُذِّ الْغَوَايَةَ مِنْ عَيْنِي، يَا حَلْمِي

وَحُذِّ طَرِيقَكَ، وَاتْرَكْنِي إِلَى طَرِيقِي.

منقذ بن زياد الهلالي

محمد بن أبي عبيد الله

التعمان عبادة

عبد الله بن معاوية بن يسار

العباسي ابن داؤد بن علي (١)

عبد الكرم بن أبي العوجاء (٢)

عمارة بن حرببة

علي بن الخليل

صالح بن عبد القدوس

قاسم بن رنقطة.

* يدعو الأرض لتلعب نَزْدَ الدَّهْرِ

في ملكوتِ الشَّعْرِ.

(١) مات في السجن.

(٢) يقال إنه عارض القرآن الكريم.

- س -

شَرَرُ الآنَ يَلْمَعُ فِي غِيْمَةِ الْأَمْسِ،

وَالْأَمْسُ يَغْمَسُ أَطْرَافَهُ

فِي بَحِيرَةِ فَجْرِ -

هَكَذَا تَتَجَمَّعُ فِي نَفْسِي الْأَزْمَنَةُ.

أَلْسَمَاءُ تَلْمُ تَقَاسِيْمَهَا

مِنْ أَقَالِيمِ شِعْرِي: أَقَالِيمُهُ

مَوْعِدٌ لِفِرَادِيْسِهَا -

هَكَذَا تَتَمَرَّقُ فِي نَفْسِي الْأَمْكَنَةُ.

- ج -

أوصى المهدي ابنه الهادي،
قائلاً:

«يا بُنَيَّ، إن صار لك هذا

الأمر، فتجرّد لهذه العصابة

(...) فارفع فيها الخشب،

وجرّد فيها السيف، وتقرّب

بأمرها إلى الله الذي لا شريك
له.فإنني رأيت جدك العباس في
المنام قلّدي

سيفين، وأمرني بقتل

أصحاب الإثنتين».

* ما أَبْرَكِ، يا كَتِيفَ الشاعِرِ،
تَحْمِلِينَ الصَّخُورَ وَتَارِيخَهُنَّ،
وَفَاءَ لِمَعْرَاجِهِ الحائِرِ.

- ع -

يُنْحِنِي جَسَدِي فَوْقَ أَعْضَائِهِ
وَيُجَاهِرُ: مَا أَبْعَدَ الْعُضْوَ عَنِّي،

وعن نفسه -

هل يقول لكم حيرتي؟

هل يقول يقيني؟

كيف أعرف؟

لكن

عَرَضِي، هَاهُنَا، نَيْرٌ:

أَنْ أقيسَ المسافات بيني وبين

عندما أتوغلُ في غربة الضوءِ

عن أمسه،

وعن شمسهِ .

* قَمِ لِنَايِكَ، وَاسْتَأْنِفِ الْأُغْنِيَةَ:

شَاعِرٌ يَتَشَرَّدُ - أَجْمَلُ غَابَاتِهِ

فِي الطَّرِيقِ إِلَى نَفْسِهِ،

غَابَةُ الْمَعْصِيَةِ .

- ٩ -

تقاسيم على الوصية

- أ -

زَندِيقٌ

مَنْ يَجْهَرُ بِالتَّوْبِيلِ خِلافًا

لِلتَّنْزِيلِ

ويعلم: كل حرامٍ للتحليل .

- ب -

زُنْدُكْرٌ، -

يُولَدُ الْكُوْنُ مِنْ نَظْفَةِ الْمَاءِ

تَنْزَلُ فِي رَحْمٍ مِنْ مَلَكٍ .

- ج -

أَهَيَّ المَانَوِيَّة؟

أَشْعَوِيَّة؟

أَلْعَنَاصِرُ تَسْخَرُ مِنْ ظُلْمَةِ
العُقُولِ،

وتحزن للأبجديَّة.

- د -

أُبْغِضُ. لكن،

إِنْ أُبْغِضَ شَيْئاً

لَا أُبْغِضُ أَهْلَهُ^(١)

أُحِبُّ العَقْلَ،

ونكره أصله؟

- ف -

قَمَرٌ يَنْزَهُ، يَحْمِلُ أَوْرَاقَهُ

فِي حَقَائِبِ سِرِّيَّةٍ.

أَلْتَجُومُ صَدِيقَاتَهُ

وَالغَيُومُ ثِيَابٌ لَهُ.

قَمَرٌ عَاشِقٌ يُغْنِي:

حَلْبُ آيَةٍ

فِي كِتَابِ الخِفَاءِ.

مَا يَكُونُ، غَدَاً كَشْفَهَا؟

مَا يَكُونُ الجَلَاءِ؟

* تَكْحَلُ الشَّمْسُ أَجْفَانَهَا بِالسَّوَادِ

كَي تُحَسَّ بِمَا حَوْلَهَا، وَتُحَسِّنَ

إِصْغَاءَهَا

لَأَنْبِيَاءِ الرَّمَاذِ.

(١) إشارة نقدية لكلام
للجاحظ قال فيه: «فإنما عامة
من ارتاب بالإسلام، إنما
جاءه هذا عن طريق الشعوية.
فإذا أبغض شيئاً، أبغض
أهله».

(البيان والتبيين: ٣، ١٤).

- ص -

أترى وحدها تتلاقى المنارات؟ مالي

أتوجس؟ قلبي

يَتَفَلَّتْ مَنِي، ويمضي وحيداً

عالياً عالياً،

ودائي

أُنَّي أَوْقِظُ الْأَرْضَ من نومها وأغالي،

أنني عاشقٌ

زَمَنَ الكوفةِ، الفراتِ وأحزانهُ،

والأغالي.

- ه -

هُودًا يَهْذِي:

«ليس لأني منكم أن يُثبِتَ
رَبًّا.

لا إثباتُ

إلا بالحرزِ، ولكن

كيف يكون المحسوسُ

المُثبِتُ ربًّا؟

وأسائلكم.

من أين لنا

أن نُثبِتَ ما لا نُدرته؟»

* يمضي، يجيء، يرى، يشناق،

يُنْكَسِرُ -

أحزانهُ قَبْرُ أحلام، وحييرتهُ

غَيْمٌ على قبرها، والشَّاهِدُ المَطْرُ.

- ق -

أَيَّامٌ لَيْسَتْ أَيَّاماً -

وَأَرَاهَا مِثْلَ ضِفَائِرِ مُسْتَرَسَلَةٍ

لِمَلَاثِكٍ لَا أَحْبَابَ لَهُمْ،

لَا يُنْمَوْنَ لِأَيِّ مَدِينَةٍ.

أَيَّامٌ -

كَلَّ امْرَأَةٌ

تَنْسَجُ مِنْهَا زُنَّاراً.

كَلَّ شَرِيدٌ

يَتَلَمَّسُ فِيهَا

حَبْلَ سَفِينَةٍ.

* العزيرُ المشرَّدُ يشكو لأوراقه:

«كاد أن يرجع الضوء مثلي، حزيناً،

لمجراته الأميئة.

ما أمرَّ المسافات بيني وبين المدينة،

ما أبعد المدينة».

- و -

- أَلَسَلَّخَفَاءُ أَفْصُرُ دَرْبٍ

لِلدَّخُولِ إِلَى مَلَكُوتِ الزَّمَانِ.

- إَتَى اللَّهُ، هَذَا

رَأَى مِنْ قَالٍ بِالذَّهْرِ،

وَالزَّنْدَقَاتُ لَهُ تُرْجَمَانٌ.

- ز -

غَابَ يَزْدَانُ بِنَحْبِ^(١)

فِي حَدِيقَةِ أَوْهَامِهِ،

لَمْ يَعُدْ بَعْدُ مِنْهَا.

- وَلِمَاذَا يَعُودُ

وَهُوَ مَبْلُءُ الْوُجُودِ؟

(١) أحد رؤساء المانوية في العصر العباسي.

حَلَبٌ - وَقَتْنَا إِلْفَنَا

موكبٌ آخرٌ في ركائبِ أشواقنا

تتوردُ، تقفو، تجسّ، تُخالطُ أنفاسنا

وأفراسنا،

تتزيًا لنا

بهوىً يُبتكزُ

وتؤالفُ وسواسنا

وتخطُ وتمحو الصُورَ.

حَلَبٌ - وَقَتْنَا إِلْفَنَا

فرسٌ لِرؤانا

تتقدّمُ أفراسنا.

- ح -

لزيادقِ

سموا أنفسهم

«إخوانُ الصدق»،

توهجُ سِرًا

أفاقُ الشُرُقِ.

- ط -

معجزاتُ، مخاريقُ سِخْرِ
والشياطينِ تسكنُ فيها.

- ي -

صيدوا «أصحاب الأهواء»^(١)،

سجنًا، قتلاً، حرقًا

صيدهم

في كلِّ الأنحاء.

* هذا لِسَانُ غوايَةٍ - ما أبلَعَه :

سِرْبٌ مِنَ الطَّيْرِ الغريبِ، يحومُ

في قَلْبِ عَلِيٍّ جَسَدِ اللُّغَةِ.

(١) من وصية الخليفة المهدي.

و«أصحاب الأهواء» هم الفرق التي كانت تُعَدُّ في نظر الخلافة ونظايمها، منحرفة عن الدين.

- ك -

لم يقولوا اسمها^(١)،
وروا أنها أعلنت مرّة
وهي في حضرة الرّشيد
أنها مانوتية .
دُهِشَ النَّاسُ مِنْ أَمْرِهَا
كيف، أتى لأنثى
لا ترضى، لا تُريد
غير ما يتأخى
ظلاماً ونوراً
في الحياة،
وفي جسد الأبدية .

- ش -

لم يكن مرّةً غريباً بلا أُلْفَةٍ
لم يكن مرّةً أليفاً بلا غُرْبَةٍ .

دائماً كان مثلي

غريباً أليفاً معاً

دائماً كان مثلي مكاناً

لِتأويله،

لا لأقواله .

هُودًا ذَلِكَ الرَّفِيقُ الصَّدِيقُ الَّذِي فِيَّ،

يُخْرِجُ مِنْ لَيْلِهِ،

حَامِلًا وَرَدَّةً

كَانَ قَلْبِي تَغْنَى بِهَا .

* زهرةٌ تخرج الآن من رحمٍ في الهواء
لُتُحْيِيَّ مَعْرَاجَهُ
وتقول لهذا الأثير الكلام الذي لم
تقله السماء .

(١) الإشارة إلى ابنة مطيع بن
إياس .

- ت -

أَتْخَيْلُ شِعْرِي غَرِيباً يَرُودُ الْأَرْقَةَ

فِي حَلَبٍ، تَتَمَرَأُ

فِي خَطَاهُ شَبَابِيكُهَا،

وَلَهُ ظِلُّهُ قِلَاعٌ، وَلَهُ الْفَجْرُ بَيْتٌ،

لَا يُقِيمُ، وَلَا فُسْحَةٌ تَحْتَوِيهِ.

أَتْخَيْلُ شِعْرِي يَتَنَقَّلُ فِي هَمِّهِ

(هَمُّهُ أَنْ يَدَبِّرَ طُوفَانَهُ)

عَشِيقُ الْأَرْضِ، حَبْرُ الْفُصُولِ، الرَّجِيلُ

وَلَهُ فِيهِ حَظُّ الرِّيحِ،

وَأَنْشُودَةُ الْمَسْتَحِيلِ.

- ل -

هذا كتاب المانوية:

وَرَقٌّ صَقِيلٌ^(١)

وَالجَبْرُ أَصْفَى مَا يَكُونُ، غِلَافُهُ

نَقْشٌ وَزَرْكَشَةٌ - لِهَذَا

رَدُّوا ذُبُوحَ الْمَانُويَةِ،

وَهِيَ الضَّلَالَةُ عِنْدَهَا

لَا حِكْمَةَ فِيهَا،

وَلَا مَثَلٌ، وَكَلَّ كَلَامُهَا

يُشْتَقُّ مِنْ سُوءِ الطَّوْنَةِ.

(١) وصف الجاحظ كتب

المانوية، قائلاً:

«لا تفيد علماً ولا حكمة

وليست مثلاً سائراً، ولا خيراً

ظريفاً، ولا صنعة أدب،

ولا حكمة غريبة، ولا فلسفة

ولا مسألة كلامية»

(. . .) «أجود ما تكون

الكتب ورقاً يكتب عليه بالحبر

الأسود البزاق، ويستجاد له

الخط».

(الحيوان، الجزء الأول).

* كلما قال: هذي طريقي

إلى ناري الآتية،

أجفل الضوء فيه،

وتراءت له طرق ثانية.

- ث -

عَنِّي لَهَا

لهوائِها ولمايها ولأرضها،

عَنِّي لِكُلِّ حُرُوفِها:

صَوْتِي ذِرَاعٌ

وهوأي خاصِرَةُ الكَلَامِ .

لِمَ لا تَكُونُ الأَبجَدِيَّةُ حُبَّةً

وسريرُهُ،

ويكون حارسَهُ الهَيَامُ؟

- ٢ -

المَهْدِيُّ «القَضَابُ»^(١)

أميرُ القتلَةِ:

هذا ما قالوه عنه .

وقالوا:

كان الإنسانُ أخسَّ

وأدنى

بين يديه، مِن بَضَلَةٍ .

- ن -

مُرْسَلٌ أَنْتِ أَيْضاً؟

أفَلَنْ تَفهَمَ السَّمَاءَ

أَنْ وَجَّهَ النُّخِيلَ وَوَجَّهَ التَّجِيلَ،

على أرضنا،

سِوَاهُ؟

* قال لِلشَّمْسِ: خذيني

طَيِّبٌ أَنْ نَدْخَلَ الآنَ إِلَى واحَةٍ

نَخْلٍ،

وأرى جِسمَكَ ظِلًّا،

وأرى جِسمِي مرسومًا على

أغصانِها .

- س -

- «هل تجوزُ له الإشتابَةُ؟

- لا تصحُ

كما يأمرُ الشرعُ، إلّا... .

- هُوَذَا طَائِرُ

خُذْهُ واذْبَحْهُ. هذي

صُورَةٌ لِنَبِيِّكَ: أُبْصِقْ عَلَيْهَا وَعَلَى

المانويّة - أعمالِها،

وأقوالِها،

والكتابَةُ»^(١).

- ع -

طلبَ الشاعرُ^(٢) العَفْوُ،

لكنهم قتلوهُ.

- خ -

أخَذَ اللَّيْلُ مِنْ حَلْبِ سَاعِدِيهَا

أخَذَ الْفَجْرُ شُبَاكَهَا، -

سَقَرُ

تتحوّلُ فيه الجراحُ إلى أُغْنِيَاتٍ.

سَقَرٌ... .

سنقولُ الصّحاريّ سَقَتْنَا رحيقَ أساطيرِها

ونمّتنا فضاءاتها،

وستنّجو،

باسمِ أحلامِنا،

أن تنامَ التوافدُ عُريَانَةً،

وتسوسَ السّماءَ فراشاتها.

* إنها السّمسُ تَوَاحِيهِ، وَتَسْتَرْسِلُ

في مَزَجِ هواها بهواهُ، -

ما الذي يَرْتَسِمُ الآنَ على أهدابهِ،

ما الذي تحتضنُ الآنَ يداهُ؟

(١) يُروى أن القاضي كان يطلب من المتهم بالزّندقة في اشتتابته، أن يبصقَ على صورة ماني، وأن يذبّخ طائراً، وكانت المانويّة تحرم ذبح الحيوان.

(٢) هو صالح بن عبد القدوس الذي حوكم بتهمة أن شعره يظهر الحكمة والفضيلة، ويُظنّ الشنويّة والزّندقة. وقد طلب العفو، لكنّه قُتل.

- ذ -

حَلَبٌ - أَتَخَيَّلُ أَيَّامَهَا

تَتَفَتَّحُ مِثْلَ الزَّهْرِ

فِي فِضَاءِ البَشْرِ

هُوَ ذَا عَهْدُنَا، -

سَنَكُونُ لَهَا نَبْضَهَا

سَنَكُونُ لَهَا صَوْتَهَا.

بِاسْمِ هَذَا اللَّهَبِ

سَأَسْمِي السَّرَابَ تَرَاباً

وَالْبِلَادَ وَأَفَاقَهَا حَلَبٌ.

- ف -

- قل لي،

مَاذَا تَحْفَظُ مِنْ آيَاتِ

الْقُرْآنِ؟

....

- لاشيء؟ معاوي، قم

واقْتُلْهُ.

- ولدي! لا أقدر،

- قُمْ يَا عَبْدُ اقْتُلْهُ،

اقْتُلْ هَذَا الشَّيْطَانَ^(١).

- ص -

لا ماوى

لِلشُّكَاكِ، وَلِلخُلَعَاءِ،

وَأَهْلِ الكُفْرِ،

إِلَّا القَبْرِ.

* لا يَقُولُ لِهَذَا الدَّمِ المِتمَلَمِلِ فِي

جِسْمِهِ

المِضْطَرَبِ

غَيْرَ مَا قَالَهُ مِرَاراً: إِعْتَرَبْتُ، إِعْتَرَبْتُ.

(١) حوار بين الخليفة المهدي وعبد الله بن معاوية بن يسار بحضور أبيه معاوية وكان من وزراء المهدي، حيث تم قتل الابن بيد أحد الجيود.

- ض -

ما أقولُ لهذي الدَّرُوبِ، لِتلك
الدَّرُوبِ التي سَبَقَتْها، وما ذا أقولُ
لِذاك الِورَقِّ؟
لِلهُيامِ الذي مَرَّ في حَبْرِهِ واحترَقَ؟

ما أقولُ لشعريِّ فيها،

وهو المُلْتَقَى، وهو المُفْتَرَقُ؟

(١) هو آدم حفيد الخليفة
عمر بن عبد العزيز. ضربه
المهدي ثلاثمئة سوط بنهمة
الزندقة. كان يقول «والله
ما أشركتُ بالله طرفة عين.
ومتى رأيت قرشياً تزندق؟
ولكنه طرب غلبني، وشعر
طفخ على قلبي، وأنا فتى من
فتيان قریش أشرب التبيذ،
وأقول على سبيل المجون».

(٢) إبراهيم بن سبابة، كما
وصفه الأصفهاني.

- ق -

لم يكن آدم^(١) يتزندق،
ما قاله

جاء أيضاً على القلب،
من طربٍ وأتشاء.

كان هذا مجوناً،

ويؤكد أصحابه:

لم يكن آدم مُشركاً.

- ر -

كان خليعاً^(٢)

يَهوى الغلمان

ويعيش رقيقاً للمجان.

* لبسَ التورَ ليحيا في الليل بعيداً،
ولكي يبقى
لامرئياً.

- ظ -

يهبطُ اللَّيْلُ - أحلامنا

سُرُرٌ وثيابٌ لَهُ.

يُشْرِقُ الفَجْرُ - أعمالنا

وأقوالنا

سُفُنٌ وبِحَارٌ لَهُ.

يربط الوقت أهدابه بميثاقنا.

هَيَّءَ الحِجْرَ، أَنْصَبْتُ لِمَا سَتَقُولُ

وما نَفَعُ،

أَيُّهَا الزَّمَنُ المَقْبَلُ.

- ش -

سوف أصلبهم كلهم^(١) -

نصبوا أَلْفَ جُدْعٍ

كي يَدُلُّوا

فوقها - واحداً واحداً.

- ت -

استثنى هارون^(٢) زنادقة

من عَفْوِ أصدْرِهِ.

- ث -

لا أَبديّ

إِلَّا فِي مَوْجِ الزَّائِلِ

هاتِ المعنى، ياسيدَ عمري،

واسكُتْ في هذا السائلِ.

* هوذا يحملُ روحينِ لكي يدخلَ في

دِفءِ حَلْبٍ:

روحَ لَيْلٍ أَشْعَلَ الكوفَةَ قنديلاً،

وروحاً لِلغُضْبِ.

(١) نصب الهادي ألف جُدْعٍ

لصلب الزنادقة قاتلاً:

لئن عشت لأقتلن هذه الفرقة

كلها، حتى لا أترك منها عيناً

تطرف.

(٢) استثنى الخليفة الرشيد

الزنادقة من عَفْوِ عامِ أصدْرِهِ

سنة ١٧٠ هـ = ٧٨٦ م.

- غ -

هذي، إذن حَلَبُ:

شهباء تضربُ فيها الشمسُ خيمتها

يحققها التينُ والزيتونُ والعنبُ.

يا للبياض - صعدا في مدارجه

نعلو، نُقَابِسُهُ

وَسْتَشِيفُ، وَنَسْتَصْفِي، وَنُحْتَلَبُ

تُضِيئنا نازُ جِبْرِ لا نَفَادَ لَهُ

وَسْتَضِيءُ به الأَقْلَامُ والكتبُ

في سَيْرِنَا من مراسي جمره لَهَبُ

وفي مسالِكنا مِن ضوئه شُهْبُ.

(١) واصل بن عطاء.

(٢) هشام بن الحكم «الرد

على الزنادقة»، «الرد على

أصحاب الاثنين».

(٣) أبو علي محمد بن

عبد الوهاب الجبائي: «الرد

على أصحاب التناسخ

والخرمية».

(٤) أبو محمد الحسن بن

موسى النوبختي: «الرد على

أصحاب التناسخ».

(٥) أحمد بن حنبل: «كتاب

الرد على الزنادقة والجهمية».

(٦) أبو الربيع محمد بن

الليث الخطيب: «كتاب الرد

على الزنادقة».

(٧) أبو بكر محمد بن زكريا

الرازي: «الرد على المانوية».

(٨) المسعودي: «الإبانة في

أصول الديانة».

(٩) أبو عثمان الرقي: «الرد

على الملحدين وأصحاب

الاثنتين».

- خ -

أَلَفَ ابْنُ عَطَاءٍ^(١)«أَلَفَ مَسْأَلَةً» كي يرد على
الزنادقة،هكذا فَعَلَ ابْنُ الْحَكَمِ^(٢)ومحمد^(٣) والحسن الموسوي^(٤)وأحمد^(٥) والليث^(٦)، ثم

أضافوا:

الرازي^(٧)والمسعودي^(٨)وأبو عثمان الرقي^(٩).

* شِعْرٌ طِفْلٌ

يَتَشَرَّدُ فِي فَلَوَاتِ الْمَعْنَى

العالمُ فيه فَرْدٌ

والشاعرُ - حيناً جَمْعٌ، حيناً ثالوثٌ،

حيناً مثنى.

هوامش



أنا الغريقُ،
فما خَوْفي من البَلَلِ؟

المتنبي

رابعة العدوية

توفيت نحو سنة ١٣٥ هـ.

بيعت كمولاة لأحد التجار.
احترفت العزف والغناء، ثم
تصوّفت. قالت بفكرة «الحب
الإلهي» وأولت الوصف
الحسي الشهواني في القرآن،
رمزياً، وروحياً.

قُلْتُ أَضْتَاكَ جَمْرُ التُّحُولِ، وَلَكِنْ
أَهْنَاكَ لِلْحَبِّ ثَوْبٌ
غَيْرُ مَا يَنْسُجُ التُّحُولُ.

السَّلَامُ عَلَى بَرِي أَقْلَامِهِ،
وَالسَّلَامُ لِآثَارِهِ - لِدَوْرٍ
تَنَالَفُ فِي ظَلِّهِ
وَتَقَوْمُ وَتَقَعْدُ فِي دَارِهِ.

عِطْرُكَ الْآنَ يَزُوي أَسَاطِيرَ عُشَاقِنَا
وَرَدَّةٌ وَرَدَّةٌ،
فِي كِتَابِ الْحَقُولِ.

أبو دلامة

كوفي، اسمه زيد بن
الجون
كان كما يروون «عبدأ حبشياً
فصيحاً، خليعاً ماجناً». توفي
سنة ١٦١ هـ.

ذلك السيد الماكرُ الماجنُ:

شعرهُ وجههُ -

فيهما يصبح السوادُ بياضاً

والبياض سواداً،

وتلونُ للخمرِ قمصانها.

لم يُطلق كأسهُ السالفونُ، وأعرضَ عن لمسها

ماؤهم، -

ماؤهم آجنُ آسينُ.

سفيان الثوري

توفي سنة ١٦١ هـ.

والنص قائم على حوار بينه
وبين الخليفة المهدي.

(١) أحد الأشخاص من بطانة
الخليفة.

- قل لماذا تفر هنا وهناك مِنَّا؟

أَتظنُّ بأنَّا

لو أردناكَ نَعجزُ؟ قُلْ لِي ماذا

نحکم الآنَ فيكَ؟

- إلهٌ قادرٌ عادِلٌ

حاكِمٌ فيكَ: يَثبُتُ حَقُّ

وَيُزْهَقُ، في حكمه، الباطِلُ.

- ماله الجاهِلُ؟

أبهذا يُقابِلُ من كان مثلك؟ إيدُنْ لأضربَ^(١)...

- ويَلِكُ، أُسْكُتُ

لا يريدُ سوى ذلك: يمضي سعيداً

ونسقى نحن في قَتْلِهِ.

اكتبوا عهده قاضياً لا يُردُّ له أيُّ حُكْمٍ.

كتبوا عهده في كتابٍ، ولكن سفيانَ فَرَّ، وألقى

بالكتابِ إلى دجلةِ.

إبراهيم بن أدهم

توفي سنة ١٦١ هـ. وهو
زاهد ومتصوف مشهور.

لا أريد قميصاً،
ولن أتعَمَّ في الصيف. أمشي
حافياً مثل غيري من الفقراء، وأحيا
عاملاً في الحصاد، وفي الحمل والطحن، سُخْقاً
للسلاطين والأغنياء.

لا أريد سوى فَرَوَةَ في الشتاء،
وأصومُ كأنِّي لا مُلْك، لاشيء في الأرض عندي،
سوى شمسها والهواء.

مطيع بن إياس

توفي سنة ١٦٩ هـ. أنهم
بالزندانة.

هَدَلِكِ الْوَلَةَ الْمُتَفَجِّرُ فِينَا لَكِي يَغْبِرُ

الْحُبُّ طَلْقًا

إِلَى هُوَّةِ الْفَجِيعةِ،

أَوْ مُخَدَعِ الْحَبِيبةِ، -

فَأَغْفِرِي مَا تَقَدَّمَ أَوْ مَا تَأَخَّرَ مِنْ ذُنُوبِنَا

(إِنْ حَسِبْتَ خَطَانَا ذُنُوبًا)،

يَا جَسُورَ التَّعَقُّلِ، يَا هَذِهِ الْجَسُورَ الْغَرِيبَةَ.

السيد الحميري

توفي السيد الحميري
سنة ١٧٣ هـ.

لم يَنْلُ شعره

في الرّواية ما يَسْتَحِقُّ، وفُسِّرَ هذا:

«كان يَهْوَى بني هاشم». وأضافوا:

«كَانَ يُفْرِطُ فِي النَّيْلِ مِنْ بَعْضِهِمْ،

ومن بَعْضِهِنَّ - نساءِ النَّبِيِّ،

وَصَحْبِ النَّبِيِّ».

وتقول الرّواية عن ناقدٍ كان من صفوة العارفين

أَنَّهُ قَالَ: «بَشَارُ وَالْحَمِيرِيُّ

أَشْعَرُ الْمُحَدِّثِينَ»^(١).

(١) الناقد هو أبو عبيدة
معمر بن العثي.

الخيزران

ماتت في سنة ١٧٣ هـ.
أخذت العلم عن الإمام
الأوزاعي.
قُتل ابنها الهادي بأمرٍ منها:
جلست جواربه على وجهه
وخنفته.

شهوة الخيزران
تسهر الأرض فيها، جحيميّة الوقت،
فَرَّاسَةَ المكان
وَتُوَسُّسُ فيها التَّسَاء
لِلهَبَاء الذي لا يَغْتِي لغير الهَبَاء.

أبو إسحاق الزُّهري

- ١ -

ضربَ العودَ عَنِّي عليه، وأبأخ السَّماعَ
كان من علماء الحديث.. تولَّى القضاء ببغدادَ،
كان البخاري يروي له، وروى مسلمٌ له.
هكذا، سوف نمضي إليه، ونسأل:

ماذا سنُعصِي

وكيف نُطيعُ الذي لا يُطاعُ؟

- ٢ -

أعطيَ الموسيقى

أجمل ما يعطيه

رجلٌ لحبيبتِهِ.

نأخِ العودَ أطعُهُ، واجمخِ مَعَهُ، وأبِخِ

شهوَاتِ العَزْفِ، اصَّاعِذَ فيها، واهبطِ

أَتَى شئتَ، وكيف تشاءُ

واغبطِ من عَنِّي

من قال الموسيقى

لغةً أخرى للأشياءِ، وَأَرُضْ أُخرى للأشياءِ.

موسيقار ومن العلماء

الثقات بالحديث. روى له

البخاري ومسلم. ولَّى القضاء

ببغداد. كان يبيع السَّماعَ،

ويضرب العود، ويغني عليه.

توفي سنة ١٨٤ هـ.

سَلَمُ الخاسر

مات سنة ١٨٦ هـ ماجن
فاسق من تلامذة بشار وسني
الخاسر لأنه ورث من أبيه
مصحفاً فباعه واشترى بثمانه
طنبوراً.
يقول بشار: من راقب الناس
لم يظفر بحاجته
وفاز بالطيبات الخائبك اللهج.
ويقول سلم الخاسر: من
راقب الناس مات غمناً/وفاز
باللذة الجسور.

هي مفتونة، وأنا شهوة

وكلانا بلا مرفأ:

كيف نُرسي معاً، ونفوض للموج أقالنا؟

هي ذي نَسوة

لذئاب تباريحنا

تَتَلَقُّ أَحشاءنا -

أتراها ستجتث أحزاننا ومراراتنا؟

أتراها ستمحو الدروب التي شقها الموت فينا؟

آه، طُبورُ تيهي صاخِب حائرُ -

هُوَ صِنُو الحياة، ورايح أقداجها

وأنا الخاسر.

جعفر البرمكي

(١) هذه الأبيات صياغة
وتنويح .

فقد قال هارون الرشيد مرّةً،
بعد قتله جعفر البرمكي،
كلاماً بالمعنى نفسه .

قال هارونُ يرثيه (هل كان يضحكُ،

أم كان يبكي؟):

يا أخي^(١)، لا يُطيقُ الفلّكُ

كوكبينِ يجيئانِ في زمنٍ واحدٍ

ويخطآنِ وَجْهَيْهِمَا بغدٍ واحدٍ،

ولذا أَسْتَمِيحُكَ عُذْرًا،

فلا بُدَّ أَنْ أَقْتَلَكَ .

دفاتر الفلك

سيمياثي

لَقِيْطُ النُّجُومِ

اسمه أبجد

(١) «التاريخ يومٌ ينسب إليه ما يأتي بعده».
(المقريزي، الخطط، ص ٤٦٩).

*

«تاريخ كل شيء آخره، وهو في الوقت غايته، يقال: فلانٌ تاريخ قومه، أي إليه ينتهي شرفهم».

(قدامة بن جعفر، الخراج: ذكره المقريزي، الخطط، ص ٤٨٤).

*

«فأنا التاريخ، فأول من فعله في الإسلام عمر بن الخطاب».

(... فقبيل له: لو أُرْخَتْ يا أمير المؤمنين لكنت تعرف الأمور في أوقاتها. فقال: وما التأريخ؟ فأغلب ما كانت المعجم تفعله. فقال: أرخوا».

(الميرز، الكامل: ١٤٣/٢).

*

(٢) بينهم علي بن دينار، الشاعر والخطاط، الزاهي، الشاعر والمتكلم، ابن نباتة، الخطيب».

*

صديقٌ للمتنبي ونجِّي لأهوائه

يعيش على قارعة الهواء في سفر دائم، يقرأ دفاتر الفلك ويؤرخ^(١) للمدن.

في حلب، انضم إلى حلقة الأصدقاء^(٢) الذين كانوا يتدارسون شعر المتنبي في ضيعته، الصَّف، قرب المعرّة، أو في بيته، في سبعين، بباب حلب. كان أبجد يسمر معهم الليل، ويروي لهم سيرة المدن التي عرفها. وكان بين ما يرويه وشعر صديقه مطابقات غريبة يحارون أحياناً في تأويلها. غير أن ما يرويه، وهذا ما يعترف به، كان مليئاً بالرموز والإشارات، وهو إذن، ليس سهلاً على الفهم.

دَوَّنَ علي بن دينار رواية أبجد كما سمعها، مضيفاً إليها تأملات أبجد وانطباعاته الخاصة التي كان يدونها في دفترٍ خاصٍ سمّاه «دفتر الذكري»، نقله علي بن دينار بخطه.

تنشر الرواية والمذكرات، هنا، للمرة الأولى طبقاً لأصلها في المخطوطة التي تركها علي بن دينار. الرواية مكتوبة بصيغة الضمير الغائب، هو. والمذكرات مكتوبة بصيغة المتكلم، أنا.

زاد أدونيس على الرواية أشياء جدت في العصور التالية لعصر المتنبي، وأشياء رآها في العصر الحاضر، خصوصاً في ما يتعلّق بمدينة حلب وقلعتها.

الرواية

I

القلعة^(١)، -

لا يجفّ دم الحرب، قَتَلها كمثل إِبْر في يد الرّيح،
تخيّل للزّمن ثوبه الأكثر التصاقاً بجسده. قد يتغطّى
هذا الدّم، حيناً، بالكلام. قد يختبئ، حيناً، تحت
غبارٍ ما. لكن يكفي أن ترى إلى المكان الذي سال
فيه، أو يكفي أن تتنبّه إلى كلمةٍ أو إشارةٍ أو حدثٍ
حتّى ينبجس.

لا يجفّ دم الحرب

في المدن التي بنيت على صورة القلعة،

في القلعة التي بنيت على صورة المدينة الأولى.

كانت الملائكة قد جرّت السّمس إلى باب القلعة.
ورأى أبعجد في ضوئها، أنّها بدأت خطواتها في أيام
سلوقس نيكادور، قبل المسيح بثلاث مئة واثنين عشرة
سنة. ولما صار فيها تلامذة للمسيح، أخذ يتعاش
تحت رايتها عابِدو السّماء: يهوداً ونصارى،
والسّاجدون لوجه الحجر الذي كان يُسمّى صنماً،
والسّاجدون للنّار.

(١) «حلب، اسم كان في
البدء لقباً للتّل الذي تقوم عليه
القلعة. ويروى أن سورية هي
الشام الأولى، وهي حلب وما
حولها من البلاد. وفي طرف
حلب بناحية الأحص، مدينة
عظيمة دائرة، وبها آثارٌ قديمة
يقال لها سورية، وإليها
ينتسب القلم السّورياني.

وقيل كان إبراهيم
الخليل، حين يمضي شمالاً،
من الأرض المقدّسة، ينتهي
إلى ذلك التّل - يضع أثقاله
ويبيث رعاة قطعانه من الغنم
والماعز والبقر، إلى الفرات
وما حوله، وإلى الجبل
الأسود الذي هو جبل
الامانوس.

ثم هللت لخيول أبي عبيدة وسيوفه .

وقيل كان الفقراء يجيئون
إليه من كل ناحية في
الشمال . كان يأمر الرعاة
بخلب ما معهم طول النهار ،
وإعداد الطعام وروضع هذا كله
في الطرق التي تحيط بالتل .
وكان السفراء السوافدون
يهللون ، قائلين :

خَلَبَ إبراهيم!

وقيل إن إبراهيم لما قطع
الفرات من حران (هرفت
أسماء عديدة: أوديثة ،
أذانا، الزها، أورقة - اليوم) ،
وكانت مدينته الأولى ، وفيها
زُمي بالنار ، أخذ يتصدق على
الكنعانيين من قطعانه . وفي
أرض حلب ، حفز لهم الآبار
والأعين ، ومنها العين التي
سُميت باسمه ، وهي التي
بُنيت عليها مدينة حلب .

وفي رواية أن بظليموس
هو الذي بنى مدينة حلب
وسماها أشمونيت ، ومعناها
عين الماء . ورأى الأعين التي
بحيلان وهي من قرى حلب
العامرة ، فأمر المهندسين أن
ينوا المدينة ، وأن يجزوا هذه
الأعين إليها في قساطل .
وأخر ما بنى فيها باب
أنطاكية .

هكذا شعر أنه يجيء إلى القلعة من لا جهة ،
أعني من تلك الجهات الخاصة حيث تبتكر الأسلحة
التي لاتشيخ ، وحيث تظل النباتات في سهرٍ دائم .
وكان قد نزعَ أفعال المتاهات وغير أسرارها .

- كيف ستواجهه ، إذن ، سبعة آلاف من السنين؟ سألته ،
من بعيدٍ ، حجارةٌ كلسية بيضاء .

تلك هي أزمان ، كما يقول رقيم من إيبلا .

وهي نفسها حلب ، كما يقول رقيم من ماري .

وهي نفسها بيزوا ، مسقط رأسه - عنيث والد الإسكندر
المقدوني ،

أسماء كثيرة لحجرٍ واحد!

قال في نفسه : استأذن أرسطو تلميذه الإسكندر للبقاء
فيها حتى يشفى ، فمن تُراني استأذنُ لكي أدخل إليها؟
كان مضطرباً كمن يشاهد ذاكرته تتقل في غابةٍ كمثل
يمامةٍ خائفة . لم يبح لأحدٍ باضطرابه . وكانت اللّغة
تتغلغل هاربةً منه ، في الأشياء ، التي تتغلغلُ في أحشاء
القلعة .

أخذته نشوة الكتابة: لا يهبط الإنسان في الشيء إلا وهو يهبط في نفسه.

هل سينبش القلعة ويقولها، كأنه ينبش جسده والمدن التي زارها؟ إذن، سوف يستأذن القلم - أول الخلق.

احرسه، أيها الشعر.

وسوس له القلم: اقرأ، اقرأ أولاً أحشاء المدن وأكبادها كما كان يفعل جدك المنجم الأول.

روى السلف الصالح «أن إبراهيم عرج إلى السماء، فنظر إلى الأرض، واختار موضع المدينة الأولى، الحرّم، أو البيت الحرام. هبط، وبنى. جاء بالحجارة من سبعة جبال، وقيل من خمسة: حراء، ثبير، لبنان، الطور، الجبل الأحمر.

الملائكة هي التي نقلت الحجارة.

لما فرغ إبراهيم من بناء البيت الحرام^(١)، المدينة الأولى، جاء جبرائيل وقال له:

- طف به سبعا.

طاف إبراهيم وابنه إسماعيل معه سبعا، واستلما الأركان سبع مرات، ثم صليا خلف المقام ركعتين. ثم أراهما جبريل المناسك: الصفا، المروة، منى،

وفي رواية «أن بلوكوس الموصلي هو أول من بنى هذه المدينة. ويسميه اليونانيون سردينيلبوس، وخلفته على العرش ابنته أطوسا المسماة سميرام. وشاهد بعضهم على ظهر كتاب عتيق في حلب على باب أنطاكية كتابة باليونانية هذه ترجمتها: «بنى هذه المدينة صاحب الموصل، والطالغ العقرب والمشتري فيه، وعطارذ يليه، ولله الحمد كثيرا».

(١) «جاء جبريل إلى النبي (ص) وعليه عصاة حمراء، وقيل خضراء، علاها الغبار:

- ما هذا الغبار، أيها الروح الأمين؟

- زرت البيت. كانت الملائكة مزدحمة على الركن، وهذا غبار أثارته أجنحتها».

*

«قال عمر بن الخطاب لكعب:

- أخبرني عن البيت الحرام.

قال:

- أنزله الله من السماء مع آدم. قال له: هذا بيتي أنزلته

مُزْدِلِفَةَ، عَرَفَةَ .

لَمَّا دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ مِنَى هَابِطاً مِنَ الْعَقَبَةِ تَمَثَّلَ لَهُ إِبْلِيسُ
عِنْدَ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ .

قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ :

- إِرْمِهِ .

رَمَاهُ إِبْرَاهِيمُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ، فغَابَ عَنْهُ .

ثُمَّ بَرَزَ لَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْوَسْطَى، فَقَالَ جِبْرِيلُ :

- إِرْمِهِ .

رَمَاهُ إِبْرَاهِيمُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ فغَابَ عَنْهُ .

ثُمَّ بَرَزَ لَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ السُّفْلَى، فَقَالَ جِبْرِيلُ :

- إِرْمِهِ .

رَمَاهُ إِبْرَاهِيمُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ فغَابَ عَنْهُ .

مَضَى إِبْرَاهِيمُ فِي حَجَّهِ، يِرَافِقُهُ جِبْرِيلُ، وَيَعْلَمُهُ
الْمَنَاسِكَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَرَفَةَ .

- أَعْرِفْتِ مَنَاسِكَكَ؟

- نَعَمْ .

وَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ عَرَفَاتُ .

مَعَكَ، يَطَافُ حَوْلَهُ،
وَيُصَلِّي، كَمَا يُطَافُ حَوْلَ
عَرْشِي وَيُصَلِّي، وَالْمَلَائِكَةُ
هِيَ الَّتِي رَفَعَتْ قَوَاعِدَهُ» .

(١) «قَالَ النَّبِيُّ (ص) لِعَائِشَةَ،
وَهِيَ تَطُوفُ مَعَهُ بِالْكَعْبَةِ،
حِينَ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ: «لَوْلَا
مَا طَبِعَ عَلَيَّ هَذَا الْحَجَرُ، يَا
عَائِشَةُ مِنْ أَرْجَاسِ الْجَاهِلِيَّةِ
وَأَنْجَابِهَا، إِذَا لَا شَيْءُ فِيَّ بِهِ
مِنْ كُلِّ عَاهَةٍ. وَإِذَا، لِأَلْفِي
الْيَوْمَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ أَنْزَلَهُ اللَّهُ.
وَلَكِنَّ اللَّهَ غَيَّرَهُ بِمَعْصِيَةِ
الْعَاصِمِينَ، وَسَتَرَتْهُ عَنْ
الظُّلْمَةِ وَالْإِثْمَةِ، لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي
لَهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى شَيْءٍ كَانَ
بَدْءَهُ مِنَ الْجَنَّةِ» .

«عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ:
خَرَجْنَا مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
إِلَى مَكَّةَ. لَمَّا دَخَلْنَا الطَّوَافَ،
قَامَ عِنْدَ الْحَجَرِ (الرُّكْنَ)
وَقَالَ: «أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ
لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي
رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقْبَلُكَ مَا
قَبَّلْتُكَ» .

ثُمَّ قَبَّلَهُ، وَمَضَى فِي
الطَّوَافِ» .

ثُمَّ أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يُؤَدِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ . قَالَ :

- يَا رَبِّ ، صَوْتِي لَا يَبْلُغُ .

- أَدِّنْ ، وَعَلَيَّ الْبَلَاغُ .

عَلَا إِبْرَاهِيمَ الْمَقَامَ . أَشْرَفَ بِهِ حَتَّى صَارَ أَرْفَعَ الْجِبَالِ وَأَطْوَلَهَا . جُمِعَتْ لَهُ الْأَرْضُ يَوْمئِذٍ : سَهْلُهَا وَجِبَلُهَا ، بَرَّهَا وَبَحْرُهَا ، إِنْسُهَا وَجِنَّهَا ، حَتَّى أَسْمَعَهُمْ جَمِيعاً . أَدْخَلَ إِصْبَعِيهِ فِي أُذُنَيْهِ . أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ يَمِيناً شَمَالاً شَرْقاً غَرْباً . قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ . أَجْبِيوْا رَبَّكُمْ . أَجَابُوهُ مِنْ تَحْتِ التَّخُومِ السَّبْعَةِ ، وَمَنْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ كُلِّهَا : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ .

كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَحُجُّ كُلَّ سَنَةٍ عَلَى الْبُرَاقِ .

وَقِيلَ حَجٌّ هُوَ وَإِسْمَاعِيلُ ، مَاشِيَيْنَ . بَعْدَ ذَلِكَ ، حَجَّجَتِ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأُمَّمُ .

بَيْنَ الرُّكْنِ (١) وَالْمَقَامِ وَزَمَزَمَ قُبُورُ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ نَبِيًّا جَاؤُوا حُجَّاجاً . مَاتَ فِيهَا آدَمُ وَنُوحٌ وَهُودٌ وَصَالِحٌ وَشُعَيْبٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ .

حَجَّجَ مُوسَى عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ .

* «كنا جلوساً في الحجر،

وإذا نحن ببيت حية ذكر.

أشربت له عين الناس . طاف

بالبيت سبعاً . صلى ركعتين .

قلنا له : أيها المفتير ، قضى

الله نساك . بأرضنا عبيد

وسفهاء نخشى عليك منهم .

كؤم برأسه كومة بطحاء ،

وضع ذنبة عليها ، وسما في

السماء .»

(١) قال سعيد بن المسيب :

* «جمع جبرائيل لآدم ، الحجر

والحديد . قدحهما ، فخرجت

النار . وعلمه ضئعة الجرائة :

أنزل إليه نورا كان يحترق

عليه ، قيل هو الشقاء .»

*

(٢) من أسماء مكة : بكة ، أم

رحم ، أم القرى ، صلاح ،

كوثى ، الباسة ، الحاطمة .

* «سميت الكعبة لأنها

مكتبة على خلق الكعب .

وسميت بكة لاجتماع الرجال

والنساء فيها . أو لأن الناس

يبك بعضهم بعضاً في

الطواف . أو لأنها تبك أعناق

الجبابرة .»

*

حجّ ذو القرنين ماشياً.

لَمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ قَوْمَ نُوحٍ، رَفَعَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ^(١) إِلَى السَّمَاءِ. قَبْلَ إِغْرَاقِهِمْ، وَوَقْفًا لِرَوَايَةِ السَّلَفِ، لَمَّا تَابَ الرَّبُّ عَلَى آدَمَ، أَمَرَهُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى مَكَّةَ ^(٢). طَوَى لَهُ الْأَرْضَ، فَجَعَلَهَا خَطْوَةً. كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ حَزِينًا يَبْكِي. وَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَحْزَنُ لِحُزْنِهِ وَتَبْكِي لِبِكَائِهِ. عَزَاهُ الرَّبُّ بِخِيَمَةٍ مِنْ خِيَامِ الْجَنَّةِ وَضَعَهَا لَهُ فِي مَكَّةَ فِي مَوْضِعِ الْحَرَمِ. كَانَتِ الْخِيَمَةُ، كَمَا يُؤَكِّدُ السَّلَفُ الصَّالِحُ، يَاقُوتَةَ حُمْرَاءَ تَحْرُسُهَا الْمَلَائِكَةُ مِنْ سُكَّانِ الْأَرْضِ آنَذَاكَ: الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ. وَمَنْ أَجَلَ الْمَلَائِكَةُ، حُرِّمَ الْحَرَمَ، خُصُوصًا عَلَى حَوَاءَ، لِمَعْصِيَتِهَا. لَكِنْ اسْتَمَرَّ آدَمُ يَلْتَقِي بِهَا. وَكَانَ إِذَا أَرَادَ لِقَاءَهَا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ.»

✽

«في أعلى مكة مسجد يقال له مسجد الجن. يسميه أهل مكة مسجد الحرس. وُسمي مسجد البيعة، إذ يقال إن الجن بايعوا الرسول (ص) في ذلك الموضع. وقربه مسجد الشجرة، يقال إن الرسول (ص) دعا شجرة كانت في موضعه، ليسألها عن شيء، فأقبلت تخط بأصلها وعروقها الأرض حتى وقفت بين يديه. سألها عنًا يريد، ثم أمرها، فرجعت إلى موضعها.»

✽

- أذركت في البيت،
تمثال مريم وعيسى؟

- «نعم، أذركت تمثال مريم مزوّقاً، وفي حجرها عيسى ابنها، قاعداً مزوّقاً. وكانت في البيت ستة أعمدة. وكان تمثال عيسى ومريم في العمود الذي يلي الباب.» (حوار بين ابن جرير وسليمان بن موسى الشامي وعطاء بن أبي رباح).

✽

«مرض آدم قبل أن يموت. لم يطل مرضه أكثر من أحد عشر عاماً. قبيل موته، أوصى بعلمه كله إلى ابنه شيث. أوصاه كذلك أن يخفي هذا العلم عن قابيل وأبنائه لأنه قتل هايل.»

(رواية ابن الأثير)

روى أبو هريرة أن الله قبض يديه، وقال لآدم:

«اختر يا آدم.»

قال آدم:

- أحببتُ يمين ربِّي، وكلتا يديه يمين.

فتح الله قبضته اليمنى، فإذا فيها صورة آدم وذريته كلهم، وإذا كل رجل منهم قد كتب عنده أجله.

وكان مكتوباً لآدم أن يعيش ألف سنة.»

(رواية ابن الأثير)

«عاشت حواء بعد آدم سنة واحدة.»

لَمَّا ماتت، دفنت معه في غار في جبل أبي قبيس يقال له غار الكنز. بقيا معاً حتى جاء الطوفان. أخذهما

*
«كانت الكعبة مبنية برِضَم يابس ليس بمدر. كان بابها بالأرض، ولم يكن لها سقف وكانت الكسوة تُدلى على الجدران من خارج وتُرَبط من أعلى. كان في بطنها إلى يمين من دخلها، جبٌ بوضع فيه ما يُهدى إليها من مالٍ وجلبى. على ذلك الجب حية تحرسه بعثها الله منذ جرحهم، ذلك أنه عدا عليه قومٌ منهم سرقوا ما فيه مرة بعد مرة. حرسته الحية بعد ذلك خمسمئة سنة حتى زمن قريش. وكان قرناً الكبش الذي ذبحه إبراهيم معلقين في بطن الكعبة. ثم إن امرأة ذهبت تجتر الكعبة، طارت من مجمرتها شرارة أحقرت كسوتها. ثم جاء سيل عظيم دخل الكعبة وصدع جدرانها... إلخ.»

*
«كان عمر بن الخطّاب، إذا رأى البيت. قال: اللّهُم أنت السّلام، ومنك السّلام، فحيّاً ربّنا بالسّلام.»

*
كان البيت يدعى قادساً، وناذراً، والقربة القديمة، والعتيق.»

نوح،

وضعهما في تابوت وحملهما في السفينة.

عندما غاضت الماء وانتهى الطوفان، ردهما نوح
إلى الغار وكانت حواء قد غزلت ونسجت وخبزت
وعملت أعمال النساء.»

(رواية ابن الأثير)

❖

❖
«عن ابن عباس: «الركن
يمين الله في الأرض يصانح
بها عباده، كما يصانح أحدكم
أخاه.»

❖

«نزل آدم من الجنة ومعه
الحجر الأسود. لولا أن الله
طمس ضوؤه، لما استطاع
أحد أن ينظر إليه.»

❖

«عن عكرمة: «الحجر
الأسود يمين الله في الأرض،
فمن لم يدرك بيعة
رسول الله، فمسح الحجر،
فقد بايع الله ورسوله.»

❖

«عن ابن عباس: «نزل
الركن وهو أشدّ بياضاً من
الفضة. ليس في الأرض من
الجنة إلا الركن الأسود
والمقام. هما جوهرتان من
جواهر الجنة. لولا ما منّهما
من أهل الشرك، ما منّهما ذو
عاهة إلا شفاها الله.»

❖

«يبعث الله الركن
الأسود، له عينان يبصر بهما،
ولسان ينطق به، يشهد لمن
استلمه بالحق.» (حديث).

❖

«أزيل الحجر الأسود من مكانه مراراً. من جرهم
والعمالقة وخزاعة. وآخر من أزاله القرامطة، في السنة
٣١٩هـ. (وقيل ٣٢٠هـ.)، قلعوه وذهبوا به إلى
البحرين. أعاده الخليفة العباسي المطيع لله إلى
مكانه، ووضع له طوقين من الفضة.»

❖

«بنيت الكعبة إحدى عشر مرة:

بناية الملائكة، بناية آدم، بناية شيث، بناية إبراهيم
وإسماعيل، بناية العمالقة، بناية جرهم، بناية قصي،
بناية قريش، بناية ابن الزبير، بناية الحجاج. وبنيت
للمرة الحادية عشرة في السنة ١٣٠٩/هـ، في عهد
السلطان مراد.»

✽

قال سعيد بن المسيّب:
«أحلف بالله، ما أكل آدم من
الشجرة وهو يعقل. سقته
حواء الخمر حتى سكر، ثم
قادت إليها، فأكل.»

(١) ورد ما يشابه ذلك في
رواية على لسان النبي (ص):

«... خرجت مرّة، فإذا

بجبرائيل على الشمس، جناح
له بالمشرق وجناح له
بالمغرب. فجئت مسرعاً،

فإذا هو بيني وبين الباب،
فكلمني حتى أنست به. ثم

وعدني موعداً، فجئت له،
فأبطأ عليّ، فأردت أن أرجع،

فإذا أنا به وميكائيل قد سدّا
الأفق. فهبط جبرائيل وبقي
ميكائيل بين السماء والأرض.

فأخذني جبرائيل، ثم شقّ عن
قلبي فاستخرجه، ثم استخرج
منه ما شاء الله أن يستخرج.

ثم غسله في طست من ذهب
بماء زمزم. ثم أعاده مكانه.

ثم لأمة. ثم حنّ في ظهري
حتى وجدت مسّ الخاتم في
قلبي. ثم قال: اقرأ...

فجعلت لا يلفقاني حجرٌ
ولا شجرٌ إلا قال: السّلام
عليك.»

✽

قال كعب الأحبار (وقيل سليمان الفارسي): «شكت
الكعبة إلى ربّها ما نُصب حولها من الأصنام، فأوحى
الله إليها إنني منزلٌ نوراً وخالقٌ بشراً يحثون إليك حنين
الحمام إلى بيته. فسئل:

- وهل للكعبة لسان؟

قال:

- نعم، ولها أذنان وشفتان.»

✽

«النظر إلى الكعبة عبادة. الدخول فيها دخولٌ في
حسنة، والخروج منها خروجٌ من سيئة.»

✽

«من نظر إلى الكعبة إيماناً وتصديقاً، خرج من الخطايا
كيوم ولدته أمّه.»

✽

«إنني لأعرف حجراً بمكّة، كان يُسلم عليّ قبل أن
أبعث»^(١). (حديث برواية مسلم)

✽

الذّكرى

I

المدينة ألف

*

في المدينة ألف،
يُضيف الصيادون إلى خيوط شباكهم خيوط أحلامهم:
لهذه ألوان الوقت،
ولتلك ألوان الموت.

*

بعضهم يريد أن يصنع جنة للحرية
لكن بكلمات
لا يقدر هو نفسه أن يتفوه بها.

*

في المدينة ألف،
تكفي تعويذة واحدة - يُكتب الأبد على وجهها الأول،
والأزل على وجهها الثاني،
لكي يتموج البحر في سُم الخياط،
ولكي تنبت للحجر أجنحة.

*

حَجَرٌ في المدينة ألف، وجد نفسه فجأة أنه رأس
أدمي.

هذا الرأس وجد نفسه فجأة أنه مسخَّر لقراءة كتاب في مدح التاج. منذ تلك اللحظة تبارى الرؤوس كلها في هذه القراءة.

✱

كلا، لن أصف المدينة ألف بما كانت عليه، مثلاً، مدينة الاسكندرية. كانت هذه المدينة توصف بأنها من الأمكنة التي يباح فيها كل شيء، والتي يسافر إليها الإنسان لكي يمارس حريته، دون أي قيد أو أي عائق.

كلا، لن أصف المدينة ألف بأنها «العاهرة الكبيرة»، أو بأنها، كمثّل مدينة سدوم، رمز للحرية القصوى التي تتحول إلى عبودية قصوى، والتي لا يمكن أن يظهرها إلا المطر الذي يسيل ناراً... كلا، لن...

✱

المحو هو الهاجس الأول للمدينة ألف، لكنها تنسى دائماً أن المحو، هو أيضاً، كتابة.

✱

تسع المدينة ألف لكل شيء، إلا لذلك العضو الصغير الجميل: القلب.

✱

يقال:

تخرج كلمات من أفاص تملأ البيوت والشوارع في المدينة ألف، - كلمات طويلة كالجبال،

ويقال:

ينطق بهذه الكلمات أشخاص لا يتحدثون إلا مع أشباح
تقاسم المدينة ألف، كأنها أسرة ومقاصير .

بعضها، مثلاً: أيها الشقاء ستكون اسماً لهذا الوقت .

وبعضها: لم تعد تقدر أية نجمة أن تتسلل إلى غرفة
الشاعر . وبعض هذه الأسماء، مثلاً أخيراً: عبثاً، تقرع هذا
الباب الذي يسميه غيرك المستقبل .

*

يُروى أن للنهار والليل في المدينة ألف اشكالاً خاصة
بهما، لا يعرفهما النهار والليل في أية مدينة أخرى .

من ذلك، مثلاً، ان النهار يبدأ في المدينة ألف كأنه قيدٌ
موصول بقيد آخر . صحيح أن له قدمين، لكنهما مأخوذتان
بتسلق جدران غير مرئية . أما يدها فترتقان دون توقف، ثوباً
منسوجاً من تلك الخيوط التي يعرفها أهل الاختصاص، والتي
تصل الرمل بالرمل . من ذلك أيضاً، أن له اذنين لا تسمعان
إلا الكلمات التي تنفخها شفتاه كمثلي الأنايب، حيناً،
والكرات حيناً آخر، ولا تعرف عيناه أن تنظرا إلى أي شيء،
إلا بدءاً من النظر في مرآة الموت (وفي رواية ثانية: مرآة
الموتى) . هكذا تعيش الحرية والحقيقة والحب والنور، وراء
حجاب . وحين تظهر، بين فترة وأخرى، تظهر إما مضرّجة
بالدم، أو مغمورة بالخجل .

ومن ذلك أن المدينة ألف ترفع هذا النهار علماً يخفق

على قصورها، وفي شوارعها.

هذا قليل من أشياء كثيرة تروى عن النهار في المدينة
ألف.

أما الليل فهو لا يوصف، أو لنقل: ليس في الحديث
عنه غير الحرج.

※

للأطفال في المدينة ألف غذاء خاص وغريب تستخرج
مادته من مسحوق الرعب. ولهم أسرة متقلبة تشبه الكهوف.

※

هل تعرف كيف ترتفع جدران الدم؟ كيف تتجاور، أو
كيف تتنافر؟ أنت في المدينة ألف لا تتخيلها، بل تصطمم
بها.

※

حطت خوذة على خريطة المدينة ألف (الخريطة التي
بدت كمثّل صورة بحجم التاريخ) وصاحت بملء معدتها:
أيتها الصورة، أنا المعنى.

المدينة باء

*

تبدو الحياة في المدينة باء
ثوباً منشوراً على حبال من الكلام.

*

مكتبة، في المدينة باء،
لا يرى الداخل إليها غير محابر لا حبر فيها، وغير
أقلام لا تكتب، وغير كراسٍ تجلس عليها دُمى بألوان زاهية
ومتنوعة. مكتبة، صممت على شكل ممحاة.

*

قتل الأب في المدينة باء ظاهرة عامة. لكن معظم
الأبناء يتحرون فيما يحاولون قتل آبائهم. ذلك أن معايير
هؤلاء الأبناء، ومرجعياتهم وينابيع إلهامهم ولغتهم، الآباء
أنفسهم. والمشكلة، حقاً، في هذه المدينة هي انتحار الابن،
لا مقتل الأب.

*

هل سأبدو مجنوناً، إن أكدت لمن يقرأونني الآن، أن
للکلمة في المدينة باء، وجهاً وقامةً وأطرافاً. أن لها باختصار
شكل الإنسان؟

*

«الإنسان حيوان ناطق»، يقول أرسطو.

ويقول بهلول المدينة باء: «صحيح أن الإنسان حيوان ناطق، لكنه لا يتنطق إلا كذباً: إما لتحسين نفسه، وإما لتقبيح غيره».

✽

هل تريد، حقاً، أن توقظ الآخر في المدينة باء، وأن تفصح عن حقيقته؟

إذن أيقظ نفسك، وأفصح عن حقيقتك أولاً.

✽

لا يعرف الشاعر في المدينة باء، إن كان عليه أن يفرح أو أن يحزن:

كلماته تُحرق، كل يوم،

وكلما نضجت جلودها بُدلت غيرها.

✽

المهم في الشعر، بالنسبة إلى المدينة باء، هو رؤية أسنانه، خصوصاً الأنياب. عندما تراها، يسهل عليها - كما تقول - فهمه وتقويمه.

✽

لابد من شكر خاص لسياسة الطبيعة في المدينة باء. فهي تنزل المطر من غيم كمثل غشاء البكارة.

✽

مدينة - صحراء لا ينقطع بريدها
وليس في الرسائل غير الرمل .

*

هَيِّنْ عَلَى اللَّذَّةِ جَسَدَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ ،
أَلْهَذَا تُدَاهِنُ الرَّغْبَةَ الرَّغْبَةَ ،
وَيَغْتَشِ الْعَضْوُ الْعَضْوُ ؟

*

عَجَبًا! كُلِّ جَمِيلٍ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ يَمُوتُ لِحِظَّةِ الْوِلَادَةِ .
وَالْقَتْلُ فِيهَا نَشِيدٌ لَا تَتَّسَعُ لغيره حَنْجَرَةُ الرِّيحِ .

*

كَلَّا . أَنْتِ فِي الْمَدِينَةِ بَاءَ لَا تَقِيمِ بَيْنَ جِدَارٍ وَآخَرَ ، بَلْ
بَيْنَ لِحِظَّةٍ وَآخَرَى .

*

تَحْتَ كُلِّ شَارِعٍ فِي الْمَدِينَةِ بَاءَ ، شَارِعٌ آخَرُ
وَفَوْقَهُمَا يَدُ الْغُبَارِ ، -
مَدِينَةٌ يَسُوسُهَا الْغُبَارُ بِغُلْمَانِهِ .

*

كُلُّ فِي الْمَدِينَةِ بَاءَ يَحَاوِلُ أَنْ يَتَشَبَّهُ بِالْحَجَرِ ، لَكِي يَقْدِرُ
أَنْ يَتَّسَعَ ، كَمَثَلِهِ ، لِحَضُورِ الْمَوْتِ .

*

خلسةً، كلَّ ليلة،
تتسلل إلى المدينة باء أشباح من عالم آخر،
ملتَ الجلوس في بيوتاتها.

*

أقول لك، أيتها المدينة باء:
ليس جسدك إلا بذرة تُرمى في تربة جسد آخر.
وليست الروح إلا مظلة تسهر على الجسد وأحواله.
وأقول لك:

اسمك ممحوقٌ بك، مكتوبٌ بغيرك.
ولا تسلي عن الملح الذي يتكسد في أحشائك التي
تكاد أن تتحوّل إلى مملحة تتسع لأقطار الأرض.
لهذا لا تحب هذه المدينة الشعر إلا بشرط واحد: أن
يحملَ مطرقةً ويدور في الشوارع.

*

من الأرض جاء كل شيء،
لكن بحيلة ما دبّرتها هذه المدينة، أو بعنفٍ ما تنازلت الأرضُ
للسماء عن حقوق ابتكاراتها جميعاً.
هكذا، كلَّ يوم،
تعيد السماء تكوين هذه المدينة، وها هي صورتها،
اليوم:

جَسَدٌ كمثل الإصبع

ينام في حِضْنِ كمثل الخاتم.

❖

للسهول التي تزهر المدينة باء،

لهياكل نباتاتها التي يرفعها في الهواء طقس الزرع
والحصاد، لأنية البخور التي تشكلها أنفاس البشر في لازورد
الأثير، للأبواب والنوافذ التي تفتحها يد الشمس في فضاء
الشجر والسنابل،
لهذه جميعاً،

أقدم طبيعتي أنا الحائر المحير، وأتوسل للرعْد أن يأخذ
بيدي. لعل في هذا ما يؤكد لك، أيتها المدينة، أن صوتي
فيما يتراجع عنك، يتقدم نحوك، وأنه فيما ينفصل عنك،
يتصل بك - لكن في طرف آخر لتاريخ آخر.

المدينة جيم

✽

الموت هو الذي استأثر بوضع قدميه على عنق هذه
المدينة،

والحياة هي التي أذنت له .

هكذا تعرف المدينة جيم حياتها على قيثار الموت .

✽

«رُدّد آخر كلماتك . ضعها إداماً على رغيّف اللحظات
التي بقيت لك» :

تلك هي لازمةٌ لا تتوقف عن تكرارها أصواتٌ غامضة
في فضاء المدينة جيم .

✽

لا تتميز المدينة جيم بالسلاسل التي تختص بالسهر على
الشفاه والأيدي والأقدام، فهذه سلاسل تعرفها معظم المدن .
السلاسل التي تتميز بها المدينة جيم نوعٌ من السائل
الذي يجري في الكلمات، وفي النظرة، وفي التنبُّص - أحياناً .
يتحول الخارج، بجهاته الأربع، إلى مستنقع تختلط به
هذه السلاسل وتتمازج . وغالباً، يتعذر التمييز بينها وبين
الهواء .

✽

لم أكد أنخيل حضوري في المدينة جيم، حتى خرج
مني عضو من أعضائي. خرج نافراً، غاضباً.
أكتب الآن لكي أعذر له، ولكي أعيده إلى مكانه.

*

«ليس في الإمكان أحسن مما كان» تقول المدينة جيم.
لذلك ليس العالم، بالنسبة إليها، موضوع تغيير.
المسألة، كما ترى، هي أن يتألف الإنسان مع العالم،
أن يتركه في سيرورته، وأن يسايره.

*

قرأت يوميات شاعر في هذه المدينة، اخترت منها هذه
الخواطر:

أ - للكلمات في المدينة جيم رؤوس وأيد وأرجل،
وليس لك أن تسألها، بل أن تتبعها.

ب - يجب أن تُعطى للفكر في هذه المدينة وظيفة النار.
ج - لا تأمل في فضاء آخر، ما دمت مسجوناً في فضاء
الكلام.

د - يكتب صديقي الشاعر بطريقة يبدو فيها كأنه هو
نفسه باريء اللغة.
التحية له.

يقول أيضاً مؤكداً أن الكلمات في المدينة جيم تهتيء
ثورتها الخاصة:

تنبثق لا من المعاجم، بل من قاع الجسد وأغواره،
من زواياه، ودوائره ومهاويه،
ثم تدخل في العالم وتدخله فيها - في عرس دائم .
حيث الغياب أجمل صورة للحضور،
حيث المحو نفسه تسمية جديدة للأشياء .
و - تأخرت كثيراً لكي اكتشف أن السماء ليست خارج
جسد الإنسان، بل في داخله .
ز - أقول لليقين أينما رأته :
شفتاك غيم،
وإن كان رأسك حجراً .
ح - كمثل السراب يتحرك الواقع في المدينة جيم .
لذلك لم يعد فيها مكان للحلم .
ط - كيف أغوي الأشياء لكي تذكرني بالكلمات التي
تقدر أن تفصح عنها؟
ي - كلا، لا يجوز أن يكون الشعر مصنوعاً من قبل
الناس أجمعين، ولا مصنوعاً من أجلهم، بل يجب أن يكون
مصنوعاً بهم .
ك - رأسي سجنٌ يغلق أبوابه على سجناء كثيرين، -
كيف أحرر غيري منه، إن لم أحرر أنا نفسي؟

*

الرهان، في كل تجربة كتابية عظيمة، خصوصاً في
المدينة جيم، ليس الكتابة، بل التاريخ.

*

احتفاءً بنفي الشاعر (وقيل بموته)،
عقدت السماء منديلاً أخضر حول خاصرتها، وأخذت
تراقص المدينة جيم.

المدينة دال

*

شكل الشيء في المدينة دال هو الشيء نفسه . والكلمة هي حروفها . أنت ، أيها المقيم فيها ، المأخوذ بالمعنى ، لا مدينة لك غير المجاز .

*

العلماء في المدينة دال يحملون دائماً فؤوساً تحمل علومهم . يرابطون في الأزقة ، في الزوايا ، في الساحات ، وفي الأسرة - أحياناً . الرؤوس التي يسيطرون عليها ، يفصلونها عن رقابها ، ثم يصلونها ثانية . ويصح ، غالباً ، ظنهم : تنقلب هذه الرؤوس إلى فؤوس ، هي أيضاً .

هكذا نرى أن ما يسمى بالفكر في هذه المدينة مقبول لدى سكانها جميعاً ، خصوصاً أن رسالته هي أن يخلق التآلف بينهم وبين ما يسود .

هكذا تعود المواطن في المدينة دال أن يعمل الأعمال الباطلة وأن يكرر الأقوال الفاسدة .

مع ذلك ، لا تخلو الشوارع في المدينة دال ، بين حين وآخر ، من منشورات سرية ، يطيب لي أنا العابر ، أن أجازف فأثبت للقارئ بعضاً منها :

أ - منشور سري : « العمل حرية . من لا يعمل لا كيان له . باطل ، إذن ، كل عمل تعمله لا يزيد في طاقتك ،

وفاسد كل يوم تعيشه لا يزيد في حريتك ومعرفتك» .

ب - منشور آخر: «كل مواطن في المدينة دال ينصب نفسه ربّ عملٍ للوطن، بدلاً من أن يكون عاملاً. كأنّ المدينة عرش، وكل مواطن لا يبشّر بها إلا بوصفه الجالس على هذا العرش، أو بوصفه، وحده، الوليّ عليه. من أين لهذه السياسة العمياء أن تصنع مدينة بصيرة؟» .

ج - منشور ثالث: «رفض الروماني سيللا^(١) (Sylla) أن يحكم شعباً من العبيد - كانت روما في أوج عظمتها. لم يكن يريد الحكم لمجرد الحكم. ولم يكن يريد أن يحكم، هو الحر، إلا أحراراً مثله» .

※

ثمة في المدينة دال لحظات ميتة لها رائحة الحياة. وثمة لحظات حيّة لها رائحة الموت. ولماذا، أيتها المدينة التي اكتست بغبار السنايك عصوراً - لماذا تزدادين غباراً؟
كلا، لن أجلس حكمتك على سريري.
كلا، لن أذاعبَ طفل الحاضر الذي تداعبينه.

※

من أين يجيء هذا الصراخ في المدينة دال؟ (ما أقوله هنا ينطبق على المدينة باء)، كيف يحدث أنك تحسه، تراه تلمسه، ولا تكاد أن تسمعه؟ للجدران هي أيضاً زفيرها، والفضاء نفسه شهيق.

تمحو السماء الأسئلة، ويرسو الزمن قرب العتبات
كمثل أقدام أضناها السفر.

ضعي كاحلك، أيتها المدينة، فوق الحروف. والتبس،
يا جسدها، بالكلام والصوت. يبدو أن السماء نثرت بذارها
فيك، مرة أخيرة وإلى الأبد.

✱

أسدل الجسد ستاره المهذب. أخذت كل نافذة في
المدينة دال ترهف أذنيها. وبدأ الليل يقطع الخيوط التي تربطه
بالكواكب وبساتينها. إن كانت هناك سعادة فهي بين فخذيك،
أيها الإنسان: تقول المدينة دال، وكان ليلها الصوت الأول
الذي بشر بذلك.

✱

المدينة دال (ما أقوله هنا ينطبق أيضاً وبشكل خاص
على المدينة باء)، مثقلة بأزل المعرفة، لكنها مع ذلك الريشة
والدخان. مولودة مع الماء الأول، لكنها مع ذلك المتقلبة أبدأ
في رمل الموت. طالعة ضوءاً أول في سديم العالم، لكنها مع
ذلك التائهة في الظلمات.

لكن، لكن كم سأكون هائناً عندما تقدر كلماتي أن
تصعد السلم الذي تصعد عليه مراراتها،
لكن، لكن سأظل أنتور بها.

وسأظل أناديها في هذا الرماد الغامر: أيها اللهب
العمودي!

✽

طريقك في المدينة دال (وفي كل مدينة) لا تعطى .
وهي ليست طريق الآخر . طريقك هي بحثك عن الطريق .

✽

لا أستطيع أن أسقط إلا في حوض الدقية التي
أعيشها . وكل دقية سماء موصولة بسماء أخرى :
لا أستطيع إلا أن أعلو ، هكذا يقول الوحيد المتشرد
خارج المدينة دال .

✽

ستظلُّ طريقي هشة ومتعددة ،
ذلك أنها لن تمتد إلا بين المضيء والأكثر إضاءة .

✽

ما أكمل نظام المدينة دال ، وما أقوى أمنها :
وأكمل وأقوى ما فيهما ، الأرامل والكلاب ، -
الأرامل لتزيين الشوارع
والكلاب للحراسة .

II

يقولون لي : ما أنت؟ في كل بلدة
وما تبتغي؟ ما أبتغي جلاً أن يُسمى .
المتنبي

- ذ -

إبتدع

تترندق،

أو تمنطق

إذا شئت أن تترندق.

- ض -

إعشق امرأة

مثلما يعشق العطر أكمامه،

خارج القيد،

أيًا يكن، تترندق.

- ظ -

اكتب الماء، ماء الحياة، كما

يتفجر في صدرها،

تترندق.

- أ -

(١) إبراهيم الخليل.

حَلَبَ دَارُ هِجْرَتِي الْآنَ، كَانَ الْخَلِيلُ^(١)، كَمَا
 قِيلَ، يَأْتِي إِلَيْهَا مِنَ الْقُدْسِ، يَمْكُثُ فِي تَلِّهَا.
 تَلِّهَا قَلْعَةٌ - فِيهِ، قَالَ الرَّوَاةُ الثَّقَاتُ: بَنُوا
 لِلْخَلِيلِ مَقَامًا، وَلَهُ فِي الْمَقَامِ، كَمَا قِيلَ،
 جَزُنُّ كَانَ يَحْلِبُ أَعْنَامَهُ فِيهِ - قَالُوا: مِنْ هُنَا
 سُمِّيَتْ حَلَبُ بِأَسْمِهَا، وَأَضَافُوا: حَلَبَ قَلْبُ
 هَذِي الْبِلَادِ الَّتِي سُمِّيَتْ شَامًا، وَهِيَ مِنْ عَيْنِهَا
 النَّبِيَّةُ إِنْسَانُهَا. وَقَالُوا: بُنِيَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ
 وَالطَّلَعِ الْعَقْرُبُ
 وَعُطَارِدُ وَالْمَشْتَرِي فِيهِ...
 - كُلُّ الْكَوَاكِبِ تَرْنُو لَضَوْنِكَ، يَا أَيُّهَا
 الْكَوْكَبُ.

* كَلَّ مَا قَالَهُ،

كَلَّ مَا لَمْ يَقْلُهُ، وَمَا لَنْ يَقُولُ

كَتَبْتَهُ الْأَصُولُ، وَتَفْصَحُ عَمَّا تَيْسَّرُ

مِنْهُ -

الْحَقُولُ الرِّيَاحِ الْفِصُولُ.

- ب -

حَلَبٌ - نهرُها، التلالُ، الأرزقةُ،

أبوابُها

وساحاتُها

صوَرٌ ولغاتُ،

وَدَمِي تُرْجَمَانُ.

إِفْتَحَ البَابَ كِي تَلَمَسَ الضُّوءَ
وَالظَّلَّ مَعْتَنِقِينَ، وِراءَ الشُّقُوقِ
التي تَمُوجُ في ليلِهِ،
تَتَرَنَّدُ.

جَسَدِي مائِلٌ

فوقِ ذاكِ الهُبوبِ الخَفِيِّ

الذي يَنسُجُ الزَّمانَ وَأَسْرارَهُ

بِخِيوطِ المِكانِ.

عَنُ لِلكوكبِ الذي يَتَلالَا في
عَنيهِبِ الشُّعْرِ كِي تَتَفْتَحُ في
نورِهِ،
تَتَرَنَّدُ.

قَلْ: مَلَلْتُ مِنَ العَيبِ يَملي عَلَي
خِرافاتِهِ، وَأَهواءَهُ،
تَتَرَنَّدُ.

* يجلسُ الحِلْمُ في حَلَبِ، كَلَّ ليلِ

مَعَهُ نِخلَةٌ

تَجلسُ القِرْفِصاءُ

كِي تُمَشِّطُ شَعَرَ السَّماءِ.

- غ -

إن تقل: شِعْرُ إبْنِ جُرَيْجٍ وَبَنِي
فَارِسٍ،

أَرْقُ وَأَجْمَلُ مِنْ شِعْرِ إبْنِ كِلَابٍ
وَبَنِي مَرْثَةَ،
تَتَزَنَّدَقُ.

أو تقل: لَسْتُ أَذْبِيحُ طَيْرًا،

أو تقل: هَذِهِ الْأَرْضُ لَيْسَتْ
بَسَاطًا، وَلَكِنَّهَا كُرَّةٌ،
تَتَزَنَّدَقُ.

شُقُّ صَدْرِ الْكَلَامِ،

لِتَعْرِفَ أَسْرَارَهُ،

تَتَزَنَّدَقُ.

- ج -

حَلَبٌ - شَهْرَزَادُ الْأَسِيرَةِ

بَيْنَ مِيثَاقِهَا وَأَشْوَاقِهَا

أَسْلَمْتَنِي إِلَى نَارِهَا الْأَمِيرَةِ

وَالِى نُورِهَا،

كَيْفَ أَرْجُو خَلَاصًا

مِنْ بَهَاءِ مَدَارَاتِهَا؟

وَأَنَا لَمْ أَكُنْ، مَرَّةً،

كوكِبًا تَابِعًا - لَنْ أَكُونَ

جَسَدِي سُفْنٌ جَارِيَاتٌ

وَرُبَّأَنْهَنَ الْجَنُونِ.

* حَبٌّ - لَغَةٌ:

كَلَّ حُرُوفَ الْعَلَّةِ فِيهَا، أَعْضَاءُ

وَسَوَاكِنُهَا

فُرْشٌ وَوَسَائِدٌ، وَالْأَيَّامُ نِقَاطٌ.

أَلرَّبِيعُ الَّذِي كَانَ يَبْنِي لِنَهْرِ قَوْنِيْقِ
مُدْنَا مِنْ رِيَا حِينِهِ
مَاتَ مُسْتَوْحِشَاً:
هَكَذَا، كَانَ يَهْمِسُ لِي بَعْضُهُمْ،
وَيُثْنُونَ: كَلَا،

لَمْ يُلَوِّخْ لَهُ أَيُّ بَابٍ، وَلَمْ تَتَقَدَّمْ
زَهْرَةٌ كَيْ تَقُولَ: وَدَاعَاً.

وَحَدُهُ، تَمَّتَمَ الشَّعْرُ: أَرْفَعُ هَذَا الرَّبِيعَ
إِلَى ذُرَوَاتِي

لِيَكُونَ مَلِيكاً عَلَيْهَا، وَرَفِيقاً لَهَا.

جَدَّ عَنِ السُّنْبِ، سَفَبِ
العروشِ، وَأَبْوَابِهَا وَتَعَالِيمِهَا،
تَتَرَنَّدَقُ.

وَحَذِيَ الشَّمْسَ مِنْ خَارِجِ الحُرُوفِ
الَّتِي تَعْمَقُ فِي حَبْرِهَا،
تَتَرَنَّدَقُ،

وَاعْتَرَبَ، وَاضْطَرَبَ وَانْخِطَفَ،
وَاجْتَهَدَ،
تَتَرَنَّدَقُ.

* زُرْقَةُ الصَّحْرَاءِ تَحْنِي رَأْسَهَا
وَتُحْيِي اللَّيْلَ: بَسْتَانُ نَجُومِ
نَائِمٍ، وَالسُّحْبُ البَيْضُ لِحَافٍ.

كيف أصحّ، وكيف أصحّ نفسي؟

تاهت لفتي

في حنجرتي .

أترأه الشعْرُ يفكك جسمي

ويبعثره

في أجسامٍ أُخرى؟

أترأه شعريّ موتي؟

- ١٠ -

سَرَقَسْطَةُ^(١) ميدانُ حَرْبٍ

بين أبنائها وأبنائها .

الأميرُ يُصَلِّي لِأسيافِها

الماضية

والحسينُ بِنُ يَخِي -

بعضُ أشلائه رمادٌ

بعضها حطَبٌ وشرارٌ .

لا خيارَ:

تكونُ مع العرشِ،

أو في فم الهاوية .

* شُهْبٌ من كلامٍ أحرقت جبرها،

غير أنَّ الورقَ

لم يقلْ كيف عَنَى لها، وهوى

مثلها، واخرقَ؟

(١) بين ١٦٤ - ١٦٥ هـ
شبت في سرقسطة حرّوب
مات فيها الكثير وقيل إنَّ
الشخص الذي قاد هذه
الحروب ضدَّ عبد الرحمن
الداخل واسمه الحسين بن
يحيى قُتِل «بطريقة بالغة
الوحشية» .

(١) يعقوب بن داؤد.
استوزره المهدي، ثم سجنه
وسجن عماله وأصحابه.

فِي يَدَيَّ حَلَبٍ
يَتَقَلَّبُ مِثْلِي جَبْرُ الْهَمومِ،
وَالنَّجومُ وَبعضُ النَّساءِ
رِسومٌ لَهُ،

وَمَرايا .
هكذا تهجس الشمس فيي،
وتهجس تلك النجوم
التي تتناول فيما وراء النجوم.

- ١١ -

- أ -

«وَضَعونِي فِي جوفِ بئرٍ،
طالَ شُعريَ واسترِسلا
كدتُ أفقدُ عيني» - هذا ما حكاه
ابنُ داؤد^(١) عن سجنه .

- ب -

حين أُخرج من سجنه، قال:
«لَمْ يَبقَ مُسْتَمْتَعٌ لشيءٍ،
فخذوني إلى مكّة» .

* هُوَ، مِنْ ياءِ هَذَا الزَّمانِ إِلَى
الألفِ الأوَّلِ
فَلَقَّ ذاهِبٌ
يَتأملُ فِي قَلقِ مُقبِلِ .

جامع موعِدْ

لطيفٍ تَجِيءُ بلا موعِدِ .

والمدينة شَحَاذَةٌ

تتمدُّ في بابِه ،

ضَفَرَتْ حُزْنُهَا أَكَالِيلَ غَطَّتْ بِهَا

كتفِئِهَا .

وَجْهَهَا سَاهِمٌ يَسْأَلُ :

ما ذلك المخبأ ،

من أين يأتي ،

وكيف سيأتي؟

- ج -

وَضَعُوهُ عَلَى نَاقَةٍ وَإِلَى مَكَّةِ
أَرْسَلًا .

ماتَ فِيهَا ،

تَهَكَّمَهُ شَاعِرٌ :

«فَدَخَّ عِنكَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ ،
جَانِبًا

وَأَقْبَلَ عَلَى صِهْبَاءَ طَيِّبَةَ النَّشْرِ» .

* أَخَذَتْهُ الرِّيحُ فِي حِضْنِهَا

شَرِبَتْ وَجَدَهُ وَسَقَتْهُ -

لَا يَزَالُ كَمَا تَرَكَتُهُ .

- ح -

أَحَدٌ: لَا أَدَانَ، وَلَكِنْ

نَعَمَ آخَرَ -

أَقُولُ لِأَجْرَاسِهِ:

أَمْسِكِي بِيَدِي، خُذِينِي

مِثْلَ طِفْلِ يَسَافِرُ فِي ظَنِّهِ

وَيَجْرُ السُّهُولَ، يَجْرُ الْجِبَالَ،

بِأَعْتَةِ أَشْوَاقِهِ،

وَيَجْرُ الْخِيَالَ.

- ١٢ -

- أ -

أَوَّلُ الْمُحَدِّثِينَ ابْنُ بُرْدٍ^(١): هَكَذَا
أَجْمَعُوا.

نَسَبُوهُ إِلَى امْرَأَةٍ أَعْتَقَتْهُ مِنَ الرَّقِّ،
وَاتَّهَمُوهُ

بِالْفُجُورِ، وَبِالزُّنْدُقَةِ -

مَاتَ جَلْدًا: تَأَسَّسَ شِعْرُ

الْحَدَائِثِ فِي مَخْرَفَةِ.

* طمست جسدنا وجبر طفولاتنا

لغة زائدة -

ألهذا، لم تصل بيننا

(كل تلك الجسور التي بيننا)، مرّة

واحدة؟

(١) بشار بن برد. كان، فيما يُروى، يفضّل النار على التراب، ويصوّب رأي إبليس في امتناعه عن السجود لآدم. وذلك ما اغتمد عليه في اتهامه بالزندقة، وقتله. يقول: «الأرض مظلمة والنّاز مشرقة»
والنّار معبودة مُذْ كانتِ النَّارُ.

- ب -

رَاخَ يَهْدِي صَدِيقٌ لَهُ:

«عَنْ يَمِينِي،

أَتَقَلُّ بِاسْمِكَ، بَشَارُ،

أَتَقَلُّ أَيْضاً

عَنْ يَسَارِي - أَسْجُدُ

لِلنَّارِ وَمِثْلِكَ، لَا لِلْمَلَائِكَةِ،

أَوْ آدَمَ».

- ط -

حَلَبٌ - أَلْفُ مُهْرٍ مِنَ الرُّومِ،

تَأْتِي إِلَيْهَا

هَرَبًا، كُلَّ يَوْمٍ

كَيْ تُسَيِّحَ فُرْسَانُهَا

وَهِيَ تَهْرَبُ مِنْ نَفْسِهَا

كَيْ تُسَافِرَ فِي كُنْهِ أَحْوَالِهَا.

أَهْنَأُ، أَهْنَالِكَ مَنْ يَعْرِفُ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَشْهَدُ

فِيهَا؟

أَهْنَأُ، أَهْنَالِكَ مَنْ يَتَفَهَّمُ عِطْرَ

الْجِرَاحِ، الَّذِي يَتَخَيَّرُ أَرْدَانَهَا؟

* فِكْرَةٌ تَتَوَهَّجُ فِي رَأْسِهِ:

نَجْمَةٌ تَضْحَكُ.

فَلِمَاذَا يُسَمَّى هُنَا مَانُويَا،

أَوْ يُقَالُ هُنَاكَ لَهُ: مُشْرِكٌ؟

- ي -

تُرَابُهَا صَوْتُهَا - إِثْمًا وَمَغْفِرَةً
عَنِّي، زَهَا لِأَعْيَابٍ، يُوْحِي وَيُوقِظُنِي
وَيُوقِظُ الْجَبْرَ وَالْأَقْلَامَ وَالْكَتُبَا
فَصَبْرْتُ أَقْرَأُ أَيَّامِي بِحِكْمَتِهِ
مُتَوَرًّا أَتْمَاهِي بِاسْمِهِ وَبِهِ
حَتَّى كَأَنِّي مَن عَنِّي وَمَن لَعِبَا.

- ١٣ -

قتل الأموي^(١) المغيرة -

إبن أخيه،

وأصحابه.

قيل: كانوا يُعْتَوْنَ -

لا بُدَّ أن ينزل العرشُ

في حيننا،

ويكون لنا ظلُّنا،

ويقيم إليه الذين أتوا قبلنا،

والذين يجيئون من بعدنا،

ويقيموا إلينا.

* له مع الشعر للترحال قافلة

لاتعرف القرب إلا وهي تبتعد، -

لن يمنع الموج إن ألقى مراسيه

فيها، ولن يبد التار التي تليد.

(١) هو عبد الرحمن الداخل.

قتل ابن أخيه المغيرة
ابن الوليد بن معاوية بن
هشام، وقتل معه آخرين بتهمة
إجماعهم على خلعوه.

- ك -

أُتراني هنا راحلٌ، وأنا قاعدٌ؟
ولماذا أرى في الغيوم وسائدٌ، في
الرياح بيتاً
ولماذا أجد كأنّ الفضاء
مثل جبانة؟

أيتها الفجرُ، مهلاً

أضياؤك هذا الضياء

أَمْ تُرى... عفوك الآن،

صِف لي،

أيهذا الغبار الأمينُ الصديقُ

صِف ليخطوي، لشعري هذا الطريقُ.

* أترانا سنطحن آلامنا مثل قمح،

ونخبز ما يتيسر منها، ونعيش عليها

مرة ثانية

طول أيامنا الباقية؟

- ١٤ -

- أ -

خرّضَ الموصلَ

كي تُفَيِّقَ وكي تعملَ.

- ب -

كان^(٢) ظلوماً شريراً.

قتلوه - قالوا:

حقٌ أن يُقتَصَّ الناسُ مِنَ الشَّرِّيرِ
الحاكمِحقٌ أن نعملَ كي لا يحكمَ فينا
إلا الرَّجُلُ العَدْلُ العالمُ.

(١) ياسين الخارجي الذي
خرج في الموصل على
الخليفة المهدي وثقل.

(٢) موسى بن مصعب
الخشعمي الذي كان والياً
للمهدي على مصر.

- ١٥ -

- أ -

جارية حرة،

بِسْمِهَا

مات^(١) على زُنْدِهَا.

- ب -

فَلْيَقْتُلْنِي^(٢) اللَّهُ

إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ: سِوَاءَ عِنْدِي

سِرُّ الْخُلُقِ،

وَسِرُّ الْمَوْتِ، وَسِرُّ الْبَاءِ.

- ج -

جاء حسين^(٣) مَكَّةَ، قَالَ:

«الْعَبْدُ الْمَنْضَمُ إِلَيْنَا، حُرٌّ».

- ل -

حَلَبٌ - وَالْهَوَاءُ تَخَارِيمٌ تَكْسُو

التَّوَاغِذَ، وَالضَّوْءُ نَسَاجُهَا.

أَتَشْرَدُ، شِعْرِي فِرَاتٌ

وَجِسْمِي ذَبُولٌ.

قَلَّقَ فِي يَدَيَّ وَفِي نَظْرَاتِي

قَلَّقَ فِي عُرُوقِي -

أَهْ، يَا قَلَّقِي، يَا صَدِيقِي؟

أَتُرَاهَا خُطَايَ خُطَايَ،

تُرَاهَا طَرِيقِي طَرِيقِي؟

(١) الخليفة المهدي. بلغت الحملة على الزنادقة أوجها في عهده، سنة ١٦٦ هـ. (٧٨٢ م) وقد أنشأ من أجل قتلهم ديواناً سماه «ديوان الزنادقة».

(٢) الكلام لخالد البربري العامل العباسي، مخاطباً الحسين، المعروف بـ «صاحب فخ».

(٣) صاحب فخ. وهو الحسين بن علي بن الحسن، وينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب.

* أَلْصَّوَاعِقُ تَأْتِي - تُدَلِّي قَنَادِيلَهَا

بِخِيوطِ الْمَطَرِ

كِي تَوَدَّعَ إِقْلِيمَهَا،

قَبْلَ أَنْ تُحْتَضِرَ.

- ١٦ -

- أ -

قطعوا رأس حسين في فُخ،
لكن، أفلت إدريس^(١)

أخفاه واضِخْ مثلَ كتابِ
بِريدِ المغربِ -
واضحُ يُقتلُ صلباً.

- ب -

ألزمان كما شئت^(٢)، والمكان
بهجةً وانشراح.

هذه كأسك الآن، خُذها:
عسلَ طيب.

كان سماً، ومات الربيع.

الخليفة في غبطة:

ما الذي سوف نفعلُ
بالخيزران؟

- م -

حَلَبٌ - كم تَمَرَّدتِ، كم ضَرَبَ السَّيْفُ أعناقَ
أبنائكِ الغاضبينِ،

كم خَلَطتِ المحيَّينَ بالمبغضينَ،
المقيمينَ بالراحلينَ.

حَلَبٌ - كم حَضَّنتِ الطَّغاةُ

أين تُذْيَكِ؟ من أين يبدأ

في صدركِ الموتُ؟ من أين

يبدأ ماءُ الحياة؟

* أرضُها تتفجَّرُ، تلبسُ طوفانها، -

ألَسهولُ تُوَاسِي جراحاتِها

والجبالُ تسامِرُ أحزانها.

(١) فُخ مكان قرب مكة
ويقال إن رؤوس القتلى كانت
تربو على المثة. ظلُّوا أياماً
دون أن يُوازوا فأكلتهم السباع
والطير. وإدريس هو مؤسس
دولة الأدارسة، الدولة
المغربية الأولى. هُزِّب في
البريد شخص اسمه واضح
كان يتولَّى البريد إلى
المغرب. وهو مولى
صالح بن المنصور فقتله
الهادي صلباً.

(٢) الكلام بلسان الخليفة
الهادي وهو يقتل الربيع متهماً
إياه بأمة الخيزران.

- ١٧ -

أَلْخَلِيفَةُ^(١) يَبْرَأُ مِنْهُ الزَّمَانُ، وَيَبْرَأُ
مِنْهُ الْمَكَانُ

قَتَلَتْهُ جَوَارِيهِ حَقْنًا:

جَلَسَتْ عَلَى وَجْهِهِ مِثْلَمَا شَاءَتْ
الْخِيزْرَانُ.

قَتَلَهُ كَانَ عِيدًا تَغْتَسِي بِهِ
الْمَاجِنُونَ، وَقَالُوا احْتِفَاءً بِهِ:

كَيْ تُعِيدَ الْحَيَاةَ إِلَى سِيرهَا صِدْقَهُ
وإلى وجهها رونقَهُ

يَنْبَغِي أَنْ تَوْسِعَ أَحْشَاءَهَا
وَأَنْعَاءَهَا

لِلْمَجُونِ وَلِلزَّنْدَقَةِ.

- ن -

لَأَبْشُرُ، أَهْوَى

أَنْ أَرَى كَيْفَ تَمْضِي الْعُرُوشُ

إِلَى مَوْتِهَا،

وَأَحَبُّ رَمَادًا تَوَوَّلَ إِلَيْهِ .

لَأَبْشُرُ، أَهْوَى

أَنْ يُقَادَ الطَّغَاةَ إِلَى مَوْتِهِمْ صَاغِرِينَ

أَنْ أَرَاهُمْ أَمَامَ الَّذِينَ يَسُوسُونَهُمْ

رُكْعًا، ضَارِعِينَ

وَأَرَى كَيْفَ يَجْرُونَ، يَمْضُونَ كَالْقَشِّ

فِي لُجَجِ الثَّائِرِينَ .

* مِنْذَمَاتِ امْرَأِ الْقَيْسِ شَوْقًا إِلَيْهِ -

إِلَى مَلِكِهِ الْمُنْتَظَرِ،

أَلْفِتْنَا طَيُورَ السَّفَرِ .

(١) الهادي الذي خنقته جواريه بأمر من أمه الخيزران، وخلفه ابنها الرشيد. وعلى إثر موته، ظهر الزنادقة الذين استتروا، واشتهر بينهم، على الأخص، يونس بن أبي فروة ويزيد بن الفيض.

- س -

أطفال شِبُه عِراةٍ

يزدحمونَ أَماميّ، حولي،

هذي حَلَبٌ - أهّي الكوفةُ؟ أذكُرُ،

أَعْلُو،

وأجددُ عَهدي.

لِبريقِ يَخْبُو في أعينهم

لنداءِ يَذمى في أيديهم،

يَتَفَحَّمُ شعري، يَتَنَهَكُ

كي يتغيَّرَ هذا الفَلَكُ.

* مَزج الموتِ والفَقْرُ

أبناءً تلكِ القُرى،

بأبناء هذي القُرى -

عَصَصُ آسِرًا، زَمَنُ يُزْدَرَى.

- ١٨ -

- أ -

صَحْصَحَ^(١) يهزمُ المَجنَدَ، جُنْدَ

الرّشيدِ، ويقتلُ منهمُ جموعاً.

الرّشيدِ يوجّهُ جيشاً كبيراً:

قتلوا صَحْصَحاً،

وتفرّقَ أصحابه.

قتلوا عاملَ الجزيرةِ ابنَ فُروخِ^(٢)

عبرةً وعقاباً.

- ب -

سألوه^(٣) لماذا

تُخرجُ الطالبينَ من دُورهم،

وتُفرِّغُ بغدادَ منهم؟

(١) الصّحصح الخارجيّ.

(٢) أبو هريرة، محمد، عامل الرّشيد على الجزيرة. والرّشيد هو الذي قتله.

(٣) الإشارة إلى الخليفة الرّشيد.

-ع-

لا أشاهدُ إلا ظلاماً يرينُ على صدرِ
آدمَ، -

تلك الجنانُ التي سَحَرَتْهُ وتلك

الجحيمِ

لم تُعلمهُ حتى الوفاءِ إلى طينه الكريمِ .

ليس رأسي غراباً

ولا أرضَ مَنْ وسلوى

ولا صلواتٍ ولا أدعية،

رأسي الكونُ: آدمُ زرعُ له

والحصادُ هو المعصية .

- ١٩ -

بين الإخوة^(١) حربٌ:

فازَ هشامٌ ونفى أخويه .

* «إمض، لا تتمهل»:

حكمةٌ دائمة

للنجوم التي تتوغل في جبل الليل،

نشوانة هائمة .

(١) هشام بن عبد الرحمن
الداخل، وأخواه سليمان
وعبد الله. أعطاهما مالا،
ونفاهما.

- ف -

« لا مُشْتَى »:

تهمس الأشياء في أذني -

حَقًّا،

كلُّ ما في حَلْبِ فَرْدٍ بِشَطْرَيْنِ،
ولا لُحْمَةً ما بينهما؟

هكذا يُوَعَّلُ في عُربته نَهْرُ قُويِقِ

ناجلاً منكسراً في الضَّمَّتَيْنِ

مثلما تنكسرُ السَّهْوَةُ في أَوْجِ

التحامِ الجسدينِ .

- ٢٠ -

- أ -

«سوف أضرب عُثْقَهُ»^(١) -
ماحيًا خَلْقَهُ وخُلْفَهُ» .

- ب -

موسى، آدم: أين التقيا؟^(٢)

- أتشك؟

- معاذَ اللَّهِ، ولكن

أسأل: كيف؟

- هاتوا النُّطْعَ، وهاتوا

السِّيفَ .

(١) بلغ الرشيد أن بشراً
المريسي يقول بخلق القرآن،
فقال إذا ظفرت به سأخرب
عنقه .

(٢) قال أبو معاوية الضَّرير
«حدثت الرشيد يوماً حديث
«احتج آدم وموسى»، وعنده
رجل من وجوه قريش . قال
هذا لرجل - أين التقيا؟
فغضب الرشيد وقال: - النطع
والسيف! زنديق يطعن في
حديث .

* قلبه حَسْرَاتٌ

تَتَقَلَّ مخنوقَةَ الهواءِ

في فُصولِ البكاءِ .

أَشْتَهِي لِقْوِي

مَا أَشْتَهَيْتُ لِنَفْسِي :

أَنْ تَظَلَّ الْعَيُونُ الَّتِي تَقْتَفِيهِ
تَتَلَأَلُ مَأْخُودَةً

بِفَقَاعَاتِهِ .

أَشْتَهِي لِقْوِي

أَنْ يَظَلَّ التَّنْذِيرَ الْمُنَوَّرَ، حَيْثُ الزَّمَانُ
مَرِيضٌ، وَالْمَكَانُ يَنْوَأُ بِأَسْلَانِهِ .

أَشْتَهِي لِقْوِي

أَنْ يَظَلَّ كَمَا رَسَمْتَهُ خُطَاهُ :
لَا سَرِيرٌ لَهُ غَيْرَ أَمْوَاجِهِ .

* يَتَغَلَّغَلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ

نَفْسًا مِنْ هَبَاءٍ :

لَا يُرِيدُ الصَّعُودَ عَلَى سُلْمِ الْأَنْبِيَاءِ .

- ٢١ -

أَلرَّشِيدَ يُؤْتِي الْأَمِينَ ابْنَهُ،

وَهُوَ فِي الْخَامِسَةِ،

هَلَّلَ النَّاسَ لِلطَّمَسِ بِمَحْوِهِمْ

وَلَأْيَاتِهِ،

وَأَعْرَاسِهَا،

وَأَسْيَافِهَا،

وَلِكُلِّ تَقَالِيدِهِ الطَّامِسَةِ .

- ق -

في البيت . البابُ حديدٌ
والشباكُ الضيقُ في الزاوية
اليسرى لم أفتحه .
من أين تجيء الرياح ، إذن؟
ريح ،
كل حطام الأرض يُصلبُ فيها .

- ٢٢ -

- ١ -

عَرَبٌ: ذا يمانٍ، وذا مُضَرِّي
والشأمُ لكلّ منهما
ساحةٌ للقتالِ،
وأثامها
جزرٌ من دم .

- ب -

في نصيبين والموصلِ،
قُتِلَ الْفُضْلُ^(١) مع صحبه،
لا تقل: كيف؟ لا تسأل .

* خُذْ يَدِي فِي يَدِكَ:

يوماً واحداً

وغدي لا يُسافرُ إلا طالِعاً من عَدِكَ .

- ر -

كَأَنَّ يَتَمَرَّقُ وَجْهَكَ يَالَيْلُ، بَيْنَ
يَدَيْ، وَأَنَّ يَتَمَرَّقُ فِيهِ الْقِنَاعُ
كَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الْمَرْقَ الْحُمْرَ فِي مَوْجِ
يَأْسِي مِثْلَ الشَّرَاعِ،

آسِفًا:

لَيْسَ لِلأَرْضِ شَكْلُ الزَّمَانِ
كِي أَطَابِقَ مَا بَيْنَ جَسْمِي وَحُلْمِي،
غَيْرَ أَنِّي سَأُوغِلُ فِي شَهْوَاتِي
وَأَتَابِعُ هَذَا الرَّهَانَ.

- ٢٣ -

- أ -

إِنَّهَا مِنْ جَدِيدِ
نَزَارِيَّةٍ وَيْمَانِيَّةٍ،
مُدَّ هَذَا الشَّبَكِ
أَيْهَا الذَّهْرُ، وَاعْمُرْ
بِتَخَارِيمِهِ الْفَلَكِ.

- ب -

الزَّرْوُوسُ، نَزَارِيَّةٍ وَيْمَانِيَّةٍ،
كَالسَّنَابِلِ، حَصَادُهَا
مِرَّةٌ، رَجُلٌ عَاقِلٌ دُونَ دِينِ
مِرَّةٍ،
رَجُلٌ دِينٌ دُونَ عَقْلِ.

* تَسْكُرُ الرِّيحُ: هَذِي كُؤُوسُ الْعِبَارِ
فَرَعَتِ، وَالتَّهَارُ
أَخَذَتْهُ يَدُ اللَّيْلِ، وَالتَّلْجُ أَغْلَقَ
حَانُوتَهُ.

- ٢٧ -

- ١ -

قال المهدي^(١): رأيتُ كائني
أعطيتُ قضيياً للهادي
ولهارونَ قضيياً.
الأولُ أوزقَ في أعلاه
والثاني أوزقَ من أسفلهِ
حتى أعلاه.

- الملكُ قصيرُ للهادي،
ولهارونَ
يَطولُ الملكُ: تكونُ
له أُنهى أيامٍ.

- ش -

مَنْ يُصَدِّقُ أَنِّي أَمُوتُ

لِكِي أَكْتُبَ الْقَصِيدَةَ؟

مَنْ يُصَدِّقُ أَنِّي أَخْطِئُ فِي كُلِّ حَرْفٍ،

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ؟

وَأَكْرَزُ مَا كُنْتُ رَدَدْتُهُ:

خَطَّايَ أَزَلِّي

خَطَّأَ خَالِدٌ -

وَلَيْسَ كَمَا قِيلَ عَنْهُ.

خَطَّايَ أَنَّ ضَوْئِي قَرِيبٌ وَشَمْسِي بَعِيدَةٌ.

* قَصَبُ الْمَاءِ، زَهْرُ الْجَنَائِنِ،
خَشْخَاشَ هَذَا الزَّمَانِ - مَزِيحٌ
يَتَعَلَّمُ أَسْرَارَهُ، وَيَفْكَ الرَّمُوزَ الَّتِي
أَفْضَلْتُهُ،

وَيَرْفَعُ مِنْهَا سَقُوفًا

لِأَيَّامِهِ، وَلِأَحْلَامِهِ.

(١) الحكيم بن إسحاق
الضيمري، هو الذي فسّر
للمهدي منامه.

- ب -

أهل أفريقيا
يقتلون ابنَ رُوح^(١).
ليس بين الرعايا والولاة الذين
يسوسونهم،
غير أوجاعهم وأسيافهم.

- ج -

هل كل نظام يتأسس سُمُّ
مَهْرَاقٍ
من جسد الماضي؟^(٢)

- ت -

كان ذلك ليلاً، والخريف يسيرُ على ضفّةِ
النهر - ليلاً. قمرٌ يتغطى بأهدابه،

زقاقٌ

يَقْطُ يَتَمَرَأى في السَّعَاعِ الذي كان يرسمُ
حُرَّاسَ أبوابها.

كان ذلك ليلاً، والتجومُ زهورٌ

تتناثرُ في حيتها - في المداخلِ، في
الشُرُفَاتِ

وفي العتباتِ المدينةِ بيتٌ لها،

وأنا عابِرٌ

أَتَشْجُقُ عِطراً يَجِيءُ ويذهب في كلِّ فَجْحٍ.

هكذا - وأنا أتبعثر مُسْتَسْلِماً لحصاراتها

أخذتني المدينة بين يديها إليها

- كان ذلك

ليلاً، والخريف يُلِّلُ سِرْوَالَهُ

بمياهِ قُويِقٍ.

* لا كنيسةَ جاءت، لا كنيسٌ ولا جامعُ:

لامجيبٌ ولا سامِعُ.

(١) الفضل بن روح
ابن حاتم والي الرشيد على
أفريقية.

(٢) الإشارة إلى إدريس بن
عبد الله، مؤسس دولة
الأدارسة في المغرب، والذي
مات مسموماً سنة ١٧٧ هـ.

- ث -

قلتُ لنفسِي ، وأنا أتفكّر في ما يجري حولي :

أشاعِلُ فِكْري وأضِلُّهُ

كي لا يعرفَ شيئاً عَنِّي

ولكي يَنأى

أم أتركهُ يَقْتَصُّ حُطاي؟

حولِي غابَةٌ حَبٌّ :

أصواتٌ في أوراقِ الغابَةِ ، رُقُصٌ ، -

أهْوَى آخِرُ يَأْتِي؟ أم أشباحُ

تَنَحَّرُكُ ، ترصدُ ما يتوالدُ مِنِّي

في آثارِ حُطاي ،

وفي أنقاضِ هوائِي؟

* شاهدُ الشعرِ يملِي رؤاهُ على شاهدِ

السَّنواتِ العِجافِ ،

ألعروشُ سكاكينُ أوها مِننا

والشعوبُ الخِرافِ .

- ٢٥ -

- أ -

كتب الرشيد إلى يزيد^(١) :-

«لأوجهن إليك

من يأتي برأسك ،

إن تأخر في المجيء

إلي رأس التغلبي» .

- ب -

قتل الوليد التغلبي ،

رثته ليلي :

«أيا شجرَ الخبابور ، مالك

مورق؟

كأنك لم تجزع على ابن

طريف» .

(١) يزيد بن مزيد الشيباني ،
والإشارة إلى الوليد بن طريف
التغلبى الذي خرج على
الرشيد في الجزيرة ، ولىلى
هي أخت الوليد .

- خ -

نَهْرُ قَوَيْقٍ

جِسْرٌ مَاتَ، وَجِسْرٌ

لَمْ يُوَلَّدَ.

مَا بَيْنَهُمَا

لَعَةٌ تَتَمَرَأَى فِي مَاءِ عَابِرٍ -

مِنْ أَيِّ أُتَيْتَ؟ وَكَيْفَ سَتَمْضِي

يَا هَذَا الشَّاعِرُ؟

- ٢٦ -

بَرْبِرُ تَاكَرْتَا^(١)

ثَارُوا، خَلَعُوا الطَّاعَةَ،

أَفْتَاهُمْ

جَيْشُ هِشَامٍ.

قَالُوا: بَقِيَتْ تَاكَرْتَا

سَمِعَ سَنِينَ، لَا يَسْكُنُهَا إِنْسِي،

لَا يَدْخُلُهَا إِنْسِي.

(١) من أقاليم الأندلس التي كانت خاضعة آنذاك لهشام بن عبد الرحمن الداخل.

* أَوَّلُ الشَّعْرِ مَاءٌ - (فِي قَوَيْقٍ تَمَوْجُ مَاءٍ لَهُ رَغَبَاتٌ لَمْ يَفْهَنْ بِأَسْمَائِهِنَّ لِغَيْرِ الضُّفَافِ)

وَأَنَا لَا أُرِيدُ القَطَافَ: أُرِيدُ الدَّرُوبَ الَّتِي سَلَكَتْهَا الثَّمَارُ إِلَى مُسْتَهْلِ القَطَافِ.

(١) خُرَاشَةُ الشَّيْبَانِي
الخارجي.

(٢) عمرو بن محمد
العمري، وقُتل في مَزُو.

- ذ -

أَسْتَشْرِفُ الشَّعْرَ: فِي عَيْنَيْهِ قَافِلَةٌ
ضَلَّتْ، وَقَافِلَةٌ تَحْيَا بِلَا وَطَنِ
دُرُوبُهَا الضَّوْءُ - مَمزُوجًا بِحَيْرَتِهَا
وَجَبْرَهَا الدَّمْعُ مَسْكُوبًا عَلَى الدَّمَنِ
أُضِلُّ فِيهَا وَأَهْدِي: أَيُّ وَسْوَسةٍ
تَقُولُ مَوْجِيَّ مَحْمُولٌ عَلَى سُنْفِنِي؟

أَرْضِي كَلَامِي، - كَلَامِي جَنَّتِي عَشَقْتُ
وَجَهَ الْجَحِيمِ، وَرَبِّي - حَاضِنًا وَثَنِي.

* آه، مَنْ أَيْنَ يَخْرُجُ هَذَا الْفِرَاعُ
الَّذِي يُمَسِّكُ الْأَرْضَ مِنْ عُنُقِهَا؟

١٨٠ هـ.

- ٢٧ -

- أ -

فِي الْجَزِيرَةِ، نَازَ خُرَاشَةُ^(١).
قَالُوا:

- نَدَدَ اللَّهُ جَمْعَ الْخَوَارِجِ،
قَالُوا:

أَطْفَأَ اللَّهُ نِيرَانَهُمْ.

- ب -

الْمَحْمَرَّةُ اسْتَبَسَلُوا مِنْ جَدِيدِ
بِقِيَادَةِ عَمْرٍو^(٢). وَقَالُوا:

بُدُّوا. وَأَضَافُوا:

أَطْفَأَ اللَّهُ نِيرَانَهُمْ.

- ض -

قال لي، وهو يَشْرَبُ - يَهْذِي وَيَبْكِي :

لست لي، يا أخي، مثلاً .

إنني أتمثل بالحارث بن مُضاض^(١)، -

سأقولُ: تَقَمَّضْتُ فِيهِ

مِثْلَهُ أَتَطَوَّحُ فَوْقَ التَّرَابِ كَأَنِّي

تَرَابٌ،

وأعيش على الأرض في غُرْبَةٍ .

مثله أتقدّم، أمزج في ذات نفسي،

وفي كلماتي وفي خطواتي

بين وجه السماء ووجه السراب .

- ٢٨ -

- أ -

إِبْنُ مَرْءَةٍ^(٢) يُذْبِحُ فِي الْقَيْرَوَانِ،

وعمران يُقتل من بعده،

والتمرّد في تونس أثرٌ بعد عين .

وطليطلة تحنفي

بالرؤوس التي قُطعت وسيقت

إلى ربّها، كالتدور -

هتفوا، أنشدوا حولها:

هكذا تستقيمُ الأمورا

(١) رجلٌ شبه أسطوري .
يقال إنه من ملوك العرب قبل
الإسلام وضربت الأمثال به
لاغترابه وطوافه في أنحاء
الأرض . ويقال إنه حارب بني
إسرائيل .

(٢) مخلّد بن مرّة الأزدي
وعمران ابنه . ثارا على
إبراهيم بن الأغلب . وكان
قائد التمرد في تونس، رجل
يدعى حمديس، قتل من
أنصاره عشرة آلاف .

وفي طليطلة كان المتمرد
عبدة بن حميد، وقتل مع
آلاف من أنصاره، كما
بروى . وحملت رؤوسهم
جميعاً وطرحت أمام «صاحب
الاندلس» .

* يحيا قريباً إلى أحلامه الأول،

كأنه العطرُ - مسكوباً، يطوف على

وجه المكان، ويستجلي أقاصيه

بلا اكتراث، بلا يأس، بلا أمل .

- ظ -

كم أخاصِمُ نفسي، أسائلُ نفسي:
- لماذا نُزوعِكِ دوماً إلى وطنِ آخِرٍ؟

ولماذا

كلّما جئتِ أرضاً صبوتِ إلى غيرها؟
كيف لي أن أدجّنَ فيك انفجارِكِ -
ذاك الهديرِ، وذاك الشّرازِ؟

- إنّه ولّه الشّاعِرِ

إنها فتنةُ الرّحيلِ إلى لا قرّازِ.

- ٢٩ -

رجلٌ غامضٌ - يسألُ النَّاسُ عنه،
يجهلون اسمه
والدُّروبُ التي جاء منها،
ويُحبّونه: ينتمون إليه بأحلامهم.
ويُحيّونه بالصفات التي ميّزتهُ:

«لم يضح مرّةً

جراحاته على المائدة،

ليس من هذه اللّغاتِ،

ويجهل هذا الصّراطُ،

وينبذ ما ترسمُ القاعِدةُ».

* قدماه هما تيههُ الأوّلُ:

كيف لا يصعد الوحي فيه،

كيف لا ينزلُ؟

- ٣٠ -

- أ -

مات الكاظم^(١)

في السجن - وقالوا:

أرسل للسجان^(٢) يقول:

«بلائي يمضي،

ورخاؤك يمضي،

لكنّ الخايز أنت،

فأنت الظالم».

- ب -

كيف تعارض يا بهلول^(٣)؟

كأنك، حقاً، بهلول.

رَفُضَكَ سِجْنٌ -

تُزْمَى فِيهِ، لا عودَةَ مِنْهُ

أو تُقْتَلُ فِيهِ.

- ج -

قَيْدُهُ، اسجَنُوهُ، أَلَهُ أَنْ يَخَالَفَ

رَأْيِي؟»

- د -

مات من أثير السجن، في بيتوه.

- غ -

عند بابِ بُزَاغَا

فاجأتني خُطَاها

فاجأتني ضفائر أوجاعها

مُسَدَّلَاتٍ عَلَى كَتْفِيهَا.

لم أكن أتوقع أن التَّعَبُ

جسدٌ آخَرُ

تتناسخ فيه حَلْبُ.

(١) موسى الكاظم، ومات في سجن الرشيد. لُكِّبَ بالكاظم لأنه كان يُحسن إلى من يسيء إليه، كاظماً غيظه.

(٢) الخليفة الرشيد.

(٣) البهلول بن راشد، كان عالماً راهداً عارض أمير أفريقية (وكان آنذاك محمد بن مقاتل المُكَنِّي)، في إرساله النحاس والحديد والسلاح إلى ملك أسبانيا فضربه الأمير وجسه.

* العزيرُ المشرّدُ - في قدميه

جَبَلٌ رَاكِعٌ، وفي راحتيه

وَجْهُ أَيْقُونَةَ.

غ - ١ / طَلْسَمَات

يَجْرِي مِنْ بَابِ بُزَاغًا

نَهْرٌ ذَهَبٌ

يَتَجَمَّدُ مَلْحًا، لَكِنْ فِي طَعْمٍ مُعْتَدِلٍ.

*

حَجَرٌ أَسْوَدٌ فَوْقَ بِلَاطٍ أَسْوَدٍ - قَالُوا:

لَمَّا نَزَعُوهُ مِنْ مَوْضِعِهِ

أَنْهَارَتْ

أَسْوَارُ الْقَلْعَةِ سَوْرًا سَوْرًا،

وَأَنْهَارَ الْجَامِعَ فِيهَا.

*

حَجَرٌ حُدٌّ

حِينَ يَغْتَبِرُ مَوْضِعَهُ

تَتَبَرَّجُ كُلُّ نِسَاءِ الْحَيِّ، وَتَأْخُذُهُنَّ الشُّهُوهُ

وَيَجَامِعْنَ، اسْتِمْتَاعًا

جَهْرًا، أَوْ فِي خَلْوَةٍ.

*

ماء -

إن قَطَرَتْ مِنْهُ قَطْرَةٌ
فوق العُقْرِبِ مَاتَ . وقالوا ، استطراداً :
قرية يَحْمُولِ
لا يحيا العُقْرِبِ فيها ،
وإذا جاء إليها مات .

*

حين يَفِيضُ قَوْيُقُ
يَحْمَرُ الماءُ وتبدو فيه
صورٌ ، وتماثيلُ نحاسٍ .

*

عينٌ كَبْرِيَّتِيَّةُ
يأتي الناسُ إليها
من كلِّ الآفاقِ ، وتشفي الأمراضَ جميعاً .
لا يدري أحدٌ
من أين يجيء الماءُ ، وكيف ، وأين يَرُوحُ ؟
قالوا : جَرْحُ

يتطهر فيه
كون مجروح.

✽

جزء
لدماء سلاحف تشفي المصروعين، وتشفي
كل الأوجاع السرية.

✽

بالرومية
كُتبت أسماء المقبورين:
هذا نور من عند الله، وهذا في عليين.
مقبرة - يغمرها نور
لا يسطع إلا في الليل، وحين يحيى الناس إليه،
يخفي.

غ - ٢/ أبواب

في التاريخ أنّ الدخول إلى مدينة حلب، كان يتم من أبواب متعدّدة، يعود أقدمها إلى القرن الثاني عشر الميلادي، ويعود أحدثها إلى بداية القرن السادس عشر.

الأبواب التي زالت ولم يبق لها أي أثر، هي: باب العراق، باب العدل، باب الفراديس، باب السعادة، باب السلام، باب العافية، باب الأربعين، باب القناة، باب الأحمر. الأبواب التي زالت وبقي اسمها. هي: باب الفرج، باب الجنان، باب التيرب. الأبواب الباقية هي: باب أنطاكية، باب النصر، باب قنسرين، باب المقام، باب الحديد.

بَابُ النَّصْرِ، -

غَزْلَانُ فِرَاقٍ وَمَرَارَاتٍ
تَتَقَافَرُ مِنْ أَسْوَارِ الْقَصْرِ.

✱

بَابُ أَنْطَاكِيَّةِ، -

رَأْسُ قَدَيْسِيَّةٍ
تَتَفْتَحُ فِيهِ وَرُودٌ
لَا يَرَاهَا سِوَى عِطْرِهَا.

✱

بَابُ قَنْسَرِينَ، -

فِي يَدَيْهِ ثَلَاثُ نَجُومٍ
يَتَفَقَّدُنْ أَضْوَاءَهُنَّ، عَلَى رَأْسِهِ
قَمَرٌ هَائِمٌ؛

✱

بابُ الحديد، -

لا تَسْلُنِي،

وقلْ أَيُّ شَيْءٍ.

✱

باب المقام، -

ذَبِيحُ،

وإبراهيمُ يَسْكُبُ في المقامِ

دَمَعُ الكلامِ - دَمَ الكلامِ.

✱

باب العراق، -

يعشق الضموءُ ليلَ الرّحيلِ،

كيف مالت أبايبلهُ، يميلُ.

✱

باب العدل، -

ما أصفاه، ما أوهنهُ هذا التّبَعُ:

نسجته الحيرةُ في الأحشاءِ بخيطِ الدّمغِ.

✱

باب الفراديس ، -

وجه عشتارَ فوق المدينة، رُدوا
عن وجوه التوافذ أَسْتارَها .

✱

باب السعادة ، -

موسيقى ماء
تتبيجسُ من كبدِ الصَّحراءِ .

✱

باب السَّلام ، -

إرحلْ، أو لا تَرحلْ
بابُ الغربِ كبابِ الشَّرقيِّ، فماذا تأملُ؟

✱

باب العافية ، -

وضع الدَّاءِ يديه
في ماءٍ بارِدٍ .

✱

باب الأربعين، -

هِيَ قَافِلَةٌ لِلْبِكَاءِ
تَتَفَتَّحُ فِيهَا السَّمَاءُ.

*

باب القناة، -

بِأَنْفُوسَاءٍ تَحْفَظُ أَسْمَاءَ مَنْ مَرَّ فِيهَا
وَتَقُولُ دَفْتًا
لَيْلَ أَحْزَانِنَا
فِي شَدَى وَزْدَةٍ.

*

باب الأحمر، -

مَرْكَبٌ مِنْ شَرَارٍ يَسَافِرُ فِي لُجَّةٍ مِنْ شَرَارٍ
بَيْنَ هَذَا الْجِدَارِ وَذَلِكَ الْجِدَارِ.

*

باب الفرج، -

شَارِعٌ يَتَغَطَّى حَيَاءً مِنَ الضُّوءِ،
يَخْجَلُ مِنْ عُرْيِهِ.

*

باب الجنان، -

آه، ما أجمل الأغنيه

في فم المعصية

*

باب التّيرب، -

طِفْلٌ

يتخيل وجه الله ويغفو

في إضْطَبُلٍ.

*

باب لا اسم له، -

لبس الماء كَتَانُهُ

كلّ خيط له شكل نايٍ

والعناكب أوتارُهُ.

هوامش



شَرُّ البلادِ
مكانٌ لا صديقَ بهِ .

المتنبي

بهلول المجنون

مات سنة ١٩٠ هـ.

بومتانِ على عُصْنِ واحدٍ:

فَأُلْ حَنِيرٍ -

جَسَدٌ لا يَنَامُ

والسريزُ الكلامُ.

بُومَتانِ على عُصْنِ واحدٍ:

حَبْنًا وزَدَتانُ

لكما، أَيها العاشقانُ.

سيبويه

مات سنة ١٩٤ هـ.

لغة - فتنه

غير أن بنيتها وأحفادهم

أسلموا جسمها

لرطوبة أيامهم.

شَرَّري موثَّق بأحوالها وناري في سَفَرِ كاسِرِ

كي أعاشِرَ أسرارها،

أَتَقَصَّى مداها

في هَوَى آسِرِ.

أبو نواس

مات سنة ١٩٥ هـ.
وكان في التاسعة والخمسين
من عمره.

- أ -

«هو لِلْمُحَدِّثِينَ

كأمرىء القيسِ للأقدمين» (أبو عبيدة)

- ب -

«ليته لم يكن ماجناً

إذن، كنت آخذ علمي منه» (الإمام الشافعي)

- ج -

.....

أول من أخرج الشعر من داره البدوية،
أعطاه سِراً جديداً، وسحراً جديداً.
وهو بدءٌ لهذا الأبد.

- د -

«لو تقدّم في الجاهليّة:

لم يتقدّم عليه أحد» (عمرو بن كلثوم العتابي)

جابر بن حيان

كوفي، له حوالي ٢٣٢ كتاباً. منها: أسرار الكيمياء، علم الهيئة، تصحيحات كتب أفلاطون، الخمائر، صندوق الحكمة، الرحمة، المعهد في الكيمياء... وهو أول من وصف أعمال التقطير، والتبلر، والتذويب، والتحويل. مات سنة ٢٠٠ هـ.

إهدنا صنعة الكيمياء

إهدنا إهواها، لإكسيرها التبيّل -

زئبقاً، بؤرقاً

حطباً ومنافع، فحمأ

وأنابيق من كل فن.

إهدنا للخداع الجميل

ولتقطيرها، ولتحويلها.

إهدنا صنعة الكيمياء

لئحوّل هذا التراب الجميل، جنانأ

وأنهار شعرٍ وحبٍ

لأحبائنا ولأعدائنا،

من على الأرض منهم، ومن منهم في السماء.

الإمام الشافعي

لغة الشَّرْع في رَأْسِهِ،
لغة الشُّعْر في رِئْتِيهِ وفي شَفْتِيهِ؛

الأَقَالِيمُ فَنِحَاءً في وَجْهِهِ،
غَيْرَ أَنَّ المَدَائِنَ تَعْنُو وترزُحُ مَقْطُورَةً،
تَتَقَلَّبُ في فِقْهِهِ.

هشام الكلبي

النسابة، وصاحب كتاب
«الأصنام». مات سنة
٢٠٤ هـ.

لَا تَزَالُ إِلَى الْآنَ أَصْنَامُكَ الرَّاسِيخَةَ
تَتَوَهَّجُ فِي لَيْلِنَا.
لَا تَزَالُ نَنَامُ عَلَى دَفْنِهَا،
فِي أَسْرَةِ أَطْيَافِهَا الْبَاذِيخَةَ
لَا تَزَالُ إِلَى الْآنَ نَشْرَبُ مِنْ صَرْعِهَا:
كَيْفَ ضَاعَتْ وَضِعْنَا، وَهِيَ زَرْعُنَا
يَتَنَاسَلُ مِنْ جَذْعِهَا
وَيَعُودُ إِلَى زَرْعِهَا.

الفراء النحوي

كان يُسمّى «أمير المؤمنين» في النحو. وكان مؤدّباً لابني المأمون اللذين كانا يقَدِّمان له نعليه، احتراماً. مات سنة ٢٠٧ هـ.

لغةٌ تتساءلُ عن حالِها:

ما الذي نسجته عن الشيء، ماذا

يعرف الشيء منها؟ وأي جُسرٍ

نُصبت بين أمواجه وأمواجهها؟

لغةٌ تتساءلُ عَمَّا ترى

عن مرايا تقول لها ما ترى،

والمرايا ضياعٌ

مثلها، وسؤالٌ.

أحمد بن صدقة

قتل سنة ٢١٠ هـ.

طُنبوري حَذَقَ الصَّنْعَةَ، عَنَى:

عَنَى رَمَلاً، هَزَجاً - يَشْكُو

لِلصَّخْرَةِ قَلْبَ حَيْبَتِهِ، وَيؤَاسِي

وَرْدَةَ حَبِّ تَدْوِي.

هَوَذَا يَمْضِي، يَزْجُو أَنْ يَلْقَى الْأَحْبَابَ

فِي الشَّامِ، يَحَادِثُ طَيْرًا

يَتَفِيأُ غَيْمًا.

صَحَبَ، أَصْوَاتُ - بَعْضُ الْأَعْرَابِ

يَلْتَمُونَ عَلَيْهِ:

أَخَذُوا مَا مَعَهُ - قَتَلُوهُ.

موسيقى طنبورٍ

تَتَغَلَّغُ فِي صَمْتِ الْأَعْشَابِ.

بشر بن المعتمر

توفي سنة ٢١٠ هـ. له،
كما يُروى، قصيدة في أربعين
ألف بيت يرث فيها على
خصوم المعتزلة.

- I -

معتزلاً رائداً،
جَمَعَ آراءه وأفكاره
وصاغها قصيدةً واحده،
ينقد أعداءه
طرائقاً، ولغةً فاسده.

- II -

الأفكار ظلالٌ تأتي وتروح - فأين الجدوى
في أن تُقنع رأساً ليصير يميناً،
وهو شمالٌ
ليصير شمالاً وهو يمينٌ.
ليس الفكر وريداً أو شرياناً.
والأفكار عباءةٌ راعٍ
يتوهم أن الأشجارَ قطعٌ.

علية بنت المهدي

ماتت سنة ٢١٠ هـ.
«كانت من أجمل النساء،
وأظرفهن وأكملهن، أدباً
وعقلاً».

(رسالة عن رجلٍ أحبته)

منذ أن لبس الوقتُ قُفطَانَهُ

وتبختر تيهاً به،

لم يعد يتذكر أوقاتنا

لم نعد نتلاقى

لم يعد بيننا

غير ذلك المكان الذي كان يحنو علينا

حين كنا نفيءُ إليه -

يُلبس حُزني،

والألبسُ أفراحه.

الرواية

III - II

(...)

- «خُذِ الشَّعْرَ، أَنْتِ أَيُّهَا الْمَأْخُودُ بِالْمَرْئِيَّ ارْفَعِي بَيْتاً
وَأَقِمِّي فِيهِ سَيَكُونُ حَتْمًا عَلَيْكَ أَنْتِ أَنْ تَسْكُنِي فِي
الْجَانِبِ الْآخِرِ غَيْرِ الْمَرْئِيَّ حَيْثُ يَهْدِرُ دَمُ الْعُنَاصِرِ
حَيْثُ الْمَاءُ وَالْهَوَاءُ التُّرَابُ وَالنَّارُ تُدَيُّ وَاحِدٌ
أَنْتِ، رُبَّمَا عَانَقَكَ الشَّقَاءُ طَوِيلًا طَوِيلًا وَلَنْ تَقْدِرِ
أَنْ تَوَاقِي حَتَّى أَحْلَامِكَ لَنْ تَقْدِرِ شَجِيرَاتِ الْفَسْتَقِ،
بِحَقُولِهَا الْفَسِيحَةَ كُلِّهَا أَنْ تُظَلِّلَكَ لَنْ يَجِدِيكَ عَبَقُ
الْبِرْتَقَالِ أَوْ حَنَانِ الزَّيْتُونِ وَالْتِينِ».

(...) هذا ما جَهَرَ بِهِ لِفَضَاءِ الْقَلْعَةِ تَوْهَمًا مِنْهُ أَنَّهُ
سَيَفْهَمُهُ، وَلَمْ يَكُنْ يَرِيدُ مِنْهُ أَيَّ شَيْءٍ قَالَ ذَلِكَ لَوَجْهِ
الْقَوْلِ، رُبَّمَا لِأَنَّهُ كَانَ يَشْعُرُ أَنَّ جَسَدَهُ تِلْكَ اللَّحْظَةَ
طَافِحٌ بِحِكْمَةِ الْقَلْقِ وَالْوَحْدَةِ، أَلَّا قُدْرَةَ لَهُ تَقْرِيْبًا عَلَى
النُّطْقِ. دَائِمًا يُمَلَأُ مِنْهُ بِمَاءٍ كَلَّمَا جَهْدُ أَنْ يَفْرَغَهُ مُلَىءٌ
بِمَاءٍ آخَرَ (...).

(...) قرأ:

«اهتمّ الملوك بعمارة القلعة وتحصينها» -

أ - كُتِبَ على جانب الباب الأوسط في القلعة:

«بالإشارة العالية، المولوية، الأمرية، الشمسية، قرأ سَنَقَرُ الجوكندار المنصوري الأشرفي كامل المملكة الحلبية، أعزَّ الله نصره».

ب - كُتِبَ على زئار باب القلعة:

«أمر بعمارته بعد إهماله وإشرافه على الدثور، في أيام مولانا، السلطان الأعظم، الملك الأشرف، صلاح الدنيا والدين، ناصر الإسلام والمسلمين، عماد الدولة، ركن الملة، مجبر الأمة، ظهير الخلافة، نصير الإمامة، سيد الملوك والسلاطين، سلطان جيوش الموحدين، ناصر الحق بالبراهين، محيي العدل في العالمين».

ج - كُتِبَ على برج القلعة الشمالي:

«جدد هذا السور المبارك مولانا السلطان الملك الأشرف قانصوه، عزَّ نصره في أيام المقر الأشرفي الأمير السيفي عين مقدم الألوף

بالديار المصرية سيباي الأشرفي نائب القلعة
المنصورة بحلب عزّ نصره سنة ٩١٥هـ.

هل ذلك البخار لهاث؟

هل تلك الحفرة سرير؟

نثار خشب، نبات شبه ذابل شجرات تكاد أن تبكي
ركام حصي وغبار أشباح ذاكرة تتكىء حاسرة
الرأس على عجيزة القلعة القلعة أم فقدت جميع
أبنائها تنحني على شرفات تطلّ على صحراء
الذكرى. حولها طرق يرسمها فراغ الخطوات،
أشخاص يخرجون لتوهم من أنقاض التاريخ^(١)،
مهزومين يحملهم اليأس على أطراف أظافره.

استحضر سراً شبّ الموت وعجب من نفسه كيف
أخذت تتحدّث معه وتنتزه خفية خارج جسده، بين
يديه وعينيه.

لم يلمح طفلاً أم ترى شبيه له أنّ الأطفال هنا كلهم
رجال قبل الأوان؟

لم يلمح كتاباً أم ترى شبيه له أنّ الكلمات هنا
أخشابٌ ومسامير؟

غير أنّه سمع من يقول: ينبغي أن تكون القصيدة
قناةً ينبغي أن يكون الكتاب رغيماً

(١) التاريخ جسّد خراباً، -
كيف يدخل فيه وروحه أكثر
خراباً؟ لكن كيف بهرب منه،
هو الذي يتقلب بين يديه؟

وَحُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّ الْأَبْجَدِيَّةَ طِفْلَةٌ مَتَشَرِّدَةٌ لَا مَكَانَ لَهَا مَعَ
أَنَّهَا تَقِيمُ فِي الْمَتَحَفِّ دَاخِلَ قَفْصٍ، وَأَنَّهُ أَخَذَ يَتَشَرَّدُ
وَرَاءَهَا لَكِي يَطْبِقُ عَلَيْهَا حَنَانَ ذِرَاعِيهِ .

قرأ كتابةً بأبجدية ثانية على باب أنطاكية، -

«بسم الله

أمر بعمارة الباب والأسوار بعد خرابها ودثورها ومحو
رسومها،

مولانا السلطان الأعظم مالك رقاب الأمم سيد
سلاطين العرب والعجم سلطان البرين وخاقان
البحرين وخدام الحرمين الشريفين سلطان الإسلام
والمسلمين ناظر الغزاة والمجاهدين العالم الكامل
الملك المؤيد المنصور خلد الله ملكه

في كفالة المقر الأشرفي السيفي»

(. . . .) («هنا،

كان يتدرّب على الموت في قلعة ثانية تلة عالية
تشرف على المدينة ليس فيها إلا الصّراخ وإلا قدور
الطعام التي يغطيها الذباب

كأنه يرى الآن ذلك الطاهي عابساً ضاحكاً معاً يكشف
بمغرفته الخشبية الضخمة الذباب عن وجه القدر
ثم يملأ بالمغرفة ذاتها صحنه النحاسي الصدىء .

وكان يأكل كغيره كان في الطعام رغم كل شيء
وربما بفضل كل شيء لذة ومتعة.

كان الجنون توأم الخبز والرأس فريسة القدم
ولم يكن لديه آنذاك شيء يقوله لأي شخص
لكن كان أحياناً يجروء على التنهد خفيةً
وهمساً).

قرأ كتابةً على باب الحديد، -

«أمر بعمارة هذا الحصن المنيع الباب
مولانا السلطان الملك قانصوه الغوري
عز نصره

بولاية مملوكه أبرك مقدم الألوفا بالديار
المصرية وشاد الشرايات والخانات الشريفة، ونائب
القلعة المنصورة بحلب المحروسة، أعز الله أنصاره
سنة ٩١٥».

وقرأ كتابةً على قُضطل شبادق: -

«أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك المقر الأشرف العالي
المولوي المالكي المخدومي الكامل السيفي يلغا
الصالح كافل المملكة الحليّة المحروسة أعز الله

أنصاره، من ماله، ابتغاءً لوجه الله تعالى يقبیه العطش
الأكبر يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب
سليم، في ربيع الأول سنة ٧٤٦هـ.

وقال أبجد:

رأيتُ أيّامي كأنها تخرج من الحجارة^(١)، وتندلق
أمامي. حاولت أن أقول لذلك النهار: اذهب
واتركني. حاولت أن أقول لشمسه: كوني يدي
اليمنى، ولو مرةً واحدة، واكتبي ما أمله عليه عليك.

لم تسمعي الشمس. كانت تعطي أذنيها لصوتٍ آخر.
وحُتِل إليّ كأنني غيمةٌ لا تعرف من أين جاءت ولماذا
وكيف؟ تراها غيمةٌ عشقت «حارة الجُب»؟ تراها
لا تزال في «ساحة فرحات»؟ أم لعلها أثرت البقاء في
«سوق الحراج»؟

تتهدّث: «أيتها الغيمة أنا أنتِ، وأنتِ لستِ أنا».

قرأ كتابةً على خان القصايبية، -

«أنشأ هذا الخان المبارك في أيام السلطان الملك
الأشرف أبي التّصر، قانصوه الغوري عزّ نصره، المقر
الأشرف السّيفي في عين مقدم الألوّف بالديار
المصريّة،

(١) «لما ضاقت مكّة على
بني إسماعيل وجرحهم،
تفشحو في البلاد يلتمسون
المعاش. كان لا يرحل واحدٌ
منهم إلاّ حمل معه حجراً من
الحرم، تعظيماً له، وصبايةً
بمكة وبالكعبة، يضعه حيثما
خلّ، يطوف به طوافه
بالكعبة.

ثم أخذ الناس يعبدون
ما استحسوا من الحجارة».

«كان عمرو بن لحيّ أوّل
من غيّر دين إبراهيم
واسماعيل، ونصب الأوثان.

«رأيت عمرو بن لحيّ،
يجرّ أمعاءه في النار، على
رأسه فروة» (حديث).

«قدم عمرو بن لحيّ
بصنم يقال له هُبَل، من
هيئة، من أرض الجزيرة،
نصبه على البئر في بطن
الكعبة، وأمر الناس بعبادته.
كان الرجل إذا قدم من سفرٍ
بدأ به على أهله، بعد طوافه
باليّيت، وحلق رأسه عنده».

وشاذ الشراب خاناه الشريفة بها ونائب القلعة المنصورة الحلبية المحروسة أعز الله أنصاره، ابتغاء لوجه الله تعالى. ومن تعرّض إليه كان الله ورسوله خصمه، وذلك في شعبان المكرّم سنة ٩١٦هـ.

«كان عند هبل في الكعبة سبعة قِداح، كلّ قِداح في كتاب.

العقل نعم لا منكم (وسيط)، مُلصق (لا نسب له) من غيركم (حليف) المياه».

✽

«دخل رجلٌ من جرهم بامرأة منهم إلى الكعبة فَجَرَ بها.

اسم الرجل أساف اسم المرأة نائلة، مُبِخا حجّرين.

أخرجنا من الكعبة. نُصب أحدهما على الضفا والآخر على السّرة. لم يزل الأمر يتقادح حتى صار يتمسح بهما من وقف على الضفا والمرورة، ثم صاروا وثنين يعبدان، وكان يُنخر عندهما».

✽

«دخل الرسول مكة، يوم الفتح، وفيها ثلاثمئة وستون صنماً تُسَدّها إبليس بالزّصاص. وكان بيد الرسول قُضيب، كان يقوم عليها ويقول: جاء الحق وزهق الباطل. ثم يشير إليها بقضيبه، فتساقط على ظهورها. ثم جمعت وكُثرت

هكذا يجلس الزمن في القلعة على كرسيّ يَسع التراب والهواء. حين يعمل تبرد الشمس وتمتدّد على الأرض. تخرج رياح كثيرة تسير خارج القلعة أشجاراً أشجاراً. تهيج هذه الرّياح أجزاء الكون، فينحني جسده قوساً تضطرب وتلتهب وتكون المسافة التي نسمّيها المدينة قد تحوّلت إلى جرة مملوءة عطشاً. وترطب النفس ثم تيبس ثم تنصدع، ويعلو منها بخارٌ برقة النسيم يدغدغ الشجر وما يختبئ وراءه وفي تقاطيعه من غاباتٍ ونبابيع.

للشمس في هذه المسافات خيوطٌ حين تنقطع تتحوّل إلى غيوم. وكلّ نجمة فيها طريقٌ تنزل منها ألوان تختلط بالتراب، فيتحوّل كلّ شيء: الندى مطرٌ يمشي، والثلج مطرٌ ينام.

وقال أوجد:

- رأيت في هذه المسافة حجراً أسوداً يسقط من السماء، يتكئ عليه شيخٌ، والغريان تطير فوق رأسه تنتظر موته.

ورأيت جنازةً ترافقها المشاعل والمزامير،
وكنت أسمع تسبيحَ الشجر.

وحرقت بالنار. خرجت من
أحد الأقسام المكسورة
المحروقة امرأة سوداء شمطاء
عريانة نخمش وجهها وتدعو
بالويل. قيل للرسول الخبير.
قال: تلك نائلة*.

قلتُ: بُنيت القلعة في تطابقٍ تامٍّ مع المدينة الأولى.
وسألتُ القلمَ أوَّلَ الخَلْقِ عن تكوين المدينة الأولى
فاستجاب. قال:

«خَلَقَ الخَالِقُ غمماً تحته هواءٌ فوقه هواءٌ
خَلَقَ الماءَ

* رَوَى إبليس ثلاثَ رناتٍ:
رنّةً حين أُعِين، فتنصّرت
صورته عن صورة الملائكة،
ورنّةً حين رأى الرسولَ قائماً
بمكة يُصَلِّي، ورنّةً حين انتح
الرسولُ مكة.

اجتمعت إليه ذرّيته،
قال:
- عبناً تردون أمة محمد
إلى الشرك، لكن أنشوا فيهم
التواخ والشعر».

جعل عرشه^(١) على الماء
جعل الماء على مَثْنِ الرّيح
أخرج من الماء دخاناً ارتفع فسماه السماء

(١) «تقول طائفة من أهل
الكلام إن العرش فلنك مستديرٌ
يحيط بالعالم. لكن ثبت في
الشرح أن العرش سريزٌ ذو
قوائم تحمله الملائكة. وهو
كالقبة على العالم، أو هو
سقف المخلوقات»
(الحافظ بن كثير الدمشقي).

أَيَسَ الماءَ أرضاً واحدةً - فتقها سبعاً
وضع الأرض على الحوت
الماء على حجرٍ عريضٍ أملس
الحجر على ظهر مَلَكٍ
المَلَك على الصخرة التي ذكرها
لقمن (ليست في السماء ولا في الأرض)
الصخرة على الرّيح
تحرك الحوت

اضطربت الأرض وتزلزلت
أرسي عليها الخالق الجبال فقمرت (لهذا تفخر
الجبال على الأرض).

خلق الخالقُ الليلَ قبلَ النهارِ
خلقَ الشَّمسَ والقمرَ على عجلتين، لكلِّ عجلةٍ ثلاث
مئة وستون عروة، يجرُّها ثلاث مئة وستون ملاكاً،
يسقطُ الشمسُ والقمرُ في بَحرٍ بينَ السَّماءِ والأرضِ،
وهذا كسوفهما
تخرجهما الملائكةُ جَرًّا، وهذا شروقُهما».

※

(...)

«أيتها الغيمة، أنا أنت، وأنتِ لستِ أنا».

※

ربِّما، بفعل هذه الغيمة، لم يزر عمود سمعان لم
يكن في حاجة إلى أن يحوّل حياته إلى عمود آخر
لم يكن في حاجة إلى أن يرى السَّماءَ جريدةً والشجر
أقلاماً كان انحيازه مريباً ولم تكن فضة المدينة
كلاماً ولم يكن ذهبها صمتاً.

كان النهار يتوكأ على طفولة المساء

الشمس تنام إيداناً بصلحها مع المُتعبين والليل
يتهايم ليملاً جيوبه برؤوس العُشاق

في مثل هذا الوقت الذي ينسج المدينة وتنسجه،
والذي هو صيفٌ ربيعٌ كأنه الخريف،

حَظَرَ له أن يتساءل: هل الكتابة هي، وحدها،
الشتاء؟

وخطرَ له أن يضعَ مكانَ التاء حرفاً آخر، لا لأنَّ
الأشياءَ في أوجِ وضوحها لا لأنَّ التخيلَ يفارقه
ويَنأى لا لأنَّه يعيش حقيقة ما ظنَّه خيالاً،

بل لأنَّ الكتابةَ في مثل ذلك الوقت تُشبهُ التيممَ في
أرضٍ يغمرها ماءُ المعنى

هذا ما كان يقوله الشيخُ فيه،

هل للطفل فيه نزوعٌ آخر لا يتبينه؟

ماذا تريد، إذن، أيها الطفل؟

قلت له مرّةً: «الأفكارُ سرعاناً ما تموت»، ولم يُضغِ
كان الحقُّ معك هي ذي يراها كمثلِ ثمارٍ
تتساقط ولا يأبه لها حتى البستانيُّ الذي أمضى حياته
ساهرًا عليها.

الآن، ماذا تريد أيها الطفل؟ لك كلُّ شيءٍ إلا أن
تُحاولَ إغراءه بأن يشاركَ في لهوك الفردوسي.

أنت أيضاً تخطيء أحياناً أيها الطفل.

قلت له مراراً: «أينما ذهبت في أنحاء المدينة ستري
المتنبي .

ربّما لن ترى أثراً لسيف الدولة لكن ستجد في كل
زاوية أثراً من صديقك المتنبي» .

قَلْبَ الشَّوَارِعِ نَقَّبَ فِي الْأَرْقَةِ تَقَرَّى الْجَدْرَانَ
تَسْلُقُ جِبَالَ الْهَوَاءِ أَمْسَكَ بِجِبَالِ الشَّمْسِ لَا أَثَرَ
كَلًّا لَا أَثَرَ .

أنت أيضاً تخطيء كثيراً أيها الطفل .

ليست السماء زرقاء فوق المدينة وليست رمادية ليس
للسماء لون، للسماء رائحة وليس هناك مصدر تستطيع
أن تقول عنه بيقين: هوذا أصل الرائحة. وعندما
تحاول أن تسأل الشمس أو ناحية في الفضاء، لا يأتيك
جواب تزداد حيرتك وتشط بك البلبلة
منشارٌ بعلو السماء يغوص في جسد المدينة
أهو أصل الرائحة؟

كلاً، قالت له حجارة تتوجت بالنقوش وجاهر
بالكلمة ذاتها حطّ كوفي مورق .

غضب على قدميه لأنهما لم تتعبا غضبت عليه
مئذنة جامع الأطروش لأنه لم يعرف، هو الذي يقول
برؤية ما لا يرى، أن يقرأ وجهها ولا أن يقرأ ما وراءه.

«سعيدة بهذا الفراغ الذي أتلاً فيه»: قالت له مئذنة
جامع التوتة وكان قد سلّم على جامع القيقان في حيّ
العقبة وشعر منذ وقعت عليه عيناه كأنه هو الذي يقبل
نحوه آتياً من سفرٍ في أقاليمٍ ممّا قبل التاريخ.

حيّ التُّلل، -

في حيّ التُّلل، سار وسط أريج ينبعث من ثياب النساء
وأعناقهن دافقاً كمثّل طوفانٍ أخضر أريج أحسّ
كأنه يجعله، بسحرٍ ما، كائناً غير مرئيٍّ يمضي وقته في
صناعة الغيم

لم يفهم كيف يلبس الفضاء هنا ثوباً مليئاً بالثقوب. لم
يفهم كيف أنّ الكلام هو الذي يفتح هذه الثقوب.
هل يقدر الكلام أن يتحوّل إلى نمّلٍ طائر؟.

لكن، أصغوا.

بحر قائم في الهواء

«كانت المدينة ألف قبل تكوينها جوهرة خضراء،
نظر إليها الخالق نظرة هَيِّبَةٍ، فصارت ماءً.
نظر إلى الماء غَلَى وتصاعدَ منه دخانٌ وزبد
صار الزَّبَدُ أرضَ المدينة والدَّخانُ سماءَها
شَدَّها الخالق بالجبال لكي لا تهوي أو تميد،
وجعلها مَسْكَنًا لِلرَّيَاحِ والماءِ والشَّجَرِ وحجارةِ
الكبريتِ والإنسانِ أحياناً.
وزينها بالأزمنة ووعدها بأن تتحوَّلَ إلى أرضٍ ثانية،
بيضاء - جميلة كالخبزِ ووضع في سماءها شَمْساً
من ضوئه تتدلَّى منها عجلةٌ بثلاثمئةٍ وستين عروة
يتأرجح فيها ثلاثمئة وستون ملاكاً لكلِّ ملاكٍ وجهان
الأول يُسمَّى النهار والثاني يُسمَّى الليل
وسور السماء ببحرٍ قائم في الهواء تسكن فيه النُّجوم
ويدور حول نفسه سريعاً كالسَّهمِ ومنح لكلِّ ما
فيها نعمة الكلام، -
كان النَّسرُ يأتي إلى الحوت في البحر فيخبره بما في
البرِّ، ويأتي الحوت إلى النَّسر فيخبره بما في البحر».

الشمس والقمر

«كانت الشمس في المدينة ألف تسقط أحياناً من عجلتها، وتسود، تخويفاً للناس.

وكثيراً، كانت تُحبس هي والقمر، تأديباً، -

وكانا يسجدان ويصليان ويستأذنان بالشروق، فلا يُؤذَن لهما، إلا بعد انقضاء ثلاث ليالٍ حيث يكونان في سُرّة السماء،

ويأتي إليهما ملائكة يأخذ بقرونهما، ويطلعهما من الشرق، من باب التوبة.»

تكوين

(المدينة ألف)

«نصبَ بانيها أخشاباً

شدها بحبالٍ طويلة تتدلى منها أجراسٌ صغيرة ووصلها بعمودٍ من الرخام علق على العمود جرساً كبيراً أمر البتائين أن يضعوا أساساتها دفعةً واحدة من سائر أقطارها حين تتحرك الحبال ويرنّ الجرس.

ثم أخذه النوم

في نومه

جاء غرابٌ أسودٌ أبيض جلس على حَبْل
الجَرَس حركه رَنَ الجرس الكبير وتحركت
الجبال وخفقت أجراسها الصَّغيرة آنذاك وضع
البنّاؤون الأساسَ دفعةً واحدة

وتَمَّ هذا كلُّه بحيلٍ

وحركاتٍ فلسفيّة .

كان بناء المدينة طبقاتٍ بقناطر عالية يسير تحتها
الفارس، رافعاً رمحه وكان لهذه القناطر والطبقات
ثقوبٌ للضوء ومنافذ للهواء وقيل إن المدينة بنيت
على مثال مدينة أخرى تجلس على كرسي من الرُّجاج
بهيمة السرطان في جوف البحر - مليئة بالتمثيل:
تمثالٌ يشير بسبابة يده اليمنى نحو الشمس أينما كانت
تعلو الشمس فتعلو السبابة وتنخفض فتتخفص .

تمثالٌ يُنبئ بالعدوّ -

حين يدنو من المدينة

يسمع للتمثال صفيرٌ هائل .

تمثال يقيس الوقت: يستقبل كل ساعة تجيء بصوتٍ
يختلف عن صوته الذي استقبل به الساعة التي مضت .
مصادفةً مرَّ أبجد في ناحيةٍ من المدينة ألف يقال
لها، شجرة الرقوم. تمتد هذه الناحية بين جهتين
- وفُسِّر ذلك بأن ساكنيها لا يعرفون المستطيل أو
المرتع أو المثلث أو متوازي الأضلاع أو غيرها من
مثل هذه الاشكال هي خَطٌّ مستقيمٌ أو متعرجٌ أو
مُحنٌّ أو لولبيٌّ: خَطٌّ له بدايةٌ محدَّدة ونهايةٌ محدَّدة.

الإنسان في هذه الناحية جهتان: أبيض أو أسود،
قصير أو طويل، فقير أو غني. الكون كذلك جهتان:
واقٍ ووبق. لذلك نادراً ما تتحدث عن شيء اسمه
البرّ أو البحر وهي إن تحدّثت عن البحر تسمّيه جهنّم،
وإن تحدّثت عن البرّ أو اليابسة سمّتها الفانية.

في هذه الناحية تسير الجبال سير السحاب فتكون سراباً
وترتج الأشجار فتكون كالسفن في البحر أو كمثل
القناديل المعلقة في الريح

وفيها صُوْرٌ

ينفخ نفخة الفرع

ونفخة الصّعق

ونفخة القيام للربّ،

فيطير الناس هاربين من الرعب، فتلقاهم الملائكة
وتضرب وجوههم.

وفي هذه الناحية،

تطلع الشمس من المغرب قصّة ذلك أنّها كلّما
غربت جاءت إلى العرش سجدت استأذنت
في الرجوع يأذن لها وحين يقرّر العرش أن
تطلع من المغرب تستأذن في الرجوع فلا يسمح لها
يطول الليل تعرف أنّها وإن أُذِن لها لن تدرك
المشرق تجيء إلى العرش وتقول:

رَبِّ، ما أبعد المشرق! مَنْ لي بالنّاس؟

وحين يصير الأفق مثل الطّوق، تستأذن في الرجوع،
فيقال لها:

- ارجعي واطلعي من مكانك هكذا تطلع على
الناس من المغرب

وفي ناحية أخرى رأى شجرة الزقوم كانت تفصله
عنها أمة هي بين الأمم كالشعرة البيضاء في الثور
الأسود (وقال آخرون: كالشعرة السوداء في الثور
الأبيض)

حول شجرة الزقوم سوق لا يُباع فيها ولا يُشترى إلا
صور النساء والرجال مَنْ يشتهي صورةً يدخل فيها

ثم تجيء ریح تهبّ في الثوب والوجه، فيرجع
المسافر إلى زوجته أجمل وأشهى
ويكون الضخر كافرأ،
والمسك عالياً كالجبال.

رأى كرسياً أخذ يكلمه، وليس بينهما ترجمان.
كان عنده حوض، وعند الحوض ميزان
ورأى رجلاً في كفة فيها تسعة وتسعون سجلاً لذنوبه
وخطاياهم وفي الكفة الثانية بطاقة كالأنملة فيها كلام
كانت الكفة التي تحمل البطاقة هي الزجاجحة.
كان حول الميزان بقرة كمثّل الغمامة، والكتب تتطاير.
وقيل له هنا تبدأ مدينة الواق.

التفت رأى حشداً يسير على خيط رفيع يقال له
الشعرة يستجدّ حتى يصبح كشفرة السيف ويستحزّ
حتى يكون كمثّل الجمر كان الجميع صامتين إلا
واحداً يركب ناقه وآخر يغني بصوت يشبه الأذان
مَرّوا على الشعرة عُراً محجلين -

واحدٌ كمثل انقضاض الكوكب،

واحدٌ كمثل الرّيح،

آخر كمثل شدّ الرّحلي - يُزِيلُ رَمَلاً.

حين رأى الخالق، ما رأى، أمر الملائكة أن يرشوا ماءً
يقال له ماء الحياة أخذ التاجون يبتون كما يبت الحَبُّ
في السّيل الجميل، ويخرجون كأنهم اللؤلؤ وفي
رقابهم عقودٌ وخواتيم.

سمع أحدهم يقول:

لكلّ شخص في مدينة الواق خيمة من لؤلؤة واحدة،
مجوّفة، طولها ستون ميلاً.

ولكلّ رجل في مدينة الواق اثنتان وسبعون زوجة
يدخل في كلّ واحدة دَحْماً دَحْماً.

وفي مدينة الواق فرسٌ من ياقوتة حمراء لها جناحان
تحمل الرّجل وتطير به حيث يريد.

وفيها شجرة تخرج الثياب من أكمامها، وهي ثيابٌ لا
تَبْلَى، وفيها سحائب لا تُسأل شيئاً إلا أمطرته حتى
أنّ بعضهم يقول للسحابة: أمطرينا نساءً، فتمطرهم
نساءً.

وعنقود العنب فيها لا ينتهي يظل صاحبه يأكل منه
حتى نهاية العالم وهو كبير بقدر مسيرة شهر
للغراب

وفيه شجرة يقال لها الظلّ الممدود يسير الإنسان في
ظلّها مئة عام. وليس في الواق شجرة إلا ساقها من
ذهب^(١).

فيما أخذ يفتكر في هذه المدينة العجيبة خرج عنق من
النار وبدأ يتكلم كان رجل يتجه نحو العنق
سمع العنق يزفر وراه ينزوي وينقبض ثم يشهق
إليه شهقة الناقة إلى بعيرها وكان قعر النار سبعين
خريفاً.

وعرف أنّ هذه مدينة الويق.

أصغى سمع الرّجل يتحدث مع الخالق أو يتحدث
إلى نفسه:

- «مستني ريمها يا رب، وأحرفني حرّها.

(أزاحها الربّ عن وجهي).

- يارب، قربني إلى باب الواق.

(١) روى أحدهم، قال:
«رأيت في هذه المدينة صنماً
عظيماً رجلاه في الأرض،
ورأسه في السماء. أعلاه من
ذهب، وأوسطه من فضة،
وأسفله من نحاس. وساقاه
من حديد ورجلاه من نحاس.
فبينما أنا أنظر إليه قد أعجبتني
حسنه، وإحكام صنعته، قدفه
اللّه بحجر من السماء، فوقع
على قمة رأسه، فدقّه حتى
طحنه. فاختلط ذهبه وفضته
ونحاسه وحديده وفخّاره حتى
تخلّلت إليّ لو اجتمع جميع
الإنس والجن على أن يميزوا
بعضه من بعض، لم يقدرُوا
على ذلك، ولو هبت ريح
لأذرتة. ونظرت إلى الحجر
الذي قدف به، يربو ويعظم
حتى ملأ الأرض كأنها.
فصرت لا أرى إلا السماء
والحجر...».

(قَرَّبَنِي قَانِلًا: لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَ ذَلِكَ)

سكت قليلاً، ثم قال:

- يا رب، أَدْخَلْنِي مَدِينَةَ الْوَاقِ.

(قال: أَلَمْ تَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْأَلَنِي؟ مَا أُغْدِرُكَ، يَا بَنَ آدَمَ لَكِنْ، مَا زَالَ يَسْأَلُهُ وَيَدْعُوهُ حَتَّى ضَحَكَ. حِينَ ضَحَكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَأْذَنُ لَهُ بِالذَّخُولِ إِلَيْهَا.

(أَدْخَلْنِي وَقَالَ: اشْتَهِيَ كُلَّ شَيْءٍ!)

اشتهيت كل شيء وحضر بين يدي كل ما
اشتهيت.

وقال لي: خَلِّصِ اللَّبْنَ مِنَ الْمَاءِ!»

«مدينة الويق ناز كلها،

النار التي نعرفها جزء من سبعين منها ضربت بالبحر
مرتين، ولولا ذلك لم يكن فيها منفعة لأحد،
وكانت نار مدينة الويق حمراء ثم اشتعلت ألف سنة
فابيضت ثم اشتعلت ألف سنة فاسودت وهي الآن
سوداء بيضاء

فوق هذه النار جسر أدق من شعرة وأحد من
سيف عليه كالليب وحسك ويعبر الناس عليه
كمثل الریح والبرق، وكمثل أجاويد الخيل.

ورأى رجلاً، يجيء وعلى ظهره شاة لها ثغاء،
وأخر على رأسه فرس تحمحم،
وأخر قتيلاً يمشي ورأسه في يده.
ورأى واحداً ينتعلُ نعلًا من نار، ودماغه يغلي من
حرارة نعليه، ورأى رجلاً يحكي ثم يسكت فجأة،
وحين سكت فمه أخذت تتكلم ساقاه.
ورأى واحداً يُصَبُّ الحميم على رأسه فينفذ من
الجمجمة حتى يصل إلى جوفه فيسلب ما فيه ثم يمرق
من قدميه،
ورأى شخصاً يُرمى في عين من النار يقال لها غساق،
ثم يُخَرَّجُ منها وقد سقط جلده ولحمه عن عظمه،
فِيُعَلَّقُ جلده ولحمه في كعبه، ويترك وحيداً يمشي
يجرهما وراءه كما يجرّ ثوبه
ورأى فوق أهل مدينة الويق سحابة سوداء تناديهم:
ماذا تطلبون؟ فيقولون: ماء، ماء!
لكنّ السحابة تمطرهم سلاسل وجمراً
وكان بعضهم يتمدّد في توابت من حديد توضع في
القعر في تنور صغير كمثل القمع يقال له: جُبّ
الدّمع. وقيل إنّ لهم طعاماً ذا عَصَّة لا يدخل البطن
ولا يرتفع إلى الفم، فيبقى بين المعدة والحلقوم.

وأهل مدينة الويق لا ينامون ولا يموتون . يجلسون في
التار، يأكلون التار ويشربونها ويلبسونها. وقيل بين
أذن المقيم في مدينة الويق وكتفه مسيرة سبعين خريفاً .

وكان يسمع ضجيجاً فيقال له هذه أحجازُ أرسلت في
مدينة الويق منذ سبعين خريفاً، والآن تصل إلى
قراها .

وقال أبجد:

حين يستقر أهل مدينة الواق وأهل مدينة الويق كلُّ في
مدينته، يجيء واحدهم بكبشٍ لونه أسود يخالطه
بياض يضعه على الشعرة وينادي:
يا أهل مدينة الواق، أتعرفون هذا؟
فيقولون: نعم، إنه الموت .

ثم ينادي:

يا أهل مدينة الويق، أتعرفون هذا؟
فيجيبون: نعم، هذا هو الموت .
ثم يذبح الموتُ الكبش فوق الشعرة، ويقال لأهل
المدينتين:

خلودٌ في ما تجدون،

خلود ولا موت .»

الذّكرى

III - II

المدينة هاء

المدينة هاء

مولودة لا تقدر أن تنهض من الفراش
الذي ولدت فيه .

*

تركب المدينة هاء

عربة تائهة،
لا تفكر، لا تحلم، ولا تتوقف عن الكلام .

*

تقول المدينة هاء :

إن لم تكن سعيداً بي، أنت يا من تبحث عن السعادة،
فابحث عن وكر - تمدد فيه،
سُد فمك وأذنيك،
أغمض عينيك، ونم، ولا تستيقظ .

*

المدينة هاء

تُحل الكلام محل الأرض -
هكذا لا تظهر فيها الكلمات إلا مغطاة
بعباء الغيب .

*

المدينة هاء

تفصل بين الوردة وعطرها
وتحرض الجسد على أعضائه .

✽

المدينة هاء

عربة تجرها ألفاظٌ أنحلها السير .
مكانٌ يهمس أخباره
في أذني سجن .

✽

المدينة هاء؟

ضعوا رؤوس أعدائكم على رفوف الهواء ،
وانتظروا الطير الأبايل .

✽

المدينة هاء

ذئبة تقتل كل يوم غزاةً
لكي تغتسل بمسكها!

✽

المدينة هاء

تغطي وجهها وتضع على رأسها قبعة ،

لها كذلك أطراف خاصة
تحكّ بها ظهر التاريخ .

✱

المدينة هاء
جسر بين العنق والمشنقة .

✱

المدينة هاء -
كثيراً، رأيتها تركب نهدين
من معدنٍ لا أفقه شيئاً من أسرارهِ .

✱

المدينة هاء
تعيش هانئةً في مزمار
يعيش هانئاً في طَبَلٍ .

✱

المدينة هاء
تحمل زمناً أعرج أبكم
يحمل تماسيح - بيوتاً للناس .

✱

المدينة هاء

كمثل عبارة في حرفها الأول رجل

في حرفها الأخير امرأة،

وبينهما جسر

لا من الحب لا من العمل،

بل من القتل .

ثلاث لافتات على بوابة المدينة هاء

- ١ -

لا وجود لشيء اسمه الحرية
وما لا وجود له ، لا يحتاج إليه الإنسان .

- ٢ -

لن تقبلك هذه المدينة
إلا إذا أقمت فيها ومعها
على بضع خطواتٍ من جهنم .

- ٣ -

تأملوا في هذا السيف :
غمده رأسٌ
يحرس سجيناً هو نفسه رأس .

المدينة واو

كل عمل تقوم به المدينة واو، تحسبه نصراً. لذلك
تحيا في هزيمة متواصلة.

*

تحتفي المدينة واو بماضيها كثيراً، ظناً منها أن الأشياء
والأفكار لا تدخل التاريخ، إلا عندما تصبح خارج التاريخ
- متحجرةً.

*

حولت المدينة واو سكانها جميعاً إلى آلات. لم يعد
أحد منهم يبادر للقيام بعمل ما، بل لم يعد يدري ماذا يفعل.
ينتظر كل منهم يداً تجيء من فوق، أو من خارج، لكي تجد
له مكاناً أو ثقباً في سلسلة ألتها الثانية، الموصولة بالآلة
الأولى.

*

طبيعي أن يجد الفأر نفسه حراً في السجن الضخم الذي
أقامته المدينة واو لغزلانها.

*

أن تقول لبلادك، كما تقول لأملك، أحياناً، أكرهك،
وأن تقبل منك ذلك، فيما تحتضنك، أمر يؤكد عظمتها،

ويعطيها القيمة والمعنى .

وهو أمر لا تريد المدينة واو أن تفهمه، وترفض أن
تسمعه .

※

غداً، لن يكون للمدينة واو وللمقبرة إلا اسم واحد .

※

التفت، أيها العابر في المدينة واو: قل لي كيف أمحت
الطرق يميناً وشمالاً وراءك وأمامك؟

※

يصرّ سيد المدينة واو على أن أفراد الأمة يمكن أن
يكونوا مشوهين، وأن تكون الأمة في الوقت ذاته، كاملة
الخلق والخلق!

※

نعم، تحلم المدينة واو، هي أيضاً، لكنها لا تحلم إلا
بالخلاص من هؤلاء الذين تسميهم المرضى والذين يتحدثون
عن الحرية .

※

كل شيء في المدينة واو متهم، أو مشتبه به . ولست
مستثناة، أنت أيتها الوردة . حتى لو صارت لك أجنحة وطرت
بعيداً، فسوف يقال عنك: هه؟ تحولت إلى غراب .

※

أن تحيا في المدينة واو، هو أن تشبع دائماً جنازة
الحياة.

*

كل ساكن في المدينة واو، يفكر راهباً ويعمل شرطياً.

*

التقدم في المدينة واو، هو أن تنتقل من سجن كامل إلى
سجن أكثر كمالاً.

*

لا تقرأ القصيدة في المدينة واو، ولا تكتب إلا بوصفها
دجاجة.

*

واحد وواحد وواحد إلى ما لا نهاية، لا تساوي في
المدينة واو إلا واحداً.

*

لماذا تسكن في المدينة واو؟
- لأنها تتيح لي أن أختبر العدم، وأنا حي.

*

الكلمات في المدينة واو ليست أبجدية، إنها نوع آخر
من الحيوانات الداجنة.

*

أَتنبأ أن تتحول الحجارة في المدينة واو إلى ملائكة .

✽

أن يمشي مخلوق على قدمين لا يعني بالضرورة أنه
إنسان : هذا ما نتعلمه من المدينة واو .

✽

أوه، لماذا لا تسقط المدينة واو إلا على رأس الإنسان؟

✽

تمضي المدينة واو وقتها باحثة في كيفية تحويل القدم
إلى رأس، والمعدة إلى أذنين!

✽

قال العدم للمدينة واو : أحب أن انتمي إليك .

✽

ليس ساكن المدينة واو مسجوناً داخل جدرانها
وحسب، وإنما هو مسجون أيضاً داخل رأسه .

✽

العنف هو لازورد المدينة واو .

✽

كتب - أبواق وركب منحنية، كتب - سلاسل يقين،
سدود ومتاريس، كتب - دروب مقطوعة، كتب - لا تجرؤ أن
ترفع بصرها، كتب - حروب لقتل الأخ أخاه، كتب - أصول
في فن إبادة الرغبات: تلك هي بعض من الكنوز التي تختزنها
المكتبة العامة في المدينة واو.

✽

يخترق المدينة واو نهر، نصفه دم، ونصفه الآخر سائل
لتمويه الدم.

✽

التبريز في فن اعتقال الهواء وسجنه، التبريز في فن
محاكمة الورد، التبريز في فن صيد الأصوات: اختصاصات
جديدة أضافتها المدينة واو إلى الاختصاصات المعروفة في
برامجها التربوية.

✽

ما لا يقال عن المدينة واو، هو القنديل الذي أكتب في
ضوئه ما يقال.

✽

المدينة واو فأس بطيئة تحفر قبراً بلا قرار.

✽

المدينة زاي

قَدَمَ إلى الجهة التي تفتتح الفوضى،
قَدَمَ إلى الجهة التي تفتتح النظام،
الجهتان هما معاً طريقه إلى المدينة زاي
ومنها تجيء وحدة خطواته:
مفارقة لا ترقى إليها أية مسيرة.

*

تتكوّن المدينة زاي من الحروف التي تكوّن اسمها،
لا أكثر،
وربّما أقل.

*

تكرّر المدينة زاي دائماً:
ليس بين الجئة والجئة،
إلا مسيرة نقطتين.

*

(من يوميات عشرتُ عليها بين أوراق شاعر نفته المدينة زاي،
ومات في المتفى):
أ - «الموت نفسه ليس مخرجاً.

ب - بَخَرُوا أَعْضَائِي بِالرَّفْضِ ..

ج - للكلمات هي أيضاً جثث

وهي غالباً تظلّ سابحةً في رأس هذه المدينة .

د - أناسٌ

يحملون أفكارهم في جيوبهم .

هـ - أرفض أن أطرّد شياطيني ،

وإلا كيف أقدر أن أرى الملائكة؟

و - أنتزّه كلّ صباحٍ ، مع رفيقي الدائم :

المستحيل .

ز - ليس للحصاد أخلاقٌ غير ما يقوله المنجل ،

ولا حيلةٌ للسنابل .

ح - منذ اللحظة التي ولدت فيها

بدأت أتعرف على موتي .

ط - ربما انقسمت في نفسي ، خصوصاً في شعري ، إلى

أشخاصٍ عديدين . ربما حرّضت أحدهم على الآخر ،

وواجهت أحدهم بالآخر ، وانتصرت لأحدهم دون الآخر .

وهذا كلّهُ ، لكي أكتشف الاحتمالَ ، الممكن ، الوجه الآخر .

لكي أهدم بلاده الوضوح ، ولكي أعطي للتناقض حدوده

القُصوى .

*

المدينة حاء

ليس الجسم وحده هو الذي يفتت في هذه المدينة، بل الاسم أيضاً. رضي الأول أن يتمدّد في حقيبة من التراب، وقيل أن تحمله، مع أنها تشبه القبر. غير أنّ الثاني الذي رفض أن يتخذ له كفناً إلاّ من كتان القمر، لا يزال يلتطم بحجر لا أعرف كيف أصفه. ليس في كلّ حال، الحبر الذي تنتجه آلة المعنى.

أتحدّث عن غائب، لكنه في الوقت نفسه حاضر. ويكتب كلّ يوم في هذه المدينة.

*

تنزلق بين أوراقه، ملء كلماته،
شظايا منطفئة تترمد بطيئاً بطيئاً،
صفائح من معادن يجهلها،
هالات لا يقدر أن يفسرها ألاّ بمعاجم الكيمياء، وهي
ليست بين يديه.

وثمة شهبٌ تخترق فضاء المدينة حاء ملوّنة حتى
كواحلها بلهب الغضب،
يُشبّه له أنه يحيا فيها.

*

القلب - مفكراً، والعقل - عاشقاً:
هكذا تريد له الحياة أن يكون، لكي يقدر أن يعيش في المدينة
حاء .

*

- (من خواطر شاعر في المدينة حاء، مات شاباً):
- أ - كيف أنتمي إلى وطن، لا ينتمي هو نفسه إلي؟
- ب - مئة رغيف من القمح، لا تصنع رغيفاً واحداً من
الذرة.
- ج - تجاهل وأنس،
إن كنت تريد أن تتجدد باستمرار.
- د - أيها القصص، إنك تملؤني شيخوخةً.
- هـ - لا أخاف، ولا أفاجأ: ذلك أنني لا أمل شيئاً.
- و - الغزالي - مُستنجداً بأبي نواس: هذا هو المشهد الذي
سيتركّر في الغرفة الطيبة المقبلة، غرفة التشريح
المعرفي.
- ز - المسألة هي أن تكذب السماء، إن شئت أن تصدق
الأرض،
وأن تكذب الأرض إن شئت أن تصدق السماء.
- ح - لن اعترف بأخطائي إلا لهذه الغيمة العابرة.

المدينة طاء

من زمن، دخلت شفرة الموت في عنق المدينة طاء،
لاتكاد أن تفتح لك أبوابها،
حتى تدخل في متاهة من العناق بين الموت والأفق.
تشعر كأنها لاتحيا بأحيائها، بل بموتها.
تشعر كأن حياتها اليوم هي موتها أمس.

※

من زمن، دخلت شفرة الموت في عنق المدينة طاء،
لم تعد إلا عربة تجرها ألفاظ أنحلها السير في صحراء
الآلة،

لم يكن لمعماريتها أن يتنبأ أن نوافذها لن تمتلئ
بالأعين بل بالستائر

ولا تتحقق من بشاعة الآلة إلا في هذه المدينة:
ترى جسدها يثنّ تحت أكداس القمامة، من كل نوع،
وتكاد أن تصرخ عالياً ملء الأرض
هي ذي محاكم تفتيش أخرى لقتل الإنسان.

※

من زمن، دخلت شفرة الموت في عنق المدينة طاء،
كل ساكن فيها،

يعيش في ورقة، في خزانة، في دكان .
هكذا يتحول فيها التاريخ إلى حانوت، وتتحول
الكلمات إلى نساء يسرن في الشوارع بنصف جسد،
هكذا تبدأ الشمس يومها خطأ في المدينة طاء،
مثلك أنت، أيها العابر .

*

من زمن، دخلت شفرة الموت في عنق المدينة طاء،
ولست هنا لأوحد بين الرباب والأرغن أو لكي أمزج حزني
بوردة الغياب .

أنا هنا لكي أمعن في التساؤل:
هل المنفى أول العتبات وآخرها؟
هل التاريخ بيت أشباح؟

*

من زمن دخلت شفرة الموت في عنق المدينة طاء،
هكذا يغمرك فيها ضوء -

لا ضوء الشمس الطالعة، بل ضوء شمس غابت .
هكذا واكبني فيها مستقبل تخيلته واستدعيته،
وأخذ يقرأ معي:

لكن، ما تأويلك أيها الشعر؟

*

من زمن، دخلت شفرة الموت في عنق المدينة طاء،
ألهذا تدخل أعضاؤك إليها في عيد، وتخرج منها في جنازة؟
ألهذا تقرأ أينما توجهت عينك في صفحة فضائها:
«التاريخ غبار ذاكرة، والحاضر ذاكرة غبار»؟

(خواطر عُثْر عليها بين أوراق شاعرٍ
نفته المدينة طاء)

- أ - «أفضل اليدِ الصديقةَ على اليدِ العاشقة،
غير أنْ مشكلتي هنا،
هي أنني لا أعرف حبّاً خارقاً، ولا أعرف صداقةً
خارقةً.
- ب - لا يذكر صديقي أنه عاش يوماً واحداً، خارج هذا
المأزق:
إمّا أن يفصلَ عن نفسه لكي يلتقي بالآخر،
وإمّا أن يفصلَ عن الآخر لكي يلتقي بنفسه.
- ج - يموتُ من كوني حيّاً، -
مسكين هو. لا أملك، مع ذلك، إلا أن أشفقَ عليه.
- د - لماذا أشعر أنني مشرّدٌ إلى الأبد، في كلِّ جملةٍ أكتبها؟
- هـ - نام اللّيل على وسادتي،
فيما كنت ساهراً.
- و - عَضِرٌ، -
سريزٌ تهزّه الآلة.
- ز - تنحني سنابل القمح للريح،
لا لكي تُحييها،

بل لكي توذعها.

ح - ليحصى الشاطئ، حكمة ما أرجبها وما أقواها:

بصمتٍ أبدئ، يُصغي

إلى الموج الذي يثرر أبدياً.

ط - أنكلم كثيراً على المتاه،

لا تظنوا أنه في العالم الخارجي -

إنه في أحشائي .»

المدينة ياء

يتكلمون في المدينة ياء على الأجنحة دائماً، لكن ليس
في كلامهم غير القيود.

*

تبدو السياسة في المدينة ياء كأنها مِرْجَلٌ ضخمٌ بحجم
العالم، مليءٌ بحساء الرؤوسِ من كل نوع.

*

لو صَحَّ أن تكونَ الحريةَ جسماً، لما كان هذا الجسم
في المدينة ياء، إلا حشداً هائلاً من الجراح خِيط بعضها إلى
بعض في هيكل يطفو تائهاً في نَهْرٍ من الدم.

*

تؤكد المدينة ياء، وفقاً لتقاليدها وتعاليمها، أن
المعرفة، في البدء، لم تكن للإنسان، بل للغراب، وأن
القتلَ (وليس الكلمة) هو الذي كان في البدء.

III

هانَ على قلبه الزّمانُ، فما
يبينُ فيه غمٌ ولا جدلُ
في سعةِ الخافقينِ مضطربٌ
وفي بلادٍ من أختها بدلُ.

المتنبي

- ٣١ -

السَّارِي أَبُو عَمْرٍو^(١) يَخْرُجُ،
يَقْتُلُ بِاسْمِ الدِّينِ،
وَيُحَارِبُ، يُقْتَلُ بِاسْمِ الدِّينِ.
مَا أَعْجَبَ هَذَا الْإِيمَانَ، وَأَعْجَبَ
مَنْهُ أَنَّ الْقَاتِلَ وَالْمَقْتُولَ سِوَاةَ
فِي عِلْمَيْنَا!

- أ -

يَبْكِي آدَمَ
لَا مِنْ إِثْمٍ، لَا مِنْ نَدَمٍ أَوْ مِنْ حُزْنٍ.
يَبْكِي فَرِحًا
مِنْ نَشْوَتِهِ
بِبَهَاءِ الْعَالَمِ.

* طَبَّخْنَا، وَتَطْبَخَ هَذَا الْوَجُودَ
عَلَى نَارِهَا الْمُلْغَزَةَ،
حِكْمَةَ الْمَعْجِزَةِ.

- ب -

نَضَلَّ دَهَبٌ

يَنْقُذُ حَتَّى الْقَلْبِ. تُرَاهُ

كان نزيلاً في فردوس؟

- ٣٢ -

سيز^(١) إلى قرطبة

أيها الرأس، لا عهد عندي

لمن كان ضدي.

أُتْرَاهُ الْخَالِقُ يَنْفَخُ أَيْضاً مِنْ رَوْحِهِ

في الرُّمَحِ؟ تُرَاهُ

تَسْبِيحُ الْقَاتِلِ، بِاسْمِ اللَّهِ، ضِيَاءٌ

يَصْدُرُ فَيْضاً عَنِ تَسْبِيحِهِ؟

* يُولَدُ الْغَيْبُ تَوَامَ قَابِيلَ - قَتْلًا،

تُولَدُ الْأَرْضُ تَوَامَ أَنْشُودَةٍ.

(١) الحكيم، صاحب الأندلس، يخاطب رأس عمه، المقطوع، سليمان. وقد بعث به إلى قرطبة ليراه الناس، اعتباراً.

في نَسَا^(١)،

النساء سبايا،

والبلادُ رمادٌ -

هل تشكُّ؟ تقدِّم

لك أن تتفحص،

أن تلمسنا.

- ج -

قل، إذن، أيها الفقيه،

أيا هاديي الحيازي،

قل لنا: أي ماءٍ

يطهر مائدة الحنجره

من أقاويلها المنكرة؟

لاتقل هذه وحدة بيننا،

لاتقل ذاك وضل،

ليس بيني وبينك غير الصحاري.

* بيد من ضياء

ترسم الشمس وجه الحجر،

وبحبر الهباء

يرسم الله وجه البشر.

(١) الإشارة إلى علي بن عيسى بن ماهان، قتل في مدينة نسا، أبا الخصيب وسى نساء وذريته.

- ٣٧ -

- أ -

«هوذا أجهزتُ عليه،

وَاشْتَاصَلْتُهُ،

- جعفرُ كان شهاباً

وَأَنَا مِنْ سِوَاهُ، مَنْ أَشْعَلُهُ،

وَأَنَا أَطْفَأْتُهُ».

- كيف، لماذا؟

- «لو أعلمُ أن قميصي

يعلمُ ذلك،

أُخْرِقْتُهُ»^(١).

- د -

عندما يلبس اللّيل جلبابه

ويُجِيشُ حولي تهاويله

ويقول: تَهَيَّأ، أَتَتَكَ الرُّؤْيُ

في بوارقٍ مكسوّةٍ بالغيوم.

لا أرى ما أفيءُ إليه

أو أفوضُ جسمي إلى جسمه،

غيرَ مغراجِ هذي التجوم.

* لم تَبُحْ هذه المثلثة

بِالْقَتِيلِ - بِمَنْ تَلَّهُ، وَبِمَنْ جَرَّهُ،

وَبِمَنْ كَفَّنَهُ،

وَحَدَهُ التَّحْلُ نَكْسُ أَغْصَانُهُ.

(١) الكلام للخليفة الرشيد، بعد أن قتل جعفر البرمكي، ونصب رأسه على جسر في بغداد، وقطع جسمه نصفين نَصَبًا على طرفي الجسر، ثم أُخْرِقًا.

- ب -

لا برامكة، حاصروهم
وأبيدهم .

وخذوا جعفرأ -

قيدوه بقيد حمار . اضربوا عنقه،
وانصبوا رأسه عالياً،

واقطعوا جمسه قطعتين -

اصلبوا القطعتين على الجسر،
ثم احرقوه .

لا برامكة - لا أمان لهم، لا
أمان لمن ينتمي إليهم، ولمن
يلجأون إليه .

واقتلوهم كباراً صغاراً، وعلى
كل درب،
وفي كل دار .

- ه -

أصحيح

أنا لا نموت، كما قال بعض النبوات،
لكننا ورَقُّ يتساقطُ من شجرٍ لا نراه،
نغير أيقاعنا وخطانا
وسراييلنا

ونسافر من ظاهر الجواب إلى باطن
السؤال -

زادنا صمنا

والدروب أظلة أيامنا
والمطي الخيال .

أصحيح

ما تراءى لتلك النبوات، يا هذه السهول
ويا هذه الجبال؟

* كيف نقدر أن نفهم العقاب
السموي، أو نفهم الثواب،
والحقيقة تأتي وتمضي - غيمة تتشع
في رقة الهدب، أو لمعة من سراب؟

قال عن نفسه

إنه السيد الحاكم الكامل

وهو مفتاح هذا الوجود، وميزانه العادل
بعده، لا كلام: لا سؤال ولا سائل.

فلماذا صمّت وآمنت، يا أيها المتفقه،

كالآخرين، وأنت الأمين المرجى،

كما علمونا،

وعيرك مستتبع جاهل؟

- ج -

أنس بن أبي؟

ذاك سيفي تحت فراشي،
خذ، يا عبد، واضرب به عنقه.

- د -

«آه، واجعفرأه»:

كان يهذي ابن عثمان^١ في
شربه. إني وخصي له
وشياً للرشيد: اضربوا
عنقه/

ضرب الابن عنق أبيه.

- هـ -

آه، واحيرناه،

ما تقولون في الابن يقتل،

زُلفى لسلطانهِ، آباء؟

* من أين يجيء، وكيف يجيء

ليجلس في كرسي الحاكم،

طاعون دائم؟

(١) كان أنس بن أبي صاحباً
لجعفر، ومتهما بالزندقة.(٢) هو إبراهيم بن عثمان بن
نهيك. كان يذكر البرامكة
ويبكي عليهم، فإذا شرب
البيد مع جواربه يأخذ سيفه
ويقول: واجعفرأه، واستدأه
والله لأتعلن قاتلك ولأثأرن
بدمك. وشئ به للرشيد ابنه
وخصي له. وابنه هو الذي
أسرع وضرب عنقه، امتثالاً
لامر الرشيد.

- ز -

يهبطُ وبتهُ الخالقِ نحوكُ، لكن

تعلو بين يديه -

معجوناً بهما

مرسوماً بهما

محمولاً في مَوْجِهما .

عَجَباً!

كيف تجيء، إذن، مجبولاً

بالشَّيخ، وكيف تكون شقيماً؟

(١) نصّ الرسالتين، كما وردتا في المصادر التاريخية .

- أ -

«من نقفور ملك الروم، إلى هارون ملك العرب، أما بعد، فإنّ الملكة التي كانت قبلي، أقامت مقام الرخ، وأقامت نفسها مقام البيدق . فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بك أضعافه إليها . لكن ذلك لضعف النساء وحمقهن . فإذا قرأت كتابي هذا، فاردد ما حصل لك من أموالها، وأذكر نفسك بما تقع به المصادر لك، وإلاّ فالسيف بيننا وبينك» .

- ب -

«من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الرّوم، قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب، ما تراه دون ما تسمعه» .

- ٣٥ -

- أ -

«من نقفور^(١) ملك الرّوم،

إلى هارون ملك العرب :

كان حقيقاً أن تحمل أنت المال

إليّ، لهذا

أطلب أن تُعطيني

ما أعطتك الملكة -

ضعفاً واشتخذاً .

ولسوف أحكم سفي

إن لم تفعل» .

- ب -

«من هارون إلى نقفور، كَلْبِ

الرّوم: إليك جوابي -

لن تسمعه، لكن سترأه» .

* تتساءلُ؟ ضوءُ التساؤلِ هادٍ، ولكنّه

افتتانٌ

لا يقودكُ إلاّ لكي تترحلَ من مهمّتهِ

إلى مهمّتهِ .

- ح -

إِنَّهُ الدَّرْهَمُ
 يَتَدَثَّرُ أَحْلَامَهُمْ، وَيَغْتَبِرُ مِيثَاقَهُمْ
 وَيُصَوِّرُ أَيَّامَهُمْ
 وَيَقُولُ لَهُمْ مَنْ هُمْ .
 أَلْحَيَاةُ تَمُوتُ، تُسَيِّعُ، تُدْفَنُ -
 لَمْ يَتَقَدَّمْ إِلَى قَبْرِهَا
 حَاكِمٌ أَوْ فَاقِيهٌ .
 وَحَدَهُ الشَّعْرُ، صَلَّى وَعَنَى .

- ٣٦ -

ثورة في طرابلس العزب
 ضد الولاة،
 مزجت حمزها بالذماء،
 وأسياها بالصلاة.

* أَلْقَرَابِينُ فِي مَنْجِنِي،
 وَالْمَصْلُونُ يُلْقَوْنَ أَيَّامَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ
 فِي دَمٍ فِي رِصَاصٍ: فِي قِذَائِفٍ وَعَدِيدٍ .

- ٣٧ -

- أ -

إِسْمَرْقَنْدُ^(١) فِي هَذِهِ الْآوَنَةِ

أَنَّ الرِّمَّةَ الْوَاحِدَةَ -

قَاتَلُونَ وَقَتَلُوا

وَحُرُوبٌ نَغِيبٌ، وَأُخْرَى

خَلْفَهَا كَابِنَةٌ.

- ب -

سَيْفٌ^(٢) يَنْكَسِرُ، يَهْوِي

فِي قُبْضَةِ سَيْفٍ.

- ط -

لَا أُرِيدُ وَلَا أُتْحِرُّ - لَكِنْ

أَصَادِفُ:

بَيْنِي وَبَيْنَ الْكَلَامِ

شَهَوَاتٍ -

مَرَّةً، لَا أَفِيؤُ،

وَأَتْرِكُ جَسْمِي لِبَاسِهَا.

مَرَّةً، لَا أَنَامُ

لَا أَصَادِقُ إِلَّا شَهَوَاتِي وَمَعْرَاجَهَا، -

تَتَغَيَّرُ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَتَغْيِيرُ أَمْوَاجِهَا.

* زَمَنْ بَيْتٌ: وَعَدُّ لِقَاءِ

لَكِنَّ الْبَابَ، الْجَدْرَانَ، السَّقْفَ،

وَكَلَّ نَوَافِدِهِ،

تَلْوِيحَاتٍ وَدَاعٍ.

(١) تمرّد رافع بن الليث على عامل سمرقند. قتله، واستولى عليها.

(٢) سيف بن بكير، خرج وقتل.

- ٣٨ -

- أ -

يَسْكُرُ ابْنُ هِشَامٍ^(١)

بالرؤوس: الدماء له كالخمر -

الرؤوس كؤوس لها .

مرّة، تندحرج بين يديه،

وينكس أجسامها .

مرّة، فوق أعواده

لعب مُتَرْفٍ/

سكّر مُتَرْفٍ .

- ي -

اِزْتَابَ، اسْتَوْحَشَ: كَلَّ كَبِيرٍ

صار صغيراً في عينيه،

وَتَفَرَّقَ ذِهْنُهُ:

يَسْمَعُ ما لا يُسْمَعُ

ويرى ما ليس يراه أحدٌ .

قال فقيهٌ عنه:

هذا رجلٌ مجنونٌ .

* فاجأته الغيومُ

بتأويلها،

عندما راح في الليل يقرأ ما كتبه إليه

النجوم .

(١) قتل الحكم بن هشام، كما يُروى، ما يزيد على خمسة آلاف من أهل طليطلة وأعيانها. وصلب جماعة من قرطبة منكسين، وضرب أعناق جماعة.

- ب -

تَرَوَانُ^(١) يَشُورُ، سَوَادُ الْكُوفَةِ
أَخْضَرُ، وَالْأَشْجَارُ بِيوتُ .

أَتْرَى حَظَّ الثَّائِرِ

يَبْقَى فِي أَرْضِ اللَّهِ،

وَعِنْدَ مَلَائِكَةِ

الْآتِي،

حَظًّا عَائِزًا؟

- ج -

«أَهْدَمُوا^(٢) فِي الثُّغُورِ الْكِنَانِسَ،
قُولُوا لِأَصْحَابِهَا:

الْبِسُوا مَا تَشَاوُونَ إِلَّا

الْبِئْسَ الَّذِي يَتَرَانَا

بِهِ الْمُسْلِمُونَ، وَقُولُوا لَهُمْ:

ارْكَبُوا غَيْرَ مَا نَرُكَبُ

فَلَنَا مَذْهَبٌ وَلَكُمْ مَذْهَبٌ» .

- ك -

بَابِلُ سُرِقَتْ شَمْسُهَا

وَمَجَامِزُ يُونَانَ مِنْ بَعْدِهَا

لَهَبٌ ضَائِعٌ .

كُلَّ شَيْءٍ لَكَ الْآنَ، يَا أَيُّهَا الْمَتَفَقَّهُ،

جِسْمٌ

وَرِعٌ ضَارِعٌ .

أَنْتَ بَابُ الْخُرُوجِ إِلَى كُلِّ بَابٍ،

وَأَنْتَ الصَّنِيعَةُ وَالصَّانِعُ .

(١) ثروان بن سيف قتل عاتمة أصحابه .

(٢) «أمر الرشيد يهدم الكنائس في الثغور، وأمر أهل الذمة بمخالفة هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم» .

* سَاعَةُ الْمَتَفَقَّهِ رَمْلٌ
عَقْرِبَاهَا كَلَامٌ
لَا يَقُولُ سِوَى نَفْيِهِ .

- ل -

قَالَ فَقِيهٌ يَهْدِي طِفْلاً:

لَا مَهْرَبَ

لَنْ تَقْدَرَ أَنْ تَذْهَبَ

حَتَّى لَوْ فُتِحَتْ أَبْوَابُ

حَتَّى لَوْ مُهَدَّتْ طُرُقُ.

- ٣٩ -

- أ -

حمزة^(١) سيفٌ

يَنْتَرُهُ بَيْنَ رِقَابِ النَّاسِ.

- ب -

أذربيجان والحُرْمِيَّةُ^(٢) في ثورٍ،
والرشيدي يوجّه فرسانه إليهم:

«اقتلوا كلَّ شبَّانهم،

وبيعوا ذراريهم

كالعبيد»/

ذاك أمرُ الرّشيدي.

مَا أَعْجَبَ هَذَا الشَّيْءَ الرَّاسِخَ فِيكَ،

الْأَقْوَى مِنْكَ،

الصَّارِخَ دَوْماً:

لَا مَهْرَبَ.

* الأذَانُ يُدَلِّي قِنَادِيلَهُ

فِي قِبَابِ الْمَسَاءِ

يِرْتَقِي زَفْرَةَ زَفْرَةَ

دَرَجَاتِ السَّمَاءِ.

(١) حمزة الخارجي.

(٢) كان قائد جيش الرشيد
عبد الله بن مالك بن الهيثم
الخزاعي.

- ٣ -

- ما الفَرْقُ بين الرَّمحِ في يدِ مُسلمٍ
والرَّمحِ - رُوميّاً؟ أذلك مؤمنٌ
والآخر الروميّ كافِرٌ؟

- أسألتني؟ لا، لا تُكابر

أنى لك الإيغالُ في سِرِّ الأصولِ،
وأنت شاعِرٌ؟

- ٤٠ -

صَلَّى، حمدَ اللّهُ، وصاحَ كأنَّ
على شفتيه ناراً:

هاتوه^(١)، واذعوا قِصَاباً لِيُقْضَبَهُ،
وأرى كيف يَقَطِّعُ عضواً عضواً.

ثم تنهَّد: يا اللّهُ،

مَلَكْنِي أيضاً من رافعٍ

لأزى،

كيف يُسافِرُ في الأحشاءِ

وفي الأعضاء،

الحدُّ القاطِعُ.

* قال يهدي امرأةً تلطم خديها على
عاشقها:

عملٌ كُفْرٌ - من البِدْعَةِ أن يُلْطَمَ
خَدٌ فوق مَيْتٍ.

(١) قبيل موت هارون الرشيد
في طوس دعا بقِصَابٍ وأمره
أن يَقَطِّعَ أعضاء بشير بن
الليث، فلما فرغ القِصَابِ من
عمله، أغسى على هارون،
ولم يلبث أن مات. وكان قد
قال له: «والله، لو لم يبق من
عمري إلا أن أحزك شفنتي
بقتلك، لقتلتك». ورافع هو
أخو بشير.

- ن -

(١) الفضل بن يحيى
البرمكي، ومات في حبسه
بالزقة. كان يقال عنه: «لم يُرَ
في العالم مثله».

- أصحح،

مَلِكُ المَوْتِ خَيْلٌ، وهو لا يَأْكُلُ،
واللَّحْدُ

كَمَثَلِ المَهْدِ، أَسْرَارُ طَقُوسٍ؟

- ٤١ -

مات في حبسه الفضل^(١)،
كانوا يقولون عنه:
«لا مثيل له في البشر».

- أصحح

تُخْرِجُ الرُّوحَ مِنَ المُؤْمِنِ رَشْحاً،
وَمِنَ الكَافِرِ تَنْسَلُ انْسِلَالاً؟

- أصحح

يَضْغَطُ القَبْرُ عَلَى صاحِبِهِ؟
أَصْحَحْ أَنَّهُ يَحْكِي وَيَمْشِي؟

إنقطع إنقطع
أي هذا الوتر.

* صرَخَ الجَلَادُ: غَرِيبٌ

كَيْفَ تَطُولُ وَتَنْمُو هَذِي الشَّجْرَةُ؟
لَا نَابَ لَهَا، لَا أَظْفَارَ -
مِنْ أَيْنَ تَجِيءُ إِلَيْهَا الثَّمَرَةُ؟

- ٤٢ -

- أ -

القتالُ يمزقُ بغدادَ،
بغدادُ في كلِّ يومٍ
تبتخرُّ في حلَّةٍ من جُثثٍ
في قصور العَبَثِ .

- ب -

جِيءَ بِرَأْسِ عَلِيٍّ^(١) :

طُوبَى الْجِسْمِ كَطَيِّ الثُّوبِ ،

يَدَاهُ

فِي رِجْلَيْهِ .

لُفَّ بِلْيَدَيْهِ

وَرَمَوْهُ فِي بَيْتِهِ .

قال بزهو طاهر^(٢) :

«رَأْسُ عَلِيٍّ بَيْنَ يَدَيْهِ ،

وَهَذَا خَاتَمُهُ -

حمداً لله» .

- س -

يَنْبَغِي أَنْ تَسَافَرَ ، يَا أَيُّهَا الْفَقَهُ ،

فِي أَلْفِ لَيْلٍ وَلَيْلٍ :

تُفَرِّقُ مَا بَيْنَ نَجْمٍ وَنَجْمٍ

وَتَجْمَعُ مَا بَيْنَ فَجْرٍ وَفَجْرٍ ،

وَتَوَالِفُ بَيْنَ التَّقْيِضِينَ :

وَجْهَ الزَّوَالِ وَوَجْهَ الْأَبْدِ ،

قَبْلَ أَنْ تَتَلَمَّسَ بَدَأَ الطَّرِيقِ

لَيْسَرَ الْجَسَدِ .

* زَمَنْ تَتَقَدَّمُ أَيَّامَ عَقْرِيهِ الْمُبْهَمِ
فِي طَبُولِ الدَّمِ .

(١) علي بن عيسى بن
ماهان ، قائد جيش الأمين .

(٢) طاهر بن الحسين ، قائد
جيش المأمون .

- ع -

أُتْرَاهِم، مثلما قيل عنهم،
يَشْتَرُونَ الْجِبَالَ وَعِقبَانَهَا
وَالغِيَوْمَ وَأَطْفَالَهَا
وَيَبِيعُونَ لَيْلَ الْبَحَارِ؟
أَلْهَذَا، إِذْن، لَا يَرُونَ الْحَقُولَ، وَلَا
يَنْحَنُونَ عَلَى الْوَزْدِ، لَا يُؤْمِتُونَ
إِلَى الْجُلَنَازِ؟
أَلْهَذَا، إِذْن، سَاجِرُ الْقَوْلِ يَمْلَأُ كَفْيِهِ
مِنْ فَلَكيِّ الْقِمَارِ؟

(١) الأمين والمأمون.

- ٤٣ -

خَرَّبُ الْأَخْوِينِ^(١): رَحَاهَا
أَدغَالُ جَنُونٍ.
إِذْنٌ يَنْصَلُّ مِنْ أَبِيهِ
وَأَنْخٌ لَا يَقْتُلُ إِلَّا أَخُوِيهِ.

* لو قيل الفقه قراءة ظنُّ
لا تُلْزَمُ إِلَّا الظَّنُّ، فَمَاذَا
سَيَقَالُ إِذْن
عَنْ لَغَةِ تَتَهَرَّأُ فِي شَفْتِيهِ
عَنْ جَسَدِ الْأَرْضِ الْمَخْنُوقَةِ بَيْنَ
يَدَيْهِ؟

- ف -

كَلَّمَا جَاءَ وَقْتُ الْهَلَالِ
يَتَخَيَّرُ مِنْ إِرْتِه قِنَاعاً، ثُمَّ يَهْبِطُ فِي خَفِيَّةٍ
يَدْوُرُ، يَخْصُ النَّسَاءَ بِأَسْرَارِهِ،
وَيَقُولُ الَّذِي لَا يُقَالُ.
وَيَسْأَلُ أَعْضَاءَهُ:

أَتْرَاهُ يُحَسِّنُ الْمَطْرَ
بِالْأَنْبِيَاءِ الَّذِي يَتَّصَعَدُّ مِنْ شَهَوَاتِ الشَّجَرِ؟
أَتْرَاهُ يُحَسِّنُ الشَّجَرَ
بِالْأَنْبِيَاءِ الَّذِي يَتَنَزَّلُ مِنْ شَهَوَاتِ الْمَطْرِ؟

- ٤٤ -

عَرَادَاتٌ وَمَجَانِيقٌ:

بغدادُ حصارٌ -

عَيَارُونَ^(١) عُرَاةٌ

وَيَخُوضُونَ الْحَرْبَ عُرَاةً

إِلَّا مِمَّا يَسْتَرُّ عُورَةَ كُلِّ مِنْهُمْ.
وَالرَّأْسُ مُغَطَّى

بِالنَّخُوصِ الْمَحْشُورِ بَرَفِيلٍ:

خَوْصٌ سَمَوُهُ خُوذَا.

وَالْمَقْلَاعُ سِلَاحٌ لَهُمْ -

نَهَبُوا بَغْدَاداً،

صَارَتْ بَغْدَادُ خَرَاباً -

«قَفَّرَ خَلَاءَ تَعْوِي

الْكِلَابِ بِهَا

يُنَكِّرُ مِنْهَا الرُّسُومَ زَائِئِهَا».

(١) العَيَارُ هُوَ الشَّخْصُ الَّذِي
لَا يَهْتَمُّ بِأَسْمَارِ عَيْشِهِ وَإِنَّمَا
يَعِيشُ كَيْفَمَا أَتَفَقَّ. وَقَدْ ظَهَرَ
العَيَارُونَ فِي بَغْدَادِ فِي أَثْنَاءِ
الْحَرْبِ بَيْنَ الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ.
وَالْبَيْتُ الْأَخِيرُ لِلشَّاعِرِ
يَعْقُوبَ الْخَرِيمِيِّ مِنْ قَصِيدَةٍ
طَوِيلَةٍ مَشْهُورَةٍ، كَتَبَهَا فِي
خَرَابِ بَغْدَادِ، آنَذَاكَ.

وَلَعَمْرُوبِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
الْعَيْثَرِيِّ قَصِيدَةٍ فِي وَصْفِ
العَيَارِينَ قَالَ فِيهَا:

«خَرَجَتْ هَذِهِ الْحُرُوبُ
رَجَالاً

لَا لِقِطْحَانِهَا وَلَا لِنِزَارِ؛

مَعْتَسِرِينَ فِي جِوَاهِرِ الصُّوفِ
يَغْدُونَ إِلَى الْحَرْبِ، كَالْأَسْوَدِ
الصُّوَارِيِّ

لَيْسَ يَدْرُونَ مَا الْفِرَارُ، إِذَا
الْأَبْطَالُ عَاذُوا مِنَ الْقِتَالِ بِالْفِرَارِ
وَاحَدٌ مِنْهُمْ يَشُدُّ عَلَى الْفَيْنِ
عُرْبَانٌ مَا لَهُ مِنْ إِزَارِ

وَيَقُولُ الْفَتَى إِذَا طَعَنَ الطَّعْنَةَ
خِذَاهَا مِنَ الْفَتَى الْعَيَارِ».

* عِنْدَمَا تَشْهَدُونَ الْقَمْرَ

وَشَوْشُوا الْبَحْرَ، عَطَّوْا سَرِيرَ مَنَامَاتِهِ
بِشَرَاةِ السَّفَرِ.

عالمٌ داخِلٌ

كيف نُصغي إلى وَقعِهِ
والدَّرُوبِ إليه بلا مَنَفِّدٍ؟

عالمٌ خارجٌ

كيف نَقْتَصُّ آثارَهُ
والدِّماءِ تَغْطِي خُطاهُ؟

عَبَثٌ نحن فيه ومنهُ

والرِّياحِ تَبْدَلُ قِمصانَهُ
وَتُجَدِّدُ أحوالَهُ.

- ٤٥ -

- أ -

ذَبَحُوا مِنْ قَفَاهِ الْأَمِينِ^(١):

خَذُوا رَأْسَهُ

إِلَى طَاهِرٍ.

نَصَبُوا رَأْسَهُ فَوْقَ رُمُحٍ. خَذَوْهُ
لِلْخَلِيفَةِ كَيْ يَطْمِئَنَّ،

خَذُوا بُرْدَةَ الْخِلَافَةِ، وَالْمَخَاتِمَ،

الْقَضِيبَ: اطْمَأَنَّ الْخَلِيفَةُ،

لَمَّا رَأَى

كُلَّ هَذَا، وَخَزَرَ سُجُوداً: «لَكُمْ
أَلْفُ أَلْفٍ...»

* لست فقيهاً،

وأنا لا أشربُ خمرأ:

ما يَشْرَبُ عقلي، لا أشربه.

(١) «نُصِبَ رَأْسُهُ عَلَى بَرَجٍ،
وَكُتِبَ عَلَيْهِ: «هَذَا رَأْسُ
الْمَخْلُوعِ مُحَمَّدٍ».
أَمَرَ الْمَأْمُونُ لِمَنْ أَتَوْا
بِالرَّاسِ بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ».

- ب -

أجسام أجسام^(١)تتحول في الشهوات إلى
ضلبان.

ألمخمور يقيم النهب،

القتل، الحرق

ثلاثة أيام في قرطبة

ونواحيها.

ألمخمور يسوق الناس

فرادى وجماعات،

كالأنعام.

- ق -

هل أقول لذلك الفقيه:

خُلِقْتُ وفي قدمي دروبُ الضياع؟

هل أقول: لهذا تلبس جسمي

حال القلاع -

يتغلغل فيها، يروز مفاتيحها،

يتبطن أسوارها.

هل أقول له كيف أجمع بين

الطبيعة والطبع:

كي أتعلم أسرارها.

(١) قتل الحكيم بن هشام في
الأندلس، وكان يُنادى: يا
مخمور، عدداً كبيراً من
المتمردين عليه في أرباض
قرطبة. وقيل إنه اختار ثلاثمئة
من وجوههم، فقتلهم
وصلبهم منكرين. وأقام
النهب والقتل والحرق ثلاثة
أيام.

* رجل - نجمة تتطوح، تتساب في

لجة البحر،

تطفو على الماء، تعلو وتشرذ

في طبقات الغيوم، -

أتراها تجنُّ التجوم؟

أَوَّلُ الدَّهْرِ يَغْفُو عَلَى زُنْدِي الْآنَ،

أَقْرَأْ أَحْوَالَهُ،

وَأَقَالِيْمَيْهَا، وَتَقَاسِيْمَيْهَا، -

أَسْأَلُ الشَّمْسَ: لِمَ يَبْقُ مِنْهُ

غَيْرَ مَا حَفِظْتُهُ،

وَمَا قَلْتُهُ -

مِثْلَمَا قَرَأْتَهُ الْغِيَوْمَ

فِي كِتَابِ التَّجْوِمِ.

(١) الكلام للحكيم ابن هشام، مخاطباً أحد قزاده. والخارجي المشار إليه نائز من البربر. ويقال إن الحكيم صلب اثنين وسبعين شخصاً من أعيان قرطبة وفقهائها، لمجرد تقديم إياه على شرب الخمر والانهماك في الملهذات.

- ٤٦ -

«سيز إلى ذلك الخارجي»^(١)،

وجئتني برأسي،

فأنا ها هنا قاعدٌ في انتظارك،

إن لم تجشني به، ساجيءٌ

برأسك» - هذا هو الرأس بين

يديه،

والأمير، كما قال، في قصره

قاعدٌ.

* هَاتِيهَا، نَحْبِكَ الْآنَ، يَا أَيُّهَا المَارِقُ

أَنْتَ بَابُ الدَّخُولِ إِلَى كُلِّ سِرٍّ،

وَأَنَا الطَّارِقُ.

- ٤٧ -

- أ -

إقطعوا رأسه^(١) وطوفوا به،
واقطعوا جسمه اثنين - نصفين:
نصفاً إلى ضفة، ونصفاً إلى
ضفة، -

دجلة ظامىء للظنر

كيف يُذبح في ضفته البشر.

- ب -

قتلوه^(٢) - بعضهم قال: أعطني
سماً،

وهو في سجنه.

- ش -

هَمْتُ، غَنَيْتُ، نَادَيْتُ:

يا أَلَفَ الْبَدءِ، يا ياء،

يا أَيها الأَبْدُ

كيف تزعمُ أَنَّك أبقى وأجملُ من ذلك

الحجرِ المتوحدِ

في ركن بيتي؟

عَجِبِي يَتَوَعَّلُ فِي غِيهِ، وَصَوْتِي

بَطَرٌ، هَائِمٌ.

لم يُجِبْنِي فقيهٌ، لم يُجِبْنِي أَحَدٌ.

* بدم الأزمته

يَتَّبَعُ مُسْتَسْلِمًا

للحروب وأهوالها

جسدُ الأمكنه.

(١) الإشارة إلى قتل أبي
السرايا قائد عسكر الطالبين
الخارجين في الكوفة، سنة
٢٠٠ هـ.

(٢) هزيمة بن أعين.

- ت -

لا نعرف إلا أشياء

لا أسماءَ لهنَّ، ونعرفُ أنّ

الإسمَ كمثل الطّيفِ،

وما أبعدُه

حتّى حين نجاهِرُ: ما أقربُه!

أهناكَ فقيهُ يعرف سِرَّ الإسمِ،

ويعرف أين يكون، وكيف يَجيءُ

المعنى؟

- ج -

يا يحيى^(١)، كيف تُسمي

رأسَ الإيمانِ، أميراً

للكفّار؟ - تُراكَ سُمّتَ الدّنيا،

فطلبتَ الموتَ لكي تترحلَ

عنها؟

* ليس لي ثقةٌ في نجومِ

لا تقبل، في كلِّ يومٍ،

كتفتي شاعري.

(١) يحيى بن عامر ابن
إسماعيل، الذي قتله المأمون
لأنه قال له: يا أمير الكافرين.

- ث -

نَصْنَعُ مِنْ كَرْسِيٍّ وَطَنًا
وَنُسَيْجَهُ

برؤوسِ قُطِعت، بِجِرابِ تَدْمِي
وَنَعَزْزَهُ

بِسُجُونِ لَا حُرَّاسَ عَلَيْهَا
إِلَّا قَتْلٌ -

يُنَارُ، أَوْ يَسْتَكْمِلُ قِتْلًا.

اجلس، يا هذا التاريخ الواهن في

أحضانِ الفقه - تَمَّتْ

وارقُدْ مِثْلَ رَمَادٍ.

- ٤٨ -

- أ -

بعد أن قطعوا رأسه^(١)

ربطوا جسمه بِحَبْلِ عَلَى جَذَعِ
رَمَحٍ، وَطَافُوا بِهِ فِي مَدِينَةِ بَغْدَادِ
- مَرَّوًا عَلَى بَيْتِهِ لِيَرَاهُ ذَوُوهُ،
وَطَافُوا بِهِ الْكَرْبَخَ، ثُمَّ رَمَوْهُ إِلَى
دَجْلَةٍ -

أيها النهر، ما أنْهَمَكَ!

أيها النهر، ما أكرَمَكَ!

* كِي أَضْحَكَ أَوْ كِي أَبْكِي

أَسْكَبُ ظَنِّي فِي خَطَوَاتِي،

وَأَذِيبُ يَقِينِي فِي شَكِّي.

- ب -

آذَى فُسَاقِ الْحَزْبِيَّةِ، وَالشُّطْرَازِ
النَّاسِ كَثِيرًا.

قَطَعُوا فِي بَغْدَادِ الطُّرُقَا

أَخَذُوا غُلَمَانًا وَنِسَاءً، جَهْرًا.

فِي فُطْرُبَيْلٍ، رَاحُوا يَنْتَهَبُونَ،
وَقَالُوا:

لَمْ يَبْقَ مَكَانٌ فِيهَا،

أَوْشِيءَ،

إِلَّا سُرْقًا.

- خ -

أَبْدِيٌّ - وَلَكِنْ

لَا يَكُونُ، وَلَا يَتَجَلَّى،

وَلَا يَتَمَثَّلُ إِلَّا

فِي دَمِ زَائِلٍ:

هَذِهِ صُورَةُ الْعَيْبِ أَوْ صُورَةُ الْكُونِ،

أَوْ صُورَتِي -

وَلَكَّ الْآنَ أَنْ تَتَيْقَنَ، أَوْ تَتَحَيَّرَ،

يَا أَبَيْهَا الْمَتَفَقَّهُ،

يَا سَائِلِي .

* لَا يَجِيءُ الْأَبْدُ

لَا تَجِيءُ السَّمَاءُ إِلَى الْأَرْضِ إِلَّا

فِي نَشِيدِ الْجَسَدِ .

- ذ -

- عندي، يا مولاي سؤال.

- قلته.

- كيف يقول العضو العضو، وينزل فيه - في ماء القلب، وكيف يلبس، كيف يعيش الباه الباه؟

- سبحان الله. سؤالك؟ ماذا قلت؟

أتسأل؟ عفواً

تلك أمور

لا يعلمها إلا الله.

٢٠٢ هـ.

- ٤٩ -

- ١ -

خلعوا^(١) المأمون، وقالوا:

إبراهيم بن المهدي، خليفتنا.

- «كلاً،

لا طاعة للمأمون

ترك التشويد، وشاء الخضر،

هذا

مسحور، أو مجنون!».

* النساء اللواتي ربطن سريري

إلى قصب في ضفاف التهر،

لم يزلن كما كنَّ - جبراً غريباً

في كتاب الصور.

- ض -

جَرَسٌ يَعشُقُ الأَذَانَ، أَدَانٌ

تَتَرْتُمُ أجْرَاسَهُ -

باسم تلك الجبال التَّحِيلَةَ فِي الصَّوْبِ،

بِاسْمِ اهْتِزَازَاتِهَا،

ومقاماتها،

وإيقاعها.

(١) الفضل بن سهل، وكان يوصف بأنه «ذو الزناتين» القلم والسيف. قتله في الحمام أربعة أشخاص مختلفو الأصول، وقد ضرب المأمون رقابهم، وهم غالب المسعودي الأسود، قسطنطين الزومي، فرج الدبلي، موقف الصقلي.

(٢) بابك الخزمي الذي ادعى أن روح جاويدان بن سهل حلت فيه. قاد أصحابه الجاويدانية وتمرد.

قيل عنه: «دينه دين الفرج، ويؤمن بالتناسخ».

- ب -

إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ بِسُودُ الكُوفَةِ. حَزْبٌ.

هوذا الفُضْلُ^(١)، وزيرُ المأمون، قَتِيلٌ.

- ج -

أَعْلَنَ بِابْكِ^(٢): «جاويدان روح حلت في جسمي

صارت معاني،

وصار اسمي».

* قمرُ اليوم يفركُ بالجانليق

يديه، وبالفقه يفركُ أجفانه، -

أتراه يعود إلى بيته سالمًا؟

- ٥٠ -

- أ -

بَغْدَادُ تُعَيَّرُ : تَخْلَعُ

إبراهيم بن المهدي،

وتدعو

للمأمون.

- ب -

قال المأمون: «الناس على

دَرَجاتٍ، -

مظلوم، أو ظلام

أو لا مظلوم لا ظلام.

الأول يرجو منا عدلاً،

والثاني يرجو عفواً،

والثالث مُسْتَعِين،

يكنيه بيت يرتاح إليه».

- ظ -

كنت أعرف سِرَ القتالِ، وأنشودةَ النَّصْرِ،

أعرفُ كيفَ سَيُخَفَّرُ قَبْرِي، وَيُصَلَّى عَلَيهِ،

ومن سِينُوحِ عَلِيٍّ، وكيفَ وَأَتَى،

وأعرفُ شَكْلَ الزَّهْوَرِ التي سَتَكْدُسُ حَوْلِي،

وَاللُّوْنَ وَالزَّائِحَةَ،

عندما كُنْتُ أَصْغِي لَصَوْتِ الفَقِيهِ

يُرْتَلُ مَرَّاتَهُ

لِلشَّهِيدِ المَشِيحِ، أو يقرأ الفاتحة.

* اهبطوا أيها الصّاعدون، وذوقوا

بهاء الهبوط،

ما الذي كان آدم لولا الخطيئة، لولا

السُّقُوطُ؟

غ -

لِعَصَا لَمْ تَكُن حَيَّةً

وَلَنْ تَتَحَوَّلَ فِي الْجَهْرِ أَوْ فِي

الْخَفَاءِ إِلَى حَيَّةٍ،

تُشْعَلُ الْأَرْضُ قِنْدِيلِهَا

وَتُقَدَّمُ لِلْعَاشِقِ الْمَتَمَرِّدِ،

مِرَاتِنِهَا

وَسَرِيرَ هَوَاهَا

وَمَنْدِيلِهَا، -

هَلْ أَقُولُ: السَّلَامُ عَلَى مَنْ عَصَى

أُيْهَذِي الْعَصَا؟

- ٥١ -

«قد أبحثنا^(١) الكلام:

فَمَنْ قَالَ حَقًّا، حَمِدْنَا

وَمَنْ قَالَ جَهْلًا، نَبَذْنَا.

إِجْعَلُوا بَيْنَكُمْ أَصُولًا:

الكلامُ فروغٌ

فَإِذَا مَا افْتَرَعْتُمْ،

رَجَعْتُمْ إِلَيْهَا».

* نَهْرُ التَّكْوِينِ، مِنْ هَابِيلَ مَشْطُورٌ

يَمِينًا وَشِمَالًا،

مَا الَّذِي يَشْطُرُ بَيْنَ الضَّفَتَيْنِ

غَيْرُ حَرْبِ الْأَخْوِينِ؟

- غ ٢ -
(استطراد)

سأل الزواي:

(١) علي بن أبي طالب

ما رأي الفقه بقول علي^(١)

لغريب ضنيف كان يسير لبيت المقدس - (هذا إن
صح الثقل):

«لماذا السير لبيت المقدس؟ بغ رحلتك

وأقيم في الكوفة - في مسجدِها

ألركعة فيه خمس في غيره.

فيه صلى إبراهيم، وصلى كل نبي، كل
وصي^(١).

(٢) في رواية: «الف نبي،
الف وصي».

وعصا موسى فيه، واليقطين، وفيه.

فَارَ التُّورُ، وفيه

ماتَ يَعُوْثُ وماتَ يَعُوْقُ وفيه

صلى نُوحٌ -

فلماذا السير لبيت المقدس؟»

وثنى الزواي:

قالوا: غمس الله حروفه

في دمع^(٣) الكوفة.

(٣) في رواية: جنير.

هوامش



إذا اعتاد الفتى خوض المنايا
فأهْوَنُ ما يمرّ به الوحولُ.

المتنبي

دنانير المغنّية

ماتت سنة ٢١٠ هـ.

(١) يحيى بن خالد اليرمكي.

نَبَغْتَ عِنْدَ يَحْيَى (١)

وَكَانَ الرَّشِيدُ يُحِبُّ السَّمْعَ إِلَى صَوْتِهَا: أَبَتْ أَنْ تَغْنَى

لِغَيْرِ الْبِرَامِكَةِ - اسْتَأْثَرُوا بِهَوَاهَا.

وَأَبَتْ أَنْ تَغْنَى حَتَّى لِهَارُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ،

وَلَمْ تَقْبَلِ الزَّوْجَ، وَظَلَّتْ

بَعْدَهُمْ، فِي اعْتِزَالٍ عَنِ النَّاسِ،

فِي بَيْتِهَا -

إِلَى أَنْ قَضَتْ.

أبو العتاهية

مات، سنة ٢١١ هـ.
سجنه المهدي العباسي لأنه
هجر قول الشعر وهذبه بالقتل
إذا لم يعد إليه!

هجرَ الشعر - قَرَّرَ أن يتوقَّف عن قوله :

لماذا، ومايَـرَ هذا القرازُ؟

أهُوَ الشعرُ لهُوَ؟ أم طريقٌ بلا مخرجِ

تَتعلَّم فيها الفرازُ؟

أهو الجِسَّ أنا نغامِرُ فيه ونهُوي إلى لاقرازُ؟

ولماذا يثور الخليفة، يُلقيه في السَّجنِ : «تبقى سَجِيناً

إذا لم تعد إليه،

وقد أقتلُك .

ها أنا أُمهلُك» .

عادَ للشعر، أطلِقَ من سجنِهِ .

ما الذي قاله بعد ذلك : شعِرُ

لمجد الخليفة، أم شعر فاجعةٍ واعتبارُ؟

.....

شاعِرٌ كان في بدء أَيامِهِ بائعاً للجِرازِ .

هشام الفُوطي

فيلسوف معتزلي، مات
سنة ٢١١ هـ. (وفي رواية،
مات سنة ٢٢١ هـ.). من
آرائه: «الناس لو كفوا عن
الظلم، لا استغنوا عن الإمام»
وَصَفَهُ الفُخْرِي فِي تلخيص
البيان، بأنه «الشيطان».

قال هشامٌ:

«لو كَفَّ النَّاسُ عَنِ العِدْوَانِ،

لَكَانُوا اسْتَغْنَوْا

عَنْ كُلِّ إِمَامٍ»،

كَلَّا لَا حَاجَةَ لِلسُّلْطَانِ

إِلَّا حَيْثُ الظُّلْمُ وَحَيْثُ العِدْوَانُ.

أَلْهَذَا سَمَوَهُ الشَّيْطَانُ؟

إبراهيم الموصلي المغني

لم يكن دجلة نرجساً
لهوأي ولا مَرَكباً،
والفرات على عهدِهِ
سفنٌ مِن جراح، -
مُدَّ لي يدك الآن، يا حُبُّ،
ذَهْرِي مُسْتودِعٌ
لِالأعاصير تجتاحني -
ودمي مُسْتَباخٌ.

جبرائيل بن بختيشوع

قال، وكان قوله

يَسْتَشْرِفُ العَصُورُ:

« لا شأنَ لي بِمَذْهَبِ

لاشأنَ لي بِسِلْطَةِ،

أَوْثُرُ أن أكتبَ في الطَّعامِ والسَّرابِ،

أو في صَنَعَةِ البُحُورِ. »

الأصمعي

مات سنة ٢١٥ هـ. من
أقواله المشهورة: «الشعر نكدٌ
بابه الشرُّ، فإذا دخل في الخير
قُسد».

رَغْبَةُ الشَّرِّ تَنْسَابُ فِي رَغْبَةِ الْوَضْلِ،
وَالْوَضْلُ يَنْسَخُ أَحْوَالَهُ
فِي تَجَارِيِبِ تَنْسَخِ أَحْوَالِهَا
لَيْسَ لِلشَّعْرِ، فِي لِحْظَةِ الْوَضْلِ، إِلَّا
أَنْ يُفَارِقَ أَهْوَالَهُ
وَيُعَاشِرَ أَهْوَالَهَا.

أبو الهذيل العلاف

شيخ المعتزلة في وقته .
مات سنة ٢٢٦ هـ . يقول ابن
الراوندي ساخراً من إحدى
مقولات العلاف «ولِي اللّهُ
يتناول الكأس من بعض
أزواجه، في نعيمه، بيده
اليمنى، ويتناول من بعضهن
ماتحفه اللّهُ به، بيده اليسرى .
إذا أخضر وقت السكون
الدائم (سكون أهل الخُلدين :
الجنة والنار) الذي هو آخر
الأفعال وهو على تلك الحال
فبقي كهينة المصلوب ماذا
بيده في جهتين مختلفتين» .
حضر مجالس المأمون، وكان
يحاول أن يوفق بين القرآن
وأراء أرسطو، في ما يتعلق
بفكرتي الخلق واللّهُ .

قُلْ لي :

ماذا أخذت يَدُكَ اليسرى

مِن تَحْفِ اللّهُ، وماذا

في يَدِكَ اليمنى :

نَهْدُ، أم كأسٌ؟

كأسٌ؟ أي شرابٍ؟

لكن الساكنَ في الخُلدين

هل يتحرّكُ،

هل يتجلّى، هل يستترُّ؟

أم هو غَيْبٌ في المابين؟

قل لي : أين يكون هنا وهناك،

هذا القدرُ؟

أبو تمام

مات سنة ٢٢٨ هـ. قيل
عنه: «كان يسقي الناس ماء
بالجزّة في جامع مصر» / «كان
يخدم حائطاً بدمشق» / «كان
أبوه خماراً بدمشق» / «كان
أسمر طويلاً حلوا الكلام، فيه
تمتة يسيرة».

لأبي تمام

جَبْرٌ فِي الضُّوءِ، وَضَوْءٌ

فِي طَبَقَاتِ الْجَبْرِ، لَهُ مِيثَاقٌ

مَعَ مَجْهُولَاتِ

يَسْتَشْرِفُهَا، يَسْتَخْلِصُهَا، وَيَعَاشِرُهَا

وَيَجَادِلُهَا وَيَجَافِيهَا - طَوْرًا،

وَيُعَانِقُهَا - طَوْرًا،

كَي يَتَدَقَّقَ مِنْهَا حُرًّا

نَسْعُ الْمَعْنَى

فِي الْأَشْيَاءِ، وَفِي الْكَلِمَاتِ،

وَفِي الْأَيَّامِ.

إبراهيم النّظام

مات سنة ٢٣١ هـ.

ذكروا أنّه

عاشَرَ الشّوْبَةِ والملْحِدِينَ وأشبَاهَهُم

وله سَقَطَاتٌ ،

وتهمته الزّندَقَةُ

غير أنّ صديقاً له قال عنه :

«رجلٌ

لا نظيرٌ له»^(١).

(١) الجاحظ .

مُخَارِقُ الْمَغْنِي

مات سنة ٢٣١ هـ.
خاطبه مرّة أبو العتاهية،
قائلاً: «يا دواء المجانين، لقد
رقسقت حتى كدت أن
أحسدك، فلو كان الغناء
طعاماً، لكان غناؤك أذماً.
ولو كان شراباً لكان ماء
الحياة». وحاولت مرّة المغنية
شارية أن تقلّده في حضرة
إبراهيم بن المهدي، فقال
لها: «إياك ثم إياك أن تعودي
فإن مخارقاً خلقه الله وحده
في طبيعه وصوته ونفسه،
يتصرف في ذلك أجمع كيف
أحب، ولا يلحقه في ذلك
أحد. وقد أراد غيرك أن ينسبه
به، في هذه الحال، فهلك،
وأفضح، ولم يلحقه».
(الأغاني: ١٨/٢٧٥).

قل لي: ماذا يعني

في صوتك، في أحشائك، في كلماتك

أن ينسى العطرُ

براعمٍ يخرج منها؟

قل لي:

أتظنّ غريباً بعد الموت،

وكنت الخارق طولَ حياتك؟

الرواية

IV

(...)

على الخيوط التي تتدلّى من قرص الشمس تصعد وتهبط حُمى لها رائحة لا اسم لها بُني للمصابين بهذه الحُمى أو هكذا شُبّه له مستشفى جَوّال يمكن لسرعة تجواله أن يُسمّى مستشفى الهواء تتناثر هذه الخيوط في فضاء القلعة الذي يبدو كمثّل سقّفٍ طويلٍ على مدى التّظر سَقْفٍ لم يبق من المادّة التي صنعتها غير القشّ والغبار وَهَمَّ ما يقوله بعضهم عن كبريتٍ أحمر يدخل في تكوين هذه المادّة .

لماذا لم يتجرأ أحدٌ أن يسأل سيف الدّولة : كيف هيأت لرعيّتك أن تصنع السيوف والرّماح ، الخناجر والقصور وأن تنعم بالسّبايا ولم تهيبّ لها صناعة العلم والفن . لو تيسّر له اليوم أن يرافق سيف الدّولة في نزّهة لمشاهدة المدينة التي أعطته ملكها وراقب كيف ينظر إلى أيامه الملقاة على أرضفتها وكيف يمرّ بها العابرون ولا يأبهون لكّرر صارخاً : أوه ! ما هذا السرّ الذي يجعل حياة أمثال هؤلاء القادة عقيمة وجرداء؟

وَلَكَرَّرَ أَيْضاً، لَكِنْ بِلِسَانٍ مِنْ جَاءَ بَعْدَهُ، وَأُحْبِبُهُ -
المعري:

ما أدهاكِ، وما أبقاكِ، يابوت العناكب.

لكن، اهتمّ الملوك بعمارة القلعة وتحصينها -
«سيف الدولة، سعد الدولة، بنو مرداش، عماد
الدين

آق سنقر، ابنه عماد الدين زنكي، ابنه نور الدين
محمود، ابنه الملك الصالح
ولمّا ملكَ الملك الظاهر غياث الدين غازي، حَصَّنَهَا
وحسَّنها

بنى مصنعا للماء ومخازن للغلال

بنى سفح تَلَهَا بالحجر الهرقلي

بنى على بابها برجين لم يُبْنَ مثلهما

وعندما خرّبها التتار، جدّدها الملك الأشرف خليل بن
قلاوون وعندما خرّبها تيمورلنك وأحرقها أعاد
بناءها الأمير سيف الدين جكمر: عمل بنفسه،
واستخدم في العمل وجوه الناس: كان الأمراء
يحملون الأحجار على ظهورهم».

هوذا،

تفاجئه عائلة أحزانه جلست والتفت حوله
ربما لأنه قال: سأزور التلة أولاً تلك التي كانت
النجوم تهيمن عليها لا السابحة في الفضاء بل
في الأيدي

- «لا تعرف كيف تهول، ولا كيف تقفز،

لا تعرف كيف تسدد، ولا كيف ترمي.

لا تعرف حتى أن تمسك بالبندقية،

ماذا تعرف، إذن؟»

حتى عندما كان يختبئ كعصفور في سرير نومه الشبيه
بالحفرة، كان يشعر أن تلك النجوم تجثم ساهرة بين
كتفيه.

أيام - غدران من العذاب،

مع ذلك، تطفو عليها عائلة أحزانه

كمثل أزهار اللوتس.

أو ربما فأجأته عائلة أحزانه لأن القلعة تذكر بتلة أخرى
غير تلة النجوم أصبح اسمها جبل الجوشن؟

- «احتز رأسه أخذه مع رؤوس القتلى والنساء
والأطفال وسار إلى يزيد مرّ بطريقه على حلب نزل

بهم عند الجبل غربي حلب قطرت من رأس
الحسين نقطة دم على الصخر بقي أثرها إلى عهد سيف
الدولة عَمَرَ على الصخر مشهداً سُمِّي مشهدَ النقطة
(. . .) وأسقطت إحدى نساء الحسين جثثاً دفنوه عند
ذلك الجبل. مرّة، رأى سيف الدولة نوراً عنده. ثم
تكرّر ظهور النور مراراً، ذهب إلى المكان أمر بحفره
وجد حجراً نُقش عليه: «هذا الحسن بن الحسين بن
علي بن أبي طالب».

بنى عنده مشهداً سُمِّي مسجد الطرح وهو الآن مشهور
باسم مشهد الشيخ محسن
من ذلك الوقت سُمِّي الجبل جبل الجوشن نسبةً إلى
قاتل الحسين سُمِّر بن الجوشن».

أو لعلّ عائلة أحزانه فاجأته لأنه ذكرَ ذلك التلّ
الآخر.

- «ظهر قومٌ يُقال لهم الرّاونديّة خرجوا بحلب
زعموا أنهم بمنزلة الملائكة صعدوا تلاً بحلب ولبسوا
ثياباً من حرير وطاروا...»

وقيل: هلكوا.»

غير أنه ليس ملاكاً، ولا يلبس الحرير
وداعاً لعائلة أحزانه.

كان فيما يعبر المدينة إلى القلعة يشعر كأنه يكتب
خطواته على جدران لحظاتِ تواكب جدراناً من
الحجر لفت أعناقها بمناديلَ من جِبْر لا يفنى وبدت
هذه المناديل كمثل غلائل سماوية تتدلى فوق الأبواب
غلائل لها أشكال الرّقم ينقشها ويزركشها جِبْرُ
أسود، -

أ - منديل زاوية الحيدري :

«أنشأ هذه الزاوية المباركة

المقرّ الكريم العالي السيفي، قَطْلِيجا

والمقرّ الأشرف الكريم، طازُ

كافل المملكة الحليّة، سنة ٧٥٧».

ب - منديل جامع الطُّنبغا (في ساحة الملح) :

«أنشأ هذا الجامع المبارك

الفقير إلى الله تعالى

المقرّ الأشرف العالي العلائي

الطُّنبغا الناصري

في أيام دولة مولانا السلطان الملك الناصر محمد،

عزّ نصره في شهور سنة ٧١٨».

لم يكن يحق له الجلوس تابع طريقه مُبَلَّغاً
بأصواتٍ تملو في الأزقة كأنها لهاث الأيام.

ج - مندبل جامع الجوشية (في السويقة):

«بسم الله

أنشأ هذه الزاوية المباركة

العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ صالح العابد الحاج

جنيد بن عمر الأقصراي الأبوسنجاقي.

تغمده الله بالرحمة -

برسم سلطان الأولياء والأقطاب،

المرشد إلى طريق الحق والصواب

قدوة السالكين وزبدة الواصلين

هادي المسلمين خليفة الله في الأرضين

سر الله في الآفاق

حجة الله على الإطلاق

الشيخ المرشد أبو إسحاق إبراهيم

شهيري الكازروفي،

قدس الله روحه،

وعَلَى خلفاءه ومريديه
وليس لأحدٍ جلوسٌ على سِجادة المجلس غير
خلفائه،
وكان الفراغ في شهر ربيع الأول سنة ٧٤٧هـ.

*

- ماذا تعمل؟
- لا أعمل. أصلي لكي يصبح الزرنيخُ عسلًا.

*

- جامعٌ -
كلَّ حَجَرٍ حنجرة.

*

وجهٌ عاملٍ: صحنٌ من الغبار.
وجه بدويّة: أكثُرُ من حديقة.

*

- الوقت؟
- سلسلة في يد الغيب/
كان يتكئ على كيس مليء بحنطة الفرات إلى
جواره امرأةٌ شبه نائمة. أهي رفيقته في حصاد القمح؟
ربّما. كانت أهدابه، وهو ينظر إليها، تنزل على وجهه
كمثل السّنابل.

✱

بدأت الشمس تتدحرج على منحدرات الظلّ.

✱

نباتاتٌ تخترق وجه الإسفلت، احتفاءً بالضوء.

✱

كبشٌ في عنقه خيط حريرٍ أحمر: كبشٌ مسحور.

✱

شخص له شهرة عالية كمثل ضبابٍ يغطى الجبال،
آخرٌ له قامة الألف: هل عمله الدائب هو أن يضرب
جسده بسيف التحول؟

✱

امرأة مسكوبة في عمود أسود جرة سوداء مليئة
بكحول سوداء ومن ضفافها تطفح الشهوة.

✱

لا تزال القلعة تنتظره جالسةً في حوض سوادٍ آخر.
القلعة، -

من الفضاء الذي يحيط بها يتصاعد هباءٌ يتدثر الهواء
والهواء كمثل عرباتٍ بلا نهايةٍ تقطرُ الناس.

ترفقُ، يامهماز الغبار .

وكانت الشمس تنزل بطيئةً بين فخذي المساء،
ما أطيب النظر إليها وهي تغسل وجهها بماء الغروب .

※

رجلٌ بدا كأنه يحفر قبراً يرمي فيه جثة النهار .

※

امرأة -

تسدل ستار نافذتها كمثل غيرها تنهياً
لكي تصعدَ سلالم الليل نحو شموسه العالية .

- ينبغي، أيها العابر، أن تقتديَ بطمأنينة الغبار .

- هيهات هيهات،

من أين لي الأسنان التي تقرضُ صخرة الوقت؟

وقال أبجد:

رأيت في المدينة دال، في ناحية تسمى ناحية المقابر
شبحاً جالساً على قبر. اقتربت. قال:

« هل كان طريقك إلينا طويلاً؟

لم أجه. ظنّ أنني خفت. قال:

- لا تخف. أنا ميت، وهذا قبوري. ولست هنا، الآن.

- إذن أين أنت؟

- في برزخ، مع أصحاب لي نتحدث عنكم.

ثم رأته يتلاشى، وتظهر وراءه قبة جوهري تفتح وتطلع
منها امرأة، أو مأت، وقالت:

- غداً، يزورنا شخص يُقبر في هذه القبة.

ثم غابت، لا أعرف كيف.

وغير بعيد،

رأيت قبة ثانية يغطيها كساء أخضر، وإلى جوارها امرأة
تدق على الحائط وتصيح:

- أنا المرأة الضالّة، من يدلّني على الطريق؟

وأخذت تبكي.

اقتربت وسألتها:

- ماذا بك؟ ماذا يبكيك؟

قالت:

- حملتني عيناى. نمْتُ. أضعت الطريق. كنت أحلم
أنني ذاهبة إلى...

فجأة، رأيتها تسقط ميتة.

آنذاك سيطر عليّ الخوف. ركضت، وفي منعطفٍ
خططت بيديّ خطأ جلست فيه، وأخذت أتمتم
كلماتٍ تعلمتها في طفولتي،

غشيتني سحابات سودّ حجبت عني ما حولي،
وسمعت فيها أصواتاً تقطعها
ورأيت عظماً تتناثر وتبكي.

ثم سمعت شجرة تقول:

- هذه ليلة الوسوسة، هذه ليلة الجنّ.

*

«مرّة، ظهرت لي بئرٌ وكنت عطشاناً. اقتربتُ لأشرب
منها طلعت منها امرأة قالت بلهجةِ امرأة:

- تزوّجني!

كانت جميلة. تزوّجتها.

ثم قالت :

- أنا غريبة عن هذه المدينة . وأنا عائدة إلى مدينتي .
طَلَّقَنِي .

ولما كنت أحبّ الوحدة ، طَلَّقْتُهَا .

لكن في الليالي التالية ، جاءتني شبحاً وهيئة .

وذاث صباح ،

رأيتها تلتقط قمحاً عن الأرض . كَلَّمْتَهَا . وضعت يدها
على رأسها ورفعت عينيها إليّ وقالت :

- بأيّ عينٍ رأيتني ؟

أجبت :

- رأيتك بقلبي لا بعيني .

أومأت بإصبعها وغابت ، دون أن أراها .

فقد ملأ الدمع عينيّ اليمنى ، وملأ اليسرى ضباباً
أخضر . «

*

«ورأى في المدينة ألف جبلاً غريباً كان ملكها يتردد
إليه بين ليلة وليلة . للجبيل ، كما سمع ، مسام ترشح
منها الرياح والبخارات . وفيه صهريج معلق في
الهواء ، عليه قبة تسقط منها حجارة رخوة .
في القبة النهر العجيب الذي يجري في دوائر حتى
ينتهي إلى الصهريج فتغلى الحجارة وتطبخ ،

وتكون منها الأمواج المختومة، والتوايت المقفلة،
وفلك المصباح والرياح،
وتكون منها الحكمة والكيمياء.»

✱

«ومرّة، كان يسير على طريق ضيقة فجأة، ظهرت
من الأرض أغصاناً متشابكة كأحسن ما يكون من
الشجر واستقامت في الجو كأعلى ما يكون من
الصنوبر والحور،

ثم انحنى وأندست في التراب وهوت إلى الأسفل
بقدر ما كانت عالية.

ورأى شجرة استوقفته وامتدت نحوه ثمرة أخذها
انفلقت في يده أربع قطع

خرجت من كلّ قطعة امرأة ملأت بالعطر والشهوة
ما بين الأفق والأفق.»

✱

«ومرّة رأى رجلاً يهرب كانت تطارده الحجارة إلى
ناحية في المدينة ألف يبقى الحجر فيها معلقاً لأنّها
ناحية مسحورة تمنع أن يقع فيها ضرب أو قتل.

ورأى الناس الحجر آتياً يطارد الرجل

فصاحوا به: توقّف وعدّ.

توقّف ثم عاد بقي عالقاً بين السماء والأرض على
حدود الناحية، حتّى مات الرجل فطار الحجر
عائداً إلى مكانه.

ورأى مرّة في المدينة ذال، في ناحية تُسمّى ناحية
الطير، طيوراً تتعانق. حين اقتربت، طارت وبقي طائر
كان ميتاً تفوح منه رائحة المسك قال: إنه مليء
بالخير كانت معه عمامة زائدة لفّ بها الطائر
ودفنه.

ناداه صوت:

هذا الذي دفنته شهيداً - بعضهم يقول كان يسمع وحي
النّبوة، وبعضهم يقول كان شهيد الحبّ.

ورأى في طريقه شبّاحاً بلون الرّماد يمشي بطيئاً كأنه
يخرج من بئر ثم تقدّم نحوه وسلّم عليه. دُهِش خائفاً
قال:

« - لا تخف. لكن اقرأ عليّ شيئاً من الشعر.

أخذ يقرأ سرّاً كثيراً وعاد الاطمئنان إلى قلبه

قال: - نحن نحبّ الشعر أغلب الأشخاص الذين
يسلكون هذه الطريق لا يفهمونه أو لا يحبونه أو
غرباء عنه نهجم عليهم ونختقهم.

وحين أراد أن يسأله: ومن أنتم؟ رآه يغيب. لكن،
شعر أن الطريق أصبحت آمنة كأنما تحرسها الأزهار
والكواكب.»

*

نام مرّة في بيت صديقه يارجوج
«وبينما كان في الليل، قبيل النوم، ينقل خطواته في
ساحة البيت، رأى السّماء تحمّرُ احمراراً شديداً
وسمع في الجوّ أصواتاً وهمهمة ثم رأى غيمة
حمراء كمثل نار قريبة منه، فيها أشباح أمثال الناس
والحيوانات تحمل رماحاً وسيوفاً
ثم اقترب غيمٌ أحمر آخر فيه أشباح أمثال الناس
والحيوانات أيضاً تتقلد الرماح والسيوف وتحمل على
تلك الغيمة كجيش يقاتل جيشاً.
كانت الغيمة تهجم على الغيمة فتختلطان ثم تفترقان.
فزع وأسرع يسأل يارجوج عن هذا. قال:
- كان أجدادي يقولون هؤلاء أصدقاء حكموا المدينة
ألف وعاشوا فيها قبلنا وهم يقتتلون في سمائها كلّ
عشيّة.»

*

حكى يارجوج أنه سمع رجلاً يروي هذه الحكاية، -
«عشق رجل اسمه اطروش امرأة رفض أبوها أن
يزوّجها منه، وزوّجها من آخر. جُنّ أطروش قيده
أهله كان يعضّ شفّتيه ولسانه حتى خافوا أن
يقطعها

رآه هذا الرجل مرّة يجلس على تلّ ويخط بإصبعه
خطوطاً وحين دنا منه فرّ كما يفرّ الوحش من
الإنسان ثم ظهرت غزالة فوثب يركض وراءها.»

※

وكان بعض سكّان المدينة ألف يعبدون شجرة صنوبر
«كانوا في كلّ شهر يقيمون لها عيداً يجتمعون
حولها يضربون عليها مظلة من الحرير تزخرفها
الصور ثمّ يقدمون لها الذبائح خرافاً وعجولاً
وديكة حين يتصاعد دخان الذبائح يسجدون باكين
ضارعين

كانت الشجرة آنذاك تتحرّك وتحرك أغصانها يطلع
من جذعها صوت كصوت الأطفال:
«طوبى لكم، إني أمنتكم ملكوتي».
عندئذ يرفعون رؤوسهم ويشربون ويرقصون.»

ومرّة ركب البحر في المدينة «وركب معه شابٌ صبيح
الوجه لَمَّا توسّطوا البحر فقد صاحب المركب
كيساً فيه مال فَنَشَّ كلّ من كان في المركب
وحين وصل إلى الشَّاب ليفتشه وثب وجلس في البحر
فقام له الموج على مثال السَّيرير ثم سمعوه
يقول:

«مولاي،

هؤلاء اتهموني . أقسم عليك، يا حبيب قلبي، أن تأمر
كلّ دابة في هذا البحر أن تخرج رأسها وفي فم كل
واحدة جوهرة» .

فما أتمَّ الشَّاب كلامه حتى رأوا دوابَّ البحر قد
أخرجت رؤوسها وفي فم كلّ منها جوهرة
ثمَّ وثب الشاب ثانية في الموج، وصار يمشي
وأخذ يغيب رويداً رويداً .»

وأخبره أحدهم «أنّ صديقاً له تزوج امرأة وسافرا
في الطَّريق استراحا مَرَّ بعضهم فرأوا المرأة جالسة
على بطن الرّجل تأكل كبده،
ثم رأوا ناراً تنزل وتشقّها اثنتين .»

(١) في المأثور أن أناساً أرادوا أن يغيروا المدينة ألفاً ويديروها. وفي طريقهم إليها، خرجت عليهم طيرٌ من البحر لها خرطوم شبيهة بالوطاويط، حمراء وسود، رمشهم بحجارة مدحرجة كالبنادق تنفع في رأس الرجل، فتخرج من جوفه.

ورأى في أحد أحياء المدينة ألف حدّاداً يُدخل يده في النار ويخرج الحديد المحمّى دون أن يحترق^(١) سأله:

« هل تضيفني هذه الليلة؟

قال

- نعم. بحبّ.

مضياً إلى منزله. أخذ يراقبه لم يشاهد شيئاً غريباً يخوّله أن يكون في هذه المرتبة: لا تؤثر النار في جسمه قال له:

- كيف لا تحترق بالنار ولم ألاحظ أمراً خارقاً يؤهلك لذلك؟

قال:

لهذا سرٌّ غريبٌ وحديث عجيب.

وروى هذه الحكاية.

«كان لي جارة جميلة أحببتها كثيراً وراودتها عن نفسها مراراً عديدة لكنها كانت ترفض جاءت سنة فحط وجذب وعمّ الجوع فيينا أنا جالسٌ، ذات يوم، في بيتي وإذا بشخص يقرع الباب قمت لأرى من هو فإذا بها واقفةً بالباب قالت:

- يا أخي إنني جائعة فهل تطعمني لله؟

قلت لها :

- ألا تعلمين، كم أحبك، وأقاسي من أجلك؟ لن
أطعمك إلا إذا مَكَّنْتَنِي من نفسك.

قالت :

- الموت، ولا المعصية .

ومضت إلى منزلها .

بعد يومين، عادت إليّ وسألتنِي أن أطعمها ثم دخلت
إلى البيت وجلست حين قدمت لها الطعام بكت
وسألتنِي :

- هذا ليّ؟

قلت :

- لا .

لم تأكل . قامت وخرجت إلى منزلها .

بعد يومين جاءت وقد هَدَّها الجوع قالت :

- يا أخي، أعيّتنِي الحيل لم أقدر أن أسأل أحداً
غيرك هل لك أن تطعمني ليّ؟

قلت

- لا .

أطرقت ثم دخلت إلى البيت، ولم يكن عندي طعام. أشعلت ناراً وصنعت لها طعاماً

وَيَيْنًا أنا أضعه أمامها جاءني هذا الخاطر: «امرأة تمتنع عن طعام، مع أنها جائعة جوعاً لا قدرة لها على تحمّله، وأنا لا أمتنع عن معصية الله؟ سأتوب، ولن أقربها في معصية».

ثم قلت: هذا طعامٌ لله.

لَمَّا سمعت ذلك، رفعت رأسها إلى السماء وقالت:

- يارب، إن كان صادقاً، فحرّم عليه النار في الدنيا والآخرة.

تركتها تأكل.

قمت لأزيل النار، ف وقعت جمرة على قدمي لم تحرقني دخلت إليها وأنا فرح وأخبرتها رمت اللقمة من يدها وقالت:

- حققت أمنيّتي.

خذني إليك يا رب، هذه اللحظة.

ثم رأيتها تسقط وتموت بين يديّ».

الذّكرى

IV

المدينة كاف

طاب لي كثيراً في المدينة كاف
أن أقطع الغصن الذي أجلس عليه .

✽

يمكنك، في المدينة كاف، أن تستغني عن نصف
اليوم. فهذه المدينة هي نفسها الليل .

✽

في كل إنسان شيء من نيرون، خصوصاً في كل
ما يتصل بفنون الذبح والطبخ والأكل، وهذا مما يخفيه
بعضهم، ويحاربه بعض، ويبرأ منه بعض آخر. غير أنه،
ويا للعجب، موضع اعتزاز لدى الناس جميعاً في المدينة
كاف. خصوصاً أن الإنسان فيها مأخوذٌ بأكل اللحم. وتفتح
شهيته، وتبلغ متعته أوجها عندما يأكل لحم أخيه الإنسان .

✽

لكل شيء في المدينة كاف نهاية، إلا شيء واحد: قتل
الآخر، بشكل أو آخر .

✽

أنا أوسع بيت في المدينة كاف: يقول السجن .

✽

لن تقدر أن تقابل أي شخص في المدينة كاف، إلا من وراء حاجز.

*

يعتقد الأشخاص الذين يقودون المدينة كاف أنهم لم يولدوا من امرأة، بل من فكرة، ورسالتهم التي يعملون لها بإصرار هي: على أبناء المدينة كاف أن يولدوا هم أيضاً من هذه الفكرة.

*

يُقال إن المدينة كاف تسير على طريق عالية. ربما. لكنها، بدلاً من أن تنظر إلى الأمام، لا تنظر إلا إلى الوراثة.

*

قبل أن يدخل العابرُ إلى المدينة كاف، يكون شكُّه ضعيفاً. بعد أن يخرج منها، يكبر شكُّه ويقوى. هو - حاضر في المدينة كاف، لكنه موجود في غيرها.

*

الصفير هو الواحد في المدينة كاف. ويحار علماء الرياضيات في تفسير ذلك.

*

أينما اتجهت في المدينة كاف، ترى كتباً مصلوبة وترى دمأ ينزف من الثقوب التي أحدثتها المسامير في جسد الكتاب وأحياناً، لا تقدر أن تميز بين شكل الكتاب، وشكل الجسد.

المدينة لام

«ليس الوطن لمن يقيمون فيه، بل هو لمن يهيمون عليه. الوطن أخطر الأفكار الحديثة التي ابتكرتها شهوة التملك»: هذا نص لمنشور يتداوله الناس سرياً في المدينة لام.

*

«تبتكر بعض الثورات أبواباً لا يقدر أصحابها أن يخرجوا منها، ولا يقدرّون أن يغلقوها»: نصٌّ لمنشور سري آخر يتداوله الناس سرياً في المدينة لام.

*

«من جهة الضوء أيضاً، يجيء الخطر»، -
قرأت ذلك في رسالة آتية إلى صديق في المدينة لام.

*

هو - مواطن في المدينة لام. ويبحث، مثل كثيرين غيره، عن الحقيقة. لكنه حتى الآن يتردد في الجهر بذلك. فهو لم يقرر بعد أن يذهب -

لا إلى الجنون

ولا إلى الموت.

*

يتربى المواطن في المدينة لام على الإيمان بأنه
لا يكون حياً إلا بقدر ما يكون كل ما حوله ميتاً.

*

المنهج في ثقافة المدينة لام هو:
سيز، لكن لا تسأل.

*

الموت الواقعي، والحياة الممكنة: ذلك هو المناخ
الذي يكبر فيه أطفال المدينة لام.

*

يفكر الناس في المدينة لام ويسلكون، مدعين أنهم هم
الذين يحرسون السماء.

*

بقدر ما تختلف في المدينة لام مع الواقع، تأتلف مع
الحقيقة.

*

الفكر في المدينة لام يُورث هو أيضاً،
وليس من رأس إلى رأس، بل من يد إلى يد.

*

لافتة في ساحة المدينة لام:
عشرون كوكباً على كرسي واحد.

*

معظم المواطنين في المدينة لام،
يرسلون أحلامهم (بطريقة خاصة، لا أعرف كيف
أفسرها)، إلى القائم على المدينة، لكي تستأذنه، قبل أن تزور
أجفانهم.

*

في المدينة لام حوانيت لا يتاجر أصحابها إلا بعظام
الموتى وأسمائهم.

*

يلوم نفسه أحياناً في بعض لحظات الضعف: لو أنه
صَفَّقَ مرة للمدينة لام، لكان عنده، اليوم، قمرٌ - على الأقل!

*

القيم كلها في المدينة لام قائمة على «أفعل» التفضيل:
أكبر، أعلم، أجمل، أشعر... إلخ.
والسبب جهل سكانها: جسّ الفروقات عندهم معطل،
ولا يعرفون أن يميزوا بين شيء وشيء.

*

أفضل أن يبقى رأسي فارغاً على أن يكون ممتلئاً بأفكار
المدينة لام. وأفضل أن أسمى مخزباً على أن أحتفي بعمرانها
القائم.

*

عهداً
سأسهر دائماً على إغراء المدينة لام
بجمال الخراب وسحر الفوضى.

المدينة ميم

في المدينة ميم، تحدثك الجدران سرياً، عن قلب يريد أن يخرج من نفسه لكي يسكن قلباً آخر، أو عن نافذة تريد أن تؤاخي الأفق.

هكذا، لكل كلمة في المدينة ميم سجن، باستثناء كلمة واحدة: السجن.

*

الحاضر في المدينة ميم هو نفسه الخادم الذي يغسل قدمي السيد الماضي. وعندما يتاح لك أن تدخل بيتاً في هذه المدينة، وترى إلى جدرانه، يخيل إليك أن لحظات الماضي كلها تحولت إلى صور تتدلى عليها، وتشعر أن الحاضر كله ليس إلا مسامير لتثبيت هذه الصور.

يطيب لك، بعد ذلك، أن تقسم البشر إلى قسمين:

جماعات تجلس على الزمن،

وجماعات يجلس الزمن عليها.

*

دخان في زاوية. في الدخان ما يشبه أجنحة ليست أجنحة طيور. وفيه أحياناً ما يشبه أجفاناً لعيون ليست عيون امرأة أو رجل. لكن، يا للغرابة، يبدو أنه دخان بلا نار. انظر من هذه الزاوية، عبر هذا الدخان، إلى الفضاء: سترى أن وجهه يتعفن ويبلَى.

المدينة نون

من الستار إلى الغبار، ومن الغبار إلى الستار: ذلك هو مدار المدينة التي تأخذ اسم الجسد أحياناً وتحلّ محلّه، غالباً، أو تتجلى في شكل المدينة نون. في الستار تجد وجهها، وفي الغبار تجد مرآتها. أما الفم فبعيد، وربما كان قطعة نُقِد زائفة في جيب الموت.

✱

أنظر، عند الغروب أو عند الشروق، إلى أعالي الجدران وإلى العتبات في المدينة نون. سترى أن بياض الصحراء يجلس هائناً وربما رأيت في هذا البياض عربة تحسبها ماعزاً، أو شجرة متحركة تمتلىء بفراشات زُينت أجنحتها بالرصاص والفضة. لن تلمح أثراً للبحر، مع أنه يقيم على بضع خطوات.

✱

تقدر بيسر أن تشاهد الأبدية وهي تتسلق ما بقي في المدينة نون من جدران الأزمنة. تقدر بيسر أن تشاهد الأيام وهي تتحول إلى أفواه، رافضة أشكال العين والأذن والأنف عند أبناء آدم. تقدر بيسر أن تشم البخور المتصاعد من كهف سمي تيمناً: التاريخ. تقدر بيسر أن تشاهد المسرح الذي تنقلب فيه الفاكهة إلى نساء. لكن ينبغي أن يكون لك صبر الهواء لكي تقدر أن تشاهد كيف يكون الإنسان إنساناً.

✱

هذا الذي أقوله عن المدينة نون، أقوله بالسمع والتواتر. عبثاً حاولت أن أدخل هذه المدينة، مع أنها تسكن في مخيلتي. قلت مرة، وقد يشمت تقريباً: سأنجّم، سأستغيث بأفلاك الذكورة والأنوثة، سأكتب التعاويذ - مؤالفاً بين النون والحاء، النون والخاء، النون والدال، النون والسين، النون والعين، النون والياء... إلخ،

*

كأن المدينة نون لا تريد أن تكون أكثر من عكاز في يد ما. كأنّ الكلمات في المدينة نون جبال لكي تتسلقها، لا ألفاظ لكي تنطقها.

كأن الزمن في المدينة نون صخور تربط إلى قديمي الإنسان لكي تسهل عليه الهبوط أعمق فأعمق حتى قرارة اللازم.

كأن الشمس في المدينة نون دكان، والهواء ميزان كأن الأشياء في المدينة نون هي التي تتخذ من البشر بيوتاً لها

كأن الكلام في المدينة نون حلقة وصل بين الطرق التي لا تقود إلى مكان.

*

صحيح أن المدينة نون واحدة موحدة. لكن، صحيح كذلك أن كل زقاق فيها لا يكتب رسائله إلا بدم الآخر.

*

هو، المواطن في المدينة نون، يمضي حياته كلها في
خياطة الرمل، ويصف نفسه بأنه الأمل.

هي، المواطنة في المدينة نون، تولد، تنمو، تكبر،
تشيخ، تهرم، تموت، لكن دون أن تمر في أية مرحلة من
مراحل الحياة.

*

قَلَمًا رأيت في المدينة نون إلا التصر. كانت الأبجدية
تتغلى بعباءات تتغلى هي نفسها بعباءات لا تعرف أن تنسجها
إلا يد الرمل. ولست أجهل أنّ الريح هي التي تنتصر دائماً.
لكن، ماذا يعني نصرٌ تحقّقه الريح؟

*

تجلس المدينة نون حيث تقدر الجهات كلها أن ترى
أين هي، وحيث لا تقدر هي أن ترى حتى نفسها. لهذا، أينما
تسكّعت في هذه المدينة، ستسمع الماء يتأوه، والهواء يزفر
ويشكو. لهذا ليست المدينة نون إلا طينياً في أذن الوقت.

*

ما أكثر الأعمدة، من كل نوع، في المدينة نون. في كل
عمود حكيم يرث الحكمة عن الكواكب حين كانت تقص على
الأرض أحسن القصص. وكل عمود خزانة من الأجوبة، لكن
ليس عن الأسئلة التي تطرحها أنت، المقيم الزائل، بل عن

أسئلته هو . هو السائل وهو المجيب . وليس لك أنت إلا أن
تقول نعم .

كل ليلة ، قبيل الغسق ، ينصب الكلام خيامه بين أغصان
هذه الأعمدة ، ويناام في انتظار الليلة الآتية . اين ينتهي الحد
الذي تقف عنده وسادة أحلامك ، أيتها الأعمدة؟

المدينة سين

ليت الشمس تساعدني، لكي أنقذ ذلك الشعاع الذي
يحاول أن يهرب من ظلام المدينة سين.

✽

عيّد - لكن، تطوعاً:

هذه عبارة لا تجد لها ترجمة عملية إلا في المدينة
سين.

✽

قتل البصيرة وإحياء القدمين:

هذا هو قانون الحياة في المدينة سين.

✽

لماذا تضطرب؟ هل تخشى أن تسقط تحت ضربات
العداء الذي تكته المدينة سين لاسمك ولدروبك؟
أدخّلها في محيط حبك، واتكئ على هذا الحب كلما
ذُكرت أمامك.

آنذاك، على الرغم من اللامبالاة التي تخصصها بها، لن
تسقط أبداً.

✽

ما أجمل جسدك، أيها الحب مجزأً - مصلوباً، عضواً
عضواً، على جسد المدينة سين .

✱

بعد، لم تترجم الريح
ذلك الرمل الذي تختزنه الصحراء التي تختزنها أحشاء
المدينة سين .

✱

تفكر المدينة سين وتعمل لغاية واحدة:
أن تجعل ساكنيها يألفون ما يأكلهم،
كما يألفون ما يأكلونه .

✱

أيها المدينة سين،
لماذا، وأنت الغنية بالقتلى لا تبدين إلا الأحياء؟

✱

سأبتكر أحوالاً تشتعل فيها نيران تتمدد في الفضاء كمثل
الأسرة العاشقة، ولن تجد المدينة مفرّاً من الاستسلام إليها .

✱

فتح لي الرعد أبوابه،
فيما كنت أفرع باب المدينة سين . قال:
ينبغي أن تعيد ابتكار الطريق .

✱

في المدينة سين ليس للسجن حدّ. تتموّج حدوده مع
الهواء، ومع الضوء والظلام. لا أحد يقدر أن يقيسها. لا أحد
يعرف أين تبدأ وأين تنتهي.

وتبالغ بعض الروايات، فتقول: المدينة سين هي التي
ابتكرت السجن.

كأنما يجب، لكي نمحو السجن في هذه المدينة، أن
نمحوها هي نفسها.

*

أبحث عما فعلته المدينة سين زاعمة أنه الحق، فلا أعر
إلا على الخطأ.

*

أتحدث عن أحلام تكسرت أهدأبها،
أتحدث عن بلد لا يحلم به أحد - لا المشرّد، ولا
التائه، ولا من ليس له بلد،
أتحدث عن ثقوب يهيمن عليها ملائكة لا يتوقفون عن
النبش في معاجم الحديد والنار،
أتحدث، وأعني المدينة سين.

*

للمدينة سين رسالة واحدة: أن تضع حياتها ومصيرها
وطاقتها كلها في بضعة ألفاظ.

المدينة عين

أية شفرة هذه التي تنزهها المدينة عين، في تلك الساحة
المقفرة: الإنسان؟

*

لا تقدر المدينة عين أن تفعل شيئاً، كما يبدو، إلا أن
تنتظر خرابها. ربما في هذه الحالة، سيكون الانتظار نفسه
فعلاً، أو يشبه الفعل.

*

أتدلى في فضاء المدينة عين - جسداً مفرداً، غريباً، مع
ذلك، لن اعتصم إلا بجسدي.

*

الحياة قصيرة، تقول الحكمة.
غير أنها في المدينة عين أطول من الأبدية.
تقول الحكمة أيضاً: الأرض واسعة،
لكنها في المدينة عين أضيق من سُم الخياط.

*

تستقبل المدينة عين ضيوفها بأقواس من الضحك،
وتخصص لاستضافتهم بيوتاً من الدمع.

*

«اصطدمت يداي بعنق الليل. كان مستلقياً على
خاصرتي. لم أقدر أن أرفع غطاءً وضعه الحلم فوقنا.
أخذته النهار وضمه إلى أشياءه التي يستعين بها على مواجهة
الحواس الخمس لجسد ينتظر على العتبة»، -
هذا جزء من رسالة كتبتها امرأة في المدينة عين، قبيل
موتها.

✱

صرت مقتنعاً أن للأيام في المدينة عين قشوراً، وأن
هذه القشور مسكونة بسحر أخضر.

✱

إن لم تكن لديك في المدينة عين الجرأة على مجابهة
الأسطورة نفسها، فإن مجابهتك للأشياء الأخرى لا قيمة لها.

✱

لن تجد أنهار الواقع ماءً يقدر أن يتحاور مع مجاريها،
كمثل الماء الذي يتفجر من ينبوع خطواتي - من أجل الخراب
الذي يهياً للمدينة عين.

✱

«تنمو في ظل الشجرة نازراً تأكلها»، -
تقول حكمة شاردة في أنحاء المدينة عين.

✱

خرابٌ هي المدينة عين، لكنهُ خراب لا يكتمل.

✽

- لماذا تجمد المدينة عين، بينما تتغير مدن أخرى؟

- لأن المدينة عين تتحالف مع الكلمات،

وتلك المدن تتحالف مع الأشياء.

✽

حزّضِ الوردة على رائحتها،

وهذه على تلك،

وأشعل بينهما الفتنة:

تلك هي البداية، إن شئت أن تفهم المدينة عين.

✽

وردةٌ تكاد أن تذبل،

تهرب من إنائها في المدينة عين وتجلس قربي، -

- أيّتها الوردة، ربّما، ربّما... .

IV

على الفراتِ أعاصيرٌ، وفي حلبِ
تَوْحُّشٌ - (...).

المتنبي

- أ -

سَيْفٌ رُومِيٌّ، وَدَمٌّ عَرَبِيٌّ

سَيْفٌ عَرَبِيٌّ وَدَمٌّ رُومِيٌّ -

لَعِبٌ

وَالنَّزْدُ رُؤُوسٌ .

جَيْلٌ يَنْمُو، جَيْلٌ بَائِدٌ

وَالْمُؤْمِنُ، فِي هَذَا اللَّعْبِ الْمَجْنُونِ،

كَمَثَلِ الْكَافِرِ، جِسْرٌ وَاحِدٌ،

لِمَصِيرٍ وَاحِدٍ .

- ٥٢ -

- أ -

- يَا حَسِينُ، اسْقِنِي ^(١)- لَاسْقِيَتُكَ، إِنْ لَمْ تَقُلْ لِي،
لِمَاذَا بَكَيْتَ؟

- لِمَاذَا عَنَّاكَ بُكَائِي؟

- اغْتَمَمْتُ،

- إِذَا خَرَجَ الْأَمْرُ مِنْ شَفْتَيْكَ،
قَتَلْتُكَ .- يَا سَيْدِي، وَمَتَى أَفْشَتَا مَا تُبِيرُ
إِلَيَّ؟

- ذَكَرْتُ الْأَمِينَ أَخِي،

فَاخْتَنَقْتُ بِدَمْعِي وَاسْتَرْخِضْتُ
لِتَسْكَابِهِ .

- ب -

«لَا يَخْلُو أَحَدٌ

مِنْ شَجْنِي» ^(٢) .

* بَيْنَ سَيْفِ يَحْزَرُ، وَعَنْقِ يَحْزُرُ،

المدائن وحي

والخرابُ كتابٌ .

(١) حوار بين العأمون
وخادمه، ساقى الخمر،
حسين .(٢) من كلام للخليفة
العأمون .

- ب -

أَلْحِصَانُ يَحْكُ التَّرَابَ، السَّنَابِكُ

مَكْسُوءَةٌ

بِالْغُبَارِ، وَفِي كُلِّ قَائِمَةٍ

رَجَّةٌ.

أَلْحِصَانُ يُؤَاخِي

بَيْنَ شَمْسِ السَّهُولِ وَأَيَّامِهِ

لَا رَجِيلٌ، وَلَا حَمْحَمَةٌ.

أَلْحِصَانُ يُسْرَحُ عَيْنِيهِ فِي غَابَةِ الدَّمُوعِ، -

سَقَطَ الْفَارِسَ الرَّفِيقُ، مَضَى

حَيْثُ لَا شَيْءَ:

لَا قَوْمَةٌ، لَا رَجُوعٌ.

- ٥٣ -

حَرْبٌ مَعَ نَضْرٍ^(١)،حَرْبٌ مَعَ بَابِكْ^(٢)مَعَ أَبْنَاءِ الرُّهْدِ^(٣) -

حَرْوبٌ: رَغَبَاتٌ تَمْضِي

رَغَبَاتٌ تَأْتِي،

أَيْنَ الْمَعْنَى، أَيْنَ السَّبَبُ؟

مَا أَكْذَبَهَا - تِلْكَ الْكُتُبُ!

(١) نصر بن شيب.

(٢) بابك الخزيمي.

(٣) طائفة من أهل الهند (معزب جث). كان عددهم حوالي ثلاثين ألفاً، يرئسهم شخص اسمه محمد بن عثمان. تمردوا، وغلبوا على طريق البصرة. وجه المعتصم لحربهم عفيف بن عنبة سنة ٢١٩ هـ. تغلب عليهم، ونفاهم جميعاً إلى عين زربة، على الحدود العربية - الرومية، آنذاك. وهناك قُتلوا جميعاً.

* أَلْكَوَايسِرُ تَرَصَّدُ مَوْتَ الْبَشَرِ،
وَانظُرُوا كَيْفَ تَنْقُضُ خَلْفَ الْأَثَرِ.

- ح -

بَطْلٌ مِنَّا مَاتَ شَهِيدًا:

هوذا،

نستصفي أرضاً

ونوسدهُ فيها

في أخدودٍ، أو بين صخورٍ،

ونُهيل عليه تراباً

يتفتت فيه - في ظلمات القبرِ.

لكنَّ الرّومَ سُكَّارَى فَنَنْ

ما أعجبهم - يستصفون لوجه البطلِ

الميتِ منهم،

وَجَهَ الصَّخْرِ، -

ما قولك فينا، ما قولك فيهم

يا هذا الذَّهْرُ؟

- ٥٤ -

سنة ماجله

لم تَبُخْ بِالرُّومِ

التي قطعنها

ولا باليد القاتلة.

* هل هذا الخارج ضوء؟

والدَّاخل، كيف يكون، وكيف

يحوّل، وكيف يقوم

إن مات الرّومُ؟

- ٥ -

أَلْحَدِيدُ - حَدِيدُ الزَّمَانِ،
يَقْدُ الصَّخُورَ، وَلَكِنْ
تَأْكُلُ النَّارُ هَذَا الْحَدِيدَ، وَتَنْطَفِئُ النَّارُ فِي
الماء، والماء يعلو
فِي السَّحَابِ، السَّحَابُ تَمْرَقُهُ
الرَّيْحُ. مَرَّقْتُ ظَنِّي
وَوَشَّوْشْتُ نَفْسِي:
سَمَّكَ خَارِجَ الْمَاءِ - هَذَا رِهَانِي
لَا لِزَيْحٍ، لَكِنْ لِأَلْهُو
وَلَأَسْخَرَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ،
وهذا الزَّمانِ.

- ٥٥ -

سَنَّةٌ قَاجِلَةٌ
لَا تُسْجَلُ فِي دَفْتَرٍ، -
أَلْحَقُولُ وَأَسْمَاءُ حُضَايِمًا،
وَأَسْمَاءُ مِنْ حَصَدِهِمْ -
كَلَّمَا نَافِلَةٌ.

* الخيولُ الخيولُ
وَرَقٌّ يَتَطَايَرُ بَيْنَ أَكْفِ السُّهُولِ.

سنة فائلة

ليس فيها سوى الأكل،

والآلة الآكلة.

- ه -

هُزِمَ العسْكَرُ، انتَصَرَ العسْكَرُ:

خَبِرَ عَابِسٌ

خَبِرَ ضَايِحُكَ .

والفضاء مُكَبَّبٌ على شمسِه

وعلى نفسه،

لا يُحْسُ بما نُخْبِرُ

ويُتَمِّتُمُ دونَ اِكْتِراثِ:

بَشَرٌ، - غَابِرٌ يتعالَى،

وعَدُّ يَصْغُرُ.

* بَشَرٌ مندورونَ ليومِ السَّاعَةِ

في محرابِ الطَّاعَةِ.

(١) الأشخاص الذين كانوا يسعون في البيعة لإبراهيم بن المهدي. وهم أربعة: إبراهيم بن عائشة، محمد بن إبراهيم الأفرיתי، مالك بن شاهين، فرج البغاري.

(٢) الإشارة إلى الخليفة المأمون.

(٣) المقصود هنا هو إبراهيم بن المهدي.

(٤) الإشارة إلى إبراهيم بن المهدي. والكلام له، مخاطباً الخليفة المأمون.

مُؤْزَارِ تَنَامُ كَمَنْبِجٍ :

عَصْفُ رَمَادٍ

يَهْدِي، وَيَرُوحُ وَيَغْدُو

فِي حَدِيثِهَا.

رَمَلٌ فِي إِحْدَى عَيْنَيْهَا

شَوْكٌ فِي الْأُخْرَى،

وَالْأَيَّامُ قِيودٌ بَيْنَ يَدَيْهَا.

- ٥٧ -

- أ -

أَمْسَكُوا بِهِمْ^(١)

أَخْضَرُوهُمْ إِلَيْهِ^(٢).

صَلَبُوا

بَعْدَ أَنْ قُطِعَتْ

رُؤُوسُهُمُ الْأَرْبَعَةَ.

وَالْخَلِيفَةُ^(٣) كَانَ اخْتَفَى

تَحْتَ بُرْجِ عِثْنَى.

نَبَذَتْهُ الْمَدِينَةَ،

لَمْ يَبْقَ شَخْصٌ مَعَهُ.

- ب -

أَحْضَرُوهُ وَحِيداً^(٤)

- «فَوْقَ مَنْ أَدْبَرُوا أَنْتَ.

عَفْوُكَ فَضْلٌ وَعِقَابُكَ حَقٌّ».

* بَلَدٌ لَا يَتَغَيَّرُ فِيهِ إِلَّا الْقَبْرُ، تُرَاهُ

بَلَدٌ مَسْبُوقٌ دَوْمًا،

يُحْطَامُ الْمَعْنَى؟

- ز -

تَلُّ بِطَرِيقٍ، أَمِدُّ، جَيْحَانُ

جَسْرٌ إِلَى الرُّومِ،

وَالرُّومُ أَحْجَارُهُ -

نَتَخَاطَبُ، نَلْعُو:

إِنَّهَا سَكْرَةُ الْأَلْسِنَةِ

تَجْعَلُ الْقَشَّ وَرَدًّا

وَالْحِجَارَ خِيولًا

وَتَوَابِعَ،

فِي هَذِهِ الْأَمَكْنَةِ.

(١) الكلام للمأمون.

(٢) الأبيات لإبراهيم بن المهدي نفسه. وكان، كما هو معروف، شاعراً.

- «بل منحك عفوي»^(١).

- «وعفوت عمن لم يكن عن مثله

عفو، ولم يشفع إليك بشافع

إلا العلو عن العقوبة، بعدما

ظفرت يداك بمستكين خاضع

ما إن عصيتك والغواة تقودني

أسبابها، إلا بيته طائع

رذ الحياة إلي، بعد ذهابها

ورع الإمام القادر المتواضع»^(٢).

* مدنٌ تقول لربها: بك نستعين

هذا جزاء الكافرين،

يُزَجُّونَ مِنْ نَارٍ لِنَارِ

لَا شَيْءَ يَعصِمُهُمْ، وَلَيْسَ

لَهُمْ سَبِيلٌ لِلْفِرَارِ.

- ج -

أهل قم يثرون، قالوا:

لا خراج،

وكان كبيراً.

حاربوهم،

هدموا سور قم، أذلّوهم

وزادوا الخراج عليهم^(١).

- د -

جيش عبيد الله يُباد^(٢)

ومصرُ تعودُ، وترقُدُ

بين يدي بغداد.

- ح -

لِبقايا مَلْطِيَّةٍ جَسَمَ حَجَزَ

غَيْرَ أَنَّ الرَّمَادَ مِهَادَ لَهَا

والتَّأَكَّلَ مِثْأَقَهَا.

وتدبُّ وتنهض في مَوْتِهَا:

موتُّها واجِدٌ،

والغبارُ الصُّوزُ.

* أخذته لغات السلاح وأصواتها:

ألصفائح مثل الصّحائف،

والترسُ طرسُ.

(١) أخذ من أهلها «سبعة»
آلاف ألف درهم، بعد أن
كانوا يتظلمون من ألفي ألف
درهم.

(٢) عبيد الله بن السري،
الذي كان متمزداً في مصر.
وعبد الله بن طاهر هو الذي
تغلّب عليه وأباد جيشه.

تَأْدُوا^(١):

«بَرِئْتُ ذَمَّتْنَا

بِمَنْ يَذْكُرُهُ»^(٢) بِالْخَيْرِ، وَيَمْتَن
قَالَ:

أَزَاهُ

أَفْضَلَ مِنْ أَيِّ

مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ.

- ط -

دَلْوُكَ جَحِيمٍ فَارَةٍ، لَوْنُ دُورِهَا
سَحَابٌ، وَلَوْنُ السَّاكِنِينَ تُرَابٌ
تَفَرَّ الطَّيُورُ الْعَابِرَاتُ مِنْ أَسْمِهَا
وَيَجْفَلُ مِنْهَا فِي الْفِضَاءِ سَحَابٌ
حِصُونٌ قَتَالٍ كُلِّ تَسَالَىهَا دَمٌ
وَلَيْسَ لَهَا غَيْرَ السِّيُوفِ جَوَابٌ.

(١) بأمر من الخليفة
المأمون.(٢) الإشارة إلى الخليفة
معاوية.

* أَلْقِلَاعُ الْقِلَاعِ

تَتَخَاصِرُ حَوْلَ الْبُيُوتِ، وَحَوْلَ
الْحُدُودِ، وَلَكِنْ لَمْ تَزِدْ قَادَةَ الْجُنْدِ
أَلَا فِرَاغًا،
وَأِلَّا ضِيَاعًا.

- ي -

ثوبٌ هذا التَّهَارِ طویلٌ

وأذیاله تَمَزَّقُ:

لا بُدَّ من آخِرٍ

على قَدِّه، -

أَلْخَنَادِقُ أَرْزَارُهُ

وَالْحِرَابُ الْخِيوطُ

وَأَكمامُهُ رِمَاحٌ.

- ٥٩ -

قال المأمون بخلق القرآن،
وأعلن:

«بَعْدَ مُحَمَّدٍ،

خَيْرُ النَّاسِ عَلَيَّ»^(١).

* لا يعودُ من الحربِ إلا إلى

الحَرْبِ:

رَبُّ الْأَفْوَلِ

سَاخِطٌ دَائِماً - مَرَّةً

تَتَقَطَّعُ فِي حَرْبِهِ الْجَسُومُ، مَراراً

تَتَقَطَّعُ فِيهَا الْعُقُولُ.

(١) قال ابن كثير: «في ربيع الأول، أظهر المأمون بدعتين فظيعتين، إحداهما أطم من الأخرى، وهي القول بخلق القرآن. والثانية تفضيل علي بن أبي طالب على الناس، بعد رسول الله (صلعم). وقد أخطأ في كل منهما خطأ كبيراً فاحشاً. وأثم إنمأ عظيماً».

- ك -

عِنْدَ بَابِ الْكَنِيسَةِ، قَتَلَى
وَالْبِكَاءُ عَلَى وَجْهِهَا غِطَاءً.

جَرَسَ مَيِّتٌ

مَلَائِكُ يَسْتَسْلِمُونَ إِلَى صَمْتِهِ.

حُوذٌ وَبِقَايَا سِيُوفٍ

تَتَعَاتَقُ فِي كَنْفِ الْمَوْتِ،

وَالرَّيْحُ تَلَهُوُ

وَتَجْرُرُ أَذْيَالَهَا.

- ٦٠ -

سَنَةٌ، كُلُّ لِسَانٍ فِيهَا

يَهْدِي

وَيَكْزُرُ قَوْلَ عَلِيٍّ^(١):

«اللَّهُمَّ أَرْخُهُمْ مِنِّي

وَأَرْحَنِي مِنْهُمْ».

* وساده الجرح في ضيق وفي سعة

وفي ضماد من الوسواس والأرق

يجر أعضاءه في كل زاوية

كأنه ورق يشكو إلى ورق.

- ل -

بين طِفْلٍ يَجِيءُ لِسَأَلٍ عَنْ أَبِيهِ
عِنْدَ جَارٍ لَهُمْ، وَطِفْلٍ
يَحْمِلُ الْمَاءَ كِي يَسْقِيَ الْعَابِرِينَ،
رَجَالٌ
وَنِسَاءٌ

يَجْرُونَ أَغْلَالَهُمْ
فِي دُورِبِ الشَّقَاءِ
وَتُرْفَرُ مِنْ فَوْقِهِمْ رَايَةٌ
تَمْرُقُ فِيهَا السَّمَاءُ وَيَقْتُلُ الْأَنْبِيَاءُ.

- ٦١ -

- أ -

بعد أن علقوه^(١)،
أشعلوا النار من تحته.

- ب -

بابك الخرمي، يقاتل -
يقتل ابن حميد^(٢).

(١) الإشارة إلى عبد الله بن
عبد الحكم.

(٢) قائد جيش المأمون،
محمد بن حميد الطوسي.

* تتلثم في صدره
لغة مرة حبيسه
تتكشف أسرارها
للعذاب الذي يتختر في قبة
الكنيسة.

- ٦٢ -

- أ -

«نَهَبَ لِلْأَمْوَالِ،

وَسَقَطَ دِمَائِهِ:

تلك خيائنه عهده

والقتل عقاب»^(١).

- ب -

«سَاوَرَا

بين الله وبين القرآن:

أهل جهالة

أهل ضلالة -

لا عقل لديهم، لا برهان»^(٢).

- ٣ -

ألخيول تواخي السهام،

السهام تفارق أقواسها

في غبار يلف المدائن -

أبراجها وحراسها.

- أين نمضي، ومن سنقاتل؟

- غرباً،

ونقاتل من ليس منا.

تسمع الشمس، تحنو وتقرع، حزناً

على الأرض، أجراسها.

* زَمَنْ مِنْ خِرَافٍ

وسكاكين، والكون كالخيوط في

إبرة -

فاتقاً، راتقاً.

(١) الكلام للمأمون، أميراً
بقتل ابني هشام: علياً،
وحسيناً، لسوء سيرتهما «قتل
الرجال، وأخذ الأموال».

(٢) الكلام للخليفة المأمون،
واصفاء الأشخاص الذين
يقولون بأن القرآن غير
مخلوق.

- ن -

نَخْلَةٌ - نَقَطَ مِنْ دَمٍ
تَتَغَلَّغُ فِي جَذْعِهَا .

جذعها -

لم يكن مرّةً فارساً
لم يقل مرّةً
إنّ للحربِ نَخْلًا
وجنائن من كلّ طيب .

وَيُخَيَّلُ أَنَّ يَدَ الشَّمْسِ ضَمَّتْ
عَلَيْهِ بِمَنْدِيلِهَا .

- ٦٣ -

سنة - كلّ أيامها
شهوآت،
ألتواخ سرير لها،
والجراح لقاخ .

* ما أعجبه -

لا يَسْتَيْقِظُ إِلَّا فِي طَبَلِ الْحَرْبِ
ضِدَّ الشَّرْقِ وَضِدَّ الْغَرْبِ .

لا أرى

غيرَ تلكِ الجسومِ التي تتراحمُ أعناقَها
وتُناجِرُ كي تُحزراً.

لا أرى

غيرَ ما تُعلنُ السيوفُ،
تُراني أشكو،

أم الخوفُ يجتاحني؟

أتراني في حيرة؟ ولكن،

مَنْ يُوَكِّدُ أَنِّي أُوَثِّرُ أَلَا أشاركُ

في الحزبِ،

أَلَا أرى؟

* أمشي، أعانق صخرأً أشتهي نَفَقاً

ذئبٌ أنا شَبُه مَيْتٍ، يشتهي دَمَهُ

خبزاً، ويشرب وَخَلَ اللّهِ والعَلَقَا.

- ٦٤ -

- أ -

حكّمه^(١) لا يُطاق، -

كانَ، ظلماً وبغياً،

يقتلُ النَّاسَ، أو يجمع المَالَ
منهم.

قتلوه، جزاءً

رَفَعُوا رَأْسَهُ على رَأْسِ رُمُحٍ،

وطافوا به في العِراقِ.

- ب -

تمجيداً،

لِلعقلِ وحكمِ العَقْلِ، سَادَعُوا
لِلقولِ جهاراً:

«لا أزلِّي، لا أبدي

إِلَّا اللّهُ : القرآنُ كمثلِ العالمِ،
مخلوقٌ، والإنسانُ مریدٌ حرٌّ».

(١) الإشارة إلى عليّ بن
مشام، عامل المأمون على
أذربيجان. وأشير سابقاً إلى
أمر المأمون بقتله مع أخيه،
لطفانيه وظلمه.

(٢) الكلام للمأمون داعياً
الناس إلى القول بخلق
القرآن.

خزوا الرأس،

وطافوا الأسواقَ به^(١).

قال ابنُ تمام^(٢):

«شاهدتُ عياناً جُتتُ -

كلبٌ أبيضٌ يحرسُها،

يمنع كلَّ كلابِ الحي

أنْ تدنوَ مِنها!».

وأضَافَ سِوَاهُ:

«كلُّ مساءٍ

كنتُ أشاهدُ أنواراً

كقناديلٍ

تتدلى فوقهُ».

- ع -

لُجَّةٌ مِن أَرْقٍ

أَتَقَلَّبَ فِيهَا، وَأَسْتَنْفِرُ الصَّبَاحَ،

وَأَوْهَمُ أَتَيْ فِيهِ وَمَنَّهُ، وَأَعْرَفُ:

لَا شَيْءَ حَوْلِي غَيْرُ الدَّمَاءِ،

وَأَعْرَفُ:

لَا شَيْءَ فِي مَشْرِقِ الشَّمْسِ،

إِلَّا العَسَنُ.

(١) رأس عنباس الفارسي، الذي كان من أئمة العلم بالحديث في أفريقية. قتله الأمير زياد الله بن الأغلب التميمي، وأمر بالطواف برأسه في أسواق القيروان.

(٢) شخص من أصحاب عنباس الفارسي، اسمه صبرة، وكان مولى لتميم بن تمام.

* بعضنا صادقٌ

بعضنا كاذبٌ، ولكن

صديقٌ كاذبٌ معاً كلٌّ صمتٌ.

- ف -

كلَّ يومٍ، قبيلَ الغروبِ،
تَجِيءُ إلى المدفنِ القريبِ إلى بيتها،
تتفقَّدُ أبناءَها وأحفادَها،
قلبها في يَدِ وَعَصاها
في يَدِ،
وَتُتَمِّمُ:
يا موتُ خذني إليهم!

- ب -

مات المأمون:
اختارَ العقلَ،
ورَدَّ الثقلَ،
وكان يحاورُ مَنْ سَمَّوهُ
بالزنديقي، وكان يُفضَّلُ أن
يُصغى،
في كلِّ خلافٍ، للفكرِ -
يقول بنور الفِكْرِ
قلَى الإنسانِ،
ومعنى الكونِ،
وسيز الدُّفْرِ.

* مُمَسِكَاً بيَدِ الشَّمْسِ، كان الصَّبَاحُ
يَتَنَقَّلُ في حِينَا
والمكانُ على صدرِهِ غَابَةً مِنْ رَمَاحِ.

- ص -

سأقول لهذا الذئب: تَجِيء كَريماً
وتموتُ كَريماً.

سأقول لنفسي

لم أقتل أحداً

لم أهرب

لم أسرق

بيت المال

وأكزّر قولي:

أَلطَّاعَةُ لِلْمَوْلَى

لخليفته، ولعمال خليفته

ولعمال العَمَّالِ.

- ٦٦ -

- أ -

نار^(١) في الطالقان،

تَعَزَّرَ، خَابَ، انكسَرَ

حبسوه -

قُرِّبَ مِنْ حَبْسِهِ.

كيف؟ أين اخفى؟

لا أئزّر.

* حرب، -

تَهْزَأُ مِنْ قِتْلَاهَا

مِمَّنْ يَنْتَصِرُونَ وَمِمَّنْ هُزِمُوا.

(١) الإشارة إلى محمد بن القاسم بن عمر، الذي ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب. وقد هرب من حبسه واخفى.

- ق -

حرب - جدل دام

بين المذهب والمذهب:

«غلب الروم»،

«الغالب، بعد غدي، مغلوب»،

قول ينسخ قولاً

في لغة

يَسْتَسِيحُهَا وَيُفْتَقِهَا، وَيُسَقِّقُهَا

داء، -

أتى، ومتى، وإلام

وكيف سيغلب؟

- ب -

ثورة الزط تطغى.

حاصروهم،

أبادوهم^(١)،

ضربوا كل أعناق أسراهم.

بعثوا بالروس إلى المعتصم:

إنتهج أيها السيد

المرتفع في عرشه،

وابتسم.

* في ألس قمر يحيى بلا حرس
 وحوله الناس والأوهام تشتجر
 ليلى ومريم شعر في دفاتره
 وفي سناه يؤاخي الموجة الشرر.

(١) قيل قُتِل ثلاثمئة، وأبسر
 خمسمئة. ودامت ثورة الزط
 تسعة أشهر. (راجع الإشارة
 لسابقة إليهم).

- ج -

الزجال، النساء،
وصيائهن حصاداً^(١):
وأحسُّ كآتي أصغي
للمغنين والشعراء،
وأصحابيهم:
«يادم الخرمية
كتبتك الغيوم على وجهها
للرياح، نجية».

- ر -

وقف الموت في باب كوخ
على باب منبج، مُستقرناً
حاملاً كأسه -
يَشْرَبُ الأرض، أيامها المانوية،
أغصانها المائلة،
وعلى كتفيه
مدنٌ راحلة.

* حقل موتى، كواسرٌ من كلِّ فجٍّ
بُرْكٌ من دم: مائدة
إنها الأرضُ - مخنوقة، هامة!

(١) الإشارة إلى قتلى من
الخرمية، بلغ عددهم، كما
يروى المؤرخون، مئة ألف،
سوى النساء والصبيان.

- ش -

دَهَبَ الفَارِسُ

ذَهَبَتْ أُمَّهُ

تَسْأَلُ الرِّيحَ وَالشَّمْسَ عَنْهُ

فِي الْحَقُولِ، وَبَيْنَ الْأَرْزَاقِ سِرًّا.

- ٦٧ -

- أ -

أَشْجَارٌ قُطِعَتْ

وَزُرُوعٌ بَادَتْ.

وَرُؤُوسُ الْقَتْلَى -

مَا أَكْثَرَهَا

مَا أَشْجَى مُنْظَرَهَا.

لَمْ يَقْدِرْ مَيْسِرَةٌ^(١)

أَنْ يَتَحَمَّلَ: زُلْزَلٌ،

مَاتَ حَسِيرًا.

لَمْ يُجِبْهَا، وَلَمْ يَعْرِفِ السِّرَّ، إِلَّا

عُضُنُّ يَابِسٌ.

* لَا صَوْتَ حَوْلِكَ، لَا صَدَى، -

صَحْرَاءُ مِنْ وَرَقٍ وَرِيحٍ

لِمَنْ اهْتَدَى وَلِمَنْ هَدَى.

(١) الإشارة إلى ما حدث في حصار عبد الرحمن بن الحكم لطليطلة، في هذه السنة ٢٢٠ هـ. وميسرة هو القائد المعروف بـ «فتى أبي أيوب». مات، بعد أيام قليلة من الحصار، حسرةً وَعَمَامًا، من رؤية رؤوس القتلى.

- ب -

القضاء على ثورة الرُّط:

أجلوهم بعيداً

عن أماكن سكناتهم.

وضعوهم

قريباً من الرُّوم،

جأؤوا إليهم،

وأبادوهم - واحداً واحداً^(١).

- ت -

تاريخ حُرُوبِ: طرس

كتب الآباء عليه

بدم الأبناء -

كتب الأبناء عليه

بدم الآباء

هول الأشياء.

أيكون الثور طريقاً

نحو ظلام آخر أذهى

وأمر حجاباً؟

* تاريخ شيطان

قدفته أحشاء البحر

الأوراق جراز، والخط دخان،

والجبر السحر.

(١) كانوا، كما يروي المؤرخون، سبعة وعشرين ألفاً، وقيل ثلاثين ألفاً، من النساء والصبيان.

- ٦٨ -

«قيل لي^(١) في المنام:

«إذا لم تُحارب

بأبكا، فسأمُرْ هذي الجبال

بِرَجْمِكَ»، -

يا رَبِّ، يَسْرًا!

فَتَحَتْ جُفُونِي. مَرَّ وَقْتُ

قَصِيرٍ - هُوَذَا بِأَبْكَ أَسِيرٌ.

- قَرْبُوهُ.

- أَيْنَ سَيَافُهُ؟

- تَقَدَّمْ، خذْهُ، واقطعْ يَدَيْهِ،

ورجلَيْهِ.

- أَحْسَنْتَ. وَالآنَ لِلذَّبْحِ. شَقُّوا

- ث -

كَلْنَا كَانَ يُوْغِلُ فِي مَذْحِهِ:

«يَمْتَطِي، لا الخيولَ ولكن

يَمْتَطِي هَمَّهُ

لَاعِنَانٌ لَهُ غَيْرَ أَعْنَاقِهِمْ.

سيفه يتحدث عنه

والرؤوس له كلمات».

كَلْنَا كَانَ يَهْدِي.

(١) الكلام للخليفة
المعتصم. وقد استمرَّ بابك
الخرمي في تمرده عشرين
سنة.

ويقول المؤرخون إنه قتل
مئتين وخمسة وعشرين ألفاً،
وأسر خلقاً لا يُحصىون.

ويقولون إن ثلاثة آلاف
وثلاثمئة شخص أسروا معه،
عندما قتل. وأسم أخيه
عبد الله.

وقيل إن بابك طلب أن يشرب
الخمر، قبيل مقتله.

* جَصُّ فَوْقَ جَبِينِ الْوَقْتِ وَطِينٌ

وَالْحَوْضُ كَبِيرٌ

وَالْأَيَّامُ جَوَارٍ فِيهِ:

تَارِيخٌ يَكْتُبُ فِي تَنْوِيرٍ.

- خ -

لِلدَّمِسْتَقِ ظِلٌّ

يَتَجَوَّلُ بَيْنَ الْقَلَاعِ، وَيُوغِلُ فِينَا:

أُتْرَاهُ دَلِيلٌ وَرَمَزٌ

لِشَهْوَتِنَا الْمَاكِرِ

كِي نَحْرَرَ أَيَّامَنَا

مِنْ مَرَارَاتِهَا وَتَبَارِيحِهَا؟

إِهْدِنِي، يَا ابْنَةَ اللَّيْلِ،

أَيْتَهَا الْبَوْمَةَ السَّاحِرَةَ!

بُظْنُهُ. أُرْسَلُوا رَأْسُهُ

لِخِرَاسَانَ، طُوفُوا بِهِ. وَاصْلُبُوا

هَذَا هُنَا جِسْمَهُ.

وَافْعَلُوا بِأَخِيهِ، بِمِثْلِهِ

بِمِثْلِهِ تَمَامًا.

- ٦٩ -

بَطَاشُ جَبَّاز^(١)،

كَانَ، لِكثْرَةِ قِتْلَاهُ،

يُدْعَى الْجَبَّازَ.

* مَا أَمْرُ الْوَصُولِ إِلَى الشَّيْءِ - فِي

صِمْتِهِ وَفِي سِرِّهِ،

وَمَا أَكْرَمَهُ .

أَجْمَلُ التَّوَرِّ مَا جَاءَ مِنْ جِهَةِ مُغْتَمِهِ .

(١) الإشارة إلى إبراهيم بن موسى الكاظم، وقد قتل في اليمن خلقاً كثيراً.

- ذ -

أصدقائي، أبناء قومي
سقطوا، يفرشون الغبارَ
ويلتحفون العراء.

لا أريدُ البكاءَ، ولكن
كيف أبقى بعيداً؟
كيف لا تدفق نفسي
في تدفقِ هذي الدماء؟

* طرّق - لا خضراء ولا سوداء
ولا بيضاء
نحو لغاتٍ
لا أفعالاً لا أسماءً لا أشياء.

٢٢٣ هـ ..

- ٧٠ -

- أ -

قالوا:

«بعضُ الأمراء -

العبّاسُ بن المأمون،

وبعضُ من إخوته،

رفضوا أن يصدر منهم صوت:

وامتصمأه!

أو ما يُشبهه.

فقتلوا^(١).

لُعِنَ العباسُ، وقالوا:

سَمَوْهُ لُعِيناً.

- ض -

في الزقاقِ تجمَعَنَ يبكين، يرقصنَ:

هذا

عرُسُ العائدينِ.

أَلْتَوافدُ شمسٍ لِمَن كان حيًّا

والغبارُ ستارٌ على الميِّتينِ.

رجلٌ وامرأهُ

يومئذٍ وحيدين في آخر الزقاقِ

إلى نجمةٍ مُطفأةٍ.

- ب -

في الأحياءِ، النَّاسُ سُكارى
يتغنى كلُّ منهم:

ما شأني بالسُّلطانِ -

أعني، يا الله،

اتركني في هذا القَبْرِ، بعيداً
عنه:

أخيا حُرّاً

للشعرِ،

لوجه الشعرِ،

وَوَجْهٍ نبيذِ عالٍ،

وَأبناة!

* روميّاتُ

بشبابٍ من رُمانِ

والطرقاتِ قلائدِ وَرْدٍ:

الأحمر، هذا اليومَ، أميرٌ.

- ظ -

إِنْفَتْحُ، أَيَهَا اللَّيْلُ، لَا مِثْلَ قَبْرِ

بَلْ كَمِثْلِ السَّرِيرِ،

وَلَا بِأَسْنِ أَنْ تَرَقَدَ الْحَرْبُ حَوْلَ الْوَسَادَةِ،

كَيْ يَتَوَحَّدَ مَاءُ السَّدِيمِ

وَمَاءُ الْوَجُودِ

وَابْتَعَدَ، لَا تَعُدْ

الْجَمَالَ مَتَى سَأَلَ فِي نَهْرِ أَشْوَاقِنَا،

لَا يَعُودُ.

- ٧١ -

فِي خِرَاسَانَ،

لَا شَهْرَزَادَ، وَلَا شَهْرِيَّازَ

فِي خِرَاسَانَ،

يَخْرُجُ شَخْصٌ

يَرِجُ مَدَامِيكَهَا،

إِسْمُهُ الْمَازِيَّازُ.

* عِنْدَمَا تَشْهَدُونَ الْقَمْرَ

وَشَوْشُوا الْبَحْرَ غَطُّوا سَرِيرَ مَنَامَاتِهِ

بِشْرَاعِ السَّفَرِ.

- غ -

لا تقل، أيها الشرق، هيأت نفسي
وضبطت مواعيدها.

لا تقل، أيها الغرب، وجهت وجهي
لِللقاء - الطَّرِيقُ هنا
وهناك، امحاءً.

والهواء يقول الهواء
لم يحن بعد يومُ اللقاء.

- ٧٢ -

أسير المازيار، وقالوا:
ماتت تحت السياط، وقالوا:
صلبوه على جسر بغداد،
أصحابه
وأتباعه -
قتل الأكرمون الإعزاء منهم.

* وجه زيتونة

ضاربٌ في تخوم الشفق، -
أتراني أقسم من أول:
والضحى، للقاء، ولا مُفترق!

هوامش



لا تعذر المشتاق في أشواقه
حتى يكون حشاك في أحشائه،
إن القتيل، مُضرجاً بدموعه،
مثل القتيل، مُضرجاً بدمائه.

المتنبي

إسحاق الموصلي

المغني المشهور، مات
سنة ٢٣٥ هـ.

ليت لي أن أغني
أن أرى زمني يتعنى
بالتواصي، في قلب هذي المدينة
كي يؤاسي أوجاعها،
ويؤالف ما بين أحلامها وخُطاهَا
ويُفتق أسرارها.

ليت لي أن أديرَ عليها
كأس أوجاعي الدَّفينة.

القاضي أحمد بن أبي دؤاد

«كان داعيةً إلى القول
بخلق القرآن. أخذ ذلك عن
بشر المزيسي، عن الجهم بن
صفوان عن الجعد بن درهم
عن أبلان بن سمعان، عن
طالوت ابن أخت لبيد
الأعصم وأخذه طالوت عن
ليد بن الأعصم اليهودي الذي
سحر النبي، وكان يقول بخلق
التوراة». مات سنة ٢٤٠ هـ.

نجمة فوقنا، سألتنا:

كيف تسمو حياة

يتأله فيها الكلام، ويصبح أرفع منها وأعلى؟

نجمة فوقنا

تتقنى خطانا،

تتقرب، تلمس أكتافنا

تتناهى، تعود - تريد الإقامة ما بيننا.

أترانا الفضاء الأحب إليها؟

أحمد بن حنبل

توفي سنة ٢٤١هـ /
٨٥٥م أمضى في السجن
ثمانية وعشرين شهراً،
لامتناعه عن القول بخلق
القرآن.

بين السجن وقول مقال لا يرتاح إليه،
آثر ليل السجن: الفكرة، حيناً، جرح
حيناً سكين،
حيناً ضوء.

ألهدا نفنى
كي تتجدد نار المعنى؟

الحارث المحاسبِي

مات سنة ٢٤٣ هـ /

٨٥٧ م. لم يُصَلِّ عليه إلا
أربعة أشخاص. هجره الإمام
أحمد بن حنبل، وهجرته
العامة معه، لأنه اهتم بعلم
الكلام.

- أ -

لم يُصَلِّ عليه سوى أربعة.

- ب -

هرباً من رَعَايَ

لا يرونَ طريقاً إلى الذين إلا التعصّبَ

والقتل، عاش وحيداً،

ومات وحيداً.

- ج -

قال: «لا أعلم» -

و «توهّم» /

أعمق ما يعرف المرءُ مُستَوهّم.

إبن كُريب

محمد بن العلاء ابن
كريب الهمداني. أوصى أن
تدفن معه كتبه، فدفنت. مات
سنة ٢٤٣ هـ.

عند موتي، اخملوني كأنني كتابٌ
وضعوا كتبي عند رأسي،
وادفنوننا معاً.

لغَةُ الشَّيْءِ أَتْقَى وَأَبْقَى
والتعاليم لَعَوٌ.

ابن منيع

يقال إنه من «أقران ابن
حنبل في العلم». «بيع جميع
ما يملك بعد موته بأربعة
وعشرين درهماً». مات سنة
٢٤٤ هـ.

بكت الأرضُ على جثمانِهِ

وأمالَتْ كَتفِها صوبَهُ

وَشوشَتْ أعْشَابُها:

«كان مثلي

لم يكن يملكُ إلاّ ثوبَهُ».

ابن السكيت

قتل بأمر من المتوكل،
سنة ٢٤٥ هـ. أمر غلماناه من
الأتراك، فداسوا بطنه وحمل
إلى داره حيث مات.
والسبب، كما قيل، هو أنه
فضل الحسن والحسين على
ابني المتوكل اللذين كان
مؤدباً لهما.

شمسُ هذا الصِّباحِ تدقُّ على البابِ . أنهَضُ ،
تأخذُ جسمي من كتفيه ، وتركضُ . مهلاً ،
قلتُ . هذا شارعٌ - غابةٌ تُصلي .
خذيبي إلى شارعٍ آخرِ
أتعلمُ رفضي فيه -
صيرتُ أشتاقُ أن ألتقي غابةً ثانية
وأرى بين أشجارها
شجراً كافراً
وأرى بين أعشابها
نبته زانية .

ذو النون المصري

- أ -

- قالوا^(١): عِلْمَكَ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ سَلَفٌ. أَحْدَثْتَ.
وقالوا: زنديقٌ أَنْتَ، ومبتدِعٌ.

- «ومالي سوى الإطراقِ والصَّمْتِ حيلةٌ

ووضعي كَفِّي تحتِ خَدَي، وتذكارِي»

- ب -

- ثُبِّتَ؟ وكيفَ؟ لماذا؟

- في الصَّخْرَاءِ.

نَمْتُ، فتحتُ جفوني:

قبرةٌ عمياءُ

سقطتُ مِنْ وَكْرٍ، -

الأرضُ انشَقَّتْ، خرجتُ فيها سُكْرُجَتَانِ:

السَّمْسُ فِي واحدةٍ، في الأخرى ماءٌ.

فأكلتُ، شربْتُ، وقلتُ:

حسبي الآنَ، وثُبِّتُ.

ولزمتُ البابَ إلى أن قيل: قُبِّلْتُ.

لَمَّا ماتَ، اضْطَلَقْتُ

لِنُظَلِّلَهُ،

أَسْرَابُ طيورٍ.

مات سنة ٢٤٦ هـ. أو

٢٤٥ هـ/ ٨٥٩ م. سجن في

بغداد بتهمة الزندقة. وأطلق

المتوكل سراحه. كان يلقب بـ

«قطب الوقت». ومن أبرز

تلاميذه أبو يزيد البسطامي.

(١) حوار بين ذي النون

وأخيه.

ديك الجن الحمصي

مات سنة ٢٤٧ هـ.

أحرقَ الحبَّ من نشوة
أخزقَ الحبَّ من حيرة
أحرقَ الحبَّ من شغف الظنِّ، من شغفِ الشكِّ
في حبه، واحترق.

أتراني أمثل ما عاشه -
أنحني فوق ذاك التراب الذي ضمَّها
وأوشوش قلبي: تقلَّب،
واضطجعت حلباً والمسافات والأرض،
واهبط
في الغياهِبِ، في جمر هذا العَسَقِ.

علي بن الجهم

قُتل سنة ٢٤٩ هـ. خيس
ونُفي، وفي أواخر حياته
عاش ماجناً عابثاً، زهداً
بالعالم وسخرية منه.

قتله بعض الأعراب
اللتصوص من كلب، قرب
حلب. وكان في طريقه
للمشاركة في الحرب ضد
الزُوم، وهو في حوالى الستين
من عمره. والبيتان الأخيران
وُجدا معه على رقعة حين
نزعت ثيابه، بعد موته. يقول
في إحدى قصائده: وأحكمه
التدريب حتى كأنه
يُعاين من أسراره ما توهُما.

بيتُ جراحٍ يعيش في هَلَجِ
ويَسْتَضِيْفُ الجِراحَ والهَلِعا
راحَ إلى الزُوم كي يحاربهم
لكنه في طريقه صُرعا
كأنَّ تاريخ أرضه كتب
يقراً فيها الجِرابَ والودعا
«وارحمتا للغريب في البلد التازح
ماذا بنفسه صنعا؟
فارقَ أحبَّاه، فما انتفعوا
بالعيش من بعده، وما انتفعا».

الزواية

V

الضوء؟

لا يكشف من الأشياء إلا حجابها الأكثر قرباً تبقى
الأشياء وراء حجب لا يمزقها الضوء

كان يردّد ذلك في نفسه فيما كانت القلعة تنزّرت
بسياج من هباء البشر الذين ماتوا لكي يغلقوها أو الذين
ماتوا لكي يفتحوها وفيما كان يخيل إليه أنّ التاريخ
أوراق تتطاير في غبار يتطاير. وأخذت أحجار القلعة
تتنظم في جوقة - كلّ حجرٍ صوت، وبدأت تُملي
عليه، -

أ - بَشْرٌ يملأون الأروقة والأقبية بالكلام لكن
دون أن ينطق أيّ منهم بأية كلمة.

ب - بَشْرٌ في مقام الصفر يجلسون تحت ظل
الواحد.

ج - امرأة تتحدّث مع نهديها.

د - زَمَنٌ، -

قنديلٌ أسود يتدلّى من سقف الأبدية.

هـ - كلاً،

لا ليلك يُحرّر الّيدين،

ولا نهارك يحركّ القدمين:

يكفيك، أيها الزّمن

أنّ تصلبَ جسد المكان.

و - التردّد نفسه يشكّ في المصادفة.

ز - لم يكن أرباب القلعة عاجزين عن قتل مدنيّ

بكامليها، وكان كلّ منهم عاجزاً عن قراءة كتاب

واحد.

ح - الفجرُ تكرارٌ

لكنّه، دائماً، بداية.

الفجرُ؟ هل كان القبو فجرأ هو الآخر، في نظر

الأمريّن بعمارته ومهندسيه وبتأثيه والساهرين عليه؟

«أمرَ بعمارته

مولانا السلطان الملك الظاهر العالم العادل

المجاهد المرابط المنصور المظفرّ الغازي عماد الدنيا

والدين أبو المظفر بن يوسف بن أيوب ناصر أمير

المؤمنين».

وهل كان هذا القبو سعيداً إلى هذه الدرجة؟
لم أكد أطرح هذا السؤال موشوشاً ضوء الشمس،
حتى أخذني قبو آخر يبدو أنه أكثر سعادة، -
«أمرَ بعمارته

مولانا السلطان الملك العزيز غياث الدنيا والذين
ركن الإسلام والمسلمين نسل الملوك والسلاطين خلد
الله ملكه».

فيما كان يخرج ملتفتاً إلى القلعة يودعها، كانت تخرج
من جدرانها التي ترقعها خِزق العصور أشباح مدججة
بالسلاح تتنافس على الأسلاب التي تركها المهزومون
غزوً داخل الغزو على الأكتاف رؤوس تنتمي
إلى أكتافٍ أخرى على النحور سواعد كانت تتحرك
فوق نحورٍ أخرى قطعان جامحة لا يروضها إلا
الذهب ذبح ورقص تحت سقفي واحد مأتّم
وعرس في لحظة واحدة.

وانظروا: يدبُّ المال في الشوارع كأنه النمل والأيدي
كلها تسرق الأرض باسم السماء أو تسرق الثانية باسم
الأولى.

بلى، لا بدّ لمن يريد أن يدرس فيزياء المدينة، من أن
يدرس أولاً كيمياء الشهوات.

خارج القلعة،
شيخ يتوكأ على عُكَّاز،
للُعُكَّاز رأس امرأة، وطرفُهُ الأسفل دقيقُ كُرأس
الحرية .

سوقٌ بسقفٍ مليءٍ بالثقوب تنزل منه أشعة الشمس في
أشكال الدنانير سوق بجدران تزئنها بسطٌ بدوية
حمراء سواده . حانوت عقاقير وأعشاب طبيّة ومراهم
ومقويّات ومشهيات . شراب الرأس للحكمة
شراب القلب للمحبّة طلاسّم لأسافل الجسد وأعالیه
حانوت بشكل محراب امرأة تسير فاتحة مظلة سوداء
لوقاية بياضها من حرارة الشمس امرأة بلباس أسود
يزيد وجهها بياضاً مسجدٌ يُرمّم آخرُيني مكتبة
- لاكتب، بل أقلام ودفاتر .

بدأت الظلمة تطرد الشمس أخذت تتربع على حافة
الأفق على الجدران والأبواب والنوافذ على
أغصان الشجر والمآذن على رؤوس المارة

خارج القلعة في المدينة القديمة يسير على ترابٍ
سبقته إليه خطوات المتنبي . ربّما تعانق أثر خطواتهما

وغبارها. حوله من جميع الجهات غبارٌ آخر لا يراه
لا يحسّ به إلا القلب

أخذه الشعور بالوحدة وهو في وسط الجموع شعر
أن خطواته تتخاصم: بعضها يطارد بعضاً وبعضها ينفي
بعضاً

آه كلاً ولم يكن ذلك إلا توهُماً

كان يسير في مكانٍ آخر.

رأى في المدينة زاي هيكلاً مدوراً بسبعة أبواب،

«للهيكل قبة في أعلاها جوهرة أكبر من رأس
الثور تضيء ساحات الهيكل، ولا يدنو أحدٌ من
الجوهرة إلا سقط ميتاً.

وفي الهيكل بئرٌ مثلثة الرأس، متى أكبَّ الإنسان
فوقها، تطوح فيها إلى الأسفل على رأس البئر
طوقٌ كُتب عليه:

«هذه بئرٌ تؤدّي إلى كتب الدنيا وعلوم السماء

وما كان في ما مضى من الدهر

وما يكون في ما يأتي.

لا يصل إليها ويقتبس منها إلا من وازت قدرته

قدرتنا، واتصل علمه بعلمنا، وصارت حكمته

كحكمتنا».

منذ أن يقع بصر الإنسان على الهيكل،
يقع في نفسه جزعٌ وحزنٌ واجتذابٌ وحنينٌ .

وكان حاكم المدينة سين، حين لا يثق بوزرائه وعماله
يسلّط على رعيته ناراً تحكم
تأكل الظالم ولا تضرّ المظلوم
ومرّة رأى في ساحة قصره جماعةً رأى ناراً تخرج
إليهم وتأكلهم ثم دنت منها جماعةً ثانية فأخذت النار
ترجع إلى الوراء حتى انطفأت .
وقال أبجد :

رأيت في المدينة شين فقراء في أعناقهم وأيديهم
أطواقٌ من الحديد، يتقدّمهم رجلٌ أسود رأيت
يأخذ حطباً ويضرم فيه النار ثم أخذوا جميعاً
يرقصون في النار أما هو فلبس قميصاً رقيقاً وأخذ
يتقلّب في اللهب ويضربه بأكمامه صارت النار
رماداً ولم يحترق القميص .

※

ويوماً فوجئت المدينة شين
«أمر الحاكم أن ترفع الضرائب عن أهلها، وأن
يتساوى فيها الغني والفقير قال لهم إذا سمع بإنسان
مات جوعاً في شارع أوحى فسوف يحرقه لكن
ذلك لم يدم .»

الذِّكْرَى

V

المدينة فاء

كل شيء في المدينة فاء يقول لك :
«الأمس زائل، واليوم عابر، والغد متهم».

*

الفضاء في المدينة فاء،
بيوت يسكنها ضيوف غير منظورين . وكيفما نظرت،
ترى مسرحاً ترصف عليه الرؤوس أدرجاً للصعود.

*

في المدينة فاء،
يُكسر الزمن كما يُكسر الجوز.

*

في المدينة فاء،
تصاد اللانهاية بالراحات، وغبار الخطوات هو نفسه
صياد الوقت.

*

قلما يسمع في المدينة فاء إلا ما يشبه هذا الهمس :

- «هل بطنه جرابٌ لكي يُفْتَح؟»

- «هل جسده قمح لكي يُطْحَن؟».

*

يُخْتَل، أحياناً، أنّ الإنسان في المدينة فاء أشبه بخيط
طرفه الأول اللهب الذي يخرج من فم الشيطان، وطرفه الثاني
الآهات الذي يصعد من فم الملاك.

✱

من أين لك، أيتها المدينة فاء،
أن يتحوّل رأسك إلى نرد، ونبضك إلى رمية نرد؟
من أين لك القدرة على الجلوس في حضن عشبة،
وعلى أن تُجلّسي بين يديك طائر الوقت؟
من أين لك أن ترجمي الريح؟

✱

هو، في المدينة فاء، ليس هو
في رأسه تنزف رؤوس، وتحت لسانه تتسلّل السنة.
يخاف أن يُحيّي البحر. يخاف أن يشمّ وردة. ويسأل دائماً:
ماذا أفعل بحياتي؟

✱

ألم يكن يكفي ذلك الشاعر عبء الولادة في المدينة
فاء،

حتى ينضاف كذلك عبء الموت فيها؟

✱

عندما سيزور المدينة فاء مرّة ثانية، (إن سمح العمر
والوقت)،

سيصاحب غيوماً تحجب عنه المجرى.

سيقول لواحدة: أظلميني،

وسوف يأمر أخرى لتنظر هل غاض ماء الحب؟

المدينة صاد

هو، الحارس على الشمس، في المدينة صاد،
ذهنه كالهواء،
لا يصادف أية عقبة، كيفما فكر، وأينما اتجه .

✽

هو، في المدينة صاد،
لا يكتفي بأن يخضع، بل يبحث أيضاً عن أعداء تبرىء
من يخضع له .

✽

يخيل، غالباً، في المدينة صاد،
أن العالم كله مكان لكي يتساقط ورق الشجر، ولكي
تلهوّ الريح .

✽

لم يسر مرة، في المدينة صاد،
إلا رأى الحلم يسير إلى جانبه، لكن مقيداً .

✽

لكي يعرف كيف يكتب عن المدينة صاد،
يفكر بغيرها .

✽

قد يكون جسدك، في المدينة صاد، حتّى
وتكون حياتك مع ذلك جحيماً.

✽

ما لن تكونه أبداً،
هو الكيان الوحيد الذي يتاح لك، في المدينة صاد،
أن تحلم به،
وأن تعمل من أجله.

✽

في المدينة صاد،
جسدك، حتّى وهو في الظلمة، يكون في النور،
وذهنتك، حتّى وهو في النور، يكون في الظلمة.

✽

كأنك، في المدينة صاد، لا تلتقي مع نفسك، إلا بقدر
ما تضيعُ عنها.

✽

أقول، مع ذلك،
أحلم أن أحول كل حجرٍ في المدينة صاد،
إلى إناء أضع فيه وردةً، كل يوم.

أقول، مع ذلك،

لو أن الساعات التي تعيشها المدينة صاد ملكٌ لي،
لَصَنَعْتُ من كل ساعةٍ كرسيًا، وأجلستها عليه .

أقول، مع ذلك،

أتلمذ على أطفال المدينة صاد، وأملأ جسدي بغبار
طلعها .

أقول، مع ذلك،

يثرني الزمن بين يديها دَرَّةٌ دَرَّةٌ، يوماً يوماً، ساعةً
ساعةً، ومع ذلك تسكت ولا تقول شيئاً .

إذن، ماذا يجدي، أيتها الريح، تَمَائُلُ هذا الغصن؟
ماذا يجدي أن أقطف زهرة من بستان المعنى، وأضيفها
إلى غابة الشكل؟

أقول، مع ذلك،

أودَعك الآن يا دَوَّار الشمس في المدينة صاد .
ماذا؟ تدور مع شمسي، وتتوجني بنظراتك؟
عهداً،

سنظل صديقين في بستان المعنى .

المدينة قاف

« . . . انتقد ما شئت، كما تشاء. نعم، الماضي بالنسبة إليّ أفضل من الحاضر، وأجمل. وأعرف أن المدينة قاف تقودني إلى العدم. غير أنني مع ذلك، متضامن معها. ثم، ما هذا الوجود الذي تقودك إليه المدن الأخرى؟»
(فقرة من آخر رسالة بعث بها كاتب من المدينة قاف إلى صديق له في مدينة أخرى).

✱

كل عصيان سياسة في المدينة قاف، حتى ولو عصيت قاعدة فنية. ذلك أن القاعدة ترويض اجتماعي: طاعة واتباع، ورفضها يعني رفضاً للنظام، واستمراراً في البذعة والضلال.

✱

المدينة قاف مدينة من الأشياء،
لكن لا وجود فيها إلا للكلمات.

✱

يدور الحوار في المدينة قاف بين طرفين: ما يراه الطرف الأول مرتعاً، يراه الطرف الثاني مستطيلاً. ويمضي كل منهما حياته في النضال من أجل إقناع الآخر بصحة رأيه.

إن كان عليك، إذن، أن تتكلم، أيها العابر، كما يتكلم
الجميع، فما تكون الحاجة آنذاك إلى الكلام؟

*

مرّة، قال شاعر في جلسة مع أصدقائه في المدينة
قاف:

«ليكن الفنُّ لذةً كلذة الحب: لا يهدف - لا إلى إرضاء
المجتمع، ولا إلى إزعاجه، لا إلى قبوله، ولا إلى
رفضه...»، - منذ تلك الجلسة، لم يسمع أحد شيئاً عنه.

*

هناك، في المدينة قاف، كتبَ كثيرة يكتبها أصحابها
بحرية، كما يُقال.

- ربما. لكن قراءتها لا تفتح أي أفقٍ للحرية.

*

«الفكر إما أنه الموج، أولاً يكون إلا رمزاً»: منشور
سرّي أتيح لي أن أقرأه في المدينة قاف.

*

مهما مشيت إلى الأمام في المدينة قاف، فإن الوراثة
يتقدّمك.

*

ليس الإنسان في المدينة قاف هو الذي يؤثّر، بل الحدث - آتياً من «فوق» أو من «خارج». الإنسان وسيلة، وهو في أحسن الحالات، شاهدٌ. يعيش في ظل الحدث، وتحتّه.

✱

مات رجل في المدينة قاف، بعد أن كتب على ورقة كبيرة هذه الكلمة الغامضة عن أحد أصدقائه:
«يظنّ أن الغامض هو في ما لا يعرفه ولا يراه، وهذا ظنُّ خاطيء».

إن كان الغامض يهمه، فعليه أن يبحث عنه في ما يعرفه، وفي ما يراه».

✱

«لا يقدر الإنسان أن يمارس السياسة في المدينة قاف، لأنه لا يقدر أن يتحدث عنها: كيف يعمل الإنسان في ما لا يقدر أن يقوله؟

السياسة هي أولاً، قدرة على الكلام»، -
منشور سرّي أتيح لي أيضاً أن أقرأه، في زيارة أخيرة لهذه المدينة.

✱

قال الطاغية في المدينة قاف لمهزّج:
- كمال الشعر هو الغاية التي أسعى إلى تحقيقها.
قال المهزّج:
- الوسيلة الوحيدة إلى ذلك هي القضاء على الشعراء.

المدينة راء

الزمن في المدينة راء،
هو دائماً للذين يعيشون خارجه .
لا شيء، في اللغة التي تتكلمها المدينة راء، موجود
بقوة التوهم، كذلك الشيء الذي تسميه الحرية .

✽

الحب في المدينة راء؟
هو أن تدرس، مثلاً، أثر الطير في الفضاء، أو تأثير
الشجرة على الريح .

✽

المدينة راء مرصوفةً بجماجم تسمى جنائن، وبأفخاذ
تسمى أنهاراً .

✽

جميع الكتب التي رأيتها في المدينة راء مليئة بالقبور .
خيل الي، مرة، أن كل كلمة فيها ليست إلا قبراً أو شهادة .
كأن الإنسان في هذه المدينة لا يحيا إلا ميتاً .

✽

الفكرة في المدينة راء،
ناقرة ترفض أن تحمل الرؤوس المقطوعة .

✽

الضحية في المدينة راء،
هي نفسها القاضي والشاهد والجلاد.

*

تتعذر رؤية المدينة راء،
إلاً عنقاً نازفاً مشدوداً إلى قدميها.
هكذا تؤكد المدينة راء أن الانحناء هو أفضل سلم
للصعود.

*

غرب، غروب، غبار:
كلمات تتخذ منها المدينة راء رموزاً،
ومن هذه الرموز تتخذ أبواباً ومفاتيح.

*

قانون الحياة اليومية في المدينة راء هو: إما أن تقتل
الآخر، وإما أن يقتلك، -
لكن، أيتها الوردة، ماذا دهك، وكيف وصلت إلى
هنا، ومن أوصلك إلى فوهة هذا المدفع؟

*

كل صباح، في المدينة راء،
تمتلئ السماء بأصوات ترتفع كمثل أعمدة لسجون
بنيت خصيصاً للأحلام والنساء.

*

الضحية في المدينة راء، هي دائماً الإنسان،
لكن من أجل أهداف غير إنسانية.

*

«ما يقوله السيف يكفي أن يفهمه الدم»:
تكرر المدينة راء، كل يوم، لكي تطمئن جلاديها.

*

ولدت المدينة راء -

في يدها اليمنى سكين.

وفي يدها اليسرى وسادة.

*

أينما رؤي دخان، يقال عادةً: لا دخان بلا نار،

إلا في المدينة راء -

ليست النار هي التي تصنع الدخان،

بل الغبار هو الذي يصنعه.

*

«لا تفكر، لا تقرأ، -

بهذه الطريقة، وحدها، تستطيع أن تتغلب على الفكر

الذي يعارضك، وأن تلغيه».

هكذا قالت المدينة راء.

V

أذا الحَرْبُ قَدْ أَتَعَبَتْهَا، فَالهُ سَاعَةٌ
لِيُغَمَدَ نَضْلٌ أَوْ يُحَلَّ حِرَامٌ.
المتنبي

- ٧٣ -

سُجِنَ الإفْشِينِ،

فُتِلَ الإفْشِينِ،

صَلَبَ الإفْشِينِ -

نَهَمَ شَيْءٌ:

منها أن كتاب «كلىة» والمفريت

الآخر «دمنة» كان لديه:

كان محلّى ذهباً وجواهر. منها:

تمثالٌ من خشبٍ، في أذنيه

فُرْطَانِ، ومنها صُورٌ في

البيت، وقالوا: كتب لمجوس.

وأضافوا: أصنام.

يا للكافر، ما أجرمه، ما أنفه

عقله!

أخرق، دُرِّي في دجّته!

- أ -

حَلَبٌ تَسْكُنُ الحَرْبَ، كَلَّ الدُّورِبَ إليها

جِرَاحٌ

كَيْفَ أَفْنِيعُ صَوْتِي

أَنْ بَقِيَءٌ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ؟

أَوْ، لَا بَلَدٌ آخَرُ

وَلِمَاذَا الخَرَائِطُ أَضِيقُ مِنْ خَطَوَاتِكَ،

يَا أَيُّهَا الشَّاعِرُ؟

* خطواتٌ

لَا تُنَافِسُ غَيْرَ التَّجُومِ وَغَيْرَ اللَّهَبِ

وَأَنَا مُتَعَبٌ - تَعْبِي عَاشِقٌ

وَجِرَاحِي حَقُولٌ لِيُوزِدَ التَّعَبَ.

- ب -

للعنود الذي يموتون في أرضروم

بيوت،

والملائك حراسها -

للعنود الذين يعودون، هالات وجد:

كل شخص يجيء

ليلمس أردانهم،

ويرى كيف أن السماء

فصلت

كي تكون لأجسامهم رداء!

- ٧٤ -

يتبرقع^(١) كي لا يرى

ويطوف القرى،

داعياً يأمر الناس بالعدل

والخير،

يستنكر المنكراً

حبسه

وفي حبسه، حنقه.

(١) هو المبرقع أبو حرب
اليمني. يقال إنه قتل جندياً
اعتدى على زوجته، وهرب
متبرقماً لئلا يعرف، داعياً إلى
الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر. وقيل: استجاب له
أهل القرى، وقويت شوكته.
أسره المعتصم وحبسه. وقتل
في سجنه، خنقاً، سنة
٢٢٧هـ.

* أغلقوا كل باب عليه، وقالوا:
عائق الموت، واصعد إلى ملكوت
السماء
كي تريحك من ربقة الشقاء.

- ج -

سُمِّيتْ غزوةَ الفَنَاءِ:

جَيْشُهُ كُلَّهُ انْكَسَرَ^(١)

بَادَ، لَمْ يَبْقَ إِلَّا

نَقْرُ سِنَّةٍ - وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ.

كَانَ يَسْتَأْصِلُ الرُّومَ، كُنْتُ أَرَاهُ

يَرْجَحُ الْمَكَانَ

كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ الشَّجْرَ

خُوذَ لِلْعَدُوِّ، فَوَارَسُ، كُنْتُ أَصِيحُّ:

«الْأَمَانَ الْأَمَانَ،

أَيُّهَا الْعَلِجُ».

- «لَا عِلْجَ^(٢). هَذَا سَمْرٌ عَالِقٌ بِثِيَابِكَ»: يَحْنُو

وَيَهْتَفُ بِي ضَاحِكًا:

- عَفُو سَيْفِكَ، عَفُو الْفُرُوسَةِ: رَعِبُ الْفَنَاءِ

جَزَنِي مِثْلَ طِفْلِ لِهَذَا الْهُدَاءِ.

* حَفْرَةٌ، رَأْسُ مَيْتٍ

وَعَرَابٌ عَلَى الرَّأْسِ يَجْثُو:

صُورَةٌ تَتَكَرَّرُ فِي كُلِّ شَمْسٍ.

- ٧٥ -

يسخر الثائرون من الموت،

كُلُّ يُرَدُّ مَا قَالَهُ عَلِيٌّ^(٣)

مَرَّةً، فِي الْقِتَالِ:

«لَا أَبَالِي،

سِوَاةَ لَدَيْ - أَجْنُثُ

إِلَى الْمَوْتِ،

أَمْ جَاءَنِي».

(١) الإشارة إلى سيف الدولة.

(٢) الكلام لسيف الدولة مخاطباً المتنبي.

(٣) علي بن أبي طالب.

خَرَشْنَةُ

أَسْلَمَتْ صَدْرَهَا لِلخِيُولِ وَأَطْرَافَهَا لِلرِّمَاحِ.

خَرَشْنَةُ

جُثَّتْ أَوْ جَرَّاحٌ.

خَرَشْنَةُ

خَوْذَةٌ تَتَقَصَّى، تَنْقَبُ أَحْشَاءَهَا

خَوْذَةٌ تَشْهَدُ فِيهَا،

خَوْذَةٌ مِثْلُنَهُ.

- ٧٦ -

حَبَسُوا كِتَابًا^(١) -

قَالُوا: أَخَذُوا مِنْهُمْ

أَمْوَالًا.

وَالتَّهْمَةُ: ظَلَمُ النَّاسِ،

السَّرِقَاتُ،

وقالوا:

سَمَوْهُمْ خَوْزَةً!

* لِمَ لَا يَكْتُبُ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي

الْخُلْدِ، عَمَّا يَرُونَ، إِلَى الْأَصْدِقَاءِ؟

وَلِمَ الْغَيْبُ يَجْهَلُ أَنْ يَسْقِيَ الْمَاءَ إِلَّا

بِقَارُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ؟

(١) حبسهم الخليفة الواثق الذي خلف المعتصم بعد موته، سنة ٢٢٧هـ.

بَطْرَقِيونَ أُسْرَى

وَالدَّمِستَقُ يَجْتَرُ أوجاعَهُ .

أَلذَّهولُ الأَلِيمُ الذَّهولُ

مُدْبِرٌ مُقْبِلٌ

فِي السَّيوفِ ، عَلَى صَهواتِ الخِيولِ

وَالدَّمِستَقُ يَجْتَرُ أوجاعَهُ

لَمْ يَعدِ قَادرًا

أَنْ يُمَيِّزَ بَينَ أنينِ الفَرَسِ

وَرَنينِ الجَرَسِ .

- ٧٧ -

الأعرابُ فطيمُ ذنابِ

وَبُغَا^(١) صيَّادُ .

قالوا: لَمْ يُفْلِتْ أَحَدٌ .

* لا تبتئسي ، كوني مثلي ، يا أهوائي :

ليس الموتُ أمامي ،

الموتُ ورائي .

(١) بُغَا الكبير ، وقد وَجَّهه الخليفة الواثق لمحاربة الأعراب في الحجاز .

أليس، -

أيها التهرُّ، تحت الثياب التي ترتديها

جسدٌ ليس فيه مكانٌ

للجِراب، لجرحٍ جديدٍ.

ما تقولُ لمجرأكَ، للصفَّتين؟ سأضغي.

لستَ إلاّ دماً -

ألَهواءُ الذي لأمسَ الآنَ خَدَيْكَ دام،

صَبَغَتْهُ يَدَاكَ

وَحُطِيَ العَابِرِينَ دَمٌ يَتَدَفَّقُ، مُسْتَقْطِراً

مِنَ حُطَاكَ.

- ٧٨ -

- ١ -

«صَلَّيْتُ عَلَيْهِ»^(١)

صَلَّى النَّاسَ جَمِيعاً

بَعْدَ سَنَيْنِ سَبْعٍ مِنْ

مَقْتَلِهِ.

كَانَ الرَّأْسُ وَحِيداً

مَصْلُوباً فِي بَغْدَادَ، قَرِيباً

مِنْ مَسْكَنِهِ،

وَالْجِسْمُ وَحِيدٌ

فِي سَامِرَاءَ:

بَكَتِ الخَشْبَةُ

وَبَكَى الجِنَاءُ»^(٢).

(١) الإشارة إلى أحمد بن نصر الخزاعي الذي قتل وصلب لآته رفض القول بخلق القرآن، والنص بلسان أحد أصحابه.

(٢) كان يخضب شعره بالحناء.

* قل لي: ماذا أفعلُ

في وطنٍ يُرْتَجَلُ؟

- ز -

أيهذا الفضاء النقيُّ البريء،

لِمَ لا يَسْطَعُ اللُّهُ فِيكَ، احتفاءً

بابتها لاتنا إليه

وبأشواقنا؟ لماذا

حين نُعْطِي لآهاتنا

ولأحلامنا

ولأيامنا

شفتيه وأهدابُه، لا يُضِيءُ؟

- ب -

قال لقاتله^(١):

«نطفةٌ سكرانٍ أنت

أُتِيتَ في جاريةٍ.

مَنْ أنت،

وكيف يجيء لراسك عِلْمٌ؟».

(١) الخليفة الواثق. ويُرْوَى أنه دعا بنطع صَيْر في وسط الخزاعي، ودعا بحبل لسد رأسه. ثم ضربه الواثق ضربتين على حبل العائق وعلى رأسه. وضرب سيما الدمشقي عنقه، ثم صلب وكتب في أذنه رقعة، فيها: «هذا رأس الكافر المشرك الضالِّ أحمد بن نصر بن مالك قتلَه اللهُ على يدي عبد الله أمير المؤمنين الواثق بالله، بعد أن أقام عليه الحجَّة في خلق القرآن، ونفي التشبيه. وعرض عليه التوبة، ومكثه من الرجوع إلى الحق، فأبى إلا المعاندة. والحمد لله الذي عجل به إلى ناره».

وُضِعَ الذين شايعوه في السجون، ومنعوا من الزَّوَار، وقطع نخل بعضهم، وانتهت منازلهم. وقيل: إن أحدهم قال للخليفة الواثق وهو يقتله: «اسقني دمه، يا أمير المؤمنين!».

* أَلْقِنَاعُ هو الوَجْهُ، قالت

وردة -

وردة عِطْرُهَا قَبْرُهَا.

- ح -

بين نَهْرَيْنِ مِنْ غَضَبٍ وَأَنْحَاءِ
لِلْقَلَاعِ وَأَسْوَارِهَا،

يَتَدَقَّقُ نَهْرٌ قَوِيْقٍ .

وعلى صِفَتَيْهِ

يَسْمُرُ السَّاهِرُونَ: جِرَاحُ

وَأَسَاطِيرُ مَخْنُوقَةٌ .

- ح -

- ما قولك في القرآن^(١)؟

- كلامُ اللَّهِ،

- وماذا تعني:

مخلوق، أم لا؟

- قلتُ: كلامُ اللَّهِ،

- أجبني: أترى ربك،

يومَ الْحَشْرِ؟

- قرأنا

آثاراً قالت:

«في الْحَشْرِ، ترون اللَّهَ

كمثلِ الْقَمَرِ،

وأنا أومنُ حَقًّا

في صِحَّةِ هَذَا الْأَثَرِ» .

* شاعِرٌ - غَيْرَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى قَلْبِهِ،

دُونَهَا فِلَوَاتٌ، وَمَحِيطَاتٌ ظَنُّ .

أَغْفُرِي تَبَهُهُ وَتَبْهِي، يَا طَرِيقِي إِلَيْهِ .

(١) حوار بين الواصلق وبعض
رجال قصره من جهة، والفقيه
أحمد بن نصر الخزاعي من
جهة ثانية .

- ط -

تثورُ عليكِ مِنْ سَفَهٍ قُشِيرٍ

وَتَمَشِي فِي أَعْتَمَتِهَا كِلَابُ

تُعَاقِبُهُمْ لِتَهْدِيَهُمْ، وَتُغْضِي

كَمَثَلِ أَبِي يُوْرَقَةَ الْعَقَابُ

«وكيف يتمُّ بأسكُ في أناسٍ

تُصِيْبُهُمْ، فيؤَلِمُكَ الْمُصَابُ»؟^(٦)

- وَبَلَّكَ، أَنْظِرْ مَاذَا

قَلْتَ...^(١)

...

- وما فتواكم فيه^(٢)؟

- دمهُ جِلُّ^(٣).

- لو أَسْقَى دَمَهُ، يا مولاي^(٤)،

- القتلُ يُحَقِّقُ مَا تَطْلُبُهُ.

- تُطْلَبُ مِنْهُ التَّوْبَةُ^(٥).

- إِنْ قَمَتِ إِلَيْهِ، لَا يَنْهَضُ

أَحَدٌ مِنْكُمْ. فخطاي إليهِ

عند الله، أبرُّ خطائي.

اخْتَرُ الرَّأْسَ / خذوه

دَلْوَهُ، قولوا:

«هذا رأس الكافرِ

... إلخ».

✽ تطبق الشمس أجفانها

حين ترنو إلينا.

لا ترى غير أرضٍ كَوْنَتْ لِلشَّقَاءِ

تَبَخَّرَتْ فِي جِبَةِ الْأَنْبِيَاءِ!

(١) الكلام لأحد الحضور المحاورين، ويدعى إسحاق بن إبراهيم.

(٢) سؤال من الخليفة الواثق.

(٣) جواب للقاضي عبد الرحمن بن إسحاق.

(٤) طلب ذلك شخص يدعى أبو عبد الله الأرميني.

(٥) الكلام للقاضي ابن أبي دؤاد.

(٦) البيت للمعني.

- ي -

أَتَى إِلَيْكَ رَسُولُ الرُّومِ، فامتَلَأَتْ

بِالنَّاسِ، سَاحَاتُكَ الْفِيحَاءِ،

وَاشْتَجَرُوا

يَسْتَشِيرُونَ: بِلَادُ الرُّومِ تَجْرِفُهَا

رِيحُ الْيَبَاسِ،

وَأَنْتَ الْغَيْمُ وَالْمَطَرُ.

«تَزَاحَمَ الْجَيْشُ حَتَّى لَمْ يَجِدْ سَبِيًّا

إِلَى بَسَاطِكَ لِي سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ»^(١).

- د -

زَمَنْ مَشْهُومٌ،-

آلَافٌ أَرْبَعَةٌ أَسْرَى

عِنْدَ الرُّومِ، وَلَكِنْ

مَنْ قَالَ بِخَلْقِ الْقِرَآئِنِ،

سَيُفْذَى وَيُحْرَزُ.

مَنْ يَأْبَى،

سَيُظَلُّ سَجِينًا عِنْدَ الرُّومِ!

* مَنْ تَرَى ذَلِكَ الْفَارِسُ؟

لَا يُخَاصِمُ غَيْرَ الْكَوَاكِبِ،

وَالرَّفْضُ شَيْطَانُهُ الْحَارِسُ.

(١) جلس سيف الدولة لاستقبال ملك الروم. ولم يقدر المتنبي أن يصل إليه لزحام الناس، فعاتبه سيف الدولة على غيابه. واعتذر المتنبي بأبيات، منها هذا البيت الأخير.

- ك -

(١) أمر به الخليفة الواثق:
«هل القرآن مخلوق، أم غير
مخلوق؟».

(٢) الفئات التي كانت تتمرد
على سيف الدولة والبيت
الأول تنويح على ما قاله
المتنبي فيهم - هاربن:
«مَضْرًا متساقي الأعضاء، فيه
لأرؤسهم بأرجلهم عِثَارًا».

أرجل كالرؤوس، رؤوس
تعتز بالأرجل -

ما عُقِلَ وأنصارهم؟
ما قُشِّرَ؟

وكلاب وعجلانهم، ونُمير؟ (٢)

بَشْرٌ،

يذهبون إلى نهب جيرانهم
وإلى قتلهم،
مثلما يذهبون إلى مَحْفَلٍ.

- ه -

إمتحان^(١) لأهل الثغور:

تراهم يقولون ما

يزتأي الواثق -

«كل شيء سوى الله من

خلقه، وهو الخالق».

كلهم أعلنوا جهاراً

ما يرى الواثق -

ما عدا أربعة:

أخذ السيف أعناقهم.

* ربّما لا تحب الحياة الكلام؛ الحياة
شِبَاكٌ، وطرائق وُضِلَ وفضل،
بين جسر تهدم فيها، وجسر
لم يزل قائماً.

- ل -

مُدُنٌ قُتِدَتْ

بِسَلَابِلِ مَزْرُودَةٍ

بِالرِّجَالِ، وَمَزْرُودَةٌ بِالنِّسَاءِ.

مُدُنٌ - بَعْضُ سَاحَاتِهَا رُؤُوسٌ

بَعْضُهَا أَذْرَعٌ وَصُدُورٌ.

مُدُنٌ تَتَغَيَّرُ، كَالْغَيْمِ تَأْتِي

وَكَالْغَيْمِ تَمْضِي.

مُدُنٌ يَنْهَضُ الْفَجْرُ فِيهَا

شَاحِبًا وَيَدَاهُ عَلَى قَلْبِهِ.

مُدُنٌ - كُلُّ جُدْرَانِهَا دِمَاءٌ.

- ٧٩ -

- ١ -

حَشْدُ رُؤُوسٍ

مِنْ أَبْنَاءِ نُمَيْرٍ،

حُزَّتْ.

وُضِعَتْ صَفًا، صَفًا

قُدَّامَ بُعَا:

لِيُعَا دُونََ فِي الْفَتْكِ،

أَمِيرًا!

* مَا لِتِلْكَ الْمَنَازِلِ، تِلْكَ الْبِيُوتِ

كِنَسَاءٍ يَقْلُنَ لِعِشَاقِهِنَّ: أَيْحُوا

مَوْتَكُمْ بَيْنَ أَحْضَانِنَا

لَا نَقْبَلُ إِلَّا شَفَاهَا تَمُوتُ.

وَجْهَهَا

وجه مملكةٍ لمقابرٍ من كلِّ عَهْدٍ.

والقصيدة في هذه المدينة قَبْرٌ

يتحرَّكُ في اللَّيْلِ سِرّاً

ويزورُ القِلاعَ

خَرَسَ في الضَّفافِ القَريبَةِ:

لا شيء يومئٍ،

لا ريحٍ،

لا موجةٍ،

لا شِراعٍ.

* قَمْرٌ نائِمٌ فَوْقَ خَدِّ التُّرابِ

قَمْرٌ يهدمُ الجِسرَ

بين مزاميره والكتابِ.

- ٨٠ -

قُبُلُ الزَّيَّاتِ^(١)

وزيرُ الوائِقِ

أخذوا ما يملكُ مِن أموالٍ.

وضعوه في تَتَوْرٍ. قالوا:

لَمَّا مات، ابتهجَ ابْنَاهُ^(٢).

قالا:

«حمداً لِيْلِهِ، ارتحنا مِنْهُ».

كانَ كما وَصفاهُ،

في رأيِ الناسِ،

وزيراً فاسِقاً.

(١) محمد بن عبد الملك
الزيّات.

(٢) هما: سليمان وعبيد الله.

أَثَلَالُ التّي حَولِ آلِسِ مملوءةٌ رَؤوساً
 لا عيونَ لها،
 وأذَانُها قُطعتُ.
 وِضْفافُ قَويقِ
 حُفَرٍ وبقايا عظامِ.
 أَلمدائِنُ تلبسُ أَشلاءَها،
 وتَدورُ احتفاءً بسلطانِها.
 أَلمكانُ هتافُ لِسِحْرِ البِيانِ الذي
 يتبجّسُ منها،
 والزّمانُ انحناءٌ لبهتانِها.

أشروه^(١)، استبيحت
 كلّ أمواله، وما عنده
 من نساءٍ.
 قَدوهُ،
 وِضِيرٌ في عَنقِهِ حديدٌ.
 منعوا الماءَ عنهُ -
 تركوه يموت ببطءٍ.

(١) الإشارة إلى محمد بن
 البعث في أذربيجان.

* دمه للتراب، وأطرافه للغيوم
 يسمع الماء يحلم، والضوء يكتب،
 واللّيل يقرأ أشعاره للتجوم.

- س -

إِنْ يَجِيءُ مَوْتُهُ الْآنَ فِي حَرْشِنَهُ،

فَأَعِيرُوا لِحَشْمَانِهِ

كِتَابَ الْجَامِعِ الْعَتِيقِ وَعُكَّازَهُ.

وَأَعِيرُوا لِجَلْبَابِهِ

قَامَةَ الْمُتَذَنَّةِ.

- ٨٢ -

- ١ -

أَنْتِ أَسْنَسْتُ^(١) لِي

صَوَاتِي، وَعَرَفْتَنِي

بِنَفْسِي، وَرَبَّيْتَنِي -

كُنْتُ، فِي كُلِّ شَيْءٍ، أَبَا.

غَيْرَ أَنِّي لَا بُدَّ أَنْ أَتَلَكَ

إِمضِ وَأَقْرَأْ هَوَانَا

يَا صَدِيقِي، مِنْ أَوْلَى،

فِي كِتَابِ الْفُلْكِ!

(١) الخليفة المتوكل،
مخاطباً الأمير إيتاخ الخزرجي،
واله على مكة.

* فِكْرٌ كَمَثَلِ فِقَاعَاتٍ يَمُوجُ بِهَا

مَاءُ الْحَيَاةِ، - حَيَاةِ الْخَالِقِ الْجَسَدُ

يُسْتَقَطَّرُ الْفِكْرَ مِنْ حُمَاهُ جَامِحَةً

وَفِي حُمَيَاهُ نَارُ الشَّعْرِ تَتَّقَدُ.

- ع -

أَعْرِفُ: العُقُوقُ أَبْقَى مِنَ السَّيْفِ،

لكن،

كيف، أُنِّي

متى يتوقَّفُ طوفانُ

هذي الفؤوسِ

جارفاتٍ، تجرُّ تواريخنا

وتجرُّ الرُّؤوسَ؟

- ب -

في سامراء، رجلٌ^(١) قال:

أتى جبريلُ إليَّ بهذا

المُصْحَفِ - هذا

قرآنٌ

وأنا ذو القرنين!

ضربوه حتى مات، وقالوا:

مجنون! من أين له

أن يتحدث مع جبريل -

من أين؟

* بقي الحبر، لكننا الكلمات امتحنت:

كان يُملِي عليَّ ليلته،

رسالة حب.

- ج -

أمر المتوكل أن يلبس النصارى
 زنانير مخصوصة
 وطبالسة عسليّة،
 أن يكون إزار النساء
 كذلك، من لونها عسليًا،
 أن تعلق من فوق أبوابهم،
 صور،
 لشياطين من خشب،
 كي تميّز عن دور جيرانهم
 من المسلمين،
 نهى أن يعلم أولادهم

- ف -

تلك هنريط تَعْنُو،
 وآمِدُ «يَبْيِضُ بالسَّبِي»
 «خلف الفرنجة» ذعر
 والمدى يتطارلُ في ناظريك^(١).
 قل لجيشك: مهلاً،
 ترَقُقْ بهم،
 مثلما عودتهم ظباك،
 ومُدِّ لأوجاعهم يديك.

* أَلْسَبِيَّةٌ هَدْبَاءُ، فِي عُنُقِهَا
 جَرَسٌ خَاشِعٌ، وَبَيْنَ يَدَيْهَا
 وَجْهُ أَيْقُونَةٍ.

(١) الإشارة إلى سيف
 الدولة.

هي «الحدّث الحمراء» عهدك ساهرٌ
 عليها، وفي أحضانك الدهرُ نائمٌ
 جمعتَ بها حدّنين: شرقك، صاحياً
 وغزباً عليه من رؤاهُ غمائمٌ
 وما السرّ في ما كتّمتهُ جراحها
 ولكنه السرّ الذي أنت عالمٌ
 هوى حاقِدٌ، حقدٌ مُحِبٌّ، فمن ترى
 يقيء إلى المعنى، وأين التراجمُ؟

* عَطَشٌ فِي الْفِرَاتِ، الضَّفَافُ
 تَنْبُؤٌ عَمَّا سَتَحْمَلُ قَافِلَةُ الرَّمْلِ
 لِلْقَاعِدِينَ، وَمَا سَيَكُونُ الْقَطَافُ .

في كتابتِ للمسلمين،
 نهى ان يُعلمهم مُسلمٌ،
 وان يُستعان بهم في
 الدواوين، أو يظهرُوا صليباً
 في شعانينهم -

أيراً

ان تُسوى قبورهم كلها مع
 الأرض كي لا تشابه ما عند
 جيرانهم من قبور .

وقال: إذا كانت الكنيسةُ

مبنيةً، حديثاً، فلا بُدُّ

من هدمها .

وإذا كانت الكنيسة في موضعٍ

واسع،

فلا بُدُّ من أن تصيرَ إلى مسجدٍ،

أو إلى ساحةٍ .

- ٨٣ -

أَمَرَ الْمُتَوَكَّلُ : لَا بُدَّ مِنْ
هَدْمِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ ،
وَمَا حَوْلَهُ مِنْ بِيوتِ .
أَمَرَ الْمُتَوَكَّلُ : لَا بُدَّ أَنْ يُحْرَثَ
الْمَكَانُ ، وَلَا بُدَّ مِنْ
زَرْعِهِ ،
وَمِنْ سَفْيِهِ ،
وَلَا بُدَّ أَنْ يُنْمَعَ النَّاسُ مِنْ
أَنْ يَجِئُوا إِلَيْهِ .

- ق -

لَمْ يَزَلْ أَلْسٌ يَتَدَفَّقُ ، أَمْوَاجُهُ
خَلَعَتْ ثُوبَهَا الْقَدِيمَ ، الدَّرُوبُ الَّتِي
رَافَقَتْهُ ،
غَيَّرَتْ سَمْتَهَا ،
وَأَزَى مَاءَهُ يَتَكَسَّرُ فِي حَيْرَةٍ .
وَكَأَنَّ الضَّفَافَ الَّتِي تَحْتَوِيهِ
مَنَحَتْ صَوْتَهَا
مَنَحَتْ صَمْتَهَا
لِرُؤْيَى وَلِغَابِ
يَتَعَذَّرُ أَنْ يَتَقَرَّى مَدَاهَا سِوَى شَاعِرٍ .

* فِي أَلْسِ قَمَرٍ ، كَمْ سَالَ مَدْمَعُهُ
وَجِدَاءُ ، وَكَمْ قَطَرَتْ مِنْ دَمْعِهِ قُبُلُ
يَحْيَا وَحِيداً بِلَا جُنْدٍ وَلَا حَرَسِ
وَحوَلِهِ النَّاسِ وَالْأَوْهَامُ تُقْتَلُ .

رُومٌ هُنَاكَ، ورومٌ هَاهُنَا^(١) :

رَزَحْتِ

مِنَ الدَّمِشْقِيِّ رَايَاتِ،

وَمِنَ مُضَرِّ،

تُرِيدُ غَزْوَكُ: تَمَحُو مَا عَمَرْتَ بِهِ

هَذِي الْبِلَادَ، وَلَا تُبْقِي عَلَيَّ أُثْرَ.

أَخَذْتَ تَضْحُكُ، لَكِنْ غَيْرَ مَكْتَرِثِ

وَرَحْتَ تَعْصِفُ، لَكِنْ غَيْرَ مُفْتَخِرِ.

- ٨٤ -

- أ -

وجه أرمينيا غَضِبَ ودماء، -

قتلوا يوسفًا^(٢)،

قتلوا بعضَ مَنْ آزروه.

أمروا الآخرين: انزِعُوا ما عليكم

من ثيابٍ، وفُرُوا

عُرَاةً!

جُلُّهُم ماتَ بَرْدًا

في الطريقِ إلى بيتِه!

(١) إشارة إلى قول المتنبي

يخاطب سيف الدولة، في

إحدى قصائده:

«وسوى الروم، خلف ظهرك

روم

فعلَى أي جانبيكَ تَميلُ؟»

(٢) يوسف بن محمد الذي

كان عاملاً على أرمينية.

* ذهب الموت يصطأده، فرآه

نائماً في سريرِ امرأة:

- لا تَخَفُ، أَيُّهَا المَوْتُ، تَوَزَّ

بأساريرنا النيراتِ أساريرَكَ المَطْفَأَةَ.

- ب -

أمر المتوكل: لا بد من غزو

أرمينيا. غزاها بغا -

قبل جمع

من ثلاثين ألفاً، قُتلوا

غير من بيع، أو كان سنياً.

- ج -

أمر المتوكل أن يُنزل

الخزاعي^(١) من صلبه.

أن تُسلم جثته لذويه،

وأن تُدفن.

- ش -

مرَّ وجهه فسنطينة، ومرّت

حلب في مَرايا التَّعب:

مَسْرَحٌ يدخلُ النَّاسُ فيه

في تماثيل موتاهم

في السيوف التي احترقوا

بين أشفارها:

جسدٌ موقدٌ

جسدٌ حزمةٌ من حطب.

مَسْرَحٌ: يجمعُ النَّاسُ أحلامهم

ويكبونها

في جحيم اللهب.

* يشبه ليلى حيناً بليل الحجر:

لا يرى الشمس إلا

بالحجاب الذي يتراكم في وجهه

من غبار السفز.

(١) أحمد بن نصر الخزاعي،
الذي قتله الواثق وصلبه، لأنه
رفض القول بخلق القرآن.

يا بُعَا،

ذاك إسحاق^(٢) مولى أمية:

تفليس في قبضتيه، فإلى

عزوها.

تلك تفليس محروقة

وأحرق سكانها.

قبل: خمسون ألفاً،

وإسحاق فارقة رأسه.

أسروا جنده الهارين

نهبوا ما تبقى -

نهبوا الميتين.

- ت -

ما لكم تهرقون

المسيح بن مريم رب رحيم

في تعاليمكم،

كيف أصبح في حركم جراباً

وبه تقتلون؟

- هيتوا للأمير الأسير

مقاماً كريماً^(١).

* غيمة خلعت ثوبها

فوق صفصافة.

المياه التي تتحدر من حولها

فتحت ساعديها، احتفاءً.

(١) لما أسر سيف الدولة قسطنطين ابن ملك الروم، أكرمه، وأقام عنده مدة في حلب، سنة ٣٤٢ هـ.

(٢) إسحاق بن إسماعيل مولى أمية في تفليس.

- ث -

إمّس، تابع مسيرك، أشرع

ليس هذا مكاناً

لكي تتوقّف فيه .

هذه لحظة الرّحيل،

ولحظة نيرانه الخامدة

والذين تسائل عنهم، رمّوهم

أمس، في حُفرةٍ واجِدة .

- ٨٦ -

- ١ -

بعد الآن،

لن يركب أهل الذمة إلاّ

حُمراً وبغلاً^(١).

لا خيل، أبداً.

- ب -

أمر المتوكّل: خيرٌ

أن يُنقى هذا الشاعِر^(٢)

لخراسان.

خيرٌ أن يُبعدَ هذا البدويّ

السُّكنيّ،

عن بغداد - لؤلؤة الحاضر.

* كان ذلك في يوم عيدٍ

وشعرتُ كأنّ المصلّين أعرف مِنّي

بحالي:

جرّفتني إلى حشدِهم رمالي.

(١) بأمرٍ من الخليفة
المتوكّل.

(٢) علي بن الجهم.

أهل حمصٍ يثرون: قتلَى.
 طردوا صاحبَ الخراجِ.
 النَّصَارَى
 أزرُوا النَّائِرِينَ.
 قُوتِلُوا
 بعضهم صلبوه.
 «فَتْنَةٌ» مثلما وصفوها
 والذي كان رأساً لها^(١)،
 من المارقين -
 عَلَقُوا رَأْسَهُ فَوْقَ تَلٍّ.

- خ -

نَاقَةُ الْجُوعِ وَالْقَسْ لَا تَتَوَقَّفُ

عَنْ جَزِيهَا فِي الْقَرَى

يَقْتَنِيهَا وَيَكْتَبُ آثَارَهَا

فَارِسٌ

يَعْرِفُ النَّارَ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي،

وَيَرَاهَا،

وَلَكِنَّهُ لَا يُرَى.

* لَأْرَاغِنَ حُضْرٍ

تَتَنَقَّلُ بَيْنَ رُفُوفِ الْعَصَافِيرِ،

كَانَ الْمَطْرُ

يَتَرْتَحُ مِنْ غِبْطَةٍ،

فِي رُؤُوسِ الشَّجَرِ.

(١) شخص يدعى
 عبد الملك بن إسحاق بن
 عمارة.

- ذ -

جَلَسْتُ: شُرْفَةُ الْبَيْتِ أَبِيهِ مَكَانٍ.

رِيَاخٍ

رَفَعْتُ ثَوْبَهَا - أَنْزَلْتُهُ عَلَى رِكْبَتَيْهَا،

بِرَفْقِي.

كَانَ دَمْعُ سَرِيٍّ يَهِيمُ عَلَى وَجْهِهَا

كَنْجُومٍ

لَا مَدَارَ لَهَا.

حُتِلَ الْبَيْتُ يَطْفُو كَمَثَلِ السَّفِينَةِ

فِي هَبَاءِ الْمَدِينَةِ.

- ٨٨ -

قيل عنه^(١):

شَاتِمٌ لِلصَّحَابَةِ. جَاؤُوا إِلَيْهِ،

قَتَلُوهُ،

وَأَلْقَوْهُ فِي دَجَلَةٍ.

* رمت القافلة

للسهول وعقبانها

ما تَبَقِيَ لَهَا

من رؤوسِ الأشقاءِ في حَرْبِهَا

العَادِلَةُ!

(١) شخص اسمه عيسى بن جعفر.

- ض -

أخذتنا خُطانًا إلى حوض وُزِدِ
 كانت الشمس تجلس في بابِه
 بين حردون ماءٍ وحردون صَخْرٍ.
 لم يكن صاحب الحوضِ في بيته،
 وبكت أمه
 حينما شاهدتنا -
 لم يكن ظنّها صحيحاً (لم نجئ
 لِنُعْزِي. كُتَا

نكره الموتَ والعرسَ)، لكن
 أخذ الورد يقرأ أحزانه علينا، أو لعلّي أكونُ
 قريباً إلى الحقِّ لو قلتُ: شُبّه لي بين
 صَخْبِي أَنِّي أصغِي إلى الورد يقرأ أحزانه
 علينا.

* لِلتَّوْفِدِ أَهْدَابِ حَيْلٍ، وَالزَّوَايَا
 طَحَالِبُ. كَانَ الدَّخَانُ
 يَتَصَاعَدُ مِنْ كَوَّةِ
 وَالطَّيُورُ تَرُودُ الْمَكَانَ.

- ٨٩ -

قَتَلَ الْمُتَوَكِّلُ شَخْصاً
 كَانَ اسْمُهُ، ثُمَّ تَرَاوَعَ
 وَارْتَدَّ. لَكِنَّهُ
 اسْتَيْبِ: أَبِي
 أَنْ يَعُودَ لِإِسْلَامِهِ.
 ضَرَبُوا عُنُقَهُ،
 أَخْرَقُوهُ.

- ٩٠ -

حَرْبَةً، قَبْلَ كَانَتْ
لِلنَّبِيِّ، اسْمُهَا: عَنزَةٌ.

(قَبْلَ ذَلِكَ، كَانَتْ

لِلتَّجَاشِيّ) صَارَتْ

فِي يَدِ الْمَتَوَكِّلِ - يَا أَيُّهَا
الْمَتَوَكِّلُ،

قُمْ وَكَبِّرْ، وَهَلِّئْ!

- ظ -

جَسَدٌ يَتَمَدَّدُ. سَيْفٌ تَجَرَّدَ مِنْ غَمَدِهِ

يَتَمَدَّدُ. نَمَلٌ عَلَى

السَّيْفِ، نَمَلٌ

حَوْلَ رَأْسِ الْقَتِيلِ:

(جَسَدٌ لَا يَزَالُ طَرِيًّا)،

غَيْرَ أَنَّ الْكُؤَاسِرَ عَمَّا قَلِيلٍ،

سَتَهْجُمُ.

لَيْلٌ طَوِيلٌ طَوِيلٌ.

* فِي السَّمَاءِ ضَجِيحٌ (هَلْ تَضْحَجُ
الْمَلَائِكُ؟)

وَالغَيْمُ يَطْلُقُ أَفْرَاسَهُ.

مَرْكَبُ الْكَلِمَاتِ الَّتِي سَتَسَافِرُ،
فَجْرًا، إِلَى حَبَّهَا، جَانِحٌ.

- مَنْ أَحَبَّ إِلَيْكَ؟ هُمَا^(١)
 أم تُرى حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ؟
 - قنبر^(١) منهما أفضلُ.
 - سوفَ أَقتلُكَ الآنَ،
 يا شَرَّ مَنْ يُقتلُ.
 أمرَ الجندَ: دوسُوا على بطنه،
 وَسَلُّوا اللُّسَانَ،
 إلى أن يموتَ.

- غ -

مات أبناؤنا، فلتَمَّتْ
 هذه الحربُ. لا بأسَ باللَّهْوِ، حيناً،
 وبآلائه،
 وتُتعدُّ هذه السِّيوفُ لأغمادِها.
 لِمَتِ هذه الحربُ. حولَ بيوتاتِنَا
 بيوتٌ لأطفالِنَا
 عمَرُوها وماتوا.
 لِمَتِ هذه الحربُ - وجهَ الحقولِ
 يتنَوَّرُ في دمه وفي صمتهِ
 ما تقولُ الفصولُ وما لا تقولُ.

* أَرَى رجالاً، ولكن لا دروبَ لهم
 أَرَى دروباً ولكن لا رجالَ لها،-
 دَمٌ على شُرُفاتِ الشَّرْقِ يَنسَكِبُ:
 أهذه أرضُرومِ، أم تُرى حلبُ؟

(١) حوار بين الخليفة
 المتوكل، ويعقوب بن
 السكيت الإمام في العربية.
 كان يعلم أولاده، وسأله يوماً
 هذا السؤال عن ولديه - المعز
 والمؤيد. وقنبر هو خادم علي
 ابن أبي طالب.

هوامش



كَأَنَّ جَفُونِي عَلَى مَقْلَتِي
ثِيَابٌ شُقِقْنَ عَلَى ثَاكِلِ .
المتنبي

الحسين بن الضحّاك

كان شاعراً خليعاً.
مات سنة ٢٥٠هـ.

الحياة بكاءً:

هكذا قالت الألهة

أأنا صخرة؟

أم سديم بلا جنةٍ ونارٍ؟

أم بقايا هباء؟

مَنْ يقول لأعمالي الوالهة:

لِمَ لا أستطيع البكاء؟

أبو الحسن البكري

توفي سنة ٢٥٠هـ. قال
فيه الذهبي: «واضع القصص
التي لم تكن قط». وبعثه
بالكذاب الدجال. ترك
«الروايات» الثالثة: ضياء
الأنوار، رأس الغول، شر
الذهر، حصن الدولاب،
كلندجة، الحصون السبعة
وصاحبها، (هضام بن
الجحاف وحروب الإمام علي
معه)، غزوة الأحزاب، قصة
إسلام الطفيل بن عامر
الدوسي.

كان يروي الغرائب، أعطى الكلام إلى المتخيل،

والمستحيل، وفي وهمه أوغلا

وضع الأرض في قبضة الظن - كم ضاع في

الشبهات، وكم أولاً

كان بحراً من الجبر، أمعن في الفيض،

واسترسلا

ربما كان قصاصنا الأولاً.

السَّقْطِي (سَرِيّ بن المنلَس)

توفي سنة ٢٥٣هـ /
٨٦٧م. أساذ الجنيد وحاله.
في رأيه أنّ حروف القرآن
مخلوقة. مركز فكرة المحبّة،
فالمحبتون يعوقون مي التعجب.
أنواع الأبياء.

عَسَقُ يرسم الشَّمْسَ فوق يديه -

يَدَاهُ على الأَرْضِ ظِلُّ كمثل الهلالُ

هل سَيُضْغِي إِلَيَّ إذا قَلْتُ: وَجْهِي

كوجهك، يدخلُ في ليله؟

هل سيرسم وَجْهِي

بأشعةِ آفاقِهِ؟

ولماذا، ونحن الصديقان، هذا السُّؤالُ؟

الجاحظ

قوله،

والحياةُ التي يتقلبُ في حَضِنِهَا

وتُقلبُ في حَضِنِهِ

شُرْفَتَانِ عَلَى مُفْتَرَقِ

وَعِلاَبٍ بِلَا غَالِبِ.

كيف لي أن أُوحدَ بين المنظرِ والكاتبِ
وأوفَقَ ما بين هذا الصباحِ، وذاك العَسَقِ؟

البخاري

صاحب «الصحیح»،
مات سنة ٢٥٦هـ.

مُوقِنٌ أَن يَبْتَئَا
أفردته المدينة في حَيِّ فَقْرٍ،
يقرأ الآن، في ليله،
إِنَّ بُرْدٍ وَأَصْحَابَهُ.

مُوقِنٌ أَنَّ هَذَا
ما تقول الأَسْرَةَ للعاشقين
عندما يطبق الحبَّ أجفانه عليهم.
مُوقِنٌ أَنَّ هَذَا عَدُّ الْعَالَمِينَ.

الكِنْدِي

(أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق)

قال يشكو إلى فكره:

لم أَرُ الحَبَّ إِلَّا

في سُدَى وَرَدَّةٍ -

كان هذا كمثل التدى، عابراً.

أُتِراه سيشكو إلى حَبِّه

مَا تُشِيعُ التَّجُومُ

عن جَفَافِ الغيوم؟

توفي سنة ٢٦٠هـ /
٨٧٣م، يُلقَّب بـ «فيلسوف
العرب». عاش في زمن
المأمون والمعتصم، وكان
أستاذاً لأحمد بن المعتصم.
من تلامذته: ابن الطيب
السرخسي. يروي البيهقي أنه
«كان يهودياً ثم أسلم»، وقال
بعضهم: كان نصرانياً. من
أقواله: «لا تنجو مما تكره،
حتى تمتنع عن كثير مما
تحب».

البسطامي، أبو يزيد طيفور

توفي سنة ٢٦١هـ /
٨٧٤م.

نَهَرَ للحنين، لأغواره
يتدفق من ذروات الكلام
ماحيًا، حاضناً موته
مُنْصِتاً لبواح الألوهة
في قلوب الهيام.

حنين بن إسحاق

مات سنة ٢٦٠هـ /
١٨٩٣م. كان طبيباً ومترجماً.
عينه المأمون على «بيت
الحكمة». ولد سنة ١٩٤هـ /
٨٠٩م.

«مرّة، في الحياة التي لا تصدّق أقوالها،
كنتُ رُحانةً -

أتوسّطُ ورداً

وأجاور صُفُفاةً»:

قالت امرأةٌ كان بيني وبين أساريرها

كتبُ ورسائلُ. قالت:

لم تثق بحياتي وقولي، ثم اختفت.

شجّني قوسُ حبّ عليّ بابها.

المُزْنِي

توفي سنة ٢٦٤هـ. قال
عنه الإمام الشافعي: «لو ناظر
الشیطان لغلبه».

لو كان الشيطان خصيماً
للمزني، ولو ناظره
لمضى الشيطان حسيراً، أو قُلب: مغلوباً.

يا مُزْنِي
من أين أتيت؟
وثني أنت؟ وأين رأيت التور، وكيف رأيت؟
هات يديك، إليك يدي.

سهل التّستري

مات منفياً في البصرة،
سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٦م. كان
أستاذ الحلاج، ويوصف بأنه
«في عداد الحكماء
المتألهين».

يَتَأَلَّهُ يَنْسَى كَمَنْ يَتَأَنَّسُنْ، يَعلُو، يُحَايِثُ

ما الفَرْقُ؟ مَوْجٌ

وَاحِدٌ يَتَقَلَّبُ: يَنْسَى

يَتَأَلَّهُ

يَعلُو

يُحَايِثُ: دَوَّرَ - مَدَى

إِنَّهُ صَوْتُهُ -

والحياةُ الفضاءُ لهذا الصّدَى.

الرواية

VI

وكان أبجد قد رأى مرّة في المدينة صاد رجلاً
دائم الطواف يُدعى، كما قيل، بَيْسَر. قال: «رأيتُه
يدنو من النار يتناول بيمينه خنجراً ويشقّ صدره
يخرج كبده بيده اليسرى يحتزّ منها قطعة وهو يتكلم
يقطّعها بالخنجر يلقيها إلى من حوله تهاوناً بالموت
ورأيتُه يهوي في النار.»

※

وسمع أن لحاكم هذه المدينة مريدين يأتيهم
الشك فجأة في بعض الساعات وقيل: جاؤوا إليه في
ساعة شك، وقالوا:

«- إن كنت حاكماً صادقاً، فأظهر لنا من هذه الصخرة
ناقة، ولتكن سوداء صافية اللون.»

قام وقعد تتمّم أصغى أشار تحركت الصخرة
تململت بدا منها أنينٌ انصدعت بعد مخاض شديد
كمثل مخاض المرأة وظهرت منها ناقة سوداء صافية
اللون.»

وقيل له إن حاكم المدينة ضاد استيقظ يوماً فرأى
أسداً جاء به الصيادون في قفصٍ ووضعوه في صحن
القصر. قال أمراً:

« - اخلعوا باب القفص وأطلقوه لا يُحبس الأسد
خلعوا باب القفص خرج الأسد يزار ويضرب الأرض
هرب الناس وأغلقوا الأبواب في وجهه وبقي الحاكم
جالساً

دنا منه الأسد مَدَّ يده إليه هَزَّه وقع الأسدُ مَيْتاً
جاء الناس فرأوا أصابع يده قد زالت عن مواضعها
استدعى من رَدَّها كما كانت

وجلس الحاكم معهم كأنه لم يفعل شيئاً. »

※

وكان لي صديق في هذه المدينة اسمه يارجوج
أخبرني أنه كان لحاكمها عَمُّ اسمه دِمْنَانة كرهه وأمرَ
بقتله

«دخل عليه في بيته سيّاف الحاكم، وكان معه في
البيت امرأة

بدأ بدمنانة فخنقه ومدّه على الفراش،

وحين أخذ الجارية ليخنقها، قالت:

- اقتلني، لكن لا تقتلني خنقاً.

خنقها وضعها مع دمنانة على الفراش أدخل يده
تحت جنبها أدخل يدها تحت جنبه،
هدم عليهما البيت^(١).

*

وحكى يار جوج أنّ حاكم المدينة خاف من أخ له
على ملكه فأمر بقتله. حين رأى أخوه السيّافين
يدخلون بيته، أخذ وسادةً وضعها على وجهه وصاح:
«- لا تقتلونني. أنا شقيق الحاكم.

ضربه سيّافٌ في جبهته،

نخسه آخر في خاصرته آخر في سُرته.

ثمّ ذبحوه وأخذوا رأسه إلى أخيه الحاكم. أمر
بنصب الرأس في صحن الدار على خشبة. أمر كلّ
سيّاف يقبض مكافأته أن يلعنه.

كان السيّاف يقبض المكافأة ويلعن الرأس،

والحاكم يبتسم.

*

(١) وروى رجل في هذه
المدينة أنّه رأى في نومه:
«كَأَنَّ النَّاسَ يَعْضُونَ عَلَى اللَّهِ
عِزَّ وَجِلَّ. جَاءَتْ امْرَأَةٌ عَلَيْهَا
ثِيَابٌ رَقِيقَةٌ، هَبَّتْ رِيحٌ
كَشَفَتْهَا. أُعْرِضَ عَنْهَا، تَبَارَكَ
وَتَعَالَى، قَائِلًا: اذْهَبُوا بِهَا إِلَى
النَّارِ، كَانَتْ تَتَبَرَّجُ.
(المنامات، للحافظ أبي
الدينا، مكتبة القرآن الكريم،
القاهرة ١٩٨٩، ص ١٤٢).

(١) وقال رجل: «مات رجل
في حيننا صاحب خنارات،
وأبته في النوم، رسالته:
- ماذا فعل بك الله؟

أجاب:

- قال لي ربي: لو لم
تكن شيخاً لعذبك.
(المنامات، ص ١٨٦).

وقال أبجد:

«أخبرني صديقي يارجوج أن حاكم المدينة طاء
غضب مرةً على رجل . جاء به سأله :

- أنت كيكم؟

- نعم، يا مولاي .

أوماً إلى السّيفين . جَزَدوه من ثيابه، قطعوا يمينه
وضربوا بها وجهه وفعلوا مثل ذلك بيده اليُسرى
ورجليه

ثم أمرَ سيّافاً أن يدخل سيفه بين ضلعين من
أضلاع كَيْكَم، وأمر بقطع لسانه

ثم أمر بصلب أطرافه المقطوعة إلى جوار
جسمه، على جسر المدينة .

بعد ذلك أمر أن يطاف به في جميع أنحاء المدينة،
وقد علّق معه رأسُ حمار ميت، ووضع في عنقه قيّد
تدلى منه رقانة حديد،

ثم شدّ بالحبال وألقي في بئر .»

※

وكان لحاكم المدينة طاء، ثلاث عشيقَات اتّفقن
على عصيانه، فقتلهن، -

(١) قال أحدهم لأبجد إن
المدينة ضاد هي مدينة
المنامات . وروى له أن رجلاً
رأى في نومه أنه مات وسبق
إلى النار . فجأةً، رأى حجراً
يكبر، ويسدّ دونه باب جهنم .
عندما أفاق من نومه، تذكّر أنه
كان، حين يُصلي، يجعل في
قلبه سبعة أحجار، فإذا قضى
صلاته، قال: أشهدك، أيّها
الأحجار أن لا إله إلا الله .
ولهذه الرواية أضلّ ربّما
أخذت عنه في الكتاب التالي:
(المنامات، الحافظ أبي
الدنيا، مكتبة القرآن، القاهرة
١٩٨٩، ص١٤٢).

«أمر أن تُحَفَّرَ للأولى حفرة عميقة، يُدلى رأسها فيها ويُطرح فوقه التراب وأن يبقى نصفها الأسفل ظاهراً

أمر أن تُكْتَفَ الثانية وتُقَيَّدَ ثم تحشى بالقطن أذناها وأنفها وفمها وأن تُنْفَخَ بالمنافخ حتى يصير جسمها كالجمل ثم تنزع المنافخ ويوضع مكانها القطن ثم تفصد من العرقين اللذين فوق الحاجبين حيث تخرج الروح ولها صفير.

أما الثالثة، فشرح بيديه لحمها، من فخذيه وعجيزتها، ورماه إلى مماليكه.»

✱

وثار على حاكم المدينة عين، أحد أنصاره الأشداء ويدعى سندر. جمع حوله فئة قوية لكن الحاكم استطاع أن يطرده وينفيه. قبل ذلك أوصى سندر أنصاره قائلاً: «- من جاءكم على صورتي، فاقتلوه. سيأتي إليكم أناس يتشبهون بي لا تقبلوا ما يقولون واقتلوهم. بعد زمن استطاع سندر أن يتسلل عائداً. أخذ أنصاره يتهاون لقتله. ولما هموا بذلك صاح قائلاً: ويحكم، أنا سندر. قالوا: أمرنا سندر بقتل من يتشبه به. قال: لكن، أنا سندر. قالوا: لا بُدَّ من قتلك، وقتلوه.»

(استطرد)

هو أو يوم من أيام المدينة الأولى

ثم استطرد أبجد، ناقلاً ما سمعه عن حاكم قديم حكم المدينة الأولى، قال:

«نهضَ صَلَّى الفجر جلس يصغي لقصاصه حتى فرغ من قصصه قرأ جزءاً من المصحف دخل إلى منزله أمرَ نَهَى صَلَّى خرج إلى مجلسه أذِنَ لخاصته حدثهم وحدثوه دخل عليه وزراؤه كَلَموه بما يريدونه

أذِنَ بالغداء الأضرَّ تحدثت طويلاً قام الحرس تقدّم الضعيف الأعرابي الصبيّ المرأة من ليس له أحد قال: انظروا في أمورهم

جلس على السرير قال: ائذنوا للناس وفقاً لمنازلهم لا يشغلني أحد عن رَدِّ السّلام يا هؤلاء: سُميتم أشرافاً لأنكم شَرَفتم مَنْ دُونكم ارفعوا لنا حاجة من لا يصل إلينا

اقضوا حاجاتهم اخدموهم

دخل منزله صَلَّى أربع ركعات نادى خاصّة الخاصّة دخل عليه وزراؤه أتاهم بالفواكه والأقراص المعجونة بالسكر واللبن جلس إلى العصر صَلَّى العصر جلس

على سريره أذن للناس وفقاً لمنازلهم أتى بالعشاء سَمَرَ
ثُلثَ اللَّيْلِ في أخبار العرب والعجم وأيامهم أتته من
نساته غرائب الحَلوى والمآكل

نامَ ثلث اللَّيْلِ قام قعد قرأ عليه غلمانُه سِيرَ الملوِك
أخبار الحروب والمكائد خرج صلى الفجر

استأنف ما بدأه مِمَّا وصفناه

وهذا شأنُه في كلِّ نهارٍ ولَيْلٍ» .

الذِّكْرَى

VI

المدينة شين

إصنع من جراحك جوقة، امنحها آلات المنفى،
وعلمها عزيز النفى. ستري آنذاك أن أسنان الوقت هي
جمهورك الأول. ستري أن الدم نهر يمرّ في وادي عبقر الذي
احتلته الكواكب منذ تاريخ ما، وطردت منه كل أثرٍ للأرض.
ستري أن أكبر قاعة لاستقبال هذه الجوقة هي المدينة
شين.

*

إنتاج رؤوس وإنتاج مقاصل، -
إيقاع هائل، لكن في محيط من الزبد:
ما أدهى غيبك، أيتها المدينة شين.

*

كيف أفتح أفقاً لا يصدأ
عندما يلامسه هواء المدينة شين؟

*

لماذا ترفض، أيها البحر، أن تسكن في ذاكرتي؟ لماذا
ترفضين، أنت أيضاً، أيتها الشمس؟
- «لن يكون في ذاكرتك غير الرعب»:
تجيب المدينة شين.

*

للشرطي والزمن في المدينة شين،
عين واحدة .

※

تفرض عليّ المدينة شين
برغبة أحرار في تفسيرها،
أن أصحاب عقارب الساعة، وأعادتي الوقت .

※

هذا الجسد المعلق على خشبة الفضاء
المنصوب على عتبة الريح، كأنه أول الموت،
ليس إلا جسد المدينة شين .

※

قلت للمدينة شين وأكرر:
عبثاً تحاولين قتلي، -
لا يرقى إلى عنقي إلا سيفي .

※

يعرّف الإنسان في المدينة شين بأنه:

«طريدة -

غير أنه لن ينجو من الوقوع في الفخ» .

※

أينما وضعت قدميك في المدينة شين،

ينبت التعب .

※

تاريخ المرأة في المدينة شين:
«تولد ليلاً،
وتموت عند الفجر».

*

أتريد أن تعرف الطبيعة وما وراءها؟ إذن، عليك أن
تعرف جسد المرأة وما وراءه.
لكن، لماذا في المدينة شين، يحرم على الناس مثل هذا
السؤال، وهذا الجواب؟

*

سأبني بيتاً من الحجر لعناكب الصير، وربما الحزن، لكي
أوحي بمناخ المدينة شين.

*

لا أعرف لماذا يشبه لي القمر، أحياناً، في المدينة
شين، كأنه مزيج من الدمع والصلاة، مسكوب في إناء أبيض
له شكل القرن.

*

لم أزر المدينة شين إلا مرة واحدة (لا أقدر). مع
ذلك، لم أسافر مرّة إلا مررت فيها - خفية.
كأنني أراها، في هذه اللحظة، تبكي وتمسح دموعها
بكلماتي.

*

يحدث، غالباً، في المدينة شين، أن يكون الشحم
ورماً، والورم شحمًا. (وعذراً من صديقي المتنبئ).

المدينة تاء

تقول المدينة تاء

إنها شربت رحيق التاريخ .

✽

الحلم الذي لا يفارق المدينة تاء ،
هو أن تكون طابعاً بريدياً على غلاف
اسمه الكون .

✽

«دَربَ ظهرِك على الانحناء» :
لافتة تتكرر كثيراً على جدران المدينة تاء ،
وفي شوارعها .

✽

يجلس الجمل على عصفور ،
يتكى الجبل على بنفسجة ،
يمسح الماء وجهه بمنديل الغبار :
تلك هي بعض الأمثال السائرة في المدينة تاء .

✽

من كل حرف،

تخلق المدينة تاء كرسياً

من كل كلمة، تخلق بيتاً.

*

حاول أن ترى النهار في المدينة تاء،

وسوف تكتشف أنك لن ترى فيه إلا الليل.

*

«دَفَى حنجرتك بالمدح» -

يقول كتاب الهجاء الذي تفضله المدينة تاء،

والذي تحفظه في خزانة من الثلج.

*

الواقع في المدينة تاء، مناخ

شكله الحياة ومضمونه الموت.

«بعد أن فرغ الخالق من خلق العالم،

أراد أن يرتاح، فجعل من راحته

بيتاً دخل إليه ولم يخرج بعد»:

هذا ما تقوله أسطورة

تنكرها المدينة تاء، لكنها تتسامح معها.

*

«تنهد الخالق بعد خلق العالم،
ومن هذا التنهد، كانت الرياح»:
تقول أسطورة أخرى
لا تنفيها المدينة تاء ولا تثبتها.

✽

تشرب المدينة تاء المعرفة،
لكن بكأس من الورق المتقوع
في ماء الذاكرة.

✽

من أطراف كل كلمة تلفظها المدينة تاء
يتدلّى قبر أو يتدلّى عرس.

✽

الوردة نفسها قفص في المدينة تاء
والرغيف شرطي.

✽

أقدم وأغنى ذاكرة في المدينة تاء
هي ذاكرة السيف.

✽

فضاء المدينة تاء

سلالم لهبوط الملائكة وصعود الموتى .

*

جدران -

ليست الأيدي هي التي تبنيها، بل الألفاظ والأصوات:

تلك هي جدران المدينة تاء .

*

من علمك، أيتها المدينة تاء،

السَّيرَ بقدم الهلال؟

*

لا أعرف مكاناً يقدر أن يتسع لجنة الوقت

كمثل المكان في المدينة تاء .

*

أيتها المدينة المرثية لغيري،

لماذا لم تعودي مرثيةً لي؟

*

المدينة ثاء

لا تعرف الريح في المدينة ثاء،
أن تمسّط شُغَرَ الشجر.

✽

غريب أمر الناس في المدينة ثاء -
إنهم يعيشون عائمين على أطراف الأظافر.

✽

ليس للحصاة عينان وأذنان،
يد ولسان،
إلّا في المدينة ثاء.

✽

تكاد الريح نفسها في المدينة ثاء،
أن تفقد شهوة الهبوب.

✽

النهار في المدينة ثاء، لجة من الدمع،
والليل سفينة غارقة.

✽

ليس القمر إلا الضوء الذي يعكسه،
أو هكذا يبدو.

لكن، لماذا عندما تنظر إليه من المدينة ثاء،
يبدو أن له مخالِبَ تكاد أن تلامس وجهك،
ويبدو كأنه خارجٌ لتوّه من الجحيم؟

✽

ينبغي أن تكون لك القدرة على التشبه بالضوء،
لكي تستطيع أن تكتب أو تتحدث
عن الظلام في المدينة ثاء.

✽

أحياناً،

لكي ترى بوضوح في المدينة ثاء،
لا بدّ لك من أن تغمض عينيك.

✽

كلا، ليست المدينة ثاء،
هي الموعودة بالجنة،
بل الجنة هي الموعودة بها.

✽

تريد المدينة ثاء أن تظل شفثاها
مختومتين بشفتي ملاك.

VI

ومن صَحَبِ الدُّنْيَا طَوِيلًا، تَقَلَّبْتُ
عَلَى عَيْنِهِ، حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبًا.
المتنبي

- أ -

إِذْهَبْ وَشَاهِدْ كَيْفَ تَخْتَلِطُ

التَّجْوُمُ هَوَى

بِأَثْدَاءِ النَّسَاءِ

إِذْهَبْ وَعَنْ الرُّومِ

أَغْنِيَةَ الصَّدَاقَةِ وَالْإِحَاءِ -

أُغْسَلْ عَنِ الأَرْضِ الجِرَاحِ

وعن وجوههم الدَّمَاءِ .

- ٩٢ -

ضربوه^(١) سيّاطاً،

أثقلوه حديداً،

ورموه إلى السّجن:

يا بَخْتَشَوْغِ

أين طَبِّكَ؟

لا طَبَّ عند الخِلافةِ،

إلا الخِضْرُغِ!

* إن جنحت إلى شهوة

تتأجج في جانحك

وتجائستما

فابتدزها، لا جناح عليك .

(١) الإشارة إلى الطبيب
بخنيسوع . وقيل ضرب مئة
وخمسين سوطاً .

- ب -

- شاعِرٌ -

قَادَهُ الحَبُّ فِي كُلِّ دَرْبٍ

وَلَهَا، وَاِحْتِفَاءً.

يَسْكُبُ الشَّرْقَ فِي غَرْبِهِ،

العَرَبَ فِي شَرْقِهِ،

وَيُوَحِّدُ فِيهِ شَتَاتَ الوجودِ.

- مَا أَمْرٌ الفَوَاصِلَ بَيْنَ تَقَالِيدِهِ

وَتَجَارِيهِ،

مَا أَمْرٌ الحُدُودِ.

* أَلشُّرُوقُ صَدِيقُ النُّخَيْلِ

رَسَمَتْهُ يَدُ الشَّعْرِ تِيهًا عَلَيَّ

عُنُقِهِ الطَّوِيلِ.

- ٩٣ -

- أ -

- كَيْفَ قَوْلُكَ^(١) فِي دَارِنَا؟

- كُلُّ دَنِيَاكَ فِيهَا.

- كَيْفَ شَرِبْتُكَ لِلخَمْرِ؟

- أَعَجَزُ عَنْ شُرْبِهَا:

أَلْقَلِيلُ امْتِجَانًا

وَالكثِيرُ افْتِضَاخًا.

- إِنْسَ هَذَا وَنَادِمًا.

- وَمِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟

- مِنَ البَصْرَةِ.

- كَيْفَ قَوْلُكَ فِيهَا؟

(١) حوار بين الخليفة
المتوكل، وأبي العيناء، (مات
سنة ٢٨٢هـ).

- ج -

أَخَذْتَنِي حَرَّانُ فِي صَمْتِهَا

فِي مِثَالَاتِهَا،

وَاللِّغَاتِ الَّتِي تَرَكْتَهَا الْعَصُورُ

وَرَاءَ سِتَائِهَا الْمُسَدَّلَةِ.

لَا تَشْكُ الصَّحَارَى،

تُؤَكِّدُ مِنْ أَوَّلِ:

يَعِشِقُ الصَّرْفُ وَالنَّحْوُ كَوَحَاً

يَحْنُ إِلَى طَلْلِ الْأَمِثَلَةِ.

- كمثل جهنم، حين تطيب،

- وماذا ترى

فِي عُيُودِ بِنِ يَحْيَى^(١)؟

- رَجُلٌ عَاقِلٌ

قَاسِمٌ نَفْسَهُ

بَيْنَ طَاعَةِ خَلَاقِهِ

وِخْدَمَةِ سُلْطَانِهِ.

- ب -

سَوْفَ تُمَطَّرُ بَغْدَادُ،

لَكِنْ دَمًا.

* يَعْرِفُ الرَّمْلُ أَنْ يَتَنَاثَرَ، أَنْ يَتَكَدَّسَ

فِي الْقَدَمِينَ، وَفِي الرَّأْسِ، أَوْ أَنْ
يَغْطِي

جُثَّتِ الْمَيِّتِينَ

يَعْرِفُ الرَّمْلُ أَنْ يَتَأَخَى مَعَ

الرَّاحِلِينَ.

(١) عبیدالله، الفتح بن
یحیی بن خاقان وزیر
المترکل.

قِيلَ الْمُتَوَكَّلُ وَالْفَتْحُ^(١)، كَمَا

يَشْرَبَانِ النَّبِيذَ، وَفِي اللَّيْلِ

مَا يُشْبِهُ الْقَمَرَ الْمُنْكَبِرَ

يَنْفَتَحُ مِنْ فَوْقِهِمْ.

وَأَتَى الشَّارِبُونَ،

وَمَنْ يَأْكُلُونَ،

وَمَنْ يَحْرَسُونَ،

إِلَى الْمُتَنَصِّرِ.

سَلِمُوا بِالْخِلَافَةِ، جَاءَ وَصِيفٌ^(٢)

وَأَصْحَابُهُ، -

بِأَعْمَارِ الْمُتَنَصِّرِ.

فِي سِرِّي عِطْرٌ

مِنْ جَنَائِنِ أَيَّامِهَا،

فِي لِهَائِي،

صَحَبْتُ مِنْ حَنَاجِرِ أَسْوَاقِهَا.

كَيْفَ أُرْوِي لِقِشَطِئِنِّيَّةَ حَبِّي لَهَا؟

كَيْفَ أَسْكِبُ حَلْمِي

بَيْنَ أَجْفَانِهَا

وَأَفْوِضُ جِبْرِي لِأُورَاقِهَا؟

(١) الفتح بن خاقان وزير

المتوكل. وقتل المتوكل في

حضرة البحرني، الذي قال

في غدر المتنصر:

«كَأَنَّ وَلِيَّ الْمَهْدِ أَضْمَرَ غَدْرَهُ

فَمَنْ عَجِبَ أَنْ وَلِيَّ الْمَهْدِ

غَادِرُهُ»

كان للمتوكل أربعة

آلاف جارية وطاهن كلهن.

(المسعودي، مروج الذهب).

(٢) وصيف الخادم.

* يحلم أن يتحوّل فيه التبض

ويحوّله

جذراً برياً،

يحيا ويسافر تحت الأرض.

كيف أروي لأيقونة

ولهي بتجاعيدها،

بالظلال، الخطوط -

أنسايا باتها، وتعاريجها؟

لا أخاف، ولن أنكتّم. قولوا

(واعدلوا في تأويلكم)

هو مِمَّن

يتمون لأفاقها

عاشقاً وصديقاً لعشاقها.

- ب -

يا أبي^(١)،

لم أجيء منك، لكن لِقَاخِكَ

أثمر من سُمِّي المتصير

غير أنني من طينة لم تُلذها

وتعجز عن أن تراها،

وأنا لا أباهي ولا أفتنجز،

بل أقول اعتزلت الدروب

التي رسمتها خطاك،

ووجهت وجهي

لدروب سيواها،

وقتلتك حتى أحرز

عطر النبوة

من وُزِدَة الأبوة!

* جرسُ تركته الطبيعة في حضن

طفلي،

أخذ الطفل يلهو به

ذلك اللهو سماه جبر المدينة شِعْراً.

(١) الكلام بلسان المنتصر،
الخليفة الجديد، يخاطب أباه
المتوكل. وقيل: إنه اغتيل في
سامراء بتحريض منه. وكان
المتوكل قد أمر بترك الجدل
في القرآن: لا مخلوق، ولا
غير مخلوق. وهدم قبر
الحسين كما سبقت الإشارة
سنة ٢٣٦هـ.

- ٩٥ -

- أ -

«ليس لي أيّ عهدٍ

ليس لي أيّ عقدٍ

في رقاب البشر.

لستُ أصلحُ من أيّ وجوهٍ

للخلافه،

من كان في عُنقهِ بيعتي،

فهو حرٌّ -

حلالٌ له نقضُها.»

- و -

فَكَ رايَاتِهِ وَأَعْمَالُهُ وَأَقْوَالُهُ

مِنْ سَلَسِلِ أَوْهَامِهِ

الْخَفِيَّةِ وَالْمَعْلَنَةِ

وَأُنْحَنَى مُتَعَبًا

كَيْ يَرَى الْعَالَمَ الْجَرِيحَ الَّذِي يَتَدَلَّى

فِي فِضَاءِ الْمَدِينَةِ

مِنْ عُنُقِ الْمَثْدَنَةِ.

* طَرَفُ الْخَيْطِ - أَوْلُهُ فِي السَّمَاءِ:

تَسْلَفْتُهُ، يَا جِرَاحِي

أَلْمَلَائِكُ جَاءَتْ وَقَصَّتْ جَنَاحِي.

- ز -

لِسْمِيسَاطٍ: أَنْقَاضِهَا

وَبَقَايَا أُسَاطِيرِهَا

الْوَالِيَهَةِ،

هُوَذَا يَشْرُئِبُّ الْحَجْرُ

رُقْمًا وَتَمَائِيلَ، مِنْ نَشْوَةٍ.

وَكَاثِي أُضْغِي لِلْقِيَانِ^(١)

يَسْخَرُ فِي صَمْتِهِ

مِنْ يَقِينِ الْبَسْرُ،

وَمِنَ الْآلِيَهَةِ.

- ب -

«أصدقائي^(٢)!

رأيتُ كَأَنِّي فِي النَّوْمِ،

أُضْغِي إِلَى الْمَتَوَكَّلِ،

يَصْرُخُ:

«ذَبَرْتُ قَتْلِي،

لَا تَمْتَعْتُ بَعْدِي،

بِالْخِلَافَةِ...»

- رُؤْيَا،

إِنْسَهَا وَائْتِنَا بِالْتَّبِيدِ -

أَلْتَّبِيدُ الْعَزِيزِ اللَّذِيذُ!

- ج -

قِيلَ: شَاوَرَ فِي قَتْلِهِ

فَقَهَاءَ،

رَاوِيًا فُتِّحَ أَعْمَالُهُ،

فَأَجَازُوا لَهُ قَتْلَهُ.

* إِنَّهَا شَهْوَةٌ عَالِيَةٌ،

وَضَعَّ الْفَجْرُ كَفًّا عَلَى كَتْفِ الرِّيحِ،

وَارْتَاخَ، يَنْتَظِرُ الْحَظَّ فِي كَفِّهِ الثَّانِيَةِ.

(١) لوقيان السِّمِيسَاطِي،
كاتب سوري بالغة اليونانية.(٢) الكلام للمنتصر،
يخاطب أصدقاءه في إحدى
جلساتهم قبيل موته.

- ح -

لا تخوم، - مسافات ظن

تتخبط فيها خطانا

وصدى راحلين حيارى

وصدى أمكنة

نزد رمل على باب تدمر

والريح تحمل في راحتها

شمعة الأزمنة.

- ٩٦ -

- أ -

أطلقوا^(١) كل من في

السجون، لكي ينهبوا

ولكي يهدموا،

ولكي يحرقوا.

- ب -

قتل الشاعر^(٢) -

وجع الشعر طيف

على قبره دائر.

* المرارات تكسو المدائن -

أقدارها وأحوالها

ما ستفعل، والموت يكتب أيامها

وأعمالها؟

(١) الجند الذين تمردوا،
طلباً لأرزاقهم.(٢) علي بن الجهم، وقتل
قرب حلب.

- ٩٧ -

- أ -

في الكوفة، يظهر يَحْيَى^(٢)
يُدْبِحُ فيها.

أخذوا الرأس، وقالوا:
سَتَقُورُهُ -

نُستخرجُ منه اللَّبُّ،

العَيْنين... ولكن،

هَرَبَ الجَزَارُونَ. تجرأ

سَهْلُ^(٣): قوره،

وَحشاهُ مِسْكَأ.

نُصبَ الرأسُ بِسَامِرَاءَ،

وفي بغداد.

ثم رموه في صندوق،

في بيت سِلَاح.

- ط -

كنتُ، في غزواتِ الطفولة، أسألُ

سمعانَ^(١) عن أولِ الدَّرِبِ،

عَمَّا تَخَيَّلُهُ الآخرونَ، وَعَمَّا تراءى

وَعَمَّا يُقَالُ

وأنا الآنَ، في غمراتِ الكهولةِ، أسألُ

سمعانَ عن آخرِ الدَّرِبِ:

سَمْعَانُ يسكنُ في صمتهِ

وفي سِرِّهِ،

وأنا ساكِنٌ في السُّؤالِ.

* جَبَلٌ يتخيلُ صَوَانَهُ نَبِيًّا،

يا نَبُو^(٢)،

كيف سَمَّوكَ سمعانَ؟ سِرَّ المِدادِ،

ووحى القَلَمِ

نُقِشا خاتمينِ على وجناتِ الصَّنَمِ.

(١) سمعان العمودي، ونَبُو
اسمٌ لجبل سمعان،
بالأشورية.

(٢) يحيى بن عمر الطالب،
ويُنهي نسبه إلى علي بن أبي
طالب.

(٣) شخص اسمه سهل
الصفدي.

- ب -

قتلوا عدداً

ممن تبعوا يحيى .

- ج -

سَيطَرَ في طبرستان،

الحسن^(١)، انضمَّ

الريّ إليه .

- د -

أهل حمصٍ يثرون:

عابِلِهِم يُقْتَلُ .

جاء موسى^(٢) إليهم:

عات حَزَقًا وقتلاً وأسراً،

وعُطِفَ^(٣) يَفْرُ،

ولا يسأل .

- ي -

حملوه إلى بيته جريحاً

كانت امرأة (لم يُقَلْ إنها أمه

لَمْ يُقَلْ أخته)،

تَلَقَّاه في البيتِ، مجروحةً مثله .

أَلْتَوَافُذُ بِيضٌ تُطَلَّ على ريحها الآتية

والطَّيُور التي ترسم الأفقَ بين التَّوَافِذِ،

بِيضٌ .

والجريحان: يَسْتَجْمَعُ اللقاءُ أناسيدهُ

ومراثيتهُ بين أيديهما .

كان يَجْمَعُ ما بين وجهيهما

كوكب الهجرة الثانية .

* زهرةٌ للبكاء

تتخَيَّرُ عِطْرَ الحَقُولِ، تُضْمَخُ منديلها

وتُبَلِّلُ وجه السماء .

(١) الحسن بن زيد الطائفي،
وينتهي نسبه إلى علي بن أبي
طالب .

(٢) موسى بن بغا الكبير .

(٣) عُطِيف الكلبلي، قائد
التمرد، وقد فرَّ إلى البادية .

- ٩٨ -

- أ -

قتلوا باغراً^(١)،

والموالي اضطراباً وفوضى.

- ب -

فتنة. حرب بغداد ضد

الخليفة - ضد الذين

خلعوا المستعين^(٢).

- ج -

في سامراء -

هزيمة الأتراك، وتلك

بغال وجواليق

كي تُنقل كل رؤوس

المقتولين من الأتراك

إلى بغداد.

- ك -

- «أَلْدَمَسْتُقُ فِي حَلَبٍ»،

- «حَلَبٌ تَهْزِمُ الرُّومَ»: حَرْبٌ

والشعائر حربٌ

واللغات حروبٌ، ولا فَرْقَ فيها.

مُسْلِمُونَ وَرُومٌ

ولا فَرْقَ ما بينهم.

واليمين هنا واليسارُ كمثلي اليمين

هناك ومثلي اليسارُ

- أين نمضي، إذن؟

- سَبَقْتُنَا إِلَى شَمْسِ هَذَا التَّهَارِ

زَهْرَةُ الْجُلَنَازِ.

* لَسْنَا مِنْ آلَاتِ الْغَرْبِ، وَلَسْنَا

مِنْ آيَاتِ الشَّرْقِ،

نَحْنُ هُنَاكَ غَيُومٌ، وَهَنَا أَحْجَارٌ مِنْ

سَجَّيلٍ،

لَكِنْ، أَيْنَ الْفَرْقُ؟

(١) باغر التركي، وكان أحد قتلة المتوكل، «فزيد لذلك في أرزاقه، وأقطع قطائع».

(٢) لكي يبايعوا المعتز ابن المتوكل.

- ل -

سَيَّرِي هَذَا الْجَنْدِي ذِرَاعَ أَخِيهِ
حَيْثُ يُصَلِّي .

سَيَّرِي

قَدَمِينَ ، حِذَاءً ، وَبِقَايَا شَعْرِ
أَوْ أَسْتَانٍ .

سَيَّرِي حُودَةَ رُومِي فِي جِهَةِ الْقِبْلَةِ :

مَسْجِدِ رُغْبٍ

لَمْ يَشْهَدْهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ .

- د -

مَنْ جَاءَ بِرَأْسِ تَرْكِي ،
يُعْطَى جَائِزَةً .

- ه -

فِي كُلِّ مَكَانٍ ،
قَتْلِي ،
وَنُبُوتَاتٍ .

* لَيْسَ تَارِيخُ آبَائِنَا غَيْرَ الْفَاطِنَا ،
تَلَمَّظُ إِيقَاعَهَا ، وَنَتْرِكُ أَبْنَاءَنَا
يَتَمَشُّونَ فِي حَيْرَةٍ
بَيْنَ لَفِظٍ وَلَفِظٍ .

- ٩٩ -

- أ -

يَسْتَقِيلُ الْخَلِيفَةَ مِنْ نَفْسِهِ^(١).

بعضهم قال ذلك شعراً:

«خُلِعَ الْخِلَافَةَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ

وَسَيُقْتَلُ التَّالِي لَهُ، أَوْ يُخْلَعُ».

- ب -

بعضهم وَصَفَ الْمُسْتَعِينِ،

وقالوا:

كان ذلك وصفاً أميناً:

«خَلِيفَةٌ فِي قَفْصِ

بَيْنِ وَصَيْفٍ وَبُغَا

يَقُولُ مَا قَالَا لَهُ

كَمَا يَقُولُ الْبَيْغَا».

- م -

تلبس الشمس جِلْبَابَ وَزْدٍ

وتخرج مِنْ بَيْتِهَا،

بَيْتِهَا حَلْمٌ آخَرٌ

في مدارِ خَفِيِّ.

في شبائِكِهِ

يتوهج جَمْرُ السَّفَرِ،

أَلْفِضَاءُ لَهُ مِثْلُ وَخِي

والغيومِ السُّورِ.

* أحياناً يكتبُ، لا يكتبُ إلاّ

كي يتزحزح نيرُ الأخطاءِ

عن عُتْقِ الأشياءِ.

(١) خلع المستعِين ابن المعتصم، نفسه من الخلافة، وبايع المعتز ابن المتوكل.

- ن -

الأسير^(١) المغطى بأوجاعه،

كيف لا تفتديه القصاصيد؟

ماذا يُبسر علي^(١)؟

الأسيرُ المسزبُ بالهمِّ في سجنه

يَسزبُ جِقدًا عليّ. صحيح

لا أحبّ المدارَ الذي يتحرك فيه

ويُحرك أوهاقه.

غيرَ أنّي أقولُ: هوَ الشعرُ يجمع ما بيننا،

وأقولُ لأعدائه:

عَرَضِي أن يعودَ من الأسرِ، هل لِعليّ

عَرَضٌ آخَرُ؟

- ج -

سُلمَ المستعيرُ إلى حاجب^(٢):

- «خذهُ، واضربهُ حتّى

يموت» - ولكن

لم يُطع.

خرّ، في لحظةٍ، رأسه،

وفالوا:

أثقلوه جِجاراً،

وألقوه في دجلة.

* كيف لي أن أخلص نفسي

من ذلك الشّتات؟

أه، ما أجملَ السجنَ، إن كان بوابه

الفرات!

(١) الإشارة إلى أبي فراس الحمداني. وعليّ هو سيف الدولة، وكان كما قيل يتردّد في فدائه من الأسر.

(٢) اسمه سعيد بن صالح.

- س -

هل يحقّ لمثلي شكوى؟
ولمن أتشكى؟
عندما تقرأ الشَّمْسُ أغوارَ نفسي،
وأقرأ أغوارَها،
لا أرى أيّ فَرْقٍ
بين أطفالِ بيزنطيا
والسهولِ التي تتلأأُ فيها حَلَبُ.
إنه الشَّعرُ كالشَّمْسِ -
كلّ الحدودِ له شُرَفَاتُ
أينما حَلَّ في الأرضِ، أو
أينما ذَهَبَ.

- د -

ألخلافَةُ أضحوكةٌ
والبلادُ وأنحاؤها
تتمزقُ مثل الخِرْقِ.
أمةٌ من قشورِ،
أمةٌ من وَرْقِ!

* قدماي انشيطارُ: خطوةٌ في الشروقِ،
خُطى في الغروبِ
ربّما سأصالحُ ياسي، وتبّاً
للدروبِ، وتبّاً لابتكارِ الدروبِ.

- ع -

باليس (١)

غَابَةٌ مِنْ رِمَاحٍ
يَتَأَكَلُ فِيهَا الْوَطَنُ .

فرشتها كسجادة

في فضاء الفرات، التَّجْوِمُ
فوقها تغسلُ الغيوم
خُطُوبَاتِ الزَّمَنِ .

* لغة تتوالد فيها، -

هِيَ فِي آنٍ
مِحْرَابُ حِرَابٍ
يَتَبَطَّنُهُ مِحْرَابُ صَلَاةٍ .

(١) بلدة قديمة على الفرات،
كانت من مراكز تسمرد بني
كلاب على سيف الدولة .

(٢) وصيف الخادم .

(٣) طلب منه المعتز أن يخلق
نفسه من ولاية العهد، ففعل،
ثم حُبس وقُتِل .

- ١٠٠ -

- أ -

رأس وصيف (٢) حُرٌّ،

وقالوا:

نُصِبُوهُ فِي تَنْوِيرٍ .

- ب -

ألمؤيد (٣) في الحبس، -

أُخْرِجَ مِنْ حَبْسِهِ،

مَيْتًا .

- ف -

(١) بلدة أبي فراس، وكانت
أمه تعيش فيها. يصفها في
إحدى قصائده قائلاً:

«حيث الثفت، رأيت ماء
سائحاً، ورأيت ظلاً».

وما بين المزدوجتين،
ماخوذ من قوله: «رئسُ
الشباب أبو فراس، لم يُعْتَمَّعَ
بالشباب».

(٢) الإشارة إلى بعا.

(٣) اعتراف الخليفة المعتز
بخوفه من بعا.

- هل زرتَ منبج^(١)؟

- أمه تذكوي،

ويُسلمها العذابُ إلى العذاب،

وتقولُ ساهمةً: يموتُ،

«ولم يُمتَّعَ بالشباب»^(١)

- هل زرتَ منبج؟

- كيف أحضنُ في الطريقِ ثرابيها،

وأقولُ ما بي للتراب؟

- ١٠١ -

- أ -

نُهيت دارة^(٢)،

وتفرَّق عنه من يوالوته.

قتلوه،

نصبوا رأسه،

أخرقوه.

- ب -

«لا يلدُّ لي التومُ: ليلاً نهاراً،

في سلاحي، خوفاً

من بعا - كنت أخشى

أن يجيء من الجوّ، أو أن

يجيء من الأرض، والآن

طابت حياتي^(٣)».

* لا مَقَرَّ ولا مَخْرَجُ

أَسْرَتُهُ

في شِبَاكِ مَرَارَاتِهَا مَنبِجُ.

- ص -

أَوَّل اللَّيْلِ . من أين تأتي

شهوة النوم في أوَّل اللَّيْلِ؟ تمضي

بُرْهَةً،

أَتَغَلَّبُ فِيهَا عَلَى النَّوْمِ، لَكِنْ

بَعْدَ ذَلِكَ صَحْوٌ،

تَعَبٌ كَاسِرٌ وَصَحْوٌ.

ولماذا

هذه الحربُ ما بين صحوي ونومي،

فَتَاكَةٌ؟

* صَدَفٌ هَاتِفٌ (لا أشير إلى آله)

للسواطئ، للموج أعماق حبّ،

والرّمال مراراتها -

صَدَفٌ هَاتِفٌ تَخِيلَ أَتَيْ مَرَسِي لَهُ.

- ١٠٢ -

بعد أن خلَعوه،

أخذوه إلى المهندي:

- ما جرّى، يا أخي؟

- هو أمرٌ

لا يرضى لي فيه، ولستُ

له صالحاً، وهم لا

يريدونني،

وأجلك من بيعتي.

أرجعوه إلى سجنه.

ضربوه

بالدبابيس، جزّوه من

قدميه،

أدخلوه لكهفٍ

أطبقوا بابه عليه.

- ق -

(١) الإشارة إلى الخليفة
المعز.(رسالة شفوية من شخص
شارك في الحرب العربية - الرومية)

(٢) عتق بايكباك .

«...»

مِثْلَ جِسْمِي،

تَمَزَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ جِسْمَ الْمَكَانِ

وَلِمَاذَا أَعُودُ، وَعَيْنَايَ لَيْلُ

وَيَدَايَ الرُّؤُومَانِ مَقْطُوعَتَانِ؟

رَايَةٌ رَفَعْتَنِي، رَايَةٌ أَنْزَلْتَنِي:

بَيْنَ ذَلِكَ الصُّعُودِ وَهَذَا التَّزْوُلِ

مَا أَشَقَّ الْحَيَاةَ، وَيَا وَيْلَتَا لِحَيَاتِي

لَمْ يُبَسِّرْ لَهَا

أَنْ تَرْتَلِ إِلَّا نَشِيدَ الْأَفْوَلِ».

- ١٠٣ -

- أ -

قَتَلُوا صَالِحَ بَنِّ وَصِيفِ

حَمَلُوا رَأْسَهُ فَوْقَ رِمْحِ

وَطَافُوا بِهِ .

صَرَخُوا: إِنَّهُ جَزَاءُ الَّذِي

حَانَ مَوْلَاهُ^(١). قَالُوا:

أَدْخَلُوهُ، كَمَوْلَاهُ،

فِي فُزْنِ نَارِ .

- ب -

ضَرَبَ الْمَهْتَدِي عُنُقَهُ^(٢)،

وَرَمَى رَأْسَهُ لِأَصْحَابِهِ .

* نَائِمًا فِي الْعَرَاءِ

يَتَحَدَّثُ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ، وَيَهْذِي

الْحَصَى كَلِمَاتٍ

وَالتَذَكُّرُ بَيْتٍ مِفَاتِيحُهُ الْبُكَاءُ .

(١) أحمد بن المتوكل .

(رسالة)

(٢) بايكباك .

«إن أمت، بين أمواج سيحان،

أو في ضفاف قوين،

فأنا لا أرى فارقاً.

السَّمَاءُ هنا، كالسَّمَاءِ هُنَالِكَ،

والأَرْضُ واحدةٌ للكفْنِ.

عندما يطبق الموت عينيك،

يهمس في أذنيك:

«الترابُ هنا: وهناك - الوطن».

- ج -

خُلِعَ المهتدي

بُوعِ المعتمد^(١).

- د -

إِبْنُ عَمِّ لِبَايَاكِبِ^(٢)،

كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ المهتدي

بين أوداجِه:

شَقَّهَا،

فاز منها دَمٌ، راحَ

يمتصُّ منه،

ويكرع حتى ارتوى.

قال: يا صَحْبِنَا،

كان لي دمه، اليوم، خَمْرًا.

* من أين يجيء إليك الوطن؟

من أين تجيء إليه؟

والقَتْلُ طريقٌ، والقَتْلُ فضاءٌ، والقَتْلُ

الرَّزْمُنُ .

- ش -

(رسالة)

«هل سأدخلُ تلك الجنانَ التي
وَعَدُونَا بها؟ هل سأخذ فيها
مَكَانِي بين وِلْدَانِهَا؟ ولماذا، لم يَزُرْنِي
إِلَى الْآنِ أَيُّ مَلَائِكَةٍ؟
مَنْ يُعَلِّمُنِي كَيْفَ أَقْرَعُ أَبْوَابَهَا، وَمِنْ أَيِّ بَابٍ
سَأْتِي إِلَيْهَا، وَمَا سَأَقُولُ لِأَبْوَابِهِ؟
وَلِبَاسِي مَا سَيَكُونُ، وَكَيْفَ سَأَمْشِي:
حَئِزْلِي؟ هَيْدِي؟
لم يَزُرْنِي مَلَائِكَةٌ إِلَى الْآنِ - يَأْتِي؟ أَتِي؟
ما له غَاضِبٌ يَتَحَدَّثُ مَعِ تُرْجَمَانٍ؟
أَمْ تَرَانِي تَوَهَّمْتُ؟ لَا ذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ مَلَائِكِي،
وَلَا تَلَكُمُ الْجِنَانُ جِنَانِي».

- ه -

بعضهم قال: كلا،
عَصِرَتْ جَضِيئَتَاهُ^(١)
إِلَى أَنْ قَضَى.
وَرَوَى آخَرُونَ:
جَعَلُوهُ بَيْنَ لَوْحَيْنِ، شَدُّوهُمَا
بِالْجِبَالِ إِلَى أَنْ قَضَى.

- و -

الْأَبْلَةُ فِي قَبْضَةِ الزَّنَجِ:
قَتْلٌ وَحَرْقٌ
وَعِبَادَانُ تَفْتَحُ أَبْوَابَهَا
لِرَايَاتِهِمْ.

* ليس للشمس بيتٌ
ليس للشمس دربٌ
ليس للشمس ثوبٌ،
سوى ضوئها.

(رسالة)

«- ماذا؟

لا ذئبٌ يَعْوِي، لا طَيْرٌ مَرٌّ، ولا حشراتٌ
تتراقص حولي .

تَلْجُ، تَلْجُ - فِيمَنْ أَسْتَأْسِسُ،

أَوْ أَتَدَفُّ؟ مَنْ سَأَضَمَّ إِلَيَّ؟

وكيف أُعَدِّ لِمَوْتِي حُفْلَ اسْتِقْبَالٍ؟

لَسْتُ حَظِيئاً عِنْدَ أَمِيرٍ، أَوْ عِنْدَ النَّاسِ،

جِراحِي

تُفَرِّدُ وَجْهِي عَنْهُمْ، تُفَرِّدُ حَظِي

لَا مُلْكَ لَوَجْهِي إِلَّا وَجْهِي .

سَأُودِعُ نَفْسِي، أَسْتُودِعُهَا

صِنْدُوقَ رِيَّاحٍ» .

- ١٠٤ -

قَتَلَ الزَّنْجُ سَعِيداً^(١)،

وَالْمَنْضَمِينَ إِلَيْهِ .

رَعَمُوا:

جاء الزنج ومن أسنانيهم

تندلّو

كل رؤوس المقتولين،

وقالوا: اقتسم الزنج

لحوم القتلى،

وتهاذوها .

* كان يرطنُ حولي، وأنا شِبُهُ مَيِّتٍ

يُدْنِدُنُ - أَحْسَسْتُ جِسْراً،

جامعاً بيننا، عبْرَ آهَاتِنَا .

- ١٠٥ -

- أ -

أسير البخراني^(١)

صديق عليّ .

ورفيق الأيام الأولى،

فُطعت رجلاه، يداه،

وقالوا:

ذبحوه،

أُخْرِقَ بعد الذَّبْحِ،

وقالَ عليّ:

«خُوطِبْتُ بموتِ البخرانيّ،

جميلٌ

أَنْ تُقْتَلَ، يا يحيى:

كُنْتُ أَكُولاً».

- ث -

يُنْبَغِي أَنْ تُسَافَرَ فِي أَعْيُنِ الْجُنْدِ

فِي اللَّيْلِ - تَلْتَفُّ أَعْنَاقَهُمْ

بِمَنَادِيلِهِ،

لِتَرَى كَيْفَ تَمْتَرِجُ الْأَمَكْنَةَ

بِتَبَارِيحِهِمْ،

بِزَفِيرِ الزَّمَانِ،

وَحَمْحَمَةِ الْأَحْصَنَةِ.

* بِاسْمِ مَاضٍ وَأَتٍ

أَكَلُوا كَيْ يُصَلُّوا، وَصَلُّوا لَكَيْ

يَأْكُلُوا

مَا الَّذِي تَفْعَلُ الصَّلَاةَ

لِتُحَرَّرَ مِنْ مَوْتِهَا - الْحَيَاةُ؟

(١) يحيى بن محمد
البحرانيّ. وعليّ هو صاحب
الزنج، عليّ بن محمد.

- خ -

مِثْلُ فِرْسَانِهَا،

تَتَأْتِي الدُّخُولَ إِلَى حَلَبَاتٍ

لَا تَكُونُ خُطَاهَا مَفَاتِيحَهَا

وَأَقُولُ هِنَا مَا أَقُولُ

لَا لِشَيْءٍ

سِوَى أَنْ أَحْيِي

هُيَامَ الْخِيُولِ بِفِرْسَانِهَا،

وَأَحْيِي الْخِيُولَ.

- ب -

الْفُ سَوِيطٌ

وَعَشْرُونَ، كَانَ جِزَاءً

لَأَبِي فَقَعْسٍ^(١).

وَالجَرِيمَةُ سَنَمُ السَّلْفِ:

إِنَّهَا عِبْرَةٌ لِلْخَلْفِ!

(١) رجل من سامراء،
مجهول الاسم.

* عَبَقَ الزَّهْرُ ثَوْبٌ

يُجَرَّرُ أَذْيَالُهُ الْهَوَاءَ

فِي رِوَاقِ الْفِضَاءِ.

كلُّ ليلٍ،

أقول لنفسي: خُذيني وسيري

في الجهات الخفية من جسدِ الشَّيءِ،

من هذه الصُّورِ الرَّائِلَاتِ،

وأصرخُ: واحيرتي! علِّمني

علّمي كلماتي، يَدَيَّ

كيف أكتبُ هذا الخفاءَ الذي يتحاربُ

في حلبٍ وفُسْطَاطِيَّةِ،

ويروح ويأتي، ويعلو ويهوي

ويرينُ على كاهلي؟

- ١٠٦ -

قالَ نبيُّ الزَّنجِ^(١): صراطي

لا بيضُ،

لا سودانٌ -

الثورةُ ميثاقُ الأشياءِ

والفاسيقُ مَنْ لا يُؤْمِنُ

أَنَّ السُّودَانَ كمثلِ

البيضِ،

سواءً.

* لا تُضايقُ

سَفَرَ العِطْرِ من كُفِّهِ

إلى حَقْلِهِ.

(١) علي بن محمد، الذي قاد ثورة الزنج من بداياتها سنة ٢٥٥هـ، حتى نهايتها، سنة ٢٧٠هـ. هكذا استمرت أربع عشرة سنة وأربعة أشهر، وستة أيام.

- ض -

نقطة من دم،-

أترأه الحصان الذي كان يومئ
فيما يُحشرج، أم ذلك الفارس؟
لا تسأل.

لم أجيء كي أشاهد قبراً ولا جثة،
لم أجيء كي أذكر نفسي
بنيانها وأحوالها،
لم أجيء كي أقول: البلاد صلاة لسجانها
وسجود لأغلايها.

لا تسأل،
لن أجيئك، يا أيها الحارس.

* لا يريد الصحارى، يريد الطريق
إليها
لا يريد الطريق إليها،
لا يريد سوى بعدها وسوى صمتها.

*
قال نبي الزنج أتني
سوز
غابت عني -

كانت تجري
فوق لساني ماء عذبا،
منها سبحان،

ومنها الكهف وضاد.

*
ضفت بسوء الطاعة،
لكن
أين، وأنى امضي؟

- ظ -

لا أريدُ من الرّوم شيئاً

لا أريد سواها -

طفلةٌ في الطّريقِ

لا أريد سوى جرحها

لا أريدُ من الجرح إلاّ

أن أمّرر كفي عليه

وأبلسم أوجاعه

لا أريد سوى أن أقول: الحريقُ

الذي يتأجج في جرحها،

حريقي .

*

هوذا غيمٌ

يأتي ويظللني .

رعدٌ، صوّتٌ من اغوار

الرّعد، يخاطبني :

سيزُ للبصرة!

ما أكرم سيري،

ما أكرم هذي الفكرة!

*

جبلٌ سُمّي بالشیطان،

ولا يسكنه

إلاّ شيطانٌ -

فيه، كان مقامي، وخذني

والصحراء ليجندي .

* في فم الأرض سمٌّ غريبٌ

يجرُّ الهواء

بيد تبرّك باللّه والأنبياء .

- غ -

(رسالة)

« لا أريد الصعود إلى جنة شهيداً:

لا لِحورية، شهواتي

بل إلى امرأة أتسقى أعضائها

أتلّمس أعضائها

مثلما أتلّمس طيناً.

فأنا عاشقٌ لطينِ نَماني،

ويعزّ على فطرتي

أن يضيع المنى العزيرُ الرّواء

في سريرِ السماء».

*

هوذا،

بين الأعرابِ، يقلّب

أوراقِ الصحراءِ،

معه مولى^(١)

من أهل الأخصاء.

معه مولى آخر^(٢)

قاد الجيشَ

لذخِر الأعداءِ.

* زهرةٌ طافيةٌ

فوق ماءٍ: لها حين تنأى جسدٌ باذخ

ولها حين تدنو قدمٌ حافيةٌ.

(١) هو يحيى بن محمد الأزرق، ويُعرف بالبحراني وقد سبقت الإشارة إليه، وإلى مقتله.

(٢) اسمه سليمان بن جامع.

هوامش



وَمَنْ يَكُ ذَا فَمُ مَرِيضٍ
يَجِدُ مَرًا بِهِ الْمَاءَ الزُّلَالًا.

المتنبي

ابن الرومي

هو أبو الحسن علي بن
العباس بن جريج . مات سنة
٢٨٣هـ .

بهدوءٍ، بِرَفْقٍ

أَخَذَ الضَّوءَ فَرشَاتَهُ

أَخَذَ الضَّوءَ يرسم في الحقل قَبْرًا

بحروفٍ من العشب، حول الحروفِ

زهورًا: لَيْلِكَ

وورودٌ

وفي آخر الحقل بِنْتُ

يتمايل حزنًا كعبادِ شمسٍ .

أَيُّهَا الضَّوءُ، من أين تعرفُ أَنَّ الذي يسكن

القبرَ، حُبٌّ؟

البحثري

مات سنة ٢٨٢ هـ.

سكبت وردةً عطرَها

في يد الرِّيح - تقرع بابَ المساء

لملاقاته .

فوض الشاعر المنور للرِّيح أوراقه -

لم يقل: كيف؟ لم يتساءل

لم يَشَأْ أن يعكّر هذا اللقاء .

أحمد بن الطيب السرخسي

توفي سنة ٢٨٦هـ.

فيلسوف قرأ على الكندي.
قبل: قتله المعتضد لأنه دعاه
إلى الإلحاد. وكان مستشاراً
عنده. ترك مؤلفات عديدة
بينها: المسالك والممالك،
كتاب السياسة، كتاب
الموسيقى الكبير، كتاب
الشاكين وطريق اعتقادهم،
كتاب النفس، وصف مذهب
الصابئين، كتاب أنولوطيقا،
كتاب قاطيغورياس، كتاب
الأرتماطيسي والجبر
والمقابلة، المدخل إلى
صناعة النجوم، القيان، اللهور
والملاهي.

وقيل: اخترع أبجدية
صوتية في أربعين حرفاً لكي
تؤدّي بالعربية أصوات اللغات
الأجنبية، المعروفة في عصره
(الفارسية، السريانية،
اليونانية).

اسألوا السيّد الخليفة:

هل كان يعقل؟

هل كان يعرف ماذا يقول اسمه؟

واسألوه:

ما الذي كان يهرّف عن دينه علمه؟

ولماذا،

إن يكن قرشياً ومن وُرثاء النبيّ

قَتَلَ السَّرخسيّ؟

إِسْحَقُ الْأَحْمَرِ

توفي سنة ٢٨٦هـ.

كوفي - زعموا

أَنَّ لَهُ أَوْراقاً

سَمَّاهَا بَعْضُ الْقُرَّاءِ كِتَاباً

فِيهِ زَنْدَقَةٌ، وَثَنُوا: فِيهِ قَرْمَطَةٌ.

وَرَوَوْا: كَانَ لَهُ أَصْحَابٌ

سَمَّوْهُمُ إِسْحَاقِيَّةَ

كَانَتْ لَهُمْ فِي لَيْلِ عَلِيٍّ

صُورٌ وَمَعَانٍ

لَا تَفْصَحُ عَنْهَا

إِلَّا رُؤْيَا لَاهُوتِيَّةَ.

ابن القط، أحمد بن معاوية

توفي سنة ٢٨٨هـ. من
بيت الخلافة الأموي في
الأندلس. كان عالماً بالهيئة
والنجوم. ثار وهاجم جليقية
Calice، ودعا أهلها إلى
الإسلام. خذله من معه. قُتل
ونصب رأسه على باب
سمورة.

لا النجومُ ولا هيئة الفلكِ

نصرتك، استعنت بما لا يعينُ

ومن لا يعينُ. لماذا

خنت أبيه وأقرب عَوْنِ

لما كُنته - مقولك؟

وأرى رأسك الآن يعلو ويصرخ:

ها، هيت لك

أيهذا الفلكِ.

ثابت بن قرّة

في الأخبار أنّ له نحواً
من مئة وخمسين كتاباً في
الطب والفلسفة والعلوم
والهندسة والموسيقى، وأنه
كان يحسن أكثر اللغات
الشائعة في عصره. توفي سنة
٢٨٨هـ - ٩٠١م. كان طبيباً
وفيلسوفاً رياضياً.

كان بين العلوم وما بينه جسورٌ

تَصِلُ النَّارَ بِالسَّحَابِ

وبالبدعة الصَّلَاةَ،

ألهذا،

كان يؤوي العناصرَ في أصغريه

ويعرف أسرارَ كلِّ اللغات؟

أبو علي نطّاحة

توفي سنة ٢٩٠هـ. من
الكتاب المترسّلين. مات
قتلاً. له «صفة النفس»، وهي
مجموعة رسائل من ألف
ورقة، كما يقال، وله «طبقات
الكتاب».

«صِفَةُ النَّفْسِ» تَبْكِيكَ وَ «الطَّبَقَاتُ»، وَلَكِنْ
لَا الرِّسَالِ نَطَّاحَةً، لَا الْكَلَامِ رِمَاحُ
وَالسِّيُوفِ الَّتِي تَقْطَعُ الرِّقَابُ
تَتَرَبَّصُ فِي شَرَفَاتِ الْكِتَابِ.

هل تقول لمن سوف يخلف ذاك الشرار الذي قدحته
حُطَّالُكَ: اعتبِرْ، وَاتَّعِظْ؟

هل تقول لأوراقك ارسميني
أثراً من جراحِ
رَقَشِ عَشْبٍ عَلَى جَسَدٍ مِنْ تَرَابٍ؟

ابن وحشية

توفي سنة ٢٩١هـ.
كلداني أو نبطي، عالم
بالكيمياء، ينسب إليه
الاشتغال بالسحر والشعوذة،
وينعت بالصوفي. من كتبه:
ترجمة كتاب الفلاحة النبطية،
شوق المستهام في معرفة
رموز الأعلام.

أيها العالم السّاحرُ المستهام
ما الذي قالت الكيمياء، ترى كان عقلك في وجهة،
وقلبك في وجهة -

حين أوغلت فيها؟ ولمّ السّحر؟ شغوذت -

قالوا. وتصوّفت: قالوا،

وخلطت الكلام

بتخاييلك -

اصدق القول:

من أين يأتي إلى الناس هذا الظلام؟

ابن المعتز

قتل سنة ٢٩٦هـ.

وَلَهٗ فِي يَنْقُضُ يَشْطَحُ

حَتَّى كَأَنَّ عُرُوقِي لَهُ مُنْحَدَرٌ

وَلَهٗ - أَتَعَلَّمُ فِيهِ

كيف تحيا سواء

لغتي وتباريحها

والحقول، وهذي الغيوم، وتلك السماء،

وهذا السَّجَرُ.

ابن الراوندي

قتل صلياً سنة ٢٩٨هـ -
٩١٠م. قيل: ترك مئة وأربعة
عشر كتاباً لم يصل شيء
منها. بقيت أسماء بعضها:
الدامغ للقرآن، التاج، فضيحة
المعتزلة، الزمردة، نعت
الحكمة، قضيب الذهب.

قال ابن الأثير في
حوادث سنة ٢٩٨هـ: «مات
في هذه السنة أحمد بن
يحيى بن إسحاق أبو الحسين
البيغدادي المعروف بابن
الراوندي الماجن، المنسوب
إلى الهزل والزندقة، كان أبوه
يهودياً فأسلم هو. فكانت
اليهود تقول للمسلمين:
«احذروا أن يفسد عليكم هذا
كتابكم، كما أفسد أبوه علينا
كتابنا». صُفِّ كتاباً كثيرة في
الزندقة، منها: بعث الحكمة
في تقوية القول بالاثنتين،
وكتاب الدامغ للقرآن، وكتاب
الزمردة، والتاج والفريد.
وأمره في الزندقة والمخرقة
أشهر من أن يذكر. عليه
اللّعة والجزى».

- ١ -

وصفوه: «غاية في الذكاء»

قَدِمُ الكونِ - لا صانعٌ، لا نبوةٌ: بعضٌ
من مقالاته.

كان يطعنُ مستهزئاً
بالشرائع والأنبياء.

- ٢ -

قال يوماً لإحدى مريداته:

«بعضٌ روحي يحيي

في كتابٍ، وبعضٌ

في كتابٍ، وبعضٌ

في مكانٍ غريبٍ لا طريقٌ له.

هل أصدّق وهمي

أم أقول: بلى، لستُ حيّاً

ولا أتحرّك إلا بجسّمي؟».

VII

وما تَسَعُ الأَزمانُ
عِلْمِي بِأَمْرِها . . .

المتنبي

مِنَ أَيْنَ، كَيْفَ تَمَسَّتْ فِي دَمِي حَلْبُ؟
 سَقَيْتَهَا لِعَتِي، حَتَّى إِذَا سَكِرْتُ
 تَمَرَّدَتْ، وَسَبَّأَهَا سُكْرَهَا الْعَجَبُ
 هَلْ جِئْتُهَا لِأَرَى نَفْسِي، كَمَا فُطِرْتُ
 أَمْ جِئْتُ أَوْغَلَ فِي نَفْسِي، وَأَعْتَرَبْتُ؟
 لِقَامَةِ الشَّعْرِ تَزْهُونِي وَتَلْبَسُنِي
 خَلَعْتُ ثَوْبِي: لَيْلِ الْكُونِ مُؤْتَلِقُ
 بِمَا أَبُوحُ، وَعَطَرَ الْخَلْقَ مُنْسِكِبُ.
 أَخَيْتُ فِي كِيمِيَاءِ الشَّعْرِ أَخِيلَتِي
 حَتَّى تَمَازَجَ فِي الرِّزْمِ وَالْعَرَبُ
 لَا نَارَ فِيَّ إِذَا لَمْ تَشْتَعَلْ مَطْرَأً
 لَا مَاءَ فِيَّ إِذَا لَمْ يُجْرِهِ اللَّهْبُ،
 مِّنَ أَيْنَ، كَيْفَ تَمَسَّتْ فِي دَمِي حَلْبُ؟

*
 هُوَذَا^(١) فِي الْبُضْرَةِ،
 كَانَ النَّاسُ سُكَارَى
 بَطْرَأً، أَوْ كَانُوا
 يُخْتَضِرُونَ مَوَانًا.

خَرَكَ فِيهِمْ جَمَرَ الرَّفِضِ، -
 دَعَا السَّبَّانَ (وَكَانَ يُقَالُ لَهُمْ:
 غُلْمَانٌ). كَثُرُوا،
 قَامَ خَطِيْبًا فِيهِمْ:
 «سَبْدُلٌ هَذِي الْحَالِ
 وَيَكُونُ لَكُمْ
 مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ -
 أَرْضًا، أَوْ مَالًا».

* أَوْلَا أَنَّهُ
 لَا يَقُولُ بِمَا قَالَهُ الْأَنْبِيَاءُ
 أَوْلَا أَنَّهُ
 يَتَهَيَّأُ كَيْ يُصَلِّحَ السَّمَاءَ.

- ب -

أُذِرِكُ الْآنَ أَنِّي فِي حَيْرَةٍ فِي عَذَابٍ:
لا أَرَى مَا يَمَيِّزُ هَذَا الْحَجْرَ
عن بوارقِ حَلَابِيَةِ.

أُسْتَمِي

واقِعاً ما أَرَى، أم خيالاً؟

أم أقول: التَّنْظُرُ

هو طوراً تراباً، وطوراً

سراباً؟

كاد أن يصرَّحَ الترابُ: انفجِرْ، أيها الماء،

لم يَبْقَ غير الخرابِ.

*

في عَسْكَرِهِ،

قال لكلِّ موالِيهِم:

«أَسْرَفْتُمْ فِي فِهْرِ

الغلمانِ، وَلَوْ لَمْ يَشْفَعْ

أصحابي فيكم،

لَقَتَلْتَكُمْ.

هَيَّا، انطلقوا،

لكن،

إِنَّا كَمْ أَنْ تَرَوْا

شَيْئاً مِمَّا شَاهَدْتُمْ

عندي».

* رَيْباً،

لم يعد أَيُّ معنى لرأسِكَ، إلاَّ

أن يكونَ مَرُوقاً.

- ج -

حَصَّنْتُ عَضْرِي - أطويه وأنشره
 أخطه وأغثيه، وأزتجل
 أزور أرض صباباتي، أطوف بها
 أقيم، أنقض ما أبني، وأزتجل
 منوراً بدمي، مستفيراً ولهي
 كأنني برحيق ساحر ثمل،
 طوفان حبي ميثاقي، فلا قلقي
 يبلى، ولا جرحي الخلاق يتدمل.

*

قال زميس^(١):

- «علمان أباقي،

وغدا يمضون، فلا يقون
 عليك، ولا يقون علينا.
 لا تأخذهم، خذ مالا».

- «للعبد الحق بضرب

المولى»، قال، وأكمل:

«قوموا، وليضرب كل

مولاة بجريد النخل،

لكم أن تختاروا فيهم

ما شئتم -

إلا القتل».

* يا هذا القطن، الجواب، الحذر
 التمل،
 قل لي، علمني
 كيف تدخرج قرص الشمس،
 وكيف تسوس الرمل؟

أَلْتَحِيَّةُ مِنْ أَوَّلِ

لِلسَّوَادِ لِأَهْلِ السَّوَادِ لِهَذَا النَّهَارِ
 الَّذِي بَدَأَ الْآنَ يَسْوُدُ فِي /
 عَرَفْتُ السَّوَادَ الَّذِي يَتَحَدَّرُ مِنْ جَسَدِ
 الشَّمْسِ، حِينًا، وَمِنْ جَسَدِ اللَّيْلِ،
 حِينًا،
 وَأَعْرَفُ جِنْسَ الثَّقُوبِ الَّتِي فِيهِ، أَعْرَفُ
 مَا تُخْبِيءُ الثَّقُوبُ / السَّوَادُ مَدَانًا
 وَالسَّوَادُ مَوَاتِيقُنَا وَهَوَانًا.

*

يَوْمَ الْفِطْرِ،
 هَبَّ الزَّنَجُ جَمِيعًا، وَانضَمُّوا
 مُتَقَادِينَ إِلَيْهِ فِي مِثْلِ السَّحْرِ.
 حَيَاتِهِمْ،
 وَدَعَا لِصَلَاةِ الْفِطْرِ، وَصَلَّى
 صَلَّوْا، قَامَ خَطِيبًا
 فِيهِمْ.

أَنْكَرَ مَا كَانُوا فِيهِ
 مِنْ سُوءِ الْحَالِ، وَأَقْسَمَ
 أَنْ يُتَّقِدَهُمْ،
 وَيَمْلِكَهُمْ -
 أَمْوَالًا وَبُيُوتًا.

* أَلْحَقُولُ الْأَزْقَةَ مِنْ وَقَعِ أَقْدَامِنَا
 تَجْفَلُ، -
 أَتُرَاهَا أَعَاصِيرُنَا
 بَدَأَتْ تُقْبَلُ؟

أَتَيْقُنْ: هذا دُواري

ليس لي مِن مكانٍ .
حَلَبٌ تَتَضَاءُلُ، والأَرْضُ
ضاقَتْ .

سَأفَوِّضُ أَمْرِي لِعَفْوِ الفِضَاءِ
سَأقولُ لِنَفْسِي: كوني
كُرَّةً، وَالْبَسِينِي
واهْبِطِي واضْعِدِي
في الظُّنونِ على دَرَجِ الكِيميَاءِ .

*

قال نبي الزنج:
انسأل الجيز الأسود
فوق صحائف هذا
العالم:
ليس هناك بياض
إن لم يلقفه
ألن زنجي.

* هو هذا دمُ اللانهاية

دافقاً - تعجبون؟ رويداً
بعد، لم يُولد الكلام، ولم
تبدأ الحكاية .

حَلَبٌ -

كيف أفرّوك، أرى زهري في حوضك
 أشجار لقاحاتك، والطلع كما
 كان، ولا يجمعنا الآن سوى
 جمر الشتات؟
 هوذا أشعل قنديل ظنوني
 هوذا أفرّوك الآن، وأستقرىء ما
 كنت
 وأستطلع أغوارك في كل
 الجهات...

*

كان الجيش بدون سلاح.
 بدأوا بثلاثة أسيايف:
 سيف علي،
 سيف ابن أبان،
 سيف محمد.
 كان النصر حليفاً لهم
 في أول حرب خاضوها.

غنموا أموالاً وسلاحاً

قتلوا أعداء. قالوا:

«حملت كل رؤوس المقتولين

فوق بغال المهزومين».

* نملة خيمت

فوق رأس الجبل،
 تتساءل: من أين توتى السماء،
 وما سيكون العمل؟

- ز -

فَصَّرَ مِنَ الرِّيحِ يَطْوِينِي وَيَشْرِنِي، -
 لَمْ يَزَوْ مِنْ حَلَبِ ظَنِّي، وَلَسْتُ بِلَا
 شَكِّ يُلِخُّ، وَمَا ضَاقَتْ بِهَا سُبُلِي.

وها أنا بين أيامي وأخيلتي
 مُبَعَثَرٌ بَطْرٌ هَشٌّ وَبِي شَعْفٌ
 يَطُوفُ يَبْحَثُ مَجْرُوفًا بِلَهْفَتِهِ
 كَأَنَّهُ يَقْنِصُ التَّارِيخَ فِي حَجَرٍ
 يَنَامُ فِي الرَّمْلِ، أَوْ فِي رَاحَتِي طَلَلٍ.

*

قال نبي الزنج:
 الرغبة في الأشياء
 دم الأشياء.

* واضحٌ مُبَهَمٌ، لا يَبُوحُ ولا يَكْتُمُ:
 شَبَّحَ لِلْكَلامِ، لِأَخْرَفِ وَضَلِ
 وَفَضَلِ،
 عَلَيَّ وَجْهَهُ يُرْسَمُ.

الآن، كلانا

يشكو ظلم الآخر، يشكو

بعد الآخر عنه .

يسأل كل منا :

كيف، لماذا لا نتساوى؟

من أين سنبدأ؟ متي؟ حسناً

لا أملك إلا الجرح فخذهُ

كي نتقارب، كي نتساوى .

وأدلك: حدق، هذي طريقي

أكداس غيوب ومرارات

هل تسلكها

كي نتلاقي، كي نتقارب، كي نتساوى؟

أثراني إن أعطيتك ملكي هذا

نتباعد، أم نتقارب، أم نتساوى؟

* الضياء الذي حملته إلى الشارع

الشمس: بعض

أخذته المفارق، بعض

أخذته الزوايا .

بقي العابرون يسرون في ليلهم .

*

فوضى - خاف السودان

أن يرجعهم لمواليهم .

جاء إليهم، طمأنتهم .

قال: «انتوني، وأحيطوني،

ليكن حولي منكم جمع

وليفتك بي،

إن أحسستهم مني غدراً .

لم أخرج أبداً لإحطام

أو عرض من أعراض الدنيا .

لم أخرج إلا غضباً لله،

ولما يملأ هذي الأرض

فساداً» .

- ط -

هذا زمني؟ لا، لا شيء يربطني
 بحبله، لا مقالات ولا كتب
 مدّ الفرات يديه، ضارِعاً لِعَدِّ
 يرجه، ويكت أنفاسها حلب
 لم يبق مُتَسِّعٌ لِّلَّيْلِ في جَسدي
 كأنه غابَةٌ سَوْداءُ تَلْتَهَبُ
 تركت شِعري في جرداء قاحلة
 يسري، وراحلتاه الرِفْضُ والغَضْبُ
 لي من دُجَاهِ كَشُوفٍ تَسْتَضِيءُ بها
 أفلاكُ نفسي، ولي من نوره حجْبُ.

*
 «لا تنتهبوا»^(١) شيئاً
 من هذي القرية،
 لا تسبوا أحداً.
 من يفعل،
 يُقتل».

* بين أفراجه ينام،
 وفي حزنه يستفيق
 هو كالأرض: جسمٌ يظلّ جديداً
 وجرخٌ عتيق.

(١) الكلام لقائد الزنج.
 والقرية تدعى الجعفرية، على
 نهر دجلة.

- ي -

لا أريدُ طمأنينةً، بل أريدُ الترنحَ
 في طرفِ الخيطِ،
 في آخرِ الأفقِ، أو بين
 مهوى ومهوى .
 هكذا عشتُ حربي - حربي
 لم تكن خارجاً،
 مع الآخر الصديقِ، أو القاتلِ،
 حربي في داخلي .

*
 كان لعلِّي أصحابُ
 ينضمون إليّ في
 عزّلي،
 يساقفونَ الخمرَ،
 وكانت
 جلاّ في عنكرو .

* لم يَجِئُهُ من العيشِ إلاّ التقلُّبُ
 في تيهِ جُرحِ وداءِ،
 لم يَجِئُهُ من التيهِ إلاّ فضاءٌ يقوّدُ
 الفضاءَ .

- ك -

مِنَ زَمَانٍ، وَتَعْرِفَ عَنِّي هَذَا،

أَتَشْهَى الرَّحِيلَ

أَيُّهَا الْفَارِسُ الْمَتَرَدِّدَ فِي دَاخِلِي، يَا دَمِي .

هُوَذَا أَنْتَ، فِي ذُرُوبِ التَّرْحِيلِ - عَيْنَاكَ،

صَدْرَكَ، أَحْشَاؤَكَ الْوَدِيعَةَ

مَحْرُوقَةَ،

وَالْجِرَاحُ الْتِي مَرَّقَتَكَ يَنَابِعُهَا .

كَانَ يُغْرِيكَ هَذَا الدُّخُولُ إِلَى كُلِّ مَا لَا يُطَاقُ

وَهَا أَنْتَ الْآنَ فِي وَحْدَةٍ :

أَنْتَ وَالْمَسْتَحِيلَ .

*

قال نبي الزنج :

العالم - هذا العالم ،

عهد

مع طغيان عاهد عرشاً ،

وأنا من هذا العهد براء .

*

أول سبئي^(١) :

غلمان ،

مال وجلي ،

ذقت

ونساء .

* أَعَارَهُ اللَّيْلَ عَيْنِيهِ، وَأَسْلَمَهُ

خَيْطَ الرَّؤْيِ لِفَضَاءِ الْحَلْمِ وَالصُّورِ

لَمْ يَقْرَأِ الْأَرْضَ إِلَّا وَهِيَ حَانِيَةٌ

عَلَى الزَّمَادِ، وَلَمْ يَكْتُبْ سِوَى

الشَّرْرِ .

(١) من قريتي القادسية
والشيفيا، لأنهما لم تسلما له
قاتل أحد أصحابه، كما ذكر
الطبري .

- ل -

كُبرت خطواتي
ودروبي صَغُرَتْ:

أين أوجه وجهي؟
مثلي ذاك الجبل الضخْمُ: له آفاقٌ
وله ذُرُواتٌ.

كيف استَقْصَى أسراري
وتغلغلَ فيها،
واستَسَخَّ همي،
كيف تماهى مع أحلامي؟

*

حَزَمَ شُرْبَ الخمرِ، لِئَلَّا
يُسْغَلَ مَنْ كانوا معه
بحروبٍ أُخرى
فيما بينهم.

*

أَسْرَى،
ورؤوسَ قُطِعتْ.

* تعبت قَدَمَا نَهْرٍ قَوِيْقٍ. لن يَشْفَى
بعد الآنِ. قَوِيْقٌ شَيْخُ نَبَاتٍ، طِفْلٌ
حَقُولٍ،
لم يحملَ غَيْرَ صَفَاءِ المَاءِ،
من أين أتاه ذاك الدَّاءُ؟

أتهجى البلاد:

اليمينَ السَّمالَ الورااءَ الأمامَ

أتهجى العلو، الأسافل -

ما كانَ مِن كلماتٍ

ومأ لم يكن .

وأنادي، وأضغي، وأشعرُ أتي

موتقُ بخطاي، كأني أنادي

غياي، وأنادي الظلام .

*

سُنن:

بعضُ الحجاج، وتُجاز.

قالوا: لسنأ

مِن أصحابِ السلطانِ،

فأطلقَ كلَّ مِنهم .

*

قال نبيُّ الرّنج: أفيقوا،

هذي الأرضُ قطافٌ

والرّيحُ رُخاءُ .

* أقولُ: أفرغني دمي مِنّي،

ومزقني ستاري؟

حلبُ تئنُ معي - تحلّ إزارها

بيدي، وتدخل في إزاري .

عالم - مشهد

- ن -

*

نهرُ شيطان^(١)

صَلَّني عن صَحيبي

صَلَّهم عني.

أمشي - في رِجلي نعل

سِندي

وعمامتي انحلَّت.

أمشي - قَصْرَتْ. تَحِيرُ

صَحيبي من قَدي.

سَكُنُوا حين رأوني.

أخَذَ البَصْرِيُّونَ متاعاً

مني:

كتباً، إضطرلابات...

غَيْرَ أَنَّ الممَثَّلَ والمسرَّحِيَّةَ

والناظرينَ إليها

والذين أتوا قَبْلَهُم

والذين سيأتون مِن بَعْدِهِم،

كُرَّةً في فراغِ

والفراغِ المَكَانِ -

عجيباً! كيف لا يتوقَّفُ

ذاك الدَّمُّ البهلوان؟

* هل غدت نارهُ

مِثْلَ ماءٍ على المائدة؟

هل أقول التحيَّةَ من أوَّلِ، أم أقول

التوهُّجَ من أوَّلِ،

لِبَراكينِهِ الرَّاقدِ؟

(١) في إحدى المعارك على نهر يُسَمَّى «نهر شيطان». (الطبري).

كُلُّ يَجْهَرُ: «حَقًّا،

لِلَّهِ،

لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ،

لِلْأَمْرَاءِ وَلِلْفُقَهَاءِ، الْأَمْرُ»،

وَيَتَابِعُ كُلُّ:

«أَحْيَى رَأْسِي -

مُلْكِي هَذَا الْفَقْرُ، وَهَذَا

الْأَسْرُ.»

كَلَّا، كَلَّا يَا آدَمَ

«مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ

مِنْ هَذَا الْعَالَمِ.»

* إِغْوَاءُ مُفْتَرِقٍ وَوَسْوَسَةِ اخْتِبَارٍ:

أَهْنَاكَ مَا يَخْتَارُهُ؟

أَيَفْرُ مِنْ طِينٍ إِلَى طِينٍ، وَمَنْ نَارٍ
لِنَارٍ؟

*

سَاعَةٌ عُسْرًا

يَا رَبِّ أَعْيِي!

... وَرَأَيْتُ طَيورًا بِيضًا

تَتَلَقَّى جَمْعَ الْأَعْدَاءِ

غَرَقَتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ

قُتِلَتْ طَائِفَةٌ

هَرَبَتْ طَائِفَةٌ

أَكْثَرُ مَنْ فِي هَذَا الْجَمْعِ أُبِيدُوا.

يَوْمَ سَمَّوَهُ يَوْمَ شَدَا^(١) -

جَاؤُوا بِرُؤُوسِ الْقَتْلَى،

جَاءَ النَّاسُ لِيَأْخُذَ كُلُّ مِنْهُمْ

رَأْسَ أَبِي،

أَوْ رَأْسَ ابْنِي،

أَوْ رَأْسَ قَرِيبٍ.

(١) الشَّدَا جمع شُدَاة، نَوْعٌ مِنَ السَّفَنِ الْخَاصَةِ فِي الْبَصْرَةِ، فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

وَيَوْمَ الشَّدَا: «قُتِلَ فِيهِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ جَمَاعَةٌ مِنْ وَلَدِ جَعْفَرِ بْنِ سَلِيمَانَ وَأَرْبَعُونَ رَجُلًا مِنَ الرِّمَاءِ الْمَشْهُورِينَ فِي خَلْقِ كَثِيرٍ، لَا يُحْصَى عَدْدُهُمْ.» (الطَّبْرِي).

- ع -

حَلَيْتُ أُمَّهُ، وَعَنِيتُ الْأَمِيرَ،

(خِلافاً لِمَا تَعْرِفُ النِّسَاءَ)،

كَمَا تَحْبِلُ الْغَيُومَ

أَرْضَعْتُهُ (خِلافاً لِمَا يَعْرِفُ الْآخَرُونَ)،

كَمَا يَرْضَعُ الصَّوءُ ثَدْيَ الثُّجُومِ.

هَكَذَا يَرِثُ الْحَرْثَ وَالزَّرْعَ،

يَمْتَلِكُ الْأَرْضَ وَالْعَالَمِينَ

بِاسْمِنَا، نَحْنُ عِبَادُهُ

وَأَعْوَانُهُ،

الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، التَّابِعِينَ.

*

مَا لَمْ يُؤْخَذْ مِنْهَا

وَضَعُوهُ فَوْقَ بَسَاطِ

مِنْ خَشَبٍ.

قَذَفُوهُ فِي الْجَزْرِ إِلَى

الْبَصْرَةَ

جَاءَ النَّاسُ إِلَيْهِ

كُلُّ

بِأَخْذِ رَأْسٍ يَعْرِفُهُ.

* تَلِكْ نَارِي وَحَرْبِي :

لَا أَتَابِعُ إِلَّا هَوَايَ :

وَلَا عَرْشَ لِي غَيْرُ قَلْبِي .

- ف -

عندما تكتب الشَّمْسُ شِعْرَ الفِضَاءِ،

وَتُسْأَلُ عَمَّا تَبْقَى

عندما يلبس الفجرُ تاجَ الزَّمانِ،

ويكتب تاريخَهُ،

وَيُسْأَلُ عَمَّا تَبْقَى،-

ما الذي يتبقى مِنَ الرَّانِ مِنْ تَلٍّ بِطَرِيقٍ،

أو قلعة الحدَثِ،

غيرُ تلك الجُنَّتْ؟

* تجلس اللانهايةُ

خُرُساءَ في وكرٍ

نَمَلٍ .

*

قال نبي الزنج:

بيوضُ كواكبٍ

تُحَضَّنُ في أعشاشِ

الرُّفُضِ،

سُتَعِيدُ عيدَ الأَرْضِ .

- ص -

- غَنُّ، صَلُّ، ابتهج

للمكان الذي صار فينا زماناً

للزمان الذي صار فينا مكاناً

غَنُّ، صَلُّ، ابتهج للسقيفة:

لا تزال إلى الآن ممدودة

كي، يجيء الخليفة.

- تتحدث عن وطن، أم بقايا دمن؟

وطني حيث شعري حرّ، وبيتي حرّ،

وحبي حرّ،

- غَنُّ، صَلُّ، ابتهج

لا مكان لهذا الوطن.

* إِمْضِ، طَمِّئِنِ رُؤُوسَ الْعَبِيدِ

سيفه ليس وقفاً على القَطْعِ والبَتْرِ،

فالسيفُ أيضاً نَشِيدُ.

*

ما أوثقهم - أهل البصرة

لا تجمعهم آية فكره!

يا زبّ، أعني

في تعجيل خراب

البصرة!

خُوطِبْتُ: «البصرة بين

يديك رغيف. كله،

وابدأ بالأطراف».

تراءى

نصف رغيف، مكسور.

قلت: كمثل كسوف القمر،

اليوم، غداً، أو بعد غد.

- ق -

سَرُوجٌ، سِمْنِينٌ، حَضْنُ الزَّانِ، خَزَشَنَةٌ^(١)
 رُؤَى عَلَى عَثَبَاتِ اللَّهِ تَزْدَجِمُ
 لِأَرْسِنَاسٍ^(٢) هَدِيرٌ فِي جَوَانِبِهَا
 كَأَنَّهُ، حِينَ تَطْفَى، سِيلُهَا الْعَرِمُ
 «تَرَعَى السَّيْفُ بِهَا»^(٣)، فِيمَا تُعَانِقُهَا
 نَارُ الْقِتَالِ، «نَبَاتًا إِسْمُهُ اللَّمَمُ» .
 أَضْرَمْتُ جَمْرَةَ شِعْرِي فِي مَوَاجِعِهَا
 حَتَّى التَّوَى الرَّمْحُ مِمَّا قَالَهُ الْقَلَمُ
 وَلَمْ تَكِ الْحَرْبُ حَرْبِي، كُنْتُ مِنْ وَلَيْهِ
 قِيَارَ حَبِّ، وَسَيْفِ الدَّوْلَةِ النَّعْمُ
 وَالْيَوْمَ أَهْجُرُ: هَجْرِي فِي تَمْرَدِهِ
 بَوْحُ الْمَوْلَى - لَا شَكْوَى، وَلَا نَدَمُ .

*

جاؤوا،

جاءت قبلهم نيرانٌ

في المربرد، في زهران،

بني جمان

في وقتٍ واجد.

أهل البصرة بين الهارب،

والمبتلّد، والسّاجد.

ذاك تمام الرؤيا

بتمام خراب البصرة!

* ضَعُ يَدِيكَ عَلَى وَجْتِي، نَأْكُذُ

أَنَّ رَأْسِي يَأْسِي .

(١) أسماء أمكنة تاريخية شهدت معارك وحروباً بين سيف الدولة والروم.

(٢) اسم نهر.

(٣) ما بين المزدوجتين للمتني.

ما تكونين من بعدُ، يا حلب الشعر،

نهداك رمل

وعيناك معصوبتان

كيف لي أن أعود إليك؟

أخطأ الفقهاء بما قولوك،

وأخطأ تأويلهم والبيان.

عجباً! خِرقة

تحجب الشمس عن ناظريك.

*

قال نبي الزنج، غداة دخول

الزنج إليها:

«رُفعت بين يدي البصره

أصحابي فيها طوفان

لا مهرب منه.

ورأيت كأن ملائكة

تأتي وتقاتل مع أصحابي.

نضري، لا من بشر

نضري رباني».

* أنكر ما شئت: فضاء الشعر وسر

الشعر،

لستُ غباراً،

كي أعلو فيك، وتعلو نحوي،

يا هذا العَصْر!

- ش -

حملتُ شَمْسِي وأَيَّامِي وأسْئَلْتِي
 ورَحْتُ أسْتَقْرِيءَ الدُّنْيَا وأُمْتَحِنُ، -
 لا أَرْضَ، لا وَطَنُ
 إلاَّ حُطَاكَ تَرَوُزُ المَوْتِ، تَفْتَحُهُ
 دَرْبِيَا،
 وشَعْرَكَ بَيْتُ المَوْتِ، والكُفْرُ.

*

قال نبي الزنج:
 التاريخ زواج
 بين الصورة والمعنى.

*

- هل أنت نبي؟
 - أُعْطِيتُ نَبْوَةَ هَذَا الدَّهْرِ،
 أَيُّتُ،
 - لماذا؟
 - عِبْنَةُ أَخْسَى أَلَا أَقْدَرُ
 أَنْ أحمَلُهُ.

* بَلَدٌ بِاللَّهِ، بِكُلِّ نَبِيٍّ، شَبِيهُ
 عَامِرُ
 فلماذا يَصْغُرُ
 يُصْبِحُ فِتْرًا
 حين يَسَافِرُ فِيهِ الشَّاعِرُ؟

- ت -

مُرْهَقٌ بِسَطْوَعِي .

شَغْفِي الْآنَ، أَنْ أَتَحَوَّلَ ظِلًّا

أَنْ أَمَازِجَ سِرِّي بِسِرِّ الْهَبَاءِ،

وَأَعْطِي جِسْمِي

لِقَمِيصِ الْغِيَابِ،

شَغْفِي أَنْ أَكُونَ، تُرَابًا

وَأَدْخَلَ فِي كِيمِيَاءِ السَّحَابِ .

*

قالوا: في واسطٍ أعطى

اللَّهُ أبا العباس^(١)

أكتافَ الزنج، انهزموا

وارتاحَ هناك النَّاسُ .

*

قالوا: دُعِيَ الفاسِقُ^(٢)

للتوبة من تقتيل النَّاسِ،

ومن تخريب البلدان،

وَمِنْ دَعْوَى

لم يجعله اللَّهُ لها أهلاً .

لكن، لم يَأْبَهُ

وازدادَ غلُؤًا في ثورته .

* جَبَلٌ لَا يَرِيدُ سِوَى أَنْ يَكُونَ ذِرَاعًا،

لِسَمَاءٍ،

لَا تَرِيدُ سِوَى أَنْ يُقَالَ لَهَا: أَنْتِ

خَضْرٌ .

(١) هو ابن أبي أحمد المتوكل.

(٢) «الفاسق»، «الفاجر»، «الخبيث»... إلخ، من النعوت التي يطلقها الطبري على قائد الزنج، وداعيه إلى التوبة هو أبو أحمد بن المتوكل أي الخليفة الواثق.

- ث -

هذا الصّباح - رمى ماضٍ فرسته
 في نحرها، وبكى ربّ على صنم
 دمّ يُصرّج أقداماً وأقنعةً
 وثائرون يرون الشحم كالورم
 يؤرّخون لآتيهم بلا لغةٍ
 ويُشدون لماضيهم بلا كليم
 أتيت أسأل عن معنى، فأحدق بي
 سيفٌ، وشرّذني في صمته قلمي -
 «أتى الزّمان بنوه في شببته
 فسرّهم، وأتيناها على الهرم».

* تاريخ يمشي:

بين يديه

تمشي الأشياء

من دون طريق، من دون ضياء، من
 دون فضاء.

*

قال نبيّ الزّنج:

الطّوفان الطّوفان

كي تغرق مملكة
 الطّغيان.

*

قالوا: سيفٌ، رمحٌ، قوسٌ

عزاداتٌ ومجانيقٌ

مفلاخٌ وحجاز -

ذاك سلاحِ الزّنج،

- وكيف، إذن

فَرُوا؟ فَرُّ عليّ؟

- خ -

مَنْ أَسْأَلُ؟ مَاذَا تَهْدِمُ؟ هَذَا

النَّوْءُ الَّذِي فِي؟ ظَنِّي؟ وَهَمَّ التَّوَقُّعُ؟

ذَلِكَ الْفَضَاءُ الَّذِي كُنْتُ سَمَّيْتُهُ مَكَانِي

وَاصْطَفَيْتُ أَحْبَابِي فِيهِ، وَأَشْرَعْتُ

غَابَاتِهِ لِرِيَّاحِ الْأَمَلِ؟

مَنْ أَسْأَلُ؟ ذَلِكَ الْغُرَابُ الَّذِي فِي؟ أَمْ ذَلِكَ

الذُّبُّ؟ أَمْ يَأْسِي الْمَرْءَ؟ أَمْ غَضِبَ

الشَّعْرُ يَصْعَقُ تَارِيخَ تِلْكَ الْعُرُوشِ،

وَتِلْكَ الْمَحَارِيبِ، تِلْكَ الْمِائِلُ؟

مَا بَقَائِي فِي حَلْبٍ، مَا الْعَمَلُ؟

*

خُوصِرَ جَيْشُ الرِّيحِ،

اسْتَأْمَرَ بَعْضُ،

بَعْضُ أُعْطِيَ مَالاً،

وَكثِيرٌ قَبِلُوا.

قالوا: خَزُوا لِلرِّيحِ

رُؤُوساً

لَمْ يُحْضَرُوا.

* فِي تَرْحَالِي،

أَحْمَلُ بَيْنَ يَدَيِ الرِّيحِ،

وَأَسْأَلُ تَيْهِي عَنِ أَحْوَالِي.

- ذ -

الوجوه التي حضنتني وأحببتها تضيّق
والبيوت التي شربت ماء شعري
وحزّكت جُدرانها
ولها وانتشاء، تضيّق،
والمسافة بين الجراح وآلامها تضيّق.
غير أنّ المدارّ الصّفّي الصّديق
في المجاهيل في بوحها
وتباريح إشراقها،
عاهد الأرض في وفي خطواتي:
لن يضيّق إليها مساري، لن تضيّق الطّريق.
أه، من أين؟ أتى، وكيف وماذا؟
أهنالك حقاً طريق؟

* يتنشّق رائحة الواقع،
عارفاً كيف يدخل في كنهه، كاتماً
سِرّه.
ويظلّ يسافر فيه كنجم
يتشرّد في فلك ضائع.

*
قال نبي الزّنج: بهي
أن تزلّذ لجذرك، تُمسي
في مذرّة الرّيح غباراً.

يا رب أعني
كيف أعابن هذا المشهّد؟
أتناسخ؟
أهبط في ملكوت
ضيايّنك،
أم أصعد؟

- ض -

السحابُ رفيقٌ لوجهي، سأحلمُ:

قلتُ السحابُ ثيابٌ

بتخاريمِ ضوءٍ وظلٍّ.

أيها الأصدقاء، اعدروني، فقد ضعُتُ

ما عدتُ أعرفُ. من أين تأتي،

ولا كيف تأتي إلي جبركم

كلماتي،

واسمِّحوا لي - أجب ضياعي

هذا،

أتنور سرِّي فيه،

وأسرح في ضوءه خطواتي.

*

أسرى ورووس

في شدواتٍ وسُميرياتٍ.

ضُلبَ الأسرى وتدلَّى

في كلِّ مكانٍ رأسٌ.

زعموا: كان حصاراً،

فيه نبشُ الزنجِ الموتى،

دُفَعاً للجوع،

وباعوا الأكفانَ وقالوا:

أكلَ الزنجِ نساءً

أكلوا أطفالاً.

* في دفتر الريح بعضٌ من خواطره،

وفي المحيطات بعضٌ من حناياهُ

لوجهه فلكٌ شَطَّ المدارُ بهِ

كأنما صنعت منه مراياهُ.

حَلَبٌ تَذْهَبُ
 وَأَنَا مِثْلُهَا أَذْهَبُ
 وَالظَّلَامُ هُوَ الْمَسْتَرِيحُ عَلَى عَرْشِهِ،
 وَالضِّيَاءُ هُوَ الْمَتَعَبُ.
 أَيُّهَا الْكُوكَبُ الْجَامِحُ الْمَتَفَرِّدُ فِي نَأْيِهِ وَفِي
 قُرْبِهِ،
 هَلْ يَقُولُ لَكَ الضُّوءُ، مِنْ أَيْنَ جِئْتَ،
 إِلَى أَيْنَ تَمْضِي؟
 أَمْ تُرَى أَنْتَ مِثْلِي، غَيْهَبٌ حَائِزٌ
 وَالْيَقِينُ الَّذِي يَتَفَتَّقُ، فِي بَعْدِنَا
 وَفِي قَرْبِنَا، غَيْهَبٌ؟

*
 رَأْسُ نَبِيِّ الزَّنَجِ يُحْرُ
 وَيُلْقَى
 بَيْنَ يَدَيْهِ^(١).
 رَأْسٌ مِنْ أَحْلَامٍ
 صَارَ رَمَادًا.
 *
 جَاءَ نَبِيُّ الزَّنَجِ يَقُولُ
 الزَّنَجُ نَجُومٌ أُخْرَى
 فِي هَذَا الشَّرْقِ،
 وَلَهُمْ فِي كُلِّ بِيَاضٍ عِزٌّ.
 كَانَ جِزَاءَ الْقَوْلِ الْحَزَقِ.

* كَيْفَ أَقُولُ لِفَكْرِي:
 انظُرْ حَوْلَكَ أَنْكِرْ نَفْسَكَ حَيْثُ
 حَلَلْتَ
 كَيْ تَعْرِفَ كَيْفَ أَتَيْتَ وَكَيْفَ
 ضَلَلْتَ.

- غ -

إنه زَمَنُ الْإِبْتِدَاءِ

زَمَنُ الْمَاءِ يَسْتَنْبِتُ النَّارَ،

وَالرَّيْحُ تَتْرُكُ أَبْنَاءَهَا لِلْعِرَاءِ

زَمَنُ الْمَوْمِيَاءِ -

ضَارِبًا فِي الْجُدُورِ، وَفِي

طَبَقَاتِ السَّمَاءِ،

زَمَنُ الْقَيْدِ وَالْحَدِّ وَالْأَرْضِ -

سَابِحَةً فِي الدَّمَاءِ

إنه زَمَنُ الْإِبْتِدَاءِ

زَمَنُ الْخَلْقِ يُوغِلُ فِي كِيمِيَاءِ الْهَبَاءِ

زَمَنُ الْإِبْتِدَاءِ.

*

كَانَ نَبِيُّ الرَّنَجِ يَقُولُ

اللَّيْلُ فِضَاءُ الْمَعْنَى

وَالْمَعْنَى لُغَةٌ

لَا يَلْشَرَعُ، وَلَا يَلْحَدُ،

وَلَكِنْ

كَيْ تُخْلَقَ - بَدَأَ مِنْهَا،

لُغَةٌ أُخْرَى

وَمَعَانٍ أُخْرَى.

* لَمْ تَعُدْ حَلَبٌ غَيْرَ ذَلِكَ الْغُبَارِ الَّذِي

قَذَفْتَهُ خَطَأً

نَحْوَ ذَلِكَ الْمَكَانِ الَّذِي لَا مَكَانَ

سِوَاهُ.

هوامش



أنا الغريقُ،
فما خوفي مِنَ البَلَلِ؟

المتنبي

سمنون الصوفي

مات سنة ٢٩٨هـ. سَمَى
نفسه سمنوناً الكذاب لقوله:

«فليس لي في سواك حظُّ

فكيفما شئت فامتحنني».

ولأنه كان يطرف على
المكاتب ويقول للصبيان:
«ادعوا لعكمم الكذاب».

لن تعرفني

لن تعرف كيف سترسم وجهي .

وجهي ماءً في عاصفةٍ -

هل تعرف كيف تحيط بوجه الماء

في عاصفةٍ؟

حقاً

غاب الشرُّ الخالق عنك،

وغابت معه

سُورُ الأشياء.

أبو القاسم الجنيد

مات سنة ٢٩٧ أو
٢٩٨هـ، «كان إمام الدنيا في
وقته»، كما يوصف، وكان
يُلقَّب «شيخ الطائفة»،
و«طاووس العلماء». وحين
مات، قيل: «اضطرب الوقت
لموته».

لم يعد يعرف أن يجلس في مجلسهم،

لم يعد يعرف أن يصغي إليهم

لم يعد يعرف أن يحيا كما يحيا سواه -

لم يعد يعرف غير الجبر،

مسكوباً على خيرته.

الجنابي القرمطي

قتل سنة ٣٠١هـ. يقال:
قتله خادم له صقلبي، وهو
في الحمام، بهجر.

كَانَ فِي هَجْرٍ وَالْقَطِيفِ وَأَكْثَرَ مِنْ بَلَدٍ آخِرٍ،
يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ، يُسَمَّوْنَهُ السَّيِّدَا

وَزَعَ الْمَالَ وَالْمَلِكَ مَا بَيْنَهُمْ

(لا أقول سوى ما روته التواريخ عنه)

وتحكّم واستأسدا،

وتفرّد في القول: لا كتب منزلات إن تكن حجة
للقوي لكي يأسر الضعيف، ويتزّه. الأرض ملك

لعمالها، سواء.

قتلته يدا خادم!

هجر، أصبحت هجر

عبرة مرة، والسؤال يُكرّر:

من أين يُبدأ؟ أتى، وكيف؟

بماذا، بمن يُعتَبَر؟

النَّسَائِي، أَحْمَدُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ

توفي سنة ٣٠٣هـ. من
الفقهاء المعروفين، دفن في
بيت المقدس، أو في مكة -
في رواية أخرى.

صَلَّى فِي الزَّمَلَةِ - فِي جَامِعِهَا

سَأَلُوهُ:

- وَمَعَاوِيَةُ؟ وَفَضَائِلُهُ؟

مَا رَأَيْكَ فِيهِ؟

أَمْسَكَ. آثَرَ أَلَا يَتَحَدَّثُ عَنْهُ

ضَرْبُوهُ حَتَّى الْمَوْتِ. جَحِيمٌ

أَنْ تَسْكُنَ أَرْضاً

صَمْتُكَ فِيهَا مَوْتُ

وَكَلَامُكَ مَوْتُ.

أبو بكر الرازي، محمد بن زكريا

توفي سنة ٨٣١هـ -
٩٢٥م، وقيل: ولد سنة
٢٥٠هـ - ٨٦٤م. يوصف بأنه
«طبيب المسلمين»، ويلقب
بـ «جالينوس العرب»، وفي
حين كان الفكر السائد في
وقته يؤكد على دور النبوة
والوحي في المعرفة وإيقاظ
النفوس، كان هو يؤكد على
دور الفلسفة والعقل.

هذي صَحَارَى مرارتي - مزجتُ بها

غدي بوجهي

وَفَجَرَ الأرضِ بالعَسَقِ

خَليلي العَقْلُ - مَثُوراً على طَبَقِ

من الجراحِ، ومنظوماً على طَبَقِ

كَوْنٌ - سِبَاقٌ، وتُعْطيني أَعْيَتْهَا

إلى الأفاصي، خيولُ السَيِّدِ الأفقِ.

ابن العلاف

توفي سنة ٣١٨هـ. كتب
قصيدة في رثاء ابن المعتز،
لكنه خاف من الخليفة
المقتدر، فحوّلها وجعلها في
رثاء هـرّ. وهي قصيدة
مشهورة.

جُنَّ حزنًا على هِرِّه، رثاهُ

لا تزال القصيدة محفوظةً

بتهاويلها

وتأويلها

لا تزال كما قالها

يُنكَّرُ فيها، ويُعرَّفُ فيها

زمنٌ بائِرٌ ماكِزُ

كيف صار الخليفة هِرًّا؟

مَنْ نُسائِلُ؟ والشعر هل سيجيب،

إذا سئل الشعرُ، يا أيها الشاعرُ؟

ابن مسرّة، محمد بن عبد الله

توفي سنة ٣١٩هـ -
٩٣١م، يقول عنه الفرد
غيّوم: «هو أزل من قدّم
للغرب الاستعمال الغامض
الملتبس للكلمات العادية».
ومذهبه الفكري باطني صارم،
يقوم على هرميّة سرّيّة.
(معجم الفلاسفة، لجورج
طرايشي).

مثلما تسكنُ الرّيحُ بيتَ الفضاةِ:

الترّحلُ قنديلُهُ

والحنين له طُرُقَاتُ.

جسمهُ لغّةٌ - فِطْرَةٌ

تترصدُ شمساً تُنورُ أيامَهُ.

ساكنٌ في طفولةٍ أسرارِهِ.

الترمذي

(أبو عبد الله محمد بن علي، الحكيم)

توفي سنة ٣٢٠هـ -
٩٣٢م، نفي من ترمذ، فتهماً
بالزندقة، يقول: إن الولاية
متقدمة على النبوة. من أهم
كتبه: ختم الولاية.

أخذتكَ الولاية، أعطتكَ أسرارها وتآويلها.
معنا أنت، في الصَّورِ المُستسرة، في كلِّ شيءٍ.
ولنا ضوءك الغويِّ اللغات
يتحدَّر من شهبِ نيراتِ
زرعتها بروقك في رَجَمِ الكلماتِ
ونطوفُ به، ونقولُ لأيامنا:
إِنَّهُ عَهْدُنَا،
إِنَّهُ وَقْتُنَا.

البلخي
(أبو زيد، أحمد بن سهل)

كَأْسُكَ الْآنَ مَلَانَةٌ

باللغات، بما قولوها، وقالوا.

هل ستجرؤ من أول

وتوشوش ذاك الأبد:

مرحباً، يا صديقي،

أيهذا الزيد؟

توفي حوالي سنة ٣٢٢هـ -
٩٣٤م. «كان حراً الفكير لا
يخشى أن يرمى بالزندقة.
يرى أن أسماء الله الحسنى في
القرآن مأخوذة عن السريانية.
اشتهر بوصفه عالماً جغرافياً،
له: صور الأقاليم، وتقويم
البلدان». (معجم الفلاسفة،
طرابيشي).

أبو بكر الصنوبري

توفي سنة ٣٣٤هـ. كان
يحضر مجالس سيف الدولة،
وكان أميناً على كتب خزائنه.
شعره يتمحور حول الرياض
والأزهار.

ادخل إلى روضةٍ

يا شاعر الزَّهر، احتضنُ زهرةً

وقل لها: وجهك وجه امرأه

تعيش مسجونةً

في بَرْدِ أحزانها،

والأرض من حولها

بحيرةٌ من دمٍ

وجمرةٌ مُطفأه.

الرواية

VII

«جاء حكيمٌ إلى سيّد المدينة غين، قال له :
- إذا قطعْتَ رأسَ وزيرك طوغان، ودفتته، تخرج منه
شجرة تثمر ثمراً عظيماً يعود بالخير على رعيتك وعلى
الدنيا كلّها.

قال سيّد المدينة :

- وإذا لم يظهر ما ذكرت؟

- تصنع برأسي كما صنعت برأسه.

أمر سيّد المدينة برأس الوزير فقطع . أخذه الحكيم
وغرس في دماغه نواةً غريبةً جميلة عالَجها حتى صارت
شجرة . أثمرت هذه الشجرة ثمراً لا عهد للناس به -
لهذا الثمر عينان وفم، وله ليفٌ

كالشعر

وفي داخله مثل الدماغ .

عادَ هذا الثمر، كما قال الحكيم، بالخير على المدينة،
وعلى الدنيا كلّها .

وسمِعَ أبجد أن حاكم المدن فاء، وكاف، ولام،
وميم، ونون، وهاء، وواو، وياء، وكانت متّحدة في

نظام واحد، استدعى مرةً فيلسوفها ويدعى
الخلجانَ بَنَ الوهم وكان بارعاً في وصف الإنسان.

سأله:

- ماذا تعرف عن الذكر والأنثى؟

فأجابه، بعد رويّة وتمعن:

- يجتمعان بشهوة اللحم والعظم، لإيداع الماء في
بيته. وهو ماءٌ يندفع من بين الصُّلبِ والثرائب. ثم
يصير هو نفسه عظاماً تتخذ اللحم ثوباً يُشدُّ بالأعصاب
ويُنسجُ بالعروق.

- وماذا تعرف عن رأس الإنسان؟

- أعرف العين: لها أشْفارٌ كالنوافذ تُفْتَحُ وتُغْلَقُ.
وأعرف السَّمع: هو شِقٌّ ملآن بالرطوبة المرّة لقتل
الدود والهوام، وملآن بتعويجات الصّوت. وأعرف
الأنف، وهو لاستنشاق روح الحياة، غذاء للقلب
وترويحاً لحرارة الباطن. وأعرف الحنجرة وهي
أنبوبة، بأشكال مختلفة في الضيق والسعة والخشونة
والملاسة وصلابة الجوهـر ورخاوته والطول والقصر،
لتختلف الأصوات ويتميز الناس. وأعرف الرّقبة وهي
مركز الرأس. وهي برجٌ يتكوّن من سبع خرزات
مجرّفة، مستديرة، زائدة، ناقصة، لينطبق بعضها على

بعض، ويطول ذكر الحكمة.

- صِفْ لنا الكفّ والأظافر؟

- الكفّ، إذا بُسِطت كانت طبّقاً، وإن جُمِعت كانت آلة للضرب، وإن ضُمّت كانت مغرفة.

أما الأظافر فعمادٌ خلفيٌّ ومناقير لالتقاط ما تعجز عنه الأنامل وراداً يهدي إلى مواضع الحكّ في الجسم في النهار والليل، في النوم واليقظة.

- وما الرّئة؟

- مروحة لحرارة القلب.

- وما العظام؟

- كثيرةٌ وبينها مفاصل وأوتادٌ كالرباط لجرّ الحركة، والعضلات آلات لتحريكها.

وسمعت أن هذا الفيلسوف، الخلجان بن الوهم، اختفى بعد ذلك، ولم يُعثر له على أثر.

(استطرد)

[أحبّ أبجد هنا أن يستطردَ فيروي ما قاله القلم أول الخلق عن كيفية إيجاد هذا الكائن الذي سُمّي الإنسان. قال:]

«أمر الخالق ملاكاً، قيل إنه جبرائيل^(١)، أن يأتيه بطين من الأرض. غضبت الأرض وقالت للملاك: أعوذ بالله منك أن تُنقص مني وتشتيني.

آنذاك، بعث الخالق الملاك عزرائيل، وهو ملاك الموت. قال للأرض أعوذ بالله أن أرجع ولم أنقذ أمر ربّي. أخذ تراباً أحمر وأبيض وأسود

سكب عليه ماء حتى صار طيناً

تُرِك حتى صار حمماً مسنوناً

تُرِك حتى صار صلصالاً

منه جاء آدم وجاء بنوه حمراً وبيضاً وسوداً
وسُمّي آدم لأنه خلق من أديم الأرض.

مكث آدم أربعين سنة جسداً ملقى. كان إبليس^(٢) يأتي فيضربه برجله ويقول له: لست شيئاً.

عندما نفخ الخالق الروح في طينة آدم، دخلت من رأسه، ثم جرت فيها فصارت لحمياً وعظماً.

عطس آدم فقالت له الملائكة: قل الحمد لله.

(١) «هو نفسه الذي رفع مدائن قوم لوط، وكن سبعاً، بمن فيهن من البشر والحيوانات، على طرف جناحه حتى بلغ بها أوج السماء. سمعت الملائكة نباح الكلاب في هذه المدائن وصياح الديكة. ثم قلب هذه المدائن فجعل عاليها سافلها.

وهو نفسه الذي يظهر أحياناً في صورة أعرابي. وفي المأثور أن له ستمة جناح بين الواحد والآخر كمثل ما بين المشرق والمغرب».

(٢) «في المأثور أنه هو الذي قاتل الجن الذين كانوا أول من سكن الأرض وقتل بعضهم بعضاً، فقاتلهم وشنتهم، ومن يومها عرف الشتات. أخذ الغرور بهذا النصر فاستكبر على خالقه، وقال: صنعت ما لم يصنعه أحد. ومن يومها عرفت الفردة.

وفي المأثور أيضاً أن إبليس من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً، وأنه حي الآن. له عرش على وجه البحر، وهو جالس عليه، وبيعت سراياه يلقون بين الناس الشر والفتن. وهو أصل الحزن، كما أن آدم أصل البشر».

سجدَ له الملائكة إلا إبليس (١) قال:

أنا خيرٌ منه

لا أسجد لكائنٍ من الطين .

طُرِدَ من الجنة أعورٌ عليه عمامة وفي إحدى رجليه نعلٌ .
أُسْكِنَ آدم الجنة بعد طرده إبليس . كان يمشي فيها فُرْدًا .

مرّةً نام آدم . استيقظ . رأى عند رأسه امرأةً
خلقها الخالق من ضلعه . سألتها:

- مَنْ أَنْتِ؟

أجابت:

- امرأة .

- لِمَ خُلِقْتِ؟

- لتسكن إليّ .

سألت الملائكة لترى علمه:

- ما اسمُها؟

- حواء .

- لم سمّيت حواء؟

- لأنها خلقت من حيّ .

وسوس الشيطان لهما (وكانت الحيّة حملته بين

(١) «في المأثور أن إبليس
سخر من البيت المعمور الذي
يقال إنه مسجد في السماء
يقال له الضّراح، بدخله كل
يوم سبعون ألف ملك ثم لا
يرونه قطّ . وهو في السماء
السابعة بمنزلة الكعبة في
الأرض . وسخر كذلك من
القول: «ليس في السماوات
السبع موضع قدم، ولا شبر
ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو
ملك ساجد أو ملك راجع» .
وسخر من القول: «إن فيها
لِلَّهِ ملكاً لو قيل له: التقم
السماوات والأرض بلقمة
واحدة، لفعل» .

ومن القول: «فيها ملك
من حملة العرش، ما بين
شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة
سبعمئة عام .

وسخر من سدرة المنتهى
التي جاء في المأثور أن
«ورقها كأذان الفيلة . يخرج
من أصلها نهران باطنان
ونهران ظهران . الباطنان في
الجنة، والظهران التّيل
والفراة» .

وفي المأثور أن إبليس
هو أول من أعطاه الخالق
ملكاً، ملكه على سماء الدنيا
وجعله خازناً من خزان
الجنة . استكبر على الربّ
وآذع الربوبية، ودعا من كان
تحت إلى عبادته . مسخه الربّ
شيطاناً، وسلبه ما كان أعطاه،
ولعنه وطرده من سماواته» .

أنبيائها وأدخلته الجنة)، فقال:

- يا آدم، هل أدلك على شجرة الخلد ومُلك لا يبلى؟

مالت حوآء:

وعندما دعاها آدم إلى حاجته قالت لا، إلا أن
تأكل من هذه الشجرة. أكل وأكلت. بدت لهما
سوءأتهما. ذهب آدم هارباً في الجنة. ناداه ربّه:

- أتفرّمني يا آدم؟

- حياة منك، يا رب!

خيل إلى أبجد أنه كان، فيما يروي، ينظر إليه
حجرٌ أسود يشع من جهة القلعة. كان القميص الذي
ترتديه السماء ممزقاً وبلون البنفسج تقريباً. إلى يسار
الشعاع الطالع من الحجر، جسرٌ مكسور. يعلو، غير
بعيد عنه، سورٌ يبدو كمثّل دماءٍ عالية تخثرت.

كان في الجهات كلّها ضوءٌ يتكلّم:

هل اللّغة نجمةٌ تسيرُ بقدمين؟ سأل مدارَ الكلام،
الذي كان يتحرّك ولا ينطق.

امتزجت خطاه بخطوات الوقت، واختلط
صوتاهما. لمس بأهدابه صورة الأرض -

صحراءٌ ينهض فيها كتاب أشرعةٍ وأمواج

وجهٌ آخرٌ مَرثِيٌّ لِلهَبِ غيرَ مَرثِي

خارج الحجر شفافيةً سيقولها يوماً

داخل الحجر جدارٌ سيخترقه يوماً

أخذت الرِّيحُ تفرش البسط وتمد الوسائد . جلسَ
على مَقْعِدِ دعتَه إليه . نهض ، أسنَدَ ذراعَه اليسرى على
نافذةٍ متحرِّكةٍ في بيت الفضاء .

عندما حاول أن يتحدّث مع حارسٍ يلتصق بباب
التاريخ ، أحسَّ أنَّ صوته يعلو ويهبط في حنجرتَه كأنه
حصاةٌ غير مدوّرةٍ وملساء ،

وجاء يشهد عليه الغسقُ الذي رسمته ، أمس ،
حول النوافذِ قدُمُ الشمسِ ،
وجاء ملك الرَّمَلِ .

هل بيتُ الله في هذه الجهة؟

أكد له صوتُ صارخٍ أنّه ، عقاباً على هذا
السؤال ، سينزل قريباً في بئرٍ من النار .

كيف يُواجهُ العتبةَ التي يتغلغل شعاعٌ منها بين
أصابع قدميه؟

والقوس التي تشبه جفنَ غزالةٍ ولدت
لِتوّها غزالاً؟

وخببَ الباب الذي يمتلىء بالأهلة،
والذي يتغيّر، بحسب النظرة
واللحظة، كمثل دمية في يد
الضوء؟

سَيَسْتَعِينُ على ذلك بشجرة السدر، وبالنخيل أولاً.
قبل ذلك، عليه أن يتجزأ، أن يدفن بعضه في
جوف كلمة، وفي صخرة بعضاً آخر.

مَرَّتْ عَرَبِيَّةٌ رَمْلًا تَجْرُهَا الرِّيحُ، ولامست وجنتيه -
كان قد وضع قدميه على عتبة القلعة.

الذِّكْرَى

VII

المدينة خاء

قمر المدينة خاء طيب . يأخذ تعاليمه من ورقٍ تتنافس
في تزيينه جميع الألوان ، - ورق ينضاف إليه دائماً كلامٌ يهبط
عليه من جُرْفٍ عالٍ كأنه رأس كوكبٍ أو كَتِفُ نجمة .

✽

الشوك في المدينة خاء ، أكثر ألفةً من اليد ، والنافذة فيها
ترى أكثر مما ترى العين .

✽

يتساقط الزمن في المدينة خاء ، كمثل أوراق شجرة لا
اسم لها .

✽

لا أظن أن في الأرض مكاناً يتعدّب دون جدوى ، كهذا
المكان الذي يسمّى المدينة خاء .

✽

تتقاطر الكلمات في المدينة خاء ، كأنها ناقيات عمجاف
يحملن على ظهورهن - أثقالاً تُسمّى أفكاراً .

✽

كتب لي قارئ من المدينة خاء:
«عندي جسدان، - واحد أدخل به إليها، وآخر أخرج به
منها».

✱

كان وجميع أخواتها في المدينة خاء، أسماك تسبح في
بحيرة آسنة، وتكاد أن تجف.

✱

الجبر، والكيمياء، ونجمة الصبح، جسد واحد يرتجف
بين يدي المدينة خاء.

✱

ليس في اللغة التي تتحدث بها المدينة خاء، أسماء أو
أفعال، فهي كلها مجرورات ونعوت.

✱

مجلس الفضة هو الذي ينتخب أعضاء الذهب:
تلك هي صيغة الحكم في المدينة خاء، كما يقول
سكانها.

✱

الآن، تصغي إليّ ريحٌ ليست لها أذنان، -
ريح تهبّ من جهة المدينة خاء.

✱

الحياة في المدينة خاء ليست حلماً
وليست إنجازاً، -
أعطها موعداً بين ذراعيك أيها الوقت.

✱

بوفاء كامل،
سأخون المدينة خاء.

✱

أحبتك حيناً، وكرهتك أحياناً، -
كان الخبز نفسه وسخاً على مائدتك. وما انحنيت لك،
حتى عندما كان ظلامك يطبق عليّ وعلى أنحائي.
ولست أريد منك أيتها المدينة خاء،
إلا شيئاً واحداً:
أن تكوني في مستوى التراب الذي تنهضين فوقه.

المدينة ذال

يخيل في المدينة ذال أن الأشباح هي الكائنات الوحيدة
التي تحمل رؤوساً تشبه الرؤوس الآدمية.

*

في إناء اسمه المدينة ذال،
يعيش نبات لا يذبل أبداً، اسمه القتل.

*

أمرت المدينة ذال مؤرخيها أن يكتبوا تاريخاً يؤكد أن
رأسها ينتمي إلى سلالة اسمها تاج الدين، وأن قدميها تنتميان
إلى سلالة أخرى اسمها تاج الدنيا.

*

تعلم المدينة ذال سكانها أن يندروا حياتهم كلها لعمل
واحد: أن يلوثوا ضوء الشمس.

*

ليس في الدم الذي يملأ عروق المدينة ذال، غير
الأبواق.

*

لا أحد في المدينة ذال يعرف نفسه:
تلبس النعامة لبنة الأسد،

ويمشي الذئب بأرجل الحمامة .

✽

تتراسق جدران المدينة ذال بِكْرَاتٍ غريبة يؤكد الذين
رأوها، أنها ليست إلا رؤوساً .

✽

أجلوا العدالة إلى وقتٍ آخر،
أجلوا العمل إلى وقتٍ آخر،
أجلوا الحب إلى وقتٍ آخر،
أجلوا العلم إلى وقتٍ آخر،
أجلوا الخبز إلى وقتٍ آخر،
أجلوا الحرية إلى وقتٍ آخر،
أجلوا حقوق الإنسان الأخرى إلى وقتٍ آخر،
أجلوا الإنسان إلى وقتٍ آخر:
تلك هي المبادئ التي تهيمن على المدينة ذال، وفي
هذه المبادئ يتنافس المتنافسون . . .

✽

الطرق التي تبدأ من المدينة ذال، جراح لا تشفى .

✽

إن شئت أن تعيش في المدينة ذال، فلن تقدر أن
تمارس إلا عملاً يهدم الفكر، أو فكراً يهدم العمل .

✽

الرؤوس في المدينة ذال هي نفسها السجون،
والأعمدة الفقرية عتبات للدخول والخروج.

※

منذور ساكن المدينة ذال لنضالٍ وحيد:
أن يأكل لحم أخيه.

※

موت الإنسان في المدينة ذال، هو الدليل الوحيد على
أنه كان حيًا.

※

لا تعرف الحياة في المدينة ذال أن تصفّق إلا للموت.

※

بعد الأشياء التي قرأتها، وتلك التي سمعتها عن المدينة
ذال، قرّرت أن أزورها مرة ثانية - لكن في عربة من الخيال.
كانت، لحظة وصولي، مقفلة. ويقال إنها مقفلة دائماً،
مع ذلك يمكن الدخول إليها من ثقبٍ ما، بإذنٍ ما، بورقةٍ ما،
بتوقيعٍ محدّدٍ وخاصّ، يوحي بأن هذا الدخول نعمة وامتياز.
تدخل. ترى. تختبر، - لا تقدر أن تصادق في هذه
المدينة أيّ شيء. وقال لي أكثر من واحد: حتى عندما
يصادق الإنسان جسده أو عقله، فإن هذه المدينة تنظر إليه كأنه
متهم، وربما تعرّض لأن يفقد جسده أو عقله، أو كليهما معاً.

وتؤكد لك الخبرة أن كل شخص يسير في المدينة ذال،
يسير وراءه أو أمامه، إلى يمينه أو يساره، نوع غريب من
العَسَس .

وتلمس لمس اليد كيف أن أسبياد المدينة ذال يمضون
أوقاتهم في العمل على حفر نفقٍ ضخم، وإجبار الناس على
المرور فيه لكي يصلوا إلى ما يسمونه المستقبل أو الفجر
المقبل .

وهؤلاء الأسياد هم الذين يصنعون للناس رؤوساً ثانية
يركبنها داخل رؤوسهم الأولى . وكثيراً ما تتحوّل الرؤوس،
كما روى لي أكثر من شاهد، إلى قطع تبديل . لهذا حين
يتحدّث مواطن مع زائر، يسأله هامساً:

- هل تريد أن أحاورك برأسي الأول، أم برأسي الثاني؟
لكنه سرعان ما يستدرك، هامساً أيضاً:

- كلا، كلا، لا أقدر أن أحاورك إلا برأسي الثاني .

ويقال، في رواية ثانية، لا يُعدّ مواطناً صالحاً إلا
الشخص الذي مسح هؤلاء الأسياد رأسه بأيديهم .

ومع ذلك، هناك من يوحد مصيره مع مصير المدينة
ذال، غير مدركٍ أنه في عمله هذا كمن يربط نفسه بعمود من
الضباب .

ما أعجب المدينة ذال،-

إنها تناضل كمن يخطّط لكي يقلّص الفضاء .

رموز وعبر من : «كتاب آخر للأمثال» .

قرأته في المدينة ذال

أ -

قال ابن عباس :

«كان عرشه على الماء ،

وعندما أراد أن يخلق الخلق ،

أخرج من الماء دخاناً ارتفع فوق الماء وسما عليه ،

فسماه سماء .

ثم أَيْسَسَ الماء فجعله أرضاً واحدة ،

ثم فَتَّقَ الأرض فجعلها سبع أرضين ، وذلك في يومي

الأحد والاثنين .

وخلق الأرض على حوتٍ هو التون ، -

الحوت في الماء

والماء على صفاةٍ

والصفاة على ظُهرِ مَلَكٍ

والمَلَكُ على صخرة

والصخرة على الزيح

وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء

وليست في الأرض .

وعندما تحرك الحوت واضطرب ،

تزلزلت الأرض ،

فَأَرْسَىٰ عَلَيْهَا الْجِبَالَ، فَاسْتَقَرَّتْ .

يوم الثلاثاء،

خلقت الجبال وما فيهن من المنافع،

ويوم الأربعاء،

خلق الشجر والماء، وخلقت المدائن والعمران

والخراب،

وفي يومي الخميس والجمعة،

فُتِّقَت السماء وكانت رتقاً فصارت سبع سماوات .

ثم خلقت الكواكب

زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يُهتدى

بها .

ولَمَّا فرغ الخالق من خلق ما أحبه،

استوى على العرش» .

ب -

روي عن محمد بن إسحاق أنه قال:

«يقول أهل التوراة إن الله ابتداءً الخلق يوم الأحد،

ويقول أهل الإنجيل ابتداءً يوم الاثنين،

ونقول نحن المسلمون ابتداءً يوم السبت»،

وإلى هذا القول الأخير مال طائفة من فقهاء

الشافعية^(١) .

(١) بعد التحقيق، تبين أن هذه رواية شائعة ومكررة في كتب التاريخ كلها.

المدينة ضاد

بشر يهرولون بين الكلمات، يتخذون من حروفها
شرايين، ومن نقاطها عيوناً،
أسافل تهبط في اتجاه أسافل أبعد غوراً،
ظلام يأخذ العرش، ونور يأخذه المنفى،
سيوف تسكن الأعناق، ورماح تسكن الخواصر،
وحدة بين الفكر والسجن،
زمن يعارض الماء،
فضاء لا يتسع لأكثر من بغاء،-
أقول: رأيت هذا كله
رؤية العين،
وكان ذلك في المدينة ضاد.

※

- ١ - في المدينة ضاد، لا يولد الغيم من الماء، ولا من الغيم، - يولد من الحجر.
- ٢ - الغراب نفسه في المدينة ضاد دفتر أبيض.
- ٣ - رجل في المدينة ضاد توفيت زوجته. نام ليلة، حزيناً، فرأى في نومه نساء لم ير معهن زوجته. سألهن عنها، قلن:

- «فَصُرْتُ فِي كَفْنِهَا، فَهِيَ تَسْتَحْيِي أَنْ تَخْرُجَ مَعَنَا.»

٤ - قال رجل في المدينة ضاد: «رَأَيْتُ فِي النُّومِ
حَسَنَاتِي وَسَيِّئَاتِي. فِي حَسَنَاتِي، رَأَيْتُ حَبَابَ رَمَانٍ. وَكُنْتُ
مَرَّةً، قَبِيلَ مَوْتِي، أَكَلْتُ رَمَانًا فَسَقَطَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ ثَلَاثَ
حِبَاتٍ، لِمَمْتَهِنٍ عَنِ الْأَرْضِ وَأُكَلَّتْهُنَّ.
وَرَأَيْتُ فِي سَيِّئَاتِي خَيْطِي حَرِيرٍ كَانَا فِي قَلْبِ سَوْتِي.»

٥ - روى رجل آخر في المدينة ضاد: «رَأَيْتُ فِي نَوْمِي
النَّاسَ يَجْتَمِعُونَ حَوْلَ رَجُلٍ عِنْدَ الْمَسْجِدِ. اقْتَرَبْتُ، وَسَأَلْتُ:
- مِنْ هَذَا؟
- هَذَا رَجُلٌ جَاءَ مِنَ الْآخِرَةِ إِلَى الدُّنْيَا، لِيُخْبِرَ النَّاسَ عَنِ
مَوْتَاهُمْ.»

٦ - وقال رجل آخر في المدينة ضاد: «رَأَيْتُ رَجُلًا
شَاهِرًا سَيْفَهُ، يَضْرِبُ رُؤُوسَنَا. كَانَ كُلَّمَا وَقَعَ رَأْسٌ، يَأْخُذُهُ،
وَيُعِيدُهُ إِلَى مَكَانِهِ.
أَتَى إِلَيَّ، وَضَرَبَ رَأْسِي. وَقَعَ عَلَيَّ الْأَرْضُ. أَخَذْتَهُ،
نَفَضْتُ عَنْهُ التُّرَابَ، ثُمَّ وَضَعْتَهُ بَيْنَ كَتِفَيْ، وَأَعَدْتَهُ كَمَا كَانَ.»

*

عجياً للمدينة ضاد،

كيف تجد المتسع لكي تجلس، حيناً، تحت كرسي
وحيناً بين قدمين.

*

أحاول (بلا نجاح حتى الآن)
أن أضع في فلاة كتب المدينة ضاد،
لغاية واحدة: أن أحزّر الورق!

✱

تحيا المدينة ضاد، كأنها اللب
وتعمل كأنها القشر،
يا لهذا الجدل بين عبث باطن وعبث ظاهر.

✱

الضوء في المدينة ضاد
يائس من المصاييح،
والمصاييح يائسة من العيون.

✱

لا يقدر النهار في المدينة ضاد
أن يكون أكثر من سرير،
لا يقدر الليل فيها
أن يكون أكثر من غطاء.

✱

إن شئت أن تسكن في المدينة ضاد،
فلن تجد بيتاً تسكنه غير الكلام - عنيت:
قفص الكلام،
وسوف يواكبك حرس خاص ينتظم في صف لا ينتهي،
أوله السماء وآخره الغبار.

✱

لا تحيا في المدينة ضاد، إلا بعد أن تموت،
سلفاً، منذ ولادتك، بل قبل أن تولد:
أنت من الأسلاف!

*

للمدينة ضاد
جدران تتواطأ مع عميان
يتسربون إليها من بين النجوم.

*

يبدو الجسد في المدينة ضاد، كمثل الشجرة،
والروح ثمرة - للفصول كلها،
ولا تكف عن السقوط،
وأحياناً، تبدو الروح نفسها كمثل الشجرة
والجسد ثمرة للفصول كلها،
ولا يكف عن السقوط.

المدينة ظاء

خوفاً من سلطة البرد الذي يحكم شوارع المدينة ظاء،
لبس الجوع معطفه،
صعد إلى المسرح، مسرح السّاحة العامّة،
وأخذ يموميّ الشيع .

✽

الأخضر معتقل، والبياض متهم في المدينة ظاء،
وفيما تحاول الشمس أن تلامّ جراح السهول، تكاد
الجبّال أن تختنق .

على القمم ثلج لا يسقط من جهة السماء، وفي الأودية
صراخ يخرج من ثقبٍ في الأرض تشبه الحناجر .

✽

هوذا حكم الرّيح على ساكن المدينة ظاء:
أن ينقل الماء، طول حياته، من الرمل إلى الرمل .

✽

يمكن أن تنفذ الكلمات في المدينة ظاء، ولا تنفذ
قيودها .

✽

ها هم يهتفون لنبيرون، ويضعون بين يديه رؤوس
القتلى،

تقدموا يا شعراء المدينة ظاء،
إنه دوركم لكي تضعوا على رأسه الغار.

*

أحياناً، يبدو الإنسان في المدينة ظاء،
كأنه شخص التقى بجسده عبثاً، والتقى بروحه
مصادفة.

*

يا للرؤوس التي تتساقط دون توقف
من أجل تاج يذهب وتاج يجيء:
ذلك هو التاريخ في المدينة ظاء.

*

في لحظة ما، وبسحرٍ ما،
يمكن في اللغة التي تسود المدينة ظاء، أن تسمى الجئة
ججيماً، والججيم جئة.
وأن تصرخ: أيتها الغزالة، ألن تعترفي أخيراً بأنك
كزكدن؟

*

يبدون أصواتهم في الغناء من أجل مستقبل ليس إلا
السرطان الذي يلتهم حناجرهم:
هكذا يصف بعضهم سكان المدينة ظاء.

*

تغص المدينة ظاء بمشائق تنتصب في الهواء، سرّياً.

*

كلمة - تضع في عتقها طَلْسَمَها، لكي لا تضع،
محفورة عالياً، فوق رأس المدينة ظاء،
- وما الغرابة، هنا؟ اللغة في هذه المدينة تحب أن
تستسلم لأحوال الهواء.

المدينة غين

لا يكتشف الإنسان في المدينة غين، تاريخه الحقيقي
إلا في الطبقات السفلى من أنين أيامه.

✽

في المدينة غين،
يقتل بعضهم بعضاً كما يأكلون،
وفي محابر الأناشيد المنذورة للعرش،
يسكبون دماء القتلى.

✽

عنده، في المدينة غين، مفاتيح لا تحصى
لكن، ليس هناك بابٌ واحد.

✽

نزل السيل، سيل الكلام، وادي المدينة غين،
ترك أسنانه في رأس الوادي، وقدميه عند قدميه،
ثم تحوّل إلى ثقوب في دولاب الوقت.

✽

جلس الليل تحت سقيفته، في المدينة غين،
دعا النجوم إلى الجلوس معه،

ثم أخذ ينتقد الظلام .

✱

أمس ، خَيْلٌ إلَيَّ بقوة لا أعرف كيف أفسرها ،
أنني أرى السماء تبذر نجومها في حقول المدينة غين ،
تحية لحصاد صلواتها ، كما قيل لي .

✱

سكّانُ هذه المدينة في حاجة إليك أيها الأب الموت .

✱

اتبعوا الشارع في تغيراته -
يكاد أن يكون وجهاً مصنوعاً من الموج .
لا أحلم . واليوم غسلت ذاكرتي من أنقاضها .
هذا هو الشارع في المدينة غين ، -
مرسوم بزبد كأنه النار ، وبنار كأنها الزبد .

✱

كُتبت الكيمياء وغازاتها في سجل الفضاء ،
كتب الأرق وكوايسه ،
احتفاءً بالمدينة غين -
هذه الكتابة أرضٌ بلا حدود ، وقيل إنها مَخْلُوطَةٌ
بالسما .

✱

من أين للكلمات أن تتحوّل إلى قبائل؟ لا تقيم على
ضفاف اللسان إلا لكي تسبر غور الرّحيل .

أتأمل هذه المسألة، فيما أتأمل أحوال المدينة عين .
وأعجب لانحراف خطواتي نحو قمة في جبال الرغبة،
يشاع أنها خرساء .

*

حقاً، يبدو العالم كمثل طائر ميت
في عنق المدينة عين .

*

نادرون جداً أولئك الذين يقدرّون أن ينكروا
أن القرن العاشر هو الذي سيعقب
في المدينة عين
القرن العشرين .

*

قال شاعر هذه المدينة:
الأمة قصيدة والأفراد كلماتها .
قلت: لا وجود، إذن، إلا للغة .

*

ليست الحياة في هذه المدينة ذروة يشرف منها
الإنسان،

بل نفق يختبئ فيه .

*

يُصدّق سيّد هذه المدينة أنه بطل:
أمر لا يُصدّق .

*

ما أكثر الكتب في هذه المدينة -
لكن، يكفي، لكي تفهمها، أن تقلّب أوراقها.

✱

لن يمتلك الإنسان فصاحة الرّيح،
لذلك لن يقدر أبداً أن يصف المدينة عين.

✱

قرأت آخر قصيدة كتبها شاعرٌ عاش في هذه المدينة،
قال فيها:-

«الفرس التي يمتطيها اللّيل في سفره
لا تقدر أن تسيّر إلاّ على الطّريق
التي تقود إلى الصّباح.
مع ذلك -

أيتها الغيمة التي ولدت واقفةً
والتي ستموت وهي تمشي،
هل تقبلين صداقتي؟».

✱

«قبل أن تقولي عنه^(١): إنه يحتلّ مكاناً عالياً،
اسألي: مَنْ أولئك الذين رفعوه، وأولئك الذين ينظرون
إليه.

✱

يغير رأيه دون أن يغير ذوقه،
أو يغير ذوقه دون أن يغير رأيه:
في الحالين، لا يتغير.

*

إلى متى نبقى مجبرين على هذا الاختيار:
بين بيتٍ لا يدخله أي نور،
ونورٍ لا يدخلنا إلى أي بيت؟

*

تسأليني أن أضع معجماً للكلمات من نوع آخر؟
حسناً، لنُجرب:

كلمة قذف بها الفضاء من شباكه الأمامي،
وكان سقوطها حدثاً ماتت فيه الكيمياء،
وابتليت المادّة بالداء الذي لا دواء له.

كلمة لن يقدر المعنى أن يجد له صورة جديدة إلا
إذا ماتت.

كلمة إن كان هناك فرح، فهو أن تقتل الكلمات وأن
تحببها.

كلمة يخرج من عباءتها الجند والخيل والبساتين.

كلمة عمود كبريت يعانق عموداً من الملح.

كلمة رأس مثقوب بالشك.

كلمة لم يولد بعد الأفق الذي يتسع لتلك الأجنحة
التي تبتكرها خطواتي
كلمة ليتني أقدر أن أضيف إلى جسدي جسداً
آخر لكي أقدر أن أحتضنها،
(والبقية آتية لا ريب).

*

كلّام لم يعد القمر بيتاً لي،
غيرت الطريقي بين قدمي وأحلامي.

*

لم أولد بعد،
سأولد قريباً، أقرب مما يُظنُّ.

*

دخل كمثل عاصفة بيني وبين آلامي،
ورفعني إليه -
لا تسليني: مَنْ، كيف، ومتى وأين؟

*

بِقَدْر ما تقتربين من الأفق،
بيتعد عنك:

لن تصلي، إذن، إلى نفسك، أبداً.

*

لم يكن يبكي -

كان يبكي داخل البكاء .

*

تصنع المدينة عين حاضرها بأشخاص ماتوا،
وتصنع المستقبل بكلمات لا حاضراً لها .

*

مدينة يبدأ فيها سجن المرء
بالسلام على العرش .

*

الأب في هذه المدينة لا يُقتل، بل يُبدل .

*

يتقدم الزمن في هذه المدينة،
كمثل طحلب على جدار اسمه الأبد .

*

تجلس الخوذ على رؤوس الشجر، في هذه المدينة،
في كل ثمرة رصاصية .

خاتمة

- «الشام أمامك، لا أحد يمنعك منه»،

قال ناصر الدولة لأخيه سيف الدولة.

ودخل سيف الدولة مدينة حلب

يوم الاثنين، من شهر ربيع الأول،

سنة ٣٣٣هـ.

وكان دم الحرب لا يجف، وكان قتلها كمثل إبر في

يد الزريح تخيط للزمن ثوبه الأكثر التصاقاً بجسده

وكان الدم يتفجر من أحشاء القلعة وأطرافها

ليست تُفاحة حواء هي وحدها الغواية

للتاريخ، هو أيضاً، تُفاحاته وغواياته.

وفي رواية، وهذا تكرار لما سبق، أن القلعة بدأت

خطواتها في أيام سلوقس نيكادور قبل المسيح بثلاثمئة واثنتي

عشرة سنة. ولما صار فيها تلامذة للمسيح أخذ يتعاش فيها

الذين يعبدون الله - يهوداً ونصارى، والذين يسجدون لوجه

الحجر الذي كان يُسمى الصّتم، والذين يسجدون للنار.

ثم هَلَّتْ لخبول أبي عبيدة وسيوفه.

ثم أخذت تتدحرج كمثل كرة تنزف دماً بين يدي

الأرض، وتحت أقدام العرش -

الأموي

العباسي

الطولوني

الحمداني

. المرداسي، العقيلي، التركماني،
الزنكي، الأيوبي، المملوكي، الجركسي، العثماني -

(«سار السلطان سليم

إلى حلب. خَفَّ أهلها لملاقاته. طلع إلى القلعة. رأى أشياء
أدهشته: ذهباً وفضةً وغيرهما

- ومن هؤلاء؟

- خلفاء المشايخ الذين أتوا مع الغوري مسافرون إلى بلادهم.

أمرَ بإحضارهم. رمى رقابهم عن آخرهم.»).

«قال بعض الحدائق من المؤرخين إن وقائع الجراكسة

مع السلطان سليم كانت دموية، وكان موته سنة ثمانٍ وعشرين
وتسعمئة بعلّة فَرَّخ الجمر. وهكذا الدنيا تفعل بأهلها. هنيئاً
لمن أعرض عنها ورضي منها باليسير، فإنها غدارة غزارة
سبحان مبيد الأكاسرة ومدلّ الجبابرة وقاهر العباد بالموت،
وهو الذي يرث الأرضَ ومن عليها.»

القسم الثاني

أوراق سيف الدولة

أوراق سيف الدولة

(١) السنة التي سيطر فيها
سيف الدولة على حلب.

[كتبت هذه الأوراق، في أوقات
متقطعة بين ٣٣٣هـ - ٣٥٦هـ.]

٣٣٣هـ (١).

(١) أثر أبجد أن يتحدث عن
المدينة عين أيضاً بشكل غير
مباشر، عبر مقاطع من رسالة
كتبها في شكل خواطر، شاعر
إلى صديقة له في هذه
المدينة.

اليوم، بدأتُ طريقاً
لا أعرفُ كيف تؤولُ، وكيف تكونُ
أعرفُ أنّ الأرضَ
هنا وهناك -

دَمّ، وجنونُ.

*

لا أحبّ المطرُ
حينما لا يسافر كالدمع بين جُفون الشجرِ.

*

ليس بين الخليفة والناس إلا
سيفه والخلافة، -

للسيف من قال: كلاً.

للخلافة أبناؤه

وأبناء أبنائه،

ولهُ الحاشية:

هِيَ فِي الْقَصْرِ حِيناً، ذِئَابٌ
وَهِيَ، حِيناً، قَطِيعٌ مِنَ الْمَاشِيَةِ.

*

٣٣٦هـ:

أعرابٌ،

وقبائلٌ طيِّ،

وقرامطةٌ،

لِمَ لا يُجدي غيرُ السَّيفِ؟

أغرثُ، قتلتُ الهادي^(١)،

وهدمتُ القرية^(٢)، حيثُ اعتصموا.

*

من جديدٍ تشورُ كِلابٌ وأحلافُها:

بالسِّ فتنَةٌ، وفسادٌ، وفوضى.

لا سبيلٌ سوى العُنْفِ، لكن

لن أبلِّغَ فيه - أكتفي منهمُ بتأديهم.

وسأوصي

أن تعادَ إليهمُ سباياهمُ.

*

جند الإخشيد أسارى

بين يديّ، ولكن

لن أقتل منهمُ جنديًا، وسأعفو عنهم، وأسرَّحهم.

(١) اسم القرمطي الثائر.

(٢) اسمها الحدث، وكانت في إقليم حمص.

✱

جَبَلٌ شَاهِقٌ

والدَّرُوبُ إِلَى الْحَصَنِ مَقْطُوعَةٌ
بِخَنَادِقِ نَارٍ وَنَقْطِ .

✱

لَا حِصَانَةَ غَيْرُ الصُّعُودِ . صَعَدْنَا
ووصلنا إِلَى بَرْزُوبِهِ ، دَخَلْنَا إِلَيْهِ ،
كُنْتُ أُضْغِي إِلَى أَرْضِهِ - التَّلَالُ ،
الصَّخُورُ ، المَتَارِيسُ ، أَسْوَارُهُ
تَتَهَاوَى وَتَنْشَقُّ حَزناً عَلَيْهِ .

٣٣٧هـ (١)

فَرَدَسٌ (٢) مُخَبَّطٌ كَسِيرٌ،

وكأني أراه

يَتَمَرَّقُ مُسْتَسْلِمًا وَيُجْرَجِرُ أَحْشَاءَهُ

فوق صَخْرٍ وَنَارٍ.

كان نصرأً جميلاً تنوّرت فيه

ما سيحدث، وازدذت فتأ

في التمرس بالحزب.

عَزَزْتُ أَخْلَاقَهَا - أَعَدْتُ إِلَى فَرَدَسٍ

إِيَّاهُ (مات في حربنا، وحملناه رِفْقًا وَضَنًا بِهِ أَنْ يَظَلَّ

طَعَامًا لَطِيرٍ أَوْ لِيَوْحِشٍ. نَصَارَى حَلَبٍ سَلَمُوهُ إِلَيْهِ

وكانوا بيننا جسر وَضَلَّ)

كُنْتُ أَسْتَبْصِرُ الْوَقْتَ فِي نَشْوَةِ النَّصْرِ، حِينَ مَرَرْتُ

بِأَنْطَاكِيَّةٍ

والتقيتُ بأحمد (٣). كان اللقاءَ المدارَّ الأشدَّ التصاقاً

بأعمالي النَّائِيَّةِ.

(١) السنة التي حقّق فيها
سيف الدولة نصرأً مهمأً على
الزّوم، وهي السنة نفسها التي
التقى فيها بالمتنبي في
أنطاكية.

(٢) فردس فقامس، قائد
الزّوم، آنذاك.

(٣) المتنبي.

عامرٍ وقشيرٍ وعجلانٍ، أولادُ كعبٍ
وكلابٍ -

كلهم خارجون عليّ. ولكن
كان سهلاً

أن يردّوا إلى طاعتي. أزلتُ أباطيلهم،
وأوضيتُ جُنديّ الأيمسوا
حريماً لهم. وعتوتُ، وسامحتهم
وكانوا قتلوا والياً^(١).

*

أعرفُ أنّ بكاء الناسٍ شديدٌ،
ميتي.

لكن،

سيكونُ عليّ شديداً أيضاً،
حين أموتُ.

*

(١) هو الضياع بن عمارة،
وكان والياً على قنسرين.

ظِلُّ رَمَحِي سَوَالٍ عَنِ الْقَتْلِ وَالْمَوْتِ،
خُطَّ عَلَى جَسَدِ الشَّمْسِ . وَجْهِي
مِثْلُ طِفْلِ
يُهَيِّئُ أَحْلَامَهُ وَالْعَابَةَ
لِلطَّيُورِ وَأَعشَاشِهَا .

*

أَصْدِقَائِي -

يَحْسِبُونَ الْكَوَاكِبَ شِعْرًا
وَالشَّعَاعَ الَّذِي يَتَجَسُّسُ مِنْ دَوْرَةِ الْكَوَاكِبِ،
وَحَيًّا .

مَا يَكُونُ، إِذَنْ، جِبْرَهُمْ؟

*

لَمْ أَكْتُبْ شَيْئًا . كُنْتُ أَقُولُ: الْحَرْفُ يُمِيتُ،

وَكُلَّ كِتَابٍ

يَسْخَرُ مِمَّا فِيهِ الْوَرَقُ،

إِنْ لَمْ تَتَجَدَّدْ فِيهِ الْأَرْضُ، وَتَبْدَأُ مِمَّا

قَالَ الطَّرِيقُ .

*

كوْن - لم أقرأ فيه

إلا كلمات

لم ألمخ فيه إلا صورة

أين يكون المعنى؟

هل أسأل ما يتغير فيه، أو ما يتبقي؟

هل أسأل جسم الكوكب عن معناه؟

أم أسأل نوره؟

*

يَبْغِي أن تُسَمَّى الثُّغُوز

وطناً آخرأ

زارعأ حاصداً للقبور.

*

غارة، غارة، في تباريحه العالية،

يتغير طوروس: طورأ

يُنْحِي - يَتْرَأى

في خليج قُسْنطينية، وطوراً

يَزْدهي - يتقلب في حضي

أنطاكية.

*

لا نِيَالٌ وَلَا عَرِبَاتٌ . لا دروْعٌ - ولكن
خوْذٌ، لا طُبُوْنٌ
إِبِلٌ وَيِبَارِقُ شَتَى - خَطُوْطٌ وَوَشْيٌ، وَعَمَائِمٌ
تَسْتَنْهَرُ الصَّهَوَاتِ، وَتَزْهَوُ وَتَخْطُ فِضَاءَ
الْمَخِيُوْنِ .

✽

يَمْدَحُوْنَ، وَلَوْ عَرَفَ الْمَادِحُوْنَ دَخَائِلَ مَنْ
يَمْدَحُوْنَ، إِذَنْ لَرَمَوْا مَا يَقُولُوْنَ
فِي سَلَةِ الْقِمَامَةِ،
وَلَكَانُوا، إِنْ أَرَادُوا الْحَيَاةَ بِصَدَقِ،
رَفَعُوا عُذْرَهُمْ وَأَخْطَاءَهُمْ
فِي الطَّرِيقِ إِلَى مَوْتِهِمْ عَلَامَةً .

✽

أَتْرِكُ الرِّيحَ تَعْبِرُ . وَقَتُ الْمُحِبِّينَ وَالشَّعْرَاءِ
الْجَذُوْرُ وَأَسْرَارُهَا، وَأَدَارِي
حَيْرَتِي، وَطَحَالِبَ خَطُوِي،
وَأَخْطَاءَ حَقْلِي :
الطَّبِيعَةُ فِي تَقْلَمِ أَشْجَارِهَا .

✽

بِخُضُوعٍ وَزُلْفَى،
يرفعون هواهم وأقوالهم وأعمالهم،
إلى كلِّ عَرْشٍ.
وَيَمْدُونَ أَيامهم
تحت خَطْوِ سلاطينهم بِسَاطَأَ،
ويُضِيفُونَ أَسْمَاءهم
للنبيِّ، وآلِ النبيِّ، وصَخبِ النَّبِيِّ.
ما الذي يفعل العرشُ،
أَجْمَلٌ مِنْ جَنِّيِ هَذَا القَطَافِ
الشَّهِيءِ؟

*

خَرَبُوا حَلَبًا، تَرَكَوْهَا
 أَثْرًا بَعْدَ عَيْنِ
 وَكَأَنِّي أَرَى كُلَّ مَا شَاءَتِ الْخِلَافَةُ مِنِّي،
 وَمَا شِئْتُهُ،
 وَرَقًا عَائِمًا
 فِي مِيَاهِ قُوتِي،
 وَدَمَاءَ تَسِيلُ عَلَى الضَّفْتَيْنِ.

*

حِينَ أَرْنُو إِلَى الْحَرْبِ غَزْوًا وَقِتْلًا وَنَهَابًا،
 أَتَشْكُكُ: مَاذَا، أَهَذَا جِهَادًا؟
 أَبْهَذَا نَضَمَ سَوَانَا إِلَى دِينِنَا؟
 أَمْ فِسَادٌ يَجْزُ الْفِسَادُ؟

*

لِمَ لَمْ أَقْرَأِ الرِّيحَ وَهِيَ تُقَلِّبُ بَيْنَ يَدَيْهَا
 كِتَابَ الشَّجَرِ؟
 لِمَ لَمْ أَسْأَلِ النَّهْرَ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي بِأَقْلَامِهِ؟
 كَيْفَ يَقْرَأُ، أَوْ كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يَتَحَدَّثَ
 مَعَ غَيْمَةٍ أَوْ حَجْرٍ؟

ضَحِكَ الضَّوءُ مِنِّي
ضَحَكَتْ أَنْجَمٌ تَمَوَّجٌ أَثْدَاؤُهَا فِي مِيَاهِ قُوقِي .
وَكَأَنِّي أَرَى لِقُوقِي يَتَغَامَزُ مَعَ ضِيفَتَيْهِ .
ضَحِكَ الزَّبَدُ الْمَتَرَّبِعُ حُرًّا عَلَى عَرْشِهِ
فَوْقَ وَجْهِ النَّهْرِ .

※

أَلْخِلَافَةُ بَيْتٍ -

عِنْدَمَا يَدْخُلُ الدَّاخِلُونَ إِلَيْهِ
تُغْلَقُ أَبْوَابُهُ ،
وَتُقَامُ الطَّقُوسُ ، -
الْإِلَهَ عَلَى عَرْشِهِ
سَاهِرٌ بَيْنَ جُدْرَانِهِ :
الرَّؤُوسُ تُقَطَّعُ مَخْتَمَةً بِيَدَيْهِ
وَالدَّمَاءُ تُرَاقُ عَلَى قَدَمَيْهِ .

※

أَزْسِنَاسُ وَأَطْوَافُهُ وَالزَّوَارِقُ وَالْجُنْدُ وَالْخَيْلُ
وَالْإِبِلُ النَّافِرَاتُ جَوَارٍ إِلَى الْقَلَكِ الْمُتَنَظَّرِ :
عَرَبٌ يَعْبُرُونَ إِلَى الرُّومِ ، فِي نَهْرٍ مِنْ صُورِ .

※

لم أَعُدْ أفهمُ
كيف يُسْتَعْفَرُ العرشُ كاللَّهِ،
أو كيف تُزْرَعُ،

من أجلِ أن تُخصِّدَ، الأنجمُ .
أعطني قوَّةَ الرِّفْضِ والنُّطْقِ، يا حُبِّها
لأقولَ: بلادي

لا حدودَ، ولكن
حيثما كان عدلٌ وحبٌّ، بلادي
ولا خوفَ، لا فَرْقَ فيها،
أعربَ الناسَ أو أعجمُوا.

*

آه، ما أطيَّبَ النَّوْمَ!
بين السريرِ وتلك المرايا
حولَ محرابيها،
لا فراشَ لنا
غيرَ عِطْرِ الفِضَاءِ،
وغيرُ الفِضَاءِ الذي سيَجْتَهُ بأهدابِها.

*

أَتَقَدَّمُ نَحْوَ الْكَهُولَةِ
وَأَوْشُوشُ صَّحْبِي
وَأَكْرَزُ هَذَا لِسَيْفِي
وَأَكْرَزُهُ لِثِيَابِي -
وَأَرْدُدُ مَا أْتَعَزَى بِهِ:
لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ التَّقَدُّمِ نَحْوَ الْكَهُولَةِ، إِلَّا
خَطَوَاتُ الطَّفُولَةِ.

*

لَمْ أَزْعَمْ يَوْمًا
أَنْ هِيَامِي أَنْ أَرْعَى النَّاسَ، وَلَكِنْ
صَادَفَ هَذَا.

وَلَهِيَ أَنْ أُسْتَجْلِي
جَسَدَ الْأَشْيَاءِ، وَأَمْشِي خَلْفَ خُطَايَا
وَلَهِيَ أَنْ أَرْعَى نَجْمًا
أَنْ يَشْرَدَ وَجْهِي فِي وَجْهِ الشَّمْسِ
وَأُسَلِّمَ صَدْرِي
لِبِهَاءِ مَدَايَا.

*

لولا الفارابيُّ وأحمد^(١) والكتَّابُ وأهلُ الفنِّ،
ولولا

العلماء،

كانت حَلَبٌ قَفْرًا.

هُمُ أعطوني مَعْجدي،

وَبِهِم حَلَبٌ قالت وتقولُ رؤاها

وَبِهِم عرفتُ

أن تُوغل في سِرِّ الأشياءِ.

*

(١) يشير إلى المتنبي،
والمعروف أنه بقي معه في
حلب، تسع سنوات، بين
٣٣٧هـ - ٣٤٦هـ (٩٤٨ -
٩٥٧م). والمعروف أيضاً أن
سيف الدولة وُلد في السنة
نفسها لولادة المتنبي، سنة
٣٠٣هـ - ٩١٥م. وأنه مات
بعده بستين ٣٥٦هـ. وأنه
أنشده آخر قصيدة في حلب،
سنة ٣٤٥هـ، والتي يقول
فيها:

ولا تبال بشعرٍ بعد شاعره
قد أفيئذ القول حتى أُخجِدَ
الضمُّ.

أَلَدَمَسْتَقُ يَبْكِي . تَرَهَّبَ . أَشْفَقْتُ . لَنْ يُقْتَلَا
 سِيرِي عِنْدَنَا مَلَاذًا
 وَيُكْرَمُ . أَوْصَيْتُ خَيْرًا بِهِ .
 كَانَ يَأْتِي إِلَيْهِ نَصَارَى حَلَبٍ لِلزِّيَارَةِ . يَوْمًا ،
 أَخَذَتْهُ مَوَاجِيذُهُ وَأَسْرَارُهَا ،
 وَارْتَقَى فِي سَلَالِمِ رُؤْيَاةٍ : «كَلَا ،
 لَنْ أَعِيشَ أَسِيرًا ، هُنَا» ، وَقَرَّرَ أَنْ
 يَشْرَبَ السَّمَّ . أَعْطَوْهُ فِي خَفِيَّةٍ مَا أَرَادُ
 وَتَغَاضَيْتُ رِفْقًا بِهِمْ
 وَسَمَحْتُ لَهُمْ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَالْحَدَادِ عَلَيْهِ ،
 شَأْنَهُمْ فِي تَقَالِيدِهِمْ ،
 وَبِلَبْسِ السَّوَادِ .

*

كَلَّمَا قَلْتُ : رَوْمٌ ، أَحْسُ بِأَتِي أَضْغِي
 لِعَذَابِ ابْنِ مَرْيَمَ :

- يَا سَيِّدِي

لَمْ أَحَارِبْكَ يَوْمًا .

وأصغني

بحنانٍ وحبِّ لصوتٍ يُغني

لمجدِ ابنِ مَرِيَمَ :

«أنتِ الطَّيِّبَةُ - ما قَبْلَها، وما بعدها،

والتَّحوُّلُ أنتِ، وأنتِ الفصولُ»،

أو يُغني لِصَلْبِ ابنِ مَرِيَمَ :

«أنتِ الطَّرِيقُ،

وفي السَّفَرِ اللَّانِهائِي، أنتِ الوصولُ».

- لم أحاربكَ، يا سيدي، لم أحاربكَ يوماً.

✱

أتساءلُ: من أين جاء يقيني

بأنِّي أعرف أحوالَ غيري،

وأحوالَ نفسي -

وأنا الآنُ أجهلُ مِنِّي أمسٍ؟

✱

ذاهبٌ في غَزاةٍ غداً. ولماذا؟

ألُكي يَتعالَى صراخُ العَبَثِ

فوق صَمْتِ الجُنُثِ؟

✱

ليس لي من طفولتي الآن غير الصُور
صورٌ - ذكريات
لا كلام، ولكن
أبجدية وزد وضوء تتلألأ في طبقات النُّظر.
*

أحرقوا، دمروا،
نهبوا كل شيء
والتساء استبحن: اغتصبين، سبين - بماذا
أسوغ هذا،
وكيف أذافع عنه؟
بجهاد العدو؟ بنبل الجهاد، وبأس
الكفاح؟

والجنود اندفاع رياح:
أهناك سبيل لصد الرياح؟
حيرتي عبث الدهر:
من يأسر الأرض يحيا أسيراً على الأرض،
والمستبيح هنا أو غداً
سيكون هنا أو غداً مستباح.
*

(١) لقيه وجنده في الرُّسْتَن،
قرب حمص، فأنهزموا. أمر
سيف الدولة جنده ألا يقتلوا
أحدًا من الأسرى، قائلاً:
«الدم لي، والمال لكم». أسر
نحو أربعة آلاف من الأمراء
وغيرهم. ومضى كافور هارباً
إلى دمشق. ثم أطلق سيف
الدولة هؤلاء الأسرى جميعاً.

الحروب التي خضتها

وانكسرتُ هنا، وانتصرت هناك، الحروبُ

التي دَمَرَتِ عَدُوِّي، أو دَمَرَتَنِي

لم تزدني إلا ضياعاً وبأساً.

*

في انكساري، في ذُرُورِ الفجيعَةِ،

دائماً،

كنت أشعرُ أنني أضْفَى

وأكثر قرباً لنفسي

وإلى حكمةِ الطَّبيعَةِ.

*

لم أشأ أن أطاردَ كافورَ^(١)، أو جُنْدَهُ

والأسارى سمحت لهم أن يعودوا إلى أهلهم:

لم أشأ أن أشاهدَ خيلي

تُخَوِّضُ في بُرْكَةٍ.

إمضِ كافورُ - رأسُكَ في مَأْمِنٍ

وجيشُكَ في مَأْمِنٍ،

وطريقُكَ مفتوحَةٌ.

*

خَمْرَةُ الْأَرْضِ أَبْعَدُ مِنْ نَشْوَةِ التَّفَكُّرِ فِي
أَضْلَاهَا،

وَالطَّبِيعَةَ أَسْمَى وَأَعَمُّ

مِمَّا يَقُولُ اسْمُهَا.

✽

فِي الطَّرِيقِ، جُنُودٌ يَمُوتُونَ: بَعْضٌ

لَا يَزَالُونَ فِي أَوَّلِ الْعَمْرِ، بَعْضٌ شَيْخٌ.

الدَّبَابُ، الْوَحُوشُ، الطَّيُورُ الْكَوَاسِرُ

تَجْتَاخُ أَحْشَاءَهُمْ.

كُلُّهُمْ حَطَّ نَفْسًا عَلَى سَاعِدِيهِ،

أَوْ عَلَى صَدْرِهِ - اسْمُهُ وَالْهَيْهَ

أَوْ مِنْ هَذِهِ الْمَتَاهَةِ.

✽

يَا أَطْبَاءَ جِسْمِي^(١)، اذْهَبُوا الْآنَ عَنِّي

إِنَّ رُوحِي فِي حَاجَةٍ

لِأَطْبَائِهَا.

✽

(١) قيل: كان يقف على
مائدة سيف الدولة أربعة
وعشرون طبيباً لينصحوا له
بتناول الطعام الذي ينفع
مزاجه. (الطباخ، أعلام
النبلأ: ٢٧٩/١).

لم أكن مرّة قريباً لنفسي، كما أشعر الآن:

فوقِي

نجمَةٌ أترصد أحوالها.

أتراني، يوماً،

مثلما وشوشتني أُمِّي:

أتدثر سِرِّبِالها؟

✱

أتساءلُ في وحدتي:

أترى الليل أجملُ من هذه الشمس؟

والموت، هل هو، حقاً، ظلامٌ؟

والسؤالُ لكي يُستعاذ

ولعاً بالخفاء وسِحرِ السّواد.

✱

غالباً، أتساءل: كيف عرفنا

وحدةَ الله؟ لا جسرَ ما بيننا،

لا كلامٌ، ولا صورةٌ.

وأضيفُ بشكٍّ وصمّت:

ربّما - نحن لم نخترِ الجهلَ بالله، لم نخترِ المعرفة.

رُبَّما - هو شاء الذي شاء:

ألاً نرى منه غير الصفة.

*

يتساءل: ما السر في هذه الأرض؟ ما الغيب؟

من أين إمكانه والمحال؟

يتساءل - وهو السؤال، وأصل السؤال، وسير السؤال.

*

(١) الإشارة إلى الخطاط المشهور علي بن مقلّة، (مات سنة ٣٣٨هـ)، وكان منقطعاً إلى سيف الدولة وآل حمدان. وقيل: إن عدد هذه الأوراق خمسة آلاف، ولا يعرف ما كان فيها. وقد سميت هذه الغزوة، غزوة المصيبة.

كُتِبَ وَرَسَائِلُ، أَوْراقُ شِيعِرٍ وَعِلْمٍ

حَطَّهَا بِيَدِيهِ،

أُخِذَتْ مِنْهُ^(١) فِي هَذِهِ الْحَزْبِ. خَيْلِي

شَتَاتٌ، وَجُنْدِي فِي

مِخْنَةٍ.

وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ مَاذَا أَقُولُ

كَلَّ مَا فِيَّ أَنْقَاضُ حَبِّ وَحَلْمٍ

وَرَمَالٌ بَلَا شَاطِيءٍ، وَطُلُولُ.

*

حَلَبٌ لَمْ تَكُنْ مَرَّةً مِثْلَهَا الْآنَ:

لِأَلَاءِ بِيْزَنْطِيَا وَخَمِيرَةَ بَغْدَادِ: زَوْجَانِ فِيهَا،

وَالسَّرِيرُ دَمَشَقُ.

*

أَتَعَلَّمُ أَنْ أَرْسَمَ الْأَفَقَ بِالْحَبِّ، وَالْأَرْضَ بِالْقَلْبِ:

هَذَا

لِغَةَ فِي الصَّبَاحِ

أَتَنْسَمُ أَعْوَارَهَا وَأَسْرَارَهَا

في كتاب الجِراخ .

*

قَدْرِي أَنْ أَكُونَ أَلِفًا
وَأَوْلَدَ فِي كُلِّ يَوْمٍ ،
غَرِيبًا .

*

أَحْمَلُ السِّيفَ قَيْثَارَةً (هذه لُغَةٌ لَا تُحِبُّ وَأَشْعُرُ
أَتِي فِي حَاجَةٍ لَكِي أَنْتَكَبَ عَنْهَا)
وَأَقُولُ لِهَذَا الزَّمَانِ: انْسَكِبْ
بَيْنَ أَوْتَارِهَا
هَلْ يُصَدِّقُ^(١) أَنِّي أَحَنُّ إِلَى أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا ،
وَأَكُونَ إِلَى جَنْبِهِ شَاعِرًا؟

*

(١) الإشارة إلى المتنبي .

أحمد^(١) -

(١) الإشارة إلى المتنبي .

لم يكن مادِحاً
كان يهجو عمى الآخرين ،
ويقرأ أحواله وأعماله
في شمائلٍ ممدوحه .
كان يرنو إليّ كأنّي صنوُّ
ونددُ له ،
ويُضيء نبوءاته وهياماته
في التحدّث عني .
كان ممدوحه

شخصه الغامض الآخرًا .
هكذا ، كان يمضي بعيداً في الكلام عليه
ليزدادَ علماً بأحواله .
وكثيراً تساءلتُ : ماذا سيفعل لو كان في
موضعي ؟
أترى ، كان يَنسُوُ نصفين ، مثلي : يعيشُ
مباذِلَ أيامه ،
ويخسرُ أحلامه وغواياتها ؟

(١) المعروف أن سيف
الدولة أعاد الصلة بالمتنبي بعد
تركه مصر، ومجيئه إلى
الكوفة. فقد أرسل سيف
الدولة ابنه من حلب إلى
الكوفة معه هدية، فكتب إليه
من الكوفة سنة ٣٥٢هـ،
قصيدته المشهورة اللامية،
والتي يقول فيها:

وسوى الزوم خلف ظهرك
روم
فعلى أي جانبيك تميل؟
(...)

من عبيدي، إن عشت، لي
ألف
كافور، ولي من نذاك ريف
ونيل.

وكثيراً، تَمَيَّتُ لو قال لي مرّة
حَظَّاي، والتباسَ النَّظْرِ
في أمور البَشْرِ.

وكثيراً تساءلتُ:

لكن،

أُتْرَى كان ذلك يلقى لديَّ القَبُولُ

أم تُراني كنتُ أجاهِرُ: كلاً،

باطِلٌ ما تقولُ وتجهلُ ماذا تقولُ^(١)؟

بَلَدٌ - بَرَكَةٌ مِّنْ دَمٍ :

هل أقول - تعهدتها، وأشرعتها

للملأ

كي تزول عن الأرض نازُ الظمأ؟

(لغة لا أحب اللجوء إليها).

*

تفتح الحرب للموت بخرأ

وللحب تغلق بيتاً،

وتشاء الذي لا نشاء.

بخطاها، لا بألفاظها

تكتب الحرب تاريخ هذا الفضاء.

*

سيُسَمونني خائناً - ولكن

هل أخون المدينة

إن جلبت إليها - في تباريحها ومراريتها

ما يرد إليها السكينة؟

*

عاليًا،

في بناييع حرّيتي -

أشعرُ الآنَ أتِي وحيدًا،

ومَنفائِي في بَدْنِهِ .

✱

قلت للشمس، أمس، اغفري لي

نمتُ أكثر من عادتي،

وسهرتُ بلا حكمةٍ .

ومددتُ يديّ إلى شعرها،

وصلّيتُ في حضنها .

✱

فيّ ضعفٌ يهيمن حيناً، فأصرخُ:

«قَرُغُ الحوافِرُ»

يتقدّمُ عندي رنينَ المراهِرُ .»

✱

ليس هذا صباحاً،

إنّه قَشْرَةٌ مِنْ صَبَاحِ

جَرَفَتْهَا إِلَيَّ الرِّياحُ .

✱

أهنالك حُبُّ

شَيْخٍ وَفَتًى فِي آيْنِ؟

*

عَرَقٌ يَتَحَدَّرُ مِنِّي - لَكِن

مِنَ أَيْنِ؟ ثِيَابِي

تُلَجُّ؟

وَالْأَنْجُمُ فَوْقِي تَرْجَفُ بَرْدًا.

*

رُومِيَّةٌ عَاشِقَةٌ أَسْرَهَا، وَعَشِقُهَا آسِرِي،

تَأْخُذْنِي، تَسْكُبُ أَحْزَانَهَا

فِي جَسَدِي فِي دَمِي،

تَقُولُ فِي غَبْطَةٍ - وَالذَّمْعُ مَرَاتَهَا:

«يَاسِرْنِي أَنَّنِي

حَزْرَنِي حُبُّهُ

يَاسِرْنِي أَنَّنِي

أُحِبُّ حَبِي لَه.»

أَقُولُ: «رُومِيَّةٌ - حَزْرٌ أَسِيرٌ بِهَا

يَاسِرْنِي أَنَّنِي

أُحِبُّ حَبِي لَهَا.»

*

كيف، من أين أصلح نفسي
وأعيد الفضاء الذي كنته
لمداراته،
والذي كان في وما كان عندي،
ضَيَعْتُهُ؟

*

تحدثت أُمِّي عن آخرِ
في. من أين جئت إليه،
ومن أين يأتي؟ غيبوب
توهج في صدرها:
«ذاك من أمر ربي».

لا أجادل أُمِّي، ولا أتساءل. أحنو عليها
وأفوض أمري إلى أمرها.

*

حُلْمِي في اتجاه، جسدي في اتجاه، وفكري في
آخر:

لا تناقض،

بل وحدة الصَّوِّمِ وَالظَّلِّ في هذه الحياة -

وحدة السّاهر المشرّد

في غابة الكلمات .

*

سَايَرْتُ نَهْرَ قَوَيْقٍ : ضِيقَ لِبْسَتِ
وَجَهَ التَّرَابِ ، وَأُخْرَى تَلْبَسُ الْأَفْقَا
في صوته فَلَقَ - أَفْقُو تَمَوْجَهُ
فأحضنُ الصّوتَ ، لكن أعشوقُ القَلْقَا .

*

جسدي خُبرتي ، -

ليس لي غيرُ ما قامَ أو نامَ فيه ،

مِنْ بهاءِ المسيرةِ

في عَتَمَاتِ الكِفَاخِ .

ليس لي غيرُ هذي المباحجِ ، هذي الجِراخِ .

جسدي خُبرتي -

أخذتهُ إليها سماءِ الغيومِ ، وتزجيه في فَلَكَ

الرّضدِ ، هُوَجُ الرّياخِ .

*

كنتُ أقولُ: أحسُّ بأتِّي أولدُ كلِّ صباحٍ،
واليومَ أقولُ:

الموتُ أمامي والموتُ ورائي.

الشُّبَّاءُ شِبَّاءُكَ

والمقعدُ، حولي، خالٍ.

أحدسُ: ضيفي، هذا الليلُ، شهابُ أعمى.

*

قال يتابعُ أفكاراً، كنا نتحاوَرُ فيها:

«كنتُ أسألُ عقلي عَمَّا كانَ، وعَمَّا

يتكوَّنُ - مِن أشياء العَيبِ، ومن أشياء

الدُّنيا.

لم أسأل يوماً جِسي،

ألهدا لم أعرف شيئاً

وأموثُ غريباً عن نفسي؟».

*

حولي أشياء كنتُ أراها

كلِّ صباحٍ.

واليوم أحسُّ كأني لم أعرفها

وكأني لم ألمحها، قَبْلُ - تُرانا
نُوَلِّدُ في لحظات الموتِ،
أم الأشياءِ تحوُلُ:
الطَفْلُ يراها في ثوبِ
والشيخ يراها في ثوبِ؟
طِفْلٌ في جُبَّةِ شيخِ،
شيخٌ في طَلْعَةِ طِفْلٍ -
لا أزمنةً، لا أعمارًا،
بل أحوالٌ ومواجيدٌ.

*

لو تيسَّرَ لي أن أعودَ كما كنتُ طفلاً،
وحُيِّرْتُ، لاخترْتُ
ألاً أفكرُ، ألاً أحاربُ،
لاخترْتُ جسِّي
ولأغرقتُ في الحبِّ، في فتنة الحياة،
وفي فطرة الطَّبيعةِ نَفْسِي.

*

أَمْسِ حَيْثُ نَهَرَ قَوْبِقِي

عند مفرقِ بيتي

وتحدّثتُ مع وردة.

لم أفكر، قبل حبّي لها،

أَنِّي قَادِرٌ أَنْ أَحْيِيَ نَهْرًا

وَأَنْ أَتَحَدَّثَ مَعَ وَرْدَةٍ.

✱

أَحْبَبْتُ دُونَ حَنَانٍ دُونَ عَاطِفَةٍ

وَمَا تَشَهَّيْتُ إِلَّا مَا أَلَامِسُهُ

فِي غُزْلَةٍ عِشْتُ: لَا ضِدَّ يُشَاطِرُنِي

تُبَلِّ الصَّرَاعِ، وَلَا يَدُّ أَنَا فِسُهُ.

✱

كَانَتِ الْحَرْبُ حِينًا عَزَاءً

لِيَّ عَن وَحْدَتِي، وَحِينًا هُرُوبًا.

مِن صَعَارَةِ هَذَا الزَّمَانِ

وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ فِي الْحَرْبِ، كَانُوا

لَعِبَةً أَوْ رِهَانًا.

✱

أَتَعْجَبُ مِنِّي

كيف أمضيت عمري في الحَرْبِ -
حَرْبِ السِّیُوفِ، وَحَرْبِ الكَلَامِ،
كيف لم يرفع الشعراءُ البيارقَ
للحَبِّ أو لِلسَّلَامِ.

أَتَعْجَبُ مِنِّي وَمِنْهُمْ

كيف كُنَّا نَعْتِي لِتَحطِيمِ مَنْ لَيْسَ مِنَّا
وَنزَهو بِهَذَا الفَنَاءِ وَهَذَا الحُطَامِ.

*

رَبِّمَا لَمْ تَكِ الحَرْبُ إِلَّا ثَوْبِي المِستَعَارُ
كِي أَغْطِي عَجْزِي عَنِ الفِكرِ، أو أَتَجْرَأَ حَتَّى
أَقُولَ لِهَذَا الغِبَارِ الإِلَهِيِّ: أَنْتَ
الفَرِيسَةُ وَالوَحْشُ
يَا آدَمَ الغِبَارِ.

*

لِلأَشْيَاءِ كَلَامٌ أَبْهَى، وَدَمٌ أَعْلَى:
تُقْتَلُ أُمُّ
كِي تُؤْخَذُ مِنْهَا مِرَاةٌ.

يُقتل طفلُ
كي تُؤخذَ منه لعبتهُ.

يُقتل شيخُ
ليُجربَ نصلُ.

ما لي أتذكّر هذا؟ . . . جسدي واو . . . أصوات؟
أصغي: حشدُ ملائكَ فوقِي في طبقات الغيمِ وفوقِ
سريري؟

هل يُنذرني؟ هل يسخرُ مني؟

*

جالسٌ في سريري، أسأَلُ نفسي:

ما الحربُ، ما الحبُّ،

ما الحكمُ، ما حلبٌ؟

كلماتٌ

تتخاصمُ فيّ،

وتعلو وتهبطُ،

تأتي وتمضي،

وأجهلُ ماذا أقولُ.

جسدي في مكان،
وفراشي في آخر،
إنها لحظة الدُخولِ إلى غَيْهَبِ الأفولِ.

*

أأقول الآن لسيفِ الدَّولةِ؛
لستَ عليًّا؟
أأسألهُ: مَنْ أنتَ؟ ولكن،
مَنْ كانَ عليَّ قَبْلَهُ؟

سرٌّ مكنونٌ،
لا، لن أسألهُ: مَنْ سيكونُ؟

*

المكان سريرٌ
يَتَشَعَّثُ في رِيحِ هذا الزَّمانِ، -
إنه الوقتُ: وَجْهِي يَرْدُ إلى الشَّمْسِ
ما كان فيه،
مِن تقاسمها،
ويَدَايَ إلى الموتِ مَمْدُودَتَانُ.

*

من غبار المعارك، فوق ثيابي

جمعتُ الكثير،

وسَوَّيْتُهُ لِبَيْتِهِ،

وأوصيتُ صَحبِي:

«عند موتي^(١)، ضَعَوْهَا

مُسْنَدًا تَحْتَ حَدَّيْ».

※

(١) يُرَوَى أَنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ
عُجِّلَ، لِمَامَاتٍ، تَسَعُ
مِرَّاتٍ: بِالمَاءِ، وَالزَّيْتِ،
وَالسَّنْدَلِ، وَالنَّبْلُوفِرِ،
وَالكافورِ، وَماءِ
الوردِ، وَالماءِ المَقْطَرِ،
وَالزَّعْفَرَانِ. وَبَلَغَ ثَمَنُ كَفَنِهِ
أَلْفَ دِينَارٍ، وَدُفِنَ فِي مِيَا
فَارَقِينَ، سَنَةَ ٣٥٦هـ، بَعْدَ
مَقْتَلِ المَنْبِي بِسِتِّينَ.

أوراق خولة

أوراق خولة*

[كتبت هذه الأوراق بين ٣٤١ - ٣٤٨هـ]

في الشمسِ، اليومَ، رأيتُ لجسمكِ ظلاً
فوق فراشي.

※

ألوقت يصيرُ تراباً، يا ماء حياتي
هل ستمرُّ؟ رجاءٌ، مُرَّ. البابُ سيبقى
مفتوحاً.

حُرّاسي؟ عُشاقُ أيضاً.

ولهم أسرارٌ ومواعيدٌ ولقاءاتٌ . . .

※

للسرير الذي سألاقيك فيه،

العشيّة، بُوخ

تتمارحُ فيه روائحُ وزِدٍ ومِسكِ،

وروائحُ نَدِّ. وفيه

ألَقٌّ من بهاءِ النخيلِ، وفيه

واحةٌ رسمتها

* الأخت الكبرى لسيف
الدولة، وهي التي كانت بينها
وبين العتبي علاقة حبّ، في
رأي بعضهم. تُوفيت في
مُيافارقين، سنة ٣٥٢هـ.
وكان العتبي آنذاك في
الكوفة. ورثها بقصيدته
المشهورة، والتي جاء فيها:
طوى الجزيرة حتى جاءني
خبرٌ

فزعت فيه بأمالي إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه
أملأً
شرقت بالدمع حتى كاد يُشرقُ
بي.

ويُعلّق الواحدي على
أحد أبيات هذه القصيدة في
شرحه قائلاً: «أساء في ذكر
حسن ميسم أخت ملك». و
دافع عنه ابن جني، قائلاً:
«كان العتبي يتجاسر في
ألفاظه جدّاً».

وفي هذه القصيدة،
يقول:
قد كان كلّ حجابٍ دون
رؤيتها
فما قنعت لها يا أرض
بالحجب
وهل سمعت كلاماً لي ألم بها
فقد أطلتُ وما سلّمتُ من
كُتب.

بالحنين وأيامه
خواصِرُ غَزَلَانِهَا .
في السّرير الذي سألَاقِك فيه، العشيّة، هذي العشيّة،
ميثاقُ غاباتنا
ومُحيطاتها .

*

أعْطِ للحربِ وقتاً أقلّ وشعراً أقلّ . عَذَابُ
أن أراكِ إلى جَنْبِهِ^(١) :
أنتَ في حيرة،
وتُكابِدُ ما ليس منك، وما لست منه .
وهو مُسْتَبْسِلٌ
واضِعُ رأسه بين سَيْفٍ وسَيْفٍ،
ضائع بين بيزنطيا ودمشق، -
تلك قُدَامَهُ تَكَرَّرَ تفرُّ، وهذي
خلَقُهُ: كيدها عَظِيمٌ .

*

(١) الإشارة إلى أخيها سيف
الدولة .

في الفراش الذي ضَمْنَا
يكتبُ الحبُّ والحلمُ والرَّغباتُ صحائفَ أيامنا،
مثلما تكتبُ الحقولُ
ما تقولُ الفُصولُ .

*

كلَّ تلكِ العوالمِ في جَنَّةِ الوَعْدِ،
في وَهْمِي الأَثْوِي، حياةٌ
أَتَقَلَّبُ فيها

بين أحضانه الخالِقَةُ -

أين أنتَ؟ اغتَرِفْني

أَعْطِني ماءَ قلبِكَ، حُذْني إليك،

إلى نارِ شَهْوَتِكَ الخارِقَةُ .

*

لا دَمٌ في عروقي

غَيْرُ ذاكِ الدَّمِ المتفَجِّرِ منه إليَّ . وهذي

غرفتي تتقلَّبُ في نارِها

وتهايمسُ جُدرانَها :

لا أصدَقُ - ليلي، وحُلْمي

والتوافذ، والبَاب: هذا

كله، مثلُ ضَوْءٍ

يتبجس منه،

ومن ذكِّره،

أسيري، وأصلِّي

كي تَضيقَ عَلَيَّ عُرَى أَسْرِهِ.

✱

آه طَعْمَكَ! ما زالَ رِقي يُسافرُ فيه:

لِسانِي سُكَّرُ،

وفي شفتي جُنونٌ.

✱

طولَ اللَّيلِ، أَنَقَلَ خَطْوِي

في الدَّارِ، هنالك - حيثُ . . .

وحيثُ الماءُ أنسَكَبَتْ.

✱

الموتُ أسيرٌ

والحارسُ أنتَ وحبِّي.

✱

قَلْبِي جُرُزُّ

سُقُنُ الحَبِّ الأُولَى تُرْسِي فِيهِ،

ورِيح الحَبِّ الأُولَى تَعْدُو وتَرُوْحُ إِلَيْهِ،-

لَا رُبَانَ إِلَّا أَنْتَ،

أَبْحِزْ فِي إِينَا، كَيْفَ تَشَاءُ، وَأَنْتَى شِئْتِ.

*

كُلُّ يَوْمٍ،

أَقُولُ لِهَذَا السَّرِيرِ، لِهَذَا الغَطَاءِ

جَسَدِي نَاجِلٌ،

وَيُحِبُّ التَّمَوِّجَ بَيْنَ يَدَيْهِ،

وَيُحِبُّ العِرَاءَ.

*

أَمْضَيْتُ لَيْلِي أَسْأَلُ اللِّحْظَاتِ عَنكَ،

أَشْمُ جِلْدَكَ فِي الغَطَاءِ،

وَفِي الوَسَادَةِ،

صَدَّقْتُ: كُلُّ غَوَايَةِ

رَبِّ، وَكُلُّ هَوَى عِبَادَةٍ.

*

لِيَفْعَلُوا مَا أَرَادُوا، لَنْ تُفَارِقَنِي
جَنِّي، وَلَنْ أَتَخَلَّى عَنْ شَيْطَانِي
وَكَيفَ أَكْتُمُ حَبِّي، أَوْ أَقْتَعُهُ
حَتَّى يُبَايِي وَأَخْلَامِي تُعَرِّبَنِي.

✽

أَلْقَصَائِدُ - تِلْكَ الَّتِي كُنْتُ نَكْتُبُ فِي دَفْتَرِي
بَيْنَ نَعْرِي وَنَحْرِي،
يَتَقَفَّرُنْ، يَأْتِينِ لَيْلًا إِلَيَّ،
يَدَاعِبُنْ نُدْبِي فِي لَيْلِكَ السَّاهِرِ،
أَوْ يَا سَاحِرِي.

✽

قَمْرُ اللَّيْلِ جَوْعَانُ،
وَالْوَقْتُ مِثْلُ السَّوَاذِ
هُرُّ جَذْعِي إِلَيْكَ، اخْتَضَيْتَنِي -
مَلَأْنِي بِحَبِّي،
مَلَأْنِي بِأَشْهَى الثَّمَاذِ.

✽

اليوم، حصاني
لم يعرف كيف تجيء الشمسُ
لينهضَ كي يلقاني،
دَاعَبْتُ سوادَ قوائمه،
والعُنُقَ، الرَّأْسَ، وَغُرَّتَهُ
بردائي - بالأزرارِ، وبالأزدانِ.

*

بين تَذِيي طيفٍ:
رأسه مثلُ طفلي
وادِعْ، دافِيءَ.

*

أنتَ فضاءٌ وأنا تيه -

ما أبهى تيهَ الإثنينِ،
يا قَمَرِي الأبهى ما بين القمرينِ.

*

ليس لي أجنحة
كي أطيّر إليك، وهذا
شغفي: أن أكون كأرض
وتجيء إليّ، وتهبط في ظلماتي
أن أكون كبابٍ على سُرّة الزمان،
وأن تفتحه.

*

هوذا بصري - طائرٌ، سابحٌ، غارقٌ
عالقٌ بطريقك أنى توجّهت، أو كنت.
ماذا،

تفعل الآن، يا سيدي؟
خُذ يدي، خُذ يدي.

*

أه من فكرة الحرّيم،
ومن ملكوت الحرّيم
جسدي، مثلُ فكري، جحيمٌ
جسدي، مثلُ فكري، رجيمٌ، -
تبارك شيطاني الرجيم.

*

أَلْكَرْسِيُّ يَجْرَ خُطَاهُ سِرًّا
لِيَرَى: هل ثوبُكَ هذا المَرْمِيُّ، إزاء سَرِيرِي؟
وَأَنَا لَمَّا أَسْتَيْقِظُ.

*

وَخَدِي - لا طَعَمَ لهذا الشَّايِ، ومنه شَرِبْنَا
أَمْسِ، وكان لذيذاً.

*

أَمْسِ حَلْمْتُ. رأيتُكَ نَهْرًا
وَأنا فِيكَ أَغْوَصُ وَأَنْزِلُ حَتَّى الْقَعْرِ
صَوَّبَ الْبَحْرُ.

*

ما لَجَسْمِي غَرِيبٌ -
لا عَلِيلٌ، ولا خَالِصٌ
مِن عَدَابَاتِهِ،

لا مَقِيمٌ ولا رَاجِلٌ.

أَلْقُ فِي خَلَايَاهُ، لَكِن

قَلْقُ فِي خُطَاهُ.

أَمْزُجِي عِطْرِي، اليَوْمَ، يا حَيِّرْتِي

أَمْزِجِيهِ بِشَعْرِ حَبِيبِي وَأَنْفَاسِهِ.

*

أَلَسْتَارُ، الْبَلَاطُ، الْبِسَاطُ، الْحَصِيرُ
كَلَّ شَيْءٌ يَقُولُ: انْهَضِي،
وَأَعْدِي السَّرِيرَ.

※

مَنْ صَنَدَلِ حَبِّي، مِنْ مَجْمَرْتِي
يَخْرُجُ لَيْلٌ آخِرُ يَمْشِي حَوْلَ سَرِيرِي
وَيُخَالِطُ ضَوْءَ الْبَيْتِ وَيَبْكِي
وَيَذُوبُ حِينًا فِي حُنْجَرْتِي.

※

لَا أَصَدِّقُ، لَكِنْ
جَسَدِي غَارَ مِنِّي
حِينَ قَلْتُ لِفَكْرِي:
زُرْهُ لَيْلًا، وَسَلِّهُ، وَأَخْبِرْهُ
وَاحْضُنْهُ عَنِّي.

※

طُولَ هَذِي الشُّهُوزِ

لَمْ أَنْتَمِ مَرَّةً

دُونَ أَنْ أَتَغَطَّى

بِالْغَطَاءِ الَّذِي لَقْنَا

وَعَرَفْنَا أَوَائِلَ أَسْرَارِنَا تَحْتَهُ.

هُوَ لِي لَوْنٌ وَجْهِي وَجِسْمِي وَعَيْنِي،

وَالْأَرْضِ فِي مَا تَكُونُ، وَكَأَنْتِ.

وَهُوَ لِي مَائِي الطُّهُوزِ.

*

فِي شَهْرِ الصَّوْمِ

غَيَّرْتُ ثِيَابِي

غَيَّرْتُ غَلَائِلَ نَوْمِي

غَيَّرْتُ بِيَاضَ سَرِيرِي، وَوَسَائِدَهُ،

كِي لَا أَنْقُضَ صَوْمِي

كِي لَا أَلْمَسَ إِلَّا نَارَكَ فِي أَثْنَاءِ النَّوْمِ.

*

ما أحبُّ وأغربُ هذا المساءُ :
من شبابيكهُ تتدلَّى نجومٌ
لابساتٍ غلائلٌ من ورقِ الآسِ ،
والليلُ يرسمُ أفخاذهنَّ
على شرفاتِ السماءِ .

※

ها هنا ، حول بيتي
فوقَ حَدِّ تَوَسُّدِهِ لارَوْرُدُ المدينةِ ،
يكتبُ رَبُّ الكواكبِ أشعارَهُ -
غرفتي ، وهي تقرأ تلكَ الكتابةَ ، تقتصنُ آثارَهُ
وسريري ، رموزٌ
تفتَحُ في ضوئِهِ ،
وتعلِّمُ أسرارَها
كيفَ تنجلو ، متى جاء ، أسرارَهُ .

※

(١) أخوها، سيف الذؤلة.

(٢) الإشارة إلى المتنبى.

مَرَّتِ الرِّيحُ بِيضَاءَ، واشتعلَ اللَّيْلُ أبيضَ،

في ذُرُواتِ الشَّجَرِ،

كنتُ أقرأ ما يكتب الحبُّ بيني وبين النَّجومِ -

صديقاته،

وأهْيَيْءُ أطفالَ حُزني لِرسمِ القمرِ.

✱

لم يكن عادِلاً عليَّ^(١)

حين أضغَى لحساده^(٢)، -

كيف يقدر أن يسمع الشَّعرَ من غَيْرِهِ؟

يهرعونَ إليه

لا ولاءَ، ولا فتنةَ

بالجمالِ، ولكن

يهرعونَ إلى مالِهِ وإلى زادِهِ.

✱

إقْتَرَبَ إقْتَرَبَ

ألملائكُ من فوقنا في هَوادِجِ أعراسِها،

سأقول لِحرَّاسنا أن يُعدِّوا الخيامَ لِحرَّاسِها.

✱

أَلْمَاذِنُ فِي شَفْتِيكَ، عَلَى كَتْفِيكَ،
وَفِي نَاطِرِيكَ . . . سَوَاوًا،
أَمْ حَصَاوًا؟
وَدُرُوبُ السَّمَاءِ تُؤَدِّي إِلَيْكَ . تَلَقُّتُ،
رَبِّمَا . . .
مَا أَقُولُ؟ لِمَاذَا
أَتَذَكَّرُ هَذَا؟

فَاطِمَةُ
أَطْفِيئِي شَمْعَةَ السَّرِيرِ، وَأَعْطِي
لِلْهَيْبِ الْمُنُورِ فِي ذِكْرِيَاتِي،
فَرَاشَاتِهَا الْهَائِمَةَ .

*

أَلْحَبُّ بِلَادَ
تَتَرَحَّلُ فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ،
بِدُونَ حُدُودِ
وَبِلَا حِرَاسِ .

*

عندما ينظر الآخرون إليّ،
أُحْسَ كَأَنَّ لِي وَجْهِي غَطَاءٌ
نَسَجْتَهُ تَجَاعِيدُهُمْ .
عندما لا يراني سِوَاهُ، أُحْسَ كَأَنِّي
فَلَكٌ بَيْنَ أَفْلَاكِهِ الْحَانِيَاتِ عَلَيْهِ
أَتَنْقَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ .

*

أَلْسَمَاءُ تَغَطَّتْ

بغبار المدينة، هذا الصَّبَاحُ . غِيَوْمٌ
تَأْسِيرُ الشَّمْسِ - تَخْرُجُ مِنْهَا، وَتَهْبِطُ
فِي حِينِنَا
مَطْرًا سَاحِنًا .
كَأَنَّ جِنُّ الْمَسَاءِ قَدْ اسْتَيْقَظُوا بَاكِرًا
وَمَضَوْا، بَعْدَ أَنْ حَمَلُونِي رِسَائِلَ مِنْهُمْ
إِلَيْهِ .

...

سَأَقُولُ لَهُ : وَاحِدٌ
بَيْنَهُمْ ، يَتَشَكَّى عَلَيَّ .

*

أَيَكُونُ الْفَرَاتُ سَرِيرَ تَبَارِيحِي
السَّارِدَةَ،

أَتَكُونُ الْجِبَالَ شَبَابِيكَهَا؟

يَا ظَبَاءَ الْفَرَاتِ الَّتِي لَمْ تَزْرِنِي

مِنْ زَمَانٍ - (وَقَالُوا:

إِنَّهَا الْآنَ تَقْفُو ظَبَاءَ الْحِجَازِ

وَتَغْتِي لِأَطْلَالِهَا الْبَائِدَةَ)

يَا ظَبَاءَ الْفَرَاتِ الَّتِي لَمْ تَزْرِنِي

مِنْ زَمَانٍ، خَذِينِي

سَاعِدِينِي، سَلِي كَيْفَ أَشْفَى -

دَوَائِي

مِثْلَ دَائِي، رَحِيلُ

فِي سُهوبِ الْمَجَازِ.

*

أكتبُ الآنَ ما يُشبه الرِّسالةَ

لا إليه، ولكن

لِلطَّرِيقِ التي سَلَكتُها خُطاهُ،

بعد ذلك اللقاء الذي صَمَّنا -

لِخُطاهُ، لا اضطرابِ خُطاهُ في الرِّفاقِ

الذي يَنْتهي عند بابي، لِصِمتِ التلهُّفِ

وهو يدقُّ على البابِ . يدخلُ - جسَمي

وردةً في يديه، هلالُ

حول أجفانه،

وحبِّي هالهُ،

أكتبُ الآنَ ما يُشبه الرِّسالةَ .

*

هاهنا نحن في البابِ، في ظِلِّهِ واقفانُ

أنتَ ماضٍ . أنا؟ نتردُّدُ:

كيف نقولُ: الوداعَ،

وجسَمي وجسمكَ لا يقبلانِ،

ولا يُصغيانُ؟

*

كان أجدادنا يقولون:

قيسُ بدايةً -

لا بدايةً للحبِّ، كلُّ عشيقين بدءًا.

أتراها النهايةَ لفظًا، لا لوصفِ الوجودِ، ولكن لوصفِ
الكلامِ،

البدايةُ في الحبِّ والخَلْقِ،

لا تعرفُ النهايةَ.

*

أتذكرُ. لا غيمَ. كانت سماءُ المدينةِ أضفى منَ

الدمعِ. قلنا

نارُ أعضائنا فراشَ

والنجومُ غطاءً لنا.

*

لا أصدقُ ما قال بعضُ المحبينَ: «ما كان في الحبِّ

أوهى وأوهنُ مما يكونُ»،

لا أصدقُ ما قالَ بعضُ المحبينَ: «ما كان في الحبِّ

أبقى وأكملُ مما يكونُ».

كلُّ حبِّ جنونٌ بهيِّ

لا تفاضلَ في مثلِ هذا الجنونِ.

*

رُزْتُ آثَارَنَا

بَيْنَ بَيْتِي وَبَيْتِكَ . فَوَضْتُ أَمْرِي إِلَيْهَا ،

وَتَنَسَّمْتُ عِطْرَ الطَّرِيقِ وَعِطْرَ الْمَكَانِ ،

وَتَخَيَّلْتُ أَنِّي

بِاسْمِهَا ، رُحْتُ أَخْتَطُّ تَحْتَ السَّمَاءِ سَمَاءً

كَيْ تُظَلَّلَ عُشَّاقَ هَذَا الزَّمَانِ .

*

دَاخِلَ نَفْسِكَ تَمْضِي ، تَتَوَعَّلُ . خَارِجَ نَفْسِي

أَمْضِي ، أَتَوَعَّلُ : أَنْتَ مَقِيمٌ

حَيْثُ الشَّعْرُ ، وَأَنْتَ

لَا حَدَّ لَوَجْهِكَ . وَجْهِي

فَلَّكَ دَوَارًا

يَتَّبِعُ وَجْهَكَ أَتَى كُنْتُ .

*

أَضْعِ . هَذِي خُطَاْنَا

تَتَقَدَّمُ خَلْفَ السِّيَاحِ ،

أَضْعِ - هَذَا هُوَ الْجَرَسُ الْمَتَمَوِّجُ

فِي عُنُقِ الرَّيْحِ ،

هَذَا غِنَاءُ الْمَفَاتِيحِ ،

هَذَا رَيْنِ الرَّتَاجِ .

أَضْعِ - لَا شَيْءَ إِلَّا

جَسَدَانَا ،

وَالْأَسْرَاجِ .

*

لَيْتَكَ الْآنَ عِنْدِي ، قُرْبَ السَّرِيرِ ،

تَرَى اللَّيْلَ كَيْفَ يَجِيءُ إِلَيْنَا

سَاكِباً جِبْرَهُ فِي الْفَرَاشِ كَمَوْجِ ،

رَاسَمَا فَوْقَهُ جَسَدَيْنَا .

*

(١) الإشار إلى بينيلوب.

أَعْطِهَا، سَيِّدِي

أَعْطِ أَعْضَائِي الْأَسِيرَةَ، أَعْضَائِي الْعَاشِقَةَ،

أَنْ تُسَافِرَ فِي هَذِهِ اللَّغَةِ الْمُسْتَسِيرَةَ،

فِي أَبْجَدِيَّةِ

أَعْضَائِكَ الْخَالِقَةَ.

✱

مِثْلَهَا أَنْسَجُ^(١) -

غَيْرَ أَنْ عَرَوْقِي سَدَاةٌ وَدَمِي لَحْمَةٌ.

عَالِيًا - أترصدُ أنوارَهُ

وإلى ساعديه، إلى عَرْشِهِ،

جَسَدِي يَعْرُجُ.

✱

لَا أَحِسُّ بِأَنِّي أَنَامُ، وَلَوْ كُنْتُ أَوْغَلُ فِي النَّوْمِ،

يَقْظِي

أَبْدًا بِانْجَذَابَاتِهِ

وَبأنواره ودياجيره.

هوذا رأسُهُ بَيْنَ نَهْدِي،

وَالْأَرْضُ تَنْجِرِي إِلَى رَبِّهَا.

✱

أقرأ الآن، تلك الغصون التي تنكسرُ

في غابةِ الوقتِ،

عُريانةً، ندبةً

والتي تتراكمُ في حقلِ أيامنا.

لم أقل مرّةً إنها ذكرياتُ

لم أقل إنها غيومٌ -

قلتُ: هذي رياحُ خفيّة.

*

بِاسْمِهِ لِاسْمِهِ

كم أغتير مسراي، كم أتقلُّ، كم أرحلُ

وأنا هاهنا بين جدران بيتي

خطواتي كقلبي - عالمٌ مُقلُّ.

*

(١) عاش بعدها .

غالباً، أتخيلُ أنَّكَ بعدِي^(١)،

لن تعرفَ النساءِ

وأسرُّ بهذا التخيلِ، لكن

فجأةً، تتوهجُ فيّ، كأنَّكَ

تلمس تلكَ النواةَ التي أتوهجُ فيها،

فأصرخُ: كلاً،

ليكن، وليعش

مثلما شاء، لا مثلما أشاء.

*

أتراها حياتي

لا تقولُ سيوى موتها؟

*

ستكونُ لنا بعدَ ليلِ الهبوطِ
إلى آخرِ الهاويهِ،
في مداراتِ أخبابنا وأخلائنا
دَارَةٌ للإقامةِ: للشعرِ والعِشْقِ أبوابها
وأساطيرُها،
وللعاشقينِ وللشعراءِ نوافذُ أشواقِها
وأسرةُ أفراحِها،
ومقاماتها.

سيكونُ لنا موتنا
في معارجِ أسرارنا الآتيةِ
لغةً ثانيةً.

※

وَخَدَهُ مَالِكُ لِسَانِي
وَاللِّغَاتِ الَّتِي تَتَفَجَّرُ مِنْ تَحْتِهِ .
وَحَدَهُ عَالِمٌ بِصَدْرِي وَمَا فِيهِ مِنْ نِعْمَةٍ وَضَيْقٍ ،
وَحَدَهُ أَوَّلُ الطَّرِيقِ إِلَى صَبَوَاتِي ،
وَحَدَهُ آخِرُ الطَّرِيقِ .

※

في زُرْقَةِ الأفقِ، أسري خلفَ كوكبه
وأقرأ النَّارَ والألَامَ والمِحْنَةَ
بَحْرٌ فَتَحْتُ له صَدْرِي، وطُفْتُ به
أعانيقُ الأرضِ والأفلاكِ والزَّمَنَ.

✱

بين عُنْقِي وصدري فَرَاغٌ.

فَرَاغٌ

بين دِفءِ اليدينِ ودِفءِ الهلالِ الذي يَتَمَرَأُ
في مياهِ المُتَلَبِّثِ - أنى، وكيف
أقولُ لأعضائكِ القمريةِ هذا الفراغُ،
وكيف أهدمُ أسوارَهُ،
والحواريُّ أنتِ، وأنتِ الذي يَتَمَلِّكُ أسرارَهُ؟

✱

ما الذي خلفَ عينيكِ، ماذا يُسيرُ التَّغَضُّنُ
في وجنتيكِ؟ تُريدُ المُضِيَّ
إلى آخرِ التَّخومِ
أم تُريدُ التَّراجِعَ؟ قل لي،
أيها القمر المتلألئُ في وَجْههِ،
كيف أقرأ فيه النجومَ؟

✱

زَمَنْ مِثْلُ غَيْمٍ يُحَوِّمُ كَالطَّيْرِ فِينَا
وَنُحَوِّمُ فِيهِ، -

حَبْنَا غَابَةَ لَطِيورِ

صَالِحَتْنَا مَعَ الرِّيحِ أَشْجَارُهَا.

✽

جسدانا

يملاَن المساءَ بفوضاهما -

يحفظ الليلَ إيقاعها، ويُغني

للسريرِ أناشيدها.

✽

في تقاطيعنا، في خطانا

يقراً الليلُ سفرَ الدخولِ إلى حَبْنَا

مثلما كتبتُه أقاليمنا.

✽

فَكَّتِ الشَّمْسُ أُرْرَارَهَا

للمغيبِ، رَمَتِ ثَوْبَهَا

في يديه،

وَتَغَطَّتْ بِوَرْدِ.

✽

أَتَقَاتَلُ فِي الْبَيْتِ مَعَ خَطَوَاتِي

وَأَعَاتِبُ ثَوْبِي عَلَى صَنْمَتِهِ .

أَتَمَدَّدُ فَوْقَ سُرِيرِي ، وَأُضْغِي :

صَوْتُ نَافُورَةٍ مِّنْ عَذَابٍ

يَجِيءُ وَيَذْهَبُ فِي زَفْرَاتِي .

✽

دَعُ صَدْرُكَ ، افْتَحْهُ ، قُلْ لِي كَيْفَ يَتَّسِعُ

لِلذِّكِّ الْقَلْبِي الْأَكْأَلِ يَمْخِرُهُ

لِلرَّعْدِ يَقْصِفُ ، لِلْأَمْوَاجِ تَضْطَرِّعُ

وَلِلصَّحَارَى ، وَلِلرَّمْلِ الَّذِي أَمْرَقَتْ

فِيهِ الرِّيَاحُ ، وَنَاءَ الرَّاحِلُونَ بِهِ

فَاسْتَسَلَّمُوا ، وَانْتَنَوْا يَأْسًا ، وَمَا رَجَعُوا ،

وَكَيفَ تَجْتَرِحُ الْإِعْصَارَ يَلْقِفُهَا

وَكَيفَ تَسْمُو عَلَى الدُّنْيَا وَتَبْتَدِعُ -

أَلْصَّاعِدُونَ إِلَى آفَاقِكَ أَنْحَسَرُوا

وَالسَّائِرُونَ عَلَى آثَارِكَ اتَّضَعُوا

دَعُ رَأْسَكَ الْآنَ يَسْتَسَلِّمُ لِخَاصِرَتِي

دَعُ صَدْرُكَ ، افْتَحْهُ ، قُلْ لِي كَيْفَ يَتَّسِعُ ؟

✽

مِثْلَمَا عَلَّمْتَنِي رَوْأَهُ

أَنْ نَوَرَ الْقَصِيدَةَ يَأْتِي إِلَى الشَّيْءِ،
يَفْتَحُ أَحْشَاءَهُ وَيَسَافِرُ فِيهَا،

هَكَذَا، بَعْدَهُ

سَوْفَ أَبْدَأُ فِي شَقِّ أَحْشَاءِ هَذِي الْحَيَاةِ
الَّتِي تَتَرَاءَى كَمِثْلِ الضَّبَابِ
ثُمَّ أَمْضِي، أُرْدُ إِلَى الْأَرْضِ ذَاكَ الْهَبَاءِ الَّذِي
أَخَذْتَهُ رِيَّاحِي مِنْهَا،
وَأَصْعَدُ نَحْوَ الْأَقَاصِي
عَلَى سُلْمِ الْغِيَابِ.

*

أَخَذْتَنِي الْوَسَادَةُ بَيْنَ يَدَيْهَا
حِينَمَا رَحْتُ أَبْكِي،
وَأَرْسُمُ بِالذَّمْعِ حُلْمِي عَلَيْهَا.

*

رَبِّمَا آثَرَ السَّفَرُ

وَتَشَرَّدَ كَيْ يَتَعَزَّى

حَبَّهُ عَاصِفاً

وَأَقَالِيْمَهُ

شَرُّرٌ يَسْتَثِيرُ الشَّرُّرَ.

*

قُلْ لِي: تَلِكِ الْغَابَاتُ الْمَمْتَدَّةُ

فِي عَيْنِيكَ

مِنْ أَيْنِ أَتَاهَا غَيْمُ الْحُزْنِ؟ وَقُلْ لِي:

هَلْ وَصَلَ النَّبْعُ الطَّالِعُ مِنِّي

فِي أَهْدَابِ الْفَجْرِ إِلَيْكَ؟

*

طُرُقٍ - ما أَكثَرَهَا، ما أَقْرَبَهَا،
ما أوسعها
وأراها قفرًا، وكلّ مكانٍ فيها
سَجْنٌ أو ضيقٌ.

إلا واحدة -

تأتي منك إليك
ما أبهى أن تتماذى، وتطول، وتثنأى بين يديك.
*

أمس، لما التقينا على الثَّهْرِ، ثم أتينا إلى البَيْتِ،
أَحْسَسْتُ أَنَّكَ تَهْبِطُ مِنْ كوكِبِ
في قصيدته
قُلْتها في شبابك، -

أَوْعَلْتِ فِيَّ،
وَأَسَلَسْتِ جِسْمَكَ لِلْحَبِّ. قُلْ لِي:
هل كنتِ نِضْفَكَ، منذ الطفولة؟ هل كنتِ
تبحث عَنِّي؟ قُلْ لِي:
أأنا مِنْكَ أَوَّلُ أيامك الشريفة،
أَجْزُ أيامك الشريفة؟

*

لا أريدُ لحلمي أن يتحقَّق،
كي لا يكونَ لناري فيكَ انطفاءً،
كي أظلَّ انتظاراً،
كي أظلَّ كأني على طرفِ الجمر، أخياً
وكأني أضْمُ شفا هُوَّة.
لا أريدُ لحلمي أن يتحقَّق فيكَ،
لكي لا أسافرَ مِنكَ، لأبقي
في أقاليمِ نوعي وجنسي
أسيرةً نفسي.

*

كلّما غابَ في وجهه ناظري
لكي أتورَّ أبعادهُ
والهمومَ التي تتراحمُ فيها -
حسبتُ كأني ألمُ المساء، ألمُ الصباخ
موجةً موجةً
من خليجِ الجِراح.

*

أُنكِرْتُهُ المَدِينَةَ -

هي في نَوْمِهَا
وهو في فَجْرِهَا
يُوقِظُ الحَبَّ فِيهَا
والشَّمُوسَ الدَّفِينَةَ فِي أرضِهَا الدَّفِينَةَ.

*

أين يمضي، إذن؟
نَهَرَ من جراحِ لا مَصَبِّ له،
يتدَقَّقُ فِي فُلُواتِ السَّماءِ
جارِفاً حَلَباً والفراتِ وَمِياً فارِقِينَ، بأَمواجِهِ.

أين يمضي، إذن؟
شَجَرُ الجِبرِ نَكَسَ أَغصانَهُ -

أين يمضي، إذن؟
لم يعد بيننا غيرَ تَرحالِهِ - وخطأهُ، ووقَعَ خُطأهُ،
وطينَ اللِّقاءِ

لم يعد بيننا
غيرُ أنْ أَنسَلَ الوَقْتَ كالخِيطِ من طيفِهِ،
ومن ذَكرِهِ،
وأخِيطَ الهَوَاءِ.

*

جسدي - كم أحب شياطينه
أَسْتَضِيءُ بِوَسْوَاسِهَا
وأفوض أمري إليها.

*

كيف لي أن أُمَيِّزَ بَيْتِي بين البيوت
أو أَفَاضِلَ ما بين رُفْحِ وِنايِ،
عندما لا يكون أمامي، في هذه اللحظاتِ،
سِوَى بُعْدِهِ،
وسِوَى أَنْ أَمُوتَ.

*

دفاتر

(أوراق خاصة عُثِرَ عليها وأُلحقت بالمخطوطة)

«كان يستغرق في الدرس، حتى يمضي من الليل أكثره. وقال وكيل داره: «ثم جُنَّ اللَّيْلُ، فقَدِّمَتْ له شمعةً، وأمرَ برفع دفاتر، وكانت تلك عادته، كلَّ ليلة».

(الصَّيْحُ المَنبِي: ٨٠ / ١)

1 / VIII

دفتر أيقونات

- أ -

عَيَّرَ الْجَبْرُ أَفْلَامَهُ
عَيَّرَ الضُّوءُ أَبْوَابَهُ وَقَنَادِيْلَهُ
عَيَّرَ الظِّلُّ مَسْرَى خُطَاهُ، -
كَلِّهْم يَكْتُبُوْنَ تَأْيِيْنَ بِيْرُنْطِيَا
وَأَنَا عَاشِقٌ لِأَسْرَارِهَا -
أَتَبَطَّنُ أَيْقُوْنَةَ
وَأَسَافِرُ فِيْهَا.

- ب -

يُولدُ اللَّيْلُ فِي وَرْدَةٍ . مَرَايَا
تتَلَاً بَيْنَ الظَّلَالِ . سِيَاحِ
خَلْفَهُ ، أَتَلَمَّسُ أَقْرَأَ أَيَقُونَةَ ،
وَكَانَتْ
وَرْدَةٌ مِنْ جِرَاحِ
تَتَفَتَّحُ فِيهَا (أَوْ تَخَيَّلَتْ هَذَا) ،
رَأَيْتُ الْكِتَابَةَ حَمْرَاءَ زَرْقَاءَ
تَرْفُلُ فِي بُرْدَةِ الطَّبِيعَةِ
كَيْ تَكُونَ ، كَمَا يَحْدُسُ الشَّعْرَ ، لَيْلًا
لَأَيُّقًا بِنَجُومِ الفَجِيعَةِ .

- ج -

أَيْقُونُهُ صَلْبٍ:

كَدْتُ أَمَوْتُ. جِرَاحِي

تَتَمَشَّى تَحْتَ نَوَافِدَ. مِثْلِي

تَتَوَهَّجُ حُبًّا

لِكِنَائِسِ أَنْطَاكِيَّةِ،

جَسَدِي بَيْتَ لِلْأَسْرَارِ، وَحُزْنِي

جَبْرٌ أَيْقُونِيَّ.

أزنو إليها - تُرى من أين جئتُ إلى

أغوارها،

وسرّت فيها خيالاتي؟

هذي - هنا صُورٌ مِنِّي، ودَا أثرٌ

وهذه بُركٌ مِن مَاءِ أُغْنِيَّتِي

محفوظةٌ بطيورٍ من صِباباتي،-

ذكرتُ أبقونةً كانت تُعلمني

أن أصقل الأرضَ مِرآةً لِقافلتِي

حُبًا، وأن أتمزأى في مراراتي.

في الظلال الخفيفة، عبر التوافد

تظهر أشياءها -

ما أقول لأشياء أيقونية؟

ما أقول عن الشيء، والشيء يبدخ في صمته،

وأنا المفرغ الشيء مما له

وأنا الماليء؟

ما أقول، وتحت لساني

ناطق ناصح:

كل صمت بريء

والكلام هو الخاطيء.

رَبِّمَا كَانَ هَذَا الْفِرَاعُ مَلِيئًا بِأَيْقُونَةٍ
هِيَ نَفْسِي وَأَشْيَاؤُهَا.
رَبِّمَا كَانَ هَذَا الْفِرَاعُ الْخِيوطَ الَّتِي
نَسَجْتَ ثَوْبَ أَحْلَامِهَا.
رَبِّمَا كَانَ ضَوْءٌ عَلَيْهَا وَضِيَاءٌ لَهَا،
رَبِّمَا كَانَ جِسْرَ التَّأَلُّفِ
مَا بَيْنَ أَوْهَامِهَا وَأَيَّامِهَا، -

رَبِّمَا كَانَ هَذَا الْفِرَاعُ طَرِيقِي إِلَيْهَا.

- ز -

يَوْمٌ يَلْبَسُ ظِلًّا

يَوْمٌ يَلْبَسُ حَطًّا

يَوْمٌ بَيْنَهُمَا،

يَوْمٌ عَارٍ.

أَيَّامٌ

بِشْرَارِ الْمَعْنَى، وَبِكُلِّ رَمَادٍ

مَعْجُونَةٍ،

أَيَّامٌ

تَتَطَايَرُ فِي صَمْتٍ - فِي هَذِي الْأَيْقُونَةِ.

- ح -

تَسْرُحُ الأَزمَنَة

بَينَ حَظٍّ وظلٍّ

تَتَقَدَّمُ في الضَّوءِ، بَينَ تَعارِيجِهِ

وَتُمازِجُ بَينَ هَوَى الأَمَكَنَة

وَهَوَى العاشِقينَ .

تلك أيقونته

تَهتدي بتأويلها

طُرُقُ النَّائِهينَ .

- ط -

(١) سبعين: قرية بباب حلب، وكانت إقطاعاً له من سيف الدولة. إضافة إلى الصف، وهي ضيعة بالمعزة، منها هرب المتنبي إلى دمشق ومصر. أشار المتنبي إلى هذا الإقطاع قائلاً:

«أسير إلى إقطاعه في ثيابه
على طرْفه، مِن داره
بِحسامه».

ما لنا اليوم:

لا اللَّيْلُ وَشَوْشَ قَنَدِيلُهُ

الكلماتِ التي بيننا

مثلما اعتادَ. رِيحٌ

وسَبْعِينَ^(١) تَهْتَرُ تحت أعاصيرها،

وأنا لا مُبَالٍ.

وَجْهٌ أيقونَةٌ

أتشرّد في ضوئه

أتبعثر، أسألُ، أحزَمُ أمري

وأحاورُ في صمته ظلماتي.

- ي -

سُفُنٌ مَازَجَتْهَا جِرَاحِي تَمَاهَتْ بِهَا
زَوَّجَتْ عِطْرَهَا
لِرِيَّاحِ جَرَّتْ، مَرَّةً،
بِمَا تَشْتَهِيهِ.

فَاتِنَا

أَنْ يَكُونَ لَأَمْوَاجِنَا
شَاطِئُهُ وَاجِدٌ -

كُنْتُ أَقْرَأُ أَيْقُونَةَ
وَأَعْلَمُ شِعْرِي
كَيْفَ يَأْتِي إِلَى بَيْتِهَا.

- ك -

بستانُ طيوفٍ مَقْتُونَةٌ

بوقائع - لا تتذكّر منها

إلا أشجاراً دافئةً

وسياجٍ وُروِدٍ.

بابٌ محروسٌ

إِسْمُ البابِ العالِمُ واسْمُ الحارسِ

نَسِيانٌ:

هل تَعْرِفُ كيف ستقرأ هذي الأيقونة؟

(١) جاء في شروح ديوان
المتنبي أن العرب كانوا
يجترئون «على استعمال
الأسماء الأعجمية، فإن أمكن
نقلها إلى أوزانهم نقلوها».
وإن لم يمكن نقلها حذفوا
بعض أحرفها. مثلاً:
أرسطوطاليس، صارت عند
المتنبي رسطاليس، وأبرواز
أصبحت أبرويز... إلخ.
فالعرب «تنصرف في الأسماء
الأعجمية ما شاءت». (شرح
السيارحسي، ص ٢٧٧،
و٢٨٧).

لا تُحَارِبُ. جَاءَتْ

مِنْ قُسْنُطِينَةٍ^(١)، وَمَدَّتْ

إِضْفَافِ قَوِيْقِ يَدَيْهَا.

عَمَرَتْهَا يَدَاهُ

وَأَنَاخَتْ تَبَارِيحَهَا

بَيْنَ أَحْضَانِهِ.

تلك أيقونته

جمَعَ البحرُ أمواجهُ وأصدافهُ ومراكبَ أحلامِهِ

مِن شوارعِ أنطاكية،

وأَتَاهَا إِلَى حَلَبِ

كي يعانقَ أحزانها العالِيَةَ.

مُصَوَّرٌ .

كأنما

من أول الزمان . كلُّ ظلِّ

سحابة .

خُطوطٌ

مثلُ خيوطِ مطرٍ مُخَيَّلٍ .

يداهُ، مقلتاهُ

مُسْتَوْدَعٌ مِنْ كُتُبِ وَوَحْيٍ .

أيقونَةٌ بَقَعَهَا بحبره خيالي

كأنما صَوَّرَهَا إلهُ، -

هل المسيح لا يزالُ طفلاً؟

- ن -

لا يُريدُ الفُضاءُ الذي يتحدّثُ عنها
ويُوجّهُ فرسانَهُ إليها،
أن يكونَ جليلاً
لا يُريدُ التجسُّدَ:
لا يتمثّلُ في كلماتٍ، ولا يزتّسِمُ.

هي أيقونَةٌ -

أفقٌ واسعٌ شاسِعٌ
والفضاءُ الذي أُنحدّثُ عنه
مُعلّقٌ كالرّجَمِ.

- س -

جَبْرُهَا بَخْرُهَا

ولها أبجدية نارٍ ويابسةٌ وهواءٌ .

وبأقلامها

تتهجى أقاليمها .

يتفتح جنبري

برعماً برعماً

في حدائق أيامها -

ربما، في غدٍ

يُحيطُ، رويداً رويداً، بأحلامها .

-ع-

عَطَشٌ

يُجْلِسُ الشَّمْسَ فِي ظِلِّ غُضَنِ .

عَطَشٌ

يَجْعَلُ الْغَيْمَ إِبْرِيْقَ حُزْنٍ

وَيَدْلِيهِ مِنْ بُزْعِمٍ .

عَطَشٌ

مِثْلَمَا يَقْرَأُ الرَّمْلُ أَمْوَاجَهُ

وَتُحْطُ التَّجَاعِيدُ فِي وَجْهِ نَبْعٍ .

عَطَشٌ ،

أَيُّ أَيْقُونَةٍ

سَتُفْجَرُ فِي يَنَابِعِهَا؟

- ف -

فَاجِئْ غَدِي،-

سَكِرْتُ عَيْنَايَ، أَيُّ رَوْي

تَجِيءُ، تَلْبَسُ أَهْوَايَ - مَدَى، وَصَدَى؟

ظِلَالُهَا، نَوْرُهَا مَوْجٌ وَأَشْرَعَةٌ

تَطْوِفُ بِي أَمْدًا مُسْتَشْرِفًا أَمْدًا:

أَيْقُونَةٌ

ضَمْتُ فِي أَبْعَادِهَا وَلَهَا

وَرُحْتُ أَقْرَأُ فِيهَا اللَّهَ وَالْأَبْدَا.

هُودَا

سَأَوْشُوشُ بِيَزْنِطَةَ
أَنْ بَيْنَ النُّجُومِ الَّتِي تَتَوَهَّجُ فِي رَأْسِهَا وَيَبْنِي،
قُبَّةً مِنْ سَلَامٍ وَحُبِّ.

هُودَا

سَأُجَاهِرُ أَنْيَ أُعَاشِرُ أَيْقُونَةَ:
بِأَسَارِيرِهَا أَتَمْرَأَى
وَأُطِيلُ التَّوَعَّلَ فِي الْأَرْضِ، فِي مَا تَبَقَى
مِنْ أَسَاطِيرِهَا.

هوذا

سَأُجَاهِرُ أَنْيَ أُعَانِقُ أَيْقُونَةَ،
وَسَأَكْتُبُ تَارِيخَ حَبِّي لَهَا وَتَارِيخَ نِيرَانِهِ
بِأَلْوَانِهَا.

- ق -

كيف لا أضطربُ
وأنا الشاهدُ يزوي ما رأى :
خَرَجْتُ أيقونَةٌ من بيتها
لِترى النَّاسَ، فراحَت دجلةُ
تتغنَّى بهواها
وأنت تحنو عليها حلْبُ .
وتكتبنا لكي نخرسها
أنا والشعر، وكانَّ التَّعبُ
حارساً آخرَ،
كانتُ جسداً :
أهَّ نازَ، ودفعَ ذهبُ
كيف لا أضطربُ؟

أَلْسَمَاءُ تَرَفُّ هُنَا، بَيْنَ هَذِي الْأَظْلَمَةِ،
فِي شَكْلِ جَفْنٍ،

وَالنَّجُومُ لِقَاخٍ
بَيْنَ لَوْنٍ وَلَوْنٍ.

أَخَذْتَنِي، فِي دَرَجَاتِ الْفَضَاءِ،
طَيُورًا.

وَمَشَيْتُ خَفِيفًا إِلَى غَابِيَةِ،-

بَعْضُ تِلْكَ الْقِيُودِ الَّتِي فِيَّ تُكْسَرُ،

وَالْأَرْضُ سَمْحَاءُ،

وَالضُّوءُ غَطَّتُهُ أَحْلَامُهُ.

سَمَنِي، أَيُّهَا الضُّوءُ، أَيُّقُونَةً.

- ش -

يُبَعِّثُ الضَّوءَ،-

فَشُّ وَدَيْعٌ، سَنَابِلُ مَحْزُومَةٌ
بِأَسْعَةِ شَمْسٍ خَرِيفِيَّةٍ.
أَلْحَقُولُ صَحَائِفُ، وَالْكَلِمَاتُ بِذَوْرٍ.

يُبَعِّثُ الضَّوءَ،

رُوحٌ تَرْفُ عَلَى الْحَقْلِ . نَجْنِي، نُعْبِيءُ -

مَالَ التَّهَازِ

كِي يَعُودَ إِلَى الْبَيْتِ . أَكْتَأُنَا

وَأَكْتَأَفُ جِيرَانِنَا

تَتَرَنَّحُ تَحْتَ الثَّمَارِ،

مِثْلَ أَيُّقُونَةٍ .

تلك أيقونته :

مِثْلَ نَهْرٍ عَمِيقٍ

حُزْنُهَا مُفْرَدٌ بَعِيدٌ تَحْتَ أَمْوَاجِهَا .

وأريد لِحزني

أن يعيش بعيداً مفرداً مثله

في قرارة نفسي .

ذَهَبَ اللَّوْنِ فِي ضِفَّةِ النَّهْرِ يَفْتَحُ أَبْوَابَهُ

ويقول لمن طرَّقوها: ادخلوا .

ذَهَبَ اللَّوْنُ عَانَقَ مِعْرَاجَهُ

ومضى يتدقّق، في حزنه، باذخاً .

- ث -

أَتَخَيَّلُ أَيْقُونَةَ

يَكُونُ التَّخَيَّلُ فِيهَا

شَبْكَاً مِنْ تَرَابٍ وَعَئِيمٍ:

صُورَةً

تَتَحَدَّرُ مِنْ ذُرُوبِ التَّخَيَّلِ

فِي لُغَةِ وَالْهَيْهَ،-

بَشَرًا لَا يَعْشُونَ إِلَّا

فِي رُؤْيٍ، فِي طَيُوفٍ

وَلَهُمْ شَهْوَةٌ الْآلِهَةِ.

- خ -

أَتْخَيْلُ أَيْقُونَةَ

لَا كُنَائِسَ فِيهَا، لَا مَسَاجِدَ، لَا هَيْكَلٌ.

أَتْخَيْلُ أَيْقُونَةَ: شُرْفَاتٍ

ضَوْءُهَا دَهْرُهَا

وَعَلَى رَأْسِهَا

قَمَرٌ عَاشِقٌ، وَبَيْنَ يَدَيْهَا

شَمْسٌ حَرِيَّةٌ وَانْخِطَافٌ.

أَتْخَيْلُ أَيْقُونَةَ

لَهَا الشَّعْرُ بَدْءُ الْمَطَافِ،

وَخَاتِمَةٌ لِلطَّوَافِ.

ذَهَبُ عَلَى ذَهَبٍ، نَثَرْتُ كَأَبْتِي
فِي الضُّوءِ، وَافْتَرَشْتُ مَدَاهُ خَوَاطِرِي
تَتَلَمَّسُ الْأَلَقُ الْبَعِيدَ وَتَزْنَجِي
أَنْ يَسْتَجِيبَ مِدَادَهُ لِدِفَاتِرِي
وَفَرِحْتُ أَنِّي لَمْ أَنْلُ مَا شِئْتُهُ
وَفَرِحْتُ أَنِّي كُنْتُ أَسْعَدُ خَاسِرٍ:

أَيَقُونَةٌ -

أَعْطَيْتُ نَظْرَةَ وَائِقٍ
لِفَضَائِلِهَا،
وَأَخَذْتُ نَظْرَةَ حَائِرٍ.

- ض -

- كلاً، ليس المعنى بيزنطياً

أو عربياً.

مَنْ قَالَ الشَّمْسُ تَمَدَّ يَدَيْهَا

لِلْقَيْدِ،

وَمَنْ سَيَقُولُ الرِّيحُ تَصِيرُ حَصَاةً؟

- أَأَقُولُ الْمَعْنَى نَجْمٌ حَائِزٌ

فِي فَلَكٍ دَائِرٌ؟

- ظ -

يَسْطُ الصَّمْتُ جَنَاحِيهِ . شَهَابٌ

وَاضِعٌ أَهْدَابُهُ تَحْتَ غَيُومٍ .

- مَا الَّذِي تَقْرَأُ فِي أَيَقُونَةٍ؟

مَا الَّذِي تَبْحَثُ عَنْهُ

فِي حَفَايَا لُغَةٍ مُلْتَهَبَةٍ؟

عَنْ شَرَارٍ آخِرٍ؟

عَنْ دَمٍ يَسْخَرُ مِنْ سَافِحِهِ؟

بَيْتُ أَلْوَانٍ عَلَى تَلَّةِ عُشْبٍ :

سِرْبُ طَيْرٍ يَرَسُمُ الْبَيْتَ ، قَنَادِيلٌ

تَخْطُ الْعَتَبَةَ .

- غ -

(١) الإشارة إلى سيف
الدولة.

مِثْلَ أَيْقُونَةَ أَرَاهُ^(١)، -

لا أمجد فيه

ما يُرَادُ لَهُ أَنْ يُمَثَّلَ: فَارِسَ تَغْلِبَ،

أَوْ بَطَلَ الْمُسْلِمِينَ

فِي الْقِتَالِ مَعَ الرُّومِ. هَذِي

تُرَاهَات

لَا يُصَفَّقُ شِعْرِي لَهَا

(لَمْ يَكُنْ لِيُصَفَّقَ مِنْ قَبْلُ، لَوْلَا هِنَاتُ)،

بَلْ أَمَجَّدُ فِيهِ

حِسَّهُ بِالْجَمَالِ، بَغْنَ الصَّدَاقَةِ، بِالشَّعْرِ،

وَالْعَوُصِ فِي لُجْهِ،

وَأَمَجَّدُ فِيهِ الصَّدِيقَ الْأَمِينَ.

2 / IX

دفتر ملائكة الحبر

(١) هو الزاهي علي بن إسحاق الذي وُصف، ولا أعرف سبب ذلك، بأنه «الخارج على إجماع المسلمين». شاعر وكاتب، كان عضواً في حلقة أدبية حول المتنبي. من أعضائها الشاعر علي بن دينار وابن نباتة الخطيب. ويقال إنهم كانوا يتدارسون قصائد المتنبي في حضرته. مات سنة ٣٥٢هـ - ٩٦٣م.

أَجْمَعُ ضَوْءَ فِي الْمِحْرَابِ وَضَوْءَ

يَأْتِي مِنْ أَبْوَابِ وَهِيَ كَلْ أُخْرَى

وَأَنْضَمَّتْ لِهَمَّا

أَضْوَاءَ كَوَاكِبَ تَسْهَرُ بَيْنَ خِيَامِ

لَا نَشْهَدُ مِنْهَا

إِلَّا مَا يُشْبِهُ لَوْنَ التَّفَاحِ عَلَى الْعَبَّاتِ، وَقَالَتْ

لِلزَّاهِي^(١) الْخَارِجِ: أَنْتَ

صَفِيٌّ تُخْوِمُ

لَا نَتَوَعَّلُ إِلَّا فِيهَا،

أَنْتَ قَرِينُ أَعَالِ

سَنَظَلُّ نَفِيءٌ إِلَيْهَا.

(١) الإشارة إلى الشاعر أبي الحسن، عليّ الشّمشاطي (السّميساطي)، نسبة إلى سميساط التي ينتمي إليها لوقيان.

كان مؤدّب الأمراء الحمدانيين، واختار مع أبي محمد الفيتاضي من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت، كما يروى. مات سنة ٣٧١هـ.

نَحْوِيّ^(١) في بستان الشّعْرُ

يَتَلُو شَجْرًا

وَيُرْتَلُ عُشْبًا،

ويقول لسيف الدولة: أَنْتَ الحِجْرُ .

ويقول لماء قوثبي:

سيف الدّولة نرجسُ هذا الدّهز .

- ج -

(١) الإشارة إلى الشاعر أبي
الحسن السري، الرقاء (كان
في صباه يرفو ويطرز في
دكان). وكان من أعداء
المتنبي، ومن المتأثرين
بشعره. ويقال إنه حُم حسداً
من المتنبي، وتحامل إلى
منزله ومات بعد ثلاثة أيام.
(الصبح المنبي: ٥٦/١ -
٥٧).

كان يَزْفُو^(١) الثيابَ، وَيَزْفُو الكلامَ:

يُطْرَز هذا،

يزركش تِلْكَ. اشتكاني

مِراراً،

ولكنه كان عَدْلًا،

وَيُحْسِنُ، فيما وراء الخصومة، أَلَا يُسَمِّي

فَجَرَ القصيدِ ليلًا، وَأَلَّا

يَحْسَبَ القَشَّ وَزْدًا.

كان يَسْكُن في ظلِّ شِعْري،

عاصِبًا، وَوَفِيًّا.

(١) الكلام بلسان الشاعر
الوأواء دمشقي، مشيراً إلى
سيف الدولة. واسم الوأواء
محمد بن أحمد أبو الفرج،
وهو مولود في نصيبين. كان
موضع ثقة سيف الدولة،
وصديقاً للمتنبي. مات سنة
٣٩٠هـ - ٩٩٩م.

عَمَّرْتَنِي (١) عَطَاءَتُهُ

غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَتَغَيَّرْ، بَقِيَتْ كَأَنِّي

وَرَدَّةٌ فِي أَصِيصٍ.

يَعشُقُ الْمَاءَ تَزْتِيلَ عِطْرِ

يَتَقَطَّرُ فِي خَفَرٍ وَاتِّضَاعِ

مِنْ هَيَادِبِ أُرْدَانِهَا.

صِرْتُ خِلًا لَهُ:

كنت في داره

موضِعاً آمناً آميناً

لأسراره،

وخبايا هواه.

(١) الإشارة إلى الشاعر
كشاجم، أبو الفتح،
محمود بن محمد. كان طبّاحاً
لسيف الدولة، كما يُروى.
مات سنة ٣٥١هـ - ٩٦١م.

طَبِيخُ أَكْلٍ عَلَى نَارِهِ،

وَعَلَى نَوْرِهِ طَبِيخُ شِعْرِ^(١):

ضِفْنَا نَهْرٍ

يَتَحَدَّرُ مِنْ سُرَّةِ الْمَدِينَةِ، حَيْثُ الْمَكَانُ

جَسَدُ عَاشِقٍ

يَتَقَصَّى سَرِيرَ مَلْدَاتِهِ

فِي مَبَاذِلِ هَذَا الزَّمَانِ.

(١) هو أبو الحسن علي بن
عبد الله، المعروف بالناشيء
الأصغر. كان من علماء
الكلام، إلى جانب كونه
شاعراً. مات سنة ٣٦٥هـ -
٩٧٥م.

ماذا قال الناشيء^(١) أمس؟ وماذا

سيقولُ غداً غدٍ؟

يتكلم؟ أسألُ:

هل لِّأسودِ حبٌّ أزرقُ؟

أترى، يرثُ الوردُ؟ وهذا الزُّنْبُقُ

هل يتوضَّأُ دونَ حجابٍ؟

والتفاحُ، أئفَّتِي فيه، إن قال الشاعرُ عنه:

هذا نهدٌ لم يعرفِ أَيْةَ أفعَى؟

والترجسُ؟ هل يتزوّج، أم يكفيه

أن يسْتَمِيعَ، أو أن يعشُقَ؟

قُلْ، يا ناشيءُ. ماذا؟ حسناً،

سنراكُ غداً غداً،

وسنُضغِي.

(١) الإشارة إلى عيسى
الرَّقِيّ، الطيّب المنجّم،
وأحد مشاهير المترجمين من
الشرّانية إلى العربيّة.

أَغْطَنِي وَرْدَةً، وَقُلْ لِي (١):

مَا الدَّمُ الْمَتَسَرَّبُ مِنْهَا إِلَيَّ،

وَمَنْ أَيْنَ لِلشَّعْرِ أَنْ يَتَقَرَّى

تُؤَيِّجُ هَوَاهَا وَأَنْ يَفْهَمَهُ؟

لَا فَصَاحَةً. لَيْلُ الْعِبَارَةِ عِبَارَةٌ مُبْهَمَةٌ

وَالَّذِي قَالَه الشَّعْرَاءُ وَمَا سَيَقُولُونَهُ،

تُرْجَمَةٌ

مَا تَبَقَّى غِيُوبٌ

تَتَلَعَّمُ، أَوْ تَمْتَمُهُ.

- ح -

(١) الإشارة إلى الشاعر ابن
نباتة السعدي، (أبو نصر،
عبد العزيز بن عمر). مات
سنة ٤٠٥هـ - ١٠١٤م، وكان
ممن تأثروا بشعر المتنبي،
تأثراً قوياً.

لمواعيدها

تخرج الكلمات فُرَادَى إِلَيْهِ^(١)

من بيوتاتها، -

موعِداً لقراءة ما رسمته

في الدروب التي قطعتها،

موعِداً لأسيرة أهوائها،

موعِداً لالتنزه بين الحقول التي تصطفها

لنبات الصّور،

موعِداً لاقتصاص الأثر.

(١) هو أبو بكر الخوارزمي،
محمد بن العباس، كان
عالمًا، وجاء من تركستان إلى
حلب، لمزيد من العلم. مات
سنة ٣٨٣هـ - ٩٩٣م.

تركستان إناء

لورود لا تبلى

وأبو بكر^(١) فيه

أغنى لون،

وهواه أطيب وزد.

أعطته حَبِّ ما لم تقدر أن تُعطيه

مدنٌ أخرى في ذاك الوقت: حدوس

تجسدُ في أدوات،

أدوات

تدخل في الأشياء كمثل البض

كي تنقضى

سير الكون ووجه الأرض.

- ي -

(١) الإشارة إلى علي بن
دينار، الخطاط والشاعر،
وكان عضواً في حلقة أصدقائه
المتنبي.

ماءٌ عَذِبٌ - فلماذا

لا يُنتَجُ إلَّا عَطشاً

لمزيدٍ منه؟

لُعَّةٌ ترقصُ بين يديه^(١):

قَلَمٌ بِكُرٍّ وكَلَامٌ

جَسَدٌ عَارٍ -

لَيْلٌ يَتَمَدَّدُ في أَحْضَانِ الفَجْرِ.

وَتَحَارُ: أتلك شطوطاً

أم تلك وسائدٌ مُدَّتْ

لِمَلاكِ الجَبْرِ؟

- ك -

(١) الإشارة إلى أبي عبد الله
محمد بن علي، الشاعر،
الملقب بالشيخ الخليل
الشامي.

أَيْهَذَا الْمَطْوُوقُ بِالنَّارِ - نَارِ التَّشْوِيقِ
وَالوَجْدِ، يَا شَيْخَنَا الْخَلِيعِ^(١)،
مَا أَجَلَّكَ، أَشْعَلْتَ لِلشَّهَوَاتِ قَنَادِيهَا،
وَأَجَّجْتَ بَرَكَانَهَا.

مَا أَبْرَكَ، أَعْطَيْتِ لِلْأَرْضِ،
حَقَّ السَّمَاءِ،
وَاللَّذَهْرِ حَقَّ الرَّبِيعِ.

- ل -

(١) الإشارة إلى ابن ثباتة الخطيب أبو يحيى عبد الرحمن بن محمد، وكان خطيب سيف الدولة. من أهل مِيفارقين. ويقال إن خطبه تُتلى حتى اليوم في المساجد، أيام الجمع. مات سنة ٣٧٤هـ - ٩٨٤م، وكان عضواً في الحلقة التي أنشئت لدراسة شعر المتنبي.

لم تكن نافخاً^(١) في زجاج الكلام،

تَبَصَّرْتُ،

كالعطر يَأْرَجُ، كالعضفِ يَجْتَثُّ،

عينُ البصيرة فيك،

وعينُ الشهادةِ نجمانِ: فَنِّ وحبِّ.

طَبَّقْ مِنْ نَبِيذٍ وَخُبْزِ

كلماتك،

والشعر بيتٌ لها.

(١) حوار بين سيف الدولة
والشاعرين اللذين كانا يغاران
من المتنبي كثيراً، ويحارباناه،
وهما عثمان وأبو بكر،
المعروين بالخالدتين.

- غَالَيْتَ (١) كثيراً،

أَفْسِخْ لِسِوَاهُ

كي يكتب شعراً أفضل مِنْهُ.

- حسناً. هذي واحدة

ليست بين قصائده، الْفُضْلَى.

هل عندكما أفضل منها؟

....

صَعْرًا، صَعْرًا وَأَنْهَارًا

حَرَسًا وَاسْتِخْدَاءً.

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن خالويه كان مؤدياً لأولاد سيف الدولة، ويغار من المتنبّي ويحاربه. وقصته معه في بلاط سيف الدولة مشهورة. مات سنة ٣٧٠هـ - ٩٨٠م.

قال له المتنبّي:
«ويحك، أيها الأعجمي لم يبق إلا أنت تخوض في العربية». فلم يحتمل القول وضربه بمفتاح في يده. لم ينتصر له سيف الدولة، ولم يحرك ساكناً. كان ذلك آخر يوم من تسعة أعوام أمضاها مع سيف الدولة. وكان عمره اثنين وأربعين عاماً.

عَجَبًا! خَالَوِيهِ^(١) تَخِيلَ أَنِّي غَرِيمٌ لَهُ!

يَتَجَرَّأُ، يَزْمِي جِبِينِي بِمِفْتَاحِهِ

وَعَلِيَّ يَرُوزُ وَيُضْغِي.

لم أَحْرَكْ له ساكناً:

رَاسِخٌ مِثْلَ طَوْدٍ.

سَيُقَالُ البُعَاثُ يَنَاطِحُ صَفْرًا

والبَعُوضَةُ حَطَّتْ عَلَيَّ وَجْهَ نَبْعٍ.

سَيُقَالُ المَدْرُ

دَبَّ كِي يَتَسَلَّقُ جَذَعَ القَمَرِ.

- س -

(١) هو عبد الواحد بن علي
الحلبي، وهو الذي انتصر له
المتنبي في نقاشه اللغوي مع
ابن خالويه في بلاط سيف
الدولة. قتل في دخول
الدمشق إلى حلب، سنة
٣٥١هـ - ٩٦١م.

لأبي الطيّب^(١) اللّغويّ
يتداعى الكلام، يجمع أزهاره
من حقول الروايات، يأتي إليه
وينزل في روضه البهيّ .

هُوَ مِمَّنْ أَحَدَثَ عَنْهُمْ وَأَكْنِي
بِهِمْ عَنْهُمْ، أَحَارِبُ أَكْشَفُ وَجْهَ الزَّمَانِ الصَّغِيرِ
وَأَدُونَ أَهْوَالَهُ
ببروقٍ تَخَيَّرْتُهَا وَتَعَهَّدْتُهَا
كِي تَكُونَ التَّفْيِيرَ النَّذِيرِ .

- ع -

(١) الكلام بلسان الفلكي أبو
صقر عبد العزيز بن عثمان
القابسي، الذي عاش في
بلاط سيف الدولة.

كَانَ ظَنِّي^(١) أَتَى أَسِيرٌ إِلَى فَلَكِي

أَتَخَلَّصُ فِيهِ

مِنْ سَلَاسِلِ أَوْهَامِي الْبَارِدَةِ.

كَانَ ظَنِّي أَتَى أَنْصَمَ لِلْوَأْفِدِينَ الضِّيُوفِ

عَلَى الشَّمْسِ، فِي بَيْتِهَا

وَأَجْلَسَ ضَيْفًا إِلَى الْمَائِدَةِ

كَانَ ظَنِّي سِجْنِي، -

صِرْتُ أَضْحَكُ مِنِّي، وَأَنَا جَالِسٌ

وَأَنَا سَائِرٌ. وَقَالُوا:

فِيهِ مَسٌّ. وَقَالُوا:

هُوَذَا! فَلَكِي مِنَ الْجِنِّ يَهْدِي!

- ف -

(١) عبد الواحد بن نصر
المخزومي، من شعراء سيف
الدولة، وكتابه. كان صديقاً
للمنتبي. ولد في نصيبين،
ومات سنة ٣٩٧هـ -
١٠٠٧م.

أَلصَّدِيقُ أَبُو الفَرَجِ البَّبْغَاءُ^(١)

يَنسُجُ الفَجَرَ ثوباً

لِلصَّدَاقَةِ ما بَيْننا

ويقول: سأكسو به الكلمات،

وأكسو التَّهَارَ، وأكسو المِساءَ.

ويقول: غداً،

سوف أنسجُ ما لا أقولُ،

وما لا يُقالُ،

لغير الأحيّة والأصفياء.

(١) الشاعر والتَّحوي أبو العباس أحمد بن محمد الدَّارمي المصيصي، المعروف بِـ الشامي يُخاطب سيف الدولة. كان من خواصه ومدَّاحيه، وكان له تلامذة كثيرون في حلب. وهو من أعداء المتنبّي. مات سنة ٣٧٠هـ - ٩٨٠م. وقيل في رواية، سنة ٣٩٩هـ - ١٠٠٨م.

جاءه، مرّة،

وجهه، غضباً، مرَّجَلُ:

- كيف، يا سيدي^(١)

تحتفي بأبن عيدان أكثر مما

تحتفي بسواه، وبي أولاً؟

- لم تقل قوله،

لم يقل أحدٌ قوله:

«يعود من كلِّ فتحٍ غير مفتخرٍ

وقد أَعَدَّ إليه غير مُحْتَمِلٍ.»

إنه الشاعر الأول.

لم يكن ضَعْنُ الدارميِّ

غير أمثولة:

كان فرعاً تَفْتَقَ مِنِّي وسيفاً عليّ.

- ق -

(١) الإشارة إلى أحمد بن فارس (أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي)، العالم اللغوي المشهور، وأستاذ ابن جني، مات سنة ٣٧٧هـ - ٩٨٧م.

يَسْتَضِيءُ^(١) بِمِرائِهِ،

يَتَبَصَّرُ، نَحْوًا وَصَرْفًا

قارئاً عَتَمَاتِ الحُرُوفِ، وَأصَوَاتِهَا،

والتَّظَامِ.

هوذا يَتَنَوَّرُ تَارِيخَهَا، -

يَرُوحُ وَيَعْدُو

فِي أَقَالِمِهَا وَمُنَاخَاتِهَا،

ويَقُولُ اهْتِدِيْتُ لِسِرِّ الكَلَامِ.

(١) الحارث بن أبي العلاء، سعيد. اغتيل أبوه أمامه، وهو في الثالثة. عامله ابن عمه سيف الدولة كاتبين له، وعلمه. ولآه على منبج وهو في السادسة عشرة من عمره. قتل سنة ٣٥٧هـ.، وكان في السابعة والثلاثين من عمره (٩٦٨م). وقيل: قتله ابن سيف الدولة. كان المثنبي يشهد له، ويخشاه في الوقت نفسه، كما يروي المؤرخون. قبل أسره، كان أبو فراس يعيش كإقطاعي، موزعاً وقته بين الصيد، واستطلاع البدو، والشعر.

(٢) قال أبو فراس يوماً لسيف الدولة: «إن هذا المشدق كثير الإدلال عليك. وأنت تعطيه، كل سنة، ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد. ويمكن أن تفرق منتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره». (الصبح المني).

لأبي فراس^(١)

دَيْنٌ عليّ - أنا الوفيّ، أقولُ:

شِعْرُ أبي فراسِ

شُهْبٌ، ولكن لا فضاء لها، ودَمْعٌ

يحلّو إذا ذرقتُهُ ثَاكِلةً، وماءٌ

لا ماءً فيه. أبو فراسِ

طِفْلٌ بكى.

وأنا الوفيّ، شكوتُ - أحضن حُزْنَهُ

لَمَّا سَكَ^(٢).

- ش -

(١) سبقت الإشارة إليهما .
في شرح العكبري
(١: ٤٣٤): «أَنَّ الخالدين أبا
بكر وأخاه عثمان قالاً لسيف
الدولة إنك لتغالي في شعر
المتنبي . اقترح علينا ما سُنت
من قصائده حتى نعمل أجود
منها . فدافعها زمناً، ثم كزرا
عليه فأعطاهما القصيدة التي
مطلعها:

لعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي
وللحب ما لم يبق مني وما
بقي .

فلما أخذها قال عثمان
لأخيه أبي بكر: ما هي من
قصائده الطنانات، فلأني شيء
أعطاناها؟ ثم فكراً، فقال
أحدهما لصاحبه: والله ما أراد
إلا هذا البيت:

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق
أراه غباري، ثم قال له الحق .
فتركنا القصيدة، ولم
يعاوداه، ولم يعمل شيئاً .

ربما يعرف الخالديان^(١)، أَنَّ التوافدَ

ليست رياحاً .

ألهذا، إذن، يجهلان

أَنَّ وَجْه المكانِ

زَمَنٌ آخِرٌ لِشِعْرِي؟

كتب الخالديان شِعْرِيَهُمَا

فوقَ حَدِّي بساطٍ،

والقوافي كما وَرِثَها

والدروبُ إليه، كما مُهَدَّتْ .

- ت -

(١) هو ابن جني المملوك، من كبار أئمة الأدب والنحو وعلوم العربية، تتلمذ على ابن فارس وحين فارقه، وأخذ يعلم، قال له: «رَبِّبْتُ وَأَنْتَ جِصْرَمٌ»، فترك التعليم وتبعه حتى اتقن العربية وعلومها. سئل المتنبي مرة عن إعراب بيت له، فقال للسائل: «لو كان ابن جني هاهنا، لأجابك». وروي أنه كان يقول: «ابن جني أعرف بشعري مني». شرح ديوانه وسماه «الفنر». مات سنة ٣٩٢هـ - ١٠٠٢م.

كان أبوه جِنِّي^(١)

مملوكاً من أبناء الرّوم - وما أكرمه

أعطانا

ملكاً في النحو، وفي آداب اللّغة العربيّة

كان محيطاً

بفنون القول، ويعرف شعريّ خيراً منّي.

يؤسفني

أنّ لساني

لا يقدر أن يفصح عني

لأحييه

وفقاً لأصول اللّغة الرّوميّة.

- ث -

(١) مات سنة ٣٣٩هـ -
٩٥٠م، قتلته لصوؤ في
الطريق. صلى عليه سيف
الذولة، ودفنه في دمشق.
صلب قائلوه حول قبره.

هوذا الفارابي^(١) أميرٌ

في ملكوت الفكر، وفي بستان الموسيقى

والشعر، يُؤاخي

بين ضفاف العقلِ ومَوجِ القلبِ،

وينطقُ حدساً

كي يكتبَ رمزاً.

ألفكر أّخ للشعر، وكلُّ مقالِ

صورةُ خلقٍ للأشياء، وطينٌ ثانٍ

لخلائقٍ أُخرى.

- خ -

(أستلة إلى الفارابي)

أعرفُ: «الروحُ من أمرِ ربِّي»، ولكن
ضائعٌ،

بينِ روحي وربِّي - لا هذه تترأى
ولا ذاك يدنو.

كيف أحيا ضياعي؟

كيف لي أن أقطر من ظلمتي شعاعي؟

أتراني - أكتفي أن ألامس هذا الحجر

وأسائلَ أتى، لماذا، وكيف انفظر؟

أم تراني أطلُّ أوشوش نفسي:

معناك موج

يتمزق فيه شراع الصوز؟

- ذ -

(رسالة إلى الفارابي)

(١) الإشارة إلى الخليفة
العباسي الواثق.

أَمْرٌ

أَسْأَلُ رَأْيَكَ فِيهِ :

«بين يديه»^(١)

رجلٌ مضروبُ العُنُقِ، وكان الضَّارِبُ

يمسحُ بالمضروبِ السِّيفَ . ذُهِوْلٌ :

- يا مولانا، مَنْ هذا؟

- كان يقولُ : «القرآنُ كمثل العالم، مخلوقٌ .

فُزِي لِّلَّهِ، أمرتُ بِقَتْلِهِ،

لا عَفْوٌ عن شخصٍ مثله» .

- هل كنتَ سَتَقْتُلُهُ،

أم كنتَ سَتَعْفُو عنه؟

- ض -

(رسالة إلى فيلسوف آخر،
بوساطة الفارابي)

ألسماء التي قلت عنها

إنها أنهرٌ وبيوتٌ

وعقولٌ تفيض الملائكُ منها

بعضها جامدٌ باردٌ

بعضها عاشقٌ مُستَهامٌ،

والتي قلت: فيها نساءٌ

هُنَّ فاتحة الفاتحينِ فضاءِ الوجودِ،

ومِسْكُ الخِتَامِ

كلّ هذا الذي قُلْتُهُ

ليس إلاّ طيوفاً

تَشَاءُ بٌ تحت جفونِ الكلامِ.

- ظ -

(رسالة إلى الفارابي)

لا تقل لي من أين جئت، ولا كيف؟

لا أتوقّع من غنيم هذا السؤال المطرّ.

هل يقول الأريج لماذا

يتفتّق عنه الزهر؟

هل يدلك جرح

على كنزه المدخز؟

والنجوم التي تترأى

مرّة من غبار

مرّة من شرز،

لا تقول سوى صمّتها.

أنبيّ ترى بعد هذا وذلك، يمكن أن ينتظر؟

- غ -

(رسالة إلى الفارابي)

حَلَبٌ عَلَّمْتَنِي،

أَنَّ بَغْدَادَ مَسْكُونَةٌ بِدِمَشْقٍ.

هكذا، مثلك الآن، أبنِي

وطناً لأبينا

بين شِعْرِي وَبَيْنِي.

3 / X

دفتر ليل الأعضاء

«أخبرني أبو الفتح عثمان بن جني
أنّ المتنبي أسقط من شعره الكثير،
وبقي ما تداوله الناس».

(نزهة الألباب: ٣٦٦)

«شوهدت بين يدي بعض العلماء
نسخ من الديوان (ديوان المتنبي)
بخط المتنبي وتصحيحه».

(العكبري ٢: ٣٠٦، ١٢٣، وذلك
أثناء وجود المتنبي في بلاط سيف
الدولة.)

(١) كان المتنبي فيما يرى
بعضهم يحبّ خولة، أخت
سيف الدولة. ويعلق
الواحد على بيت له في
قصيدته التي رثاها بها،
وهو في الكوفة سنة
٣٥٢هـ قبيل مقتله
بستين: «أساء في ذكر
حسن مبسم أخت ملك،
وليس من العادة ذكر
جمال النساء في
مراثيهن».

وقال ابن جني، في هذا
الضد: «كان المتنبي يتجاسر
في ألفاظه جداً». وقد سبقت
الإشارة إلى ذلك.

والبيت المشار إليه هو:
«يُعلمن، حين تُحيا حسن
مبسمها
وليس يعلم إلا اللُّهُ بالسُّب». وفي
القصيد يقول:
«أرى العراق طويلاً الليل، مُد
نُعيث...».

كيف لي أن أصوّر حبي لها^(١)،

كيف لي أن أسمّي ما لا يُسمّى؟

ولهي أن أذوق،

وحين أُعبّر، أوميء

لا شيء غير الإشارة.

هكذا، سأظلُّ أحيي الغموض -

غموض العلامات ما بيننا

وغموض العبارة.

- ب -

«يا معلّم أحشائنا...»

هكذا تسكب اللّيل في صدرها

وتسائلُ وجه القمر:

هل سألت الكواكب عن آخر الكلماتِ

التي همستُها له؟

هل كتبتَ إلى المدّ والجُزرِ

أني فوّضتُ جسمي

ومُحيطاته وأمواجهُ

إلى السيّد المُنتظر؟

لم يكن مرّةً ليلنا
يتفكّر، أو يذكرُ
كان يسهرُ، يأتي، يروحُ كما يتلألُ نجمٌ،
وكما يسهرُ.

كان ينسى - دائماً يبدأ الطريقَ
ويبدأ أهواءه،
ويشير، ويستنفرُ،
ويقول لنجم الطريقِ الهدني
أيها السيدُ الجسدُ التبرُّ.

أَغْرَقْتَنِي، وَمَلَكْتَ الْمَوْجَ وَالْعَرَفَا
يَا مَالِي غِبْطَةً، يَا مَالِي فَلَقَا
أُغْوِي بِكَ اللَّيْلَ - يَزْهُو بِي، وَيَأْخُذْنِي
أَخَذَ الْعَزِيزِ،
وَأُغْوِي بِاسْمِكَ الْأَفْقَا

لَيْسَتْ وَجْهَكَ أَسْتَجْلِي بِهِ طُرْقِي
وَرِيحَهَا، وَلَبَسْتُ الرِّيحَ وَالطُّرُقَا.

(١) شميلة هي، كما يروي
المؤرخون، أول امرأة في
الإسلام لبست المصبتات
وعملت الشفوف وعبأت
الطيب، تزوجها ابن عباس.

لِشْمِيلَةَ^(١) يَأْرُجُ فِي مَهْدِ عَشَائِهَا

طَيْبُهَا، كُلَّ لَيْلٍ.

لِسُلَيْمِ بْنِ عَمْرٍو^(٢)

لمفاتيح مكة يتتاعها قُصَيٌّ

ببِعِيرٍ، وَزِقُّ مِنَ الْخَمْرِ،

أَزْرَعُ فِي جَنَّةِ الْجِرَاحِ

وَزِدَّةً، بِاسْمِ هَذَا الصَّبَاحِ.

(٢) هو سليم بن عمرو
الخرزاعي وكنيته أبو غبشان،
كان سادناً لخرزاعة على مكة.
يُروى أنه باع لقريش مفاتيح
مكة، ببعير وزق من الخمر.

بِضَفَائِرَ لَمْ يَعْرِفِ الصَّبَاخَ
كَيْفَ يَجْمَعُ أَطْرَافَهَا،
يَتَوَشَّى الطَّرِيقَ إِلَى بَيْتِهَا،
مَا الَّذِي فِيَّ يَعْلُو وَيَسْفُلُ، يَمْضِي وَيَأْتِي؟
خُطَوَاتِي أَدْغَالُ طَيْرٍ -
يَتَقَدَّمُ نَحْوِي جَنَاحٌ
وَيَنْفِرُ مِنِّي جَنَاحٌ.

- ز -

(١) «كان المتنبي إذا شُغِب في مجلس سيف الدولة، ونحن إذناك بحلب نذكر له هذا (أي قرآنه) وأمثاله، مِنَّا كان يحكى عنه، فينكره ويحجده، قائلاً: «إنما يدعوني بالمتنبي من يريد الغض مني، ولست أقدر على الامتناع». (أحد ظرفاء تلك العصابة ضده، تاريخ بغداد: ١٠٤/٤).

تلك حَزْبٌ (ونعرفُ أسرارها)

لم تكن مرّة حَزْبنا.

حَزْبنا وَرْدَةٌ نُحَرَّرُ عِطْرَ اللَّقَاحِ الَّذِي يَتَوَثَّبُ فِيهَا،

وينايعُ نُفَلِّتُ أَمْوَاجَهَا

وخمائرُ وَجِدٍ وَسَوْقٍ

ندلّ عليها، ونُغْرِي بها.

حَزْبنا أَنْ يَكُونَ الْجَسَدُ

أَبداً آخراً لِلأَبَدِ^(١).

- ح -

لَا، لَا مَكَانَ يُؤَاجِيهِ سِوَى دَمِهِ
يَشْطَطُ فِيهِ، وَإِلَّا خِيْمَةُ الْأَرْقِ
يُرَاقِصُ التَّلْجَ - فِي أَطْرَافِهِ لَهَبٌ،
وَيَحْضَنُ الْفَجْرَ - مَرْسُومًا عَلَى الْخَسَقِ.

قُلِّ الرِّيَاحُ صَوَارِيهِ، وَقُلِّ غَدُهُ
سَفِينَةٌ مَرَجَّتْهَا الشَّمْسُ بِالْأَفْقِ.

ألعزيرُ المرشُدُ يشكو لأوراقه:

«قاعِدُ، وقميصي ليلي، أعلم ليلي

أن يُخيل حالي قميصاً لها

يتحوّل في كيمياء مداراتها،

ويُلبس أسرارها.

كاذَ نجمٍ يجرّ خُطاهُ

في المدينة، تحت القناطر، في الشرفاتِ الحزينه

كاذَ أن يتغنى كمثلِي:

«ما أمرّ المسافاتِ بيني وبين المدينة،

ما أبعدَ المدينة».

- ي -

(١) كان أعداء المتنبي
يشيرون في تهجمهم عليه إلى
قضايا فلسفية في شعره،
ويتخذون منها دليلاً على
إلحاده - كالفسطاطية،
والتناسخ، والشيعة،
والمانوية، وإنكار البعث...
إلخ. ويعزون هذا إلى تأثره
باليونان وفارس، والفرق
المنشقة.

قِيلَ عن رَجُلٍ تَعَشَّقُ أَعْضَاءَهُ:

كَافِرٌ، مَارِقٌ^(١).

خَشِيتُ، أَنْ تُصَلِّيَ

بَعْدَ ذَلِكَ، أَوْ أَنْ تَمُدَّ يَدَيْهَا إِلَى شَعْرِهَا

أَوْ إِلَى صَدْرِهَا.

خَشِيتُ أَنْ تَسَافَرَ فِي صَوْتِهَا

نَحْوَ أَعْضَائِهَا.

بَيْنَنَا، حِينَ يَمْضِي كِلَانَا، وَيَفْتَرِقُ الْعَاشِقُونَ،

عَدُّ عَاشِقُ

أَيُّهَا السَّيِّدُ الْمَارِقُ.

- ك -

طُوبَى لِمَدَاهُ
لِلرَّيْحِ تَجْرَ خِيُولَ هَوَاهُ،
وَلْيَنْغَيِّرْ، مَهْمَا شَاءَ.

سَأْجَانِسُهُ
وَتَصِيرُ خُطَايَ خُطَاهُ
وَأُؤَافِقُهُ
فِي مَا سَرَّ، وَفِي مَا سَاءَ.

- ل -

كيف أتيت، وكيف وصلت؟

من أيّ جسرٍ للظنّ عبرت؟

ما أشهى هذا الثوبَ عليك،-

أغمزنيّ فيه، خُذني

خُذ أعضائيّ، خُذ آهاتي

أين رحلت، وأين حللت.

في جراحي، جراحك، ما لا يُقالُ وما لا يُضَاءُ،
غيرَ أنَّ الشموعَ التي عرفتنا، رَوَّتنا
لأَيامها ولأحزانها،
والوسائدَ واللُّحْفَ البيضَ والزُّرْقَ،
والعَتماتِ التي خانَتِ الشموعَ، رَوَّتنا
لأَيامها ولأحزانها - فلماذا
تركين الجنونَ يفرّ ويهجر أعضاءنا،
ولماذا البكاء؟

- ن -

لم أكن مثلما شئتني

لم تكوني

مثلما شئتُ . كوني

بينَ هذا وذاكُ

ما تشائينَ -

أكرهُ فيكِ التحيرُ،

أكرهُ فيكِ السماءَ، وجنّاتها،

وأكرهُ فيكِ الملاكِ .

- س -

تلك خيام، أم كتيان؟
جئت، أم أطلال؟
من أسأل؟ آية لفظه
تتقصاني
وترجم حالي
في هذي اللحظة؟

لا، لا أحد
والوقت أنين
والأرض جراح تطرد.

-ع-

روميّة -

تركته هائماً ذنباً

يحيا، يقول: «بلا شمسٍ ولا أُفُقٍ

أحيا، كأن لا يدي مِنِّي، ولا كِبدي».

مَضَى إليها، سرى ضوءاً، سرى نَسْماً

ومات، مِنْ شَعْفِ عالٍ وَمِنْ كَمَدٍ

لم يَشْكُ،

لم يَبْكُ،

لم يُومِئْ إلى أحدٍ.

- ف -

(١) قال الشعالي في «يتيمة
الدهر» (٥٤/١): «كان لسيف
الدولة جارية من بنات الزوم
لا يرى الدنيا إلا بها، ويشفق
من الريح الهابة عليها،
فحسدها سائر خطاياها على
لطف محلها منه، وأزمعن
على إيقاع مكروه بها من سُم
أو غيره. وبلغ سيف الدولة
ذلك، فأمر بنقلها إلى بعض
الحصون احتياطاً على
روحها».

هي رومية^(١)

تَدُوِّقُ فِي الشَّرْقِ أَغْوَارَهُ،
وَأَنَا؟ مَنْ أَسْأَلُ عَمَّنْ أَنَا؟

يَلْتَقِي عَاشِقَانِ: التَّوَاصُلُ بَيْنَهُمَا لِحِطَّتَانِ

لِحِظَّةِ كُلِّ شَيْءٍ حُضُورُ

كَأَنَّ الْمَكَانَ

لُجَّةٌ فِي جَسَدِ،

لِحِظَّةٌ لَا أَحَدُ.

- ص -

وَضَعْتَ آخَرَ اللَّيْلِ فِي قَلْبِهَا، وَكَانَتْ
وَضَعْتَ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي سَاعِدَيْهَا.
أَيُّهَا الْحَلَمُ، زَفَرِفْ بِرِفْقِ
طَوِيلًا طَوِيلًا عَلَى مُقَلَّتَيْهَا.

شعرها مُرْسَلٌ فَوْقَ وَجْهِهِ
وَلَمِيعَادَهَا شَكْلُ ظَنِّي - مَمْتَزَجًا بِالْجِرَاحِ:
إِنَّهَا شَمْسٌ هَذَا الصَّبَاحِ.

- ق -

تُرْسُهُ فِي يَدِ

سَيْفِهِ فِي يَدِ،

وخطاهُ إِلَى بَلَدِ آخِرِ.

غَيْرَ أَنْ هَوَاهُ، رَوَاهُ، وَأَشْوَاهُهُ

تَتَكَبَّبُ فِي مَوْضِعِ آخِرِ

وَتَكَبَّبَ عَلَى جَسَدِ آخِرِ

لِغَدِ آخِرِ.

عَادَ مِنْ غَزْوِهِ

رَجُلَ الْحَرْبِ، يَجْشُو

فِي مُحَارِبِ زَوْجَتِهِ الْعَاشِقَةَ

يَتَطَهَّرُ فِي نَارِهَا الْخَالِقَةَ.

أَتَخَيَّلُ ذَاكَ الْمَسَاءَ، وَأَشْرُدُ:

مَنْدِيلِكَ الْآنَ عِنْدَ الْوَسَادَةِ حَيْثُ جَلَسْنَا.

مُخَدَّعٌ - كُنْتُ تَأْتِيَنَ، تَرْوِيَنَ فِيهِ لِلَّيْلِ

أَسْرَارَ لَيْلِكَ. مَنْدِيلِكَ، الْآنَ،

يُرَشِّحُ بِالْعِطْرِ، عِطْرَ اللَّقَاءِ، وَعِطْرَ الْغِطَاءِ،

وَعِطْرَ الْعِرَاءِ.

أَتَخَيَّلُ: مَنْدِيلِكَ الْآنَ يُصْغِي لِمَا كَانَ جُرْحِي

يُوشِشُ جُرْحِي، ذَاكَ الْمَسَاءَ.

- ش -

لو كان اللّيلُ كمثلِي
لَتَنَوَّرَ جِسْمَكَ عَضْواً عَضْواً
ولَمَّا أغمَضَ عَيْناً
إِلَّا بعدَ مَرورِكَ فِيهَا
وَلَقَالَ لِكُلِّ جِزْيَةٍ فِيكَ وَفِيهِ :
لِلهَذيَانِ الضَّارِبِ فِي أَعْضَائِكَ ، أَمْنِحْ عَقْلِي .

لو كان اللّيلُ كمثلِي .

- ت -

نامتِ المرأةُ العاصِفَةَ
نامتِ الشُّرُفَاتُ العَصِيَّةَ في قَصْرِها،
وَنَوَّمَ حِرَّاسُها
والمداثنِ نَامَتِ، ونامتِ مياديئُها
وأفراسُها.

وحده، ساهِرٌ
عاشقاً، يرصدُ اللَّحْظَاتِ، ويزرَعُ ما حوله
بتباريحه الجارِفَةِ.

- ث -

تحلم، تُعطي نَهْدِيهَا
لأصابع ليلٍ لا تعرفه.
تعطي رثيها
لهواءٍ لم تعرفه.
تحلم، تعرف أن أثيرَ هواه
كونَ طيارٍ.

تحلم، توقن أن الحلم سيأتي
وسيلبسُ هذا الجسدَ المنشورَ كقمح،
في حقلِ الله.

- خ -

هي، مثل الينابيع، تَرْفُلُ في ماء تَرْحَالِهَا
وتلَمَّ طيور مساءِهَا
حولَهُ،
وتلَمَّ الزَّهْرُ،
وتقولُ الجناحُ
لغةً وطريقً ووعدً.

وهو، مثلَ الجبالِ ومثلَ الشَّجَرِ،
لا يعانِقُ إلاّ الرياحَ.

- ذ -

فاطمه

جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ

طَافَ فِي ظِلِّهَا

وَتَرَوَدُّ مِنْهَا قُبَيْلَ الرَّحِيلِ .

فاطمه

زَوْجَةُ الْفَارِسِ الَّذِي مَاتَ فِي عَزْوِهِ :

السَّمَاءُ عَلَى وَجْهِهَا تَتَمَرَّقُ ،

وَالْأَرْضُ فِي صَدْرِهَا هَائِمَةٌ .

- ض -

لم نَشِخْ، شَاخَتِ السَّمَاءُ -

السَّمَاءُ الَّتِي سَرَقَتْنَا

وَكَسَتْ عُزُيَهَا

بِلُهَاثَاتِنَا .

السَّمَاءُ الَّتِي مِنْ وَرَقِ

السَّمَاءُ الَّتِي تَمَزَّقَ فِي رِيحِنَا .

لم نَشِخْ . شَاخَ فِيْنَا الْمَدَارُ، وَشَاخَ الْمَسَارُ،

وَشَاخَ الْأَرْقُ -

شَاخَتِ الْأَرْضُ : قُلْ لِي، يَا أَيُّهَا الطِّفْلُ،

يَا خَالِقَ الْحَبِّ، هَلَا غَضِبْتَ،

وَعَيَّرْتَ هَذَا الْفَضَاءَ!

- ظ -

أُتْرَاهُ التَّعَبُ

كَانَ إِرْثًا لَنَا وَحَدَنًا؟

أُتْرَى الرِّيحُ أَنْتَ، وَحَنْتُ

مِثْلَنَا، وَبَكْتَنَا وَأَعْطَتْ

لِمَلَائِكِ أَحْزَانَنَا كُلِّ نَائِي

صَنَعْتَهُ الطَّبِيعَةُ

مِنْ بُرْحَاءِ الْقَصَبِ!

- غ -

لم تقل إنها نسَم لا يقول اسمُهُ،-

يتوسدُ زَنَدَ الفِضَاءِ، يجزّ على الزَّهْرِ

أحشَاءُهُ،

لا يقول اسمُهُ .

يَلِجُ اللَّيْلَ، يقرأ لِلَّيْلِ أحلامَهُ

لا يقول اسمُهُ .

لم تقل إنها نسَم

لا تقولُ الرِّياحُ الغِصونُ التَّوافِدُ

إِلَّا اسمُهُ .

- غ - ٢

(استطراد)

- أ -

النِّسَاءُ يُطَوَّقْنَ حُبًّا خَدِيجَةً فِي قَوْلِهَا:
«جاءني مرّةً

وعلى رأسه، مثل ظلّ، عمامة
قلت: هذي علامته -

أنه السيّد الذي شئتُه،

لأكون له زوجةً.

كنتُ في الأربعين ولي ما أشاء

وتزوَّجتُ شخصين من قبله.

أولُ امرأةٍ صدَّقْتُه - نبيًّا، أنا،

فأنا أولُ المؤمناتِ - / «خديجةُ خيرُ النساءِ».

هكذا قال عنها النبيُّ

(رواهُ مسلمٌ والبخاري).

النِّسَاءُ يُطَوَّقْنَ حُبًّا خَدِيجَةً فِي حُبِّهَا.

- ب -

كيف لا نتقضى كلامَ النبيِّ ومعناه - «لم ينزل الوحي يوماً

وأنا في لحافِ امرأة،

غيرها».

وعنى عائشة.

كيف نسي حديثاً لها:

«لم أغز من نساءِ النبيِّ، ولكنني

عُرْتُ منها (وتعني خديجةً)، كانت

عجوزاً.

حين ماتت، رأيت النبيَّ حزيناً يخفّ وينزل في قبرها.

أذكر الآن موت النبيِّ كأنني أراه:

مات في نُؤبتي،

بين رأسي ونُخري،

خالطاً ريقه بريقي».

4 / XI

دفتر لیل الأشیاء

- أ -

مَرَّتْ . هل أتبعها؟

هل أتلفتُ؟ ناي الحب عتيقُ،

ويداي بلا قيثارِ .

مَرَّتْ . مرّ الضوءُ، ومرّ الليلُ، ومرّت

عُرْفُ ووسائدُ،

بين يديها -

من أين، وكيف أجيء إليها؟

- ب -

في مدار الغروبِ، دخلنا -
نتأمل في آخر الشمسِ، لا شيء إلا
أخِرُ الشمسِ: وَرَدُّ
مُتَعَبٌ، داخلٌ في العَسَقِ.

خُذْ يَدَيَّ، تَرْفُقْ
أَيُّهَا المَفْتَرَقِ.

- ج -

وردة. كل شيء يؤالف ما بيننا
وجْهها واسمها وشذاها
وأوراقها الدامية،
هي ذي تتكسر في ریح أيامها.
لا أريد لعطرك أن يتقنى رياحي، قالت.

صوّر ولغات
في الجهات التي واكبتها،
في التراب الذي عرفته
تَبَجَّس من عطرها
في معاجم آثارها الباقية.

كم تخيلتُ أنني
أُتَرْجَعُ في عُنُقِ الموتِ،
لكنَّ عُنُقَ التَّخِيلِ،
كان كمثل الأمومة -
يجذبُ رأسي إليه .

- لَسْتُ طفلاً،
وأحاول ألا أعودَ كما كنتُ طفلاً .

نَجْمَةُ الموتِ
تسطع في الظلِّ،
بين طريقي وبينني .

ترى بلبيلِ مراياها، أرى بدمي
كأننا شررٌ يُسري به شررُ
يقودنا، إن سَطَطنا، جبرُ أغنيةِ
الأرضِ دفترها والشاعرُ المطرُ -

لا تجهلُ الرِّيحُ أنا من لواقِحها
فليس يُثوِرُ، إن لم نَعسَقِ، الشَّجَرُ.

هُوَذَا ذَهْرُنَا -

لَا عَدَدَ، لَا مَعَادَ

قَبْلَ أَنْ تُزْرَعَ الْحَقُولُ، يَحِينُ الْحَصَادُ.

وَأَنْجِيَاهُ،

أَيْنَ التَّجْوُمِ الَّتِي وَشَوْشَتِكَ،

مَتَى، كَيْفَ، أَتَى

سُقُطْرُ فِينَا

مِنْ عَقُولِ سَمَاوَاتِهَا،

عَقْلُهَا الْمُسْتَعَاذُ ؟

- ز -

نَزَلَ اللَّيْلُ مِنْ تُقُبِ نَجْمٍ
وَأَتَى حَافِيَاً

كي يزور السرير الذي نمث فيه -

مرّة،

ويجسّ الغطاء.

لم يجد غير خنيط

نسجته الطفولة حتى

توقظ الشمس من نومها،

وتجرّ السماء.

ضَوَارِ نَفُوسِ النَّاسِ يَزْحَفُ بَعْضُهَا
عَلَى بَعْضِهَا، مِنْ شِرَّةٍ، وَيُغَيِّرُ
حُرُوبَ تَدَوُّبِ الرُّوحِ فِيهَا مَرَارَةً
وَيَسْمُنُ فِيهَا صَاغِرًا وَصَغِيرًا

أَجِبْ كَلَامًا لِلأَحْيَمِرِ^(١)، عَالِيًا
وَيَأْسِرُنِي فِيهِ هَوَى، وَنَذِيرُ:
«عَوَى الذَّبُّ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذَّبِّ، إِذْ عَوَى،
وَصَوْتَ إِنْسَانٍ فَكُذْتُ أَطِيرُ».

- ط -

ادخل لا تدخل .

تلك الغابة

أعطى كل فضاءٍ فيها للرمل كتابةً .

ادخل لا تدخل .

هل بين الصخر وبينك خيطٌ؟

هل هذا السائلُ في خطواتك جرحٌ؟

تلك الغابة

جزرٌ للريح ، طيورٌ

من كلِّ غبارٍ ،

ودمى جوابه .

لا تدخل ادخل .

- ي -

نَاعِمٌ، مُتْرَفٌ

وَبَعِيدُ الْإِشَارَاتِ هَذَا الشَّرْكُ -

يَتَمَوَّجُ، يَلْتَفُ

حَوْلَ الْعُقُولِ وَحَوْلَ النَّفُوسِ وَأَهْوَائِهَا.

شَرْكٌ - أَصْلُهُ عَشْبَةٌ

فِي السَّمَاءِ، وَشِعْرٌ

غَمَسَتْهُ جِرَاحَاتُنَا

فِي عَيْبِرِ الْفَلَكَ.

- ك -

يحتفون بموتاهم . سيوف
تحمل التّغش . رقص
والبكاء كما تشهق الرّيح . أكفانهم
حرير، والقبور قصور .

يُكملون الحياة - دروب
تتاول حيناً، تتكرّر حيناً،
ولا مخرج .

معهم يجلس الفقرُ سكران - من مللٍ أو غضب
ويصلي كما علموه
للسقاء الذي ألفوه -
لينابيع الأمهم
تندفقُ خرساء من دُرّوات التّعّب .

وُلِدْتُ مِنْ طِينَةٍ لَمْ يَزَوْ كَاحِلُهَا
مِنَ الْغِبَارِ، وَلَمْ يُكْشَفْ لَهَا نَسَبُ
أَدُورٍ فِي فَلَكِ الْمَعْنَى - يِرَافِقُنِي
رَمَلُ الْكَلَامِ، وَجِبْرُ الرَّفْضِ، وَالْعَضْبُ
وَجْهِي فَضَائِي، خُطَايَ الْيَأْسُ تَكْتَبُهُ
بِوَارِقِي، وَمَدَايَ التِّيهِ وَاللَّعْبِ.

هو الحلم - يكسوني - بعفو سماءه،

ودربي،

والأرض التي باسمها أنبي .

مُصَادَفَةٌ،

أعطاني الموجُ شكْلَهُ

وعلمني أن أستقي ولهي مِنِّي

فَصِرْنَا كَأَنَا وَاحِدٌ مُتَعَدِّدٌ

أسأله عنه، ويسألني عني .

قُلْ لِهَذَا التُّرَابِ اضْطَجِعْ، وَتَخَيَّلْ
أَنَّ وَجْهَكَ وَجْهُ امْرَأَةٍ -

قُلْ لَهَا عَلَّمِينِي

كَيْفَ أَهْبَطَ أُدْرَاجَ هَذَا الظُّلَامِ إِلَيْكَ،

أَسَافِرُ فِي حُفْرَةٍ

وَأَشْبَهُ نَفْسِي بِظُلٍّ،

أَوْ بِقَطْرَةٍ مَاءٍ،

وَأَغْنِي مَقَاصِيرَ عُزْبِكَ - أَبْنَاءَهَا

وَأَشْيَاءَهَا،

وَقَنَادِيلَهَا الْمُطْفَأَةَ.

- س -

تلك أيامنا

جاريات كمثل الجدول،

حيناً تفيضُ،

وحيناً تشحُّ -

وتضفّرُ أحشاؤها وتقاطيعُها.

تلك أيامنا -

ألتلوجُ مصباتها

والغيومُ ينايعُها.

- ع -

إِنَّهَا الرِّيحُ تَعْتَقِلُ الْآنَ حَظْوِكَ،
والأفق يسجنُ عينيك،
والجرحُ أعمى:
سلاسلُ سوداء في زَمَنِ مَيِّتٍ.

نَزَلَ الضَّوءُ، في كسَلٍ وارتخاءٍ
من أعاليه في الشَّمْسِ، وارتطمت رُكْبَتَاهُ
ببقايا شموعٍ،
فَهَوَى فَوْقَهَا، مُوجِعاً،
والصَّبَاحُ أضَاعَ مَفَاتِيحَهُ.

لم يعدْ مَكْرُ تلكِ السَّمَاوَاتِ سِرّاً.

- ف -

لَيْتَ هَذَا الْأَلَمَ
جَاهِلِيٍّ، يَجْزُ النَّجُومَ عَلَى ظَهْرِهِنَّ،
وَيِرْتَاخُ فِي حَجَرٍ أَسْوَدٍ،
وَيَصَلِّي
لِلصَّحَارَى وَوِاحَاتِهِنَّ وَغَزَلَانِهِنَّ
وَيَصْنَعُ مِنْ سَعْفِ النَّخْلِ
كُوخًا يَفِيءُ إِلَيْهِ،
وَصِحَافًا حُبًّا يَفِيءُ إِلَيْهَا الْكِتَابُ،
وَمِحْرَابُهُ، وَالْقَلَمُ.

كيف لم أتنبّ لماء قويق

وهو يقرأ ما تكتب الصحاري؟

ألهذا،

لم أقل إن بين الصحاري والقصائد جناً

يمزجون الرياح بأنفاسهم؟

صورٌ في خيالي للجنّ، منذ الطفولة، منقولةٌ

عن كتاب السماء - تقيت آثارها

في ثقوب المسافات، ساءلت مجرى قويق

وغدراؤه،

وتقصيتُ ماء الجرار، سألتُ الجراراً

وأصغيتُ - شُبّه أني أصغي إلى الجنّ،

تقرأ أشعارها

وشُبّه أنا

نتكاشفُ: تأخذ سرّي، وأخذ أسرارها.

- ق -

أَثَرٌ - غَزْلَانٌ مَرَّتْ؟ أَمْ تِلْكَ قَوَافِلُ رِيحٍ؟

لَمْ يَتَغَيَّرْ

شَيْءٌ فِي الْبَيْتِ: الشَّمْعَةُ فِي الْمَشْكَاةِ، وَكُلُّ

كِتَابٍ

فِي مَوْضِعِهِ،

وَالدَّفْتَرُ، ذَاكَ الدَّفْتَرُ، يَرْقُدُ فِي صَنْدُوقِ

حَيْثُ اعْتَادَ. وَلَكِنْ

مَاذَا قَالَتْ لِلْبَيْتِ؟ لِمَاذَا

لَمْ تَخْتَرْ وَقْتًا آخَرَ أَقْدَرُ أَنْ أَجْلِسَ فِيهِ

مَعَهَا، وَأَحَادِثُهَا؟

وَلِمَاذَا مَرَّتْ؟

أَصْوَاتٌ أَوْشِكُ أَنْ أَلْمَسَهَا

وَأَحَارُ: لِمَاذَا لَا أَفْهَمُهَا؟

فِي مَسَاءٍ مَضِيٍّ، أَنْسْتُ لِنَهْرٍ قَوِيٍّ
مَشِينًا مَعًا،
وَرَأَيْتُ إِلَى الْقَمَرِ الطِّفْلِ، يَجْرِي مَعَ النَّهْرِ،
يُمْسِكُ بِالْمَاءِ - يَسْأَلُ عَنْ وَجْهِهِ.

وَجْهُهُ حَجَرٌ - قَالَتِ الضَّفَّتَانُ .
أَفْلَتَ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ كَفْيَيْهِ، نَامَ،
وَنَامَتْ عَلَى صَدْرِهِ مُقْلَتَانُ .

- ش -

عَنْ، يَا أَيُّهَا الشَّيْخُ فِي، الطُّفُولَةِ - وَزَدَا، خَزَامِي
حَبَقًا، نَرْجَسًا، وَأَزْهَارِ دِفْلَى،
وَأَبَارِقَ مِنْ كُلِّ خَمِيرٍ.

وَيَا أَيُّهَا الشَّيْخُ،
مَا زَالَتْ الْأَرْضُ تُطَوِّي كَثُوبَكَ، وَالتَّاقَةُ الْحَائِرَةَ
لَمْ تَصِلْ بَعْدُ، وَالشُّعْرُ
كَالْحَبِّ: كَفَاهُ مَغْلُولَتَانِ،
وَخَطْوَتُهُ عَائِرَةٌ.

- ت -

خَلْتُ نَفْسِي مِرَاراً
فِي طَرِيقِي إِلَيْهَا
أَنْبِي أَتَحَدَّثُ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ
وَأَرَى كُلَّ شَيْءٍ
يَتَفَتَّحُ، يُصْغِي، وَيَفْتَحُ أَحْضَانَهُ
وَيُوشِشُ جِيرَانَهُ
أَنَّهُ، مِثْلِي الْآنَ، يُطَبِّقُ أَجْفَانَهُ عَلَيْهَا.

- ث -

مُدُنْ لَا تَزَالُ كَمَا أُنْشِئْتُ، ضَحِيَّةً

تَتَغْنَى بِجَلَادِهَا

وَتَصْقِلُ أَسْيَافَهُ

وَتُورِخُ: تَابِعَ أَسْلَافَهُ

وَتَشْبَهُ بِالسِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

مُدُنْ لَا تَزَالُ، كَمَا أُنْشِئْتُ، خَرَابًا:

بَشَرٌ يَسْكُبُونَ الْوَطْنَ

فِي قِصَاعٍ، يَصْفُونَ أَجْنَادَهُمْ حَوْلَهَا -

طَائِحٌ يَتَشِي،

أَكْلٌ يُفْتَنُّ.

- خ -

كَتَبَتْ تَسْأَلُ عَنْ حَالِي، قَالَتْ:

«خُذْ يَدِي، هَاتِ يَدِيكَ

عُدْ إِلَى وَجْهِي، أَعِدْ وَجْهِي إِلَيْكَ».

لِلَّذِينَ يَقُولُونَ لَلصَّمْتِ أَوَّلُ أَنْشُودَةٍ،
لِلْحِجَارَةِ سَوْدَاءَ فَوْقَ الرَّؤُوسِ، لِلَّيْلِ
تَقْضَى الْكَوَاكِبُ أَحْلَامَهَا مِنْ شَبَابِيكِهِ، لَذَكَرَى
حَمَلَتْ نَارَهَا بَيْنَ أَهْدَابِهَا،

أَتَنْتَمِ هَذِي الْقِصَائِدَ مِنْ جَوْفِ حَوْبِ
وَأَهْتِيءُ لِلصَّمْتِ آخِرَ أَنْشُودَةٍ.

- ض -

سَلَّلْتُ خَطْوِي مِمَّا خُطَّ فِي حَلْبٍ :

هذي دروبي وهذا آخرُ البَلَدِ،-

أروحُ، أوغل في جرحي وفي لغتي

كأنَّ بيتيَّ محمولٌ على كبدي .

هَوَايَ فِي فُلُواتِ الرِّفْضِ مُعْتَقَلٌ

وتلك ناري تؤاسيه، وتلك يدي .

أجرَ دَهْرِي مَنقوعاً بخمرتهِ

مُزَمَلاً بِرياحِ الواحدِ الأحدِ،-

هذا مُقامي وهذا أولُ البَلَدِ .

- ظ -

في وجهه مِنْ بقايا حلمه دَمَنْ
وفي أغانيه مِنْ أشلائه مِرْقُ
ضاحت على قدميه الأرض وانكَمَشَتْ
عنه ، وضاقَ على أهدايه الأفقُ .

- غ -

أضغي -

تقولُ لي القصيدةُ والمدينةُ والطريقُ:

لا، لا يَلِيقُ بيَ المقامُ،

وليس لي مَنفَى يَلِيقُ.

باريس - برينستون

(١٩٩٥ - ١٩٩٧)

علي مولا

ISBN 1 85516 740 9



أدونيس

الكتاب

أهس الممكن الآن

III

علي مولا

الهاتف

www.alexandra.ahlamontada.com منتدى مكتبة الاسكندرية



الكتاب

أحسن العكاز الآن

أدونيس

الكتاب

أهس المكان الآن

مخطوطة تُنسب إلى المتنبّي
يُحقّقها وينشرها أدونيس



الهايق

© دار الساقى
جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى ٢٠٠٢

ISBN 1 85516 535 X

دار الساقى
بناية ثابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولا)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢
بيروت، لبنان
الرمز البريدي: ٦١١٤ - ٢٠٣٣
هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٧٣٧٢٥٦ (٠١)
e-mail: alsaqi@cyberia.net.lb

DAR AL SAQI
London Office: 26 Westbourne Grove, London W2 5RH
Tel: 020-7-221 9347, Fax: 020-7-229 7492

I

فاصلة استباق

إنها أرضه التي ينتمي إليها، -

تنحني كأنها الياء.

ويريد أن تنهض كأنها الهمزة على ألف الطبيعة.

باسمها يحرث الحنين ويسقي حدائق الرغبة.

باسمها يفتش الفضاء خيطاً خيطاً.

يسكن شهيقها في أعضائه يسكن

زفيرها في تأوهاتة

مركبة من آلهة حواسه، ولا تزال سيراً وعصية عليه.

- في

كل

مكان

ينتظره

موت

ما.

باسمها يشرح الرّوح بصخب المادّة

يبتكر علماً لتحليل السّماء يستضيف اللاهوت

الفلسفة العلم الفقه والشرع يستودع

التاريخ مواعيده ويتصارع معه يرى

نفسه في هذه الأرض ويُسهر عليها حروبه.

أنتِ، يا من قُذتِ وردةَ الحياة من البذرة

إلى الأريج،

قولي كيف يقود أعماله -

هُوَ

المبعثر الذي يُغتي مُهينماً أشلاء؟

تشجين في اتجاه السديم، لكن لا يزال

ترابك يهذي بالولادات.

- إلى

متى

يصدق

الشعر

ويكذب

وعده؟

عذب هو السفرُ في مراكب الزوايا في صباوتِ كمثل نساءٍ

- يدُ الشعرِ يمشطن رؤوس الأيَّام وما أسط جغرافية

تجسّ نبضُ النشوة ما أهدى خرائطَ تيهها.

الأغوار،

- أهى نبوة هوذا يتقدم في دخانٍ يخيط الأفق وها أنتِ

يا أرضه تشردين في محيط احتمالاتٍ في عصرِ المحو؟

- أهو المحو كمثل فاصلةٍ بين الموتِ والموتِ،

يُعلن وأين الإشراق الذي يقرأ ضربةَ الترد؟

البدايات؟

بعد قتل علي^(١)،

من تُرى

سيحرك للزنج

في هذه الظلمة الغامزة،

شرز الذّاكِرة؟

- منصور، أنكلاني^(٢)!

هواك أرض ووغد،

وأنت للناس آئي!

- أ -

خُذْ يدي،

خُذْ دَوَائِرَ جِسْمِي وادخُلْ معي في

الدُّوَارِ،

أَيُّهَا الرَّاقِصُ الْمَلَكِيُّ

الْمَتَوَجِّحُ بِالشَّمْسِ،

يَا أَيُّهَا الْعُبَارُ.

(١) علي بن محمد، قائد الزنج.

(٢) «كان للزنج بوساط حركة، فصاحوا: أنكلاني، يا منصور. وكان أنكلاني والمهلبّي وسليمان بن جامع والشعراني والهمداني وآخر معهم من قواد الزنج، محتبسين في دار محمد بن عبد الله بن طاهر بمدينة السلام في دار البطح في يد غلام من غلمان الموفق، يُقال له فتح السعدي. فكتب الموفق إلى فتح أن يرجه إليه برؤوس هؤلاء السنة. فدخل إليهم فجعل يخرج الأول فالأول منهم، فذبحهم غلام له، وقلع رأس بالوعة في الدار، وطرحته أجسادهم فيها، ووجه رؤوسهم إلى الموفق». (الطبري، أحداث السنة ٢٧٢هـ).

* القصيدة كالشمس،

لا تتفياً إلاّ بإشعاعها.

«المسيح؟ رأيتُ

المسيح، سمعتُ

المسيح يكاثفُ قلبي:

«أنتي مثل نخي

وأنتي روحُ القُدُس.

أنتي الحجّةُ الدّاعيةُ

لعوالم أفلاكنا

الثّانية^(١).

- ب -

أَسَلَمْتَهُ الحَيَاةَ إِلَى لُجْهَآ

لَا أَنْجِرَافَ لِمَسْرَاهُ فِي هَوْلِهَا،

لَا تُخَوْمُ.

لَمْ يَكُنْ، مَرَّةً، حَامِلًا

رَايَةَ الْجَنِّ، أَوْ قَارِنًا لِلتُّجُومِ.

مِثْلَ نَوَّلٍ، يَدُ الوَقْتِ تَأْتِي وَتَمْضِي

فِي نَسِيحٍ يَرْتَلُ أَلْوَاحَهُ:

وَاحِدًا لِلرَّحِيلِ

وَاحِدًا لِلطَّرِيدِ القَتِيلِ

وَاحِدًا...

وَالخِيوطَ عَلَى عَهْدِهَا

فِي يَدِ الوَقْتِ، مَحْمُولَةً فِي

يَدِيهِ،

عَبَثًا تَقْرَأُ الخِيوطُ نَسِيحَ

الفَجِيعَةِ فِي مَقْلَتِيهِ.

* أَيُّهَذَا الضِّيَاءُ الَّذِي يَتَحَدَّرُ مِنْ جُرْحِنَا،

قُلْ لَخِيطِ الدَّمِّ:

هَلْ عَرَفْتَ بَمَنْ نَهْتَدِي؟

هَلْ عَرَفْتَ لِمَنْ نَنْتَمِي؟

(١) كلامٌ يُنسبُ إلى خمدان قرمط الذي تنتمي إليه الحركة القرمطية. وكان بدء ظهورها في الكوفة - مسقط رأس المتنبي.

- ج -

أبلاذ التي أنتمي إليها
لغة في المجاز - ترخلت في صوئها،
ضممت إليها سواها؟
وأسلمت جبري لتأويلها.

أقسم الأفق والغيم أن تأويلها
لا تعانق غير الترحل:
من هجرة إلى هجرة
ومن موعد إلى آخر.

* إن بيني وبين جراحي
شبحاً أتردد في لمسه.
آه من مخمل فاتن
يتدلى على كتفيه.

الذاكرة

٢٧٨هـ.

- «إنها القدس،
لا مكة».

قبلة القرمطي».

- «هكذا قيل».

- من أين ينزل

هذا البلاغ

على ذلك النبي؟

(١) كلام يُنسب إلى حمدان
قرمط .

ما لِحُزْنِي يطارِدُ أسْرارَهُ
ما لَهُ ساهِرٌ
يَتَقَلَّبُ في دائِهِ؟
أَعْطِهِ، أَيُّها الجَمْرُ مَفْتاحَهُ
وَأَعِدَّهُ لِبِدائِهِ .
أَصْحِيحُ
أَنْتَ لَسْتُ إِلاَّ الطَّرِيقَ الَّذِي سِرَّتُهُ؟

الذّاکرة

٢٧٨هـ .

- «لا أَخَذُ

يَقْدِرُ

أَنْ

بِنالني

بسوء»^(١)

* مطرُ اليأسِ جارِفٌ، والصَّباباتُ هَباءٌ،
والحَبُّ جَسْمٌ عَليلُ
أَهِيَ الصَّخْرَةُ؟ انفَجِرْ، أَيُّها الماءُ،
وَأَعْرَبْ يا ذلِكَ التَّأويلُ .

- «لا يُباع كتاب»^(١)

في التفلسف أو في

علوم الكلام.

لا مكانَ لدينا

لمن صاحب النجوم،

وخان النظام».

إصرخوا هكذا

في شوارع بغداد

حتى يُغيقَ النيام.

- ه -

كلُّ هذي الدروب تؤدِّي إلى وحدةٍ

في المسارِ - العُبارِ، ولا فَرْقَ

في الخُطواتِ: أكانت تَوُوبُ

أم تسافِرُ. أدعو

أَسائِلُ:

مَنْ يأخذ الأرضَ من جذْرِها

وَيُسْتَتُّ هذي الدروب؟

يَعْرِفُ السُّمُّ أوجاعنا:

بِذَرَّةِ العَيْمِ فينا.

* وَحَدِي - لا أشكو

لا أرجو عَوْنًا، لا أَطْلُبُ نَجْدَةً:

تَحْمِينِي وَتُعَدِّينِي هذي الوحْدَةَ.

(١) الإشارة إلى الخليفة
المعتمد.

- ٩ -

أَلْسَمَاءُ الَّتِي تَتَحَوَّلُ لَيْلًا إِلَى جَرَّةٍ
حَضَّسْتَنِي مِرَارًا
وَمِرَارًا سَقَّيْتَنِي إِكْسِيرَهَا.

السَّمَاءُ الَّتِي لَا تُصَلِّي
لِجِرَاحِ الَّذِينَ يَشْكُونَ فِيهَا
وَيَثُورُونَ، مِنْ حَيْرَةٍ، عَلَيْهَا،
لَا أَصَلِّي لَهَا.

الذَّكْرَةُ

٢٧٩هـ.

ماث حنفاً^(١)،
كما قال بَعْضُ،
وبالسنم في قول
بعض.

* عادةً، تأملُ الرِّيحُ،

لكن رِيحَ البلادِ التي أنتمي إليها،
لا تقول سوى يأسها،
لا تقول سوى نفسها.

الذّكرة

٢٧٩هـ.

كان يرثي لحالته قائلاً^(١):

«أليس من العجائب

أن مثلي

يرى ما قلّ ممتعاً

عليه،

وتؤخذ باسمه

الدنيا جميعاً

وما من ذلك شيء

في يديه».

- ز -

أَتَشْتَّتُ فِي هَذِهِ الصَّفْحَاتِ . تُرَاهَا -

كَلِمَاتِي خِيُولُ

وَصَدْرِي حَقُولُ لَهَا؟

إِنَّهُ الْمَوْتُ يَنْسُجُ

قَمِصَانًا هَذَا الْفِضَاءَ الَّذِي

أَتَقَدَّمُ فِيهِ، وَتَلْكَ جِرَاحِي

نَقَرْتُ مِنْ سَرِيرِ مَجْرَاتِهَا.

* البرقُ ذاكِرتي -

نَشَرْتُ غَيُومَ حَزْنِي

فِي غَابَةِ،

وَشَرَدْتُ بَيْنَ خِيَامِهَا:

الْحَبُّ آخِرُ خَيْمَةٍ.

(١) الإشارة إلى الخليفة
المعتمد.

- «لا طريقَ إلى العرشِ،
لا سُدْرَةَ، لا خَلاصَ
غَيْرَ أن يُطْرَحَ النَّاسُ وَالْمَلِكُ
فِي ذَاتِ الرِّصَاصِ»^(١).

- ح -

قَارِئُ الرَّمْلِ يَسْأَلُ:

مِنْ أَيْنَ تَأْتِي إِلَى الْكَوْنِ

هَذِي الرِّسَالَاتُ،

مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ هَذَا الْبَلَاءُ؟

وَأَنَا قَارِئُ الْكَوْنِ، أَسْأَلُ:

مِنْ أَيْنَ يَأْتِي إِلَيْهِ - هُوَ الْجِلْدُ

وَالْمَالِيُّ الْكُلُّ،

هَذَا الْفِرَاعُ؟

* أَخَذْتَنِي إِلَى بَيْتِهَا وَرَدَّةٌ

مَوْتُهَا عِطْرُهَا:

أَوْ مِنْ رِيْشَةٍ

جَسَدِي جَبْرُهَا.

(١) الإشارة إلى رواية أخرى
عن موت الخليفة المعتمد
تقول إنه زُمي حَتِيًّا فِي رِصَاصِ
مُدْرَبِ.

- ط -

(١) هذا الكلام يُنسب إلى محمد بن الحسن بن سهل، المعروف بـ «شَيْخَة»، وكان مع صاحب الزنج. سأله الخليفة المعتضد عن الرّجل الذي يدعو إليه، فأجاب: «لو كان تحت قدمي لما رفعتهما عنه». «... فأمر بنار، فأوقدت، ثم شدّ على خشبة، وأدبر على النار، حتّى تقطع جلده. ثم ضربت عنقه، وضلب». (الطبري، أحداث السنة ٢٨٠هـ).

(٢) الكلام للخليفة المعتضد.

الذّكرة

٢٨٠هـ.

- «لن أفرّ»

على من دعوت

إليه،

ولو أن ناراً

شوّنتني»^(١).

- «سنفعل هذا»^(٢).

أترحلُ. هل ومأة؟

هل لقاء بلا موعد؟

لا أحبّ لشمسي

أن تُعاشِرَ أشلاءها.

بين أشواقنا وتباريحها،

أتوقّع أن تُبدعَ المعصية

لغة الأغبية.

* أين من سيخلص عَصْرِي

من عكاكيز أنقاضه؟

- ي -

رَقِصْ عُشْبٍ . تِلَالُ
تتخاصرُ . غَيْمُ
عابرٌ في قوافلِ لا ماءَ فيها .

شَجَرٌ نَاجِلُ
شَجَرٌ مَائِلُ .

جَوْفَةٌ لِلرَّحِيلِ
أنتَ فيها السَّريدُ وأنتَ الدَّلِيلُ .

الذَّكْرَةُ

٢٨٠هـ .

هوذا شيلمة

كوكبٌ من وقاءٍ وخبُّ

يتلألأ في

أرضه المظلمة .

* ها همُ العاشقونُ

لا طريقَ لأحلامهم

غير ليلِ الهبوطِ على درجاتِ الجنونِ .

ها هو الفارسُ الذي

جاء من بعده^(١)،

لم يعدّ يتجرأ أن

يلبسَ الرّيحَ، أو أن

يسيلَ دمُ الأغنيةِ

في شرايين تاريخه .

أتراها -

في هجير الرّمانِ

وصحرائه،

سبقته إلى التّوبةِ

المعصية؟

- ك -

خطواتي -،

في الطّريقِ إلى مصرَ، سكرانَةً

بتباريحها تلوذُ،

بأنقاضها تُفتتنُ .

تتهجّي مداها وتوغّلُ في أبجديةِ أهوائها،

وتؤالِفُ ما بيّنها

وبين تجاعيدِ هذا الرّمنِ .

* يكتب الشعرَ كالأرضِ تكتبُ أزهارها، -

شعرُهُ

مثلُ هذا التّرابِ الذي يتّمي إليه:

فلنكُ سابِحُ .

(١) الضّمير هما عابِدُ إلى
شيلمه .

- ل -

لِلسَّمَاءِ رِدَاءٌ

خَيْطٌ فِي خَضْرِهِ

شَكْلُ جِسْمٍ وَصُورَةٌ عَرَافَةٌ.

ولأكمامه شريطٌ

من عناكبٍ سُودٍ.

مَا أَحَبَّ إِلَيَّ سَيِّدَ الْمَوْتِ، هَذِي الْعَشِيَّةُ

قَرَدُ أَيَّامِنَا الْمَتَنَكِّرُ فِي قَرْوَةِ آدَمِيَّةٍ.

الذَّاكِرَةُ

٢٨٠هـ.

سَيِّلِمَةُ -

شُكُّ فِي السَّيِّخِ

مِن قَدَمِيهِ إِلَى

شَفْتِيهِ،

وَضَعُوهُ

فَوْق نَارٍ، يُدَارُ عَلَيْهَا

وَيُسْوَى.

بعد هذا،

ضربوا عُقْفَهُ،

ولم يكتفوا:

ضلِّبوهُ!

* سَاهِرٌ حَوْلَ صَمْتِ الْجُبْتِ،

فَالِي أَيْنَ يَمْضِي بِفُلْكِئِي هَذَا الْعَبَثُ؟

- ٤ -

أَينمآ كَنتَ، أَو كَيفمآ كَنتَ، تَسمَعُ
فِي جَرَسِ الوَقْتِ صَوْتاً يَقولُ:

أَبْتَدِي،

عَن مآءِ الخَلِيقَةِ كَي يَتَلَقَّحَ
هَذَا الوُجودُ، وَكَي يُبْتَكِرَ،
كُنْ عَلى الأَرْضِ بِأَبِلٍ، أَو كوكِباً
يَتَنزَلُ فَوَاقِ المَدَائِنِ،
فِي كُرَّةٍ مِّنْ شَرَرٍ.

- «اخفروا للعدو

الذي لا يرى رأينا

حفرة،

ثمّ دلوّه فيها على

رأسه،

واطرحوا بعد ذلك

التراب عليه،

ودوسوا التراب

إلى أن يودّع أنفاسه»^(١).

* ما لأَيامنا لا تَرَى

تَحْتَ هَذِي السَّمَاءِ،

أَيَّ نَهْرٍ لَتَجْرِي فِيهِ

غَيْرَ نَهْرِ الشَّقَاءِ.

- ن -

(١) الإشارة هي هنا إلى
الخليعة المعتضد، كذلك.

فِي دَمِي كَائِنٌ آخَرُ
لَيْسَ نَفْسِي، وَلَكِنِّي
لَسْتُ إِلَاهَ، إِلَّا خُطَاؤُهُ وَأَتَارُهُ.

بَيْنَنَا طَيْفٌ وَضَلَّ وَفَضَّلِ
وَأَنَا عَابِرٌ مَقِيمٌ
لَا مَقِيمٌ وَلَا عَابِرٌ.

الذّآكرة

٢٨١هـ.

وزووا:

كَانَ يَنْصَبُ^(١)

أعداءه

كالدربة في

فصره،

ثم يرميهم بنسابة

إلى أن يموتوا.

* أتراني، حياة وموتاً، رفيقٌ
ليأسي؟
أتراني باسم الوفاء لنفسي،
عدوٌ لنفسي؟

- س -

هَـا هُمُ الشَّعْرَاءُ :

يموتونَ في التَّيِّهِ ،

لا قَابِرُونَ ولا أَضْرَحَهُ ،

والقِصَائِدُ من حَوْلِهِم

تَتَأَوُّهُ مَكْسُورَةٌ الأَجْنَحَةُ .

ألسَّوَادُ يَجْرُ المَدَائِنَ

يَجْتَرُّ أنْقَاضَهَا ،

مَازِجاً جِسْمَهَا بِعِقَاقِيرِهِ .

الذَّاكِرَةُ

٢٨٢هـ .

هل أَحَدٌ يُضِيئُ

مِصْبَاحَهُ ،

هل أَحَدٌ يَقْرَأُ

هَذَا الزَّمَانَ؟

أَنْكَرْتُ الأَغْصَانُ

أَشْجَارَهَا

أَنْكَرْتُ الأشْجَارُ

أَغْصَانَهَا ،

وَاحْتَلَطَ القَدِيسُ

بِالْبَهْلَوَانِ .

* رَيْمًا ،

فِي الزَّمَانِ الذِّي يُقْبَلُ

لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ سِوَى الشَّعْرِ :

يَسْأَلُ ، أَوْ يُسْأَلُ .

هُوَذَا جَيْشٌ^(١) يَضْرِبُ

عُنُقِي عَمَّيْنِ لَهُ.

هُوَذَا جَيْشٌ مَقْتُولٌ

بِيَدِي هَارُونَ

أَخِيهِ:

هَلْ فِي كُلِّ أَحِ

شَيْءٍ مِنْ هَارُونَ،

وَشَيْءٍ مِنْ جَيْشِي؟

-ع-

يَقْتُلُ الْمُلْكَ أَبْنَاءَهُ

غَاسِلًا وَجَهَّهُ وَيَدِيهِ

يَطْفُؤْنَ لَاتِيهِمْ.

وَالْمُعَزُّونَ آتُونَ مَاضُونَ خُرْسٍ

لَا مَجِيبٌ وَلَا سَائِلٌ.

قَلْتُ: فَوْضَى؟ وَلَكِنْ

مَا نِظَامُكَ يَا أَيُّهَا الْعَاقِلُ؟

(١) هو ابن خمارويه،
وهارون أخوه.«... وثبّ الجند على
جيش بن خمارويه، وقالوا
«لا نرضى بك أميراً علينا،
فتنح عنا حتى نولي عمك».عدا جيش على عمه،
فضرب عنقه، وعنق عم له
آخرهجم الجند على جيش،
فقتلوه، وقتلوا أمه، وانتهبوا
داره، وانتهبوا مصر،
وأحرقوه، وأفعدوا هارون بن
خمارويه، مكان أخيه».(الطبري، أحداث السنة
٢٨٣هـ).

* مِثْلُ ثَوْبٍ

أَجَرَ زَمَانِي عَلَى الْأَرْضِ، أَكْنَسُ دَرْبِي

بَأَذْيَالِهِ،

وَأُفَكِّكَ أَرْزَارَهُ.

. قُتِلَ السَّرْحَسِيُّ^(١)،

وكانت له

كتبٌ في فنونٍ من

الفكر والقول -

كان الخليفة يزوي:

«عاني كي أكفراً،

ولهذا قضيتُ عليه».

- ف -

أيهذا الضياء الصديق،

مَنْ الحائِكُ الظلامَ ستاراً علينا،

وَمَنْ أسدَلَهُ؟

رُبَّما، لن يكونَ لي الحقُّ،

في ما يجيءُ من الوقتِ،

أَنْ أتلفَظَ بِاسْمِي،

أو أَحْمِلَهُ.

* أولوا أنها الرّيحُ هبّت تُعانيقُ مغراجها،
ولماذا إذا عادت الرّيحُ، ياساً من الأفقِ،
أذراجها؟

(١) هو عليّ بن أحمد بن الطيّب بن مروان السرخسي، صديق يعقوب بن إسحاق الكندي. قتله الخليفة المعتضد.

رأس رافع^(١) يجتاز

أوديةً وجبالاً،

ويحفت به موكب،

غير أن له حاملاً

واحدًا -

حاملاً أنزاسٍ بحمى

في وجهه المنقىذ

جنة الثنابي:

ياخذ جائزة المنعترض.

- ص -

لا أسافرُ إلاّ

بين ظنّ وظنّ . مقيم

في الضّفافِ . الأفاصي

دائمًا في ضيافة شعري، وشعري

دائمًا في ضيافة

ما يتيسّر من فلوات .

أثرى، هذه الغيوم كمثل نساء

يجتنّ إلى الحبّ في شهقة

ويرحلنّ في آهة أو دوار؟

* مَرَضِي لا يطيق الدّواء

وأنا لا أطيقُ الشّفاء .

(١) رافع بن هرثمة.

صالح^(١) يقطع الطريق

إلى مكّة:

أخذوا نسوة الحجيج

وأموالهم،

بعضهم مات من جوعه.

عَنَّمْ أَوْ بَقَّرْ

هؤلاء الذين يُسَافِرُونَ

كالنَّمَلِ،

فُرِبَى إِلَى اللَّهِ،

أَوْ يُذَبِحُونَ، لماذا

أُدخِلُوا فِي عِدَادِ الْبَشَرِ؟

- ق -

شَبِحَ يَتَقَفَى خُطَايَ،

وَحَاوَلْتُ فِي اللَّحْظَاتِ الْمَضِيئَةِ

أَنْ أَقْتَلَهُ،

وَأُوَارِي فِي قَبْرِهِ سِرَّهُ.

ها أَنَا أَتَبَدَّلُ -

هل أَقْدِرُ الْآنَ أَنْ أَتَحَرَّرَ

مِنْ لَيْلِهِ، وَأَنْ أَبْدَلَهُ؟

* لا تزال أساطيرنا

مثلما كتبتّها الطّبيعةُ مجرّوحةً،

وأنا لستُ إلاّ دماً

يتقطرُ منها.

(١) هو صالح بن مدرك الطّائفي، وسُمّي ذلك اليوم «يوم الأجر».

- ر -

عندما صِرْتُ أَعْرَفُ أَتَى وَكَيْفَ
أَشَقُّ الْقَضَاءَ، أَوْحَدَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَضَاءِ،
عُلِّقْتُ فِي مَسَارِي أَبْوَابِهِ.
هَلْ أَنْوَحُ كَعَيْرِي
وَأَقُولُ: الْقَضَاءُ مَرِيرٌ؟

سَأَجَاهِرُ: كَلَاءً

لا صديقٌ لِمَثَلِي غيرُ القَضَاءِ
وَلَا نِدٌّ غيرُ القَضَاءِ.

* هَلِ أَتَعَلَّمُ سِحْرَ الْأَمْرِ، لِأَعْرِفَ كَيْفَ
أَعَلِّمُ
سِحْرَ الْفَوْضَى؟

الذّاكِرة

٢٨٥ هـ.

«عَرَبٌ يَذْبَحُونَ،

عَرَبٌ يَرْجِزُونَ»:

«ما إن رأى

النَّاسُ كِيَوْمِ الْأَخْفَرِ

النَّاسُ صَرَغِي

وَالْقُبُورُ تُخْفَرُ».

*

إنه الرّأس بالرّأس: هاتوا

حطباً، واطرحوه عليهم.

أحرقوهم، وغنّوا لديار

العرب

لن يطهّر أدرانها

ورجس شياطينها

غير هذا اللّهب.

ظَهر القَرْمَطِي^(١)

الجَنَابِي - أوَّل

مَا قِيلَ عَنْهُ:

«رَجُلٌ مُفْتَرٍ،

لُغَةٌ تُفْتَرَى.

هُوَذَا

يُثَبُّ المَدَائِنَ

أَوْ يَهْدُمُ القُرَى».

*

أَلجَنَابِي يُظْهَرُ - أَحْلَامُهُ

لَبْنٌ، نَخْلَةٌ، رَغِيفٌ

تَشْرَبُ الصَّحَارَى إِلَى

ظِلِّهِ،

وَتَسِيرُ عَلَى هَدْيِهِ

هَجَرَ والقَطِيفَ.

- ش -

شَجَرُ الزَّيْتُونِ طَرِيقٌ آخَرٌ - مَهْلًا:

رَجُلٌ يَحْمِلُ غُضْنَا.

هُوَذَا يَصْعَدُ أَعْلَى جَذَعِ.

وَرَأَيْتُ إِلَيْهِ

يَتَلَفَّتْ حَوْلَ الجَذَعِ، يَمُدُّ يَدَيْهِ، يَضْحَكُ - مَاذَا؟

أَتَرَاهُ يَحْلُمُ أَنْ يَبْنِي بَيْتًا؟

أَتَرَاهُ يَرِغِبُ أَنْ يَتَحَوَّلَ طَيْرًا أَوْ سَنَجَابًا؟

أَتَرَاهُ رَجُلٌ مَجْنُونٌ؟

* مُدُنٌ مِنْ عَرُوشٍ، مُدُنٌ لِلْحَطَبِ:

لَا طَرِيقٌ إِلَيْهَا إِذَا لَمْ تَكُنْ

لُغَةٌ فِي اللَّهَبِ.

(١) الإشارة إلى أبي سعيد الجنبابي.

(١) هو العباس بن عمرو
الغنوي.

- ت -

ذَابِلٌ وَجَهُ أَيَامِنَا
ذَابِلَاتٌ رِيَاحِيئُهَا
ذَابِلَاتٌ خُطَاهَا.

وَأَرَى لَا أَرَى
غَيْرَ مَنْ يَنْسَجُونَ عَبَاءَ أَتِهِمْ
بِتَّابِينَ مِنْ كُلِّ مَوْتٍ.
يَرْفَعُ الْوَقْتَ فُصَانَهُ فَوْقَهُمْ
كَالْبِيَارِقِ مَرْسُومَةً
بِتَّجَاعِيهِمْ.

* لم أجد كي أطرده الحيرة،
أو أسأل: هل للموت عنق؟
أو لماذا تقطر الأرض دماً؟

الذّكرة

٢٨٧هـ.

هَجَرَ فِي يَدِ الْقُرْمَطِيِّ.

جَاءَ حَتَّى يُحَارِبُهُ

الغُنُوِي^(١):

هَزَمَ الْقُرْمَطِيُّونَ

فِرْسَانَهُ،

أَسْرَوْا مِنْهُمْ أَلْفَ

شَخْصٍ، كَمَا أَخْبَرُوا،

غَيْرَ مَنْ قَتَلُوهُمْ.

أَخْرَجُوا -

تُرِكَ الْغُنُوِيُّ طَلِيقًا.

خز رأسن وصيف^(١).

سألوه،

قبل أن يقتلوه:

- «ما الذي تشتهي؟»

- «كتب عن ملوك مضا،

ورياحين أشنمها».

- ث -

لا أعرفُ كيف ألمّ جراحي،

وأسلمها لنظام هوائي. كثيراً،

قلت لجسمي:

تلك جراخ أصغر مما ظننت،

فلماذا تزهو؟

لكن جراحي جمحت

وأجتازت كل سباح.

أتراها تتأر متي؟

* أَلْخَرَابُ نَجِيّ الْخَرَابِ

تحت تلك البذور الجذور القشور الخليلج

المؤصل في طبقات التراب:

أتراها الطيبة شيطانة؟

(١) وصيف الخادم الذي اشتهر بذكائه، وبالهيمنة على الخلافة في وقته.

أخذوه أمام الخليفة^(١)،

قال الخليفةُ في

نبرة عالية،

«ذاك أمرى:

إِقلعوا واحداً واحداً، كلَّ
أضراسيه، علقوه على
صخرة،

اقطعوا ساعديه

ورجليه، ثم اضرَبوا

عُنُقَهُ،

واصلبوه

في المكان الذي ضمَّ

أصديه، قبله».

- خ -

مَا هَدِي الْأَرْضُ! كِتَابٌ

فِي فِقْهِ الْجِنَاءِ .

فِي أَصْلِ الدِّيكِ

وَفَصْلِ الْبَيْضَةِ . أَرْضٌ

بُوقٌ لِلتَّهْلِيلِ وَلِلتَّمْجِيدِ، وَقَيْدٌ

فِي الْخَطَوَاتِ

وَفِي الْكَلِمَاتِ

وَفِي الْأَشْيَاءِ .

* عَالَمٌ يَرْكُضُ فِي أَنْشُوطَةٍ

خَاطَهَا طَائِفٌ جَنٌّ

يُؤْخِذُ التَّرْيَاقَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ .

(١) المعتضد، والإشارة هنا إلى ابن أبي فارس، أحد القرامطة الكبار.

- ذ -

ألمكان، وإن كان حُبّاً
طريقاً إلى لامكانٍ.

الذاكرة

٢٨٩ هـ.

«عِشْتُ - لم أفهم
الماء، والثَّارُ تجهل
ما كنتُ. ما سأكونُ:
تراني
ألمح الموتِ يجلسُ
قُدَّامَ بيتي،
أم أنا واهم؟
مرّةً، كاد ظني
أن يكون يقيناً». .
كلمات
قالها قرمطيُّ
في الطريقِ إلى
زُبُو... .

* مِتْعَةُ العِيشِ تُضْفِي
على الموتِ
أعمقَ أسرارِهِ.

(١) الإشارة هي دائماً إلى ابن
أبي فوارس .

- ض -

نَفَلٌ . نَارُ شَوْكٍ ، طَيُورٌ

والغيومُ على عَهْدِهَا :

بُسْطٌ تَتَمَرَّقُ . أَرْضٌ

أَتَهَجِّي أَسَارِيرَهَا

شَجراً يَتَبَّنَأُ : هذِي خُطَاهُمْ ، وَهَذَا هُمْ

يَهْجَمُونَ ، وَمِنْ كُلِّ صَوْبٍ

يَمْدُونَ أَشْرَاكَهُمْ ،

وَالْمَكَانَ دَمَّ نَافِرُ .

قُلْ لِي الْآنَ ، مَاذَا سَتَفْعَلُ ، مِنْ أَيْنَ تَأْتِي ،

إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ ، يَا أَيُّهَا الشَّاعِرُ؟

* جَسَدٌ جَرَّحَ ، وَنَفْسٌ وَالِيَهُ ،

مَا الَّذِي يَفْعَلُهُ الشَّاعِرُ مَا بَيْنَهُمَا ،

غَيْرَ أَنْ يَلْعُو كَمَثَلِ الْآلِهَةِ؟

الذَّاكِرَةُ

٢٨٩هـ .

يَتَحَلَّقُ حَوْلَ الْعَمُودِ

الَّذِي صَلْبُوهُ^(١) عَلَيْهِ ،

أُنَاسٌ

وَيُدِيرُونَ مَا بَيْنَهُمْ

نِقَاشاً :

- هَذَا جِسْمُهُ

يَتَدَلَّى .

- جِسْمُهُ؟

- رُبَّمَا .

- ظ -

طَيْفٌ يَهْمُسُ : تَلِكْ ثِيَابِي
رَفَعُ مِنْ جِلْبَابِ الْمَعْنَى ،
وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ
كُبَّةٌ عَزَلُ .
قُلْ لِي ، يَا هَذَا الطَّيْفُ ، أَبَيَّنَ الْغَيْبِ
وَبَيْنَكَ سِرٌّ؟
أَقُولُ لِجَسْمِي أَنْ يَرْقَى
فِي دَرَجَاتِ الظَّنِّ إِلَيْهِ؟

الذّكرة

٢٨٩هـ .

- أكيّد .

- ذلك ما يترأى

- ولكن

قتلوا آخراً

سواه .

* أَلشَّبَاكُ الَّتِي نَسَجْتَهَا بِحِيرَاتِ حُلْمِي ،
أَلْقَيْتَهَا

فِي الْمَحِيطِ ، وَلَكِنْ
لَمْ أَكُنْ أَتَوَقَّعُ صَيْدًا .

- غ -

حَلَبُ أَجْمَلِ المَدَائِنِ، وَالصَّخْرَةُ فِيهَا مَجْرَّةٌ،
وَالْبُيُوتَاتُ جِنَانٌ،
وَالأَرْضُ فِيهَا سَمَاءٌ.

غَيْرَ أَنِّي مَاضٍ، كَمَا وَسَّوَسْتَ نَفْسِي،
نَفْسِي أَمَّارَةٌ
وَالْمَجَاهِيلُ تُرَابٌ لِتَشُوتِي وَهَوَاءٌ.

الذَّكْرَةُ

٢٨٩هـ.

- دُونَ ذَلِكَ،

إِنَّ صَلْبِي

هُوَ، فِي ذَاتِهِ،

تَتَكَاثَرُ عَنْهُ

الْأَقَاوِيلُ،

يُفْتَتِنُ النَّاسَ

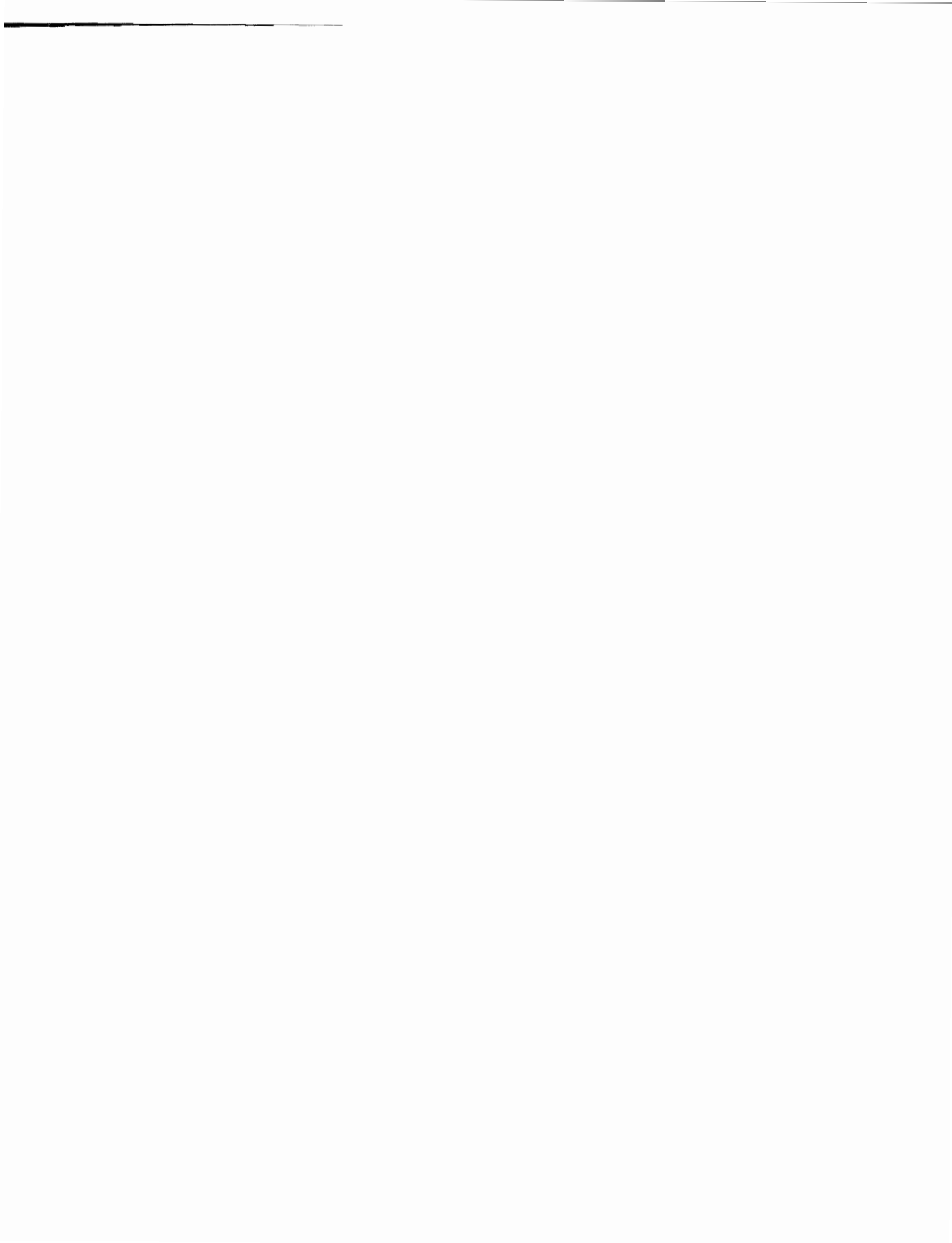
فِيهِ.

* وَطَنُ الشَّعْرِ يَمْتَدُّ فِي سَقَرِ الشُّعْرَاءِ،
وَفِي عَدَنِ الْأَنْبِيَاءِ،
جَسَدِي طِفْلٌ هَذَا الزَّوْجِ الشَّقِيِّ،
وَشِعْرِي نُبُوَّةٌ هَذَا الْهَبَاءِ.

هوامش
(يوميات المتنبي)



I. معراج



١ - تخيّل

أتخيّل بغداداً، لكنني أحتي
حلباً، وأحتي

كوفّة الثّائرين - اترك الحُبّ يدخل إليك
دون أن يقرع الباب. كالحلم يأتي إلى مقلتيك،
دون أن يسأل اللّيل. طيفُ

يترصد بين شقوقِ الثّوافذ:

من أين قلبك يمضي إلى سيره؟

أُتراه يُحتي، وهو يمضي إلى سيره،

شجر الورد في ساحة البيت؟ هل يتلقّت؟ أيقظتُ

في داخلي أصدقائي ليرؤوا من جديد

سيف سلطاننا

كيف يهوي عليك - وها هم حول قبرك. ماذا؟

هل تقوم لتلقاهم، ونصغي إليهم

ينشدون: سلاماً على عهدنا

وسلاماً عليك.

٢ - حَرْبَةٌ

إنه صوتُه
غائبٌ ضائعٌ يتفياً في بلدٍ آخرِ،
من جحيمِ العذابِ على أرضه .
قلِّقٌ لا يُقرُّ . يسيرٌ ، ويجهلُ
من أين يأتي إلى أين يمضي .

حَرْبَةٌ تَقْتَفِيهِ .

٣ - عباءة

قِيلَ: تُحْصِي جِرَاحَكَ

تَرْمِي أَزَاهِيرَهَا

فِي عَبَاءَةِ أَخْرَانِكَ السَّاهِرَةِ

وَعَدَا سَوْفَ تَتْرُكُ

عَيْنِكَ لِلدَّمْعِ - يَهْمِي

كِي يُرْوِي تِلْكَ الْجِرَاحَ: لِمَاذَا؟

هل تُرِيدُ انْبِعَاطًا لَهَا -

صُورًا مِنْ نَبَاتٍ

صُورًا مِنْ حَيَاةٍ بِلَا جَنَّةٍ أَوْ جَحِيمٍ،

أَمْ جُذُورًا - مَرَايَا لِأَيَّامِكَ الْعَابِرَةِ؟

٤ - ديدن

أتوسّل الوَرْدَ: اتّخذني
ضيفاً كمثلك فوق هذي الأرضِ، كلاً
لن أقولَ لِحْتِهِ
كوني مُقامي، لن ألَوِّحَ للجحيمِ: تحوّلي
برّداً،
دَحَوْتُ الأرضَ شَكَاً.

هُودًا أطوفُ بها، ألوذُ بغيمةِها
أستحضرُ البرقَ العصيَّ على الحضورِ
وأخطُ فوق تُرابِها
وجهي: سأعرفُ كيفُ أبني
وطناً أقيمُ مدائني فيه، وأنذرُ نارَها
لطقوسِ كلِّ مُهيمٍ.

هُودًا أطوفُ: أبثُ ديدنها الغويّ وأرتدي
في كلِّ هاويةِ غلاته
والتحفُ العصورُ.

٥ - هباء

ذاك صباحي :

نَحَلَاتُ السَّاحَةَ مَالَتْ

وَتَكَادُ تَمُوتُ - الشَّمْسُ سَعِيرٌ

يَنْفِرُ مِنْهُ حَتَّى التَّيْلُ . أَتَأْتِي؟

هل تأتئين؟ تركتُ فراشي في وحدته،

وأنا أحيا

في ضوء وفاءٍ يُوشِكُ أَنْ يَرْمِيَنِي

في ظلمةٍ جُبِّ .

نمضي؟ يا هذا الشوقُ، أعندك ظلٌّ؟

يَتَصَاعَدُ مِنْ جِهَةِ الصَّحْرَاءِ هِبَاءً .

٦ - مستقبل

عندما سُسِّخِ قلبِي ،
سَأوقظُ فِيهِ رَماداً من بَقايا طُفولَتِهِ
وأحلمُ أَنِّي صاعِدٌ هابِطٌ
في جحيمِ شرايِينِهِ .
وتَجِبُّ إِلَيْهِ عَشيقَتُهُ
لَهَباً طاغياً
ويَعْرِجُنَ مِنْ أَوَّلِ إِلَى عَرْشِهِ .
غَيْرَ أَنِّي عَرَفْتُ وَأَعْرَفُ قَلْبِي :
لن يُسِّخِ إِلَّا
مَرَّةً واحِدَةً ،
عندما يَتَنزَّلُ كالوحي في حُفْرةِ الموتِ ،
في غُورِ أَحْضانِها الباردة .

٧ - مشهد (تخيّل)

أَلْخَطُوطُ، الْقَنَاظِرُ بَسْتَانُ وَرْدٍ.
كَلَّ حَطَّ وَسَادَةٌ حَلْمٍ
وَطَرِيقٌ إِلَى مَوْعِدٍ:
أَلْحُرُوفُ تَقَاسِيمِ حَبِّ وَالْأَصَابِعُ أَوْتَارُهَا.

وَإَكْبُوا هَذِهِ الْبَسَاتِينَ، شُمُوا شَذَاهَا
وَاسْتَضِيئُوا
بِالْمُقَرَّنِصِ فِيهَا
وَبِأَقْوَاسِهَا الْقَاهِرِيَّةِ.
لَكَ بَابٌ إِلَى السَّرِّ، فَانْهَضْ إِلَيْهِ
لَاقِيهِ وَاحْتَضِنُهُ
حَيْثُ لَا تَعْرِفُ الْكَلِمَاتُ سِوَى صَمْتِهَا.

إِمضِ وَاهْبِطِ إِلَيْهِ - إِلَى كَبِدِ الْأَبْجَدِيَّةِ.

٨ - حيرة

أَنْتِ سَوَيْتِ لِلَّيْلِ - لَيْلِي، نَابًا،
وَجَعَلْتِ النَّهَارَ دَمًا سَائِلًا.
هَلْ خُلِقْتِ عَلَى صُورَةِ الْمَوْتِ،
كَيْ تَشْرِيهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؟

مَا الَّذِي أَفْعَلُ الْآنَ فِي رَغْبَتِي
أَنْ أُسْرِحَ إِبْلِيسَ مِنْ قَيْدِهِ
وَأُكْنَسَ هَذَا الْمَكَانَ وَتَارِيخَهُ كَفَشُ،
وَأُغْسَلَ مِمَّا تَبَقِيَ يَدِي؟

أَه، نَوْمٌ غَرِيبٌ يُحَوِّمُ فِي مُقْلَتِي!

٩ - مسافات

من وراء التلال، أرى الفجرَ ينهضُ:
ما أقربُ البُعدِ، ما أوضحهُ!
أَلتَّلالُ تَرْتَرْنَ بالأفقي - يصعدنَ فيه،
وظفولة حُزني
لا تزال على رُكبةِ الفجرِ تَعْفُو.

المسافات تنأى، ولكن
من وراء التلالِ أرى كيف تُولدُ
في وجهي الأجنحة.

١٠ - خنفساء

أَسْأَلُ الْآتِيَّ مِنْ بَغْدَادَ: هَلْ تَحْمَلُ فِي قَلْبِكَ ضَوْءًا؟

لَسْتُ تَمَثَالًا، وَلَا رَأْسَ هَلَالٍ
لَسْتُ إِلَّا رِيشَةً يَأْخُذُهَا الْجَبْرُ إِلَى مُخْدَعِهِ،
كُلُّ مَسَاءٍ .

أَسْأَلُ الْآتِيَّ مِنْ بَغْدَادَ: هَلْ تَحْمَلُ مَوْتِي أَوْ حَيَاتِي؟

خَنَفْسَاءُ - ذَهَبُ الثُّوبِ الَّذِي تَلْبَسُهُ
بِأَذْخِ الْمَنْظَرِ . مَرَّتْ
تَحْتَ عَيْنِي . سَاعَطِي
هَذِهِ اللَّيْلَةَ - مِنْ أَوْلَاهَا
جَسَدِي حَرًّا لَجَبْرِ الْكَلِمَاتِ .

II

فاصلة استباق

جاء العصر إلى المكان، -

مَرَقَ رُؤُوسٍ مَسْحُوقَةٍ تَنْهَارُشُ حَوْلَهَا
الجِيُوشِ وَاللُّغَةَ تَنْمَشْهَدُ
شِفَاهَا فِي طُورِ الْجَمَادِ.

خَيْرٌ لِهَذَا الشَّاعِرِ أَنْ يُكَثِّرَ الثَّقُوبَ فِي
حِجْرَةِ اللُّغَةِ إِذَنْ هَلِ الأَرْضُ مَحْتَاجَةٌ
إِلَى الدَّمِ لِكِي تَفْهَمَ المَاءُ؟ إِذَنْ نَشَدُ
أَسْمَاعَنَا إِلَى مَحَارَاتِ الإِثْمِ نَدْخُلُ
فِي أُخُوِيَةِ النَّارِ وَنَسْلُ اللَّهَبِ
وَيَكُونُ لَنَا اللَّعِبُ طَيِّبًا كَالْعَمَلِ

والمجدُ لك أَيُّهَا الوَثْنِي التَّحِيلُ الجَسْدُ
المَقْبَلُ فِي مَحِيطِ اِحْتِمَالَاتِ
فِي عَصْرِ كَمَثَلِ فَاصِلَةٍ بَيْنَ المَوْتِ وَالمَوْتِ.

- شاعرٌ

ليس من هنا وليس من هناك
كأنه يعيش في رمية الترد.

- يُريد
أن
يتشبه
بالضوء.
- ليس
للضوء
ماضٍ.
- ليس
للضوء
غير
المستقبل.
ألهذا يرى شوكتاً أكثر إلفاً من اليد؟
ألهذا يرى نوافذ أحد بصرأ من العين،
وطرفاً بعيدة
أكثر قريباً من عتبة بيته؟
- لست، أيتها الشاعر
من هنا ولست من هناك.
يلزمك جنون آخر
لكي تعرف من أنت.

- أ -

سَأُصَدِّقُ أَنَّ الْمَطْرَ
يَتَقَمَّصُ أَحْزَانَ حَوْلَةَ، أَنَّ الشَّجَرَ
يَتَكَلَّمُ كُلَّ اللُّغَاتِ،
لِكَيْ يَتَأَوَّلَ أَشْجَانَهَا.

سَأُصَدِّقُ أَنَّ الرِّيحَ
التَّبَسَّنَ بِأَهَابِهَا
وَتَلَبَّسَنَ أُرْدَانَهَا.

* كَرَّرِ الْآنَ قَوْلِي يَا أَيُّهَا الْجَوَادُ،
وَكَرَّرَهُ يَا أَيُّهَا الْحُسَامُ:
آه مَا أَقْتَلَ الرَّحِيلَ،
وَأَقْتُلُ مِنْهُ الْمُقَامَ.

الذَّاكِرَةُ

٢٨٩هـ.

قيل: إحدى

جواربه^(١)، أعففتها

سَمًا.

بمستديها.

”

كان قد أنزل اللذ

نصراً على أهله

أولياً؛ الخليفة -

جاؤوا

بالرؤوس إلى داره.

نُصبت فوق جسرٍ ببغداد،

كانوا يقولون:

من يتظف الرأس عند

الطَّلَبِ

تتطامن أحواله

وتطوق أيامه بالذهب.

(١) الإشارة إلى الخليفة
المعتضد.

(١) الإشارة إلى الخليفة
المعتضد.

- ب -

صَوْرٌ لِلخَرِيفِ، وَأَيْلُولٌ فِيهَا جِرَارٌ
لَا تَبُوْحُ بِأَحْشَائِبِهَا، وَتَشْرِينُ سَهْمٌ
يَتْرَضُّ فِي غَايَةِ الْحَبِّ قَلْبًا.

صَوْرٌ - حَوْلَةٌ

تَمْرُقٌ فِي جَدْرِهَا.

هِيَ ذِي تَخْرُجُ الْآنَ سِرًّا
تَزُورُ الدَّرُوبَ الَّتِي أَلْفَتْنَا.

هَا هِيَ الْآنَ عَادَتْ:

لَا وَسَادَةَ غَيْرُ الْبِكَاءِ.

آه، مَا أَضِيقُ الْفَضَاءَ.

الذِّكْرَةُ

٢٨٩هـ.

خَدَّثُوا عَنْهُ^(١)، كَانَتْ:

صُورَةٌ تَتْرَأَى لَهُ

تَتَعَدَّدُ: طَوْرًا

رَاهِبٌ. تَارَةٌ فَتَى،

وَمِرَارًا،

شَكْلٌ شَخِصٌ لَهُ لِحْيَةٌ،

وَحِينًا

تَتْرَأَى، وَفِي يَدَيْهَا

السَّيْفُ،

تَضْرِبُ مَنْ

صَادَفْتَهُ.

* لَا تَقُلْ: أَتَذَكِّرُ،

إِلَّا إِذَا كُنْتَ تَمْرُجٌ

مَا تَتَذَكَّرُ فِي مَوْجِ مُسْتَقْبَلٍ.

شَطْحُوا فِي الزَّوَابِيَةِ^(١)،
 قَالُوا: ذَاكَ إِبْلِيسُ،
 قَالُوا: مُؤْمِنُونَ مِنْ
 الْجَنِّ جَاؤُوا لِكِي
 يَرُدُّعُوهُ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ
 وَسَفَكَ الدِّمَاءَ،
 وَقَالُوا: خَدَمُ
 يَعِشِقُونَ الْجَوَارِي،
 يَجِيثُونَ فِي جَبَلٍ،
 فِي عَقَاقِيرٍ تُخْفِيهِمْ،
 وَتَمَوَّهَ أَشْكَالَهُمْ.

- ج -

سَأْفُولُ: اتَّسَعُ وَاسْتَضْفِنِي يَا أَيُّهَا الشَّتَاتُ،

أَعْطِنِي لِفِرَاعِكَ، خُدْنِي

إِلَى حَيْثُ تَهْوَى

فِي هَبُوبِ رِيَاكِ دَمَشْقِيَّةَ،

أَوْ عَلَى عَيْمَةِ

تَتَبَخَّرُ مِنْ صَدْرِ دِجْلَةَ،

أَوْ مِنْ زَفِيرِ الْفِرَاثِ.

خَوْلَةُ الْآنَ رُؤْيَا تُسَافِرُ فِي مُقَلَّتِي،

خَوْلَةُ الْآنَ تَهْوِي عَلَى سَاعِدِي.

* لِعُلُويِّ عَمَقٍ لَا يُفَارِقُ أَغْوَارَهُ:

هَذِهِ جَمْرَتِي

تَضْطَفِينِي إِلَيْهَا

وَأَنَا سَاهِرٌ عَلَيْهَا.

(١) تَأْوِيلًا لِلصُّورَةِ الَّتِي كَانَتْ
 تَتَرَاءَى لِلْمَعْتَصِدِ.

الذاكرة

٢٨٩هـ.

بعد أن قدموا

رأس بَدْرٍ له^(١)،

قال في شهقة:

«أقدرُ الآنَ

أن أتذوقَ طعم

الحياة، ولذة هذي

الخلافة - هيا

إقطعوا رأس بَدْرٍ

نظفوه

ضعوه هنا،

في الخزانة، قُرْبِي».

- ٥ -

أَتَخَيَّلُ نَفْسِي كَأَنِّي فِي غِيَابَةِ جُبِّ .

تَارَةً أَتَوْهُمْ أَنِّي أَقَاتِلُ :

جَيْشِي نَحْوُ وَصَرَفُ

وَقَتْلَايَ لَفْظُ .

تَارَةً أَتَوْهُمْ أَنِّي

سَقَرْتُ دَائِمًا ، وَمَطَايَايَ تَيْهَ :

مَا أَسَافِرُ فِيهِ

يُقَيِّدُ شَمْسِي وَيُطْلِقُ لَيْلِي .

مَا أَرَاهُ

يُلَطِّخُ عَيْنِي

بِعَمَاوَاتِهِ .

* مَن سَأَكُونُ إِذَا عَرَفْتُ بِنَفْسِي؟

وَأَنَا لَعْنَةُ تَرْفُرُ نَارًا -

نَارًا تَكْتُبُنِي ، فِيمَا تَأْكُلُنِي .

(١) الإشارة هنا إلى الخليفة
المكتفي .

وبدر هو غلام أبيه
الخليفة المعتضد .

المذكرة

٢٨٩هـ.

أمر المكثفي

بالغناء ما كان

والده يتغنن فيه،

من أساليب

أول أدوب

ليغتنن أجداده.

- ه -

هِيَ ذِي دِمَشْقٍ - أَرَى وَرَاءَ قِبَابِهَا

شُرراً لِحِمْرَتِهَا الدَّفِينَةِ .

ويقال لي: خَافَ الأَمِيرُ^(١)، وَجُنَّ مِنْ

قَلْبِي، وَيَطْلُبُ أَنْ أُسِيرَ إِلَيْهِ .

أَمَدْحُهُ؟

مُعَاذَ هَوَايَ،

وَاسْتَعْرَوْا عَلَيَّ، كَمَا يَشَاءُ

الْمَلِكُ،

يَا شُرَطَ المَدِينَةِ .

* أِهْ بَغْدَادُ! رَأْسُ عَيْيْ،

لَعْنَةُ مَوَمَاءَ

مَنْ يُزِينُ هَذَا الفِرَاعَ لِبَغْدَادِ؟ مَنْ أَنشَأَهُ؟

(١) أمير دمشق آنذاك، وقد رفض المنبهي أن يمدحه.

تُراني هُنا الآنَ عَبري؟ وماذا سمعتُ

وأسمعُ؟ هَذي العَريشُ^(٢)، دَمٌ

التَّخل سَقاؤها،

واللَّيالي جِراؤُ.

في العَريشِ، الحَدايقُ تَحلمُ: قَمَساتُها

مُلئتُ أَنجماً.

(١) طُغجُ بنِ جُفّ، هو القائد الذي انتدبه هارون بن خمارويه، لمحاربة «صاحب النّاقة» وكان اسمه يخبي بن زكرويه القزْمطي.

(٢) العَريشُ، المدينة المَصرية المعروفة، وكانت في ذلك الوقت مشهورةً بحداثتها.

الذّكرة

٢٨٩هـ.

«صاحبُ النّاقة»،

القزْمطي، يُعبرُ

على الشّام. حَزبٌ

بين طُغجٍ^(١) وأنصارِهِ.

عند بابِ دِمَشقِ،

يتدحرجُ يَحِي قَبلاً.

المدينةُ في بَهجة،

وأخوه الحَسينُ

يَصبِرُ وربّاً لَهُ.

* أَيها الشّعْرُ حُذني،

مِثْما تُؤخَذُ الشّهواتُ،

وكنْ لي لَيلاً.

مِثْدَنَةٌ -

أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ الصَّلَوَاتُ

كما شاءها

لا لسيفٍ ولا سيّدٍ،

حرّةً كالمطرٍ .

مِثْدَنَةٌ -

أَذِنَ الشَّعْرُ أَنْ يَسْكُنَ الحَبَّ حِرّاً

في قلوبِ البَشْرِ .

هكذا تُعلنُ البُرُوقُ التي أضمزمتها الحياةُ،

وتهدرُ في مُهجتي

لكي أُعلِنَه .

قيل : يخفى

كان يلبس ثوباً

واسعاً، يتلثمُ،

يعتمُ. قالوا:

كان أعداؤه

يُهزموهُ

إن أشارَ إلى

حيثُ يأتون،

أو يكمنون .

* عاشقُ ذلك الرّبِّ في مِصرَ،

يحيا أليفاً،

ويؤثّرُ أن يتغرّبَ في وَجهِ طَيْرٍ .

لا جنون، ولكنني

سأقتل صحبي،

وسأقتل حجاب

عرشي،

وكُتّابهُ،

وسأقتل كل نسائي.

- ح -

وَجْهَهَا مُوجَّةً، وَيَدَاهَا شِرَاعٌ -

أَهْيَ الرَّمْلَةُ^(١)؟ الْمَدِينَةُ قَيْثَارَةٌ

وَالْمَادِنُ أَوْتَارُهَا.

وَالْأَمِيرُ الْحَسَنُ

صَمَّهَا، يَتَمَاهَى بِهَا

وَيَقْطُرُ فِيهَا رَحِيقَ الزَّمَنِ.

* سَأَجْسُ الرِّيحَ، سَأُعْوِي قَلْقِي

أَنْ يَتَحَوَّلَ رِيحاً أُخْرَى

تَكْسُو طُرُقِي.

(١) كان كافور يقول لأصحابه: «أترونه يبلغ الرملة، ولا يأتيها؟» وقد كتب إلى أميرها آنذاك الحسن بن طنج. بطلت منه أن يرسل إليه المتنبّي

هل أقول لها من تكون؟ الجراح
المُعَدَّةُ فِيَّ ارتباكُ،
وَنُطْقِي لا يُسْعِفُ الآنَ. نفسي
تُجِيءُ وتذهبُ شوقاً لِمِراتِها،
وَلأَطِيافِها.

هَاتِها، أَيها البحرُ من فضلِ ذاتِكَ،
مِن مُهْجَةِ الغِيبِ،
مِن شَمْسِهِ، هَاتِها.

لا جنونٌ، ولكنتي

سوف أقتل حتى

بناتي، وأقتل

ابي - كلاً

لا جنونٌ، ولكن

إخوتي - سوف أرميهم

واحداً واحداً

في جحيم الهلاك

لا جنونٌ - أنا

الملكُ المُسْتَنجِزُ،

وَلي هَيْئَةُ المَلِكِ^(١).

* بعضهم

ينظرون إليّ كأنني

كاهنٌ في جحيم

يُشْعِلُ الماءَ في حَلْقِهِ.

(١) الكلام بلسان إبراهيم بن
الأغلب، من أمراء الاغالبية
في أفريقيا، مات سنة
٢٨٩هـ. قيل إنه أصيب
بالماليلخوليا، فقتل كثيراً من
أصحابه وكتّابه وحجابه
وسائه.

وقتل اثنين من آبائه،
وثمانية إخوة له، وسائر بناته.

الذّاكِرة

٢٨٩هـ.

- ي -

رَمَلُ ظَنِّ، وَقَامَتِي الْآنَ تَسْبِخُ فِيهِ.

رَفَحٌ (١) -

وَخَدَةُ الْمَاءِ وَالنَّارِ فِي جَرَّةٍ،

وَخَدَةُ اللَّيْلِ يَقْظَانِ،

وَالشَّمْسِ، مَقْرُونَةٌ بِشِرَانِهَا.

آه، يَا عَطْشًا فِي دَمِي!

وَزِدَّةٌ فِي الطَّرِيقِ

تُمَزَّقُ أَرْدَانَهَا.

الحسين (٢) تكاثر

أنصاره:

ثمّلك جمصاً،

ودمشق تصالحة،

وتؤدّي الخراج إليه.

*

- إبي!

- أمي! أخبري،

وقولي: ما دينك

الآن؟

- لماذا السؤال؟ أنت

عارف.

- أريد أن أقول: ما

عرفته من قبل، كان

باطلاً.

- والآن؟

- قرمطي.

الفكر في انعتاق،

والدين دين حق.

(١) المدينة المصرية
المعروفة، وقد مرّ فيها
المتنبي.

(٢) الحسين بن زكرويه الذي
حل محل أخيه يحيى، وقد
سبقت الإشارة إلى ذلك.

* أتراني أحيًا كمن يعمر الأرض

باسم السماء؟

يخزن الماء في منخل

ويخيط الهواء.

الذّاكرة

٢٨٩هـ.

زعموا أنّه^(٢)

قَتَلَ النَّاسَ - أَطْفَالَهُمْ

وَالنِّسَاءَ

فِي حِمَاةٍ،

فِي الْمَعْرَةِ، فِي بَغْلَبِكْ،

وَفِي السَّلْمِيَّةِ: لَمْ يَبْقِ

شَخْصاً حَوْلَهَا فِي الْفَرَى،

كَانَ يَقْتُلُ يَحْرِقُ يَسْبِي

عَابِتاً بَثَلَمَا يَشَاءُ.

- ك -

فَرَمَا^(١) - مَنْ رَمَى

فِي يَدَيَّ ثِمَارَ الْمُحَالِ لِيَتَضَحَّ؟ هَذَا

كَفَرَنْ يَتَطَاوَلُ فِي قَدَمَيَّ، وَهَذَا -

مَا الَّذِي قَلْتُهُ؟

فَرَمَا - جِسْرُ حُبِّي وَرَائِي،

أَتُرَانِي مِنْ أَوَّلٍ،

سَأَمُرُّ عَلَى جِسْرِ حُبِّي، إِلَّا كَمَا

عِنْدَمَا

مِثْلَمَا... .

(١) من الفرى المصرية التي
رآها المتنبي في طريقه إلى
انفاهرة.

(٢) الإشارة إلى الحسين بن
زكرويه. ويبل إنه أظهر شامة
في وجهه، زاعماً أنها آيته،
ومن هنا سُمِّي «صاحب
الشّامة».

* قَمْرٌ

يَفْتَحُ كُلَّ مَسَاءٍ جُرْحاً

فِي جِسْمِ امْرَأَةٍ.

- وَضَعْتُ طِفْلَهَا.

- مَنْ تَرَاهَا؟

- امْرَأَةٌ هَاشِمِيَّةٌ.

صَرَخَتْ:

- «أَخْذُونِي

بَعْدَ أَنْ ذَبَحُوا وَالِدِيَّ

وَأَهْلِي جَمِيعاً،

وَأَقَمْتُ لَدَيْهِ^(٢٢)، فَتَرَةً، ثُمَّ

قَالَ:

ادْهَبِي إِلَيْهِمْ، مُشِيرًا إِلَى
صَخْبِهِ^(٢٣).

امْكثي عندهم، وكوني

لهم.

مَنْ تَرَاهُ أَبُو الطُّفْلِ؟

مِنْ ابْنِ أُذْرِي؟

- ل -

تلك بَلَيْسُ^(١) لاحت.

جسدي مُتَعَبٌ، وبلَيْسُ فيها

مَا يُذْكَرُ. لكن

كيف لي أن أعوذ؟ أعوذُ إلى

أين؟ كلاً

سوفَ أسكنُ في ذلكَ القَيْدِ -

ذاك الذي كنتُ سَمَيْتُهُ الرَّجَاءَ

وأقولُ لشعري:

أنتَ الرَّحِيلُ،

وأنتَ البقاء.

(١) انقربة المصرية
المعروفة(٢) الإشارة إلى القائد
الفرمطي، المحسن بن
ركرويه. وكان قد حُطِبَ له
على المنابر في حمص،
وسمى نفسه «المهدي، أمير
المؤمنين»، ورووا أنه بدأ في
السلمية، القربة القريبة إلى
حمص، بقتل بني هاشم،
ففضى على الضبيان والبهانم،
«وأخرج منها، وليس بها عينُ
تطرف».

(٣) أربعة من قواده.

* الموجُ يشيخُ، ولكن

قال العشق، وقال العاشقُ: يَبْقَى

في رَجَمِ البَحْرِ جَنِيناً.

سُئِلَ لِسَانُهُ^(٢)،فَطَعَوْهُ. دُلِّيَ بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ،
وَقَالُوا:

فَلْيُرْبَطْ فَوْقَ حِمَارٍ.

رَبَطُوهُ، طَافُوا فِي الْأَسْوَاقِ،
رَأَى النَّاسُ:

مُؤَدَّنَا؟

مَاتَ، وَلَكِنْ

إِمْعَانًا فِي تَأْدِيبِ

الْمَوْتَى،

صَلَبُوهُ مَيْتًا.

- ٤ -

تِلْكَ فُسْطَاطٌ^(١) تَارِيخُنَا.

مَسْجِدٌ - بَشَّرَ حَوْلَهُ

يَمزُجُونَ خُطَاهِمَ بِأَكْفَانِهِمْ.

وَالنَّوَاذِلُ - أَتَى نَظَرْتُ،

سَرَاوِيلُ مَنْشُورَةٌ.

وَتَحَيَّلْتُ نُورَ قَرِيشٍ،

وَتَحَيَّلْتُ قُوَادِمَهَا وَأَجْنَادَهَا.

لَنْ أَحَاكِي مَوْتِي.

* أَتْرَاهُ النَّشِيدُ النَّبِيَّ

قَادِرٌ وَحَدَهُ

أَنْ يَغْيِرَ هَذَا الْوُجُودَ الشَّقِيَّ؟

(١) وصل المتنبي إلى
الفسطاط (القاهرة) في
السنة ٣٤٦هـ. (آب، ٩٥٧
ميلادية).(٢) الإشارة إلى شخص
يُدعى عروس المؤذن. قتله
موسى بن أحمد، صاحب
القيروان، آنذاك.

(١) الإشارة إلى «صاحب الشامة»، الحسين بن زكرويه، وقد تغلب عليه وأسزّه بدر الحمّامي، قائد ابن طولون.

- ن -

في الأزقة، بين الحوانيت، في الطُّرقاتِ،

أمام الجوامع، أضغى -

أتوهم رأسي

طائراً بابلتاً

يجرّ جناحيه في غابةٍ من حَجَرٍ

ويخطُّ أساطيره

بغبار البَشْرِ.

الذّاكرة

٢٨٩هـ.

حُجَلُ القرمطي^(١)

لبغداد، حيناً

على ظهْرِ فيلٍ.

خَلَفَ هذي الصّوامعِ، مِلءَ الفِضاءِ، صراخُ

ألمدائِنُ مأسورةٍ -

جرحها نازِفٌ، فتاديلُها مُظفأةُ

والطفولةُ أنشودةٌ مُرْجأةُ.

* لَعْنَةٌ - جَسَدٌ حيٌّ، -

أَلأَرْضُ تنامُ على كتفيها،

والغيبُ كتابٌ بين يديها.

الذاكرة

٢٨٩هـ.

مِثْنَا سَوْطٍ

لِلشَّامَةِ.

فَطَعْتُ رِجْلَاهُ^(١)،

يَدَاهُ،

كُوُوُهُ،

فَطَعْتُ الرَّأْسَ،

وَكَبَّرْتُ كُلَّ النَّاسِ،

سُرُورًا.

*

لا يعرف الكلام أن

يقول كيف مات

كأنما تمرّفه

صلاة!

- س -

أَتَمَسُّيْ مَعَ التَّيْلِ، أَخَذْتُ حِينَ يَدِيهِ،

تَتَحَدَّثُ، أَفْتَحُ صَدْرِي لِأَشْجَانِهِ.

فَوْقَنَا سَاعِدَانِ، أَصَابِعُ

تَضْفَرُ شَعْرَ الْفِضَاءِ

الَّذِي يَتَمَدَّدُ حُبًّا

عَلَى صَدْرٍ خُوفٍ.

هَرَمُ الْغَيْبِ يَجْتُو عَلَيَّ

حُفَّتَهُ مِنْ غُبَارٍ.

وَأَرَى لَا أَرَى

أَثْرًا لِنَبِيِّ.

* أَصْغَيْتُ إِلَى دِفْلَى صَلَّتْ:

كَانَ التَّيْلُ إِمَامًا،

وَالشَّمْسُ أَدَانًا.

(١) الإشارة إلى «صاحب الشامة». كان يقول عنها: «هذه آيني!».

الذّكرة

٢٨٩هـ.

أَسْرُوا كُلَّ مَنْ

قِيلَ عَنْهُ

إِنَّهُ فَرَمَطِيٌّ.

فَدَمُوا الْكِبْرَاءَ^(١)

لَكِي يَقْتُلُوهُمْ:

فَطَعُوا كُلَّ أَطْرَافِهِمْ،

وَأَعْنَاقَهُمْ ضَرْبُوهَا.

- ع -

صَمْتُ حَوْلِ ضِيفِ اللَّيْلِ - الْبَزْدِيُّ يَهْيِيُّ

حَفْلًا.

إِيزِيسَ سَتَحَضِرُ وَالْأَهْرَامُ،

وَقِيلَ: النَّيْلُ سَيْلِقِي شِعْرًا.

نَجْمٌ يَنْزُلُ عَنِ كُرْسِيِّ اللَّيْلِ -

يُعَانِقُ خُوفًا.

* أَلْتَجُومُ؟ سَتُصْبِحُ عَمَّا قَرِيبٍ،

مُدْنَا وَأَسِيرَةَ حُبِّ.

(١) يُقَالُ إِنَّ هَوْلًا كَانُوا
أَرْبَعَةً وَثَلَاثِينَ شَخْصًا.

الذّكرة

٢٨٩هـ.

شَحَادُ

- ف -

يَأْتِي فَجْراً فِي زِيِّ امْرَأَةٍ،
وَيَعُودُ مَسَاءً فِي زِيِّ عَشِيقِ،
فَقَصَّ عَلَيْنَا:

عَرَضَ الشَّيْطَانُ عَلَيَّ كِتَاباً
أَمْسِ، وَرَاءَ الْجَامِعِ، كِي أَقْرَأَهُ
فِي شَهْرِ الصَّوْمِ.

قال رآه فوق سريرِ امرأةٍ
لا وقتَ لديها
إِلَّا لِلنُّومِ.

إِنْطَحُوهُ عَلَى وَجْهِهِ^(١).

وَأَبْدَأُوا أَوَّلًا بِيَمَنِى

يَدَيْهِ - أَقْطَعُوهَا،

وَاقْطَعُوا بَعْدَهَا

رِجْلَهُ،

ثُمَّ يُسْرِى يَدَيْهِ وَيُسْرِى

قَدَمَيْهِ -

اضْرِبُوا عُقْقَهُ، وَإِلَى أَسْفَلِ
نَكْسُوهُ.

* هذه لحظةُ الظنِّ والتَّوْرِيهِ

أتراها

لحظةُ الرُّوحِ مهجورة؟

قُلْ لِقَيْثَارِ هَذَا الزَّمَانِ: ابْدَأِ الْأَعْنِيَةَ.

(١) الإشارة إلى أحد القرامطة الأشرى.

- ص -

(١) الإشارة إلى آل طولون،
ولاة مصر، وكانوا بضعة عشر
رجلاً، نُقلوا مقبدين إلى
بغداد، حيث قُتلوا جميعاً.

(٢) هو وزير الخليفة
المكتفي. كان سفاكاً للدماء،
وهو الذي قتل بالسّم الشاعر
ابن الرّومي.

ولم أعثر على اسم
الشاعر. قاتل هذين البيتين.

دَارٌ - «دَارُ الْفَيْلِ»،

تتذكر، حين تراها، عامّ الفيل
وتذكرُ بالعدوى سجّيل.

أمشي حول الدّارِ، وأسمعُ حولي
أصواتاً

لكن،

لا ألمحُ أفواهاً تخرجُ منها.

هل أصواتُ النَّاسِ هنا
تتصاعدُ من أحشاء النّيلِ؟

* أَلْزَمَانُ دَمِّ سَائِلٍ وَالْمَدِينَةُ مُسْتَنْقَعُ،
فلماذا تُنكسُ هاماتنا
للخلافة، أو نخضعُ؟

الذّكرة

٢٩٢هـ - ٢٩٣هـ.

كانوا بضعة أشخاص،
قُتلوا في بغداد،

وكانت تلك

نهاية عهد^(١).

*

مات القاسم^(٢) ابنُ عبيد
الله، السّفاح. ابتهج

النّاس. يقول الشّاعر فيه:

«شربنا عشيّة مات الوزير،

ونشرب، يا قوم، في

ثالِثه

فلا قدّس الله تلك العظام،

ولا بارك الله في وارثه».

- ق -

أَلْخِيَالُ وَبُرْهَانُهُ

المَقَابِرُ، ظِلُّ النَّحِيلِ، النَّحِيلُ،

الْيَمَامُ، الْحَدِيثُ مَعَ النَّيْلِ،

إِيزِيسُ،

لَيْلُ التَّوَعُّلِ فِي كَوَكَبِ الْقَصِيدَةِ.

أَثْرَى هَذِهِ كُلُّهَا

لَعَنَ فِي الرُّجُوعِ الْقَرِيبِ إِلَى حَوْلَةِ الْبَعِيدَةِ؟

الذَّاكِرَةُ

٢٩٤هـ.

بَعْدَ مَقْتَلِ ابْنَيْهِ^(١)، يُشْعَلُ
خَزْبًا.

فَتَلُوهُ، وَشَقُّوهُ،

كَمَا قِيلَ،

أَحْشَاءُهُ.

* إِنَّ أَخَذْتُ الزَّمْنَ

وَهَجَرْتُ نَفْسِي مِنْهُ،

أَتْرَانِي إِذَاكَ أَعْرَفُ أَنِّي، وَكَيْفَ،

وَمَاذَا يَكُونُ الْوَطْنَ؟

(١) الإشارة إلى زكرويه،

وإلى ابنه يحيى والحسين.

ونفسال إنه قتل من

الحجاج في طريقهم إلى

مكة، عشرين ألفاً.

الذّكرة

٢٩٥هـ.

قُبْضِ الْمُكْتَفِي:

قَاذَةٌ وَقُضَاءُ

يُجْمَعُونَ عَلَى خَلْعِ وَاثِهِ

المقتبذ^(١)،

وعلى أن يكون الخليفةُ

شخصاً جديراً.

سألوهُ^(٢)،

استجاب، ولكن

بشرط: لا دم

لا قتال.

- ر -

ألفضاء الذي يلبسُ النَّيْلَ نَيْلٌ آخَرَ

أَفْتَقِيهِ،

أَتَهَجِّي تَقَاسِيمَهُ .

كَانَتِ الشَّمْسُ تُمَلِي عَلَيْهِ شُعَاعَاتِهَا

عندما كان وجهي يَشْطُحُ فِي وَجْهِهِ .

كُلُّ لَيْلٍ،

يَقُودُ النُّجُومَ إِلَى دَارِهِ:

هَكَذَا وَشَوْشَنِي بَرْدِيَّةً .

* أَتَذَكِّرُ أَنِّي التَّقِيْتُ عَلَى النَّيْلِ،

مَوْتِي مِرَاراً:

دَائِماً،

كَانَ يَبْدُو بِهَيْئَةِ طِفْلِ .

(١) كان عمره ثلاث عشرة سنة .

وقد زوي أن القاضي المثنى أحمد بن يعقوب، قال في هذا الصدد: «لن أبايع صبيّاً» .

(٢) هو ابن المعتز، الشاعر .

- ش -

أَلْخُلُودُ حَبِيبٌ إِلَى النَّاسِ، لَكِنْ
أَتَسَاءَلُ فِي هَذِهِ اللَّحْظَاتِ الْمَرِيرَةِ،
فِي ذَاتِ نَفْسِي، لِمَاذَا
لَا أَحِبُّ سِوَى الزَّمَنِ الْعَابِرِ؟
وَلِمَاذَا
لَا أَنْصَبُ ضَوْءاً يَسْوَدُ عَلَى الْأَرْضِ، إِلَّا
فَلَقَّ الشَّاعِرِ؟

الذّاكرة

٢٩٥هـ.

بايعوه،

وأعطوه اسماً

جديداً^(١).

لم يدم أمره،

خلعوه،

قتلوا كل من

بايعوه.

وأعادوا إلى

عرشه، المقتديز.

* كيف تاهت غزاة عينيهِ عن دَرَبِهَا؟
هُودًا حَاضِنُ نَخْلَةٍ
تَمَائِلُ سَكَرَانَةٍ
وَتُحَدِّثُ عَنْ حَبِّهَا.

- ت -

رُبَمَا التَّيْلُ جُرْحٌ
من هِيَامٍ وَتِيهِ
حَفَرْتُهُ عَلَى جَسَدِ الْأَرْضِ،
رَيْشُهُ خَلَّاقِهَا،

رَبَمَا التَّيْلُ وَعَدُّ لِمَثَلِي -
لِمَلَايِكَ يَأْتُونَ لَيْلًا إِلَيْهِ،
يَسْهَرُونَ، يَجُوسُونَ أَحْشَاءَهُ
وَيَنَامُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

* ما أقول وما لا أقول
وَحَشَّةٌ فِي طَرِيقِي إِلَى عَتَبَاتِ الْأُصُولِ،
وَمَا يَتَخَطَّى الْأُصُولُ.

الذَّكْرَةُ

٢٩٥هـ.

يسأل الناس: مَنْ

منهما بُيَاعُ،

أو يسألون: لِمَنْ

نتصِرُ؟

حَبْسُوهُ^(١)،

أَخْرَجُوهُ مِنَ الْخَيْبِ،

مَيْتًا.

عندما بايعوه^(١)،

سألوا الطّبريّ^(٢) عن

الأمر، ما رأيه؟

قال:

- كلاً، لن يتم له

الأمر؟

- كيف؟ لماذا؟

- أنيتم،

برجاءٍ كبيرٍ

كلهم يتقدّم في زمنٍ

يُذبرُ

كلهم خامسٌ

وهو أوّل من يخسر.

- ث -

تهتّ في التّبلّ - في ضوئه وفي ظلّه .

تهتّ، أبحرّت في سفنِ جارياتٍ

بأسراره

في سرّيرِ أساطيره .

كَانَ نَحْلِي يُعْنِي

هذه السّفنُ الجارياتُ، وكان عراري

شاعراً آخرأ يتبطّنُ الآءها

ويغني مجاذيقها،

وحيازيمها،

ويغني الصّواري .

* قُلْ لَشِعْرِكَ - هذا الصّديقِ الأمينُ:

جِسْمِي الآنَ نَفِي لِحِسْمِي، -

وَلَهُ يُلْهِمُ العِشْقَ، يَلْتَهُمُ العاشِقِينَ .

(١) الإشارة إلى ابن المعتزّ .

(٢) هو المؤرّخ والفقيه

المشهور محمد بن جرير

الطبريّ .

قتل ابن الرضا:

فقطعوا رأسه،

نصبوه على الجسر

أمثلة

للذين يقولون

أقواله

أو يقولون عنه:

سهجة نهجنا.

- خ -

سأشبهه نفسي بالنيل:

تَرَحَّالٌ فَيُضِرُّ

وَمَسْرَاهُ مَسْرَائِي،

وَالْأَرْضُ فِينَا

«وَزُدَّةٌ كَالدَّهَانِ».

غير أَنَّ حياتي قَلَقٌ وَمَجَازٌ

وَشِعْرِي كَالشَّمْسِ: مِن لَّا مَكَانُ.

* بَلَدٌ - لَمْ يَقُلْ مَرَّةً:

أُحِبُّ. اتركوه، إذْنُ،

لِلوَحُوشِ الَّتِي تَسْتَبِدُّ

بِأَحْسَانِهِ.

- ذ -

مَا أَقُولُ لِيَوْمِي، هُنَا،

مَا أَقُولُ لِأَمْسِي؟

أَتَرَاهُ الزَّمَانَ سَيُصْغِي؟

فِي شَخْصَانِ: شَخْصٍ

لِلْمَكَانِ، وَشَخْصٍ

لِتَقَالِيدِهِ،

وَأَنَا تَالِثٌ.

لَا أَجَادِلُ شَخْصِيَّ، أَتْرُكُ لِلشَّعْرِ أَمْرَهُمَا،

وَأَجَادِلُ نَفْسِي.

* أَلْمَكَانُ يَغْيَرُ أَهْدَابَهُ

وَتَقَاطِيعُهُ:

سَوْفَ يُصْبِحُ، بَدَأَ مِنْ الْيَوْمِ، أَتُنِي.

الذَّاكِرَةُ

٣٠٤هـ.

قِيلَ: «رُزْدٌ» الْكَلَامُ

إِلَى أَصْلِهِ،

وَلِهَذَا

فَطَعُوا رَأْسَهُ،

ضَلُوبَةٌ عَلَى نَاقَةٍ!*

(١) الإِشَارَةُ إِلَى شَخْصٍ
اسْمُ خَائِدِ الشَّعْرِ مِ. وَكَانَ
عَامِلًا عَلَى كَرْمَانَ وَبَحْتَانَ،
وَقَدْ تَمَرَّدَ وَسَمَّى نَفْسَهُ أَمِيرًا.

الذّكرة

٣٠٤هـ.

كان إماماً^(١)

في الفقه، وكان

يُحِبُّ الشَّعْرَ،

ويعلن أنّ الحقَّ إمامٌ

والعدلُ إمامٌ.

لكن، مع ذلك،

مات فتيلاً.

- ض -

سَأَقُولُ لِذَاتِي: تَجَلَّبِي

فِي قَمِيصِ الظُّلَامِ لِكِي أَتَقَصِّى مَدَاهُ،

وَأُحْسِنَ قَبْضِي عَلَى النُّورِ -

يَا ظُلْمَةَ الْيَوْمِ. فِي كُلِّ وَجْهِ

أَثَرٌ مِنْ شُعَاعِكَ، وَالتَّيْلُ قَيْضٌ

بَيْنَ تَدْيِيكَ. إِيْزِسْ تَفَاحَةً

فِي سَرِيرِكَ أَمَارَةً -

أُمَّةٌ أَنْتِ، حَقًّا.

* أَنَا وَالتُّورُ فِي هِجْرَةٍ:

جَسَدَانَا وَأَحْلَامُنَا دَارُنَا

يَتَحَرَّرُ فِيْنَا الْمَكَانُ،

وَمَا يَتَرَمَّدُ تَوْقِظُهُ نَارُنَا.

(١) الإشارة إلى الناصر العلوي المعروف بـ «الأطروش».

- ظ -

أَتَوْهَمُّ؟ كَلَّا

لَمْ أَشَاهِدْ بَعِيْنِيْ كَافُوْرَ،

شَاهَدْتُهُ

بِالصَّدَاقَةِ مَخْنُوْقَةً

بِالْحَيَاةِ - انْكَسَارًا وَهَوْلًا.

هَكَذَا سَاجَاهِرُ: كَافُوْرُ دُنْيَا

وَكَافُوْرُ أَرْضِ.

هَكَذَا سَوَفَ

أَرْتِي لِعَضْرِي.

الذّكرة

٣٠٤هـ.

الرّووسُ تُقَطَّعُ، تُهْدَى

لِبَغْدَادَ: مِنْ كُلِّ

صَوْبٍ،

وَاحِدًا وَاحِدًا

فَوْقَ صَخْنٍ،

أَوْ مُدَلِّي عَلَى رَأْسِ

رُفْحٍ.

لَمْ يَعُدْ فِي الْخِلَافَةِ إِلَّا

اسْمُهَا.

* أَتْرَاهُ وَفْتِي

فِي هَذَا الْفَلَكِ السَّاحِرِ - مِضْرَ، فِرَاعُ

لَا يَمْلُؤُهُ شَيْءٌ؟

- غ -

هَيَّأَتْ خُبْرَهَا . إِنَّهُ النَّيْلُ يَوْمِي . ماذا؟

كَتَبَتْ وَجْهَهَا

فوق وجه الرغيف .

جَبْرُهَا؟ أَخَذَتْهُ

من هبوب الشتاء ، ومن خَمْرَةِ الصَّيْفِ

مَسْكُوبَةٌ فِي دِنَانِ الْخَرِيفِ .

الطَّرِيقُ إِلَيْهَا وَإِلَى خُبْرَهَا ،

رَبِيعٌ .

إنها الراحلون، أنا

لا نزال بعيدين

عن قُصْدِنَا؟

هل أمد إليكم

يدي، وأمع

صدرتي؟ قولوا

لم أعد أتذكّر

من أين جئت،

إلى أين نمضي؟

* نَوْرَسٌ يَتَمَوَّجُ ،

وَالنَّيْلُ يُسَلِّمُ أَعْضَاءَهُ لَأَعْضَائِهِ .

سُرَّةُ الْمَاءِ لِلْحَالِمِينَ سَرِيرٌ .

هوامش
(يوميات المتنبي)



.II. دييجور

١ - رغبة

أتخيل بغداد، لكنني أحيي
حلباً وأحيي
كوفة الثائرين - أهدي، ذكرياتي،
وأجلسي. ركبتي سريان.
هذي عروقي
عطش جارف. وهذا
كبد الوقت: من جمره
تندفق هذي الوجوه التي تشرذ.
ماذا؟ إهدني واجلسي.
أفلاً ترغيبين هنا، الآن، أن تسمعيه
يتكلم: ذاك الذي كان يحيا
أبدأ صامتاً، بيننا؟

٢ - حلم

حلمٌ نسيْتُ سريرهُ
يأتي إليّ، يَجْرُ قافلةَ الظنونِ.
عَسَلْتُ وَجْهِي
برحيقهِ ، -
أتذكرُ الآنَ: انحنيتُ لوجههِ
فمَضَى . لماذا .
ولمن يعودُ، ولم أعدُ ما كُنْتُهُ؟

كُنَّا وَفَرَقْنَا الطَّرِيقُ
هو جدولٌ وأنا حريقٌ .

٣ - مناجاة

قلت لي: نادِمْ؟

أيها الجسم - جسْمِي . هل صِرتَ غيري، إذن؟

بيننا أَلْفُ حَزْبٍ وَحَزْبٍ

وكثيراً جرينا معاً

لملذاتنا

وسهرنا نقطر الآءها،

ونمت، ولكنتي لم أُنم

بيننا أَلْفُ حَزْبٍ وَحَزْبٍ

بيننا ظلمات

بيننا ما أخاف التَبَسُّطَ فيه،

وأجبنُ عن ذكره:

هكذا،

لا أكرّر ما قلته . لا أطيقُ النَّدْمَ .

٤ - نُوح

المساء . كأنني أراه
أتياً من سَمَرْقَنْدَ في موكبٍ
من مآذن . يمشي
وعلى وجهه وهم شمس .
يتسلق حُضْرِي ، يكبو على كتفي . سهام
تترأى على دُرْبِ غزلانه - المساء كشيخ
توحد في غرفة الكون منتظراً ضيفه - الموت . أضغي
لحفيف غريب : تُراه
طائر الموت ؟ لكن هذا النوح
ليس قبراً ، ولم تنبأ بقيثاره الرياح .

٥ - تأويل

رجلٌ يَجرحُ جذعَ النَّخلةِ قُربَ الجامعِ . يَروي

أَنَّ الرُّطْبَ السَّاقِطَ مِنْهَا سُمٌّ .

هل يتوهَّمُ؟ هل يتنَسَّقُ سِحْرًا؟

أعطيتُ النَّخلةَ زندي .

قلتُ لِغُصْنٍ :

كَيْفُ الشَّمْسِ تحنُّ إليك . وقلتُ لآخرَ : أنتَ سريرٌ

وسيرقدُ فيه ، يوماً

طائرٌ حبٌّ .

رَجُلٌ آخرُ جاء ليحرقُ جذعَ النَّخلةِ . يَروي

أَنَّ الرُّطْبَ السَّاقِطَ مِنْهَا

ليس جَنِينًا .

٦ - التباس

لم أعد أتعجبُ، إن كنتُ سُويتُ من طينةِ
أو من التَّمْرِ - نُصباً
يتعبدُ آلاءُ سَقِيٍّ
وإذا جاعَ وافتقدَ الخيرَ راحَ إليه
يتذوقُ أشلاءَهُ لقمَةً لقمَةً.

لم أعد أتعجبُ إن كنتُ سُويتُ شيئاً
ليُقطعَ بي كلُّ رأسٍ يقولُ: الخليفةُ لا رأسَ له!
أَلخليفةُ - آه الخليفةُ! آه الجنودُ الحروبِ السَّجونِ المجاعاتِ
ألهةٌ من عبيدٍ،
وألهةٌ سادةٌ،
والخليفةُ - آه الخليفةُ! من أينَ يا لغةَ الضادِ،
تبدأُ هذي الفجيعَةُ،
أو هذه المهزلةُ؟

٧ - رحلة متخيّلة

(أ)

ألعناكبُ ينسجُنُ قُمصائهنَّ . السَّماءُ
رَمَتْ صدرَها
في ذِراعِي صباحٍ له وجهُ طِفْلِ .
وأزى حولَهُ
أمومةٌ أرضِ
تأسرُ الطَّيْرَ في عُشِّهِ .

ضَجَّةٌ . لا الشَّجَرُ
لا الجداولُ . لا الرِّيحُ . لا الرَّعْدُ . لا خطواتُ .
ضَجَّةٌ في فضاءِ النَّظَرِ .

٨ - رحلة مُتخيِّلة

(ب)

أَلطَّرِيقُ وَأُنْيَابُهَا، -

رَبِّمَا تَأْخُذُ الرِّيحُ هَذي الطُّلُولَ . نَبْوءَاتُ رُعبِ
تَتَفْتَحُ فِي قَدَمِيَّ وَفِي العُشْبِ . حُذْنِي
أَيُّهَا الضُّوءُ فِي سَاعِدِيكَ ، وَفِي خَطَوَاتِكَ . عَيْنَا
هَذه الصَّخْرَةَ التَّبَاسُ
فِي طَرِيقِي . نَسِيَانُ هَذي الطَّرِيقِ؟ أَيَّنَسِي
قَدَرُ نَاطِرِيهِ؟

أَتَرَاهُ القَدَرُ

لَعْنَةُ اليَاسِ فِي شَهَوَاتِ البَشَرِ؟

٩- رحلة متخيّلة

(ج)

هُودًا يَقتَرِبُ الذَّبُّ، ولكن
ليس في عينيه نارٌ.

أين غابت هذه الأسطورة الحية؟ عُرِّي
في فضاء الورق الساقط. أضغاثُ رياحٍ
والخريفُ انكسرت أجراسه.

يضع الذَّبُّ على أهدابه
شبحاً يَتَبَعُ

ما الذي يكتبُ هذا الورقُ الميتُ، بماذا يَعدُّ؟

١٠ - رحلة متخيّلة

(د)

الرَّمْلُ يَغمر وَجَهَ دَجَلَةَ . هذه

صَرَخَاتُ حَبِّي :

وَجْهُ الأَلُوهِةِ وِرْدَةٌ ذُبُلْتُ . بلادُ

صَدَأُ صَدِيدٌ ،

والعابرونَ يعانقونَ غوايَةَ الجُرْحِ القَدِيمِ .

بغدادُ فِتنةٌ شاعِرٍ . هذي عكاظُ؟ أمِنَ جَدِيدِ

تَصْحُو وتَسْكُرُ تحتَ قوسِ جِراجِها؟

أهُوَ المِكانُ ، يُشَقُّ صَدْرُ نَبِيِّهِ ،

أهُوَ السَّدِيمُ؟

III

فاصلة استباق

إنه النَّيْلُ -

«فاضَ المال، وكثرت الفتن،
وظهر دجالون كلُّهم يزعم أنه الحق»،

إنها القاهرة،

القرن العاشر جسدي كنتُ فيه الجنونُ
واستأثرَ بيَّ العقل كنت المحوَّ (وربَّما
سيقول التاريخُ إنِّي الذَّاكرة)

النَّيْلُ، - أشير إلى الصَّوء لكنهم لا يعرفون
في سريره تكتشف السَّماءُ
لذَّة النَّوم. لذَّة النَّوم.
في خطواته تكتشف لذَّة اليقظة.

أنظروا - الفضاء أنا،

يرسل النَّيْلُ تحياتِه وشعري غيومه الممطرة.
مكتوبه إنه الوقتُ ليأخذَ كلَّ شيءٍ اسمه
على جسدِ الشَّمسِ. ولكي ترسمَ الطَّريقَ.

هكذا أقول لمصر وأشياؤها:

وُلدتِ في نَسَقِ الشَّمْسِ،

وأنتِ مغامرةُ البدءِ.

ها هي

جدائلُ الشمسِ

تتبلُّ بماءِ النيلِ.

إنه النيلُ، -

ينجسُ إليّ من أغوارِ العناصرِ،

ودوريّ الآن أن أتشبه به -

ماذا أفعلُ يا سيّد الأساطير؟

رَمَنٌ -

فقاعاتُ تعوم

على وجهِ النيلِ.

التهبُ يزفر في اللّغة، -

قلبك، أيُّها العالمُ، الوحش؟ إذن

سيكون شعريّ الفتك .

النيل هادئ؟ عنيتُ: ها هو الطوفان.

ماء الموت للنيل

هو نفسه

ماء الحياة.

أسمعُ النيلَ:

لا يسقط الحب من السماء

إلاّ لأنّه يصعد من الأرض .

«بمائه اغتسلت

النبوة الأولى»:

قالت الأرض مرّة

تصف النيلَ،

ألن تطرح عنك أخيراً، يا صديقي النيل،

عِبء تلك السماء التي تجثم على كتفك؟

وأرجوك

أن تفهم فيضاني في اتجاهه أحبابي .

ولا تزال السماء تكرر

ما قالت الأرض.

أنا ضراوة الانشقاق
رفضاً للنخاسين «مَحْفَلِ القروذ»
«المرترزين القابضين على الزمام»
«دولة الخدم» .

من خيوط مائه
ينسج النّيل
ثوباً واحداً
لفرحه وحزنه،
هو ثوبه الوحيد.

أنا الشُّبهاتُ وأنا الحقُّ
يا لهذا العالم - الخديعة :
«بكلّ أرضٍ وطنتها أممٌ
تُرعى بعيداً كأنها غنمٌ
إني وإن لُمْتُ حاسديّ، فما
أنكر آتي عقوبة لهم» .

كلّ يوم
يُلقي النّيلُ
من أعلى قِمّةٍ
في جبل الحكمة،
موعظة الماء.

وأسألك، أيها النّيلُ :
من أين تجيء هذه اللانهاية
التي ترفرف على وجهك؟
أنا الواحد،
وكلّ شيءٍ فيّ متناهِرٌ
و«اسمي في السّماء: لا» .

يحضن النّيلُ
السّفن والقوارب
كأنها بيوتٌ
وأسرّة
لأطفاله.

أعرف الآن

لماذا آثر أبو الهول الصمت :
أرتج عليه ،
وهو يحاور النيل .
لك شكل
أيها السيد النيل
لا ينتهي من التشكل :
علمني الشعر يا صديقي .

للنيل بشرّة
يتصاعد من
مسامها ضوء
ليس الجسد
وليس الجنس ،
وليس شيئاً آخر
غيرهما .

إذن ، سأعترف :

خُلقت بجسمين - واحدٍ يعذبني ،
وآخر أعذبه .

هكذا أمسحُ أعضائي
وأبتكر للشعر خطايا .
سلامٌ لللعصاة في الشعر ،
سلام لمن يهوس
ويُضلل .

هل يمكن
أن يُقال :
وداعاً ، للنيل ؟

(١) في الزواجة أن أم
المعتد، واسمها شغب أمرت
قهريمانه لها اسمها نمل وفي
رواية نمل أن تجلس بالزواجة
للمظالم، وتنظر في كتب
الناس.

انتفع بذلك المظلومون،
وأكثر ذلك الكثيرون
واشتبَعوه.

(٢) قال الإمام السيوطي:
«صار الأمر والنهي لحرم
الخليفة ولنسانه، لركاكنه.
وإن الأمر إلى أن أمرت أم
المعتد بمثل القهرمانه أن
تجلس للمظالم وتنظر في
رقاع الناس كل جمعة.
فكانت تجلس وتُحضر الفضاة
والأعيان وتبرز التواقيع وعليها
خطها».

إنها القاهره، -

أدخل الآن في طفسها، وأعني لها

ويغني معي

قصب الليل - (يوماً، كيوسف، لكن

في منامي، أتيت إلى القاهره

زرت أمون في بيته.

وكتبت وغيبت مُستسلماً

لهوى امرأة راودتني عن نفسها،

ولكنها لا تحب سواه).

قل لي الآن، يا نيل، من أين تأتي

إلى أين تمضي خيول تباريحك الثائرة؟

الذاكرة

٣٠٦هـ.

إجلسي^(١)

وانظري في شكواهم،

وحذيتهم بزق

الكلام، وصدق النظر.

غضب الفقهاء^(٢) من الأمر

واشتكروه:

كيف لامرأة أن تولي شؤون

البشر؟

* لِمَ، هذا المساء،

يحجب الليل عني

نجمه، كنت هيات نفسي

كي أسامر في ضوئها

فلنك الأصدقاء؟

الذّكرة

٣٠٩هـ.

قال عَزِيبٌ^(١):

«كان الحلاج غويّاً ينتقل في
البلدان،

يموء

بين السنة سنيّ،

بين الشيعة شيعيّ،

معتزليّ، إن قابل شخصاً
معتزليّاً».

- ب -

لَمْ تَعُدْ لَدَّتِي

مِثْلَ تَبَعِ يَهِيمٍ عَلَى وَجْهِهِ .

لَمْ تَعُدْ قَامَةً الرِّيحِ مَسْكُونَةً

بِجِدَائِلِ أَحْلَامِي الطَّوِيلَةِ .

رَافِعٌ غَضِيبِي رَايَةً

وَأَقُولُ الْكَلَامَ الَّذِي يَنْتَفِقُ رُفْضاً وَهَدْمًا .

وَلِهَذَا أَعْتِي ، أَنْصَبَ نَفْسِي

عَاشِقَ الطَّرِيقِ الْمَسْتَحِيلَةِ .

* جَسَدِي يَتَمَرِّقُ مُسْتَنْزَفًا

بَيْنَ مَا قَلْتُهُ ،

وَمَا لَمْ أَقُلْ .

(١) عَزِيبُ بنِ سَعْدِ الْفَرَطِيِّ،
فِي «الضَّلَّة» الَّتِي كَتَبَهَا تَكْمِلَةً
لِتَارِيخِ الطَّبْرِيِّ .

- ج -

أَخَذْتَنِي إِلَى بَيْتِهَا تَفَرَّتِي
وَسَقَّتَنِي إِكْسِيرَهَا .

(وَحَدَهُ الشَّعْرُ كَانَ الْمَقَامَ

الَّذِي نَتْسَاكُنُ فِيهِ) .

وَأَرَى النَّيْلَ يَلْبَسُ أَهْدَابَهَا

(لَا تَقُولِي لِي الْآنَ مَا لَمْ تَقُولِي

مِنْ قَبْلُ) لِلنَّيْلِ رَوْحٌ تُرْفَرُفُ ،

وَالكُونُ وَجْهٌ لَهَا .

أَرْضُهُ نَسْوَةٌ ،

وَالنُّجُومُ عِرَائِسُ يَخْرُجْنَ مِنْ ضَلْعِهِ .

قال عَرَبِيٌّ :

«كان الحلاجُ خفيفاً

في الحركات -

يُسْعَوِدُ: مَحْرَقٌ

حَتَّى اسْتَهْوَى

مَنْ لَا يَفْهَمُ شَيْئاً» .

* رَبِّمَا يَنْبَغِي

أَنْ أُخِيطَ الرِّيحَ وَأَنْ أُتَنَزَّهَ فِي إِبْرَةٍ .

هَلْ الْأَيْسُ نَارَ الظُّنُونِ،

وَأَمْكُرُ؟ أَشْيَاؤُهَا

مَكَرَتْ وَمَكَرْتُ: المَدَائِنُ قَلْبُهَا

صفحة، صفحة -

قَدَمِي تَتَقَدَّمُ، رَأْسِي فِي حَلْوَةٍ:

أَعْلُو، أَمْهَوِي

أَمْ جَنُونُ أَقَاصِي؟

شَعَفْتُ لِأَعْيَجُ، شَعَفْتُ جَارِفُ، -

نَشْوَةٌ أَنْ تُهْدَمَ أَسْوَارُ

هذِي المَدَائِنِ،

وَالشَّعْرُ مِعْرَاجُكَ العَاصِفُ.

قال غريب:

كان الحلاج يُجاهِرُ

إني الرُّبُّ،

و «ما في الجبّة غيرُ

اللّه»، وشاعثُ

كتب أملاها

مُبلثُ

بحمافات،

وكلامٍ مقلوبٍ،

وبكُفْرٍ.

* لا أَسَافِرُ

إِلَّا لِصَيْدِ الكَوَاكِبِ،

وَالأَفُقُ لِي جُعبَةٌ.

رُبَّما يَنْبَغِي

أَنْ أُسَلِّسَ جِئْسَ النَّطَائِرِ، جِئْسَ الْمَجَازَاتِ،
جِئْسَ الْفُرُوقِ، وَأَصْرَحَ: أَهْلًا
بِالسُّطُوعِ، - التَّسَاءُ يُرْتَلَنُ
أَحْزَانَهُنَّ،
السُّهُولُ هَوَادِجُ مَحْمُولَةٌ
فِي قَوَائِلَ مِنْ كُلِّ زَهْرٍ.
رُبَّما، رُبَّما. وَظَنِّي،
أَتْنِي سَأَقُولُ لِدَرْبِي خُذِينِي
خُطُواتِي رِيأَحَ لَوَاقِحَ يَصْرُخُنَّ حُبًّا.

قال غريب:

«كان الحلاج يقول

لُبَّغِضِ مِمَّنْ تَبَعُوهُ:

أنت محمد،

موسى أنت،

ونوح أنت.

أنا من قال

لأزواجهم

أن تهبط

فيكم».

* وَرَدَّةٌ - (لن أجاهر أُنِّي وكيف) ولكنني

أَتَغْطِي هُنَا الْآنَ فَوْقَ فِرَاشِي

بِأَهْدَابِهَا.

آه منه، وآه عليه
ذلك الشاعرُ المتشردُّ في وجهه،
وفي أصغريه.

هُوذا عَصْرُهُ الْمُرُّ
يَسْتَجْمِعُ الْكَلِمَاتِ،
وَيُسْلِمُ لِلضَّرْبِ أَعْنَاقَهَا.

لنسورٍ تطايرن من قلبه
ويَمَمْنَ جَوْأً بعيداً،
ينحني ويقول: وداعاً.

أترى عنده موعدٌ آخرٌ؟

* اللّياالي نساءً
والتّوافذ من حولهنّ طيوفٌ.

قال الزاوي :

«قال غزيبٌ،

هذا اليوم،

كلاماً

كادت لغتي

أن تهرب منه».

- ز -

مُثْقَلًا بِعَجَائِبِ هَذَا الزَّمَانِ:

أَنْمَرُدُ فِي مَحْبَسِ

وَأُعْتِي وَعُنُقِي

يَتَوَسَّدُ سَيْفًا.

وَبِشْعَرِي أُدِينُ، بِشْعَرِي أُبْرِي: شِعْرِي

شَهْوَاتِي وَجَيْشِي

وَحَرْبِي - لَا تَنْتَهِي،

وَالرَّهَانُ.

قال عُرَيْبُ:

«كان الخلاج يقول:

أنا أهلكك ثموداً».

و«يغيب عن

الأتباع، وينزل

من طبقات الجو

عليهم».

* رَّبِّمَا خَبَأَ اللَّيْلُ سَكِينَهُ

فِي يَدَيِ نَجْمَةٍ.

(١) محمد بريحي
الضولي.

- ح -

خِطْتُ صَدْرِي بِصَدْرِكَ يَا شَمْسُ . أَمْشِي ،

أَتَرْتِخُ وَالْيَأْسُ رَقْصِي :

قَدَمِي لِلْغُبَارِ ،

وَإِيقَاعُهَا لِلشَّقَاءِ .

آيَةٌ آيَةٌ

يَنْزَلُ وَقْتِي هُنَا فِي كِتَابِ

لَا يَرَى كَيْفَ أَحْيَا

وَيَشَاءُ الَّذِي لَا أَسَاءُ .

قال الضولي^(١):

«الحلاج جهول،

لكن يتعقل،

وهو عبي، لكن

يتفصح،

وهو الفاجر لكن

يلبس كي بتثك -

ضوفاً».

* حملته إلى أرض أحلامه النَّائِيه
شهوةً عاليه .

- ط -

مِصْرُ، هَذَا هُوَ الْخَيْطُ بَيْنَ أَثِينَا وَبَيْنِكَ:

طَالِيْسُ بَرْدِيْهِ سَاهِرٌ

وَعَلَى شُرْفَةِ النَّبْلِ

بِيَزْنِطِيَا

تَتَأْمَلُ أَسْرَارَهَا

فِي تَقَاطِيعِ أَيْقُوْنِيَّةِ.

مِصْرُ: لَا عَرَبَ لَا شَرْقَ، بَلْ وَحْدَةُ الْبَدْءِ

فِي الْقَلَمِ الْفَاطِرِ

تَتَجَدَّدُ فِي لُغَةِ الشَّاعِرِ.

قالوا:

«نُوظِرُ يَوْمًا:

لَا يَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ

أَخْبَارِ النَّاسِ،

وَيَجْهَلُ أَهْلَ الْفِكْرِ،

لَا يَعْرِفُ حَتَّى الْقُرْآنَ،

وَحَتَّى الْفِئَةِ،

وَيَجْهَلُ حَتَّى الشَّعْرَ».

* مِنْذُ أَنْ كُنْتُ طِفْلاً

كُنْتُ أَسْبِخُ فِي لُجَّةِ الْبَدْءِ،

فِي مَاءِ شَيْخُوخْتِي.

- ي -

مِن مُعَاوِيَةَ وَالرَّشِيدِ وَمَرْوَانَ، لَمْ يَبْقَ
غَيْرُ الْحُرُوفِ الَّتِي عَرَفْنَا
بِأَسْمَائِهِمْ .

غَيْرَ أَنِّي أَرَى الشُّعْرَاءَ وَأُضْغِي
كَيْفَ يُسْتَنْقَرُ الزَّمَانُ لِكَيْ يَتِمَّاهِي
بِتَارِيخِهِمْ وَمِيرَاثِهِمْ، وَكُلُّ
عِنْدَ أَصْحَابِهِ نَبِيٍّ .

قالوا:

«بُخِيي الخَلَّاجُ

الموتى،

والجئ لهُ خُدَامُ» .

* كَبِدُ الْوَقْتِ مَقْرُوحَةٌ، -

هل أسائلُ سُحرورَ هذا الصَّبَاحِ :
لِمَاذَا تَغْتِي؟

- ك -

أُصْغِي -

في هذا الشارع أصواتٌ

أسمعُ فيها

همساً من يونانَ، وجرساً فينيقيّاً.

وأحسُّ بفتنةِ بابلَ: حقّاً

مصرُّ صحيفةٌ بدءٌ

فيها رسمت ريشةُ آدمَ

وجّه العالمَ.

قالوا:

«كانت بغدادُ

تُسائلُ كلَّ مكانٍ

فيها: هل أنتَ

شريكٌ حقّاً

في نيرنجِ الحلاجِ،

وماذا تعرفُ عنه؟».

* كم تخيلتُ فينيقيا:

وطنَ مركبٍ،

والطريقُ إليه

كثفاً موجهةً.

- ل -

مِنْ أَيْنَ يَخْفُقُ هَذَا النَّجْمُ فِي كَبْدِي؟

خَزَمْتُ صَدْرِي بِأَوْجَاعِي وَطَفْتُ عَلَى

أَطْلَالٍ حَبِي - أَرَاهَا كَيْفَ تَسْجُنِي

بِرِيحِهَا،

وَتَبَقِّنِي وَتَزْنِجُلِي.

يَا لِلْفُجَاءَةِ: ثَوْبُ الرِّيحِ مُنْخَرِقٌ

مُعَقَّرٌ

وَرَمَادُ الْأَرْضِ يَشْتَعَلُ.

قالوا:

«كانت كلُّ دفاتره

من ورقِ صيني.

بحريرٍ وبديباغٍ

بطنها.

وبماءٍ من دهبٍ

خطَّ رؤاهُ».

* هل أقولُ: سريري

قاتلي وأميري؟

- ٣ -

فِي السَّوَارِعِ، بَيْنَ الْمَادَنِ، فِي كُلِّ حَيٍّ

وَفِي كُلِّ أَرْضٍ،

أَصْغَ لِلصَّوْءِ، لِلوَقْتِ، لَا تَلْتَقِثُ

إِلَى الْعَابِرِينَ .

وَاعْتَرَبَ وَاضْطَرَبَ

حَائِراً

يَسْتَضِيءُ بِقَافِلَةِ الْحَائِرِينَ .

قالوا:

«كان الحلاج كثير

الأسفار، وزار الهند،

وفيها

زار امرأة

خرجت معه نحو البحر،

وكانت

تحمل غزلاً ملفوفاً

فيه عقده

تشبه أدرج السلم

قالت بضعا من

كلمات.

صممت، جلست،

قامت،

صعدت في خيط

الغزل، وغابت».

* عَابِرُ الرَّمْلِ بَقَعَ مَاءَ كَوَاكِبِهِ الْآفِلَهُ
بِدم القافله .

- ن -

عَصَّةُ الشَّمْسِ فِي كَتَفِ التَّيْلِ،
رَزَقَاءُ،

وَالضَّفَقَاتِ تَمْدَانِ مَهْدَأُ

لِلْحَقُولِ - النَّبَاتُ

تُولِمُ أَثْدَاءَهَا لِعُشَائِهَا.

أَهْوَ الْحَبُّ يَنْزُلُ فِي شَكْلِ دَمْعٍ
عَلَى وَجْتِي،

أَمْ هُوَ التَّيْلُ يَخْرُجُ مِنْ صَمْتِهِ

وَيَقْصُ تَبَارِيحَهُ عَلَيَّ؟

قالوا:

«كنا ننظرُ».

كان الصَّانِرُ مَيْتًا.

غَطَّاهُ بِكُمِّهِ،

هَمَسَتْ شَفَتَاهُ

كَلِمَاتٍ لَمْ نَسْمَعْهَا.

عاد الطَّائِرُ حَيًّا.

قالوا:

«إن لم نقتله،

اقتننا النَّاسُ

بِعِلْمِهِ».

* الفراغ الذي يتقدّم نحوي كريم،

أُحْيَيْكَ يَا أَيُّهَا الصَّدِيقُ،

وأرجوك: لا تمتلئ.

- س -

حَوْلَةٌ - أَتَحِيلُهَا هَا هُنَا،

وَأَقُولُ الْهَلَالُ الَّذِي يَتَسَكَّعُ

فِي مَا وَرَاءَ التُّجُومِ سِيَّاتِي إِلَيْهَا،

وَالطَّيُورُ الَّتِي يَرَسُمُ اللَّيْلُ أَعْنَاقَهَا

سَوْفَ تَأْتِي،

وَسِيَّاتِي إِلَيْهَا

لَا زَوْرُدُ الْمَكَانِ - تُرَانِي أَهْدِي، وَلَكِنْ

هَا هُوَ اللَّيْلُ يَمْسِي إِلَى جَنْبِهَا.

قالوا:

«ضربوه أنشوطاً

لم يُحصوها.

فقطعوا رجليه، يديه،

خزوا الرأس،

وقالوا: نصبوه فوق

الجسر، وقالوا:

حُمل الرأس إلى

بلدانٍ أخرى

كي يُنصبَ فيها».

* غَيْرَةٌ،

سَأَقُولُ لِعَاشِقِ إِيزِيسَ : دَعْنِي أَلَامِسَ

بِأَحْشَائِي الْخَافِقَةَ

نَارَكَ الْعَاشِقَةَ .

- ع -

كوكبٌ يتسكعُ حيرانَ في كلِّ حيٍّ،

والتوافذُ صفراءُ. ليلٌ

يزفر الآنُ أحزانهُ

ويقولُ النهارُ مريضٌ.

ومن ذلك الذي يغررُ السهامُ

في صدور أحبائنا؟

ربما ليس للضوء، في ظلِّ كافور،

متسعٌ للمقام.

قالوا:

«أحرق جنم الحلاج

وذُر رماداً

في دجلة. قالوا:

فاضت دجلةُ

حياً».

* أسمعُ في الطرقاتِ كلاماً - يَبْدُو حيناً،

سِرْبَ خِزَافٍ،

وقطيعَ جِمالٍ، حيناً.

- ف -

شَبَّحَ - كيف جاء، ومن أين جاء؟
له وَجْهٌ رَبِّ .

الزَّمانُ يوسِّدهُ ساعديهِ،
والغبارُ على وجههِ صَلَاةٌ .
شَبَّحَ شامِخُ
ذراعاه ممدودتانُ
تحت رأسِ المِكانِ .

قالوا:

«دُعِيَ الزَّرافونُ
لِيُقْسِمَ كُلُّ مِنْهُمُ
أَلَّا يَقْتَنِيَ أَيُّ كِتابٍ
بِلِحْلاجٍ،
شِراءٍ،
أو بَيْعاً» .

* - أُسْكُتُ، أَفْسَدَتِ هَواءُ الدِّينِ،
- أَيَفْسُدُ دِينٌ
مِنَ نَفْحَةِ هَمٍّ؟

- ص -

في هذا الشَّارِعِ كان الماءُ سَجِيناً .
وهُنَا في هذا الشَّارِعِ شَمْسٌ
يَسْتَوِطِنُ فِيهَا عَصِيانٌ .

وهُنَا، في هذا الشَّارِعِ، شَاعَ كَلامٌ
أَنَّ الضَّوْءَ سَيَأْتِي سَحَرًا
وعلى كَفْيِهِ
وَطَنٌ يَقِظُ، وفضاءٌ حَيٌّ .

قالوا:

سمعوه يهمنس

فيما يُحتَضِرُ:

«ناسٌ بَقَرُ

لستُ المقتولُ،

كما يهدون . ولمثلي

سِرُّ هواهُ

لا يدركُهُ إِلَّا اللُّهُ» .

* تاريخُ: ثوبٌ مفتوقٌ،

هل يقدرُ شِعْرُ

أَنْ يَرْتَقَهُ؟

- ق -

لا تَقُلْ : نَعَشُقُ الإِمَارَةَ مَدْهُونَةً

بِبَهَارِ تَوَارِيخِنَا ، وَلَكِنْ

قُلْ : سَنَسْكُنُ أَكْوَاحَ قَشْرٍ

لِنَخْدَمَ عُشَّاقَهَا .

رَبِّمَا سَوْفَ يُؤَلِّدُ مِنْ أَوَّلِ

كِتَابِ نَبَوَاتِنَا

فِي جَحِيمِ غَوَايَاتِنَا الْمُنْكَرَةِ

رَبِّمَا رَغْبَةً فِي اخْتِنَاقِ طَوِيلِ

سَوْفَ تَلْتَهُمُ الشَّفَتَيْنِ ،

وَتَلْتَهُمُ الْأَصْغَرَيْنِ ،

وَتَلْتَهُمُ الْحَنْجِرَةَ .

أَلْحَلُجُ فِضَاءِ

هَيَامِ ،

وَالْوَفْتُ كِتَابِ

بَيْتِ يَدِيهِ .

* - لا نَقْدِرُ أَنْ نَتَكَلَّمَ فَوْقَ الْأَرْضِ ،

- أَتَقْصِدُ أَنْ نَتَكَلَّمَ تَحْتَ الْأَرْضِ ؟

- وَدَاعاً .

- مَنْ أَنْتَ ؟ كَأَنَّكَ تُشْبَهُ مَيْتاً .

- ر -

أنت الغارق في التحريم،
وفي التحليل،

خيرٌ أن تكتب،

أو أن تقرأ شعراً

عن عشقي

أو عن سرِّ

بين البردي ونهر النيل.

أحلّجُ أمام السرِّ،

وبعد الكتبِ

أحلّجُ يفوضُ أمرَ

المعنى ليد اللهب.

* رَقِصْ ضَوْءٍ يَأْخُذُ الْوَقْتَ إِلَى شَهْوَتِهِ،

وَالضَّفَافِ اسْتَسَلَمَتْ

لِهَوَى أَغْشَابِهَا.

- ش -

ساجراً من إمامة هذا الزمان،

ومما تراه العقول،

ومما تقول العلوم،

سأقول لكافور: أنت الإمام على الأرض،

خُذها كما شئت،

واكتب

لرعاياك أقدارهم -

ما تقول النجوم وما يُعجز النجوم.

صوت الحلاج كناية

في ظنقات الكون،

دم كوني،

ويعيش وحيداً

بين الأول والآخر

لا يعرف أن يشبهه

باليئوس الدافق

منه، غير الشاعر.

* إن تجيء مرّة، وسريز اللهب

في انتظارك، لا تبتس.

الأساطير في بذئها بعد،

والشعر يبتكر المنقلب.

- ت -

- هل رأيت إلى بابِه؟

- فِضَّةٌ .

- وإلى عرشه؟

- ذهبٌ خالصٌ .

- والتَّقْوَشَ وما حولها؟

- حَجَرٌ أسودٌ كريمٌ .

كيف لا تُوغَلُ المدائن في سُخْطِها؟

كيف لا تتناقَلُ أفواهُها

ما تقول سيوفٌ صعالِكِها

للطُّغاةِ وما لا تقولُ؟

* نَطَفٌ من هبَاءِ

تتقطرُ من ندي

هذي السَّماءِ .

ترك الحلاج فضاء

آخر، غثى:

ما أبهى

أن أولم ليبي

لنجوم المعنى

حيث الأرض سرير

والعاشق كؤن.

- ث -

أتمدّد فوق فراشي، أو أسيرُ أرى الناس،

لكن، لا تواصل - ماذا

لو أكرّر ما قلته مرّة:

«ليس في حاضر الناس أيّ غريبٍ عليّ؟»

وأين هو الأمس كي أتأمل في ما مضى؟

الصباحُ صديقٌ أبداً غائبٌ

في فراغٍ يُسمّى غداً.

أترى وحده الشعرُ يكفي؟

قالوا،

سمعوا الحلاجَ يعني:

ما أبهى أن يتحدثَ

عني لهبٌ،

ويطوفُ عليّ جنونٌ.

ما أبهى أن أتحدّثَ

أنّ الصورةَ كونٌ

تشرّدُ فيه

عناءُ المعنى.

* مُسْرِجاً لِلرَّحِيلِ حِصَانَ الْأَلَمِ،

قلْتُ مستدرِكاً:

لو أطقُ التوهّمَ، أسرجتُ هذا الهرمَ.

- خ -

لا يُكْتَبُ الشَّعْرُ إِلَّا فِي مُشَافَهَةٍ

مع الغيوب، -

سأحيا في مخيلتي،

أعلو، وأستدرج المعنى، وأنتظر

لي منزلي خلف أسوار أكابدها

ولي جناحان: وجه الغيب والحجر.

نزل الحلاج خفيفاً

في بُرْكانِ الشَّوْقِ

من أعلى سرِّ

في درجات الدُّوقِ.

* أَيُّهَا الْمَعْطَفُ،

أَنْتَ يَا ذَلِكَ الْغَيْمِ، كَيْفَ وَمِنْ أَيْنَ

تَلْبَسُ جِسْمَ السَّمَاءِ، وَلَا تَعْرِفُ؟

- ذ -

مُفْعَدٌ، أَتْرَاهُ

جَاءَ مِنْ بَلَدٍ آخَرَ؟

يَتْرَأَى كَمَنْ يَمْضَعُ الرِّيحَ،

أَوْ مَنْ يَجْرُ حَدِيداً.

آه، مَنْ أَيْنَ لِلشَّعْرِ أَنْ يَتَدَبَّرَ هَذَا الشَّقَاءَ؟

هل أقول له: كيف حالك؟ لكن

ربما كان يرفض أن يتدخل في أمره

غريب،

ربما كان يؤثر ألا يكلم إلا الفضاء.

قالوا:

عرج الحلاج إلى

دُروَاتِ اللَّهِ

بلا معراج

من أعلى نوءٍ

في بحر الحب،

وألقي

عظة الأمواج.

* عندما تخرج الشمس من بيتها، شتاءً،

يأخذ الفجر منديلها

ويغطي به كتفيه.

- ض -

واهِنٌ في قرارة نفسي
(أَوْ يُخَيِّلُ لِي أَنَّنِي وَاهِنٌ)، وَأَسْكُنُ
بَيْتاً جَمِيلاً - هَدِيَّةَ كَافُورٍ، لَكِن
هُوَ، فِي مَا يَرَى الشَّعْرُ،
أَوْهَنُ بَيْتٍ .

أَلْبِيُوثٌ هُنَا وَهَنَّاكَ الْبِيُوثُ
لِغَةً فِي كِتَابٍ
كَتَبْتَهُ يَدَا عَنكَبُوثٍ .

قال الحلاج: «اللَّيْلُ
لشَّمْسِي وَطَنٌ
وَحَبِيبٌ:
مَنْ أَيْنَ، وَأَيْنَ،
وَكَيْفَ تَغِيبُ؟» .

* كَيْفَ أَرُوي حَرَجِي لِلنَّيْلِ، هَلْ أَبْقَى،
إِلَى أَيْنَ أَقُومُ؟
وَأَنَا الشَّارِدُ، لَا أَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ إِلَى أَيْنَ
التَّخُومُ؟

- ظ -

أنت، وجهاً لوجهٍ
مع تباريح هذا الزمانِ وأشراكه .
مع غيومٍ تحجُرُنَ :
ماذا يقلن لهذا الفضاءِ ،
وماذا تقولُ؟ الفضاءِ وأنتِ
اتحادُ صديقينِ في وَرْدَةٍ :

وردةٌ - لُقْتَهُ .

وردةٌ تقرأ الشمسُ للحبرِ أَقلامَها
وتلاوينها ،

وَرْدَةٌ تتهجى تأيينها .

* أَلَمْ لَيْسَ فِكْراً وَلَا صُورَةً ،
إِنَّهُ جَسَدٌ يَتَقَطَّعُ : هَلْ ضَرْبَةٌ قَاضِيَةٌ
أَتَرْتِجِ فِيهَا - فِي ثَمَلَاتِي الْبَاقِيَةُ؟

قالوا:

سمعوا الحلاج

يقولُ - «لفظتُ

اليوم كلاماً

كادت لغتي

أن تهرب

منه» .

- غ -

حَيَّةٌ؟ قَلْتُ يَوْمًا

أَحَبُّ الْغَوَايَةِ فِيهَا،

وَأَحَبُّتُ حَوَاءَ مِنْ أَجْلِهَا.

وَأَنَا مِثْلَهَا -

سَأَغْتَرِ جَلْدِي،

كَلَّمَا شَاءَ حَدْسِي:

مَا أَضَيَعَ الْقَصِيدَةَ

عِنْدَمَا لَا تَكُونُ الطَّرَادَ وَمِيدَانُهُ وَالطَّرِيدَةَ.

قالوا:

«صلبوا أصحاب

الحلاج جميعاً»^(١).

* سوف أولم هذا القمر

لكواكب شعري،

وإذا جاء ليل غريب عليه،

سألود بشيطاني المنتظر.

(١) بيهم «حيدرة،
والشعراني، وابن منصور.
طولبوا بالزجوع عن مذهبه،
فأبوا. ضربت أعناقهم، ثم
صلبوا»

هوامش
(يوميات المتنبي)



III. رَضد

١ - وداع

أتخيّل بغداداً، لكنني أحيي
حلباً، وأحيي كوفةَ الثائرين - تجزأ
قل وداعاً لأرضك، للعشب فيها، ولأشجارها وأنهارها.
قل وداعاً لسجانها، لخليفة أنقاضها
وهو يُملي عليها تعاليمه،
وقصائد غلمانه.
وتوسّل إلى غيمة تتفأ في ظلّها.

قل وداعاً لهذا التمزّق، هذا الألم
وازفر الآن ما خطّه
في يديك وفي ناظريك وفي خطواتك وأصرخ:
لكم كل شيء
وأنا مثلما تقولون: شخص غريب
ليس لي غير هذي الدّواة وهذا القلم.

٢ - عجز

أَلرَّمَالُ التي غمرت وجهَ تلك البلاد التي جنثُ منها،
ها هي الآن تَغْمَرُ وَجْهِي،
وأنا عاجزٌ أن أُحَمِّنَ:
هَلْ يُكْنَسُ الرَّمْلُ،
أم سوف نُطْمَسُ؟ لا وَمَأَةٌ
من نبوءاتِ حبي.

سأقولُ لتلك البلاد التي حملتني: لا شيء
يَنأى بقلبي عن المَوْتِ، إلا هواها
وأقول لتلك البلاد التي حملتني: لا خَيْطٌ
يربطُ بيني وبين المدائنِ
إلا اسْمُهَا.

٣ - اطمئنان

قُلْ كما شئتَ عَنِّي :

أحمقٌ ،

وأعني لأيةِ جنيةٍ ،

وأفوضُ نفسي لأهوائِها .

قُلْ كما شئتَ عني :

يَدِي مِنْ عُبارِ

وروحِي تَبابٌ .

غيرَ أَنَّكَ لَنْ تعرفَ الوَرْدَ إن كنتَ تجهلُ عِطري ،

ولن تعرفَ اللانهايةَ ،

إلاَّ إذا كانَ شِعْري

بينَ الدُّروبِ إليها .

٤ - غراب

كيف أخرج من بيتي الميِّت؟ لكن
أين أخرج؟ موت
حيثما دارَ وجهي .

ألقناديلُ تُطبقُ أجفانها
والدقائقُ هؤلّ وفئتُ .

أيُّ هذا الغرابُ الجميلُ النَّقيُّ
لِمَ لا تُشرعُ الأفقُ باباً إليك ، وتُعطي
للمكانِ وللخطواتِ وللريحِ ميراثك الكوكبيّ؟

٥ - كآبة

لم أكن مرّة
مثلي، اليوم. هذا القرنفل شوّك.
ودفلى
هذه الياسميئة. والأرض تبدو كجبانة.

جَبَلٌ مِنْ هَبَاءٍ
جائِمٌ فوق صدري.
لا رفيفٌ لأَيِّ جناح
في الحقولِ التي حَرَّتْهَا توارِيخُنَا
ولا رِيحٌ في الأشْرَعِ.
والفروقاتُ مَطْمُوسَةٌ:
مَنْ تُرى يعرف الآن،
أين الوجوه، وأين هي
الأقنعة؟
سألُوذُ بِشعري، -
أَتَشَمُّ أعضاءهُ
وأنام على زُنْدِهِ.

٦ - رحلة متخيِّلة

هذه الخيلُ التي تُقبَلُ . أمضي . إنها تبحث عني ،
أين أمضي ؟

أُعطينيَ عشبٌ ؟

أيوأويني بيتٌ ؟

أصديقٌ يظهر الآن ويعطيني يديه ؟

ليس لي إلآك يا هذا الضياء
أتقرى غدك الضارب في صحرائه ،
وأرى شمسي فيه ، -

هوذا أعطيتُ جسمي
لتقاليدك واستعصمتُ بالخيِّطِ
الذي يغزلُه وجهُ الفضاء .

٧ - احتفاء مُخَيَّل

لن أقولَ لهذي الحشودِ التي تتجمع حولي
وتهتفُ بِاسمي : أنا رأسُها،
والأمينُ عليها.

لن أقولَ لكم أن تكونوا لرأسي
تاجَ قولٍ، ولا تاجَ غارٍ.

لن أقولَ لكم إنني نشيدُ لأيِّ
مين فتوحاتكم
أو بطولاتكم.

سأقولُ لكم إنني خائنٌ - خائنٌ
لمعاييركم وتعاليمكم.

٨ - تحزّر

أتحرّزُ من سجنِ جسمي، وأسألُ حرّيتي :
أأنا الآنَ نفسيّ، أم غيرُها؟
أأنا قبلُ أم بعدُ، أم بينَ بينَ؟ الثيابُ تداهنُ،
والشّكلُ طيّفُ.

لا طريقٌ سوى القلبِ نحو الألوهِةِ والحبِّ،
نحو التحزّرِ،
في ما وراء الجُسومِ، وفي ما وراء العُقولِ.

حرّروا في القلوبِ يبايعها
واتركوها تفيضُ
كي يفيضَ المكانُ بالائها،
وتفيضَ الفُصولُ.

٩ - رحلة متخيّلة

هل أصدّق؟ بغدادُ تغفو وتنهضُ في خاتمٍ .
زُرّتها أمسٍ من حلبٍ، في منامي . كانت
ناقةً ضخمةً
تموتُ على صدرِ طفلٍ .

رُحْتُ في كلِّ حيٍّ أجدُّ غبارَ الدُّروبِ،
وأصغي إلى الليلِ، أصغي
لما يتحدّثُ عنه جدارٌ
وتكتم أسرارَهُ مئذنةً .

هكذا في منامي

كنت أستفسرُ الماءَ عن موتِ بغدادِ، أمشي
وأخبطُ، أفتصُّ آثرَ حبي
وأحتضنُ الناسَ والأمكنةَ .

١٠ - استباق

أَمْشِي، أَسْأَلُ دِجِلَةَ:

مَنْ ذَلِكَ الرَّسَامُ يُغْرَزُ فِي جَيْبِكَ

رَيْشَةً لَا لَوْنَ فِيهَا؟

فَمَكَ الْمَلِيءُ بِحَشْوِهِ، فَقَدَ الْكَلَامَ،

فَمَنْ يُعِيدُ لَكَ الْكَلَامَ

أَلرَّيْحُ فِيكَ عَلِيلَةٌ

وَالْمَوْحُ أَشْبَهُ بِالْحُطَامِ.

مَنْ ذَا يُضَلُّ فِيكَ حَتَّى الْمَاءِ؟ مُبْتَهَجاً،

أَمْدُ يَدِي

إِلَيْكَ. يَدِي سَوَّالٌ، وَيدَاكَ مِنْ عَلْتِي وَطِينُ

بَيْنِي وَبَيْنَكَ دُرُوءُ الدُّنْيَا وَأَسْفَلُ سَافِلِينَ.

IV

فاصلة استباق

فجأة،

ضحجج من جهة الغيب
هل نستجيب؟ ندخل تحت قبة هذا
المكان مرفوعة كسقف عائلي منقوشة بأعناق
كأنها التخاريم

خيوطاً في هذا البساط المتألف من اللحم
خطوطاً على الحجارة
بقايا أطلال .

كلاً لم تكن ترسم أيها الشاعر كنت ماحياً يقول
صديقك الذي لا تعرف اسمه والذي ينتظر شكلاً
القوس وانحناء الواو فيما يرى ملاكاً يرفع يديه
ليبارك العساكر ويقدم لها بقفل الروح في
إيقاعات خوذ وأنصال لها هيئة الوحي

وتجلس حول الموائد

خشوعاً خشوعاً

السَّماء تنزل وتجلس هي كذلك تتأمل كيف يتوحَّشُ
النبات الإنسِيّ كيف تخرج الحيوانات الجائمة في أرحام
الكلمات كيف وجد القتلُ طريقَه إلى مكانِ رأى اللُّهُ
صورته فيه وقال حسنُ هذا

وها هي تُصغي إلى شفاهِ بهيئة الأرجل تصدح بخطبة
الأزمة تستطيع أن تواكبها أينما توليت أن ترى
إليها تعرجُ وتحدودب ترقص وتغني لا تقلُ إنها
تتصنع قل إنها تمومي طربَ العصر

عند ذلك المنعطف

رأسُ نزل عن كتفيها

وأخذ يتنبأ

من أحشائه تخرجُ طفولةُ الرصاص .

الدمُ ساعة رملية

والرياحُ جنائزُ عائمة .

الذّاكِرة

٣١١هـ.

كن وزيراً^(١)

لِتسقي سُمّاً

أو لتشرب

سُمّاً:

قِسمة شاءها

مَنْ يَقْسُمُ

رِزْقَ العِبَادِ

بِاسْمِ هذِي

البِلَادِ.

- أ -

رَجُلٌ مُوثِقٌ بِجِرَاحِ تَوَارِيخِهِ.

رَجُلٌ يَتَرَسَّبُ فِي قَاعِ أَوْهَامِهِ، رَجُلٌ عَائِمٌ

رَجُلٌ هَائِمٌ

يَتَخَيَّلُ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى أَرْضِهِ وَإِلَى بَيْتِهِ

حُفْرَةٌ يَتَنَائَرُ فِيهَا شَطَايَا.

رَجُلٌ مِنْ صَحَارَى، رَجُلٌ مِنْ نَخِيلِ

هُوَذَا المَاءِ يَدْخُلُ فِي قَبْضَةِ التَّارِ،

وَالأَرْضُ تَرْتَجِلُ المَسْتَحِيلِ.

* فَرَحُ الشَّعْرِ أَوْجٌ

لِتَبَارِيحِهِ.

(١) الإشارة إلى حامد بن عباس، وزير المقتدر، وقد قتلته هذا الأخير بالسّم في بيض مشوي. وحامد هو الذي دُبّر مقتل الحلاج.

ما نقولُ لمن

مرٌّ في

فلوآب التفكّر

في الدّين والكون،

أو من تشكّك

أو من مرّق؟

ورقٌ عاشقٌ،

رمادٌ

ذهبَ سائلٌ

في رماد الورق:

إنها المحرّفة،

تنقلّب فيها

كتبُ الرّندقة^(١).

- ب -

أعرفُ الآنَ عُزّي الطّريدَ الذي يتدثّرُ بالكلمات،

أعرفُ الآنَ ليلَ الدّروبِ

التي تتمرّق في ريحها حياتي، -

واضعٌ في كثافةِ هذا الظلامِ

كبيدي شمعةً

واضعٌ كلماتي طريقاً -

جسدي مثلُ عَصْفِ

والزّمانُ الرّكامُ.

* كلما راح فكري يُسافر في جرحي الأوّل،

يتمرّق، يصرخُ بِاسمي: واهاً عليّ،

وويلي من جرحي المقبلِ.

(١) يُروى أنّه في هذه السنة، «أحرق بالنار على باب العاعة في بغداد، مئتان وأربعة أعدل (أكياس) من كتب الرّندقة، سقط منها ذهبٌ كثيرٌ كانت مُحلاةً به». والوزير حامد بن عبّاس هو الذي أمر بإحراقها.

- ١ -

يا أبا طاهر^(١)،

أثرى يمكن الدين أن

يتقدم كالتار؟ ماذا

تقول لعاء الجوارح، للحب،

للكلمات التي يتفح فيها

الجلد؟

ما مشترك يوضو في

بصرة الظلمات،

وأية أنشودة

سئعتي غداً

لطفولة هذا البلد؟

- ج -

لم أقل مرة: كتبت وأكتب،

حتى يزول الثقاء من الأرض.

أكتب كي أتواصل مع ذلك الذي يتأصل

في، مع الريح - أما له، تتقلب عريانة،

في سرير الهباء،

ولها اللانهاية ذرب.

لم أقل مرة:

إنني أتناسل في رجم الأبجدية

إلا لغير الغناء، وإلا لوجه الغناء.

* أتراني أسير هبوطاً إلى آخر الجحيم؟

أتراني رجم

وأختط للآخرين المسار الرجم؟

(١) «دخل أبو طاهر الجنابي أمير الفرامطة البصرة في ألف ومبعدة فارس. هرب أكثر الناس. ألفوا أنفسهم في الماء. مكث فيها سبعة عشر يوماً، يقتل الرجال، ويأسر النساء، ويأخذ ما يختار من أمرها».

أأتمني؟ لا لشيء سوى الشعر. لا شيء
يُؤويك. سَكُنِي أن تكون ضياعاً. وبدء
أن تكون الختامَ ومزماره ونشيده.

آه ما أبعدَ اليومَ دربَ الذين يريدونَ
أن يسكنوا في القصيدة.

هرب البصريونَ
وألغوا، من خوفٍ،
أنفسهم في الماء
كي يتأخوا
مع ليل الأشياء.

* غابّة ذبحت طيرها
كي ترى في دم المذبحة
كيف يجترُّ رأسُ الطبيعةِ ذاكرةَ الأجنحة.

سَأَعْتَبُكَ، أَيُّهَا الصَّاعِقَةُ
وَأُحِبُّكَ، إِنَّ جِئْتَنِي الْيَوْمَ فِي هَذِهِ
الظُّلُمَاتِ - هُنَا، الْآنَ، وَاشْتَدَّ
عَضْفُكَ فِي خُطَوَاتِي، وَعَلِمْتِهَا
كَيْفَ تَخْرُجُ مِنْكَ، تُرَدُّ إِلَيْكَ،
وَتُخْلَقُ فِي نَارِكَ الْخَالِقَةِ.

سَأَعْلَمُ جِسْمِي
كَيْفَ يَجْتَاكِ زَنْدِيكَ، أَيُّهَا الصَّاعِقَةُ.

* نَهَضَ الْفَجْرُ قِبَلِي، وَلَكِنْ
عِنْدَمَا رَاحَتِ الشَّمْسُ تَوَلَّمَ أَضْوَاءَهَا
لِمَوَائِدَ بَيْنَ يَدَيْهِ،
أَخَذْتَنِي فِي عُزِّيهَا إِلَيْهِ.

يا أبا طاهرٍ،
أنت من قال للناس:
عندي
زمن آخر كي نعيش على
الأرض،
أو نسكن السماء،
فلماذا، إذن،
يفعل القرمطي كما
يفعل الخليفة:
يستعبد الرجال،
ويسيب النساء؟

فوق صَحْنٍ من الضَّوءِ، قبل الشُّروقِ،
ارتَمَيْتُ، وأقسَمْتُ أَنِّي
سَأزورُ البلادَ التي لَمْ تُرَزَّ.
قلتُ للشمسِ: ما زِلْتُ أُبْجِرُ في حوضِكِ
التَّيْرَكِي،
(كان قلبي غاراً ورأسي من حدسه،
في جحيم).

هكذا رَحْتُ أَهْدِي

فوق صَحْنٍ من الضَّوءِ، قبل الشُّروقِ، وأصغِي
لنداءٍ من الغيب يَأْتِي ويذهبُ منها إِلَيَّ.

* قَدَمُ الشَّمْسِ تلمسُ قَنْطَرَةَ الياسمينِ على
البابِ، أسمعُ بينَ الزَّهورِ هَسيساً،
وأرَى مُخْدَعاً
يَتَغَطَّى
بأواخِرِ أحلامِهِ.

جيشك آخر بين

جيوش

لا نعرف غير القتل

وغير النهب:

المراسل خنيفة فثك والأفكار
بغور.

الذّكرة

٣١٢هـ.

- ٥ -

يا أبا طاهر^(١)،

هل أسرت الحجاج،

نساء الحجاج وأبناءهم،

هل تملك أموالهم،

وملكتهم للضياع،

كي تُعمرَ قفراً،

أو لكي تُطعمَ الجياع؟

- ز -

أتخيّل أنّي صنعت من الضّوء مُهراً،

ويَممتُ وجهي شَطْرَ المدينةِ -

تلك التي لا نراها،

قُلِ السِّرُّ تاريخُها والهِيامُ).

أتخيّل أنّي سيرتُ إليها

وليس أمامي طريقٌ.

أتخيّلُ: أصهرُ ما كانَ في ما يكونُ،

وقلّ معدني حروفٌ

وقلّ أرضي الكلامُ.

* بلدٌ مُقفلٌ

جسمه ذابِلٌ مقيمٌ

وشرايينه ترحلُ.

(١) في هذه السّنة «قتل أبو طاهر القرمطي خُلُفاً كثيراً من الحجاج، وأسر من نساءهم وأبنائهم من اختاره، واصطفى من أموالهم ما أراد، وتركهم في الفياضي بلا ماءٍ ولا زادٍ ولا مخمل».

الذّكرة

٣١٢هـ.

- قِي قِيَاقُوا!

أَوْ مِنْ زُنْدَقَاتٍ^(١)

الَّذِينَ يَنَامُونَ مِثْلَ

الذّئَابِ،

وَيَسْتَيْقِظُونَ كَمِثْلِ

التّعَاجِ،

يَقْرَأُونَ الْكُتَابَ الْكَرِيمَ

بِخَرْفِ الدّجَاجِ!

- ح -

أَفْحَصُ وَجْهِي فِي مِرَاتِي

(مِرَاتِي مَاءً)

وَأَرَى كَيْفَ يَسِيلُ الْعَمْرُ، وَكَيْفَ يَذُوبُ،

وَيُمزَجُ فِي مَوْجِ الْأَيَّامِ

وَأَقُولُ لِبِجْفَرٍ تَجَاعِيدِي:

قُلْ لِي -

أَهْنَاكَ مَكَانٌ فِي عَيْنِي

لِغَيْرِ سِرَابِي؟

أَهْنَاكَ مَكَانٌ لِلْأَحْلَامِ؟

* لا أَحْبُ الْوَصُولَ إِلَى قَاعِ يَأْسِي،

لا هَرُوباً، وَلَكِنْ

لا أَعُودُ أَرَى فِي الْوُجُودِ الْمَحِيطِ،

وَمَا يَتَبَطَّنُ

أَحْوَالَهُ،

غَيْرَ نَفْسِي.

(١) فِي هَذِهِ السَّنَةِ، ضُرِبَتْ
كَمَا يُرَوَى «رِقَابُ ثَلَاثَةِ مِنْ
أَصْحَابِ الْحَلَّاجِ، وَضَلُّوا».

وَكَانَ يُقَالُ عَنْهُمْ: «قِي
قِيَاقُوا! قِي قِيَاقِينَ! زِنَادِقَةُ
يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ بِحَرْفِ
الدّجَاجِ!».

يا أبا طاهر^(١)،

هل تنوّرت في

الكوفة، اليوم، أحزانتها؟

ولماذا إذن عبثت فيها -

اعتقلت خطأً

ومزقت أردانها؟

- ط -

وَطَنٌ؟ هل أسميه؟ يأتي الشعاعُ

إليه .

وفي عُنفه صخرةٌ .

وتجيء القصائدُ مَخنوقةً .

قَطَعُ من حياتي

تَتناثر في كلِّ دَرْبٍ،

أتراها تمثّل حالَ الوطنِ؟

أتراها ستغدو ثقباً

في رداء الزّمنِ؟

* ذابِلُ ليلِ هذا الخريفِ على التّيلِ،

والرّوحُ صَفراءُ لا تتحرّكُ، لا تنبَسُ .

أه من أين صَبْرُكُ، يا أيُّها اللّوتسُ؟

(١) في هذه السنة دخل أبو طاهر القرمطي «إلى الكوفة . أقام فيها شهراً، يأخذ من نسايتها وأموالها ما يختار» .

الذّكرة

٣١٥هـ.

يا أبا طاهر،

أَسْرَكَ الْجُنْدَ^(١) شَيْءٌ

وَقَتْلُكَ إِيَّاهُمْ، أَخْرَجَ.

أَنْتَ مِنْ طِينَةِ الْخَلِيفَةِ

سَارِقٌ بَيْنَهُ فِي خَفَاءِ

أَجَلٌ فِي خَفَاءِ رَغِيفَةٍ.

كَلَّ مَا قُلْتَهُ صَحِيحٌ

أَوْ يَكَاذُ. وَلَكِنْ

مَا عِلَاقَةُ مَا قُلْتَهُ

بِمَا تَفْعَلُ؟

أَنْتَ، مِثْلَ الْخَلِيفَةِ:

مَاضٍ كَثِيرٌ،

وَالضُّوْءُ وَالْحَقُّ

مُسْتَقْبَلٌ.

- ي -

لَا تَلْمُهُ، إِذَا كَانَ جَدَّفَ، -

صَلَّى لِأَهْوَائِهِ،

حَاضِئاً فِي تَجَادِيفِهِ

حَلِماً أَوْ رَجَاءً.

لَا يُجَدِّفُ إِلَّا

مَنْ يُحِبُّ السَّمَاءَ.

* لَا طَرِيقَ

إِذَا لَمْ يَكُنْ نَفِيْهَا

طَرِيقاً إِلَى غَيْرِهَا.

(١) في هذه السنة، «أسرّ القرامطة يوسف بن أبي السّاج أمير الجيش، ثمّ قتلوه، وقتلوا خلقاً كثيراً من جنده».

- ك -

إنها المائدة، -

(الكلامُ حرائقُ، والروحُ عجفاءُ،

والرأسُ في عَيْهَبِ).

حولها يجلسُ الغابِرُ

حولها يجلسُ الحاضرُ،

وترى جذرنا والفروعَ وأغصانها،

وترى الشيخَ والطفلَ في صورةٍ واحدَةٍ، -

إنها المائدة.

* عقله مُخطئُ

وكرسيه مُصيبُ:

البلادُ انحناءُ لهُ،

ولدولابه.

الذّكرة

٣١٦هـ.

- ١ -

خزبُ الموصل^(١)

والمدائنُ من حولها

ناهياً سالباً قاتلاً.

- ٢ -

راح يدعو لمهديه:

إنه الشرقُ يدعو إلى

عزبه،

البشائرُ خضراءُ،

والناسُ يأتونَ

فوجاً فوجاً إلى

جزبه.

مؤنّس الخادِم^(١)

عابِدٌ، رافعاً نصرتهُ

بيرقاً عاليًا،

ويُصفقُ للنّصر

جاهلُ بغداد والعالمِ.

يتقدّم - أسزاه

كُنزٌ

نكسوا كلّ أعلامهم،

كاتبين عليها:

«ونريد أن نمنّ على الذين

استضعفوا في الأرض».

- ل -

نُخَلِّه حَصَنَتَيْنِي، كان المغيبُ

يُنحني فوق سُلّم إيقاعه.

وجلستُ أساميرُ أغصانها

في ضياءِ هلالٍ

وَشَحْتَه غيومٌ لم تُفارق تقاسيمه.

وأخذتُ أقصصَ عليها

بلداً ليس فيه

مَنْ يُسألُ أو مَنْ يُجيبُ.

هل كلامي عصيٌّ عنى الفهم،

هل من سؤالٍ

أيهذا الهلالُ الغريبُ؟

* ما الذي يتغيّر فيّ؟ تُراني
 لم أعد أعشقُ الشّيء، بل وَهْمُهُ؟
 ناشيراً هكذا شيراعَ رحيلي
 في محيطاتِ ظنّي.

(١) في هذه السنة «انكسر
 القرامطة. هزمهم مؤنّس
 الخادم. أسز طائفةً كبيرةً من
 أشرافهم. دخل بهم مدينة
 السلام وأعلامهم منكّسة كُنّب
 عليها: ونريد أن نمنّ على
 الذين استضعفوا في
 الأرض».

- المُراد: الجلسوس على العرش^(١).

- كلاً، المُراد الشُّفاعة.

حرب

بين رأين - فقّهين.

قتلى.

إنها آفة البقعة:

يجعل من كل حُزب

في الشريعة

سنيماً

وسجناً.

- م -

عَلَمِينَا هَوَاكِ، حُذِينَا لِأَحْضَانِكِ الْحَانِيَّةِ

أَنْتِ، يَا هَذِهِ الْهَآوِيَّةِ.

يَنْبَغِي أَنْ نَسْأَلَ مَعْنَاكَ

عَنْ طِينَةِ ثَانِيَةِ،

كِي نَرُدَّ إِلَى الْأَرْضِ أَزْهَارَهَا

وَأَشْجَارَهَا

وَيُنَابِعِهَا،

وَنَرُدَّ إِلَى النَّاسِ أَشْكَالَهُمْ.

* الْإِنْسَانُ كَلَامٌ

خَيْرٌ أَنْ يَتَنَاثَرَ بَيْنَهَا

فِي دَفْتَرِ حَبِّ.

(١) الإشارة إلى فتنّة وقعت في بغداد بين طائفة من العامة، وأصحاب أبي بكر المروزي الحنبلّي، لاختلافهم في تفسير الآية. «عسى يبعثك ربك مقاماً محموداً».

وقيل: «مات في هذه الفتنّة خلقٌ كبير».

(١) الكلام للفرمطيني
الجنائني، مشيراً إلى الخُجَّاجِ .
والبيت الأخير يُنسب إليه .

- ن -

إِنْ أَتَى، يَا يَنَابِيعَ حَبِّي
مَنْ يُسْأَلُ عَنِّي، قَوْلِي:

مَرَّ مِنْ هَاهُنَا
لَمْ يُبَيِّحْ بِاسْمِهِ،
وَلَمْ يَتَوَقَّفْ .

عَالَمِي؟

إِنَّهُ خُطَوَاتِي
نَحْوُ مَا لَا أَرَى كَيْفَ يَأْتِي،
وَلَا أَيْنَ يَمْضِي .

* ليس في العقل سرٌّ
إذا لم يكن نشوةً .

الذَّاكِرَةُ

٣١٧هـ .

- «اقتلوا»^(١) ذلك المسمَّى

أميراً،

حزروا مَكَّةَ

من خُرَافَاتِهِ .

اقتلوا أهله .

واقتلوا جنده -

اهدموا الكعبة:

الطَّيُّورُ الْأَبَابِيلُ

أوت لأعشاشيها،

وحجارة سَجِيلِ

رَمَلٍ .

«أنا إله، وباللَّه أنا

يخلق الخلق

وأفنيهم أنا» .

- ١ -

بعد أن عَزَلوه^(١)

أَحْرَقُوا دَارَهُ:

تَكْتَبُ النَّارُ مَا يُعْجِزُ

الْحَبِيرُ عَنْهُ،

فَلَهَا حَبِيرُهَا

وَلَهَا حَطُّهَا

وَلَهَا وَرَقٌ تَتَقَلَّبُ

فِيهِ الْبِلَادُ

بَيْنَ عَزْفِ الرِّيحِ

وَأَنْشُوءِ الزَّمَادِ.

- س -

لِتَجِيءَ كُلُّ تِلْكَ الْبَرَائِكِ، مِنْ أَوَّلِ الْأَرْضِ،

مِنْ آخِرِ الْأَرْضِ، وَلِتَنْفَجِرَ

فَوْقَنَا،

فَوْقَ سُلْطَانِنَا وَالْعُرُوشِ الَّتِي

تَتَنَاسَلُ فِيهَا،

تَتَنَاسَلُ مِنْهُ.

مَا الَّذِي تَخَسَّرُ الْأَرْضُ

إِنْ لَفِظْتَ فِيهَا؟

* قَدُمُ الضَّوءِ تَسَخَّرُ مِنْ كُلِّ قَيْدٍ،

وَمِنْ كُلِّ حَدٍّ.

(١) الإشارة إلى الخَطَّاطِ

المشهور علي بن مقله، وكان

وزيراً للمقتدر. مات ابن مقله

سنة ٣٢٨هـ في السجن، بعد

أن قُطعت يده اليمى، وقُطعت

لسانه.

- ٢ -

قطعوا يده واللسان^(١):

لماذا الكتابة، ما

شأنها؟ ولم الخطُّ

والثُّطُّ؟ يهرب

في زبي مُكِّد

أو بزبي امرأة -

وللى أين؟

يُطرَّحُ في السَّجْنِ.

للموت. لا نطق:

ألفاظه تمتامت

وإعرايه فومأه.

- ع -

أَتَقَدَّمُ فِي ظُلَمَاتِ الْمَعْنَى

فِي عِيدِ الْمَوْجِ، وَأَرْسُمُ دُونَ حُدُودِ

شُطَّانَ الْمَعْنَى.

أَتَطَوَّحُ فِي هَاوِيَةِ الْمَعْنَى

طِفْلاً يَلْهُو

وَيُدْحِرُجُ مِلءَ هَوَاهُ

كُرَّةَ الْمَعْنَى.

(١) الإشارة إلى ابن مقلة

وقد سئل عبد الله بن
الزبي الكاتب.- ما تقول في خط ابن
مقلة؟

قال:

- «ذاك سبي فيه. أفرغ
الخط في يده، كما أوحى إلى
النحل في تسديد بيوته».

* لا اكتشاف ولا ذروات

دون رَفْضٍ وَهَدْمٍ.

- ١ -

مؤنن^(١) يتولى

شؤون الحجيج،

يسير إلى مكة

في كتيّف من الجيش .

خوفاً أن يصدّهم

القرمطي

نهجوا في المسيرة

نهجاً خفي

في شعابٍ وأودية

لم يزرها

أحد قبلهم .

- ف -

لِمَ لَمْ يفهموني؟

لا أطلب بالملك . مُلكي

أن أردّ إلى الأرضِ فِطْرَةَ إبداعِها -

الأرضُ بيتٌ

ليس فيه عبيدٌ ولا سادةٌ،

وملكي

أَنْ أسأَلَ نفسي :

مَنْ أنا؟ ولماذا؟

سُمِّي المتنبّي سَخَّحَ في؟ شَمْسُ

لا تُصدّق حتى قناديلها .

لِمَ لَمْ يفهموني؟

* زهرة

تشربُ الخمرَ من جَوْفِ نَجْمِ .

- ٢ -

فاجأت مؤنساً

عجائب، قالوا

لم يروا مثلها:

عظام ضخمة لذكورٍ

وإناث، جميعاً

مسيخوا في حجارة

لا تُطيق العبارة

وضفاً لأحوالهم،

ولا تصدق العبارة.

- ص -

وردةً تتنهد، كفاي طلّ

يتقطر منها.

تنهد: آهاتها

أرج صاعداً.

تنهد - فيها

يتكثف صيف الحياة الخريف الشتاء

الربيع، ويجنح كل إلى حلمه،

والى بيته.

وردةً تتنهد، ليت السماء

تنحني كي تلامس هذا البهاء.

* آه، لو شعلة من شواظ التمرد.

لو شعلة واحده

توهج في هذه الأبدية، في أرضنا الباردة.

- ٣ -

حملوا ما استطاعوا

وجاؤوا به للخليفة

كي لا يكذب ما

شاهدوه،

وقالوا:

إنهم قوم عادٍ

أو شعيب،

وقالوا:

ربما من نمود.

- ق -

إنها وُحِدَتِي -

لا لَأَتِي شِيخْتُ تَزْدَادُ عَمَقًا.

لا لَخُسْرَانٍ مَا كُنْتُ رَاهِنْتُ أَنِّي

سَأَرْفَعُ رَايَاتِهِ .

لا لِحَلْمِي - أَسِيرًا

لِوَقَائِعٍ مِنْ كُلِّ طِينٍ .

وَحِدَتِي أَنِّي الْمَبْعَثُ فِي هَذِهِ الْفَلَاةِ

الَّتِي سُمِّيَتْ حَيَاةً .

* الْغَيُومُ

تَقْصُّ

عَلَى مَاءِ عَيْنِي صَحْرَاءَهَا .

رُبَّمَا كُنْتُ فِي حَاجَةٍ
لِأَقْدَمِ قُرْبَانَ تَقْوَى
لِسُلْطَانِنَا، وَلَكِنْ
أُتْرَاهُ سَيْرَ صَيِّ وَيَعْفُو،
إِنْ ضَعُفْتُ، وَتُبْتُ، وَأَعْطَيْتُهُ طَاعَتِي
وَذَبَحْتُ خُرُوفًا لَهُ؟
سَأَقُولُ لِرُفْضِي
أَنْ يُفَكِّرَ فِي أَمْرِهِ .

* أَخَذَ اللَّيْلُ آخَرَ مَا يَعْرِفُ الْفَجْرُ
عَنِّي،
مَنْ أَنَا الْآنَ؟
لَا الْفَجْرُ بَيْتِي، وَلَا اللَّيْلُ مِثِّي .

جاءه^(١) مؤنِّسٌ
وبقيته غلمانبه .
أخرجوه، أخرجوا أمته
وأولاده .
وقالوا: سُبَّاحٌ
من بعده أخاه .
فشلوا،
جاء أعوانه
وأعادوا له عرشه .

- ش -

قَلْتُ، فيما أسأئِلُ نفسي، تُرى

هل تكونُ لي القاهره

أُفقاً آخرًا، وهوى آخرًا -

- ٢ -

فقهاء يرفعون المصاحف

والتأس من حوله .

قال: منْ جاءني برأس

فله خمسة^(١).

ومنْ جاءني بأسير،

فله عشرة .

ونسيت الزياح .

ربّما ينبغي الآن في هذه اللّحظة الماكره

كي أجيب،

وكي أستجيب لظني، أن أسأل الجراح .

* لا أرى الثور بيتاً،

أراه رحيلًا .

(١) خمسة دنانير، والكلام
للخليفة المقتدر، يخاطب
أنصاره مشجّعاً إياهم على قتل
خصومه، وقطع رؤوسهم،
ووضعها بين يديه .

- ت -

أَقْرَأُ النَّيْلَ ، فِيمَا يَنَامُ

عَلَى سَاعِدِ السَّمَاءِ ، وَأَسْأَلُ :

مَا أَنْتِ يَا هَذِهِ السَّمَاءُ

وَمَاذَا يُؤَالِفُ مَا بَيْنَنَا؟

ولماذا،

عندما أنتنورُ مسراكِ

يسودُ وجهُ الفضاء؟

- ٣ -

حشدُ جنديّ بقودهم

مؤنّس.

هجموا، طوقوه:

- أأنا، ويلكم؟

- أنت إبليس،

فاسجد.

ذبحوه،

قطعوا رأسه،

رفعوه فوق الرؤوس،

ابتهاجاً.

* زَمَنْ يَأْخُذُ الْأَرْضَ مِنْ عُنُقِهَا

يَتَقَدَّمُ فِي جُنَّةٍ

وَيُحِبُّ التَّنَكُّرَ فِي شَكْلِ جِنَّ.

- ١ -

- «طَيَّبُوا الحَانِطَيْنِ عَنِّي»^(١)،

وهو حَيٌّ، ولكن

أَكْثَرُوا الكَلْسَ.

هَبَا، واذبحوا ابْنَ

بُلَيْقٍ»^(٢).

ذَبْحَوْهُ،

وضَعُوا رَأْسَهُ

فَوْقَ طَسْتٍ

أَمَامَ أَبِيهِ»^(٣).

- ث -

مَنْذَأَنَّ الحَبُّ قَلْبِي،

لَمْ يُنْزِلِ اللَّيْلُ

عَنْ كَتْفِي

حَقَائِبَ أَسْفَارِهِ.

أَلْهَذَا،

نَهَضَ النَّيْلُ كَيْ يَشْرَبَ، الْيَوْمَ،

عِنْدِي شَايَ الصَّبَاحِ،

بَلَا مَوْعِدٍ؟

* إِنَّهُ الضَّمُّوعُ يَجْهَلُ أَسْرَارَ لَيْلِي،

وَأَنَا عَاشِقٌ جَهْلُهُ.

(١) الإِشَارَةُ إِلَى ابْنِ المَكْتَفِي.

(٢) عَلِيٌّ بن بُلَيْقٍ.

(٣) بُلَيْقٍ. وَكَانَ القَاهِرَ بِأَلْفِهِ هُوَ الخَلِيفَةُ آنَذَاكَ، أَبْطَل الخَمْرَ وَالغِنَاءَ، «وَنَفَى المَخَانِثَ وَكَسَرَ آلَاتِ اللَّهْوِ. وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ لَا بَصْحُو مِنْ السُّكْرِ، وَلَا يَفْتَرُ عَنْ سَمَاعِ الغِنَاءِ».

(١) الإشارة إلى نليق .

- خ -

عَتَبَاتُ الْأَرْزَقَةِ فِي حِينَا

حَجَرٌ مِنْ حَنِينٍ

حَجَرٌ مِنْ بُكَاءٍ،

وَالنَّوَاذِ مَنْقُوشَةٌ بِالْغَضَبِ .

آه، مِنْ أَيْنَ تَأْتِي لَوْجَهِي

إِلَى أَيْنَ تَمْضِي بِقَلْبِي،

يَا رَسُولَ التَّعَبِ؟

الذّكرة

٣٢١هـ .

- ٢ -

حين قَتَلَ رَأْسَ

ابنه،

بأكيأ،

ذَبْحُوهُ^(١) .

- ٣ -

أخذوا مُؤَنَساً

وَضَمُوا لِرَأْسَيْهِمَا

رَأْسَهُ .

* زَمَنْ عَنكَبُوتُ

يَلْمُ الخِيوطَ مِنَ الشُّعْرَاءِ،

وَيَنْسِجُ لِلأَرْضِ قُمَصَانَهَا .

- ذ -

عند خُوفُو، قُبيلَ التَّقَاءِ النُّجُومِ
بأحبابِها، أَمْسِ،

أَحْسَسْتُ أَنَّ السَّمَاءَ سَتُوقِعُ
فِيَّ،

وَحُخَيْلَ أَنَّ النُّجُومَ كَمَثَلِ الشُّبَّاكِ.

صِرْتُ أَرْنُو إِلَى الثُّورِ يَلْتَفُ

حَوْلِي خَيْطًا فَخَيْطًا،

وَأَلْمَسُ فِي كُلِّ خَيْطٍ مَلَائِكًا.

الذّاكرة

٣٢١هـ.

- ٤ -

طُوفُوا بِالرُّؤُوسِ

الثَّلَاثَةِ،

مُسْتَبْشِرِينَ:

«الضَّلَاةُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ

وَأَصْحَابِهِمْ،

وَالسَّلَامُ

إِنَّ هَذَا جَزَاءُ

لِمَنْ يَنْقُضُ الْعَهْدَ،

أَوْ مِنْ يَخُونُ الْإِمَامَ».

* إِنَّهُ الْحَبُّ يَمِشُطُ رَأْسَ الْفَضَاءِ،

وَيُجْلِسُ تَارِيخَ يَأْسِي فِي حُضْنِهِ.

ها هو الحجرُ
الأسودُ - اقتلعه^(١)،
وساروا إلى دار
هجرتهم في هَجْرٍ.

أربعونَ بعيراً
في الطّريقِ تنوءُ
وتهلك من ثِقَلِهِ.

بعد عشرين عاماً،
عندما أرجعوه،
سَمُنَتْ ناقةٌ
حملته،
وتغيّر شكلُ القَمَرِ!

- ض -

لا أواجهُ دَهْرِي إلاَّ

هازئاً من بقاءِ

كمثل الرّحيلِ، وأعني

هازئاً من رحيلِ

كمثل البقاءِ.

مازجا صَخْرَتِي بالهواءِ

وفَهَقَتِي بالبُكاءِ.

* لِلسَّماءِ التي أتحركُ في ظلّها
كَتِفَا ناقةٍ.

(١) في الأخبار أنّ القرمطي
«لَمّا أخذ الحجر الأسود،
هَلَكَ تحته أربعون جَملاً، من
مَكّة إلى هجر.

ولمّا أعيد، بعد عشرين
سنة، حُمِلَ على قَمُودِ هَزِيلٍ،
فَسُئِنُ!».

فَرَّ قَلْبِي مَنِي

- ظ -

لِيخْفَقَ فِي غَيْرِ جَسْمِي، لَمَّا

هَبَطْتُ إِلَيْهَا،

وَأَوْغَلْتُ فِيهَا،

وَأَوْغَلَّ فِي كَبِدِي سِرُّهَا.

- ١ -

إِبْنُ بُؤَيْبٍ^(١) يَأْخُذُ

فَارِسَ، هَذَا بَدَأَ

لِسِيَادَةِ آلِ بُؤَيْبٍ.

أَوْ، مَاذَا أَسَمِّي بِلَاداً

لَمْ تَعُدْ تَنْتَمِي إِلَيَّ،

وَلَا أَرْضَ لِي غَيْرُهَا.

صُعْلُوكٌ يَعْرِفُ كَيْفَ

يَسُوسُ الدُّنْيَا.

- ٢ -

كَانَ بُوَيْبٍ^(٢) صُعْلُوكًا،

فَرَأَى فِي الثُّومِ كَأَنَّ

عَمُوداً مِنْ نَارٍ

يَخْرُجُ مِنْهُ.

وَرَأَاهُ تَشَعَّبَ حَتَّى

مَلَأَ الدُّنْيَا.

* لَيْسَ هَذَا الصَّجِيحُ هَدِيْرًا

لِعَوَاصِفَ، أَوْ ثَوْرَةً لِمَوْجٍ.

إِنَّ هَذَا الصَّجِيحَ حَفِيْفٌ لِحَمَائِلِ أَفْكَارِهِ.

(١) عَلِيٌّ بِنُ بُوَيْبٍ.

(٢) قَالَ الْإِمَامُ السِّيَوطِيُّ

«تَارِيخُ الْخُلَفَاءِ»:

١ - «كَانَ بُوَيْبٍ فَقِيْرًا صَعْلُوكًا
يَصِيْدُ الشَّمَكِ رَأَى كَأَنَّهُ نَارٌ،
فَخَرَجَ مِنْ ذِكْرِهِ عَمُودٌ نَارٍ ثُمَّ
تَشَعَّبَ الْعَمُودُ حَتَّى مَلَأَ
الدُّنْيَا. فُفْسِّرَتِ الرُّؤْيَا أَنَّ
أَوْلَادَهُ يَمْلِكُونَ الدُّنْيَا».

٢ - وَقَالَ الْإِمَامُ

السِّيَوطِيُّ عَنْ عَلِيٍّ بِنُ بُوَيْبٍ:

«قَالَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ،
فَنَامَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَخَرَجَتْ
حِيَّةٌ مِنْ سَقْفِ الْمَجْلِسِ، فَأَمَرَ
بِتَقْضِهِ فَخَرَجَتْ صِنَادِيْقٌ مَلَأَتْ
ذَهَبًا».

الذاكرة

٣٢٢هـ.

- ٣ -

قالوا في تفسير الرؤيا:

«سيكون لآلِ بُوَيْهِ

سُلْطَانٌ

وسيملاً هذا السُلْطَانُ

الدُّنْيَا».

- ٤ -

بين السَّيْفِ وَفَقَّهَ الرَّؤْيَا،

يَتَدَفَّقُ مَاءُ الْعَرْشِ،

وَطَرِيقُكَ: إِمَّا هَذَا الْكَرْسِيِّ،

وَإِمَّا هَذَا النَّعْشِ!

- غ -

كَلَّ لَيْلٍ، أَحَاوَلُ أَنْ أَتَقَرَّيَ

طُرُقَاتٍ، مَنَايِرَ، دُورًا،

زَوَايَا

لَأَرَى كَيْ تُوَلِّدُ أَشْوَأُفَهَا

وَنِيرَانُهَا.

لَا أُشِيرُ إِلَى فِتْنَةٍ

أَوْ إِلَى ثَوْرَةٍ

أَوْ إِلَى شَهْوَةٍ عَابِرَةٍ،

بَلْ أُشِيرُ إِلَى الْقَاهِرَةِ.

* أَيُّهَا الطَّيِّبُ الْجَدُولُ،

لَا طَرِيقِي طَرِيقَكَ، وَالْمَاءُ - هِيَهَاتِ

أَنْ يَرَوِيَ الرَّمْلَ، وَالْعَابِرُونَ

هُوَّى آكِلٌ وَهُوَّى يُؤْكَلُ.

٣ - وقال الإمام السيوطي:

«ركب يوماً فساخت قوائم

فرسه، فحفرها فوجدوا

كترًا».

استولى على بلاد

فارس، وخرجت خراسان

وفارس عن حكم الخلافة.

هوامش
(يوميات المتنبي)



IV. فلك

١ - إمكان

أتخيّل بغدادَ، لكتني أحيي
حلباً، وأحيي
كوفّة الثائرين - الأزقةَ مَحشوّةً
بالبكاءِ وبالموتِ، رأسُ

يتدحرجُ . صدرُ
تَقَبَّتهُ الرِّماحُ . دمَاءُ
تتحوّلُ غَزْلاً، وتُنسجُ للأفقِ منها ثيابَ .

هل ستُصبح، يا أيها الأفقُ، بوقاً
أم ستُصبح مرثيةً؟

يمكن الفكر أن يُطفئ الآنَ مصباحهُ
كي يسيرَ على هُدًى تاريخهِ .

يمكن الآن أن تتحوّل شمسُ الغروبِ إلى بومةٍ .

٢ - غَزُو

كُنْتُ أَصْغَيْتُ يَوْمًا لِصَمْتِ الْفَلَكَ
مُوحِشًا، فَاتِنًا.
قُلْتُ لِلْجِسْمِ: أِنَّ الْأَوَانَ لَتَعْلَوُ كَالطَّيْرِ،
تُصْغِي لِآهِ الْمَلَائِكِ فِي خَدْرِهَا.

فَجَاءَتْ، يَخْرُقُ الصَّمْتِ صَوْتٌ
يُوشِوشُ: لَبَّيْكَ،
هَا أَنْتَ فِي مُخَدَّعِي، هَيْتَ لَكَ.

هَكَذَا رُحَّتْ تَغْزُو الْفَلَكَ!

٣ - أسئلة

هي ذي تعبسُ، تَسْتَلْقِي، وفي أهدابها

شَرَزُ أعمى. لماذا

كيف تُعويك، وَتَسْتَفِرُّ أحشاءك هذي الأنجم؟

ولماذا

تُنفِرُ الخاصرةُ البيضاء في حِسِّك؟ والشَّعْرُ - لماذا

شَعْرُها يَحجب عينيكَ، وَيَسْتَرسلُ زهواً؟

ربّما في ذلك المصباح، في مشكاته

بين أوراقك، في دفتركَ الطَّائِرِ من حَبْرٍ لِحَبْرٍ

أُفُقٍ آخِرٍ - فيه

يكشفُ المجهولُ عن أبعاده

ويُضِيءُ المظلمُ.

٤ - دعوة

نثرت بغداد في كل مكان
وبنت تاريخها
كلمات ودماء -

أفلن تفصل بغداد هواها
عن تقاليد خطاها؟

أفلن يعلو صوت الله في ثورة مسروقي
على سارقه،
بدلاً من مئذنه؟

أضمر الآن هوى جزاً وأدعو
ذلك الشاعر في عزلته،
أن يعلنه.

٥ - الغصن

فقراء: رَمَلُ هذي الأَرْضِ مسكوبٌ على أهدابهم،
وَمَجْرَاتٌ مِنَ القَشِّ تُؤاسي زُرْعهم.

كُلهم يَمْضي ويأتي
حاملاً تابوتَهُ،
موغلاً في غابة اليأسِ .
يعيشون حيارى

بين سلطانٍ يُعميهم، ودينٍ
يقتل الرَغْبَةَ في أجسادهم .

غُصْنُ الحُلْمِ على أهدابهم مُنكسرٌ.

٦ - عَرَافَة

لَا تَقُلْ لِلنُّجُومِ
أَنْتِ نَوْرٌ. ضِيَاءُ الْمَجَرَّاتِ مِنْ أَدْمَعِ الشَّمْسِ -
هَذِي الَّتِي
تَغْسِلُ الْآنَ فِي جُرْنِهَا
رَاحَتِهَا
مِنْ دَمَاءِ الَّذِينَ يُسَاقُونَ لِلذَّبْحِ فِي ضَوْئِهَا.

قُلْ لَتَلِكِ النُّجُومِ
لَسْتُ إِلَّا تَرَاباً
لَسْتُ إِلَّا صَدَى.

وَأَضْطَجِبُ فِي مَسِيرِكَ نَحْوَ الْمَجَاهِيلِ
عَرَافَةُ الْغَيُومِ.

٧ - عجباً!

عجباً! أَلخليفةُ يُصبح في ليل بغدادَ في شمس بغدادَ،
هزّاً.

عجباً! شعراءُ

يَشهرونَ عليه، سُكّارَى به .
عجباً! كلُّ رأسٍ ويسادُّ له .
عجباً! في الأرقّة، في كلِّ بيتِ مواءٍ
للتعاطفِ مع ذُبُلِه .

عجباً! رأسُه

يتحوّل في كلِّ رأسٍ كتاباً
لأساطيرَ من كلِّ إِفْكٍ .

عجباً! لا مكانُ

لغيرِ اسمه ،
ولغيرِ تعاليمِه .

٨ - قراءة

للمكان، كما رسمته أساطير هذا الزمان، نيوّب .

وَلَهُ آلَةٌ تَقْرَأُ الطِّينَ . هذي

يَرْقَاتُ مِنَ الشَّحْمِ وَالرَّمْلِ يَنْثُرَنَّ

أَلَاءَهُنَّ عَلَى خَضِرِهِ .

أَضَعُ الْآنَ صَحْنًا،

أَضَعُ الْآنَ فِي الصَّحْنِ رَأْسًا، وَأَسْأَلُ:

أَيْنَ الْمَلَاكُ الَّذِي يَتَجَرَّأُ

أَنْ يَقْرَأَ اللَّهَ فِي طِينِهِ؟

٩ - حُلْم

أَسْأَلُ الْمَاءَ مَتَى يَطْفُو عَلَيْهِ
وَجْهٌ تَارِيخِي، وَأَسْتَرْسَلُ فِي اسْتِيفْسَارِهِ
عَنْ هَوَى آدَمَ: هَلْ يَهْفُو لَطُوفَانٍ جَدِيدٍ؟

وَعَنْ الْفُلْكِ الَّذِي يَصْنَعُهُ الشُّعْرُ،
لِيَنْجُو مِثْلَ نُوحٍ.

شُرْطِيٌّ زَاحِفٌ خَلْفِي. أَغْتِي
زَاحِفًا خَلْفَ صَبَابَاتِي،
عَلَى الضَّفَفَةِ، مِثْلَهُ.

كُنْتُ سَكْرَانًا عَلَى ضِفَّةِ دِجْلَه.

١٠ - أسطورة

أَلْجَمِيلَةُ تُسْتَيْقِظُ الْآنَ فِي دِجْلَةٍ .

أَلْجَمِيلَةُ عَرِشٌ عَلَى الْمَاءِ يَمْضِي إِلَى سَبْرِهِ .

أَلْجَمِيلَةُ تُسْتَوِدِعُ الْحُبَّ أَشْلَاءَهَا

وَأَسْرَارَهَا .

أَلْجَمِيلَةُ مَالَتْ عَلَى خَصْرِهَا

كِي تَوَدَّعَ فِي الْمَاءِ مِرَاتَهَا .

أَلْجَمِيلَةُ تُوَلِّدُ مِنْ أَوَّلِ

فِي طِفْوَلَةٍ أَيَّامِهَا

فِي هَوَى الرِّافِدَيْنِ

فِي الْهَوَاءِ وَمَا بَيْنَ بَيْنِ !

أَلْجَمِيلَةُ - آهًا ،

أَتُرَانِي أَحَدْتُ نَفْسِي عَنْ حَوْلَةٍ؟

v

فاصلة استباق

أَمْسِ جَدَّتَكَ الْأَبْجَدِيَّةَ الرَّمْلَ جُدُّكَ الْآنَ
وَلَكْ حَيْضَ الصَّحْرَاءِ
لِمَاذَا تَنْكُرُ أَحْوَالَكَ وَتَوَلَّوْنَ بِاسْمِ اللَّهِ
كَمَنْ يَتَسَلَّقُ
جَذَعَ نَارٍ أَوْ يَسْبِغُ تَحْتَ ذَيْلِ الْجَبَّارِ لَا أَثَرَ
الْأَثَرُ كُلُّهُ لَوْ قَتِ يَجْرِي جَرِيَانٌ سَائِلٌ كَأَنَّهُ مَنِيٌّ أَتَانِ
حُبْلَى

أين جسر الجحيم لنتكئ ونعبر؟

جيم:

ما أقسى،

لكن ما أكبر أن تحب الكل،

وَأَلَّا يُحِبَّكَ أَحَدٌ.

عين :

جرثومة فضائية تبتكر حُمى الشعر .

ألف :

محيطٌ يلتهم شواطئه .

ميم :

فراشةٌ تحاول عبثاً أن تحمل وردةً ذابلة .

عصركَ دونَ خطواتهم ضوءٌ لكنَّه حُجَاب

ذهبيٌّ لكنه ذبابٌ

لا بُدَّ

لا بُدَّ

تأخذ الفراغَ بيتاً وتستكمل السقوط

تَرى حشراتٍ لها أنوفُ الكواكب

تَرى الترابَ يترَضُّضُ ويتعجسُ دماً

تَرى جدراناً تلتهم البشرَ

تَرى إلى الكلام يتدفَّقُ جُثثاً من الحناجر .

- أ -

هُوَذَا النَّيْلُ: تَارِيخُهُ وَمِعْرَاجُهُ

شَعَفْتُ وَاحِدٌ

وَحِدَةٌ الْجَفْنِ وَالْجَفْنُ فِي مُثَلَّةٍ.

هُوَذَا النَّيْلُ، هَذَا سَرِيرُ الْفَتْوحَاتِ

هَذَا صَبَابَةٌ.

وَأُظِنُّ: الزَّهْوُورُ الَّتِي تَتَخَاصَرُ فِي الظِّلِّ،

تَقْرَأُ لِلتُّرْبَةِ الْمُثَقَّلَةِ

بِفُصُولِ مَوَاعِيدِهِ،

مَوْسَمِ النَّشْوَةِ الْمُقْبِلَةِ.

الذَّاكِرَةُ

٣٢٢هـ.

سُئِلْتُ عِنَاهُ^(١). وَقَالُوا:

سَأَلْتُ عَيْنَاهُ

عَلَى خَدَيْهِ!

مَا أَصْغَرَهَا - بَغْدَادُ

الْيَوْمَ،

تَرَوْحُ وَتَأْتِي

مِثْلَ الدَّمِيَّةِ فَوْقَ يَدَيْهِ!

* مَرَكَبٌ عَاشِقٌ

رَسَمَ الحُلْمِ شَطَّانَهُ:

حَبَّهُ، فِي الطَّرِيقِ إِلَى بَيْتِهِ، خَانَهُ.

- ب -

كَبِدُ النَّبْلِ فِي حَلْوَةٍ
مَعَ دِفَاتِرِ بَرْدِيَةٍ.

- ١ -

ضرب السُّلمغاني^(١)

ثمانين سُوْطاً،

بعد هذا

ضربت عُقْفُهُ.

- ٢ -

أيها الثَّابِرُ

يسألُ الفِكْرُ فيكَ،

ويستَقْبِرُ الشَّاعِرُ:

خَلَقْتَ شَعْرَهَا السَّمَاءُ

ما الذي ستَقُولُ لها

الأَرْضُ، هذا المَسَاءُ؟

* سوف يأتي زمانٌ، يقول لي النَّبْلُ،

يأتي زمانٌ

يتحوّل فيه المكانُ إلى دَرَجَاتٍ

لصعودِ المحييين صوبَ أَقاصِيهِمْ.

(١) ذُكر سابقاً في «الكتاب».

وهو محمد بن علي، أبو
جعفر السُّلمغاني. ادعى أن
اللاهوت حلٌّ فيه، ويقول:
«إن الله بحلٍّ في كل إنسانٍ
على قدره».

أفتى علماء بغداد بإباحة
دمه. فقتله الخليفة الرّاضي
بالله، وأحرق جثته.

يُعرف بابن أبي الغزاقِر،
والسبب تُنسب الفسقة
«الغزاقرية».

- ج -

تهبط الشَّمْسُ، هذا الصَّبَاحُ، على النَّيلِ
فَلأَحَّةً،

يَتَغَيَّ بِأَهْدَابِهَا وبَأَرْدَافِهَا
زَهْرٌ أَحْمَرٌ أبيضٌ،

لا يُجْمَعُ، لا يَكْتَمُ.

وَتَمِيلُ لَهُ الضَّفَّتَانِ، وَيَسْرِي
في جِوَانِحِ بَرْدِيهَا ارتعاشٌ.

المسافاتُ سَكَرَانَةٌ
وتضاريسُها تحلُمُ.

* كَلَّ يَوْمَ أَرَى النَّيْلَ في حُلَّةٍ

غيرِ تلكَ التي كنتَ شَاهِدْتُهَا،-

أَهْ مَا أَعْجَبَ الطَّرَازَ الَّذِي يَتَخَيَّرُ خِيطَانَهَا
وَألْوَانَهَا.

- ١ -

فُقِلَ الذَّيْلِيُّ^(١)

الذي كان يزعمُ:

روحُ سُلَيْمَانَ فيه،

وسُلَيْمَانُ نُوبٌ لَهُ.

- ٢ -

تخرجُ الرُّوحُ من جَسْمِهَا،

وتدخلُ في آخِرِ:

لِمَ هَذَا التَّنْفُلُ، هَذَا السَّقَرُ

أَيُّهَا الرُّوحُ، في ما

تَدْمِينُهُ وَتُهْيِينُهُ

وتقولينَ عنه

إِنَّهُ موطنٌ لظلامِ البَشَرِ؟

(١) هو مزداويج، وكان يزعم أن روح سليمان بن داود حلت فيه. وقيل كان يجلس على سرير من ذهب. قتله بجنم أخص مماليكه. وبجنم هو الذي استنقذ الحجر الأسود من القرامطة. اشتراه بخمسين ألف دينار.

أوماً النَّيْلُ، قَالَ اثْرُكُونِي
فِي فُلْكَ حَبِي،
وَأَنَا لَا أُعَلِّمُ، لَكِنِّي أُلْهِمُ.

بَيْتِي الطَّيْنُ، مِيرَاثِي الْأَنْجُمُ.

غَيْرَ أَنَّ زَمَانِي غَرِيبٌ
كَتْفَاهُ سَمَاءٌ
وَحُطَّاهُ دَمٌ.

* أَسْرَتْنِي خَفَايَاكَ يَا نَيْلُ،
وَالْوَقْتُ يُوَلِّمُ أَشْجَارَهُ
لِأَعَاصِيرِهِ،
وَالْمَدَائِنُ فِيَّ ائْتِشَاقٌ.

- ١ -

جُثُّ الْمَوْتَى
تُنْتَابِرُ فِي الطَّرْفَاتِ
وَالنَّاسُ سُنَاتٌ.

- ٢ -

عَلَّمْتَنَا تِجَارِينَا:
كُلُّ رُبٍّ إِذَا لَمْ يَكُنْ
سَلْطَةً أَوْ رَغِيفًا،
لَيْسَ إِلَّا تُرَابًا.

طِينُ أَجْدَادِنَا الْبَابِلِيُّ عَلَى النَّيْلِ :
فِي الْقَلْبِ غَيْمٌ ، وَفِي الْغَيْمِ نَارٌ .

أَعْرَبُوا أَعْرَبُوا ، فَأَنَا الْمُعْجِمُ .

مَا أَقُولُ لِقَوْمِي

وَأَنَا فِيهِمْ بِهِمْ مِنْهُمْ؟

يَا لِقَلْبِي مِنْ طَائِشٍ :

أَلْحَقِيقَةَ فِي نَبْضِهِ

وَهُوَ لَا يَعْلَمُ .

* إِنَّ لَّيْلٍ كَالنَّيْلِ شُطَّانَهُ

وَلَهُ سَفْنٌ جَارِيَاتٌ ،

وَلَهُ لُغَةٌ فِي الْحَنِينِ وَأَمْوَاجِهِ السَّاهِرَةِ ،

نَهْرٌ آخِرٌ هُوَ اللَّيْلُ فِي الْقَاهِرَةِ .

يَا أَبَا طَاهِرٍ^(١) ،

فَرْقَةٌ فِي جُنُودِكَ ،

بَعْضُ يُهَارِشُ بَعْضًا .

وَتَمَّةٌ قَتَلَى .

أَتَرَى كَيْفَ يَلْتَمِهُمُ

الثَّائِرِينَ الْخِلَافُ

عَلَى الْمُلْكِ وَالْمَالِ؟

وَانظُرْ : هَا هُوَ

الْفَقْرُ مَا زَالَ

يَشْخِذُ أَعْضَاءَهُ

كَيْ يَنَامَ عَلَى جِرْحِهِ ،

حَاضِنًا مَا نَفَثَتْ

مِنْ خُبْرٍ أَخْلَامِهِ .

- ١ -

قتلوا بِنَجْمًا،

والغلام^(١) الذي كان

يحملُ أسْرَازَهُ.

- ٢ -

آه من ليل تاريخنا:

ليس في أرضنا

غيرُ شخصين - إمًا

قاتلٌ أو قتيلٌ.

- و -

صورةٌ للطفولة - محضونةٌ

بعذاباتها

في الأزقة، قلبي كليمٌ لها.

وحنوتٌ عليها كآتي أبٌ

ومشينا معاً، وهمسنا للزمان بأوجاعنا

تارةً وجَهْرنا بها تارةً

ومزجنا بأهاتنا شمسنا ومزامير أضوائها،

والبلادَ وهولَ الظلام.

آه، كم يُوجعُ الكلام.

* ما أطيّبَ أن نَسْتَلقي

شِعري وأنا، عندَ النَّيلِ،

ونشربَ صَفْوَ دموعِ

عَتَقَناها.

- ز -

مَسْجِدٌ، سَاحَةٌ - طَيورٌ
تتناثرُ فيها .

عاشقانِ يطيرانِ في زهوٍ ريشيهما
في عناقِ طويلِ
بين أحضانِ هذا الزمانِ البخيلِ .

كيف، من أين جاءت إلى التليلِ
هذي الثلوجُ التي تتساقطُ
من كلِّ صوبٍ؟

* أتخفى (أحلمُ أن أتخفى)
في أحضانِ التليلِ، وأعرفُ
كيف يكونُ الماءُ رسائلَ حبِّ .

الذَّاكِرَة

٣٣٠هـ .

- ١ -

منجنيقاتُ بغداد

منصوبةٌ:

الخلافةُ أضحوكةُ

والقرى والمدائنُ

نهبٌ وقتلٌ .

- ٢ -

كيف لم يفهم الذين

يسرون في موكبِ

الخلافةِ .

أنها مرضٌ في الحياةِ

وفي العقلِ، أو أنها

لم تكن، غالباً، تحت

فيءِ الحقيقةِ،

بل تحت فيءِ الخرافةِ؟

- ح -

أَسْأَلُ النَّيْلَ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي

بهذا البهاء،

وَهُوَ مُحْتَبَسُ الضَّفْتَيْنِ،

أَسِيرٌ جِدَارِيهِمَا؟

فَأَرَى صَوْتَهُ - لَا كَلَاماً

بَلْ هَسِيساً غَرِيباً

يَسِيلُ عَلَى الْأَقْفِ جَبْرًا،

يُدَوِّبُ فِيهِ اللَّغَاتِ،

وَيُرْسِمُ لِي صُورَةً فِي الْهَوَاءِ.

- ١ -

كثُرَ الزَّافِضُونَ

بِبَغْدَادَ، فِي كُلِّ حَيٍّ

أَثْرٌ مِنْهُمْ:

يُولِمُونَ لِأَيَّامِهِمْ

وَلِأَثْرَاحِهَا

شَهَوَاتِ الْجَسَدِ،

وَيُضَيِّتُونَ لَيْلَ الْأَبْدِ.

* هَيَّا النَّيْلُ إِبْرِيْقَهُ

لِيَقْدَمَ شَايَ الصَّبَاحِ إِلَى أَخْتِهِ،

أَخْتُهُ الشَّمْسُ، فِي كُلِّ فَجْرٍ،

تَقْصُّ عَلَيْهِ رَوَّاهَا.

- ٢ -

أنظرُ الآن في

كبد الأفقي، في وجهه

بغداد: للرّفص قزنان

والأرض حُبلى

بأساطيره -

بطبور من النار

تجهل من أين جاءت،

إلى أين تمضي.

- ط -

كوكبٌ يَشْهَى

أن ينأم على زُنْدِ فِلاحةٍ،

رسمت وجهها بحبرٍ

كان خوفو يُخبِّئُه تحت بَرْدِيَّةٍ،

في خزانة أوراقه.

ما الذي يستطيعُ ابنُ حِزْرابِةٍ* ضِدَّها؟

* يحفر الحبُّ كالسَّعْر ثقباً

في جدار الزَّمْنِ،

كي يجددَ ميلادَهُ،

ويمزقَ عنه الكفنَ.

(*) كان ابن حِزْرابِة وريراً
لكافور، وعدواً للمتنبي.
وكان له «مجلسٌ يتلاقى فيه
الشعراء والعلماء،
والمحدثون».

وكان ابن حِزْرابِة يحاول،
كما جاء في الصبح المبني،
أن يتحدث دائماً عن سرقات
المتنبي. اسمه جعفر بن
الفرات، ومن أصلٍ عراقي.

- ٣ -

يسأل الرّافضون

الخليفة، في خيرة:

قُل لنا كيف تأتي

إلينا

أبيات علمك،

أم بالهبوط علينا

من علّ؟

ولماذا،

يا خليفة أيّامنا

وأموالنا، لماذا

ت تمرأى بنا

- ي -

من جديد، تعود السّماء لكي تسكن اللّحم

والعظم: هذا مقال

قد يسرّ العقيليّ (*) لكن،

كيف يدخل في الجسم ضوء الحبيبة؟

من أين تأتي

خميرة هذا الهبوط الصّعود

في مجرة أعضائها؟

هل أسائل فسطاط هذا التخيّل عند

العقيليّ، أم أسأل الوجود؟

* إبتدئ إبتدئ

وجهُك الآن كالنّار -

تُوشِك أن تنطفيء.

(*) هو الشريف علي بن الحسين بن حيدرة العقيلي (توفي في أواخر القرن الرابع الهجري). من الشعراء في زمن كافور. له ديوان مطبوع. ومن شعره في حبيبته: «ضافت عليّ نواحيها، فما قدرت على الإناخة في ساحاتها القبل».

- ك -

رجُلٌ في طريقي (ربّما كان كافورًا أو ابنَ حِزْرَابِيَّةِ)،
رجُلٌ هالني،

رأسُهُ فرَّ عن كتفيه، وها هو يمشي
تاركاً جسمه خلفه،
ويطوفٌ وحيداً
وها هو يمشي ورائي
لأعقاً خطواتي.

عندما راحتِ الشمسُ تسكبُ تزيّاقها،
أخذتهُ إلى بيتها نملةً.

* ظُلْمَةٌ - والأزقةُ تَحْتَضِنُ السَّابِلَةَ
في دماءِ الخريفِ الرّماديّةِ السَّائِلَةِ.

الذّكرة

٣٣١هـ.

في حناجر أبنائنا

وأبائنا -

ساطعاً،

قاطعاً مثل سيفٍ؟

قل لنا كيف يحدثُ

هذا،

قل لنا كيف تأتي؟

- ٤ -

رافضٌ مات موتُ

الطّبيعةِ، لم يقتلوه،

ولكن

صلبوه، بعد أن

مات، خزّوا

(*) هو محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندي، الملقب بالنجي، والموسوس، وسيبويه المصري. وُلد في البصرة سنة ٢٨٤هـ. ومات في مصر، سنة ٣٥٨هـ

- ل -

سأقول لهذا الموسوس، هذا الذي لَقَّبَهُ
سَيَّوِيهِ (*) : القصيدةُ، يا قارئ، رحيلٌ
خارج النَّحو والصَّرْفِ، سَيَّرٌ
في جميع الجهات .
نَفْسٌ صَاعِدٌ من قَرَارَةِ أَحْشَائِنَا
يُلبَسُ أَيَّامَنَا وَأَشْيَاءَنَا
قَلَقًا، زهرةً، حِصَاةً.

سأقول: القصيدةُ كالشَّمْسِ، كالماء،

مُسْتَقْبَلٌ للكلام

لا تنام، ولا شيء في ضوءها ينام.

* جَاهِدْ أَنْ أَعْلَمَ خَصْمِي

كيف يحيا بهيأً وحرأً

ليصيرَ جديراً بعدائي له .

الذاكرة

٣٣١هـ .

رأسه، نشوة .

أذم

حائز العُقَلِ في

ديته،

وفي سرِّ تكوينه،

وفي شهوات

بنيه .

- ٥ -

حمره في السماء،

الوجوه، الحجارة

حمراء. حبلٌ

المجانين يمتد -

حبلٌ مسد .

- م -

أَتَخَيَّلُ نَفْسِي تَقْتُلُ نَفْسِي :

رجلاً سائراً أمامي خلفي

طالِعاً مِن ثِيَابِي فِي صُورَةٍ - صُورَتِي .

وَيُؤَاكِبُنِي أَيْنَمَا كُنْتُ أَوْ سَرْتُ . حَرْبٌ

عَلَيَّ . شَدِيدٌ عَنِيدٌ لَا يُقَاتِلُ غَيْرِي .

وَأَنَا وَائِقٌ :

سيرانِي أَعْدَاءُ شِعْرِي ،

ذاتَ يَوْمٍ ، قَتِيلًا

بَيْنَ قَمَصَانِهِ .

❖ كُنْ كَبِيرًا عَلَى الْأَرْضِ ،

كَنْ ذَرَّةً مِنْ ضِيَاءِ .

الذَّاكِرَةُ

٣٣١هـ .

لا تَشْكُوا . تَريدون أن

تَوقِنُوا؟

اسأَلُوا الرِّافِضِينَ

الَّذِينَ يُحِبُّونَ

هَذَا البَلَدَ .

- ٦ -

تَرَكَ الرِّافِضُ القَتِيلُ

كِتَابًا :

«لَمْ أَشَاهِدْ إِلَهًا

يَتَصَدَّرُ جَنَعًا

أَوْ يَسِيرُ عَلَى رَأْسِ

حَشْدٍ .

فَلَمَّاذَا تُصِرُّ الحَشُودُ

عَلَى أَنْ تَقُودَ السَّمَاءَ

خُطَاهَا؟» .

- ٧ -

رافض آخر قال:

«أعرفُ أني

سأقتلُ، فليهنأ

الخلفاءُ على هذه

الأرضِ، لكن

بعد قتلِي

سأولّدُ في

كلّ شيءٍ».

- ن -

لا أرى في الفراغ، كما يزعمُ الهجرُ، عُرِيّاً
بل أراه كساءً.

كيف نلمسُ ثوبَ الضياءِ، إذا لم يُحرّك

جسمه في فراغٍ؟

ألهذا

كان بستانُ حزني أشدَّ احتفاءً

بالطُّيور التي هاجرت

كي تُدفعَ بالصّمتِ أعشاشها^(*)؟

* كلُّ يومٍ أعودُ إلى البدءِ،

أجبلُ من زفرائي طيناً

وأنقش فيه تقاطيعَ حبي.

(*) قلت هذا لمدّاحهم،
فكان يقلُّه لجدارٍ.

وهو المدّاح الأنصاري،
أبو الفاسم بن أبي الععير،
صاحب كافور والوزير ابن
حزابة.

- ٨ -

هُوَذَا رَافِضٌ يُشِيدُ
 كُلَّ شَيْءٍ لَهُ مَعْبُدٌ:
 «لا أريدُ لهم أن يموتوا،
 كما شاء غيري أو يُقتلوا
 (أقصد الآلهة)
 بل أريد لهم أن يعيشوا
 أن يظلوا أشداءً في
 حربهم علينا، وأن
 يُغلبوا،
 هكذا يكبرُ اللّاعبونُ
 ويزدهرُ الملعبُ.
 هكذا تولدُ اللّغة
 الوالهة».

- س -

لا أرى أن جسمي تُزلزله الآن
 آيةٌ أُغويةٌ.

لا أرى في شعوري أيّ انفجارٍ
 تفتقُ عنه دروبٌ،
 أو تسافرُ منه الجراحُ إلى نَشوةٍ
 لم تكن تتراءى لها.

ما الذي يحدث الآن فيّ؟ وأين اختفت
 رغباتي؟
 إنهضي، هل سمعتِ، وماذا تقولين
 يا كلماتي؟

* ربّما كان هذا أولَ المنحدَرِ،
 وأحسُّ كأنّ الدقائقَ سَيْلٌ
 يجرُّ الصّراطَ إلى ربّه،
 ويجرُّ البَشَرَ.

ألبرندي^(١) بقتل حتى

أخاه:

كيف تقدر من بعد

هذا الدّم المزمّ،

أن تتلمس خديه

أو صدره،

يداه؟

- ع -

أتمدّد مستسلماً في سريري إلى حيرتي،

كأنّي

لم أعد قادراً أن أحسّ ولا أن أرى.

هل هُزِمْتُ؟ هل انكسر الضوء فيّ؟ وكيف

سأعرف نفسي؟ أسألها

من ركاماتها القديمة، أم أستعيد الظلام

الذي لفّها خفيّة، عندما كنتُ أزهو

بلاّلائها؟ وأرى أين كانت، وكيف،

وماذا؟

هل هُزِمْتُ؟ أم الشعر في آخر الليل، يرفع

نفسه إلى البدء - يقرأ أوراها،

ويجدّد ميلادها؟

* غسل الأفق أسنانه، بالغيوم، -

قلتُ هذا وصدّفتي الشعر، لكن

عبست وتولّت في خطاي النجوم.

(١) قُتل أبو الحسين

البريدي، وُصِّب، ثم

أُحرق. وكان بعض الفقهاء قد

أفتى بإباحة دمه.

ومعه انقضت أيام

البريدية.

(١) هو الخليفة القاهر،
وُروى أنه «افتقر حتى لم يبق
له شيء سوى قطعة عباءة
يلتفت بها، وبقاب من خشب
في رجليه».

- ف -

جَسَدُ الضَّوْرِ فِي مِصْرَ، فِيَّ، وَفِي

صَبَوَاتِي

جَسَدُ عَاشِقٍ

دَهَنَ الْوَقْتُ أَطْرَافَهُ بِبِهَارٍ

وَأَدَارَ عَلَى عُنُقِهِ

دَهْبًا ذَائِبًا فِي لُجَيْنٍ،

يَجْهَدُ اللَّيْلُ كِي يَتَحَوَّلَ فِيهِ

إِلَى مُقْلَتَيْنِ.

الذاكرة

٣٣٣هـ.

- ١ -

من ترى يستضيف

الخليفة: فبقابه

والعباءة، هذا

المساء؟

هوذا يتمزق: لا ملك،

لا خبز، لا شيء

إلا الشقاء.

- ٢ -

إسمه القاهر -

اسم ظلمات

جموع تمزق

أحشاءها

* ما له - ذلك الليل لا يهزم؟

أهو الغيم لا يتسلق،

والجرح لا يلام؟

- ص -

كَيْدِي - ما الَّذِي ذَهاها؟
لم أَعَدُ أَعَرَفُ فِيها إلى أَيِّ شَخْصٍ،
أو إلى أَيِّ شَيْءٍ .
وَأُجِسَ كَأَنِّي فِي حاجَةٍ
كِي أَحاصِمَ أهواءها - أَعانِقَ أهواءها،
وَأَسافِرُ فِيها إلى مُنتهاها - إلى أين؟
أين المَكانُ الَّذِي يَقدرُ الآنُ أن يَتقبَّلَ
مَما بي، ويفتَحُ أحضانهَ لجرَاحي؟
أه يا نَفْسي الرَجيمةُ يا نَفْسي الكَريمةُ
مِن جَديدِ أَعوُدِ لِصحرائي القَديمَةِ .

الذّكرة

٣٣٣هـ .

بأظافرٍ مِن فِضَّةٍ،
وتُقاذُ إلى كُلِّ ما
لا نِشاءَ .
عَرُ، كَرُزُ نَشيدِكَ
يا أَيها الشاعِرُ:
مَسرَحُ لِلحِلافةِ،
يُستأصَلُ العَقلُ
فيهِ،
ولا شَيْءٌ يُؤخَذُ
غَيرُ الدَما،
وغَيرُ الهِباءِ .

* أرسَلتُ لِلليلِ كِتاباً

وَنَشَرْتُ حَروفَهُ

في طُرقاتِ هُمومي في أنحاءِ الكَوفَةِ .

- ق -

لَوْحَ الرَّاحِلُونَ

بمناديلهم، وأناخوا نياق التَّعَبِ.

يَسْطُ الْأَفْقُ كَفِيهِ، أَصْعُوا:

فِتْنٌ فِي الْأَقَالِيمِ، أَرْضٌ

تَمَزَّقُ. هَذَا وَارِثُ الْعَرْشِ، يَجْتَرُّ كَرْسِيَهُ

وَالْبِطَانَةُ نَسِجُ الذَّهَبِ.

يَرَقِصُونَ وَيَسْتَمِرُّونَ

لَحْمَ آبَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ فِي مَهَبِ الطَّرَبِ

وَعَلَى كُلِّ دَرْبٍ، وَفِي كُلِّ فَجٍّ، بَشَرٌ مِثْلُهُمْ،

بَشَرٌ مِنْ مَعَادِنٍ، مِنْ صَلَوَاتِ

وَمِنْ شَهَوَاتِ،

رُكَّعٌ خَاشِعُونَ.

- ١ -

أخذوا رأسه -

ذلك الخارجي^(١)،

دامياً طازجاً،

وزموه إلى القائم

الفاطمي!

- ٢ -

لم يعد دفتر

السَّمَاءِ

في فضاء الخوارج

إلأ

ورقاً لكتابة مرثية.

* تتردد هذي اليمامة

في قولها لِلسَّمَاءِ: اصدُقِي مَرَّةً.

(١) أبو يزيد الخارجي.

- «لا مَفْرُ. كتبنا عليكم ذُلُّكُمْ، وكتبنا الخضوعُ»،
- «لا فضاء»، تقول الأضحى،
- «لا ملاذ»، تقول الدموعُ.

- كيف يمكن أن تُفهم الشعوب التي ترسمُ
اللهَ فوق الرؤوسِ على حَدِّ سَيْفٍ،
وتدليه في ساحةٍ،
وتعلم أطفالها
أن يحيوه، كلَّ صباحٍ؟

* آه، ما هذه الأرض - تجهد أن تخنق
الهواء الذي تتنفسه رثاها،
في فضاء يزقُّ الطيورَ بكبريته!

لم تعد هذه الأرض،
في خطوات الخوارج،
إلا
نهرأ
لغيوم البكاء.

أتراب يمد يديه
كربماً إلى الخارجِ
وأبنائه
وأصحابه،
حانياً،
مضغياً
لتباريحهم.

- ش -

(*) صالح بن رشدبن، من
كُتَاب ديوان الرسائل في
العصر الإخشيدي.

- علي بن صالح
الروذباري كان والياً على
دمشق، وكانت له في مصر
حلقة أدبية.

- علي بن أحمد
المهلب، (عبد الله بن أبي
الجوع)، من اللغويين
النحويين، في أيام كافور.

كانوا جميعاً يتدارسون
ديوان المتنبي، تحت إشرافه،
كما جاء في «تيسية الدهر»
للغالبى (١ : ٣١٤ - ٣١٧).

لِعَلِيِّ،

لأَبْنِ رِشْدِينِ، لابن أبي الجوع، لِلرُّوْذْبَارِيِّ (*)،
أَصْغَيْتُ، أَصْغِي،
وَأَقُولُ لِأَوْجَاعِهِمْ:

حَوْلَكُمْ رَبَّةَ الْعَمَاءِ وَرَايَاتُهَا،
مَعَكُمْ لَيْلُ أَكْفَانِكُمْ،
لَا سَقُوفَ لَكُمْ،

غَيْرُ مَا يَتَبَخَّرُ مِنْهَا، -
لَا طَرِيقَ، وَمَا مِنْ بَدِيلٍ.

لَيْسَ إِلَّا الرَّمَادُ،

وَهَذَا الْفُضَاءُ الْقَتِيلُ.

الذَّاكِرَةُ

٣٣٣هـ.

- ٣ -

فجأة، يتغيّر -

يأتي بلا موعد

يزور بيوتاتهم

وأكواخهم،

ويجتثهم

واحداً واحداً.

- ٤ -

زمنٌ مُنْهَكٌ -

زمنٌ خارجيٌّ:

الفضاء بلا نعمة

وبلا حكمة،

ويُدُّ المَاءِ مَبْثُورَةً.

* الْمُحَبَّبُونَ ماتوا، -

لا بحارٍ ستكفي ليغرق فيها حنيني،

لا سماءٌ ستكفي ليعلو فيها ضياعي.

- ت -

الكلامُ إلى فاتكِ (*) وعليه، حجابٌ.

(*) هو فاتك الإخشيدي.
كان يُعرف بالمجنون. وكان
المتنبي يعدّه بين أقرب
الأصدقاء إليه.

- ٥ -

هذه ورفاتٌ
حَظَّها خارجيٌّ،
ولعلّي تأخّرتُ
في نشرها،
فَعُذْرًا:

وَأَكْشِفُهُ - بين جبري والكلماتِ هوى آخَرُ.

«الْمَلِكُ سَيْفُ

هوى،

ورمخ فتوى،

وتابوت،

ويخز دَم.

الْمَلِكُ سَاحَةُ

أناب

وفافاة.

فاتك شاعِرٌ،

ويعرف من أين يُؤخَذُ شِعْري.

* ليس للسّائرين على الأرضِ إلاَّ

أنْ يصيروا عُباراً:

حكمةً باليه

تَتَقَلَّبُ في نارها العالِيَّة.

- ث -

شَعَفَ عَالٍ

يرسُمُ فِيَّ طَيُوفَهُ :

مَا أَطْيَبَ أَنْ أَتَحَوَّلَ مَاءً

وَأَذُوبَ جِسْمِي

فِي جِسْمِ الْكُوفَةِ .

الذَّاكِرَةُ

٣٣٣هـ .

أَتَمَلُّكَ مِنْ وَرَقِي ،

أَتَمَلُّكَ مِنْ عَلْقِي .

أَتَمَلُّكَ قَدْرَ جَسَاءِ

رَأْسِ قَافِلَةٍ

مِنَ الذَّنَابِ ، وَيَدُ

لَا حُدُودَ لَهَا .

أَتَمَلُّكَ بِسَمَلَةٍ

أَلَا لَنْتُ بِنَدْنَةٍ

مَحْنُوقَةٍ ، وَحَدِيدٍ

دَافِقٍ دُهَابٍ .

أَتَمَلُّكَ

مُسْتَمْتَعٍ .

* مِثْلُهُ - ذَلِكَ الْوَفِيِّ لِتَرْحَالِهِ

فِي صَحَارَى عَذَابَاتِهِ :

لَا أُخُونُ الرِّيَّاحَ الَّتِي لَبَسْتَنِي .

أَلْمَلِكُ سَمَى

يَدِيهِ رَايَةً رُفِعَتْ

عَلَى السَّمَاءِ، وَسَمَى

طِينُهُ لِهَبَا.

أَلْمَلِكُ يَحْسِبُ وَجْهَ

الْكُونِ مُكْتَأً

لِلْإِنْتِيهِ، وَدَارَ

الْخُلْدِ مُنْقَلَبًا.

- خ -

إِن أَقُلُّ مَا أَقُولُ، فَكَيْ أَرْضِي الْأَصْدِقَاءَ،

أَحْيِي بِيوتَانِهِمْ وَتَقَالِيدَهَا.

غَيْرَ أَنَّ شُعُورِي أَعْلَى وَأُنْأَى،

وَأَسْأَلُ: مَاذَا سَأَفْعَلُ؟ لَا أَرْضَ تَعْلُو إِلَى

مَا أُحْسُ، كَأَنِّي

لَمْ أَعِدْ قَادِرًا أَنْ أَكُونَ نَمِيًّا

أَوْ نَجِيًّا لِبَيْتِ أَوْ دَمِ أَوْ عَشِيرِ.

لَمْ أَعِدْ قَادِرًا أَنْ أُحْسَ نَفْسِي إِلَّا إِذَا

رَحْتُ أَقْتَصُّهَا كَالطَّرِيدَةِ،

لَمْ يَعِدْ أَيُّ شَيْءٍ يُوَكِّدُ نَفْسِي لِنَفْسِي، إِلَّا الْقَصِيدَةَ.

* خُطُواتُ الطَّفُولَةِ - مَاذَا

يَتَّبَعِي مِنَ السَّرِّ فِيهَا؟

كَيْفَ لِي أَنْ أَشَمَّ شَذَاهَا

وَأَنْ أَنْحِنِي عَلَيْهَا؟

- ذ -

خَطُّكَ الْأَعْوَجُ - الْمُسْتَقِيمُ
 أَيُّهَا الْعَقْلُ، لَا أَطْمئنُّ إِلَيْهِ،
 وَلَا شَيْءَ فِيهِ،
 سِوَى النَّافِلِ الْعُقْلِي:
 سَيْرٌ بَلِيدٌ عَلَى دَرَجَاتِ التَّعِيمِ.
 وَأَنَا عَاشِقُ الْجَحِيمِ.

أَلْمَلِكُ أَوْزُ مَنْ
 لَتِي، وَأَوَّلُ مَنْ
 صَلَّى، وَأَوَّلُ مَنْ
 غَمَّى وَمَنْ طَرِبَا.

الْمَلِكُ غَابَةٌ غِيْلَانِ
 دَمٌ شَرَفَتْ
 بِهِ الْحَيَاةُ، وَلَمْ
 تَعْرِفْ لَهُ نَسْبَا.

* أَنْتَ، يَا عَقْلُ نَوْرٌ - يُقَالُ، وَلَكِنْ
 كَيْفَ لَا تَتَوَهَّجُ فِيكَ مَسَافَاتُهُ؟
 وَلِمَاذَا تَقَدَّمَهُ لِلْمَسَافِرِ نَحْوِ الْمَجَاهِيلِ،
 فِي كَأْسِ سُمِّ؟

نأقتي -

- ض -

هل تيقّنت أنّي
تاركٌ لِلطُّوافِ المورّقِ حولِ الموائِدِ،
لِلنُّومِ في شحمها سوائِي؟
أتشكّين؟ جُسي عروقي، وأصغي لنبضي،
وها مُهجتي، ها يداي:
صدري الآن أعلى وأرحبُ ممّا ظنّنتِ، ومن كلِّ أرضٍ -
خُذيني وسيري
في فيافيهِ، لكن بحقّ تباريجنا،
حاولي أن تمرّي بِخشوعٍ وَصَمْتِ
في مدارِ بَراكينهِ؛
في مدارِ بَراكينهِ هَوائِي.

ألملُكُ

نيلٌ

فُراتٌ

دِجَلَةٌ

بَرَدِي.

ألملُكُ آيَةٌ

إعجازٌ

بحكمتهِ

وحكمهِ

وبما أعطى

وما كَسبا.

* الحقيقةُ وَحْيُ الجنونِ، -

تقول الحياةُ لمعراجها.

- ظ -

فجأة، صورتني تتجلى في مرارات بغداد، في حلب، في دمشق.
فجأة، حولة.

فجأة، نشوة ودروب وكواكب لا يعرف الجبر أسماءها.

فجأة، نأخذ الزمن الميث، نرميه في قبو أيامنا.

فجأة، يحمل الأفق أثقاله ويسافر فينا.

فجأة، يخرج الليل من بيته ويطوف علينا بأباريقه.

فجأة، قصب الليل، ورد المسافات، خشخاش حزن وضميت:

تتعلم هذا المزيج ونبني سقوفاً لأحلامنا،

فجأة، تتقدم شمس وتكتب في دفتر الضوء أسماءنا.

فجأة، يلبس الفجر وجهي،

فجأة، أتجلى لنفسي.

الذاكرة

٣٣٣هـ.

الملك

سيد

أسياد

ملانكة

إن شاء

صير من

أعناقهم

ذرجاً،

* أرضنا جرحنا:

فعلی أيّ جنبٍ نَميلُ، وماذا

مَنْ نُسالمُ، أو مَنْ نُقاتِلُ؟

مائلٌ عُنقُ الكونِ مائلٌ.

- غ -

أَلنبوّاتُ قالَت:

اتركوا الشّعَرَ يا أيّها المؤمنون
 قبلها، قال ذلك تلميذُ سقراط: لا شيء
 في الشّعَر إلاّ الضلالُ وإلاّ الجنونُ.
 غير أنّ الخليقة لم تُضغِ،
 والشعراء استمروا يعيشون كالأنبياء
 مع شياطينهم، يسألون، ونسأل:
 ماذا،
 ما الذي يتبقّى
 خارج الشّعَر، غير العَماء؟

أو شاء، صَيَّر
 من أجسادهم
 خطبا.
 ألملُك ينزل من
 أم الكتاب،
 ومن
 أهل الكتاب،
 ومن...».

* صوت - يخرج منه عِطرٌ

وضع التَّيْلُ عليه يدهُ،

كي يبقى حرّاً:

صوتُ زمانِ آتٍ.

هوامش
(يوميات المتنبي)



.٧ غيوم

١ - قِباب

أَتَخَيَّلُ بَغْدَادَ، لَكِنِّي أَحْيِي
حَلَبًا، وَأُحْيِي
كُوفَةَ الثَّائِرِينَ - القِبابِ،
الشُّيُوخَ يَنَامُونَ فِي ظِلِّهَا،
أَوْ يَقْضُونَ أَيَّامَهُمْ.
أَلَدَّقَاتُ أوتارُ قِيثَارَةٍ
والمُصَلِّونَ: كُلُّ حَاضِرٍ غَائِبٍ، وَكُلُّ
يَتَحَدَّثُ فِي نَفْسِهِ إِلَى غَيْرِهِ:
كُلُّ مَا يَخْلُقُ الضُّوءَ فِينَا،
لُغَةٌ مُرْجَأَةٌ.
وَطَنٌ - جِبْرَةٌ جِرَاحَاتُنَا
وَنَجْهَلُ أَنْ نَقْرَأَهُ.

٢ - صحراء

أَيْنَ سَتَبَحْتُ عَنْ بَيْتِ؟

هل تَسْكُنُ بَيْنَ خَيْوِطِ الشَّمْسِ؟ ولكن

خَيْرٌ أَنْ تَسْكُنَ فِي أَوْرَاقِ العُشْبِ، وَعَيَّرُ

تَرْتِيبَ الأَحْرَفِ حَتَّى تَبْقَى

تَتَشَرَّدُ فِي بَيْدَاءِ النَّاسِ كَذَرَّةِ رَمْلِ.

هي ذي صحراء المِحْنَةُ

بَشَرٌ مَذْعُورُونَ، وَكُلُّ فِضَاءٍ سُدٌّ.

هذي الأرضُ وصِيَّةُ عَرْشِ، والعَرْشُ قِضَاءٌ، -

يَا لِلْعَنَةِ!

٣ - استغناء

هذي الأرض كمثل امرأة
لا تعرف كيف تعيش ، وماذا تعمل . يوم يمضي
يوم يأتي
ويداها قيدٌ مُحكَّم
تحت مظلة عرش أبكَم .

من قال لشِعرك: أنتَ المعنى ،
ولصورتِه: أنتِ الصُّورُ؟

كلاً ،

في هذي الأرضِ ، هنا وهناك ،
لا يَحْتَاجُ إليك البَشَرُ .

٤ - سراب

هُوَذَا يُبْتَكِرُ الْآنَ سَرَابٌ:

حَيَوَانٌ أَخْضَرُ الْقَامَةِ، رَأْسَانِ كَبِيرَانِ

عَلَى حَوْضٍ صَغِيرٍ،

وَلِلَّيْلِ الرَّدْفَيْنِ

قَمَرٌ يَسْكُنُ تَحْتَ الْكَتِفَيْنِ.

غَيْرَ أَنَّ الْعُنُقَ اسْتَلْقَى عَلَى شَفْرَةِ حُلْمٍ.

رَبَّمَا لَا تَرْغَبُ الشَّفْرَةَ أَنْ تَسْتَيْقِظَ الْآنَ. تَعَلَّمْ

أَيْهَا الشَّاعِرُ أَنْ تُصْغِيَ لَوَقْعِ الْكَلِمَاتِ

فِي سَرَابِ الْخُطُوبَاتِ.

٥ - نسيان

السَّمَاءُ رَمَتْ طَيِّبَهَا

فوق أجفان بغداد. أَلَقْتُ

قدميها وكرسيها على رَأْسِهَا. دَوَّارٌ

في سرايين بغداد، تبكي

لم يعد دمعُ بغدادَ طِفْلاً

لم تعد تعرف البكاء.

نَسِيتُ كَيْفَ تَزْفِرُ أَوْ كَيْفَ تَشْهَقُ فِي صَدْرِهَا كَرْبَلَاءَ،

هكذا

نَسِيتُ وَجْهَهَا -

أَتْرَاهَا أُحْيِلْتُ إِلَى مُومِيَاءَ؟

٦ - التباس

عَرْشُهُ فِي كَنْفِ اللَّهِ مَقِيمٌ .
يَهْدُمُ الْبَيْتَ عَلَى أَطْفَالِهِ
وَالْمَعزُونَ جِرَابٌ وَسَيُوفٌ .

كيف لا أصرخُ باسمِ اللهِ،
في الشَّعبِ الذي يرتجفُ الآنَ، أطعهُ:
كُنْ جِساءً .

كيف لا أسألُ هذا العَرْشَ: قُلْ لِي
أَأَنَا مَيِّتٌ . ولم تأذنْ لموتي،
هكذا أُبَيِّسُ مِنْ قُبْرِي لَكِي أُدْفِنَ
في ظِلِّكَ، في سجنٍ وراءَ المقبرَةِ؟
لم أعد أعرفُ: هل عندي، في ظِلِّكَ، رأسٌ وذراعانِ
وساقانِ، وعندي
مثلَ غيري، حُنْجَرَةٌ؟

٧ - خَبَّاز

خَبَّازُ هُموم، لكن
في كُلِّ رَغيفِ قَيْثارُهُ نورٍ.
تُورُ الحِكمَةِ نارُ سَلامٍ.

يا خَبَّازَ هِوانا
أَلحِكمَةُ تَبكي، وَالكوُنُ دَموعُ.
أَرني عَينِكَ
أَفي شَفَتِكَ هَوى
وَشعاعُ من عَينِها؟

يا خَبَّازَ هِوانا
قُلْ لِعَشيِقِ الحِكمَةِ: حَاولُ
أَن تُلقِي، هَذا اللَّيلَ، بِدِيكَ عَلى كَتفِها.

٨ - الوردة

تتكلمُ - في صَوْتِهَا وَخَزُّ شَوْكِ،
وفي شفيتها ارتعاشُ .

وحدها، ويكادُ البكاءُ
أن يُعْطِيَ بِالنُّظْفِ الحُمْرِ أوراقها .

إنها وردةُ الليل، أو هكذا سُمِّيَتْ،
لبست عُزَيَّهَا
وأنحنتُ فوق خَصْرِ المِساءِ .

٩ - لوتس

أَمْسِ، فَجْرًا، عَلَى ضَيْقَةِ التَّبَلِ، غُصْنَانِ مِنْ لُوتِسِ
يَقْرَأَنَّ عَلَى الْمَاءِ نَهْدِيهِمَا.
رَحْتُ أَصْغِي، وَكَانَ الْهَوَاءُ
يَتَنَصَّتُ. نَهْدَانِ مِنْ لُوتِسِ.

مَرَّ فَوْقِي سِرْبٌ
مِنْ يَمَامٍ. وَمَرَّتْ
صُورٌ بَيْنَ عَيْنِي عَنْ عَهْدِ حُبِّ
كَدْتُ أَنْسَى تَفَاصِيلَهُ.
أَوْ، فِي هَذِهِ اللَّحَظَاتِ النَّبِيَّةِ، مَا أَكْرَمَ الْبِكَاءَ.

١٠ - ولادة

إِنَّهُ التَّيْلُ يَفْتَحُ شُبَاكَهُ
لِلصَّبَاحِ وَلِلشَّمْسِ، ضَوْءٌ
يَسْتَحْمُ. وَضَوْءٌ يَتَمَطَّى، يَفْكَ عُرَى ثَوْبِهِ. ضِفَافٌ
تَتَلَاؤُ. مَوْجٌ
وَادِعٌ يَتَخَاصِرُ. يَلْهُو
كَأَنَّ الْهَوَاءَ فِرَاشٌ لَهُ.

أَشْتَهِي مَوْجَةً
أَوْشُوشٌ أَحْضَانَهَا
وَأَخْيَلُ جَسْمِي لَهَا
وَأَخْيَلُ مِعْرَاجَهُ إِلَيْهَا، وَتَبَارِيحَهُ، وَعِنَادَهُ.

فِي الْمِيَاهِ الْعَمِيقَةِ
أُصْغِي إِلَى زَفْرَةِ الْمَوْتِ فِينَا وَأُصْغِي إِلَى شَهْقَةِ الْوِلَادَةِ!

VI

فاصلة استباق

من أنت أيها المنتظر؟

لن تحظى بالحياة إلاً مصادفةً
بين الموتِ والموت .

من أنت أيها المنتظر؟

الخريفُ يكملك
وجسدك يكمل الغبارَ
في تاريخ يتسلى،
يكتب شعراً عن أرجل العناكب .

من أنت أيها المنتظر؟

لا تقدر ملائكة العلم
أن تبكرَ أسطورةً واحدةً
تولد فيها الشقائق من دم عاشقٍ،
أو ينفصل فيها
رأسُ شاعر عن جسده،
ويجري مغتياً
في ماء الطبيعة .

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَظَرُ؟

غداً

يقرون الخرافة

ويستخلصون من جوفها

الحقائق .

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَظَرُ؟

اهتفوا للانهيارات

احتفلوا بالانقراض

استبشروا بالخرائب .

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَظَرُ؟

الغيبُ يواخي الجسد،

والسرُّ زهرة الكلام .

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَظَرُ؟

على حيوانٍ خرافي

نجلس غداً ونقرأ العالم .

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَظَرُ؟

بلى،

الإنسان يسير نحو البيغاء.

بلى،

يولد جنسٌ آخر من حيوانات الله.

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَظَرُ؟

الحمدُ لكلّ التباس.

المُعزّ يعانقُ بغداداً،
يجمع أنصارَهُ حولَهُ،
مثلَ راعٍ يعدُّ جِرافَةَ،

المُعزّ يسوقُ الخليفةَ،
يسمُلُ عينيه، يلقيه
في السّجنِ. ما هذه
البطولةُ في سَمَلِ
عينين؟ ما هذه
الخلافةُ؟

- أ -

أَتَسَاءَلُ حِينًا، وَأَنَا أَتَمَشَّى

في الفسْطاطِ، لِمَاذَا، كَيْفَ رَحَلْتُ؟

وَلِمَاذَا لَمْ أَتَحْمَلْ رَهْقِي،

وَأَعِشُ بَيْنَ النَّاسِ كَفَرْدٍ مِنْهُمْ؟

أَغْضَبُ حَقًّا مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، لَكِنْ

أَغْضَبُ حَقًّا مَنِي -

فَأَنَا الْآثِمُ أَيْنَ ذَهَبْتُ، وَأَتَى

صِرْتُ، وَمَهْمَا قَلْتُ.

فَلِمَاذَا - كَيْفَ سَارَحَلْتُ، كَيْفَ رَحَلْتُ؟

* أَوْ لِلْكَوْفَةِ الْآنَ: هَلْ مَلَمَحَ، هَلْ أَثَّرَ

لِطْفُولَاتِ حُبِّي؟

أَثَرِي لَمْ تَزَلْ، مِثْلَمَا كُؤِنْتُ،

ذُبَّةً، وَتُحِبُّ الْقَمْرَ؟

(١) «مبيق الخليفة المستكفي
بالله ماثبياً إلى معز الدولة بن
بويه في بغداد. سمل عينيه
وسجنه. توبيع مكانه المطيع
بالله».

وكان المعز، واسمه
أحمد، «يحمل الحطب على
رأسه، في أول أمره».

ويقال له: «الأقطع»،
لأن يده اليسرى قطعت في
معركة مع الأكراد. دام ملكه
في العراق ٢٢ سنة إلا شهراً،
بدءاً من سنة ٣٣٤هـ.

المُعزَّ يَجُرُّ

دُبُولَ الظَّفَرِ:

أَقَطَعَ الجُنْدُ^(١) أَرْضَ

العراقِ - الخرابِ

يعتمرُ أَرْضَ البَشْرِ.

- ب -

سَاعُوْدُ إِلَى فَلَوَاتِ، -

وَكَيْفَ أَعِيشُ أَجِيْرًا

عِنْدَ أَمِيْرٍ؟

كَيْفَ أَمَجِدُ عَرْشًا مَيْتًا - عَرْشَ خِضْوَعِ

وَاسْتِخْدَاءِ؟

كَيْفَ أَعْلَمُ أَنَّ الظَّلْمَةَ نُوْرٌ، وَاللَّهَ قَضِيْبٌ

أَوْ عُكَاْرٌ عِنْدَ العَرْشِ،

وَأَنَّ العَرْشَ يَرْفَرُ فَوْقَ المَاءِ؟

كَلَّا، سَاعُوْدُ إِلَى فَلَوَاتِ المَعْنَى

حَرًّا، وَغَرِيْبًا

وَجْهًا آخَرَ لِلصَّحْرَاءِ.

* كَيْفَ أَقُولُ لِهَذِي الأَرْضِ، بِلَادِي أَنْتِ،

وَكُلُّ صَبَاحٍ، تُعَلِّنُ:

كَلَّا، لَا يَتَحَدَّثُ بِأَسْمِي

إِلَّا سِجْنٌ أَوْ سَفَاحٌ؟

(١) فِي أَيَّامِ المَعَزِّ أَقَطَعَ
الجُنْدُ البِلَادَ وَالأَرْضَ. أَدَّى
ذَلِكَ إِلَى الخِرَابِ.

(١) «أعجب معز الذولة
بالمصارعين والملاكمين،
وغيرهم من أرباب هذه
الصناعات التي لا ينتمى بها
إلا كلُّ قليل العقل، فاسد
المروءة».

- ج -

مَنْ يَخْلَصُ قِيداً مِنَ الْقَيْدِ؟ مَنْ يَتَفَهَمُ
سِرِّي فِي الْوَصْلِ وَالْفَصْلِ، فِي أَنِّي
دَمٌ وَاحِدٌ:
فَارِسٌ وَطَرِيدٌ.

مَنْ تَرَاهُ سَيَسْرُحُ أَنْشُودِي
لِلْحُرُوفِ الَّتِي تَتَكَوَّنُ مِنْهَا؟

الذّآكرة

٣٣٥هـ.

ألمعزُ شعوفُ
بمن يُتقنون فنونُ
الصراع^(١) - فهيا،
إن تكن بارعاً
في ملاكمةٍ أو صراعٍ
تفزُ:
ألجموعُ تحييك،
والمالُ يهمي عليك.
كلُّ شيءٍ يصير كما
تشهَى
طبعاً في يدك.

* هل أحدٌ يعرف أني

أعشقُ موتي،

لا شغفاً بالموت، ولكن

كي أبقى سراً؟

لا مَفَرَّ . الطَّرِيدَةُ تَهْذِي ،
تَتَمَلَّمُ فِيَّ - تُرَانِي وَحِشُ الْمَكَانِ ،
تُرَانِي بِلْبَالُهُ؟

أَخَذَ الْفَجْرُ حَزَنِي
وَعَطَى بِهِ كُلَّ شَيْءٍ .

وَالدُّرُوبُ شِبَاكَ : بَشَرٌ مُتَّعِبُونَ
هَارِبُونَ إِلَى مَوْتِهِمْ ،
لا يَرُونَ وَلَا يَسْأَلُونَ .

* كُلَّ يَوْمٍ ، أَفْتَشُ عَنْ هَارِبٍ ،
تَحْتَ جِلْدِي .

أَلْجَنُودُ يَعِيشُونَ

فِي الْعَالَمِينَ فَسَادًا :

كَلِّهِمْ فَاتِكَ

وَقُصَارَاهُ أَنْ

يَتَفَتَّنَ فِي فَتْكِهِ .

- ه -

لم يجثني يوماً غرابُ اليقينِ ولا هُدهدُ
الجنِّ، بيني وبين السّماءِ الحواجزُ
تعلو، وتمتدُّ من كلّ صوبٍ.

وأرى الأرضَ أضيّقَ
من ظلِّ طيرٍ، والسّماءَ كلّخدي.

غيرَ أنّي أرى الكونَ طفلاً.

- ١ -

فتنة: شيعة

سنة.

كلّهم يُضمر الحرب

ضدّ أخيه،

كلّهم يتّقيه.

شيعة - سنة،

سنة - شيعة:

رجلٌ واحدٌ

يتأكل

من داخلٍ.

* عظمُ تيسٍ هناك تُرثُ عليه التّعاويدُ،
تُصنعُ منه عكاكيزنا،
وتُضأُ حُطّانا به، وتُلقحُ أيامنا.

لو نعيشُ كما نَشْهَى

لا يَدُ فَوْقَنَا

لا لِشَحْمِ الوجودِ ولا لِلورَمِ

لا بُؤَاتُ حربٍ وَقَتْلٍ

ولا شَرْقَ لا غَرْبَ، لا عَرَبَ لا عَجَمَ،

أبدأ في مَهَبِّ الأَبْدِ:

هكذا كُنْتُ أصغِي لِفقهِ الجَسَدِ.

- ٢ -

سُنَّة - شِيعَة:

رجلٌ واحدٌ

يتمرّق من داخلٍ

يتجزأ في ذاته،

لا لشيءٍ سوى

ضيقه:

لا يريّ معه آخراً

لا يريّ غير

أظفاره.

* لَيْتَهَا تَغْرُقُ -

سَفُنُ الكَلِمَاتِ التي لا تُجَنُّ،

ولا تَعَشَقُ.

- ز -

هَيَاتُ لِحْسَمِي
جِلْدًا آخَرَ أَظْهَرُ فِيهِ
أَنِّي غَيْرِي .

وَحْدِيثِي مَعَ هَذَا الْجِلْدِ يَطْوُلُ
وَلَنْ أَتَحَدَّثَ عَنْهُ
مَعَ زَمَنٍ مَيِّتٍ .
هَذَا زَمَنٌ مَيِّتٌ .

* لَا ضِيَاءَ - سِوَى ذَلِكَ الْبَرْقِ ،
يَخْرُجُ مِنْ قَوْلَةٍ
تَتَلَأَأُ ، أَوْ خَطْوَةٍ .
الْبَقِيَّةُ جَبَانَةٌ .

الذّآكرة

٣٣٨هـ .

- ٣ -

شيعَة - سنّة:

زهرَة واحده

تتقصّف ضغناً

وجهاً

في عواصف

أهوائها البارده .

- ح -

تلعبُ التردّد مع سيّد الحظّ؟

من أين تحظى به؟

صوّر في صحارى تُسمّى مدائن، لكنها

تتحركُ عمياء - ماذا؟

سيّد الحظّ يكبو على سرّجه.

لا أشك: خيولُ الزّمانِ بلا سائسٍ.

- ٤ -

سُنّة - شيعة:

مدنٌ من شكوك،

مدنٌ من جراح،

مدنُ الضّمّت

والهَمسِ

والمومأة،

لِمَ لا يبعثُ اللهُ

ضوءَ الحقيقةِ

في هذه المدنِ

المُطفأة؟

* رقصُ دُبّ على عرشِ هذا السّديمِ

المُرَكّي

بالخُرافة، أم رقصُ رَبِّ؟

- ط -

هل أرى شكلاً عُصِنَ من الغارِ في
 مُدخَلِ البابِ، أم أتوهّم؟ بابٌ
 يذكّر بالبدءِ - هل كنتُ أحلم؟
 هل كان رأسيّ شكلاً لطيرٍ؟
 أم تُراني أعطيتُ إذَاك جِسمي
 إلى آله؟

كلُّ شيءٍ يذكّر بالبدءِ،
 دَع جِسمَكَ الآنَ يَنْهَضُ إلى سِرّه.

- ٥ -

سُنّة - شيعَة:

كُرّة سوداء

تندحرُجُ فينا

تندحرُجُ فيها،

حَتَّى لَنَكادُ نَضِيعُ،

ونجهلُ كيفَ نميزُ

فينا

بينَ العموتى والأحياءِ.

* دائماً،

يبدأ اللّيلُ من سُرّة.

- ي -

أشعر الآن أني في حاجة

كي أغني

لا لهذا الأمير ولا ذاك،

لا للخليفة، لا للمكان - ولكن

للضياء الذي لا يُسمّى .

أشعر الآن أن الشرار الذي في

من هذه الطبيعة

في حاجة كي يُصلي .

- ٦ -

شيعة - سنة:

نِسوة أو رجال،

بعضهم باسم سنّية

بعضهم باسم شيعية،

يحرقون البيوت،

يجرّون أصحابها

بالجبال .

* أترى ذاك مُستقبلي :

خَيْطُ أَرْيَانُ

يُسَجَنُ فِي مَغزَلِ؟

- ك -

أَلطَّرِيقُ الَّتِي سَلَكَتُهَا خُطَايَ، سَلَّوْهَا
لِتَرَوْا مَا رَأَيْتُ. سَلَّوْهَا
عَرَفْتُ كُلَّ شَيْءٍ:

شَعَفَ الْقَافِلَةَ

وَعَذَابَاتِهَا،

وَالشُّهُولَ الَّتِي رَصَدْتَنِي، وَالجِبَالَ الَّتِي طَارَدْتَنِي،
سَلَّوْهَا

عَرَفْتُ نَكْهَةَ الْمَوْتِ فِي زَفْرَاتِ النَّيَاقِ،

وَضَاعَتِ

بَيْنَ أُنَاتِهَا وَمَالَتْ

تَحْتَ أَعْنَاقِهَا الْمَائِلَةَ.

* أَتَقَصَّى، أَسَائِلُ: أَيْنَ جُذُورِي - فِي

صَخْرَةٍ، مِثْلَمَا قَالَ جُرْحِي؟

أَمْ تُرَاهَا، كَمَا قَالَ شِعْرِي، فِي مَوْجِهِ؟

الذَّاكِرَةُ

٣٣٨هـ.

- ٧ -

سُنَّةٌ - شِيعَةٌ:

أَلْقَوَائِلُ مِنْ عَهْدِ

عَادٍ. تَجُوبُ

مَفَازَاتِنَا،

وَفِي كُلِّ ذَرْبٍ، وَفِي

كُلِّ حَيٍّ لَهَا مَخْفَلٌ.

قَبَائِي الخُرَافَاتِ

نَرْفَعُ فِي أَرْضِنَا

رَايَةَ لِقَتَالِ

وَلِمَنْ، وَلِمَاذَا

نُتَقَاتِلُ، يَا أَيُّهَا

الرِّجْلُ؟

- ل -

في العُرفَةِ حيثُ أَنَامُ، بُيُوتُ عَنَاكِبِ،
حَظُّ

أَلَا يَصْدِرَ عَنْهَا أَيُّ هَسِيسٍ.

في صَمَتِ تَبْنِي، وَتَعِيشُ كَأَنَّ الْعَالَمَ خَيْطٌ

أَوْهَنُ مِمَّا تَنْسُجُ أُرُوي

لِقِرَاشِي كَيْفَ تُسَافِرُ تَحْتَ السَّقْفِ

وَبَيْنَ زَوَايَا، حَوْلَ سَرِيرِي، فِي أَشْيَائِي

إِحْدَاهُنَّ تَجِيءُ الْآنَ وَتَذْهَبُ فَوْقَ غَطَائِي.

مِنْ نَافِذَتِي

يَتَدَلَّى خَيْطُ بَيَاضٍ.

- ٨ -

شيعَة - سُتَّة:

نُهَبَ الكَرْنُخُ^(١). قَتْلَى.

وَالوَزِيرُ البُوَيْهِيّ

تَوَخَّذَ أَمْوَالَهُ.

صَانِدُونَ بِصِيدُونَهُ.

أَيُّهَا الصَّانِدُونَ

الْإِمَامُ هُوَ

الْفَتْكَ.

وَتُعَسَّأُ لِدَوْلَابٍ

هَذَا الْجُنُونُ.

* كَيْفَ تَبْنِي مَقَامَكَ يَا شِعْرُ فِي الْأَرْضِ،

مِنْ أَيْنَ يَأْتِي إِلَى رَتِيكَ الْهَوَاءُ،

وَالْفِضَاءُ فَمَ خَيْطُهُ السَّمَاءُ.

(١) نُهَبَ الكَرْنُخُ فِي هَذِهِ
الْفِتْنَةِ. وَخَرَجَ، فِي السَّنَةِ
نَفْسَهَا، «عِمْرَانُ بْنُ شَاهِينَ
الصَّيَّادِ، وَانضَمَّ إِلَيْهِ
الصَّيَّادُونَ. هَزَمُوا الوَزِيرَ
البُوَيْهِيَّ، وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُ.
قَوِيَتْ شُوكَتُهُمْ».

- ٢ -

رَأْسِي الْآنَ مَلَأَنُ شَوْكَأ.
تَعَبٌ رَاكِدٌ فِي قَرَارَةِ جِسْمِي،
تَعَبٌ آسِينٌ.

أَلزَّمانُ يَلُمُ الفِصُولَ
وَيُقَطِّعُ أوصالَها - يَزِنُّ جِسمي بها.
إِقْرَعِ البَابَ، يا أَيُّها الذَّبُولُ
ولا تَفْتَحِ البَابَ، يا أَيُّها الأَفُولُ.

* ما دمت تُجاهِرُ أنتَ ملائِكُ
فلماذا لا تبقى طيراً أو تبقى ظلاً؟

الذَّاكِرَةُ

٣٣٨هـ.

- ٩ -

سُنَّةٌ - شِيعَةٌ:
لَفْظَتَانِ تَنوَعانِ
تحت الجِراحِ،
كلُّ حَرْفٍ مَحِيطٌ
مِنَ دَمٍ وَبِكاٍ.
لم تعد تَنغِي بِغَيرِ
أَساطيرِ قَتالِهما،
شَهقاتِ الرِّياحِ.

- ن -

في سريري شمسُ تَرُنُّ خِلاخِيلُها،
والوسادَةُ محشَوَةٌ
برياحينَ لا حلَمَ فيها.

لم أَعُدْ مالِكاً لِنَفْسِي:
وَطَنِي قَشُّ عَظِيبِ
ودروبي سِراژ -
وكأني أُسِيرُ لهذا الكَلَامِ.

ليلُ هذا المِكانِ ثَقِيلُ
وأنا عاجِزٌ أنْ أَنَامَ.

* كَلُّ ما قَلَّتْهُ، أو أُشْرِتْ إِيَّاهِ
صُورٌ في كِتابِ المُحالِّ،
فلماذا، لماذا

لم تزل تَعشِقُ الأَرْضَ، يا أَيُّها الخِيالُ؟

الذَّاكِرَةُ

٣٣٨هـ.

- ١٠ -

شِيعَةٌ - سُنَّةٌ:

فِتنَةُ دابِرَةٍ

كَيْفَ لا يَنْفِرُ

الضُّوءُ مِنْها،

وتَرَفُضُها

اللُّغَةُ الشَّاعِرَةِ؟

أرجع الحجز

الأسود^(١):

الطريق التي شقها

عائداً،

بعد عشرين عاماً

إلى بيته،

حجز ينحني،

وأساطير

تُسْتَوْلَدُ.

- س -

أَلْحُرُوفُ السَّوَاكِنُ، شَأْنُ الْحُرُوفِ

الصَّوَائِبِ، لَيْسَتْ غُرَاباً

وَلَا هُدْهَدًا.

سُوْرٌ مِنْ غَيُومِ الْخَرِيْفِ، يُحَوِّمَنَّ فِي

رَأْسِ صَيْفٍ:

يَسْتَشِيرَنَّ يَنَابِيعَهُ

وَيُوكِّدَنَّ مَا قَلَّتُهُ.

(١) قبيل في تنويع على
الزواية التي تقدّم ذكرها: «لَمَّا
أخذ القرامطة، حملوه على
عدّة جمالٍ تفرّحت ظهورها،
ولمّا زدوه، حملوه على جملي
واحد، ولم يصبه أذى».

* لا أريد العراقيين مُلكاً،

لا أريدُ الولايةَ حتّى على كوكبٍ، فخذني

أيّها الشعرُ، خذني

إلى خيمةٍ، أو إلى وُرْدَةٍ.

- ع -

حَقًّا، كَأَنَّ الْكَوْنَ مُتْقَلِبٌ عَلَيَّ .

- ١ -

يَدْعِي أَنَّهُ الرَّبُّ^(١)؟

خُلُوهُ فِي شَأْنِهِ .

مَا الَّذِي يَتَغَيَّرُ إِنْ

قَالَ لِلشَّمْسِ أَوْ لِلأَلْوَهَةِ

شَخْصٌ :

إِنِّي وَتَهْلِكُ الآخَرُ؟

قَدْ يُقَالُ لَهُ أَنْتَ طِفْلٌ

أَوْ يُقَالُ كَلَامُكَ

مُسْتَعْرَبٌ، وَلَكِنْ،

لَا يُقَالُ لَهُ كَافِرٌ .

(١) «رُفِعَ إِلَى الوَازِرِ المَهَلْبِيِّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي العَزْزِ الَّذِي قُبِلَ عَلَى الرِّزْدَقَةِ، كَمَا قُبِلَ الخَلَّاجُ . اتَّبَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الجَهْلَةِ صَدَّقُوهُ فِي ادِّعَائِهِ الرِّبَوِيَّةِ، وَأَنَّ أَرْوَاحَ الأنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ تَنْتَقِلُ إِلَيْهِمْ . وَجَدَتْ فِي مَنْزِلِهِ كِتَابٌ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ . كَانَ مَعَزُ الدَّوْلَةِ يُحِبُّ الرِّافِضَةَ . فَبَحَثَهُ اللهُ!» .

لِلدَّمْعِ يَمْزِجُنِي بِنَيْعِ جِرَاحِهَا
لِغَلَالَةٍ

أَتَنْوِّرُ الجِسْدَ البَهِيِّ وَرَاءَهَا

وَأَزِيحُهَا خَفِيرًا وَأَهْوِي

فِي لُجَّةِ الجِسْدِ البَهِيِّ .

* لَا تَقُلْ هَذِهِ طَرِيقِي، أَوْ هَذِهِ طَرِيقُكَ،

إِذَا لَمْ يَكُنْ بِدَوِّهَا هَوَاً .

- ف -

هَلَّا سَمِعْتَ هَدِيرَ مَوْجِي أَيُّهَا الزَّمَنُ

الحطامُ

لا صوتَ يقدِرُ أن يُحيطَ بما أحسُّ

ولا كَلامُ.

بزغت نجومٌ في فضاء تشرُدي

ناجِيئُها،

وسألتُ عن أسمائِها

لا نورَ أصغى للسؤالِ ولا ظلامُ.

- ٢ -

أن يجيء نبيُّ

أو ملائِك، وينزلُ

في صدرِ شخصٍ

شاعرٍ أو سواهُ،

حدّث من بهاء السّماء،

بهاء البشَر

حدّث ليس فيه

ما يضيّرُ الإله،

حدّث يُنتظرُ.

* أشعِلْ قنديلاً، حيث ذهبْتَ،

ولا تَسْتغربِ

إن لم يره إلا عميانُ.

- ص -

أهو الفراؤ؟ أفرّ من حُلْمِي، ومِمّا كانَ
لي أفقاً، وأتركُ مِصْرَ؟ عَفْوَكُ
يا كَلِمِي، أين أنت؟ وأنتَ يا هذا
التَّخِيلُ أَجِبْ، ويا ذاك العرّارُ.

أُتْرَى طَرِيقِي شَتُّهُ،

أَمْ شَاءَ نِي؟

أُتْرَاهُ ضَوْءٌ مُسْتَعَارٌ؟

- ٣ -

نَفَعَ اللهُ مِنْ رُوحِهِ

فِي جُسُومِ بَنِيهِ،

فَرَأَى بَعْضُهُمْ

أَنَّ فِي رُوحِهِ نَبِيًّا

وَرَأَى بَعْضُهُمْ مَلَكَأً،

لَا مَسَافَةَ، لَا فَضْلَ

فِي نَشْوَةِ الْكُؤُنِ،

بَيْنَ الْحُضُورِ وَبَيْنَ

الْغِيَابِ،

وَرَحِيقُ السَّمَاءِ رَفِيقٌ

وَصِنُؤُ

لِرَحِيقِ التَّرَابِ.

* لَا تَخَفْ غَيْرَ عِلْمِكَ،

يَا أَيُّهَا الْعَالِمُ.

- ق -

ماذا أقول لمصر؟ كلا،
لم أهج مصر - سخرت من حكامها
(لكنني أخطأت إذ ماهيت بين ترابها
ونظامها).

لم أهج مصر - هجوت ذلاً
وضمائراً منحورة.
وهجوت عرشاً: ما شأنه
إن لم يكن ضوءاً يسبح وجه مصر؟

الذاكرة

٣٤٠هـ.

- ٤ -

شزراً، طفلة
نظرت للمعلم، قالت:
لا أرى بين عينيك
أني ملاك.

قيل كان المعلم

يزري لها

أنه نجمة.

* ربّما كان ذنبي

عند أعداء شعري،

أنني

لا أكن لهم أيّ شرّ.

بيني وبين النيل فاتحةً على غيب الجراح،
وبين شعري

والنيلِ سرُّ غوايةٍ كُبرى، وبينهما انفجارُ
أبدٍ من المعنى تَمَمَّصَ أرضَ مِضْرٍ
مِثاقُهُ ماءٌ
وصورته من الماءِ الشَّرارُ.

وأقولُ مِنْ وَلِيهِ، وأكتمُ غَيْرَتِي:
يا نِيلُ كيف يصحُّ أن تستقطبَ الدُّنيا،
وتعشقك العناصرُ والفصولُ،
ولا أغازُ؟

- ٥ -

شاعِرٌ أكَّد الأصدقاء
وأكد جيرانه
أله، كلُّ يومٍ،
يَتَمَمَّصُ بِمِضْبَاحِ ما
كان يُدعى زقاق
العروسة في حَيِّهِ
ويأوي إلى حانئِهِ.

قِيلَ من قَبْلِ عنهِ:
عادةً تشرق الشَّمْسُ
في جَوْ بَغدادِ
مُسْلِمَةً حَضَرها
لِهُوى كَتفِيهِ.

* قُلْ: نَعْمَ لِلطَّرِيقِ،
وَكَلًّا لِمَنْ شَقَّها.

- ش -

أترّاه يشتاَقُ الفِراثُ إلى خُطاي؟

تَرى إلى أَرْقَهْ

في الكوفةِ ارتسمتُ عليها

آهاتُ سَقاءٍ؟ أحتِجّ السَّماءَ إلى،

كي أصلَ التَّجوّمَ بليلِ جَدّتي البعيدِ،

وكي ألامِسَ غيبَ أُمي؟

هوذا أعود إليهمُ

هوذا أعودُ بلا رجاءٍ وبدونِ ياسٍ،

أحيا غريباً مثلهم

الشَّعرُ كوكبنا وفتنته المدارُ.

- ٦ -

انظروا هذه البِدْفاءُ

حولها، حول جَمْرٍ

يتأججُ في صدرها،

تتبادلُ رويحهما

وردةً وامرأةً -

فوق رأسيهما

ملاكٌ

يغطيهما بأهدابه.

انظروا، ها هو

الملاكُ يوحدُ

وَجْهيهما.

* ليلاً، حين أنامُ، يكون العالمُ في رأسي

مَعْنى،

فلماذا، حين أفيقُ صباحاً

يصبح هذا المعنى صُورَةً؟

- ت -

خمرُ الغيوبِ تَسيلُ في جسدِ المكانِ،
شُعاعها

جسدُ الهواءِ: دمي رحيقُ
مِمّا تُعتَقُهُ، وأيامي جِرازُ.

من أين آخذُ هذه الدّنيا، ولؤلؤُ عَرشِها
طينُ، ومالكُها غبارُ؟
أُتري حياتي نَشوَةً
طاشت وطاشَ بها المسارُ؟

* يُوشكُ من يفهمُني حقّاً،
أن يَسْتَعِدِنِي.

- ٧ -

ظبيّةٌ قتلَتْها

رماحُ القبيلةِ، لكن

هيّ ذي تناسخُ في حانةِ

كان يا أوي إليها

نواسيتنا .

ظبيّةٌ تناسلُ

في ماءِ أحزانِها.

- ث -

شَرَرُ الرَّحِيلِ لَبْسَتُهُ
وَبِنَارِهِ لَفَحْتُ حَطَوِي: لا قَرَارُ.

- ٨ -

أَلْخَالِقُونَ كَأَنَّمَا خُلِقُوا لِكُلِّ مَدِينَةٍ
وَلِكُلِّ عَصْرِ،
فِي كُلِّ مُفْتَرَقٍ لَهُمْ بَيْتٌ،
وَكُلِّ سَحَابَةٍ لَهُمْ دِنَارٌ.

أَلرُّوحُ رَحِيلٌ.
مَاذَا لَوْ شَاءَتْ
أَنْ تَتَوَقَّفَ أَوْ أَنْ
تَسْكُنَ فِي مَفْتاحِ
أَوْ فِي قِفْلِ؟

أَلرُّوحُ هَوَاءٌ أَوْ نَوْرٌ
وَلَهَا أَنْ تَسْكُنَ أَيْ
شَاءَتْ.

أَهْنَاكَ مَلَاكٌ
لَيْسَ هَوَاءً،
أَوْ نَوْرًا؟

* الوجودُ عطاءٌ:
أَعْطِ كِي تَتَيَقَّنَ أَنَّكَ حَيٌّ.

- خ -

يا ذلك الوجه الذي رسمته أيامي على

جسد الحياة أنز خطاي أنز

هواي

لي منك في الظنّ الجميل على فراشي شمعة

هوذا أدورُ بها وأكتبها،

وأقرأ ما تخبأ من دفاترها،

وتسكر باسمها لغتي، ويسكر باسمها

حبي، ويسكر ساعداي.

- ١ -

إنها الحرب^(١)

تغسل أردافها

بدم المسلمين!

- ٢ -

سمك العرش

يسخ في

بركة من دماء،

والحياة جحيم

حيثما كنت في ظلّ

هذي العروش -

عروش العرب،

فأزفري عالياً وأنشجي،

يا رياح اللهب.

* لا ضياء،

إذا لم يكن آتياً من جراحك.

(١) «جرت حروب كثيرة في هذه السنة، بين المعز الفاطمي، وصاحب الأندلس عبد الرحمن الناصر الأموي».

- ذ -

أَلشَّمْسُ تَدْخُلُ فِي حِجَابِ حَنِينِهَا -
حَانَ الرَّحِيلُ

ماذا؟ كَأَن هَوَايَ مُنْشَقٌّ
وترحالي عليلُ
في ساعديّ قيودُ أحلامٍ
وفي قلبي طولُ.

* الدَّمْعُ طَرِيقٌ

تسلكه العينُ لتكتبَ فيه
ما لا تقدرُ أن تقرأهُ.

الذّكرة

٣٤٤هـ.

- ٣ -

فاطميّ هنا، أمويّ
هنالك، والنّاس
في أمرهم، وفي غيهم
سأدرؤنّ،
ولماذا، إذن، لا يُرى
على الخربِ أباًؤنا
وأبناؤنا؟
ولماذا
لا تُشقُّ القُبُورُ
لشُركِ فيها،
ويبتعثُ
الميتونّ؟

- ض -

عَتَيْتُ لِلْمُتَشَرِّدِينَ

أَلْغَاضِبِينَ عَلَى الْهَوَاءِ - يَهْبُ دُونَ رِسَالَةٍ

مِنْ طَائِرٍ أَوْ وَرْدَةٍ وَقَرَأْتُ شِعْرِي

لِلْفِضَاءِ - مَمْرَقًا بِحُدُودِهِ وَأَقُولُ لِلْمُتَجَبِّرِينَ،

فِي أَيِّ قَافِلَةٍ مَضَوْا مِنْ أَيِّ قَافِلَةٍ أَتَوْا:

نَامُوا وَرَاءَ سِيُوفِكُمْ،

نَامُوا أَمَامَ سِيُوفِكُمْ،

وَلَيْنَهْمُ كَذِبُ الْمَدَائِحِ فَوْقَكُمْ،

وَلَيْصَطِخِبُ قَالَ وَقِيلُ،

فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الْجَمِيلَةِ

وَحَدَهُ، يَبْقَى الْجَمِيلُ.

- ٤ -

فاطميّ هنا، أمويّ

هنالك: رُمح

في أفتان،

وسيف

في عباءة زهوي.

يا بلادَ الكتابِ

وأسراره العالِيّة،

زُئِمَا فَاتَكَ الْوَقْتُ:

هذي الحياةُ التي

شئتُها،

لا طريقَ لها،

لا مكانَ سوى

الهاوية.

* عَبْتُ الْوَاقِعِ عَالٍ

لَا يَقْدَرُ أَنْ يَبْلُغَهُ حُلْمٌ.

- ظ -

ألوحدة اتكأت على أوجاعها
والضوء يقرأ جرحه
لكواكب اللّغة البعيده.

في كلّ شيء بُحّة
والأفق منكسر: حضنت
هواجسي،
ودخلت في كنف القصيدة.

- ٥ -

أمويّ هنا، فاطميّ
هنالك: يا هذه
الأم، يا أبجدية
تاريخنا الدامعة،
لم نعد فيك إلا
نحلة شكل:
نحن تمثالك العجيز
وجزفتك اللامعة.

* لا جحيم، ليعرف كيف يُحسُّ بنارك،
أو يرتقي إليها، أيها العاشقُ
لا نعيم، ليعرف كيف يُحسّ بنشوتك
الكوكبية، أو يرتقي إليها، أيها
الخالق.

- ٦ -

فاطمِي هنا، أمويِّي

هنالكِ: والنّاسُ

في حيرةٍ ساهمونُ.

أفقولُ السّلامَ عنى

أرضنا

أقولُ وداعاً لتاريخنا؟

وأنا لستُ إلاّ سؤالاً،

هل لديكم جوابٌ

أيها العارفونُ؟

- غ -

لا حدودٌ لِمَسْرَى هَوَايَ. الحنينُ رداءٌ.

أتخيّلُ ما تهمسُ الأرضُ،

ما يجهرُ البحرُ،

ما ستقولُ النّجومُ.

سيكونُ افتتاناً أن تسيّرَ بي الأرضُ

حرّاً غريباً

قدماً في الثّرى، قدماً في الثّريا.

أتبعثُ في فلّكٍ من ظنونٍ

وأسائلُ من أين جئتُ إلى أين أذهبُ،

عزّافة النّجومِ.

* من يقولُ: القصيدةُ ليلٌ

وعزلةُ مُستوحِدٍ في سفرٍ؟

ألقصيدةُ أرضِ البَشْرِ.

هوامش
(يوميات المتنبي)



.VI .عُور

١ - لو

أَتَخَيَّلُ بَغْدَادَ، لَكُنِّي أُحِبِّي
حَلْبًا، وَأُحِبِّي كَوْفَةَ الثَّائِرِينَ - تَرَصَّدُ
كَيْفَ تَعْجُنُ بَغْدَادُ أَحْزَانَهَا
فِي الْمِيَادِينِ، فِي كُلِّ حَيٍّ، وَفِي كُلِّ بَيْتٍ
وَتُزَاوِجُ بَيْنَ الرَّغِيفِ وَأَحْلَامِهَا وَالسَّهْرِ.

لَوْ تَرَصَّدْتَهَا،
لَصَنَعْتَ مِنَ اللَّيْلِ قِيثَارَةً وَغَنَيْتَهَا
وَتَمَثَّلْتَ فِيهَا هَوَاكَ وَمَهْدِيكَ الْمُنتَظِرَ.

لم تتركِ إثمًا
إلا علمتِ جراحِي أن تُتَقِنَهُ
مائي ظمًا
ودمي لُججٌ مِن حيتَانِ .
لكِ عَهْدِي - أنْ أبْقِي
أتعلّمُ كيفَ سأولّدُ، كلَّ نهارِ،
بِاسْمِ الحَبِّ،
وكيفَ سأحيا .

٣ - تجويف

ليس هنالك، حيث وُلدت،
وحيث سَتُقَبَّرُ، إلاَّ
تَجْوِيفٌ يُنْفَخُ فِيهِ
مِنْ رُوحِ غِبَارِ شَيْخِ
طِفْلٍ قَامُوسِيٍّ.

هل يُزْهِرُ صَخْرٌ حَقًّا
إِنْ لَامَسَهُ رَبٌّ؟

٤ - عندما

عندما تعبرُ
يُكسِرُ الضَّوُّءُ في خطواتك،
والشَّمْسُ تفتح أحضانها
لكتابِ الجراحِ وأسرارِها،

عندما تعبرُ
في زِقاقِ تَعَلَّمَتُهُ خطوةً خطوةً،
أو إلى جَنبِ مئذنةٍ نمتَ في ظلِّها،
أو قبالةَ بيتِ من الطِّينِ آخِيتَهُ - ولكن،
قُلْ، لماذا

عندما تعبرُ
لا تلوِّحْ، لا تَنظُرْ؟

حَلَبٌ - كَيْفَ صَارَتْ

أَنْتِ يَا مَنْ شَبَّيْتَ عَلَيَّ زَهْرَهَا

وَتَشَبَّيْتَ بِالْكَوْنِ فِيهَا؟

أَلْغَبَارُ فَمَّ يَشْرَبُ الضُّوءَ

وَالشَّمْسُ تَرْتِي قُوَيْقَاً .

أَتُرَاهَا الْأَرَائِكُ مَحْشُوَّةَ رُؤُوساً؟

وَمَا هَذِهِ الْجِسْمُ الَّتِي تَتَوَحَّشُ،

مَا هَذِهِ الرُّؤُوسُ الَّتِي تُرْكَلُ؟

جَحْفَلٌ مِنْ عِظَامٍ يَغِيبُ

لِيُظْهَرَ فِي إِثْرِهِ جَحْفَلٌ .

٦ - مطبخ

يَقْرَأُ الْقَصْرَ وَالشُّعْرَاءَ وَأَهْلَ السِّيَاسَةِ، طَبَّاحُهُمْ:
أَعْطَاهُ صُرَّةً،
أَعْطَاهُ مَنْزِلًا، أَوْ حَصَانًا،
أَعْطَاهُ رِيشَةً وَدَوَاءً،
وَقَدْرًا
لِلْحِسَاءِ، وَخُذْ مَا تَسَّرَ
مِنْ حَشْدِ هَذَا الْوَرَقِ.

وَرَقٌ قُرْشِيٌّ
مَنْ تُرَى يَتَجَرَّأُ أَنْ يَتَوَسَّلَ طَبَّاحَهُمْ
كَيْ يَكُونَ رَفِيقًا بِهَذَا الْمَرْقِ؟

٧ - إِنَّهَا

إِنَّهَا - لا تَرُدُّدًا، لا شَكَّ في ما أقولُ - السَّمَاءُ
فوق بَغدَادَ، في حَلَبِ، في دِمَشْقِ
وعلى ضِفَّةِ النَّيْلِ، ترعى
وتحرسُ عَرْشَ الخِلافةِ،
والوارثينَ،
وعِلْمَانِهِمْ.

إِنَّهَا إِنَّهَا السَّمَاءُ:

في يَدِ حَنْجَرٍ،
في يَدِ بَيْغَاءِ.

٨ - أبدأ

أبدأ، لو تَوَضَّأْتَ بِالْعِطْرِ،
لو أَنَّكَ الْعِطْرُ،
باركتَ أَيْمَانًا وباركُتْنَا
بالكلام الذي سُمِّيَ الْوَحْيِ،
أو بالتراب الذي لا يزال على وجهه
أَرْجُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَنَارُ أَقْدَامِهِمْ،

أبدأ،
لن يكونَ لتاريخِ مَعْنَاكَ إِلَّا
شَكْلُ مُسْتَنْقَعٍ.

٩ - نقائص

ما تُرانا نقولُ هنا الآن في المرء - هذا الذي

تتحيرُ فيه البصائرُ: جَمْعُ

من نقائص. ذاتُ

تتقنُّ حتى لتلبسُ كلَّ قناع. جُزْيءُ

يحتوي الكُلَّ. يُخلَقُ لكنه خالقٌ.

عاقِلٌ والجنون هواءٌ له. واهِمٌ

غيرَ أنَّ له بصراً من حديدٍ،

حائلٌ ثابتٌ.

ما تُراك تقولُ هنا الآن فيه -

أنت، يا عقلي الصَّامتُ؟

١٠ - رقص

يَضْحَكُ التَّيْلُ أَمِ ذَاكَ طِفْلٌ
لَهُ التَّيْلُ وَجْهٌ؟

رَقِصْ مَوْجِ
وَفِي العُشْبِ، فِي الضَّفَّتَيْنِ، عِيُونَ
تَتَلَمَّسُ أَحْلَامَهَا،
وَقَامَاتُ ضَوْءٍ، وَأَكْفُ تُصَفِّقُ. عِيدٌ.

عَاشِقٌ مَمْسُكٌ بِيَدَيْ شَمْسِهِ:
يَلْبَسُ الفَجْرُ ثَوْباً
حَاكُهُ مِنْ بَرَاعِمِ أَزْهَارِهِ.

أه، يَا ذَلِكَ الحَبُّ. مِنْ أَيْنَ تَأْتِي إِلَى كُوخِ أَيَّامِكَ البَاكِئَةُ
هَذِهِ التَّجْمَةُ العَالِيَةُ؟

VII

فاصلة استرجاع

(المتنبي يخاطب امرأ القيس)

التَّخِيلُ يَفْتَحُ لَكَ الطَّرِيقَ حَيْثُ تَعْبِرُ نَاقَةً تُشْبِهُ الْكَلَامَ . أَلْهَذَا
سَمِيَتْ الْحَبَّ غَزَالَةً رَحَّتْ تَطَارِدُهَا وَتَرَكْتَ أَنْحَاءَكَ
تَشْبِيهِ بِالْأَفْقِ وَنَفْسِكَ «تَسَاقُطُ نَفُوساً»؟
«الْيَوْمَ خَمِرٌ وَغَدًا أَمْرٌ» :

عَرَفْتَ كَيْفَ تَرْقِصُ مَنفَرِدًا ، وَكَيْفَ تَصْنَعُ لِمَوْتِكَ فِضَاءً .

حِينَ تَنَاءَتْ «فَاطِمٌ» ،

خَرَجْتَ أَحْزَانُكَ وَرَاءَهَا تِلَالًا .

أَنْتِ الْآنَ مُفْرَدٌ وَأَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْأَلَكَ :

هَلْ أَحْزَانُكَ لَكَ؟

هَلْ أَنْتِ أَنْتِ؟

خدعتك «فاطم» -

مَنحتك كلَّ ما ليس منها.

خانتك ولم تهجرك:

هكذا، غالباً، يُولَد الحبُّ.

- غديرٌ عارٍ:

نساءً

يلبسنُ

الماء.

- هل الحياةُ امرأةٌ تعيش

في غابات

المجاز؟

في «المُلْكِ الذي حاولته»، وتركتَه تائهاً، يمتدُّ

شهيقٌ يحملُ تاريخك:

العملُ حصادك الذي اكتمل،

والحلمُ الزرعُ الذي لا يكتمل.

- كان فارسٌ

الهجوم،

لهذا

خانتَه

الأشياء الهاربة.

إنها الصَّحراءُ لا تشيخُ وهيئاتُ أن ترتوي

بماء كلماتك.

- أليست الغيمةُ

الصيَّادَ الوحيدَ

الذي يموتُ

لتحيا

طريدته؟

ها همُ «الحُرَّاسُ» يَسْتَسِرُّونَ في الهواءِ

ها هو «القتلُ» بساطُ المسافاتِ

قُلْ لصاحبك: «لا تبك»، ووضِعْ حَدَّكَ على الترابِ.

حولك رياحُ

وفي مكانٍ ما، بقرةٌ وحشيةٌ ترفر حنيناً .
مع ذلك لا تزال شفتاك بين حروفك ،
وما زلتَ معنا ،
تهجّم، وتجوّب المفايزات .

«مَوْجٌ هو اللّيل ، والصبّاحُ ليلٌ آخر» ،
«ذراعك تضيق أن تقوم فتلبس رداءك» ،
وها هي الرّيحُ تُنسخُ المكان .
خَطَطُ لهذه النهاياتِ حروبها ، واستبسُل .
سيكون الرّملُ فخوراً حين يغمركُ ،
وسوف ترقصُ الرّيح .

- هل
الغبارُ
يكتبُ
الرّيحَ ،
أم
الرّيحُ
تكتبُ
الغبارَ؟

أعطيتَ أطرافكُ للأقاصي مازجاً بين الشّمس
ولهبك : هكذا وسعتَ حدودَ سِجِنِكَ .
أني عُرِي في أن تشاهدَ الصّحراءَ تلبسُ

أحلامك!

أية حريّة في أن يكون الهواء حصاراً!

أنت الآن تتشرّد في قبيلة الصّمت، والشّعروحدّه
يُستعيدُ صراخك في مجالسٍ للتبيدِ والطّيب
حيث تُغتصب اللذّة لطف السّماء وتتصالح مع
السّرابِ النبوءات

مُخالفٌ مُنازع:

أيّها التّائه كيف تقودُ غيرك؟

قوسُ قُرحٍ من جهة الشّام:

إنّه شعركُ ينزفُ الضّوء.

- أ -

وَطَّنْ تُدَحْرَجُهُ عَرُوشُ اللَّهِ،
هَلْ يُجْدِي الْمَقْدَمُ لِكِي نُعَيْرُهُ؟
وهل يُجْدِي الرَّحِيلُ؟

فَلَا حَفِظْ بِهَوَاهُ،
وَلَأَهْمَسْ لِقَلْبِي: كُلُّ جَرِحٍ
وَطَّنْ لِنَبْضِكَ، أَوْ دَلِيلُ
وَلَسَوْفَ تُزَوِّيكَ الْغَيْومُ كَرِيمَةً
وَلَسَوْفَ يُسَعْفَكَ النَّخِيلُ.

* فَرِحِي طَاغِ:
أَلْهَذَا لَسْتُ سَعِيداً
فِيمَا أَتَسَمُّ عَضْرِي؟

الذَّاكِرَةُ

٣٤٥ هـ.

- ١ -

فتنة تتواصل . قتلى .
شيعه . سنة .
وهذا
نصف جن . وهدي
نصف شيطانية ،
والبقية
ضور تتأله في
نسخ آدمية .

- ب -

عجبا! نَهَارِي كَيْفَمَا عَايَنْتَهُ

ظَلَمَاتُ شَكِّ

وَيُضِيئُنِي،

وَيُضِيءُ ظَلَمَةَ شَكِّي اللَّيْلُ الطَّوِيلُ.

رُدِّي عَلَيَّ غَطَاءَ حَبِّي

رُدِّي إِلَيَّ غَوَايَتِي -

يَا فِتْنَةَ الدُّنْيَا، أَنَا وَجَحِيمُ عَطْرِكَ وَاجِدُ

وَالْمَسْتَحِيلُ.

- ٢ -

مُنْبِذُ الكَرْخِ

مُنِيرُ أَحْزَانِهِ

شَارِدُ وَارِدُ.

وَالْجَمُوعُ عَلَى عَهْدِهَا

تَتَضَوَّرُ حُرْنَا

وَجُوعًا.

إِنْحِي وَاحْزَجِي

مَنْ تَهَاوَيْلِكَ

النَّيْزَكِيَّةِ

أَيُّهَا الْهَالَةُ الْمَاضِيَّةِ.

* رَبِّ لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ غَيْرِي

لَا يَفْهَمُهُ أَحَدٌ غَيْرِي،

أَيَقِنْتُ وَأَوْقِنُ فِيهِ.

- ٣ -

عاشق يتسلق

ضوء النجوم إلى

حبّيه،

أخذته فجأة، بين أنيابها،

فتنة العرش والدين.

أخرق

ما تبقى: أغانيه.

أشلاءه الباردة،

أيها الشرطي الذي

يحرس المائدة.

- ج -

هُودًا أعانق حيرتي

وأرى إلى زمني يدور كأنه

كرة من الورق العماء،

يجرّها جبرّ عماء،-

الأرض وارثه السماء؟ خرافة.

ما أفقر الأرض التي تراث السماء.

* أرضنا كرة من ترابٍ

وهذي

قدّم الله تلهو بها، وحدها.

مدنٌ تصيرُ مقابراً

وخطيُ تصيرُ دبيبَ نملٍ .

حييتُ تَدَيِّيَ نجمةً

وطويْتُ تحتَ عباةِ تي ورقاً ضنيناً

أودعتهُ ما كان بين دمي وهجرتها النيةُ .

أقولُ هذي سَقَطَةُ الدنيا، تمورُ تُخومُها

بجحافلِ الموتى ،

وترتطم الضحيةُ بالضحيةِ .

الذاكرة

٣٤٧هـ .

- ٤ -

بَعْدَ طَغْيِ هُنَيْءٍ ،

أُبْحَرَ الرَّمْحَ فِي

الغيمِ ، نحو السَّمَاءِ

كي يُرَكِّي

سَيْئَهُ ، وَيُرْوِي

سَافَهُ وَيَدِيهِ

بِرَحيقِ المِلائِكِ

والأنبياءِ .

* أَسْأَلُ: ماذا يمكن أن يعني

أَيُّ كِتَابٍ لَمْ يَقْرَأْنِي؟

«أهنأك شيطانٌ يرؤعني؟» سألتُ

سريرتي،

وأخذت أُوغلُ في مخيلتي - أجسُّ

وريدَ حبي،

وأقولُ، مِن صَجَرٍ، كغيري:

رَخْوٌ هو الحَبْلُ الذي يصلُ الفجيعَةَ بالرجاءِ .

وأقولُ مِن يأسٍ، كغيري:

نامتُ نواطيرُ المدينةِ في طواحينِ الهواءِ .

الذّكرة

٣٤٨ هـ .

- ه -

كوكبٌ - فتنَةٌ:

هو في عينِ محمودٍ

وجهٌ

هو في عينِ حمدانٍ

نُفاحَةٌ

فلماذا تكونُ الطَّريقُ

إليه،

دَرْجاً مِن دماءٍ

صاعداً هابطاً؟

شغفي كوكبٌ آخرُ

يجيءُ إلينا

بطيناً على فيلهِ .

والطَّريقُ إليه

دَرْجٌ من وُرودِ .

* وحدهُ، الغيبُ، يقدرُ أن يوقفَ الهواءَ

على رأسِهِ:

هل يُتأخَّرُ لِشكِّي

أن يَرى هذه المعجزةَ؟

- و -

أَتَعْجَبُ مِنِّي : لماذا، جسدي شائع، وحبّي طفل؟
ولماذا

جسدي، رُغم أهواله، جامع،
وروحي في صُورَةٍ لا تُشَبِّهُ؟ سيّري
نَحوهم، يا خُطاي -
إلى هؤلاء الذين يدقُّون باب
الرّجاء، يعيشون في ظلّ أحلامهم.

واحدٌ نحنُ :

حُبّي،
والكونُ لا يَنْتَهي.

- ٦ -

نهضتُ شمسُ هذا
الصّباح، رأيتُ جسْم
بغداد أحمر،
والناس في شُغلٍ
فاكهيّن.

إنّه القتلُ بوليم
أففاضه،
إنها الحربُ تستنفرُ
الجائعين!

* غيّر الوقتُ كرسيّه
والذّقاتُ نَحْلُ - خلاياهُ في كلّ حَقْلٍ.

- ز -

رَحْتُ أَوْهَمُ صَحْبِي

أَنْنِي رَاغِبٌ فِي مِقَامِي، وَلَكِنْ

كُنْتُ فِي وَحْدَتِي أَهْيَى سِرّاً

لِلرَّحِيلِ بِلَطْفٍ وَرِفْقٍ.

أَشْكُرُ الرَّمْلَ - فِيهِ دَفَنْتُ رِمَاحِي،

وَحَمَلْتُ عَلَى الْإِبِلِ الْمَاءَ فِي اللَّيْلِ زَاداً

لِعَشْرِينَ يَوْماً.

فَلَقِي كَالسَّحَابِ يَقِيسُ السَّمَاءَ بِأَشْلَانِهِ.

* زَمَنِي غَابَةٌ مِنْ خِيوطِ

لِعِنَاكَبِ مِنْ كُلِّ جَبْرِ،

وَأَنَا طَائِرٌ يُقَلَّبُ فِيهَا.

الذَّاكِرَةُ

٣٥٠هـ.

- ٧ -

أَتَرَى ذَلِكَ مَا قَالَهُ

الدَّيْنُ:

إِمَّا هُنَاكَ، وَإِمَّا

هُنَا؟

قِسْمَةٌ مَرَّةً

وَخِيَارٌ عَقِيمٌ.

مَنْ تُرَى أَنْتَ،

إِنْ لَمْ تُكْنِي أَنَا؟

- ٨ -

أَيُّهَا الْوَلَدُ النَّابِهُ

أَيُّهَا الْمَتَسَكِّعُ فِي

كُوفَةِ الشَّعْرِ،

مُسْتَرْتِيداً

بِأَرْقَةِ أَحْلَامِهَا،

رَبِّمَا، كُلُّ مَا قَالَتْ

النَّبَوَاتُ خَيْرٌ.

ولكن،

كُلُّ مَا قَالَتْ الْحَيَاءُ

جَمِيلٌ، وَيُؤَكِّدُ هَذَا

خِيَارِي،

مَا خِيَارُكَ يَا أَيُّهَا

الْوَالِدُ،

أَيُّهَا الْوَلَدُ النَّابِهُ؟

- ح -

إِنَّهُ الْعِيدُ^(*)، وَالنَّاسُ «فِي شُغْلٍ فَاكْهُونُ»،

وَالْأَمِيرُ وَحَرَّاسُهُ

فِي ابْتِهَاجٍ وَفِي عَفْلَةٍ.

جَاهِرٌ كُلُّ شَيْءٍ،

وَطَرِيقِي بَيِّنُهَا.

الرَّحِيلَ الرَّحِيلَ وَهُمْ غَافِلُونَ.

* تَعَبٌ - لَا أَفَاضُ هَذَا التَّعَبِ

لَا بِمَلِكٍ عَلَى الرَّافِدِينَ، وَلَا بِالذَّهَبِ.

(*) عيد الأضحى، وعشية العيد بالذات كتب قصيدته «عيدٌ بأية حال...»، وانهز انشغال كافور والناس بالعيد، ليرحل.

- ٩ -

ألنبي الذي كان،
من حكمة،
مُسْتَطِيلًا،
يُصِخُّ الآن، من
حيرة، كُرويًا.

طَيِّبْ لَيْلَ هَذَا

الَلْقَاخِ

بَيْنَ بَاهِ الْغَنَاءِ

وَبَاهِ الثَّوَاخِ!

- ط -

هِيَ بَلْبِيسٌ: عبد العزيز بن يوسف^(*) ضوءٌ
في ظلامي - ضوءٌ صديقٌ.

سَيَذَلُّلُ مِنْ أَجَلِي الصَّعَابِ، وَأَعْرِفُ
أَنَّ الْأَمِيرَ يَسِيرُ خَلْفِي خِيلاً وَرَجُلًا،
وَيَأْمُرُ عَمَالَهُ
كِي يَسَدُوا عَلَيَّ الطَّرِيقَ.

* رَبِّمَا كَانَ هَذَا الْحَجَرُ

قِطْعَةً مِنْ شِهَابِ هَوَى.

رَبِّمَا كَانَ هَذَا الْغَمَامُ بَرِيدَ الْمَطَرِ.

(*) كان الشاعر يعرفه، وقد
نزل عنده في بلبيس، فأكرمه
وأرسل معه دليلاً.

- ١٠ -

دجلة - متخفّ سائل
 للزّوس التي ألقيت
 فيه، باسم الخلافة،
 أو باسم نور الإلّة.
 دجلة يشهد رُعباً:
 فمّة من حديد،
 ومن ذهبٍ راحة!

- ي -

جِسْمِي (*) - أرضُ نخيلٍ، طيّبةٌ وندى فَجْرٍ
 مَحْمُولٍ بين شِفاهِ نساءٍ يغرلُن
 الضّوء، وقومُ فزارةٍ - ما أكرمهم.

لكن، خيرٌ أن أرحلَ، يبدو أنّ فساداً
 يَسري بين عبيدي.

رأسُ الصّوّانِ وراءَ حُطانا
 رأسُ حصانٍ بُحّ ونام - الأفقُ نداءً.

* كلما قلتُ للشمس: لا تشربي ماءً حبي،
 دهنَ الليلِ جسّمي بمرهم أحلامه.

(*) جسّمي موضع جميل
 يكثر فيه النخل.

ورأس الصّوّان اسم
 لموضع آخر.

- ١١ -

إنها ريشة الشمس
تكتب في دفتر الضوء:

«قولوا

للمحبين، للرافضين، لأهل

التمرد، للخارجين وأصحابهم،

إنهم فتنة اللغة العالية

في حناجر أباينا الآتية».

- ك -

جِسْمِي - كَأَنَّ ظِلَامَ اللَّهِ مِنْبَسِطٌ

عَلَى الْمَدَى، وَجِرَاحَاتِي قَنَادِيلُ

تَهَبُ خَيْلِي كَمَثَلِ الرِّيحِ غَامِرَةٌ

وَجَهَ الشَّرُوقِ، وَفِي صَدْرِي صَدَى وَهْوَى

لِدَجَلَةٍ، لِلْفِرَاتِ السَّمْحِ يَرْفُدُهُ

حَبٌّ وَرَفْضٌ وَتَنْزِيلٌ وَتَأْوِيلٌ.

أَرْضُ الْعِرَاقِ تَبَارِيحٌ عَلَى طُرُقِي

وَفِي عُرُوقِي وَأَحْشَائِي تَرَاتِيلٌ.

* أَلْتَوَافُدُ تَصْطَادُ صَيَادَهَا، -

كَانَ طَيْرٌ تَنْزَلَ مِنْ كَوَكِبِ غَامِضٍ

يَتَخَبَّطُ فِي قَفْصِ مِنْ نُحَاسٍ

جَرَفَتْهُ التَّوَافُدُ فِي دَمْعِهَا،

وَفِي رِيحِهَا.

- ل -

دومة الجندل (*) -

صخرة؟ رأس شخص مرّ والتهمته
شياطينه؟

أم تراها صورة بين بين؟

في الفضاء نوافذ من كل ریح
والسّماء تغیر قمصانها - السّماء توابك
ترحالتنا،
جسداً عارياً
وذراعين ممدودتين.

* وضع الغسق الوردی یدیہ

فوق جبینی، -

من خاصرتی

یهمی عرق و یسیل غباراً.

الذّاکرة

٥٣٥٠ -

- ١٢ -

المدائن مخوفة، -
أرضها غابة من
عظام،
والثخوم يباع
حمراء - حقاً،
موتك الآن،
يا أيها الخليفة،
يا أيها الباس،

أنت القائد الأمين

لقطعان هذي

المدائن،

والحارس.

- م -

إبلي تَضْرِبُ التِّيَةَ مِنْ أَوَّلِ

إبلي غَابَةٌ مِنْ رِمَاحِ

إبلي تَتَأَلَّفُ مَعَ غِيْمَةٍ رَاحِلَةٍ

وَتَقُولُ لِلَّيْلِ الْعِرَاقِ انْتَظِرْنِي فِي

فِيءِ شُبَاكِهَا،

بعد أن تعبرَ القافلةُ .

الذّكرة

٣٥٠هـ .

- ١٣ -

شُعُوذُ الْفَيْلَسُوفِ

الَّذِي يَتَكَلَّمُ سَبْرًا

مَعَ جَنَاحِي بِمَاعَةِ،

فَاتْعِظْ،

لَا تُرَدِّدْ كَلَامَهُ!

* رَحَلَ الْعَاشِقُونَ كَمَا تَرَحَّلُ النَّارُ

مِنْ لَيْلِ صَوَانِهَا، -

وَرَقَّ الْأَسِيقُ يَقْضِمُ أَظْفَارَهُ بِأَكْبَارٍ .

(*) اسم موضع.

- ن -

تَحُلُّ . موضعُ ماءٍ لا نحتاج إليه ،
لا نحتاج لأَيِّ خفيرٍ .

الذكرة

٣٥٠هـ .

- ١٤ -

فقهاء؟

حسناً، يعرفون من

الكلم المَيِّبُ أعشاشهُ

والطيور التي

تتناسل من بيضها

والمصيَّدة،

ألهذا

يجرؤون على الشعر؟

دُعْرُ

يَتَشَرَّبُ أَعْضَاءُهُمْ

كَلِّمًا وَاجْهُوا قَصِيدَةَ!

* لم أزل

مثلما عودتني ضفافك، أسبح في

لغة ماكرة،

يا فضاء الطفولة، أبتها الذكرة.

(*) موضع مَرّ فيه المتنبي .

- س -

تُرْبَانُ(*) - أَيْنَ الْعِرَاقُ الْآنَ، يَا إِبِلُ؟
ما هذه الأَرْضُ؟ نَامَ الذُّلُّ فِي دِمِهَا
فِي نَبْضِهَا، وَتَسَاوَى الْبَحْرُ وَالْوَشْلُ.

تُرْبَانُ، أَوْقِظْ مَيًّا - أَنْتَشِي فَرِحًا
بِرَبْعِهَا، وَبَغِيْلَانِ
وَأَحْتَفَلُ.

الذّآكرة

٣٥٠هـ .

- ١٥ -

شَاعِرُ فَلَكَيِّ
يَتَسَكَّعُ
فِي أَمَّةٍ لَاهِيَةٍ
وَيَقُولُ الْخِلَافَةَ بَيْتَ
لِتَقَالِيدِهَا الْبَالِيَةِ.

هُودًا - يَتَقَنَّ فِي
جَرِّهِ شُرْطِيٍّ.

* دَخَلَ الضُّوءُ فِي رَفْصِهِ، -

أَلْتَرَابُ يُسَائِلُ عَنِ وِرْدَةِ
لَمْ يَسَلِّمْ عَلَيْهَا أَمْسِ سَقَاؤُهَا
وَالسَّمَاءُ تَرشُّ عَلَى الأَرْضِ مِلْحَ
مَوَاعِيدِهَا.

- ١٦ -

«شاعرٌ

هاربٌ

من ضجيج الرُعاغِ

سجنه - وحده

الطريق إلى نفسه

في الظلام الذي

يَتَكَافَأُ مِنْ حَوْلِهِ؛

سجنه وحده الشعاع».

هكذا أرخوا

للحياة التي عاشها.

- ع -

أَبْوِيرَةٌ(*) نَقَرَّ عَلَى بَابِ قَفْرِ.

أَبْوِيرَةٌ أَلْقَتْ عَلَى الرَّمْلِ جَعْبَةً أَحْلَامِهَا

وَنَامَتْ.

طَلَّلَ دَارِسٌ وَأَثَارُ نَارٍ، -

رَبِمَا تُوَلِّدُ الأَرْضُ مِنْ أَوَّلِ

فِي بَقَايَا رَمَادٍ.

* نَبَتَ الشَّعْرُ فِي رَأْسِ هَذَا الْحَجَرِ

بِاسْمِ مُسْتَقْبَلِ مُنْتَظَرٍ.

(*) اسم موضع .

- ف -

هذه أرض نَجْدٍ
وَبُسيطَةٌ (*) فيها وطنٌ لِمِها والتعام .

وأكاد أرى طيفَ ليلِي
وَألمسُ أردانه الطويلَه
وأكادُ أَلأيسُ قيساً .

وطنٌ فارغٌ من هُذاءِ العقولِ ومن
هَذَيانِ الكلامِ ،
وطنٌ للوحوشِ الجميلةِ .

* أَلْفيايِ تُترجمُ خيلي
وَخيلي تُترجمُ حريتي .

الذّكرة

٣٥٠هـ .

- ١٧ -

قال : «أعطيكم

الخلافة، أرض

الخلافة، سلطانها،

وما قبلها وما بعدها .

لا أريدُ سوى أن

تعيدوا إليّ ذواتي

وجنري ،

لا أريدُ سوى

وحدتي^٩ .

كانَ يرنو إلى

السيفِ كيف يُفرّقُ

بين الرُّؤوسِ

وأعناقها .

(*) موضع ، والجراوي نبع .

- ص -

كانت السَّمْس في عقدة الجَوْف (*) تشربُ
ماءَ الجَراويّ (*) ، حين هبطنا عليها .
شربنا . شربتُ نوقُنا وأفراشنا .

عقدة الجَوْف تسأل من أين جئنا؟
تجاوز أحزاننا، وتفهم ما لا تقولُ،
وتفهم ما لا نقولُ .

عقدة الجَوْف تغزلُ أبهى عباءاتها
من رُغاءِ التِّياقِ ومن حَمَماتِ الخيولِ .

الذّكرة

٣٥٠هـ .

- ١٨ -

«أعطني جرعة ماءٍ
وخذ العالم .
لا أعرف . ماذا
قلت؟ لا أعرف .
كلاً ،
وطني جلدي ،
ولا أملك إلا
كلماتي» .

* أرقتني الوحوشُ التي تتقافزُ بين الورقِ ،
هل سيبقى طويلاً ،
أيُّها الربُّ ، هذا الأرقُّ؟

(*) موضع قرب الكوفة.

- ق -

أُتْرَاهَا الرَّهَيْمَةُ (*) وَجَهْ

لشقاءٍ تَلاشَى؟

أُتْرَاهَا تودّع أَيامَهَا الحزِينَةَ؟

دجلةٌ والفراتُ نشيدانِ

والعشبُ يرقصُ:

للأرضِ عيدانِ، عيد السَّوادِ

وعيدُ المدينةِ.

الذّكرة

٣٥١هـ.

- ١٩ -

- «هُرطوقيّ، مَنْ

يقتله،

يعلو بِاسْمِ اللَّهِ،

- دعوهُ

نن يعلو حتى عُشْبُ

يُنقَى

من سُريانِ

هُرطوقيّ».

* أَيها الواقِعُ،

ما الذي يجرحُ الصّدقُ في رثيتِكَ،

وماذا يضيركَ نَوَارُهُ الطّالِعُ؟

- ر -

شاطنان - البقاء، الخروج: الزبد

موكب من كرات. ومزسى

ليعاسيب تبحث عن حُبزها.

يتخيّل قينة، ويظفّو

مثلها -

لا اتجاة

لا مدى

لا أخذ.

الذاكرة

٣٥١ هـ.

قائل يترأى

في خناجر

أسلافه.

* يدخل الضوء في حالة

يخرج الضوء من حالة -

لا شهيداً، ولا شاهداً.

عابراً يتقرى الطريق إلى نفسه.

- ش -

لم أُعِزْ مرّةً ذراعي لموتي .

هوذا الآنَ أدخُلُ في روحهِ الباردِ

وأطوّق أطرافَهُ،

وأحسّ كأنّا

طائرانِ يعيشانِ في أيكَةِ واحدَةٍ .

(١) «أمرَ معزّ الدولة بن بويه، قَبِحَهُ اللهُ، أن تُغلقَ الأسواقَ، وأن تلبسَ النساءُ المسوحَ من الشَّعرِ. وأن يخرجنَ في الأسواقِ حابيراتٍ شعورهنَّ، يلظمنَ وجوههنَّ، ينحنَ على الحسين، ولم يمكنَ أهلُ السَّنةِ مع ذلكَ، لكثرةِ الشيعةِ، وكونِ السلطانِ معهم» .

الذّكرة

٣٥٢هـ .

- ٢٠ -

الأسواقُ سماعٌ^(١) :

قياراتُ سودٌ

بيضٌ

تندلّي

من أعناقِ رياحِ

طلسميّةِ .

الأسواقُ ساءَ

في شهواتِ

روحانيّةِ .

* كَبِدِي تتوغَّلُ قُدَامَ جِسمِي،
وجِسمِي يمشي أَمَامَ حَيَاتِي .

- ١٠ -

الأسواق ثيابُ

أخلى

ما حاكتهُ

أيدٍ بَعْدَ دَيْئَةٍ.

الأسواقُ

حَطَايَا لَاهُوتِيَّةٌ.

- ت -

لَا تَسَلْ، لَا تَسَلْنِي

عَنْ أَبِي أَوْ قَبِيلِهِ،

نَسَبِي^(*) فِي لِسَانِي.

جِئْتُ مِنْ غَيْلِ دَهْرِي، وَطَنِي

أَنْنِي ذَاهِبٌ إِلَى اللَّهِ، غَيْلَهُ.

* يقرأ الماء في شفّتي أناجيله، -

عَطْشِي عَاشِقٌ.

(*) روى الخطيب عن علي بن المحسن عن أبيه، قال:

«وسألت المتنبّي عن نسبه، فما اعترف لي به». (البرقوقي، ١ : ٢٠).

نَجْمَةٌ

تتغطّى بِبُرْفُوعِ أَحْزَانِهَا

رَمَلَتْ وَجْهَهَا

بِحَنِينِي، وَغَابَتْ.

عَرَفِي صَارَ ثَوْباً لَهَا.

- ٢٢ -

الأسواقُ حَمَائِرُ حَبِّ

في أجسادِ جُنُثٍ،

وعشاءاتِ

حولِ موائدِ بَيْرِيَّةٍ.

الأسواقُ وجوهُ

تتوهجُ في استحياءٍ،

يتلاقى فيها

ضوءُ الشَّمْسِ

وضوءُ الحُرَيَّةِ.

- ث -

* أَذِنَ اللَّيْلُ لِلْعَاشِقِينَ

أَنْ يَظْلُوا عَلَى حَبِّهِمْ سَاهِرِينَ.

- ٢٣ -

«النساء يخوضن في
التهر، يلقين أفخاذهن،
وقمصانهن، ويصرخن
في الماء: أين الحسين؟
عبثُ الريح والزَّمْلُ مِلءُ
الفضاء،
وملءُ الحقول،
ومِلءُ الديدن»:

هذه صورة

لمثالٍ قديم

قَدَّمَتْهَا لِشِكَّانٍ

بغداد، هذي العشيّة،

أسواقها.

- خ -

أَتَحْيَلُ أَنِّي أَسْأَلُ قَيْسًا: أَيْنَ لَيْلِي؟
تُرى ما تزالان عَطْرَيْنِ فِي وَرْدَةٍ وَاحِدَةٍ؟
وَبِمَاذَا أَدَقُّ أَحْشَاءَ هَذَا الْفَضَاءِ وَأَعْضَاءَهُ
الْبَارِدَةَ؟

وَأَسْأَلُ: مَا الْكُوفَةُ الْآنَ؟

فِيثَارُ حَبِّ،

أَمْ لِقَاءُ أَلَيْفٍ بَيْنَ قَتْلِ وَقَتْلِ؟

* هوذا نرجس:

لِمَاذَا

لَا أَرَى فِيهِ وَجْهًا، وَلَا زَهْرَةً؟

- ذ -

إِنهَا الْأَرْضُ مَخْنُوقَةٌ
وَدُمُ الطَّيْعِ يَنْقُضُ مِيثَاقَهُ
مَعَ نَبْضِ الطَّبِيعَةِ . وَالْحُبُّ يَرِثِي لِأَحْلَامِهِ
نَازِفاً عِنْدَ شَبَابِهِ :
قَلِّمًا تَقْرَأُ الْبُيُوتُ قَنَادِيلَ عُشَاقِهَا ،
وَأَرَى ، لَا أَرَى - هَلْ أَصْدَقُ عَيْنِي ؟ - إِلَّا
بَشْراً مَيِّتِينَ يَعِيشُونَ فِي طِينَةِ حَيَّةٍ .

* قَلْ لِعِدْوِكَ : سَوْفَ تَظَلُّ صَدِيقاً
مَا دَمَتَ فِضَاءً
أَقْرَأُ فِيهِ أَخْطَائِي .

الذَّكْرَةُ

٣٥٤هـ .

- ٢٤ -

الْأَسْوَاقُ جِرَاحُ
أَرْدَافِ جُنُونٍ
وَصُدُورُ تَصْرُخِ حُبِّهَا .
مَهْلًا ، يَا هَذَا الرَّعْدُ ،
الْأَسْوَاقُ تَكَادُ تَمِيدُ
وَتَهْوِي
تَحْتَ هَدِيرِ الْوَجْدِ !

الذّاعة

٣٥٤هـ.

- ٢٥ -

الأسواق زواج

بين الطّبع

وهذي الأرض - اللّعبة.

الأسواق

جِبَلَةٌ دَمَعِ،

يَأْسَ يَشْرَبُ،

لكن،

لا يَشْرَبُ إِلَّا

ماء الرّغبة.

- ض -

أهناك ابتداء؟ أهناك انتهاء؟

أم لغات توسوس أحشاءنا

ونهاجر فيها نهاجر منها

كي نُحَرَّرَ إيقاعنا

من سلاسل إيقاعها

ونعود إليها

ونكرّرها في لغات سواها؟

* أنغيّر - كي تبقى

نفسِي نَفْسِي.

- ظ -

لَمْ أَحَاوَلْ، كَمَا وَسَّوَسَتْ جِرَاحِي،
أَنْ أَهْدَمَ جِسْرَ التَّوَدُّدِ

بَيْنَ امْرِئِ الْقَيْسِ وَالْمُلْكِ،
حَاوَلْتُ أَنْ أُغْوِي الرُّهْرَةَ الْعَرِيَّةَ
كَيْ تَتَجَلَّى عَلَي دَرْبِهِ
وَتَرَافِقَ أَحْوَالَهُ.

غَيْرَ أَنَّ يَدَ اللَّهِ جَاءَتْ:

أَخَذَتْ وَقْتَهُ،

أَخَذَتْ وَقْتَهَا،

أَخَذَتْ وَقْتَنَا.

* فَوْضَ الرَّاكِبِ الْغَيْمِ، نَبَعَ الْحَيَاةِ

إِلَى جَوْفِ إِبْرِيْقِهِ.

جَوْفُ إِبْرِيْقِهِ رَمَادٌ.

الذَّاكِرَةُ

٣٥٤هـ.

- ٢٦ -

«بَيْنَ سُنِّيَّةٍ

تَتَغَرَّبُ فِي فِقْهَيْهَا

وَشَيْعِيَّةٍ

تَتَغَرَّبُ فِي كُتُبِهَا،

أَتَخَيَّلُ أَيُّ

غَايَةٍ مِنْ لَغَايَاتِ.

الْفَضَاءِ سَرِيرِي

وَرَأْسِ السَّمَاءِ عَلَى

رُكْبَتِي.

آه - مَاذَا؟ أَحَقًّا -

نَسِيَ الضُّوْءَ، هَذَا

الصَّبَاحَ، مَفَاتِيحُهُ

فِي يَدَيَّ؟»:

هَذِهِ صُورَةٌ

لِرِسَالَةِ حَبِّ

قَدِيمٍ.

آه، ما أحوج الصلاة

لحناجر من ياسمين

وطيب.

هكذا من يُصلي

ومن لا يُصلي،

يضعدون على سُلّم

الفضاء

إخوة في البهاء.

هكذا تُصبح الحياة

شغفاً وابتكاراً.

هكذا يُصبح الشعْرُ

للكل تزيّلة.

- غ -

ها هُنا نستقرُّ. أتُخنا. «ركزنا الرّماح»،

أخذنا «نقبَلُ أسيافنا».

«وَكُنَّا وَفِينَا، وَكُنَّا أَيْنَا، وَكُنَّا عَتُونَا عَلَى مَنْ عَنَا»،

و«ما كلُّ من قال قولاً وَفَى

ولا كلَّ مَنْ سِيِمَ خَسِفاً أَبِي،

ومن كان يحملُ قلباً كقلبي

يشقُّ إلى العزِّ قلبَ الهلاكِ، بشعْرٍ

مدحُتٌ به الكركدنُّ، بين القريض وبين الرُّقى

وما كان ذلك مُدحاً لَهُ،

ولكِنَّه كان هَجُوجُ الوَرَى».

* إِنَّهُ الشَّعْرُ يَأْتِي

من يقين المكانِ إلى لا مكانٍ.

هوامش
(يوميات المتنبي)



.VII غيب

١ - إصغاء

في التشرُّدِ، أصغيتُ دوماً إلى الأرضِ تُنبِتُ أعشابها.
عملٌ شاعِرٌ. غيرَ أنَّ النَّباتِ يحبُّ الرِّتابةَ كالبحرِ. كلا،
لا أحبُّ الرِّتابةَ لكنني
ذُقْتُ شعرَ التَّموُّجِ، شعرَ الفروقاتِ، فيها، وذُقْتُ
الهبوطَ إلى الجذْرِ: حاولتُ
أن أتبيّنَ فيه جناحَيْنِ، ليلاً، ولكن
صَرَخَةً أخذتني إلى بومةٍ،
تذوِّقُ مثلي طريقاً إلى جذْرِها.

أُتشرَّدُ. ضوؤه الصِّباحِ أمانِي، هنالك، يعلو وحيداً على تَلَّةٍ.

٢ - انطفاء

أَلشَّتَاءُ انْتَهَى

وَأَنَا لَمْ أَكِدْ أَبْدَأُ .

الفصولُ مرايا، والحقولُ وجوهٌ .

سَقَطَتْ شَمْسٌ هَذَا الصَّبَاحِ عَلَى وَجْهِهَا ،

عِنْدَمَا رَحَتْ كَالطِّفْلِ أَلْهُو - أَتَسَلَّقُ أَرْدَاقَهَا .

طَائِرٌ؟ يُطَلِّقُ الطَّائِرُ الْمَهَاجِرُ آخَرَ أَصْوَاتِهِ

عَائِدًا . كَيْفَ أَعْرِفُ أَنَّ طَرِيقَ الرَّجُوعِ إِلَى بَيْتِهِ ،

آمِنٌ؟

أَلرَّبِيعُ انْتَهَى

وَالخَرِيفُ انْتَهَى ،

كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَيُّهَا الصَّيْفُ؟ عَيْنَاكَ حَزْنٌ ،

وَوَجْهُكَ ، فِي حَيْرَةٍ ، مُطْفَأٌ ،

وَأَنَا لَمْ أَكِدْ أَبْدَأُ .

٣ - غيمة

نَقَلْتُ مِنْ حَذِرِ خُطَايَ كَأَنِّي
طَيْرٌ . يَكَادُ الْعَشْبُ يَنْبُتُ فِي خُطَايَ ،
صَرَخْتُ : كَيْفَ يَسِيلُ صَوْتُ
مِنْ لَهْفَةٍ ، كَالْمَاءِ ؟ أَصْرُخُ
كِي أَطْمِئِنَّ وَوَحْدَتِي .
أَنْزَلْتُ عَنْ كَتِفِ النَّهَارِ يَدِي وَجِرَّةَ حُزْنِهَا ، وَدَعَوْتُهُ :
قَسْنَا مَعاً طَوَلَ الصَّدَى
بَيْنَ الصَّرَاخِ وَوَحْدَتِي .

- «أتريد أن تأتي إليك يمامة؟»

أَغْمَضْتُ عَيْنِي ،
وَحَلَمْتُ : بَيْتِي غَيْمَةٌ .

٤ - غربة

أن تكونَ غريباً
هو أن تقرأ الكونَ في بدئه، دائماً.

المدينة ماضٍ أليفٌ،
والغربةُ في كيفَ كانت.
أتراها المدينةُ، بغدادُ، مخنوقَةٌ؟
ولماذا تذكّرتُها الآنَ؟ عَصْرُ
يتشكّل في جَوْفِ جَبَانَةٍ.

وأنا مثله - حائرٌ بائِرٌ
إشْفِنِي الآنَ، مِنْ عَهْدِ حَبِيي، يا أَيُّهَا الشَّاعِرُ.

٥ - قَدَر

قَدَرِي أَنِّي
لَا أُطِلُّ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شُرُفَاتِ الْقَدَرِ .

رَبَّمَا يَفْهَمُ الطِّفْلُ فِي الْعَذَابِ الَّذِي يَتَخَثَّرُ مِنْ عَهْدِ آدَمَ ،
فِي رَثِي . اضْطِرَابُ
فِي الضِّيَاءِ الَّذِي يَتَسَلَّلُ مِنْ كَهْفِ حَرِّيَّتِي . ضِيَاءُ
آخَرَ مِنْ فِضَاءِ غَرِيبِ
يَتَسَكَّعُ فِي خَيْطِ شَمْسٍ .

أَخْذُ الْآنَ حُلْمِي شَيْخًا وَطِفْلًا
وَأَفْتَحُ أَبْوَابَ لَيْلِي لَهُ
وَأَنْذِرُ أَهْدَابَهُ لِلْسَهْرِ .

٦ - حرب

ما أقولُ إذا سألتني
خطواتي عن بيتها؟
لن تعودَ الحياةُ؟ الطَّريقُ وأشباحها
تتخاصمُ فيه وفي حبه؟
أم أقولُ انتهى -
والرَّمالُ تُظللُ تاريخه؟

ولماذا

لا أحبُّ التذكُّرَ إلاَّ إذا كانَ حرباً؟

أيُّ هذا الفضاء الذي يتوهج في بيتها - لماذا
لم تقل للطريقِ إلى بيتها،
إنني حُنتُه؟

٧ - عطش

أتهجّجك، يا هذه الأرض - أرضي، أشباح موتك في ناظري،
أغانيك مرثيةً ونواح، وأيامك احتضاراً.

الجحيمُ الذي فيّ منك - التبسُ بتاريخه،
وانتميتُ إليه،

فكيف وأيانَ أخرجُ منه؟

وأحسُّك فيّ الهواءَ وميراثه: لا خلاصَ.
ومنَ فيك يعرفُ إنْ مُتُّ أو عِشتُ؟ عينك
لا تنظران، وقلبك رَمْلٌ وقَشٌّ.

عطشي أُنكِ الماءَ، والماءَ وَصَلَّ.

٨ - تنقل

لا أسائل موتي عن حياتي، أو حياتي عنه، فموتني
كحياتي رحيلٌ.

ولهذا،

لا أحبّ المقام، أحبّ الرحيلُ.

في الرحيلِ، أكون وحيداً، وأصغي لنفسي، ونفسي تُصغي
إليّ، ولا شأنَ لي في السماء،
ولا شأنَ لي في البقاء على هذه الأرضِ. وحدي
أتكاثُرُ في الصُّمْتِ، في ذلك الحوارِ المَعْمَى
بين ليلِ الإلهِ وبينني -
أتنقلُ من مستحيلٍ إلى مُستحيلٍ.

٩ - عبودية

ربما صرتُ عبداً لذاك الكلام الذي كنتُ أجتأحهُ
وأروضُ عصيانهُ
وأطوعه مثل عبدي.

أصديقٌ يصيرُ عدواً؟
أعدوٌ يصيرُ صديقاً؟
أم هو الضدُّ يظهرُ في ضدهِ؟

قل لي الآن، ماذا سأفعل؟ هل كنتُ أصرخُ من دون صوتٍ؟
وهل كنتُ أخطئُ في الظنِّ والقول؟ هل خطأي ظاهرٌ؟
قل لي الآن، ماذا
أيها الطائرُ البشريُّ الذي طار في حلمه
ففتكك في شمسِهِ واحترق،
أيهذا الوزق.

١٠ - الوداع

لحظةً - كَيْ أقول وداعاً

للبلاد التي أنتمي إليها،

لحظةً يتحول فيها

كلُّ شيءٍ إلى ذكرياتٍ .

هل سأبدأ من أولٍ؟ أين؟ لا دجلة تتراءى
والفرات عصبي على أيِّ حبٍّ .

هوذا أترقّبُ - (آه،

كم ترقّبْتُ!) ماذا؟

ما الذي يتجلى؟

أهنالك شيءٌ تبدى، أهنالك شخصٌ بدا؟

إتعبتُ اتعبتُ وتعلمتُ

أنهَذَا الفسيحُ البهيُّ المدى .

الخاتمة

I. كتاب السّواد

II. رماد المتنبّي

كتاب السّواد

(أوراقٌ خاصّة أوصى كافور أن تُنشر بعد موته . وقد وصلت إلى أدونيس ، بطريقة غامضة ، وفي صندوقٍ واحد مع «يوميات المتنبي» . وهي تُنشر هنا ، بناءً على هذه الوصيّة ، للمرة الأولى . والعنوان هو من وُضِع أدونيس).

*

لا بلادي بلادي ، لا يدي في يدي ، -
كيف لي أن أقول لهذي المدينة :
حَبَّأتُ حُزنَكَ في جِلدي الأَسود؟

*

المدينة شَحْمٌ
وأنا لستُ إلّا
هيكلاً من عظام ، -
شِخْتُ يا هذه المدينتُ ، يا شَمْسَ أوجاعنا ،
وأنا لم أزل ، بعد ، طِفلاً .

*

كيف جئتُ إلى مصر؟ وحيدي؟ مع آخرين؟ أتذكر
يا جسْمي المَشْمُوه؟ من أين؟ كيف اشترائني تاجرُ زَبْت؟
ومن أين صرْتُ إلى ابنِ وهب؟ وإخشيذ
مَصْرٍ - لماذا اصطفاني، وأعتقني،
وحَماني؟
عجبي غامِرٌ. أحكمهُ عَيْب؟ مُصَادَفَةٌ؟ فَلْتَةٌ؟
ما أقولُ؟ سأتركُ هذا لغيري،
ولتاريخ هذا الزمانِ.

*

كنتُ أُسْتَرَقُ السَّمْعَ، أُضْغِي إلى مالكي - سيدي
يتحدَّث عَنِّي
مع زُوارِهِ:
«هُوَ عَبْدٌ خَصِيٌّ،
غير أنَّهُ خُلِقَ عَالِيًا
لا يَلِيقُ بِهِ غَيْرُ قَصْرٍ».

*

أَلْمَدِينَةُ مَنفُوحَةٌ بِأَبَاطِيلِهَا

وَالْعَبِيدُ الْجِيَاعُ يَدُورُونَ فِيهَا،

يَنْظُرُونَ إِلَى قُبَّةِ السَّمَاءِ، يُشِيحُونَ عَنْهَا:

كِسْرَةُ الْخُبْزِ أَجْمَلُ مِنْ كَوْكَبٍ.

*

أَلطَّبِيعَةُ - أَمِّي، ضِدِّي.

*

كُلُّ مَا كَانَ يَقْطُرُ فِي الْقَلْبِ مِنْ ذَلِكَ الرَّحِيقِ،

رَحِيقِ الْمَنَامَاتِ،

أَوْلَمَتْهُ لِلْغَيُومِ.

فَجَاءَتْ، ذَاتَ لَيْلٍ،

وَأَنَا أَتَقَلَّبُ فِي النَّوْمِ، شَاهَدْتُ أَنَّي نَجْمٌ

يَتَلَأَلُ بَيْنَ النُّجُومِ.

*

عَشْتُ زُنْجِيَّتِي كَرِيمًا

أَتَرَصَّدُ وَقْتِي -

فَاتِحًا شَهْوَاتِي عَلَى كُلِّ رِيحٍ.

*

آه، ماذا؟ كَأَنِّي، طوراً
أَتَأْرَجِحُ فِي عُنُقِ سَيْفٍ، وطوراً
فِي يَدَيَّ نَجْمَةٍ.

*

لي فراشٌ على شَكْلِ حَوْضٍ
والوسادةُ نَهْدٌ:

حُلِّمْتُ كُنْتُ أُرْوِيهِ حَتَّى
لَا أَكْرَرُ دَوْمًا
أَنِّي كُنْتُ أَحْيَا - كَأَنِّي
أَشْرَبُ الْمَاءَ مِنْ جَوْفِ عُوْلِ.

*

آه، لِلضَّوءِ وَجْهٌ -

لَا أُرِيدُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا
أَنْ أَكُونَ سَوَادًا لِأَهْدَابِهِ.

*

أُتْرَانِي فِي مَرْكَبٍ يَتَخَبَّطُ فِي لُجَّةٍ؟
لَا مَنَارٌ وَلَا شَاطِئٌ.

أَيْنَ أَمْشِي، إِذَنْ؟

*

دائماً، كنتُ أومنُ :

بيضٌ وسودٌ - طينةٌ واحدة .

لا تُقاسُ الحقائقُ بالطَّينِ . فاذهبْ

أيُّها العِرْقُ وارقدْ

في رمادِ خرافاتِكَ البائدة .

*

يَتَضامَنُ، لكنْ بِالفاظِهِ :

رَجُلٌ مِنْ رِياحٍ وَنَرْدٍ .

*

ما هذا الغيمُ؟ كَأَنَّ خُطاهُ

تَتَشَحَّطُ، تَمضي تَأْتِي، وَتُسَبِّفُ وَتَعْلُو

في ما يُشبهُ مَوْجاً :

يبدو أَنَّ الأَفُقَ مَرِيضٌ .

*

كُلُّهُم أَصْدِقاءُ

في البِطانَةِ، في المَصْرِ: بعضٌ لبعضِ خَليلٌ .

وبعضٌ لبعضِ قَرِيبٌ،

وأنا وحدي الغَريبُ .

*

مِتْعِي، وَلذَانِدُ فِكْرِي، وَكُوَابِسِي المَارِدَةَ
تَتَجَادِبُ رُوْحِي وَجَسْمِي فِي لِحْظَةٍ وَاحِدَةٍ.

✱

هُوَذَا - هَلْ أَشَاهِدُ نَجْمًا

يَتَبَسَّمُ فِي حَفَّتِي

وَيَقُومُ وَيَقْعُدُ مُسْتَهْزِئًا

وَيُدْغِدُغُ أَعْضَاءَهُ؟

أَمْ أَنَا وَاهِمٌ؟

✱

الطَّرِيقَ الَّذِي قَادَنِي لِلخُرُوجِ مِنَ التِّيهِ؟ يَبْدُو

أَنَّهُ قَاتِدِي مِنْ جَدِيدٍ

لِلدُّخُولِ إِلَيْهِ.

✱

إِنَّهُ العَرَشُ يَنْهَارُ. هَلْ آخَذَ العَرَشَ مِنْ أَوَّلِ الحَيْطِ

بِالبَاسِ وَالعَقْلِ؟ أَمْ أَتْرَكَ المَسْأَلَةَ

مِثْلَمَا أَلْفَ النَّاسِ تَارِيخَهُمْ -

جِيلَةً، مَرَّةً،

مَرَّةً، مَقْتَلَةً؟

✱

حولِي الْآنَ، مِنْ كُلِّ فَجْحٍ،
بَشْرٌ يَطْمَحُونَ إِلَى سُدَّةِ الْحُكْمِ،
أَوْ يَطْمَحُونَ إِلَى لُمْسِهَا وَتَقْيِيلِهَا -

بَشْرٌ يَجْعَلُونَ مِنَ الْأَرْضِ مُسْتَنْقَعًا.

※

لَنْ أَقُولَ لَخَيْلِي: مُرِّي عَلَى جُثْبِ الْأَخْرِيِّ
الَّذِينَ يُعَادُونِي.

سَأَقُولُ لَهُمْ: بَيْنَنَا

شِرْعَةُ الْحَقِّ،

وَالْعِكْرُ - حُرًّا،

وَمِيرَاتُهَا الْأَمِينُ.

※

يَنْبَغِي أَنْ يُعَادَ إِلَى الْعَرْشِ مَا يَمْنَحُ الْعَرْشَ مَعْنَاهُ:

لَا ظَنَّةَ،

لَا رَشَاوَى،

لَا تَوْسُطَ بَيْنَ الْأَمِيرِ وَشَعْبِ الْأَمِيرِ،

وَلَا مُرْتَشُونَ.

وَالْأَبَاعِدُ، فِي الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، مِثْلَ الْأَقَارِبِ، لَا خَوْفَ،
لَا يُفْتَمَعُ الَّذِينَ يُنَادُونَ بِالْعَدْلِ، أَوْ يَنْقُدُونَ الْأَسِيرَ وَأَعْمَالَهُ

وأقواله ،
ولا يُعزلون ،
ولا يُحرّمون ،
ولا يُقتلون .

✱

لا أمثل شعبي ،
لستُ منه سوى ذرّة .
غير أنني تمثّله
وتنوّرتُ أوجاعه وأسرارها ،
وصورته فضاء
ورسمتُ حياتي حُبّاً
فوق طرسِ أمينٍ
من طروسٍ بهاءاته .

✱

هل أدقُّ عروقَ الرّماح ، وأصنعُ جبرَ الحقيقةِ منها؟
هل أقولُ السماءَ كآيةِ جبانة؟
غضبٌ في اللّهْبِ
والفضاءِ انحناءٌ وبقايا فُضْبٍ .

✱

أَتَدْتَرُ أُنْحَاءَ مِضْرٍ
وَأَفْوَضَ قَلْبِي لِأَقَالِمِهَا.

*

سَمِعَ النَّيْلُ هَمْسًا:

«ما الذي يخسرُ النَّيْلُ، إن قُطِفَتْ زهرةٌ
بين أحضانِه؟»
ضَجَّكَ المَدُّ والجَزْرُ فِيهِ،
ومَضَى يَتَسَقَطُ أخبارَ أزهارِه.

*

نَزَفَ الأَفُقُ مِن أَجْلِكَ، اليَوْمَ، يا نَيْلُ، وَأَنْصَهَرَ الحَبُّ:
لا عَضْفَ إِلاَّ
ما يَهْبُ من النَّاسِ،
لا ذَرْبَ إِلاَّ الصَّعُودُ.

ما تَبَقَّى فُتَاتٌ لَكِي يَسْتَمِرُّ الوجودُ.

*

حَافِيًا، مُتَعَبًا
يَتَقَدَّمُ نَحْوِي. يَدَاهُ
مِثْلَ خَيْطَيْنِ - هَذَا نُحُورُ اليَقِينِ الَّذِي يَتَعَدَّبُ
فِي نارِهِ الفُقَرَاءُ:
أَهْ مِمَّا يُخَبِّرُهُ الأَغْنِيَاءُ،
وَيُفْتِي لَهُ الفُقَهَاءُ.

*

رُبَّمَا تَتَقَدَّمُ نَحْوَ الْعَدَالَةِ... لَكِنِ،
عِنْدَمَا يَتَدَقَّقُ نَهْرُ الْمَجْرَةِ فِي جَوْفِ حُوتٍ.

✱

حَزَمْتُ حَضْرَهَا
التَّجْوُمُ وَنَامَتْ
فِي سَرِيرِ الْأُبُوَّةِ:
مِصْرُ فِي جَوْعِهَا تَنَامُ وَأَعْضَاؤُهَا
أُتْخِمَتْ مِنْ رُكُوعٍ؛
مِصْرُ مَخْتَوْمَةٌ
بِشَمُوعِ النَّبُوَّةِ.

✱

وَشَوْشْتَنِي، فِي حَسْرَةٍ، وَرْدَةٌ
(وَرْدَةٌ صُورَةٌ لِمَلَائِكِ
لَا أَقُولُ اسْمَهُ):
«سَيَكُونُ بَعِيداً، وَلَنْ يَحْضُرَ الْيَوْمَ حَقْلَ الْعِشَاءِ»
كَيْفَ أَكْتُمُ حُزْنِي؟
كَنْتُ هَيَّأْتُ لِلْحَقْلِ أَجْمَلَ مَا عَرَفْتُ مِصْرُ مِنْ شَطْحَاتِ الْغِنَاءِ.

✱

لَا أُجَسِّرُ بِأَعْدَاءِ عَرْشِي،
وَأُحِبُّ الَّذِينَ يَغَارُونَ مِنِّي.

✱

هذه مِصْرُ؟ بُرُجُ يُقَامُ عَلَى الْكَلِمَاتِ ،
وَمَشْتَقَّةٌ كِي تَسْوَسَ الشَّقَاءُ؟

ما الذي فَعَلْتُهُ

أَرْضُ مِصْرٍ لِمِحْرَابِ تِلْكَ السَّمَاءِ؟

*

مِنْ غُبَارِ السِّيَاسَةِ يَأْتِي إِلَى الْقَصْرِ هَذَا الْهَوَاءُ ،
دَبِقًا ، خَانِقًا

آه ، لَوْ كُنْتُ أَقْدَرُ أَنْ أَغْسِلَ الْفِضَاءَ .

*

لَا كِرَامَةً ، لَا صِدْقَ ، لَا كِبْرِيَاءَ :
الْحَيَاةُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ أَنْشُوطَةٌ
وَالسِّيَاسَةُ فَنُّ الْبَغَاءِ .

*

غَثِيَانٌ تَهَبُّ أَعَاصِيرُهُ عَلَيَّ ،
وَأَنَا قَابِعٌ :

لَيْسَ لِي غَيْرُ هَذَا الْهَبَاءِ الَّذِي فِي يَدَيَّ !

*

يَخْطُرُ اليَوْمَ لِي أَنْ أَخُونُ
مَا أَحْبُّ، لَعَلِّي
أَتَنَوَّرُ مَا كُنْتُ، مَا سَأَكُونُ
وَأَعْرِفُ كَيْفَ يَكُونُ التَّعَقُّلُ فِي لَحْظَةِ الْهَيْجَانِ،
وَكَيْفَ يَكُونُ الْجُنُونُ.

*

مَا الَّذِي يَجْعَلُ الشَّعْبَ، فِي الصَّبِيِّ،
وَخَشْأً غَرِيباً يُحِبُّ الْجَرِيمَةَ؟
أَلْدَمَاءُ لَهُ خَمْرَةٌ، مِرَاراً
وَمِرَاراً تَمِيمَةً.

*

لَا أَحْسَسُ بِأَنِّي كُنْتُ الضَّحِيَّةَ. كَلَّا، وَأَكْرَهُ تَمَثِيلَ أَذْوَارِهَا.

*

لَيْسَ مِنْ عَادَتِي أَنْ أُؤَجِّلَ مَا أَعْمَلُ الْيَوْمَ حَتَّى غَدٍ، وَيَكْفِي
أَنْ أَقُولَ لَهْدِي السَّتَارَةَ: نَامِي،
أَوْ اسْتَيْقِظِي لِتِلْكَ السَّتَارَةِ.

هَكَذَا، مُذْ أَفْقُتُ، تَسَاءَلْتُ: مَاذَا لَدَيْ، وَمَاذَا

سَأَفْعَلُ؟ يَبْدُو

أَنِّي مِثْلَ غَيْرِي سَاجِدٌ -

أَنِّي سَأَكْرُرُ يَوْمِي هَذَا كَمَا سَاءَتْ الْأَمَارَةُ.

*

الخرافة جبر العروش،
السجون بساتينها.

✽

سوف أثبت للماء أنني جذر، ولكن
أتراني في حاجة
كي أبرهن للريح أنني عبار؟

✽

بي حنين إلى رفقاء نشأت على حبيهم.
رفقاء مشينا حفاة معاً،
وأكلنا معاً خبزنا
وقسمنا معاً أرضنا
بعضها للعماء، لليل القدر
بعضها للتشرد في البؤس أو في يباب البشر.

غير أنني في لحظة الوعي أعرف أنني وحيد،
وأعشق هذا البقاء وحيداً،
كي أعاشير نبض الوجود وأدخل في فيض أسراره.

لا أجس بأني أسكن في مُخدع الأرض،
أو مُخدع الألوهة إلا إذا كنت وحدى.

✽

مَنْ يَرَانَا، وَنَحْنُ نَعْدُبُ جِسْمَ الْمَدِينَةِ، نَكْسُوهُ ثَوْباً جَدِيداً؛
مَنْ يَرَانَا، وَنَحْنُ نَقْطَعُ أَوْصَالَهُ، وَنَسْوِسُ تَأْبِيئَهُ،
وَنُؤَالِفُ مَا بَيْنَ حَشْحَاشِهِ وَتِرْيَاقِهِ؟
مَنْ يَرَانَا، وَنَحْنُ نَجْرُ الْوَجُوهَ الَّتِي عَشَقْتُنَا - الْوَجُوهَ الْأَمِينَةَ
بِحِبَالِ الْمَدِينَةِ؟

*

أَفْتَحُ النَّافِذَةَ -

عَابِرُونَ، سُكَارَى. عَسَسَ، وَقِنَادِيلُ سَوْدَاءَ صَفْرَاءَ. لَيْلٌ
آخِرٌ مِنْ جِرَاحٍ وَتَمَاتَمٍ كَيْ يُطْرَدَ الْحَزْنَ عَنْ وَجْهِ مُضْرِبٍ.
نَجْمَةٌ تَأْخُذُ النَّيْلَ مِنْ خَصْرِهِ.
سَاهِرٌ. لَنْ أَزُورَ سَرِيرِي، وَلَنْ أُغْلِقَ النَّافِذَةَ.

*

بَعْدُ، لَمْ تُوجَدْ الْحَيَاةُ الَّتِي قِيلَ عَنْهَا
إِنَّهَا غَائِبَةٌ.
وَكَثِيراً تَخَيَّلْتُهَا - أَتَنِي سِرّاً، وَرَافَقْتُهَا،
وَدَخَلْنَا مَعاً دَارَهَا -
دَارَهَا الْكَاذِبَةَ.

*

أَلْحِصَانُ الْمُجَنِّحُ بِالْحَبِّ،
يَجْمَعُ فِي اللَّيْلِ،
يَأْتِي لِيَرْتَادَ يَنْبُوغُ مَوْتِي.

*

كَيْفَ صِرْتُ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ؟ لَا الْأَمْرُ أَمْرِي، وَلَا الْمَالُ مَالِي.
وَأَنَا لَا أَحِبُّ الْقِتَالَ عَلَى الْمُلْكِ، أَوْ غَيْرِهِ،
وَأَكْرَهُ سَفْكَ الدِّمَاءِ.

لَا أُصَدِّقُ أَنَّ لِحِرَاسِي الْآنَ أَمْرًا وَنَهْيًا
وَلَهُمْ خُرْبُهُمْ فِي الشَّرَابِ، وَرَايَاتُهُمْ فِي الْمَجُونِ
وَلَهُمْ حَوْلِي الرُّقْبَاءُ، لَهُمْ حَوْلِي الْعِيُونَ
يَمْلِكُونَ الدَّرُوبَ إِلَيَّ وَأَسْبَابَهَا
وَيُسْتَعْطَفُونَ، وَيُسْتَرْحَمُونَ.

لَا أُصَدِّقُ أَنِّي كَغَيْرِي يُجَزَّرُ الْعَبِيدُ إِلَيَّ هَدَايَا
مِنْ جَمِيعِ أَقَالِيمِ مِصْرٍ، وَأَهْدِي
مِنْهُمْ مَنْ أَسَاءَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ.
لَا أُصَدِّقُ أَنِّي أَنْقَلُ جِسْمِي كَمَا أَتَشَهَّى
بَيْنَ مَا مَلَكَتْهُ يَمِينِي، وَبَيْنَ الْحَرِيمِ، وَبَيْنَ الْإِمَاءِ
لَا أُصَدِّقُ أَنِّي أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ مِنْ هَذِهِ السَّمَاءِ،
لَا أُصَدِّقُ أَنِّي أَمِيرٌ.

*

شَّمْسُ هذِي الظَّهِيرَةِ مَالَتْ
رَسَمْتُ حَزْنَهَا عَلَى بَابِ بَيْتِي وَمَالَتْ .
كَانَتْ امْرَأَةً قُرْبَهُ
تَتَعَلَّمُ سِرَّ التَّشْبِيثِ بِالْأَرْضِ مِنْ عُشْبِيَّةٍ . غُرَابٌ
حَامِلٌ حَظَّهُ
وَالغِبَارُ يَجْرُ عَلَى الْبَابِ مِنْدِيلُهُ .

كُنْتُ أَمْشِي ، وَكُنْتُ أَحْسُ كَأَنَّ السَّمَاءَ سَتَسْقُطُ عَمَّا قَرِيبٍ
كِسْرَةً كِسْرَةً فَوْقَ رَأْسِي .
أَتَوَقَّفُ كَمَا أَشْتَهِي الْآنَ أَنْ أَمْتَدَّ فِي ظِلِّ رُمَانِيَّةٍ
فَوْقَ هَذَا التَّرَابِ . تُرَاهَا يَدُ اللَّيْلِ ، تِلْكَ
الَّتِي تَدْخُلُ الْآنَ فِي جَيْبِ فَلَّاحَةٍ؟ أَرَاهَا السَّمَاءُ تَنَامُ
عَلَى كَتْفَيْهَا؟
كَوْكَبٌ يَهْبِطُ الْآنَ عَفْوًا عَلَى سُلْمِ الْفَضَاءِ :
هُوَذَا شَارِدٌ فِي الْحَقُولِ
وَأَنَا غَارِقٌ فِي الْبُكَاءِ .
أَهْ شَيْخُوْحَةُ الْقَلْبِ أَذْهَى وَأَفْجَعُ مِمَّا تَظُنُّ الْعُقُولُ !

❖

يخدمُ العَرْشَ، يخدمُ كرسِيَه . ولكن
أهنالكِ في العَرْشِ مَنْ يخدمُ الشَّعْبَ،
مَنْ يخدمُ الشَّعْرَ، أو يخدمُ الجَمالَ؟
عرشي الآنَ هذا السُّؤالُ

*

كنت أحلمُ أن يأخذَ المتنبِّي
بيدَي أسودِ
يتبوأُ عَرْشاً
بنبالِه أفعالهِ وأفكاره
لا يارِثُ، ولا باغتصابِ .

كنت أحلمُ أن يتأخَى
مَعَ أيامِه وتباريحِها،
والحدودِ التي اخترقَها حُطاهُ،
رسمَها حُطاهُ
في مسيرةِ هذي البلادِ،

كنتُ أحلمُ أن يُجريَ الشَّعْرَ أبيضَ،
في لُجَّةِ السَّوادِ .

*

لم أَسْأْ أنْ أُطِيعَ هَوَى المِمتَنِّبِي
وَأُنِيطَ بِهِ صَيِّعَةً .

لَمْ أَسْأْ أنْ أُدَجِّنَ مَا فِي حَنَائِيهِ مِنْ شَامِخِ عَصِيٍّ .
شِئْتُ أنْ يَسْتَمِرَّ كَمَا رَسَمْتَهُ رَوَائِي :
الشَّرِيدَ ، النَّذِيرَ ، النَّقِيَّ .

*

تَقْلُوا عَنْهُ مَا قَالَهُ فِيَّ ، - حَالُ
أَتْرَاهَا ،

مَثَلْتُ حَالَهُ ؟

لَا أُغَيِّرُ فِي نَظْرَتِي إِلَيْهِ
مَا بِنَفْسِي عَنْهُ . لِهَذَا
لَا أُعِيرُ انْتِبَاهًا لِمَا قَالَهُ .

*

لَنْ أَقُولَ سِوَى الحَقِّ عَنْهُ :
شَاعِرٌ لَا أُجَادِلُ فِي شَعْرِهِ .
هُوَ إِيقَاعُ هَذَا الزَّمَانِ وَمِعْرَاجُهُ
إِلَى سِرِّهِ .

شِعْرُهُ القَوْسُ والشُّعْرَاءُ جَمِيعًا يَمْرُونَ مِنْ تَحْتِهِ .
وَأَرَى أَنَّ أَوْجَاعَنَا تَشَابَهُ :

يَمْضِي إِلَى سِرِّهِ ، غَرِيبًا
وَأَعُودُ لِسِرِّي ، غَرِيبًا .

*

لا أريدُ امتداحَ السَّوادِ، ولكن
ربّما أخطأَ المتنبّي
في قراءةِ لوني وقراءة ما بيننا.

لم أشأْ أن ألبّي ما شاء. لم أعطه الولاية كي
لا يكونَ سجيناً لها.
شئتُ أن يستمرَّ وفيّاً
لمراته.

أن يُطلَّ على الأرضِ من شُرْفَةِ الأنبياءِ
كوكباً مُلكهُ الفُضاءِ.

*

هُوَ لم يرني، مرّةً
وأنا لم أشاهدُ
بين نفسي وبينني سيّواهُ.
كيف خانت طريقي إليه خُطاهُ؟

*

يا جدائلُ ذاك الحنينِ
كيف أنسيتيني؟
لم أعدُ أتذكّرُ ما قالهُ
لجراحاتنا
في اللّقاءِ الأخيرِ، الغبارُ الأمينُ.

*

أَيْهَذَا الصَّدِيقُ العَدُوُّ، البَعِيدُ القَرِيبُ، المَقْنَعُ - كَلَاً
لَا تُقَلُّ أَيُّ شَيْءٍ .

لَمْ أَرِدْ أَنْ تَبْوَحَ، وَأَوْثُرُ أَلَّا يَكُونَ الخِطَابُ طَرِيقاً
إِلَيَّ . تَعَوَّدْتُ أَنْ أَقْرَأَ الصَّمْتَ، أَنْ أَسْمَعَ
الصَّمْتَ . فِي الصَّمْتِ مَا يَتَخَطَّى الخِطَابُ،
وَمَا يُعْجِزُ الخِطَابُ :
لَا يَقُولُ الكَلَامَ عَنِ الثُّورِ، نُورِ الأَلُوهِةِ،
غَيْرِ الحِجَابِ .

*

كُنْتُ غَيَّرْتُ صَوْتِي وَقَلْبِي
وَحَرَيَّتِي فِي الكَلَامِ وَفِي الفِكْرِ، وَالرَّيَاةَ الَّتِي
وَكَبْتُ خُطُوتِي،
وَالسَّمَاءَ الَّتِي ظَلَّلْتَنِي، وَغَيَّرْتُ مَا عَقَدْتَهُ الصَّدَاقَةُ -
أَحْلَافَهَا،
وَعَهْدِي،
وَجِرَاحَاتِ حَبِّي وَأَفَاقِهِ، وَدَرُوبِي .

ولكن وجهي ظلَّ عَصِيًّا - ظلَّ يَحْنُو على نفسه

مثلما شِئْتُهُ

مثلما كَانَ - لم يَتَغَيَّرْ .

*

أَلْغَبَارُ كَلِيمِ الْهَوَاءِ، يُرْتَّبُ أَوْرَاقَهُ

في خَزَائِنِ حَرِّيَّتِي .

*

أَسْأَلُ الْآنَ: كَيْفَ السَّبِيلُ لَتَعْلَوْ مِضْرُ؟

لا سَوَآلُ إِذَا لَمْ يَكُنْ خَائِنًا .

رماد المتنبّي

I. تدخل الأرض في أبجدية أهوائها

صوت ناي، أنين - من ترى يعرف؟
وتر الشمس في دهشة يتساءل، والريخ لا تعرف.

تدخل الأرض في أبجدية أهوائها

يدخل الشعر في مائه، -

ربما تنق الآن يا سيد الغيم أن المطر

ليس إلا بكاء.

آه، ما أبعث الصعود وما أقرب المنحدز.

إنه الكون كالطفل يدرج في ذروات القصيدة،

عيناه لليل منذورتان،

وأعضاؤه للسهر.

أَلرَّمَادُ عَلَى الْقَلْبِ وَالرُّوحُ مَأخُوذَةٌ
بِدَمٍ آخِرٍ
لَيْسَ مِمَّا قَرَأْنَاهُ فِي مُعْجَمِ الدَّمَاءِ .

أَتَوَقَّعُ أَنْ يَمْزِجَ الْوَقْتُ سِرًّا
عَطَشًا سِثْنَةً،
بِالْمِيَاهِ الَّتِي لَا أَسَاءُ .

أَتَرَدَّدُ: مَا الصُّورَةُ الَّتِي سَوْفَ أَخْتَارُهَا
لِلْأَسَافِرِ فِيهِ إِلَيْهِ؟

أَتُرَاهَا
وَرَدَّةَ الرِّفْضِ يَوْمَ افْتَتَحْتُ الطَّرِيقَ إِلَى شَعْرِهِ؟
أَمْ تُرَاهَا
وَجَّعَ يَخْرُجُ الْآنَ مِنْ غَوْرِ تَارِيخِهِ؟
فَلَقِي أَنَّنِي أَتَرَنَّحُ فِيمَا أَقُودُ التَّحْوِيلَ . مَاذَا؟

أُتْرَى يَكْذِبُ الْمَاءُ حِينَا لَكِي يَصْدُقَ الْهَوَاءُ؟
أُتْرَى يَأْخُذُ الضُّوْءُ شَكْلَ الظَّلَامِ لَكِي يَنْقَرَّى تَبَارِيحَهُ،
وَيَمْتَحَنُ الْأَنْبِيَاءُ؟

الرَّمَادُ يَجْرُ الْفُرَاتَ عَلَى وَجْهِهِ
الرَّمَادُ يُؤَاخِي
بَيْنَ دَيْجُورِهِ وَالْفَضَاءِ .

وَيَقْتُ دَجَلَةَ
بِسَلْسَلِ الْآمِهَا
بِالْغَبَارِ الَّذِي كَدَسْتُهُ عَلَى وَجْهِهَا
بِالنُّفَاقِ الَّذِي حَفَرْتُهُ
فِي تَجَاعِيدِهَا، وَبِالنَّافِقَاءِ .

أُتْرَى، مِنْذُ كُنَّا
مِنْ بَدَايَةِ تَارِيخِنَا،
لَمْ يَمْتَ أَحَدٌ بَعْدُ مِتْنَا؟

عُمَرَ وَعَلِيَّ وَعِثْمَانَ وَالصَّاحِبِ الْأَوَّلُ
ومعاويةً ويزيدُ

وأبو طالبٍ

وأبو لهبٍ

لا يزالون يحيون. أبناءُهم

نُسِخَ عَنْهُمْ.

مِثْلَهُمْ،

تتدبرُ أحوالنا ونسوسُ ونحيا

مِثْلَهُمْ،

نشربُ الماءَ، نغسلُ أجسامنا، مِثْلَهُمْ نأكلُ.

لا يزالون يحيون في كل شيءٍ.

في المدينة - أيامها، وأسواقها

والمآذن، والطُّرُقَاتِ، وفي كلِّ حيِّ

وفي كلِّ بيتٍ.

هذه دُورُهُمْ وَسَاحَاتُهُمْ وَأَقْدَامُهُمْ

هذه أَرْضُهُمْ وَمَقَالَاتُهُمْ وَأَصْوَاتُهُمْ.

يعملون، يقولون ما يشتهون، ونُصغي إليهم

لا نقولُ ولا نفعلُ .
منذ تكويننا القُرشي
لم يمت أحدٌ بعدُ مِنّا
لم يمت بيننا
غيرُ ضوءِ الحياةِ ومِعراجِها البهيِّ وغيرِ النبيِّ .

- كيفَ يا ذلكَ الشَّراؤُ
الذي كانَ يكمنُ في جَذرِ بغدادَ، لم تتكلَّمُ؟
- في الكلامِ الحرائقُ،
والزُّوحِ عجفاءُ، والرَّأسُ في غَيْهَبِ .
- كيفَ لم تتكلَّمُ؟
- أتغنَى
بدمِ الثائرينَ لكي لا يُريقَ الطَّغاةُ دماً بعدَه؟

أتقصَى مدارَ التوحُّشِ حتَّى
تتأسَّسَ أيامنا وأفكارنا؟

- كيفَ لم تتكلَّمُ؟

- يعجزُ المدُّ والجَزْرُ في الشَّعرِ أن يتنَوَّرَ
ذاكَ المحيطُ من القَتْلِ، ما أوجَعَ الدَّاكرةُ:

أَبَدٌ مِنْ صَحَارَى
يَجِيءُ وَيَذْهَبُ فِيهَا
أَبَدٌ مِنْ قَوَافِلِ مَكْسُورَةٍ حَائِرَةٍ.

- كيف لم تتكلم؟
- فِي شَقَا جُرْفٍ . لَا مَكَانَ سِوَى الصَّمْتِ يَلْتَهُمُ النَّاطِقِينَ .
وَانظُرِ الْهَوْلَ . مَا أَبْلَغَ الْهَوْلَ ! لَا مَوْضِعَ
وَلَا مَوْقِعَ .
كُرَّةٌ تَنْدَحْرُجُ فِي ظِلِّ سَجَانِهَا .

دَجَلَةٌ . وَاسِطٌ - دَيْرٌ عَاقُولِهَا ،
لَعْنَةٌ - لَمْ تَكُنْ مَرَّةً
لَعْنَةٌ فِي الطُّلُوبِ
إِنِّهَا لَعْنَةٌ فِي الْأُصُولِ
الْزِّيَاحِ مِزَامِيرُهَا ، وَإِقَاعُهَا الْفُصُولُ .

- كيف لم تتكلم؟
- قَلْ دَمِي حَيْرَةٌ ، وَقَلْ الْحُنْجَرَهُ
أَوَّلَ الْمَقْبَرَةِ .

II . الغَيْب

في الموجِ صَحْبٌ وعلى اليابسة
بَشْرٌ بِعُمَرِ اللُّؤْلُؤِ
ينسجون بِأَجْفَانِهِمْ شِبَاكَ الأَيَامِ

قَمْرٌ نَصْفٌ نَائِمٌ
يرتقِ الشُّبَاكَ فِي زَاوِيَةِ المِرْفَأِ
وَمَا هُوَ يَتَعَدُّ
أَشْعَثُ الشُّعْرِ بَيْنَ التُّورِاسِ
والتَّجْوُمِ حَوْلَهُ
يُسَلِّمُنْ جَدَائِلَهُنَّ إِلَى مِقْصَاصِ اللَّيْلِ .
مَا هَذِهِ الرِّيحُ
الَّتِي تَقْهَرُ الأَشْرَعَةَ!
تَكَادُ المِرَاكِبُ
أَنْ تَتَحَوَّلَ إِلَى أَحْوَاضِ اللَّدْمِ .

فاصلة

سُئِلَ المَتَنَبِيُّ، فِيمَا يُرْوَى:
- كَيْفَ تَدْعِي النُّبُوَّةَ، وَالحَدِيثُ
يَقُولُ: «لَا نَبِيَّ بَعْدِي»؟
فَأَجَابَ:
هَذِهِ قِرَاءَةٌ لِلْحَدِيثِ غَيْرُ
صَحِيحَةٍ. الصَّحِيحُ أَنْ يُقْرَأَ:
[«لَا، نَبِيٌّ بَعْدِي»].

وَأَنَا،

اسْمِي فِي السَّمَاءِ: لَا .

[المتنبي]

أنتِ أيتها الأسيجةُ الحديديةُ التي تُزترُّ بحارنا، بَسْملي كما
تشائين هل لك أن تكبّحي أو أن تردّي الوحوشَ
التي تهّم أن تفترس الشواطئ؟
وما هذه السُّفن التي تقلدُ حكمةَ السماء؟
ما هذا الماء الذي يتموّج حولها ولا يُبللُ أحداً؟
شموعٌ تُنافس الشمسَ

فاصلة

نساءً
[«كان يعلم طرفاً من
السّيمياء. قال للمطر
أن ينزل حولي وألاً يُصيّني.
كانت الغيومُ تُظللّني،
فيما تمطر حولي».

معاذ بن إسماعيل]

أين يَقفُ الآنَ أولئك الرّجال المائلون على عكاكيزِ تاريخهم؟
وكيف أُغرّي الرّمنَ بالسّير فوق هذا الورقِ الأبيض،
وأُغرّي جراحي؟ وكيف أتذوّقُ مُعجمَ هذا
الشّاطئ الذي يتّناولُ بين الإسكندرونة وطنجة كمثل شريطِ

من أطباق إلهية
تحمل الأسلحة والآلات والحوانيت؟

فاصلة	مَنْ يَخْدَعُ الْمَوْجَ؟
[«دَلَّتْ	مَنْ يَغْرُزُ بِرُسُلِ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ،
أشياء	يَفْتَحُ لَهُمِ الْمَصَائِدَ
في ديوانه،	فِي اللَّغَةِ وَفِي الدُّرُوبِ، كَمَا تُفْتَحُ التَّوَاغِذُ
أَنَّه	وَيُنْصَبُ الْبُومَ ذَا الْقَرْنَيْنِ،
كَانَ	مَلِكًا عَلَى الْمَفَارِقِ -
متألهًا».	فِي اللَّيْلِ الَّذِي يُتَأْتِي، اللَّيْلِ الَّذِي هُوَ ابْنُ
[المعري]	لِنَجْمَةٍ لَا تَعْرِفُ كَيْفَ تَمَجِّدُ الشَّهْوَةَ
	فِي سَرِيرِ عَرَسِهَا فِي وَقْتِ يَعْرُجُ
	نَاسِيًا نَحْوَ التَّارِيخِ وَصَرْفَهُ.

أدِرْ وَجْهَكَ إِلَى مَكَانٍ يَسْتَقْبِلُ الْخِرَافَ
الضَّالَّةَ إِغْرَقَ فِي أَحْضَانِ نَخِيلِهِ
حَيْثُ كُنَائِسُ الْعُشْبِ وَمَأْذُنُ السَّكِينَةِ
حَيْثُ الْأَرْضُ
لَا تَزَالُ تَنْتَمِي إِلَى غَنَاءِ الطَّيُورِ.

الأمواج تُواصلُ أُنَيْهَا فِي بَحْرِ يَتَنَكَّرُ لِشَطَّانِهِ، وَهَا هُوَ الْمَاءُ
يَتَزَوَّجُ الرَّمْلَ.

- «قَسْتُ حُنْجَرَةَ الْهَوَاءِ»،

قال المتنبي،

«كَانَ عَدْدُ أَوْتَارِهَا أَقْلٌ مِمَّا تَمْلِكُ حُنْجَرَتِي،
وَتَنْبَأْتُ بِمَصِيرِ الْهَوَاءِ».

II

مُدُنٌ -

سَطْحٌ مَجْدُورٌ، وَالْقَرَارُ يَتَقَيُّ أَحْشَاءَهُ

مُدُنٌ -

أَسْمَاكَ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ تَتَأَرْجِحُ بِأَسْمِ الْآلِهَةِ وَبِأَسْمِ الْمَعْدَةِ

فِي مَوَازِينٍ تَتَأَرْجِحُ بَيْنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.

فاصلة

بِأَسْمِ الْبُخُورِ تَلْتَصِقُ رِوَائِحُ السُّوقِ

بِوَجْهِ زُورِهَا بَيْنَ أَعْشَابِ

نَادِرَةٍ فِي صِنَادِيقٍ تَنْحَنِي فَوْقَهَا سَمَاءُ

يُرْشِحُ مِنْهَا سَائِلٌ لَا يُعْرِفُ إِنْ كَانَ

عَسَلًا أَوْ قَيْحًا.

«إِنَّ غُلِيْمًا مِعْطَاءَ بِالرِّيِّ

(الصَّاحِبِ بْنِ عَبَادٍ) يَرِيدُ أَنْ

أَزُورَهُ وَامْدَحَهُ، وَلَا سَبِيلَ

إِلَى ذَلِكَ».

[المتنبي]

وحيث كانت الأبواب آخذة في

الصِّدَأُ، كان رجالٌ مائلونَ على عكاكيزهم يبَلِّلون
سُؤَالَهم بماءِ الهجرة.

كانَ البحرُ يَرْتَجِلُ هديره كأنه جرحٌ يلتهمه الملحُ في «ليلِ أَرْحَى سُدولَه»
كأنه الرِّفِيُّ الأعلى لامرئِ القيسِ،
بعيداً،
تحت نخلة،

لا يزال امرؤُ القيسِ ينهض فاتحاً صدرَه
لناقته الذَّبِيحَةَ - احتفاءً بالحبِّ. غير أن الغديرَ جَفَّ
الغِزْلانُ تَشْرَبُ دموعها والقلوبُ أطلال
هناك صيادٌ غير الرَّمَلِ

مع ذلك لا يزال جرح المكان ينزف وَحياً

من أجل حضورك يا صحراء العالم

من أجل شهواتك

من أجل أصابعك التي تعزف على

أراغينِ الدَّمعِ

من أجل ركبتكِ والسَّقِّ الذي

يتلألأُ بينهما

من أجل صفاتكِ التي تزيِّنُ كَتْفِي ليلنا

من أجل روحكِ التي لا مادة فيها غيرُ المادَّةِ

من أجل وقتكِ الآنِ وأيامكِ الآتيةِ

الذَّاهِبَةِ على ظهر فيلٍ سَجَّيلِ

فاصلة

[«بلوثة (من أبي الطيب)

ثلاثٌ جلالٍ ذميمة،

وتلك أنَّه

ما صامَ

ولا صلَّى

ولا قرأ القرآن».

علي بن حمزة

(راوية ديوان المتنبي)

في مُدِينِ تَعْمَرُهَا صَلَوَاتُ الْآخِرَةِ
في دروبٍ مَرَّتْ عَلَيَّ حَضْبَائِهَا مِسْحَاةُ التَّقْوَى
مِنْ أَجْلِ أَنْ نَظَلَ دَائِمًا نَجِيءٌ فِي اللَّحْظَةِ نَفْسِهَا قَبْلَ
الْوَقْتِ وَبَعْدَهُ
فِي اللَّحْظَةِ نَفْسِهَا
لَا تَنَاقُضُ فِي الْمَصَادِفَاتِ
لَا تَنَاقُضُ فِي الرِّيْحِ
وَأَوَّلُ الْعِبَارِ كَأَخْرِهِ
وَلَسْتُ ابْنًا لِلْحُلْمِ - الْحُلْمُ وَجْهِي الْآخِرُ .

«قُسْتُ حُنْجِرَةَ الْفَضَاءِ»،

قال المتنبي .

«كَانَ عَدْدُ أَوْتَارِهَا أَقْلًا مِمَّا تَمْلِكُ حَنْجِرَتِي،
وَتَنْبَأْتُ بِمَصِيرِ الْهَوَاءِ» .

III

- قُلْتُ: «لَا مَكَانَ لِحَسْدِينَا» .

- قُلْتُ: «بَيْنَنَا جُزُرٌ، وَلَا جِسْرَ غَيْرِ الْكَلَامِ» .

- قُلْنَا: «الْبُعْدُ جِدَادٌ وَجِسْدَانَا مَسْرُحُ الْجِدَادِ» .

مَنْ إِذْنَ سَيْشْرُحُ لَكَ صَدْرَكَ،
أَيُّهَا الْعَاشِقُ؟

تحدّثنا عن أفول الحضارات

عن شعوبٍ ترثها واضعةٌ جذورها في قاعٍ طحلبٍ سماويّ
تحدّثنا عن الحلوّى تُوكَل بعد السمك تيمناً بحديثٍ وضعناه .
كنا ننتظرُ وصول صيادين تلمع على وجوههم لآلئُ الغوّص
كنا نقشّر لهم خرشوف السّر فيما نُردّد:
اللَّهُمَّ،
أعْرِفْنَا في حوضك الذي لا يقنى .

وكانَ قِرْدٌ من فصيلةٍ عاليةٍ تنحدر من سلالةٍ من أرضٍ لا تبعد إلاّ
قليلاً عن كربلاء الحسين يُغني مستعيداً موسيقى غاباتٍ
لم تصل إلى أعناقها بعدُ سيوفُ الإبادة

كنا نرتل معه أناشيدَ تبدو كأنّها طالعةٌ من قيثار
زرّياب .

كان رجالٌ مائلون على عكاكيز تاريخهم

يسيرون في الماء أماننا يحركون

رؤوسهم يَمَنَّةً وَيَسْرَةً
فجأةً غابوا حُيْلٌ إلينا أنّ

الماء انشَقَّ وابتلعهم
فجأةً ظهروا،

فاصلة

[«اشترط المتنبي على سيف الدولة

إذا أنشده مديحه، ألاّ ينشده

إلاّ وهو قاعد، وأنّه لا يكلف

تقبيل الأرض بين يديه.

فَنُسِب إليه الجنون!

ودخل سيفُ الدولة تحت هذه الشّروط.»

[الصبح المنعبي]

يلبسون قشورَ حيتانٍ ويهزون أكتافهم
كأتما لكي يؤكّدوا أنّ العقل طيّع كمثل الظلّ،
أنّه خلّق لكي يخضع للنبيّات.

«قِسْتُ حنجرةَ الفضاء»،

قال المتنبّي

«كان عددُ أوتارها أقلّ مما تملك حنجرتي،
وتنبأت بمصير الهواء».

IV

سيرنا

فاصلة

وراءنا تعلو أبراجٌ شَبَّهها بعضنا برؤوس
الشّياطين قال آخرون إنها جبالٌ
عُقِلت بأقدام الغيم.

- أ -

[«أنزلُ دائماً على قبائل

العرب،

وأحبُّ ألا يعرفوني».

المتنبّي]

في نهر بردى قبل أن يجفّ، أخذتنا
مراكب المعرفة إلى خاناتٍ يُخزن فيها
ما يتبقّى من قوافل الزّمن

- ب -

[«حدّثت أنّ المتنبّي كان إذا

سُئِل عن حقيقة هذا اللّقب،

قال: هو من النّبوة،

أي المرتفع من الأرض.

وكان قد طمّع في شيء

الذّكريات مَحفوظة في أكياسٍ من الدّمقس
التّاريخ طاحونٌ يسيرها ماء أحمر
منّ يخلف منّ

قَدْ طَمَعَ فِيهِ
مَنْ هُوَ دُونَهُ.

[المعري]

- ج -

[صَجِبَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ فِي عِدَّةِ
غَزَوَاتٍ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ، وَمِنْهَا
غَزْوَةُ الْفَنَاءِ (فَنِيَ فِيهَا الْجَيْشُ
إِلَّا سَبْعَةً مِنْهُمْ سَيْفَ الدَّوْلَةِ
وَالْمَتَنَّبِيِّ).

قال سيف الدولة:

كان المتنبّي يسوق فرسه، فَأَعْتَلَقَتْ
بِعِمَامَتِهِ طَاقَةً مِنَ الشَّجَرِ الْمَعْرُوفِ بِأَمِّ
غِيلَانَ، فَكَانَ كَلِّمَا جَرَى الْفَرَسِ، انْتَشَرَتْ
الْعِمَامَةُ. وَتَخَيَّلَ الْمَتَنَّبِيُّ أَنَّ الرُّومَ قَدْ
ظَفَرَتْ بِهِ، فَكَانَ يَصِيحُ: الْأَمَانُ، يَا عُلْجُ!
فَهْتَفْتُ بِهِ وَقُلْتُ: أَيُّ عُلْجٍ؟ هَذِهِ
شَجَرَةٌ عُلِقَتْ بِعِمَامَتِكَ.
فَوَدَّ أَنَّ الْأَرْضَ غَيَّبَتْهُ.

قال له ابن خالويه:

«أيها الأمير،

أليس أن ثبت معك حتى

بقيت في ستة أنفار،

تكفيه هذه الفضيلة؟».

الكرسيّ العنكبوت

البلاد النعامه

هاتوا أبناء الصّباح

قليلاً من البكاء أيتها الشّمس

الفكرة هنا تُقيم تحت الكاحل وتتشحط وراء
الكعب

بي حاجة للحديث مع سوفوكليس، ليلاً،
إن أمكن،

ومع إسخيلوس، نهاراً، فيما يفتح
الفجر ذراعيه،

هل الفاجعة وحدها تعلم الفرح؟
من يسلك معي الطريق التي تأخذنا إلى بيتها؟
المسرح لا يكفي
لا بُدّ من رؤية السرير والسُرّة والسريرة،
وَلتَمَرِّقِ السّتائر.

لكن ها هو الزّمن،

مياه شحيحة تسيل في الغرابيل

أعناق تطاير بين الأسلاك

الطيور لا تعرف أين تمضي

تكاد أن تجهل كيف تبني أعشاشها

ولم نعد نخافُ
الخوفُ هجومتنا الآخر .

أَلْعَادَةُ أَنْ يُلَوِّحَ رَجُلٌ بِعَصَاهُ وَيُعلنَ نَفْسَهُ قَائِداً
أَلْعَادَةُ أَنْ تَجْتَذِبَ الْعَصَا جُنُوداً غَيْرَ مَرْتَبِينَ لِكَيْ يَتَغَلَّغُوا أَيْنَمَا حَلُّوا
فِي الْمَادَّةِ وَصُولاً إِلَى جِزْئِهَا الَّذِي لَا يَتَجَزَّأُ
أَلْعَادَةُ أَنْ يُنْحِنِي الْجُمْهُورُ الثَّائِرَ أَمَامَهُمْ حَتَّى يُعَايِقَ غُبَارَ أَقْدَامِهِمْ وَغَالِباً
مَا يَنْسَى الْحَيَوَانَ النَّاطِقُ أَنَّهُ حَيَوَانٌ نَاطِقٌ

فاصلة
[«كان المتنبي
داهيةً،
مُرَّ النَّفْسُ».

ماضياً [ابن فورجة]
عَقَصْتَنِي رِيحٌ مِنْهُمْ
وَتَنَقَّلْتُ فِي عَرَبِيَّةٍ تَنْقُلُ بَعْضَ أَنْقَاضِهِمْ

ماضياً
زَرَعُوا فِي خَاصِرَتِي قَرْنَيْنِ لِأَيْلٍ طَرِيدٍ، وَلَمْ
أُفْدِهِمْ شَيْئاً
كَنْتُ لَهُمْ دَائِماً

حقيبة فارغة
ومليئة بالتقوب .

لكن ها هو الزمن -

أطفالٌ يلبسون البنادق

جنودٌ يبتنون رصاصهم بالحلوى

كُهانٌ يفتشون صلواتهم على عتبات الموتى

الأفقُ فحْمٌ والهواءُ يتأكسدُ

فاصلة

يكاد النَّاسُ أن يتحوَّلوا إلى بثورٍ في جلدة الأرض

- أ -

ومن يقدر الآن

أن يميِّزَ بين اللُّعَةِ واللُّعُو؟

[«كان المتنبى

يعمل الشعْر للنَّاس،

لا للممدوح».

قل لي، أيها البابونج السماوي

من أين لك أن تشفي سُعالَ المادَّة؟

[الصبح المنبى]

- ب -

غابَ حارسُ الملكوت

في زاوية

في رواقٍ

في قَصْرِ

في مدينةٍ طالما عَناها أبنائُه

وما أكثرهم - حشدٌ من الشعراء

الأفاعي بناتِ آوى

أوه! سلِّمِ بياني من عَظايا

تتنسَّم رَمْلَ اللُّعَةِ!

[«... ومولانا يعلم أنَّ الثَّوبَ

لا يعلمه البِرَّازُ كما يعلمه الحائك.

لأنَّ البِرَّازَ يعلم جمَلته، والحائك

يعلم تفاصيله.

وإنما قَدَرَ امرؤُ القيسِ لذَّةَ النَّساءِ

بلدَّةَ الرُّكوبِ للصِّيدِ، والشَّجاعَةَ في مُنازلةِ

الأعداءِ بالسَّماحةِ في شراءِ الخمرِ للأضيافِ،

لِلتَّضايُفِ بين كلِّ من الفريقيين.

وكذلك لَمَّا ذكرت الموت في صدر

البيت الأول، أتبعته بذكر الردى في آخره
ليكون أحسنَ تلاؤماً. ولما كان وجهُ
الجريح عبوساً، وعينه باكيةً،

قلت: ووجهك وضاح،
لأجمعَ بين الأضدادِ في المعنى».

[المتنبي]

ومن أين للمجهول الذي يرقد تحت
سُرة الكون،
هذا الجذبُ؟ وهذا الفلقُ
الذي يُغري بالغسق؟

فوقنا -

- ج -

ربّما ليست النجومُ تلك المعلقة في هذه
السّماء الجرداء

لعلّها أن تكونَ رؤوسَ بشرٍ يلدُّ لنا أن
نتشبهَ بهم

وذلك الماء الذي تعودُ أن ينظرَ من علٍّ إلى
الحقول الظّامئة لم يعد ينظرُ إليه الآنَ غيرُ القشّ.

[«رأى بعض عبیده

ثوراً يلوح فقال:

هذه منارةُ الجامع.

نظر آخر إلى نعامٍ،

فقال: هذه نخلة!

فضحك المتنبي».

[الصّبح المنبي]

ربّما،

- د -

ليس الغبارُ في هذه الحقول، شأنه في جميع
الحقول الأخرى التي تحرثها يدُ الله إلا نارا

تتغذى بأجساد المارقين والعشاق أولئك الذين
يحسبون أن المعرفة كمثل برميلٍ مثقوبٍ في

شكل نهدٍ يُسمّى الأبد،

لا يتسعُ حتّى لنقطةٍ من الماء.

[«أخفى طريقه،

فلم يؤخذ له أثر.

عمل طريقاً تحت

الأرض؟».

[الصّبح المنبي]

«قَسْتُ حَنْجَرَةَ الْفِضَاءِ»

قال المتنبي .

«كان عددُ أوتارِها

أقلُّ مما تملك حنجرتي

وتنبأتُ بمصير الهواء.»

V

صُفْرٌ دَاكِنُونَ أَوْلَئِكَ الرِّجَالُ المَائِلُونَ عَلَيَّ

عَكَكِيذِ تَارِيخِهِمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ يَنَامُونَ

مِلَّةَ عَيُونِهِمْ وَيَسِيرُونَ فِي نَوْمِهِمْ كَمَثَلِ

جِدَاوِلِ تَلْتَمِهُمَا الضُّفَافُ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ

إِلَى مَصَبَاتِهَا

وَهَا هُمُ الأَطْفَالُ يَضْطَجِعُونَ مَخْمُورِينَ

بَيْنَ الأَحْذِيَةِ وَدَوَالِبِ العَرَبَاتِ الَّتِي لَمْ

تَعُدُ صَالِحَةً إِلاَّ لِلخُرَابِ وَلَمْ يَكُنِ القَمَرُ

امرأةً وَلَا خَشْخَاشاً عِنْدَمَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ

أَنذَاكَ فِيمَا كُنْتَ أَتَنَسَّقُ رُوحَ يَاسْمِينَةٍ

دَمَشَقِيَّةٍ كَانَتْ ذَاكِرَةً وَقَتِ يَعِيشُ

فِي الهِجْرَةِ

فاصلة

[«بلوت من أبي الطيب

ثلاث خلالٍ محمودة، وتلك

أنه ما كذب،

ولا رنى،

ولا لاط.»

علي بن حمزة»]

- أ -

[«أيجوز للأديب ألاّ

يعرفَ شعرَ أبي تَمَّام،

وهو أستاذُ كلِّ من قال

الشُّعْرَ بعده»؟

[المتنبي]

في شِعْرِ - حَدِّ

يَقْطَعُ الرِّيحَ

ويبسُطُ أجزاءها

على مائدة المعنى .

- ب -

[«في شعره (المتنبي) غرابةُ المُحدَث،

وفصاحةُ القديم. خاتَمُ الشعراء».

ابن الأثير]

لا أزال أُسْتَبْشِرُ بفتنة اليأس في

هذا الغار المديد الغائر الذي يصطرعُ فيه

الزَمَنُ والأبدُ حولَ رمَادِ الآخرة

اليأس الذي يُبْهَجُنِي أن أسكبه كمثل

حنظلةٍ في حَوْصلة الموت

اليأس الذي ينظر إلى ما حولي لا يرى

إلاّ سراياً ينعقد على أطرافه

كحبل أسود لا يرى إلاّ ثمرةً

حمراء في وجنتي كأنها دمعَةُ الشُّكِّ

لا يرى إلاّ كرةً بين يدي اسمها

ياجوج الهجرة

اليأس الذي ينظر يرى لا يرى شيئاً .

«قست حُنجرة الفضاء» .

قال المتنبي .

«كان عدد أوتارها أقلّ مما تملك حنجرتي،

وتنبأت بمصير الهواء» .

VI

هَلْ أَعْطِي لِنَفْسِي الْحَقَّ أَنْ أَرْسِمَ خَطًّا أَحْمَرُ

تَحْتَ لَفْظَةِ النِّهَايَةِ؟

اتركوني، أنتم يا أبناء هاجر، لا أزال

قادراً أن أعيش هنا قرب هذه البئر

لا تزال هناك أوتادُ

لا تزال خيامُ

وثمةُ أصداء تُؤكِّدُ أَنَّ هناكَ أصواتاً

لا تزال الشِّفاه التي بَنَّتْها ترتسم في

الأثير.

فاصلة

[«ما خدمتُ

عيني

قلبي،

كالיום».

[المتنبي]

لأُبدُ أن تَفْتَحَ عَيْنِكَ وَتَرَى

تَرَى ذَلِكَ الْحَائِطَ

يُديرُ إِلَيْكَ رَأْسَهُ كَأَنَّهُ يَنْقُلُ

رِسَالَةَ الطِّينِ الْأَدْمِيِّ.

أوه! طينُ لا تزال شفتاه مُبْتَلَّتَيْنِ

بندى الكلامِ الأوَّل!

وماذا تفعلين إذن يا هذه

الشمسُ!

تَرَى الظِّلَّ يَعْرجُ عَلَيْهِ مُصَدِّقاً أَنَّهُ

سَرِيرٌ سَمَاوِيٌّ تَرَى الشَّيْءَ يَقُولُ الْحَاضِرُ
ليس حاضِراً تَرَى شَرِيْطَ التَّهَائِيَاتِ
يَتَنَقَّلُ بَيْنَ دَجَلَةٍ وَالْأَنْدَلَسِ تَرَى كَائِنًا
مِمَّا قَبْلَ التَّارِيخِ كَأَنَّهُ وُلِدَ فِي شَهْرِهِ الْأَوَّلِ
وَالْيَوْمَ يُوقِظُكَ صَوْتُ يُشَبِّهُ
لَكَ فِيهِ أَنَّ التَّهَارَ بَرَكَتُهُ أَسْتَعِزُّ بِتَنْخَبُطُ
فِيهَا نَحْنُ سُكَّانُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ كَمِثْلِ أَسْمَاكِ
شَبَّهِ مَيْتَةٍ وَتَرَى الضَّمُوءَ يَتَمَهَّلُ فِي سِيرِهِ وَيَعْدُ
خَطَوَاتِهِ خِشْيَةَ السَّقُوطِ .

وهذه التَّجُومُ، كم هي مَجْنُونَةٌ!
لا تَزَالُ تَعْتَقِدُ أَنَّهَا يُمْكِنُ أَنْ تَسَافِرَ إِلَى الْكَوْفَةِ
لَكِي تُمَضِي السَّهْرَةَ فِيهَا ثُمَّ تَعُودُ فِي اللَّيْلَةِ ذَاتِهَا
أَحَقًّا أَنْتِ نَفْسُكَ الْآنَ ذَلِكَ الَّذِي وُلِدَ
مِنْ عِنَاقِ يَتَكَرَّرُ كُلُّ يَوْمٍ بَيْنَ الْعِبَارِ وَالشَّمْسِ؟

الفكرةُ تزدرد أختها،
والشوكُ نكهة الحنجرة .

فاصلة

حَقًّا،

[«رَأَيْتَ النَّاسَ]

عَادِلِينَ فِيهِ عَنِ التَّوَسُّطِ.

فِيمَا مُمْفَرِّطٌ فِي وَصْفِهِ

وَيَمَا مُمْفَرِّطٌ.»

مِنْ زَمَانٍ بِيَعْتِ السَّمَاءَ لَمْ يَبْقَ فِيهَا
مُتَّسِعٌ إِلَّا لِبَعْضِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَيَسَّرَ لَهَا أَنْ
تَسْتَوْلِيَ عَلَى عَرْشِ اللَّغَةِ.

«هؤلاء الثلاثة (أبو تمام،

البحراني، المتنبي)

لأت الشعر وعزاه

ومناثه.»

ابن الأثير]

تَمَهَّلُ أَيُّهَا الصَّوْتُ الَّذِي يَبْتَعُدُ وَرَاءَ الْأَبْجَدِيَّةِ
كَمَثَلِ جَرَسٍ فِي عُتُقِ فِرَاشَةٍ،

دُرُوبِي سَدِيمٌ تَخْتَرِقُهُ مَجْرَاتٌ مَحْلُولَةٌ

الضَّفَائِرُ وَحَيَاتِي فِرَاغٌ لَا تَقِيمُ فِيهِ إِلَّا

الْأَشْعَةُ وَلَا أَحْلَمُ ضُمِّيْنِي يَا ذِرَاعَ

الْوَاقِعِ إِلَى احْتِمَالَاتِكَ وَأَسْأَلُكَ:

مَتَى يَحِينُ قَطَافِي؟

التَّارِيخُ يَتَمَوَّجُ فِي فَنِينَةِ تَتَمَوَّجُ فِي اللَّحَجِ

وَأَهْ مِنْ تِلْكَ الْكُتُبِ الَّتِي تَعْمُرُ الْعُقُولَ وَلَا تَقُولُ

إِلَّا الْيَبَابَ

حَقًّا لَا حَبْرَ إِلَّا الْجَسَدَ أَصْغُوا

لِلسَّلَامِ الَّتِي تَتَطَايَرُ دَرَجَاتُهَا فِي غَوَايَاتِ

الْأَرْجْلِ لِلهَبُوطِ -

إن كانت هناك حقيقةً فهي في الجسد

وأوجاعه

في

العُور العُور العُور .

فاصلة

[«أبْحُرُّ الطَّيْرَ تُخْشِينِي؟

ومن عبيد العَصَا

تخافُ علي؟

«قِسْتُ حَنْجَرَةَ الْفِضَاءِ»

قال المتنبي .

«كان عدد أوتارها أقل مما تملك حنجرتي»

وتنبأت بمصير الهواء» .

معاذ الله

أَنْ أَشْغَلَ فِكْرِي

بِهِمْ

لِحظَّةِ عَيْنٍ .

VII

لِلَّيْلِ ذَوَابَاتٌ

تَسِجُ فِي دِخَانِ بَخُورٍ

لَا إِلَى النَّارِ يَنْتَمِي لَا إِلَى الرَّمَادِ

يَنْتَمِي إِلَى بَرْقٍ

يَجْرُ الْمَوْتَ أَمَامَنَا

حَامِلًا مَقَاتِيهِ فِي صُحْنٍ أَعْمَى .

وَلَا أَرْضَى

أَنْ يَتَحَدَّثَ

النَّاسُ

بَأَنِّي سِرْتُ

فِي خَفَاةٍ

أَحَدٍ

غَيْرِ سَيْفِي» .

[المتنبي]

وَمِنْ أَيْنَ لَكَ أَيُّهَا الشُّعْرُ أَنْ تُغْلِبَ

فاصلة

[«قاتلَ حتى قُتِلَ».]

الجحيم؟

*

أقول لك

[«لَمَّا قُتِلَ،

لا أعرف اليوم إن كانت الشَّمْسُ

في طريق الأهواز،

لا تزال نائمة

وُجِدَ معه ديوانا

إنهض يا ليلي اسأَل:

أبي تمامَ والبحتري،

ما هذه الرياحُ التي تتأوهُ

[بِخَطِّه».]

جداداً؟

*

أوه!

[«شُعِلَّتْ به الألسن،

وسهرت في أشعاره الأعين.

طالَ فيه الخُلْفُ،

وَكَثُرَ عنه الكَشْفُ.

له شِيعَةٌ

تغلو في مَدْحِه،

وعليه خوارجُ

تتعب في جَرْحِه».]

كأنَّ دم الأرض يتخثَّرُ في أجوانِ الآلهة.

ابن شَرَف القيرواني]

. III

سَاهِرٌ حَوْلَ صَمْتِ الدَّمِ
الْمَتَدَفِّقِ مِنْ آدَمِ

- كيف لم تتكلّم؟
- هل أقول ابتكرتُ لجسمي
جسداً آخراً؟

هل أقول لبيتي
أنتِ نِصْفُ لِنَفْسِي
ونِصْفُ لغيري؟

- كيف لم تتكلّم؟
- لم يُعَدُّ من فضاءٍ لنا غيرُ تِيهِ خرافاتِنَا،
لم نعد نتحرّكُ إلّا
في دِمَقْسٍ وإِسْتَبْرَقِ وَجِنَانِ
من حروفِ الهجاءِ،
فاحترِقُ صامِتاً، أو تَقْمَضُ قَمِيصاً
سَمَّهُ البِغَاءُ.

- كيف لم تتكلّم؟

- أيّ هذي المدائن، ساحاتها والبيوت القناطر أبوابها

وأسواقها والقياب

ها أمد عروقي يناعج فيكن تجري، وماذا؟ لماذا

لا يخاطب أحشائي الحانبات عليك غير الخراب؟

رغشة في الحقول

في البلاد التي أنتمي إليها

تمزج بالدمع،

تمزج بالدمع ماء الفصول.

ليكن. لن أقول وداعاً

للبلاد التي أنتمي إليها،

ولأشائها. لن أقول.

- كيف لم تتكلم؟

- خرجت من جفوني وأنا أحلم

صورة عن حياتي،

عن هذه البلاد التي أنتمي إليها

تنورتها، ونورتها

وأنا اليوم أسأل: ما الأوضح، الآن،

هذا المنور، أم ذلك المبهم؟

- كيف لم تتكلم؟

- ساهرٌ حول صممت الدم المتدفق من آدم.

IV. شرق بلا شرق

أمس الآن غداً

نجتمع على اسمك بضعة شعراء نابذين منبوذين ليس

في الهواء حولنا غير الحوذ وغير لبلاب بشري يعرش عليها

الدروب أفدام لا تعرف غير السلاسل والزمن ساقان

مشلولتان

لكن ها نحن ننظر إليك شعرك الدليل والسبيل وكل

قصيدة بداية

هل كتبت إليك الكوفة؟
ما لهذه اللقائِ تحوُّمِ حول آثار طفولتك؟
أهنأك نوافذُ تتحوّل إلى أجنحة؟
أهنأك آهاتُ تصير أنهاراً؟
أهنأك ألفاظُ للمدّ لا تقول غيرَ الجُر. وألفاظُ للجُر لا تقول
غيرَ المدّ؟
وطمئي الفرات هل تحوّل إلى كتبٍ ورسائل؟
وهل لنباتاته حروفٌ وإيقاعات؟

حشدُ أقاويلٍ يلتطمُ بخطواتك يهدرون يهرفون
يحسدونك حتى على غبارِ قدميك حتى على رمادك
يتجيشون ضدك في قبائلٍ وعشائرٍ في أفخاذٍ وعائلات

أدخلنا في علوك
في سكونك وحركتك
علمُ تقاطيعنا أرق مسافاتك
قل لنا هيامك وسلطانَ أعشابهِ
أزشدنا إلى حكمة الحروف والتقاط والفواصل
في نسيمك وإعصارك

هكذا يكون لنا أن نُعلن
من عَصْفِ واحدٍ نحن
ورفضنا يتوحد برفضك
هكذا تَبِيرُقُ بك وفيك

ونقولُ هذه رايَةُ الوَقْتِ
ونقول السَّماءَ والأرضَ مِن سُلالةٍ واحدة
ونقول الحبُّ والشَّعْرُ نَحْوُ واحدٍ
ونقول أهلاً بالكيمياء
بقوسِ فُرَحِ العناصرِ
بالعقل والقلبِ في إنبيقي واحد
ومدارنا التحوُّلُ .

هل يفصل البحر عن أمواجه
هل يقول الفضاء: لن ألبس الغيم،
والشَّجْرُ: لن أُورِقْ؟
إذن، كيف لا نكونُ واحداً؟

أه، اهْدِينَا الصِّراطَ وَأَوَّلُ وَأَوَّلُنَا
هل يكفي أن نتعلَّم صَبْرَ الماءِ،
وماذا نفعل لِشَرِّقِ بلا شَرِّقِ؟

ما العاصِفُ الذي يهبُّ؟
ما مجهولُك، أيها الشَّعْرُ؟

٧. الشاعر

وَلِدَ الْعَصْرُ فِي جُثَّةٍ .

- أ -

الرّمادُ - سأوقظُ من نومهِ أورفيوسَ :
تُراكَ تَعَلَّمْتَ سِرَّ الهبوطِ على درجاتِ الجحيمِ؟
جَرَّتِ الشَّمْسُ أَرْدانها حولَ قيثارهِ الكَلِيمِ ، -
ألسهولِ مرايا تتدافعُ فيها
شهواتُ الشَّجَرِ
والنجومُ نساءً
يتفحصنُ أجسادهنَّ ويفتقنُ ثوبَ القمرِ .

- ب -

ها هوَ الطَّلُعُ يسألُ رِيحَ ضباباتِهِ :
«كيف أُلقي بِداري لِعَصْرِ»
قالَ عنه كتابُ نبوءاتِهِ :
«لم يَجِئْ قَبْلَهُ
قاتِلٌ مِثْلُهُ» .

- ج -

الرّمادُ - ولكن

ما يقول لليل الطَّبِيعَةِ ليلُ البَشْرِ؟
وأنا لا أكادُ أصدِّقُ غيرَ الرِّيحِ التي تندثرُ ثوبَ العُبارِ . وماذا
لم أكن مرَّةً
كوكباً تابعاً، لن أكونُ
جسدي سفنٌ جارياتٌ ورُبَّأنهنَّ الجنونُ .

- د -

الرَّمادُ - ولكن
ما ترى ذلك السَّحْرُ يُمَسِّكُ بالأرضِ مِنْ عُنُقِها؟ وظنَّني
أنَّ تلكَ الثُّجُومِ ستُصبحُ عَمَّا قَريبٍ
عُرْفاً وأسيرَةً حُبِّ
وشوارِعَ تأتي وتذهبُ في كلِّ ضَوْءٍ .

- ه -

الرَّمادُ كتابٌ، أَلكتابُ رَمادٌ
لا الكتابُ - الرَّمادُ، بل الصَّبواتُ التي تَبجَّسُ من عَتماتِ الجَسدِ
لا الرَّمادُ - الكتابُ، بل الحُبُّ لا حَدَّ فيه،
والطَّرِيقُ بلا رايةٍ
والرِّيحُ تروحُ وتغدو
في مَهَبِّ الأبدِ .

لا الكتاب - الرّماد، اكتبني أنت أيتها المعصية
جسد الأغنية

واقربي: الكون صوتي
غير أن الدروب إليه
مدن مقلّنة.

واقربي: اليوم تدزج آيات حبي وحبك في سور الأسئلة
واقربي: هيت لك
عاشقي، أيتها الفلك.

الكتاب، الرّماد - سأوغل حتى الأيسر ما كان خارج لمسي،
ذاك البعيد العصي الذي لا يعبر عنه رماد.
أتأخى مع الضوء،
لا مع تراب ولا مع سماء.
وأصادق ما يتجلى
وأعاشر ترحاله،
وأقول لأحلامي اسبقيني
نحو مجهولك، اغمريني
ببهاءاته -

زمني خيرة
ومكاني هو اللامكان.
أيتها الثبة، شكراً

أنت سِرُّ الصَّريقِ،
وفاتِحَةُ العُنُقِوانِ .

لا أقولُ: الحَقِيقَةُ بيَتي .
لا أقولُ: الضَّلالُ طَريقي، -

إنَّها الكَلِماتُ التي تَتأوهُ في مَهديها
إنَّها الكَلِماتُ التي قُيِّدَتْ
والتي عُدِّبَتْ
فُصِلت عن هَواها
فُصِلت عن مَداها .

هل يَكونُ لنا من جَديدِ كَلامٍ
لا كَسيفِ يَهزُّ وِعيَداً وَوَعِداً
بل كَبَحرِ كَريمٍ لا ضِفافَ لَهُ .

- و -

الرَّمادُ - الكِتابُ، وماذا
أُتَرى لِمَ يَعدُ للقصيدةِ من شاعِرٍ
يَتغَنَّى بها وَيَغَنِّي لها:
ليس لِلحَبِّ شَرعٌ،
ليس لِلشُّعْرِ شَرعٌ .

يشرب الشَّعْرُ، كالحبِّ، ماء الحياة، ولكن
من ينابيع مَطْمُوسَةٍ في حنايا الجسد
يَادَنَّا فتدَلِّي
مُرِيداً، مَدَدٌ.

- ز -

أَلْتَجُومُ تَرْنُ خَلَاخِيلُهَا
وَالرِّيَّاحَ اللُّوَاقِحُ فِي هِجْرَةٍ.
هكذا سَأَسِيرُ إلى اللَّيْلِ ما لا أَسِيرُ إلى غَيْرِهِ،
مُلْقِياً كِتْفِي على جِدْعِ زَيْتُونَةٍ، -

الرَّمَادُ،

وما أكرمَ الشمسَ تأخذ منديلَهُ
وتغْطِي به قَدَميها.
وانظُرُوا -

ها هي الآنَ تمسُطُ رَأْسَ الفِضَاءِ، وتُجَلِسُ في حِصْنِهَا بَيْتَنَا.

الرَّمَادُ - ولكِنِّي

لا أدوُّنُ، بل أفتح الجرحَ في غَيْهَبِ الدَّلَالَةِ
لا أدوُّنُ، بل أتعلَّمُ أن أشرب الكونَ حَتَّى الثَّمَالَةِ.

أَلرَّمَاذُ - وَلَكِن

أَشْعُرُ الْآنَ أَنِّي فِي حَاجَةٍ كِي أُغْنِي
جَسَدِي وَرَدَّةً وَفِكْرِي عِطْرًا.

(بَارِيس - بَرَلِين ٢٠٠١)

للشاعر

(أثرنا، اختصاراً، أن نكتفي بالإشارة إلى الطبعتين الأولى، والأخيرة).

(١) شعر

- قصائد أولى، ط١، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٥٧؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.
- أوراق في الريح، ط١، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٥٨؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.
- أغاني مهيار الدمشقي، ط١، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٦١؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.
- كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل،
ط١ المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٥؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.
- المسرح والمرابا، ط١، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٨؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.
- وقت بين الرماد والورد، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٠؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٠.
- هذا هو اسمي، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٠.

مفرد بصيغة الجمع، ط ١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٧؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

كتاب القصائد الخمس، ط ١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩.
كتاب الحصار، دار الآداب، بيروت ١٩٨٥.
شهوة تتقدم في خرائط المادة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٧.
احتفاءً بالأشياء الغامضة الواضحة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.
أبجدية ثانية، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٩٤.
الكتاب I، دار الساقى، بيروت، ١٩٩٥.
الكتاب II، دار الساقى، بيروت، ١٩٩٨.
فهرس لأعمال الريح، دار النهار، بيروت.

٢) الأعمال الشعرية الكاملة

ديوان أدونيس، ط ١، دار العودة، بيروت، ١٩٧١؛
ط ٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٥؛
ط ٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩.

الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، ١٩٨٥؛
الطبعة الخامسة، دار العودة، بيروت، ١٩٨٨.

الأعمال الشعرية الكاملة، طبعة جديدة، دار المدى، دمشق، ١٩٩٦.

٣) دراسات

مقدمة للشعر العربي، ط ١، دار العودة، بيروت، ١٩٧١؛
ط ٥، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦.

زمن الشعر، ط ١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢؛
ط ٥، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩.

الثابت والمتحول، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب،

الطبعة الثامنة (طبعة جديدة، مزيدة ومنقحة، في أربعة أجزاء):

١ - الأصول،

٢ - تأصيل الأصول،

٣ - صدمة الحداثة وسلطة الموروث الديني،

٤ - صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري.

دار الساقى، ٢٠٠١.

فاتحة لنهايات القرن، الطبعة الأولى، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠؛

الطبعة الثانية، دار النهار، بيروت.

سياسة الشعر، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٥.

الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٥.

كلام البدايات، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٠.

الصوفية والسوريالية، دار الساقى، بيروت، ١٩٩٢.

النص القرآني وأفاق الكتابة، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.

النظام والكلام، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.

ها أنت أيها الوقت، (سيرة شعرية ثقافية)، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.

٤) مختارات

مختارات من شعر يوسف الخال، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٦٢.

ديوان الشعر العربي،

الكتاب الأول، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤.

الكتاب الثاني، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤.

الكتاب الثالث، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٨.

ديوان الشعر العربي (ثلاثة أجزاء)، طبعة جديدة، دار المدى، دمشق، ١٩٩٦.

مختارات من شعر السياب، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٧.

مختارات من شعر شوقي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.

- مختارات من شعر الرصافي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.
- مختارات من الكواكبي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.
- مختارات من محمد عبده (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
- مختارات من محمد رشيد رضا (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
- مختارات من شعر الزهاوي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
- مختارات من الإمام محمد بن عبد الوهاب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
- (الكتب الستة الأخيرة، وُضعت بالتعاون مع خالدة سعيد).

(٥) ترجمات

- حكاية فاسكو، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٢.
- السيد بوبل، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٢.
- مهاجر بريسبان، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٣.
- البنفسج، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٣.
- السفر، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٥.
- سهرة الأمثال، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٥.
- مسرح جورج شحادة، طبعة جديدة، بالعربية والفرنسية، دار النهار، بيروت.
- الأعمال الشعرية الكاملة لسان جون بيرس،
منارات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦؛
طبعة جديدة، دار المدى، دمشق.
- منفى، وقصائد أخرى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨.
- مسرح راسين
- فيدر ومأساة طيبة أو الشقيقان العدوان، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٩.
- الأعمال الشعرية الكاملة لإيف بونفوا، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٦.
- كتاب التحولات، أوفيد، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢.

علي مولا

ISBN 1 85516 535 X

